المركز القومى للترجمة





من صبا حتى نيما

مائة وخمسون عامًا من تاريخ الأدب الفارسى

تأليف: يحيى آرين بور

ترجمة: إيمان محمد إبراهيم عرفة
محمد السباعى محمد السباعى
أشرف محمد عبد الوهاب

مراجعة وتقديم: السباعى محمد السباعى



1340



إهـــــــداء٢٠١٠ .

دار الكتب و الوثائق القومية

القاهرة

من صبا حتى نيما

مائة وخمسون عامًا من تاريخ الأدب الفارسي

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١٣٤٠
- من صبا حتى نيما
مائة وخمسون عامًا من تاريخ الأدب الفارسى
- يحيى آرين بور
- نخبة
- الطبعة الأولى ٢٠٠٩

هذه ترجمة كتاب :

از صبا تا نيما

تاريخ ١٥٠ سال ادب فارسى
يحيى آرين پور

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ – فاكس : ٢٧٣٥٤٥٥٤
EL- Gabalaya st., Opera House, El Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 2735424 – 2735426 Fax: 27354554

من صبا حتى نيما

مائة وخمسون عامًا من تاريخ الأدب الفارسى

تأليـــــف : يحيى آرين بور

ترجمـــــة : إيمـــان محمد إبراهيم عرفـة

محمد السباعى محمد السباعى

أشرف محـمد عبـد الوهاب

مراجعة وتقديم: الســـباعى محمد الســـباعى



٢٠٠٩

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بور، يحيى آرين
من صبا حتى نيما: مائة وخمسون علمًا من تاريخ الأدب الفارسى
تأليف: يحيى آرين بور، ترجمة: إيمان محمد إبراهيم عرفة، محمد السباعى محمد السباعى، أشرف محمد عبد الوهاب، مراجعة وتقديم: السباعى محمد السباعى
ط١، القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٩
٧٣٢ص، ٢٤سم
١ - الأدب الفارسى - تاريخ ونقد
(أ) عرفة، إيمان محمد إبراهيم (مترجمة)
(ب) السباعى، محمد السباعى محمد(مترجم مشارك)
(جـ) عبد الوهاب، أشرف محمد (مترجم مشارك)
(د) السباعى، السباعى محمد (مراجع ومقدم)
(هـ) العنوان ٨٩١,٥٥٠٩

رقم الإيداع: ١٣٩٢٥ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: I.S.B.N – 978 - 977- 479 - 461- 6
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

تقديم

هذه ترجمة "للمجلد الأول من كتاب " ار صبا تا نيما" أى من صبا إلى نيما الذى ألفه الكاتب "يحيى آرين بور، فى مجلدين يتناولان تـاريخ الأدب الفارسى خلال مائة وخمسين عامًا. ثم أكمل الكاتب هذا العمل بمجلد ثالـث تحت " عنوان از نيما تا روزكارما". أى من نيما حتى عـصرنا الحاضـر. وهذه المجلدات الثلاثة هى أبرز أعمال المؤلف التى توصلت إليهـا، فـضلاً عن ترجمة كتاب "ناصر خسرو وإسماعيليان" أى ناصر خسرو والإسماعيلية الذى ألفه المستشرق الروسى " برتلس " .

أما المؤلف "يحيى آرين بور" فهو كاتب ومحقق إيرانى بارز وشـاعر اتخذ لنفسه لقب (دانش) أى "العلم" تخلصًا له كما هى العادة عنـد الـشعراء الفرس والترك ثم أصحاب اللغة الأوردية فيما بعد. يصل نسبه من ناحية أبيه إلى الأمير القاجارى البارز عباس ميرزا وينتمى من ناحية أمه إلى الحكـيم والفيلسوف الإيرانى نصير الدين الطوسى المعروف لمنزلته الفكريـة باسـم خواجه نصير الدين الطوسى. ولا نعلم على وجه اليقين متى ولد وفى أى يوم وفى أى شهر وفى أى عام كما صرح بنفسه فى كتاب يسمى "امـروز" وأن اتفقت المصادر والمراجع على أنه ولد فى تبريز فى عام ١٢٨٦هـ وتوفى فى الرابع من شهر أبان ١٣٨٤ هـ . بدأ تعليمه الابتدائى فى مسقط رأسـه

مدينة "تبريز" في مدرسة تسمى "تمــدن" ودرس فــي المرحلــة المتوســطة والثانوية في المدرسة الثانوية الوحيدة بالمدينة وكان مديرها "إسماعيل أميــر خيزى"، وكان من بين رفاقه في تلك المدرسة دكتــور رعــدى آذر خــشى والدكتور على أصغر حريرى ومحمد حسين شهريار وغيرهم.

وكان من أساتذته : أبو القاسم فيوضات تقــى رفعــت وســيد أحمــد كسروى، وكما ذكر ذلك في حديث أجرته معه مجلة "تماش" حول ميرزا تقى خان رفعت وذوقه الشعرى قال: "إن كل ما لديه من بضاعة في هذا المجال الأدبى إنما هو بفضل غرس هؤلاء الأساتذة، وأشار إلى فضل تقى رفعت في المجلد الثانى من كتابه "از صبا تانيما" وكيف أنه أضاء له السبيل للوقــوف على العلوم والمعارف الحديثة والأدب العالمي.

ثم صرف النظر عن قرض الشعر نتيجة للقيود الكثيرة التــى كانــت موجودة آنذاك ونشر بعض القطع والترجمات الشعرية في مجلتى : "سخن " و "يغما" وحين كان في الصف السادس الثانوى في منتصف عام ١٢٩٨هـــ الموافق ١٩١٩-١٩٢٠م أصدر ستة أعداد من مجلة "الأدب" فــى تبريــز وحين تخرج من المدرسة ترك رئاسة تحريرهــا فأصــدر الأعــداد الــستة الأخرى منها مدير المدرسة المرحوم إسماعيل أمير خيزى ، وخدم بعد ذلك في وزارة المالية لمدة ثلاثين عامًا. أما كتابه الذى بين يــدينا الآن ترجمــة للمجلد الأول منه وهو "أز صبا تا نيما.. فهو أشهر ما كتب".

ثانيا : يقول إنه منذ شهر شهربور ١٣٢٠هـــ (أغــسطس / ســبتمبر ١٩٤١م) وما تلاه بدأت معركة بين سدنة القدر انى المحافظين ورواد الشعر

الحديث المجددين، وقرض أشخاص أشعاره وألف آخرون مؤلفات عديدة خرجت عن نطاق المعقول فى الاختلاف ووصلت إلى مرحلة الانحراف عن كتابات السابقين وأفكارهم .

"فاشتدت به الرغبة فى المطالعة والتحقيق فى مراحل تطور النظم والنثر الفارسى فى العصور المتأخرة واطلعت وقرأت بشغف كشوف ونهم كتب التذاكر والدواوين والروايات والقصص والمسرحيات والمقالات والمجلات الأدبية والكثير من الكتب والرسائل التى ألفت حول الأدب الفارسى المعاصر سواء فى داخل إيران أو فى خارجها، وتعرفت على الأساليب الأدبية المختلفة وآراء المؤيدين والمعاصرين من كل فرقة. وقمت خلال السنوات من ١٣٣٩ش إلى ١٣٤٤ ش[١] /١٩٦١ إلى ١٩٦٦م حسبما أتيح لى وقت الفراغ وسنحت لى الفرصة، بتدوين مثل هذه التحقيقات وفقًا لذوقى ورؤيتى كما ستلاحظون ذلك.

(هـ . ش : هجرى شمسى)

(١) تقويم فارسى مرتبط بدورة الشمس ، وتبدأ السنة الشمسية فى ٢١ من مارس حسب التقويم الميلادى وهو الذى يسمى بـ "النيروز" (الفيروز" - بدأ العمل به بناءً على أمر من رضا شاه الكبير شاهنشاه إيران عام ١٣١٤ هـ بتغيير التاريخ الهجرى القمرى إلى هجرى شمسى، أما هـ ق أى هجرة قمرى فهو التقويم الهجرى المعمول به فى العالم الإسلامى - ويبدأ من تاريخ هجرة الرسول (ص) ، وهو مرتبط بدورة القمر حول الأرض - وعلى هذا فإن ١/١/١ هجرى قمرى = ١/٤/٢٤ هجرى شمسي الموافق ٦٢٢/٧/١٥م.

كانت خطة العمل فى تنظيم مذكراتى أن أشير بإيجاز فى البداية لموضوع الأدب الإيرانى فى العصر الصفوى ومرحلة الضعف التى تلت تلك الفترة بعد سقوط تلك الأسرة ثم اتجهت – بمزيد من التفصيل حين تحدثت عن الشعراء والكتاب فى بلاط الأسرة القاجارية – إلى دراسة أعمق للتطورات الأدبية الفارسية منذ عصر المطالبة بالحرية وإرهاصات الثورة الدستورية وحركة المشروطية، رابطاً ذلك بذكر الوقائع والأحداث الرئيسية لتاريخ المشروطية.

ويستطرد قائلاً : صرفت النظر فى هذا الكتاب عن شرح أحوال الشعراء وأعمالهم ، الذين اقتصر دورهم على تقليد القدماء أو المعاصرين لهم ولم يكن لهم تأثير فى مسيرة الأدب الفارسى. وتناولت فقط الشعراء الكتاب الذين أثرت أعمالهم – إلى حد ما – فى المحيطين الأدبى والاجتماعى لعصرهم والعصور التالية.

وبعد، فهذا الكتاب لا هو من قبيل كتب تذكرة الشعراء، ولا من قبيل منتخبات الآثار، ولا شيء من قبيل كتب "تاريخ الأدب" بالمعنى الخاص للكلمة، وإنما هو تحقيق أدبى لحقبة تاريخية من عصر الإحياء (العودة الأدبية) حتى بداية الشعر الحديث (من صبا إلى نيما) وهى الفترة التى امتدت مائة وخمسين عامًا كما ذكرت آنفًا. وتكفى أهمية اجتماعية وأدبية غير عادية نظرًا لقربها من عصرنا وكذلك بسبب الوقائع الغريبة التى حدثت فيها والتى ستؤثر دون شك بشكل كبير فى الأحداث الأدبية التالية. وهذه محاولة غير مسبوقة لكنها لا تخلو من النواقص والعيوب. وتحقيقًا للغاية من هذا الكتاب

فقد بحثت فى أعمال وأحوال كل شاعر من الشعراء وفترة إبداعــه الغنــى بمنتهى الدقة والتأنى والمثابرة، ولم أتجاهل تمييز الغث والثمين من أقــوال المؤلفين أصحاب الرأى فى حدود إمكانياتى وقدراتى ومعلوماتى وعنـدما لا أستطيع التأكد من صحة أحوال القول كنت على الأقل امتنع عن تأييده".

وقد اجتهد المؤلف قدر الإمكان أن يخرج عملاً كـاملاً مبـرءًا مـن العيوب لكن الكمال لله وحده. خاصة وأن الكتاب قد جمعت مادتـه تـدريجيًا وفى فترات مختلفة، هذا فى حد ذاته يجعله عرضة للنواقص والعيوب، كمـا أن هذا التوقف ثم العودة للكتابة تجعل معلومات الكاتب متفاوتة. وقد أشـار المؤلف إلى أهم المصادر والمراجع التى اعتمد عليها ذاكرًا إياها فـى مـتن الكتاب وحواشيه. ولم يلجأ إلى أسلوب منمق فى الكتابة فقد كان هدفه عرض الموضوع بالصورة الصحيحة التى يراها.

ثالثا : أما فريق الترجمة الذى تحمل عبء ترجمة هذا المجلد والـذى يليه فكانوا على قدر المسؤولية الملقاة على عاتقهم رغم صعوبة حملها – وقد تكون هذا الفريق ممن أثق فى قدرتهم على الفهم والترجمة وهم: الـدكتورة إيمان محمد عرفة الأستاذ المساعد للغة الفارسية وآدابهـا بكليـة الآداب – جامعة القاهرة، والدكتور محمد السباعى محمـد الـسباعى مـدرس اللغـة الفارسية وآدابها بكلية الآداب بجامعة حلوان، ثم الأستاذ أشرف محمد عبـد الوهاب مترجم اللغة الفارسية بمركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، وقد بذلوا جهدًا كبيرًا واعترضت سبيلهم بعض الصعاب حاولوا التغلب عليها وقد تم لهم ذلك فى نهاية الأمر.

وكان نصيب كل منهم فى الترجمة على النحو التالى :

١ – أشرف محمد عبد الوهاب من ص ١ إلى ص ٤٤ ، ومن ص ٧٩ إلى ص ١٤٤.

٢ – محمد السباعى محمد من ص ٤٤ إلى ص ٧٧ ، ومن ص ١٤٥ إلى ص ٢٢٠ .

٣ – إيمان محمد عرفة من ص ٢٢١ إلى ص ٤٢٢ .

هى تجربة ناجحة بالنسبة إليهم، كفيلة أن تكون هذه المجموعة نواة لجماعة من المترجمين المجيدين. فلهم منى كل الشكر والتقدير..

والله الموفق

السباعى محمد السباعى

٢٠٠٨/٧/١٤

مقدمة الجزء الأول

"إذا تجاوزنا الشعراء والفنانين السابقين بسبب نقص الوثائق والمستندات، نصل إلى فترة الفن والأدب المعاصر والتى نتعرف فيها على أشكال التحول والتجدد بشكل أو بآخر ونقف على حياة رواد هذا التحول، وهنا كان لابد من تطبيق أسس النقد الفنى، والحكم على هؤلاء حكمًا دقيقًا وموضوعيًا.

وأكبر خدمة يمكن تقديمها فى هذا المجال هى تدوين تاريخ الفن والأدب الذى يعد مقدمة لنقد فنى عظيم، وقد نظر كل محبى الفن والأدب بعين الترقب والانتظار إلى هذه البداية المشرقة حتى يشمروا عن سواعدهم ويسدوا هذا النقص"[1].

لقد اشتدت لدىَّ الرغبة فى المطالعة والتحقيق فى مراحل تطور النظم والنثر الفارسيين فى العصور الأخيرة منذ شهريور ١٣٢٠هـ ش [أغسطس وسبتمبر ١٩٤١م] حيث اشتعل الصراع بين المحافظين والمجددين، وكتب بعض الأشخاص أشعارًا وأعمالاً اختلفت أحيانًا – لدرجة "الانحراف" – عن كتابات السابقين وأشعارهم، وبناءً على هذا فقد طالعت بمنتهى الشغف كتب التذاكر والدواوين والروايات والقصص والمسرحيات والمقالات والمجلات

---

(١) د. محسن هشترودى " دانش وهنر" طهران، ١٣٤٠ هـ ش [١٩٦٢/١م].

الأدبية والكثير من الكتب والرسائل التي كانت قد كتبت حول الأدب الفارسي المعاصر سواء في إيران أو خارج الحدود، وتعرفت على الأساليب الأدبية المختلفة وآراء المؤيدين والمعارضين من كل فرقة وطائفة، وقمت خلال السنوات من ١٣٣٩ إلى ١٣٤٤ هـ ش [١٩٦١ إلى ١٩٦٦] حسبما أتيح لي الفراغ وأتيحت لي الفرصة، بتدوين كل هذه التحقيقات وفقًا لذوقي وبالشكل الذي ستلاحظونه. وكانت خطة العمل في تنظيم مذكراتي أن أشير بإيجاز في البداية لوضع الأدب الإيراني في العصر الصفوي ومرحلة الضعف بعد انتهاء أمر هذه الأسرة. ثم أشرح بتفصيل أكثر نسبيًا وضع شعراء وكتَّاب بلاط الملوك القاجاريين، وبعد ذلك أبحث في مراحل تطور الأدب الفارسي منذ بداية حركة المطالبة بالحرية إلى ما بعد ذلك مع ذكر أهم الوقائع والأحداث التاريخية.

وفي هذا الكتاب صرفت النظر عن شرح أحوال وأعمال الشعراء الذين لم يفعلوا شيئًا سوى تقليد القدامى أو المعاصرين لهم، ولم يؤثروا كثيرًا في مسيرة تكامل الأدب – وللأسف عددهم يفوق بكثير ما يمكن تصوره – وتناولت فقط ذكر أحوال الأشخاص وآثارهم الذين أثرت أعمالهم إلى حد ما في المحيطين الأدبي والاجتماعي لعصرهم والعصور التالية، أو كما يقال إنهم قد أحدثوا تغييرًا ملموسًا نسبيًا ووضعوه على أول الطريق، ولم أحاول قط، كما هي العادة، أن أجمع في هذه الأوراق أحسن الأعمال وأن أتجاهل نقاط ضعف كل كاتب وشاعر، وإنما قصدت بصفة خاصة أن أعرض نماذج عديدة لكل شاعرٍ؛ حتى يتسنى للقراء أن يعرفوا جيدًا المنهج والأسلوب الفني لكبار شعراء وكتَّاب هذه الفترة.

وهذا الكتاب لا هو "تذكرة شعراء" ولا "منتخبات أعمال" ولا شيء من

قبيل "تاريخ الأدب" بالمعنى الخاص للكلمة وإنما هو تحقيق أدبى لحقبة تاريخية معينة منذ العودة الأدبية وحتى بدايات الشعر الحديث (من صبا إلى نيما) وهى الحقبة التى امتدت لأكثر من قرن ونصف، وتلقى أهمية اجتماعية وأدبية غير عادية نظرًا لقربها من عصرنا وكذلك بسبب الوقائع الغريبة التى حدثت فيها والتى ستؤثر بشكل كبير أيضًا فى الأحداث الأدبية التالية، وتعتبر هذه المحاولة التى قمت بها غير مسبوقة تقريبًا وهى بدون شك لا تخلو من النواقص مثل أى عمل غير مسبوق. وتحقيقًا للغاية فقد بحثت فى أعمال وأحوال كل شاعر من الشعراء وفترة إبداعه الفنى بمنتهى الدقة والتأنى والمثابرة، ولم أتجاهل تمييز الغث والثمين من أقوال المؤلفين أصحاب الرأى فى حدود إمكانياتى وقدراتى ومعلوماتى، وعندما لا أستطيع التأكد من صحة أحد الأقوال كنت على الأقل امتنع عن تأييده، فقد لمست حجم المسئولية الملقاة على عاتقى وآمنت بصحة الطريق الذى قد اخترته لنفسى. ومن هنا فإنه لم يظهر منى أبدًا أى اعتراض غير جائز أو تأييد فى غير محله لشخص أو لعمل أو لرأى، ومع هذا فإننى أكرر أن كتابى لا هو كامل ولا خالٍ من العيوب، خاصة وأن موضوعاته قد جمعت تدريجيًا وعلى فترات متباعدة وخلال سنوات ممتدة وكذلك قمت بتغيير أسلوب العمل وطريقته أكثر من مرة بمرور الزمان وبالتالى فقد كانت معلوماتى الخاصة متفاوتة وليست بدرجة واحدة فى جميع المواضع وكانت المصادر والوثائق فى بعض الأقسام كثيرة وفى الأقسام الأخرى قليلة أو بعيدة المنال، وهو ما جعل موضوعات الكتاب وطريقة تنظيمه لا تسير على وتيرة واحدة فى كافة المواضع.

وعلى كل حال فإننى قد مهدت الطريق فى هذا المجال وأتمنى أن يكون هذا الكتاب مقدمة وتمهيدًا لعمل الأشخاص الذين سيرغبون فيما بعد فى اتخاذ خطوات أكثر قوة وثباتًا فى موضوع نقد الأدب الإيرانى المعاصر

وتحليله الذى ما زال بكرًا ولم تمتد إليه يد.

وقد امتنعت تمامًا فى هذه المجموعة عن إيراد كلمات التعظيم والتفخيم مثل السيد وحضرة جناب للأحياء، والمرحوم والمغفور له للأموات. وفى ذكر تواريخ الأحداث باليوم والشهر والسنة مثل الميلاد والوفاة وغيرها والتى اختلفت الأقوال بشدة بشأنها ولم يكن هناك لها دليل قاطع، نقلت القول الذى وجدته أقوى وأصح دون أن أبحث وأدلل على قبول ذلك القول ورفض الأقوال الأخرى.

وقد أشرت، قدر استطاعتى، إلى أهم المصادر والمراجع فى المتن والحواشى، وقدمت توضيحًا كافيًا لكل موضوع وأبرزت أقوال الآخرين كالمعتاد وأضفت أيضًا قائمة بأسماء المصادر وتقويمًا للأحداث تقليدًا للأسلوب الشائع الذى يتبعه محققو العصر، وأتمنى أن تسهم كل هذه الحواشى والملحقات، التى ضاعفت من حجم الكتاب، فى تيسير أمر المطالعة على القراء.

وأنا لم أتبع أسلوبًا خاصًا فى الكتابة ولم أستخدم الدقة المتناهية فى اختيار الكلمات والتركيبات الإنشائية، فقد كان الغرض هو عرض الموضوع وهو ما أخذته فى الاعتبار دائمًا.

وهناك مجموعة من الأساتذة وعلماء الإيرانيات المشهورين أدين لهم بفضل توجيهى إلى المصادر الأجنبية ومساعدتى فى جمع الموضوعات مثل المرحوم البروفسور الدكتور جان ريبكا من تشيكوسلوفاكيا، والمرحوم بازيل نيكيتين من فرنسا، والدكتور ف. ماخالسكى من بولندا، ومن الواجب علىَّ

تقديم خالص الشكر والمحبة لهم جميعًا، كما تجشم الأستاذ أحمد سميعى عناء مراجعة الكتاب.

وقام الأستاذ محمد جلين بكل همة ونشاط خلال فترة قصيرة بتجهيز الأدوات والوثائق اللازمة لإعداد صور هذا الكتاب التى كانت نادرة جدًا فى بعض الأحيان، ولهذا السبب فإننى أقدم له خالص الشكر والامتنان.

وأخيرًا فإننى لم أطلب من فضلاء العصر، كما هى العادة، أن يكتبوا تمهيدًا أو مقدمة على كتابى لكى يغطوا عيوبه ونقاط ضعفه بغلاف من المدح والتقريظ، فهذا هو عملى بكل عيوبه ومميزاته.

يحيى آرين بور

طهران – مهرماه ١٣٥٠هـ

[سبتمبر – أكتوبر ١٩٧١م]

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الكتاب الحالى الذى هو، على حد قول مؤلفه والذى صنف فى مقدمته على الطبعة الاولى، ليس تذكرة شعراء ولا منتخبات أعمال ولا شيء من قبيل تاريخ الأدب بالمعنى الخاص للكلمة وإنما هو تحقيق أدبى لحقبة تاريخية تمتد مائة وخمسين عامًا منذ العودة الأدبية وحتى بدايات الشعر الحديث من صبا إلى نيما، فقد تم تأليفه بطريقة علمية متميزة بعيدًا عن الأغراض الشخصية من حيث البحث فيما يسمى بالتاريخ والنقد الأدبى، وقد أدت هذه القيمة العلمية والبحثية للكتاب إلى طبعه ونشره ونفاذه خمس مرات منذ اسفند ١٣٥٠هـ ش إلى منتصف عام ١٣٥٧هـ ش [فبراير ومارس ١٩٧٢م إلى سبتمبر وأكتوبر ١٩٧٨] ودفعت الكثير من الأساتذة وأصحاب الرأى فى المسائل التاريخية والأدبية لأن يتحدثوا عنه ويعبروا عن رأيهم بشأنه كبريات دور نشر الدولة. والآن وبالنظر إلى ندرة البحث فى اللغة والأدب الفارسى منذ سنوات بالرغم من حاجة الطلاب والجامعيين والباحثين المتزايدة، فإنه سيعاد طبع الكتاب بدون تغيير أو حذف وكما كتبه المؤلف المحترم بالضبط وطبعه مرارًا، وسيكون فى متناول أيدى القراء الأعزاء كدليل على الاحترام وحرية القلم وحرية التعبير عن المعتقدات العلمية، واستنادًا إلى الآية القرآنية الشريفة "فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه"، لكن سيكون من حق الناشر وبصفة خاصة القراء أن ينتقدوا بعض موضوعاته أو أسلوب البحث فيه، أو أن يروا عدم أهمية كافة أبعاد حياة الشخصيات التى قد تم تعريفها فى الكتاب وبالتالى لا يقبلونها، ولهذا

السبب فإن حق النقد الموضوعي لموضوعات الكتاب مكفول للناشر والقراء، ويأمل الناشر في أن يختار نقدًا علميًا تحقيقيًا واحدًا من بين تلك التي سينشرها العلماء والباحثون في النشريات العلمية والأدبية بالدولة ويضيفها إلى مقدمة الكتاب في طبعاته التالية حتى يهيئ المجال بهذه الطريقة لإجراء بحث وحوار مفيد وبنّاء حول موضوعات الكتاب.

بمنه وكرمه والله ولي التوفيق والإرشاد

دار نشر : زوار

القسم الأول : العودة

لمحة تاريخية

فترة عصيبة فى تاريخ إيران :

انقرضت الأسرة الصفوية التى كانت قد تأسست عام ٩٠٧هـ بقوة سيف الشاه إسماعيل، بعد حكم دام مائتى وأربعين عامًا.

وقد قام نادر الابن المغمور لأحد أفراد قبيلة افشار تركية الأصل بتطهير الدولة من المتمردين الداخليين والمعتدين الأجانب فى أقل من خمسة عشر عامًا واعتلى عرش السلطنة الإيرانية رسميًا فى عام ١١٤٨هـ ق، وقد قتل هذا الرجل العظيم، الذى كان قد أعطى روحًا جديدة للدولة الإيرانية بفتوحاته الباهرة، على يد كبار القادة الإيرانيين فى عام ١١٦٠ هـ ق بعد أن أصيب بالغرور والجنون والقسوة، وتعرضت دولة إيران مرة ثانية للفوضى والاضطرابات.

وقد حكم كريم خان رئيس الطائفة الزندية – وهى إحدى القبائل الكردية الإيرانية– إيران باسم طفل فى التاسعة من عمره، ويحتمل أن يكون ابن أخت الشاه السلطان حسين الصفوى وذلك بعد معارك ومذابح كثيرة، وقد استطاع إقرار الأمن فى الدولة لمدة قصيرة، وتعتبر فترة حكم خلفاء كريم خان

من أسوأ عصور التاريخ الإيرانى ومن الفترات المؤلمة والعصيبة لدرجة أنه من الظلم أن تسجل فى التاريخ[1]. وبعد معارك ومذابح كثيرة تمكن أغا محمد خان القاجارى خلال فترة وجيزة بالقوة والعزيمة والاجتهاد فى العمل على إنهاء حالة الاضطرابات والقلاقل الشديدة التى حدثت فى فترة ما بعد انقراض الدولة الصفوية، والتى كانت أهم سماتها تغيير الحكام بصورة سريعة ومتتالية وكانت فى الحقيقة فترة تحول مؤقتة بين عصرين عظيمين فى التاريخ الإيرانى، وقد أدخل أغا محمد خان القاجارى كافة الأراضى الإيرانية تحت لواء حكومة واحدة. وقد قتل مؤسس الأسرة القاجارية فى عام ١٢١١هـ ق بيد أتباعه فى معسكر مدينة شوشى القفقازية واعتلى عرش السلطنة الإيرانية ابن أخيه بابا خان الذى سُمى باسم جده فتحعلى شاه.

الهزائم الإيرانية أمام روسيا : انشغل فتحعلى شاه دائمًا بالقضايا الداخلية والخارجية خلال فترة ملكه التى استمرت سبعة وثلاثين عامًا وذلك نتيجة لحروب عمه والمذابح التى قام بها والخصومات الشديدة التى كان قد خلقها. وقام الروس الذين أخذوا يتقدمون تدريجيًا فيما وراء حدود شمال إيران، بانتزاع گرجستان (جورجيا) من إيران فى بداية الأمر ثم تطلعوا بعد ذلك إلى سائر إمارات القفقاز، فما كان من إيران، التى رفضت انضمام جورجيا لروسيا، إلا أن قامت بالاستعداد للحرب، وكانت تأمل فى أن تهب إنجلترا لمساعدتها فى الحرب ضد روسيا، واشتعلت الحرب الروسية الإيرانية عام ١٢١٩هـ ق.

---

(١) من رسالة القنصل الفرنسى فى البصرة إلى مديرى الشركة الهندية المؤرخة فى مارس ١٧٨٩م (نقلاً عن تاريخ زنديه، ج١، تأليف الدكتور هادى هدايتى، طهران ١٣٣٤ش [٥-١٩٥٦م].

لكن سرعان ما شعر الملك القاجارى بعجزه وضعفه أمام خصمه القوى، فتوجه مضطرًا إلى نابليون الذى كانت شهرة فتوحاته قد وصلت إلى مسامعه، على أمل الحصول على المساعدة، فقام الإمبراطور الفرنسى الذى كان يطمح فى الوصول إلى الهند عن طريق إيران، بإرسال بعض السفراء إلى إيران وتم التوقيع فى نهاية الأمر على معاهدة بين فرنسا والحكومة الإيرانية، تعهد نابليون بموجبها بأن يبذل كل جهده فى إجبار الروس على مغادرة جورجيا والأراضى الإيرانية وتقديم الأسلحة والمهمات التى تحتاجها إيران، وأن يقوم كبار القادة الفرنسيين بتجهيز وإمداد الجيش الإيرانى بأحدث الأساليب، وتعريف الجنود الإيرانيين بفنون الحرب والقتال(١).

ونتيجة لهذه المعاهدة أرسل إلى إيران الوفد العسكرى الفرنسى برئاسة الجنرال جاردان(٢)، لكن بينما كان جاردان ورفاقه ما زالوا فى الطريق تصالح نابليون مع روسيا(٣)، وأصبحت التعهدات التى كان قد أخذها على نفسه بشأن إيران كأن لم تكن.

ولم يكن صلح نابليون مع روسيا قد قضى تمامًا على الآمال الإيرانية فى المساعدة الفرنسية فقد ظلت إيران تنتظر قيام نابليون بتنفيذ المهام التى كان قد تعهد بها، وضمان الحكم الإيرانى فى القفقاز. إلا أن نابليون لم يفعل سوى أنه أمر مبعوثه بالتوسط لعقد الصلح إذا كان البلاط الإيرانى ينشده، وقد قام وفد جاردان العسكرى بإجراء بعض الإصلاحات فى الجيش الإيرانى وتعليم الجنود الإيرانيين فنون الحرب. لكن لم تفلح جهوده فى الصلح بين الحكومتين.

---

(١) معاهدة فينكنشتاين **Finkenstein** ٢٥ صفر ١٢٢٢هـ ق.

(٢) وصل وفد جاردان العسكرى طهران فى ١٢ رمضان سنة ١٢٢٢هـ ق.

(٣) اتفاقية تيلسيت **Tilsit** ٢٦ ربيع الثانى ١٢٢٢هـ ق.

وفى هذه الأثناء وصل إلى إيران الوفد العسكرى الإنجليزى حاملاً معه الهدايا القيمة وأعلن أنه سينفذ ما عجز عن تنفيذه الفرنسيون، لكن كان هدف الإنجليز الحقيقى هو طرد الفرنسيين من إيران وإشعال نار الحرب مع روسيا، وفى عام ١٢٢٤هـ ق عقدت الحكومة الإنجليزية معاهدة مع إيران كان هدفها منع بسط النفوذ الروسى وحماية الممتلكات الإنجليزية فى الهند(١)، وقد تعهدت الحكومة الإنجليزية بموجب هذه المعاهدة بأن تقدم لإيران المساعدة العسكرية لمحاربة روسيا، لكن لم يقدم الإنجليز الذين كانوا قد حلوا محل الفرنسيين، أية مساعدة لإيران وبعد تسعة أعوام من الحروب غير المجدية لم يخرج من يد إيران جورجيا فحسب بل ثمانى ولايات أخرى أيضًا، وسُلب منها كذلك حق الملاحة فى المياه الساحلية لبحر الخزر (قزوين) (٢)، واندلعت الحرب بين إيران وروسيا مرة أخرى، بعد خمسة عشر عامًا بسبب الخلافات الحدودية.

وامتنع الإنجليز مرة ثانية عن تقديم المساعدة وقاموا بالوساطة بين الحكومتين، وقد هُزمت إيران فى هذه الحرب أيضًا وانفصلت عنها إيروان ونخجوان وبقية أراضى ما وراء نهر ارس، كما أنها تحملت أعباء خسائر ونفقات الحرب الثقيلة، وقد ساعدت هذه الحروب والهزائم فى بسط النفوذ الروسى فى إيران وتقويته وتثبيت حق الامتيازات الأجنبية للرعايا الروس ثم الأجانب الآخرين بعد ذلك(٣).

---

(١) المعاهدة المجملة ١٢ مارس ١٨٠٩ م (المحرم ١٢٢٤هـ ق) وبعدها المعاهدة المفصلة ١٤ مارس ١٨١٢م (صفر ١٢٢٧هـ ق).

(٢) معاهدة گلستان شوال ١٢٢٨هـ ق.

(٣) معاهدة تركمانچاى ، شعبان ١٢٤٣هـ ق.

توفى عباس ميرزا نائب السلطنة بخراسان فى عام ١٢٤٩هـ ق، ولحق به أبوه فتحعلي شاه بأصفهان في العام التالي. وكان محمد شاه ابن عباس ميرزا الذى حكم دولة إيران أربعة عشر عامًا من عام ١٢٥٠هـ ق إلى عام ١٢٦٤هـ ق ، كان رجلاً زاهد الطبع جمع بين التدين والورع من ناحية والشدة والقسوة من ناحية أخرى.

ففى بداية أمره وأول أيام سلطنته بمجرد أن استراح من الصراع مع المطالبين بالتاج والعرش بفضل سعى ميرزا أبى القاسم قائممقام واجتهاده، تخلص من ذلك الرجل المدبر وسلم زمام الأمور إلى معلمه ومرشده حاجى ميرزا آقاسى الذى "لم يكن كفؤًا لمنصب الصدر الأعظم فى إيران(١)" وفى عهد سلطنة هذا الملك القصيرة ظهرت الآثار السلبية لمعاهدتى گلستان وتركمن چاى والعواقب الوخيمة للحروب الإيرانية الروسية المدمرة، واشتد التنافس بين الأجانب بحثًا عن السلطة والنفوذ فى إيران وعمت الفتنة والفوضى كل أنحاء الدولة بسبب عدم كفاءة حاجى ميرزا وأنانيته فقد كان هو الحاكم الحقيقى لإيران طيلة فترة سلطنة محمد شاه، وزادت النفقات على الإيرادات وتجاوز ظلم الحكام وتعديهم وفساد الجهاز الإدارى الحد وانفرط عقد النظام والانضباط من كل جانب.

وقد زحف محمد شاه إلى خراسان عام ١٢٥٣هـ ق راجيًا مساندة الروس وحاصر مدينة هراة لكن فشل هذا الزحف نتيجة عراقيل المسئولين البريطانيين، وانسحب الملك الإيرانى بعد تسعة شهور من الحصار نتيجة سياسة الحكومة الإنجليزية العدائية وعاد إلى العاصمة فى العام التالى وانفصلت أفغانستان عن الكيان الإيرانى وفقًا لرغبة الإنجليز. وانقضت بقية فترة سلطنة محمد شاه فى إخماد الفتن والثورات التى كانت تشتعل فى كل

---

(١) ميرزا على خان أمين الدولة، خاطرات سياسى ، ص ١١.

ركن من أركان الدولة بيد العملاء الداخليين وتحريض السياسة الخارجية(١) حتى توفى فى خريف عام ١٢٦٤هـ ق متأثرًا بمرض النقرس والحمى، وقد سلم التاج والعرش الإيرانى لابنه ذى السبعة عشر عامًا.

نقل الحضارة الأوربية : فى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى (سنة ١٧٨٩م) أى بعد وفاة كريم خان الزندى وبداية أمر آغا محمد خان القاجارى بعدة سنوات حدثت الثورة الفرنسية فى أوربا وأعقبتها أحداث مذهلة مثل ظهور نابليون وحروبه المتتالية وحركة الشعوب وتقدم فن الحرب وظهور الأسلحة والمعدات الحديثة وأمثال ذلك، وظهرت حكومات كبيرة وقوية فى العالم أسست الحكومات الوطنية فى الدول الأوربية وعلى الرغم من ذلك لم يهتز الشعب والبلاط الإيرانى لهذه الأحداث والتحولات، ليس هذا فحسب بل لم تدرك إيران حقيقة تلك الثورات، وظلت دولة إيران باقية على حالها ومنهج حياتها القديم لفترة طويلة(٢).

لكن مع هذا مهدت الحرب مع روسيا والتنقلات العسكرية والرغبة الشديدة لدى عباس ميرزا الابن الكفؤ لفتحعلى شاه فى نقل ونشر الفنون والصناعات الأوربية الحديثة - الطريق لدخول الحضارة الغربية إلى إيران.

وقد أثرت سياسة الدول الأوربية التى كانت وليدة مصالحها الاقتصادية، فى الأوضاع الاجتماعية الإيرانية، فضلاً عن أن البعثات السياسية والعسكرية، والخطوات التى تمت لإصلاح الجيش الإيرانى وإقامة

---

(١) كان منها ثورة آقاخان قائد الإسماعيلية (١٢٥٦هـ ق)، وثورة سيد على محمد الباب (١٢٦٠هـ ق) وفتنة محمد حسن خان ابن الهيارخان آصف الدولة (سنة ١٢٦٣هـ ق).

(٢) خطاب تقى زاده فى نادى "المهرجان" "تاريخ أوايل انقلاب مشروطيت ايران" ١٣٣٧ش.

العلاقات الدائمة مع أوربا- أدت إلى غرس بذرة الأفكار الجديدة فى الأراضى الإيرانية.

وقد بدأت حركة التجديد من آذربايجان التى تعد متاخمة لروسيا وتركيا العثمانية والأقرب إلى أوربا، وصارت تبريز مركزًا مهمًا للأنشطة العسكرية والسياسية الإيرانية، وشيئًا فشيئًا أرسل الطلاب إلى إنجلترا لدراسة العلوم والعمال إلى روسيا لتعلم الصناعات، وتأسست مصانع لتصنيع المدافع والبارود والنسيج، وعلت الهمم لإنشاء المصانع وتأليف الكتب وتأسيس الصحف.

ومن الأشخاص الذين أدركوا ضروريات العصر واحتياجاته أكثر من الآخرين ميرزا عيسى قائممقام، الذى قلده ابنه الكفؤ ميرزا أبو القاسم قائممقام فى إصلاح وضع المجتمع، وبعدهما قام ميرزا تقى خان الفراهانى، أمير كبير، بسلسلة من الإصلاحات الأساسية.

إلا أن هذه الإصلاحات والإنجازات كانت بطيئة جدا وتدريجية، وقد واجهت على الروام الصعوبات الكثيرة والعراقيل المختلفة، وفقد جميع من قاموا بهذه الإصلاحات والأفكار الجديدة أرواحهم فى هذا السبيل.

الباب الأول

الأدب الإيرانى فى النصف الأول من القرن الثالث عشر

الفصل الأول – الشعراء

مقدمة :

أشعار العــصر الصــفوى : توفى نور الدين عبد الرحمن الجامى شــاعر القــرن التــاسع القــديــر فى عــام ٨٩٨ هـ ق ، وبوفــاته انتهى العــصر الذهبى للشعر الكلاســيكى الإيرانى والذى كان قــد بدأ بالرودكى.

ولم يظــهر فى عصر الملوك الصفويين شاعر مبدع عظيم يستطيع أن يحقق شهرة ومكانة كبيرة في تاريخ الأدب الإيرانى من حيث صحة البيان وجزالة المضمون. أما السبب فى هذا الفقر الشعرى وندرة الشعراء الكبار فيجب البحث عنه فى الســياسة العامة للملوك الصفويين؛ لأن الأسرة الصفوية على ما يبدو كانت توجه جل اهتمامها لنشر المذهب الشيعى وقلما كانت تهتم بالشعر والأدب، وإذا كان هناك ثمة شعر منظوم فإنه كان فى مدح الأولياء وذكر كرامات الأئمة الأطهار وحادثة شهداء كربلاء بدلاً من المدح والغزل، وذلك وفقًا، لسياسات تلك الأسرة وبناءً على خصومتها الشديدة للقوة

المعنوية الهائلة التى كانت تتمتع بها الدولة العثمانية الممثلة للمذهب السنى[١].

يقول إسكندر بيك التركمانى فى شرح حال الشاه طهماسب الصفوى : فى بداية الأمر وجه حضرة الخاقان كل اهتمامه لأحوال هذه الطبقة[٢] .. وفى آخر أيام حياته كان يبالغ بشدة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، لذا عدَّ هذه الطبقة الرفيعة مستهترة وبلا وازع دينى ولم يعدهم من الصالحين وزمرة الأتقياء، ولم يعتنِ كثيرًا بأحوالهم ولم يكن يسمح بنظم القطعة ولا القصيدة، وكان مولانا محتشم الكاشانى قد نظم قصيدة جميلة فى مدح ذلك الملك وقصيدة أخرى فى مدح عفيفة العصر الأميرة بريخان خانم وأرسلها من كاشان، فعرضت عن طريق هذه الأميرة فقال حضرة الملك : "أنا لا أرضى أن يلوث الشعراء لسانهم بمدحى والثناء علىَّ، فلينظموا القصائد فى شأن صاحب الولاية والأئمة المعصومين عليهم السلام، وينتظرون الجائزة من الأرواح المقدسة للسادات أولاً ثم منا بعد ذلك؛ لأنهم بفكرهم الدقيق يرتبون المعانى السامية والاستعارات المبتكرة فى عقد البلاغة وينسبونها للملوك حيث إن المضمون ليس فى موضعه فى الغالب "أحسن الشعر أكذبه"

---

(١) من أفضل شعراء المراثى يجب ذكر محتشم الكاشانى (متوفى سنة ٩٩٦ هـ ق) والذى أوصل هذا الفن إلى درجة الكمال، والترجيعات بند الاثنى عشرة التى نظمها مشهورة ، وقد استمر هذا الأسلوب فى نظم المراثى لفترات بعده، وقام شعراء كثيرون حتى وقت قريب من عصرنا هذا بنظم الأشعار الجميلة والمؤثرة جدًا فى رثاء حضرة سيد الشهداء وأصحابه مثل الصباحى وصبا ووصال وسروش وقاآنى وحجة الإسلام نير التبريزى وسائر الشعراء الشيعة.

(٢) المقصود الشعراء.

أما إذا نسبوها للسادات المقدسين فإن شأنهم العالى سيرتقى أكثر مما هو متوقع"، وبصفة عامة فإن مولانا لم يحصل على جائزة الشعر من صاحب العظمة والجلالة[1].

ولم يكن هذا الأسلوب فى التفكير منحصرًا فى شخص الشاه طهماسب وحده ، ولم يهتم ملوك الأسرة الصفوية الآخرون سوى بنشر العلوم الدينية من علم الكلام والفقه والحديث وذكر مناقب آل بيت الرسالة وحادثة شهداء كربلاء، والذى كان نتيجة طبيعية لسياستهم ووسيلة أيضًا من أجل تقدم هذه السياسة.

الأسلوب الهندى: ونتيجة لذلك فقد خرج الشعر من محيط البلاط وسقط فى يد العامة وابتعد شعراء الغزل والمثنويات عن إيران، واتجهوا إلى بلاط السلاطين العثمانيين وفى الغالب إلى بلاط الملوك الجورجانيين فى الهند[2]، وبناءً على تشجيع هؤلاء الملوك رسخ فى الشعر الفارسى "الأسلوب الهندى" الذى كان عبارة عن إيراد المضامين المبتكرة القصيرة و"بيان المعانى الكثيرة فى الكلمات القليلة[3]".

---

(١) عالم آراى عباسى، ج١، طهران، ١٣١٤.

(٢) الملوك التيموريون فى الهند مثل أكبر شاه وجها نــگـير كانوا يجيـدون الفارسـية وكانت لديهم قريحة شعرية انتقادية، ويقدم أبو الفضل فى "آيين اكبرى" قائمة بأسماء شعراء بلاط أكبر شاه ويذكر واحدًا وخمسين شخصًا كانوا مقربين إلى البلاط ويقول : أولئك الذين لم يحظوا بسعادة المثول بين يدى الملك ومدحوه من منـاطق العـالم النائية كانوا كثيرين جدًا (شبلى النعمانى، شعر العجم، ترجمة فخـر داعـى، ج٣ - طهران، ١٣٣٤ش (٥-١٩٥٦م).

(٣) المصدر السابق.

إلا أن هذا الأسلوب الشعرى الذى كان قد ظهر فى الأراضى غير الإيرانية ونشأ ونما فى ظروف غير ملائمة، قد ضعف وتدهور يومًا بعد يوم ووصل التدقيق فى إيجاد المضامين الجديدة والاستعانة بالاستعارة والمجاز والصور الخيالية والأفكار الدقيقة البعيدة عن الذهن إلى حالة يرثى لها لدرجة أن أقوال وأشعار الشعراء قد خلت من الرقة والذوق(١).

ويتسابق شعراء هذا الأسلوب فى البحث عن المضامين الجديدة وغير المعروفة، وبعضهم يبالغ فى هذا الأمر إلى حد الابتذال بحيث أصبح من غير الممكن العثور فى أشعارهم على فكرة مبتكرة أو بديعة(٢).

وعلى حد قول ملك الشعراء بهار :

الأفكار ضعيفة والخيالات غريبة

والشعر غزير المعنى ولكنه ليس جذابًا

ويفتقر إلى الفصاحة

وكان كل شاعر يحمل همَّ المضمون

فتزداد معاناته،

ولهذا السبب أصبح الأسلوب الهندى مبتذلاً

---

(١) وجدت نماذج لهذا الأسلوب فى البداية فى بعض أشعار حافظ الشيرازى ونزارى الشيرازى والشعراء الآخرين، لكن هذه الأعمال ليست على درجة من الدقة التى تتغلب بها على المعنى.

(٢) يقول صائب التبريزى أكبر شعراء هذا العصر :

يسعى الرفاق للألفاظ الجديدة ويبحث صائب عن المعنى الغريب

وكان السعى خلف المضامين الجديدة يصل بالأمر إلى درجة أن شوكت البخارى أحد شعراء هذا العصر، والذى نال شهرة كبيرة فى حياته خاصة بين العثمانيين، يقول فى بيان حاله :

تمهَّل فى النظر إلى ترابى بعين الطمع أيها الطائر الملكى

لئـــــلا يحــترق شــمــع العظــام مــن ريــح أهــدابك

ويقول شاعر آخر من شعراء هذا العصر :

من كثرة ما تدرب على الكتابة فى المدرسة نحل

جســـــمـــه وصـــــار كـــالورقـــة المسطـــرة

ولأن ساق النرجس تشبه القلم المجوف وتستمد عبرها الماء من الأرض، والشخص الذى يعانى من ألم الأسنان يجب أن يشرب الماء بالماصة فقد أتى محمد طاهر غنى الكشميرى بمثل هذا المضمون العجيب فى تشبيه عين المعشوق ومنافسة النرجس لها وتلقيها صفعة من يد رياح الصبا :

تكلمت النرجس عن عينك فصفعتها رياح الصبا على فمها

وهى تشكو الآن من ألم الأسنان وتشرب الماء بقلم البوص

وعندما يرى الشاعر نفسه أنهم قد عدوا عين المحبوبة ناعسة وكل من يذهب إلى الحانة يعود سعيدًا ومسرورًا، يستنتج الآتى :

عندما خرج مرود الكحل من عين الأحبة قال

سيروا إلى الحانة لكى تزيلوا غبـــار الخاطر

ويصنع شوكت البخارى الذى مر ذكره من ظل هدب عين النملة الفرشاه ويعطيها ليد الرسام لكى يرسم بها فم المحبوبة الدقيق :

من ظل هدب عين النملة صنع الرسام الفرشاه

وأخـــــذ يرســــم بهـــا فمــك الدقــيق

ويقيس أيضًا فى موضع آخر شحوب لونه بسرعة حامل الرسالة :

من شدة الضعف لا أقوى على شكر الرسول

فإن لونى يصير شاحبًا عند حمـــل الرسالة

وشاعر آخر من شعراء هذا الأسلوب يسقى سيف المعشوق الخمر فيسقط قتلاه سكارى فى كل جانب :

لقد سقط قتلاك سكارى فى كل جانب

فهـــل سقـــــوا سيفــك خمــــرًا

وننقل عدة نماذج أخرى لأبيات فردية غزيرة المعنى لشعراء هذا العصر :

إن ديار العدم ذات جو صحى بديع

سكانها كلهم قد ناموا بثوب واحد

كليم الكاشانى

عنـــدمـــا كـــانوا يصـــفون شـــراب أنوار التجلى

صارت رواسبه شعاعًا للقمر وخلاصته شحمة أذنك

بيدل الدهلوى

إذا ظهـــر فتــــق حـــذائى فــــإن هـــذا ليـــس عـــيبًا

فإنه (أى الحذاء) يضحك على سيرى وتجوالى بلا فائدة

كليم الكاشانى

إن الدجال يعرف ذلك الجحر الذى تنبعث منه رائحة الثعبان

وأنا أعرف رائحة ذؤابتك إذا نقعتها فى المسك الخالص

شيداى الهندى

من ثورة الفلك يهتز ماء وجهى

ككأس ممتلئة تحملها يد مرتعشة

بيدل الدهلوى

إن اللقمة تسقط من الفم عندما لا تُقتسم مع أحد

فانظر ذات يوم إلى الجير الذى يتساقط من جذور الأسنان

واعظ

عليك أن تحل مشكلتك بنفسك فإن حلاَّلى المشاكل عاجزون

فالظفر لا يستطيع أن يخلع عقلة واحدة من الأصبع

مشرب

وحتى أن الشعراء الكبار والمشهورين فى هذا العصر مثل هاتفى الجامى، وأهلى الشيرازى، وهلالى الاسترابادى، وزلالى الخوانسارى، قد وصلوا بالتلاعب بالألفاظ والعبارات أيضًا إلى أقصى درجة وأفرطوا فى استخدام الرموز والإشارات الدقيقة.

ويعد مثنوى "سحر حلال" للشاعر أهلى أحد عجائب فن الشعر الإيرانى وطلاسمه ويمكن قراءة هذا المثنوى بوزنين وكل بيت منه له قافيتان. أما حافظ هذا العصر فهو محمد على صائب التبريزى (توفى سنة ١٠٨٨هـ ق)

والذى ترك ديوانًا ضخمًا من الغزليات والرباعيات، وفى وسط هذه الغزليات التى تعد تقليدًا وتكرارًا لأشعار أساتذة الغزل السابقين، يمكن فى بعض الأحيان اكتشاف مفردات متميزة ذات إشارات ورموز فنية، وهى فى الواقع نوع من النقش النفيس والبديع فهى جميلة وفاخرة مثل السجادة والخاتم الإيرانى، وقد جرت هذه الأبيات على ألسنة العامة كالأمثال الشعبية[1].

إلا أن صائب ومجموعة أخرى من الشعراء مثل فيضى الدكنى الذى نظم ديوان أشعار، وترجم أعمالاً أدبية عديدة من الهندية إلى الفارسية (توفى سنة ١٠٠٤ هـ ق) وعرفى الشيرازى والذى نظم أشعارًا كثيرة ومثنويات بأسلوب الأساتذة القدامى (توفى سنة ٩٩٩ هـ ق) وكذلك عدة أشخاص آخرين ممن كانوا قد رحلوا من إيران إلى الهند وعاشوا فى بلاط السلاطين المغول فى الهند، لا يمكن اعتبارهم من الشعراء الذين تربوا فى إيران نفسها.

وشعراء هذا العصر كثيرون والأشعار التى بقيت عنهم لا حصر لها وكأن مرض نظم الشعر قد استشرى فى هذا العصر ، فكل شخص – سواء فى إيران أو تركيا العثمانية أو الهند – يعرف قدرًا من الفارسية وصاحب قدر قليل من الموهبة الشعرية كان يحاول إعداد دفتر أو ديوان شعر باسمه.

يقال إن شاعرًا يدعى غواصى اليزدى كان ينظم فى اليوم الواحد خمسمائة بيت من الشعر، وكان عمله فى فترة عمره الطويل والذى امتد تسعين عامًا هو نظم الشعر، وقد ادّعى قبل موته بأربعين سنة ما يلى :

---

(١) كانت الفطرة الإيرانية الشعرية قد أدركت جيدًا أن كثرة أشعار صائب ليست فى صالحه حيث إنهم اختاروا أبياتًا من ديوان غزلياته باسم "گلچين صائب تبريزى" و"منتخبات أشعار صائب" و "صائب سخن مى گويد" و"زبده أشعار صائب" وقاموا بطباعتها.

ما هو معدود حتى الآن من شعرى   ألف وتســـــعمائة وخمســـون كتابًا

وقد نظم هذا الشاعر غزير الإنتاج الشعرى كتب روضة الشهداء ، وقصـــص الأنبيـــاء ، وتاريـــخ الطـــبرى ، وكليـــلة ودمنـــة ، والذخيرة الخوارزمشاهية، ولكن لا يوجد حتى بيت واحد من كل أشعاره يستحق الذكر.

وكما يروى سام ميرزا فقد كان هناك شاعر يدعى سيماى المشهدى، كان ماهرًا جدًا فى فن "التلقين" الذى راج فى العصر الصفوى لدرجة أنه كان ينظم فى كل ساعة ألف بيت سخيف وبلا معنى(١).

والخلاصة أن سوق الشعر فى هذا العصر قد تعرضت لحالة من الكساد الشديد لدرجة أن زلالى الخوانسارى يصف سير جواده بهذه العبارات :

إن ظله فى الصحراء وهو يقفز   كالغراب الذى فقـــد عشـــه

أما "وشانى" أحد الشعراء الآخرين لهذا العصر فقد حصل من الشاه عباس الكبير على مقدار وزنه ذهبًا مكافأة له على نظم أحد الأبيات فى مدح أمير المؤمنين علىّ مع أن هذا البيت ليس له أية قيمة من الناحية الفنية، وهذا البيت هو :

لو يسحب العـــدو أو الحبيب الخنجر

فإن هذا بسبب حاجب محبوبه المقوس(٢)

---

(١) تربيت، دانشمندان آذربايجان، ص ٨٥. ي

(٢) يمكن مقارنته بأشعار شعراء بلاط السلطان محمـــود الغزنـــوى والـــسلطان ســـنجر السلجوقى والذين كانوا يحصلون على الجوائز من ممدوحيهم.

فترة الأفول :

في أثناء الفترة شديدة الاضطراب التي أعقبت أفول نجم الدولة الصفوية وحتى اعتلاء فتحعلي شاه عرش السلطنة لم يكن هناك بالقطع أي مجال لنمو وتطور الأدب، ولم ينطق أي شاعر بالشعر في هذه الفترة لدرجة أنه يجب اعتبار هذا العصر أفقر عصور الأدب الإيراني.

ولم يهتم نادر شاه بالشعر ولا بالشعراء وكذلك لم يهتم به الشعراء[١] وليس معلومًا إذا كان كريم خان قد أعطى جائزة شعرية لأحد[٢]، لكن على الرغم من ذلك كان عصر كريم خان أكثر ملاءمة لمثل هذه الأنشطة الأدبية والفنية، وأن الخان الزندي كان قد أخمد الفتنة والثورة التي كانت قد اشتعلت في إيران عقب مقتل نادر، حيث كان كل ركن من أركان الدولة قد سقط في يد أحد المتمردين الأقوياء، وبذلك حقق الهدوء النسبي للشعب.

كان هذا هو حال الشعر الفارسي في القرن العاشر وحتى القرن الثاني عشر الهجري.

رواد النهضة الأدبية :

في النصف الثاني من القرن الثاني عشر – آخر عهد الأفشاريين وقبل أن يجمع فتحعلي شاه الشعراء، في بلاطه الرائع بقليل – أدرك الملل ذهن الناس من الأسلوب المتكلف لعصر المغول والتيموريين وعيوب الأسلوب

---

(١) مقالات ملك الشعراء بهار حول العودة الأدبية، مجلة أرمغان، السنة الثالثة عشر، بين صفحات ٤٤٣–٧٤٨.

(٢) المرجع نفسه.

الهندى من تنسيق العبارات وحشوها بالصنعة البديعية والتكلف فى الألفاظ، وبدأت نهضة كبيرة نسبيًا فى الشعر الفارسى.

مدينة أصفهان : رغم أنها تعرضت للدمار الشديد إبان الفتوحات الأفغانية وتشتت شمل أهلها، ومع أن كريم خان الزندى، كما قلنا، لم يكن محبًا للشعر أو راعيًا للشعراء، ولم يكن هو نفسه يقيم فى أصفهان، ورغم غياب المقومات السياسية والاجتماعية لظهور مثل هذه النهضة فى هذه المدينة – فقد أصبحت مركزًا للنهضة الحديثة، وقام اثنان أو ثلاثة من أصحاب الذوق والقريحة بالإعراض فجأة عن الأسلوب الهندى الشائع وقلدوا طريقة الأساتذة وأسلوبهم هؤلاء الأساتذة عاشوا قبل خمسة أو ستة قرون، وهيأوا المجال لظهور شعراء أفضل منهم.

وكان أشهر رواد هذه النهضة الأدبية سيد محمد شعلة الأصفهانى (توفى سنة ١١٦٠ هـ ق) وميرزا محمد نصير الأصفهانى (توفى سنة ١١٩٢هـ ق) صاحب المثنوى المعروف "پير وجوان" ، وكان أشهرهم وأهمهم مير سيد على مشتاق أحد السادات الحسينية بأصفهان (توفى سنة ١١٧١ هـ ق) والذى تمتع بذوق وقريحة عالية فى نظم الغزل، وقد سعى فى تأسيس النهضة الحديثة أكثر من الجميع وقاد الآخرين لمحاكاة وتقليد أسلوب الأساتذة القدامى.

ونظرًا لتوجيهاته وتشجيعه فقد تجمعت حوله مجموعة من الشعراء الشبان الذين كان معظمهم من أهل أصفهان. ويجب أن نذكر منهم آقا محمد خياط عاشق الأصفهانى (توفى سنة ١١٨١هـ ق) ، وآقا محمد تقى صهباى القمى (توفى سنة ١١٩١ هـ ق) ، ولطفعلى بيك آذر بيگدلى شاملو (توفى

سنة ١١٩٥هـ ق) ، وسيد هاتف الأصفهانى (توفى سنة ١١٩٨ هـ ق)، وحاجى سليمان صباحى بيدگلى الكاشانى (توفى سنة ١٢٠٦ هـ ق)

وقد كان هؤلاء أول المجددين لأسلوب القدامي وكان مشاهير شعراء عصر فتحعلى شاه فى الغالب تلاميذهم وربائبهم.

وقد ظهر فى وسط دائرة نفوذ هذه الطبقة أشخاص آخرون كانوا يعارضونهم ويعتبرونهم منحرفين وفاسدى الذوق، وكانوا يتعرضون لهم بالطعن والذم.

ويكتب الصباحى لصديقه ومساعده رفيق الأصفهانى فى الشكوى من هذه الجماعة المعارضة وتعظيم الأساتذة القدامى :

لـــى شكــــــوى مـــن أبنــــاء العصـــــر

وأنت تعرفها فهى للحق أمر واقع فى هذه البلاد

إنهم لم يبحثوا عن الطريق وثبتوا على الطريق فى الإرشاد

لم يقتفـــوا أثر الحقيقـــة وجلســـوا فى دائـــرة التحقـــيـــق

أوصلوا صرخة الفضيلة إلى عنان السماء وهم لا يعرفون

السهـــيـــل مـــن السهـــا والصـــهيـــل مـــن النهـــيـــق

يطعنون فى "الخـــضـــر" وهم ضـــالـــون فى وســـط الوادى

يضحكون على "نوح" وهم غـــارقـــون فى وســـط البحـــر

يطلقــــون لســــان الــــذم والطـــعـــن فـــى العظـــمـــاء

والذين كانت أشعارهم هى طليعة الشعر وفى منزلة زهرة الشقائق

أكـــثـــر مـــن ستمـــائة رقـــدوا فـــي التـــراب

وتـــــراب قبـــورهم يغـــير منـــه المســـك الخالص

لا أحد من أهـــل الـــدنيا ينكـــر بلاغتهـــم

سواء كان وضيعًا أو شريفًا، عبدًا أو حرًا

وعالم مثلك شاهد على صدق دعواهم يستحق أن

يسمع التصديق عـــلى هـــذا مـــن الروح الأمين

لا يـــذكـــــر هـــــــــذه الطـــبـــقـــة إلا بالخيـــر

مَـــنْ يطـــــابق بيـــــن اللفـــــظ والمعنـــــى

عندما يعجز الشخص عن فهم أسلوبهم وطريقتهم

فإنه يفكر لنفســـه في مخـــرج مـــن المـــضيق

فيلصق بالشاعر القديم تهمة الهذيان

وينســـب للشعـــــــــر القـــــــــديم التلفـــيق

لقد كانت طريقتنا هـــي اقتفـــاء أثـــر الأســـاتـــذة

والسائر خلف هداة الطريق لا تصل إليه الطعنات

جمعية نشاط : وصل ميرزا عبد الوهاب نشاط رئيس شرطة أصفهان إلى حكومة تلك المدينة في عهد سلطنة آغا محمد خان، وقد التفت حوله جماعة من الشعراء، وكانت هذه الجماعة بصيرة بالأمور الأدبية، وأساليب الشعر المختلفة أكثر من الجماعة الأولى، لكن انفرط عقد جمعية أصفهان

وتفرق أعضاؤها بعد أن قام فتحعلى شاه باستدعاء نشاط إلى طهران.

شعر البلاط : باستقرار حكم الأسرة القاجارية استطاعت الدولة الإيرانية أن تتنفس الصعداء، وعلى الرغم من أن أسلوب حكم هذه الأسرة لم يختلف كثيرًا عن أسلوب العصر السابق فى العنف والحرب والقتل فإنه، على كل حال، قلما تعرض أفراد الشعب لبعضهم بعضًا بالإيذاء بل واستراحوا إلى حد ما، من عمليات السلب والقتل والنهب التى كان يقوم بها المتمردون والخارجون على القانون والذين كانوا قد ظهروا وأشاعوا الفوضى فى كل ركن من أركان الدولة حتى استقرت هذه الأسرة.

وقد أسهم استتباب الأمن نسبيًا واستقرار الحكومة الموحدة أيضًا فى إحياء العادات والمراسم القديمة من جديد، ولم يجد آغا محمد خان مؤسس الأسرة القاجارية فرصة بالطبع لتشجيع الشعراء بسبب انشغاله بالحروب والانتصارات، إلا أن ابن أخيه وخليفته فتحعلى شاه قام بإعداد بلاط فخم فى طهران وقرر أن يعيد حياة بلاطات العصور القديمة بما فيها من عظمة وجلال، وأن يجعل بلاطه مثل بلاط السلطان محمود الغزنوى والسلطان سنجر السلجوقى، وقد كان رجلاً قبليًا لا يعرف شيئا عن العالم، وكان شغوفًا باللهو والمرح والنساء وراغبًا فى كثرة الأولاد، وبرغم هذا كله فقد كان لديه قدر من التعليم والثقافة – فهو الرجل الذى عرف تاريخ إيران وكان يقرأ الشاهنامه ولم يكن هو نفسه بلا نصيب من الشعر فقد بقيت عنه غزليات كثيرة بتخلص "الخاقان".

وعلاوة على الشاه نفسه الذى كان يلاطف الشعراء كثيرًا ويمنحهم الجوائز القيمة، كان هناك أفراد من علية القوم مثل قائممقام الفراهانى كانوا هم أنفسهم كتّابا ومن أهل الفضل والكمال، وكانوا يقومون بتشجيع الشعراء

والكتّاب ويعلمّون الأمراء القاجاريين الشعر والأدب والخط منذ طفولتهم، ويعتبرون رعاية الشعراء بالنسبة إليهم نوعًا من التميز والشهرة، فقد كانوا يتسابقون فى هذا الأمر، ويمنحون الشعراء الجوائز والهبات الثمينة(١).

وعلى هذا النحو تجمع مئات الأفراد من شعراء الغزل والقصيدة من كل صوب حول الملك الشاعر والناقد، وكان على رأسهم جميعًا ملك الشعراء بهار وذلك أملاً فى التقرب إلى مركز السلطة ونيل الجوائز والهبات والحصول على لقب "أفضل الشعراء" ونيل لقب ملك الشعراء، وأسسوا مجمعًا أدبيًا باسم "مجمع الخاقان" ونظموا الشعر فى مدح اليد الكريمة للممدوح العظيم وولى عهده الشاب الوطنى عباس ميرزا نائب السلطنة والأمراء الآخرين والقادة والوزراء ورجال الدولة، وقد ظهر من بين هؤلاء عدد من الشعراء المجيدين ذوى الموهبة والقريحة مثال صبا ونشاط ومجمر.

العودة : وكان هدف هذه الجماعة هو تحرير الشعر الفارسى من الخراب والفقر اللذين حاقا به فى العصر الصفوى والفترة المضطربة التى تلته، إلا أنهم لم يجدوا طريقًا للوصول إلى هدفهم غير العودة إلى الأسلوب القديم فى النظم واتباع طريق الأساتذة العظام أمثال الفردوسى والعنصرى والفرخى ومنوچهرى وحافظ وسعدى وهو الطريق نفسه الذى كان قد سلكه من قبلهم الشاعر مشتاق ورفاقه.

وقد كانت العودة لأسلوب القدماء عودة كاملة بلا قيد أو شرط، وعلى حد قول نيما "عودة من أمام العجز إلى ناحية الأساليب القديمة المختلفة(٢)"

---

(١) مثلما أعطى لفتحعلى خان صبا أربعين ألف مثقال ذهب مكافأة له على نظم "شاهنشاهنامه" وأقرض معتمد الدولة نشاط أربعين ألف تومان من خزانة الدولة.

(٢) نيما، أرزش احساسات، صفحات ٥٠ ، ٥١.

فكان شعراء هذا العصر يحاولون إحياء أشعار السابقين بشكل كامل وبلا أى نقص وحاولوا نظم أعمال تتساوى مع أشعار عظماء العهد القديم، فأخذ ملك الشعراء فتحعلى خان صبا ينظم الشعر الملحمي والحربى على نسق الشاهنامة وبنفس الوزن والترتيب، وأخذ سروش ومجمر يقلدان قصائد الفرخى والمعزى الجميلة، وأخذ أشخاص مثل معتمد الدولة نشاط يؤلفون غزليات فى سلاسة وجمال أشعار حافظ، وأخذ كل منهم يعلن عن مهارته وكفاءته فى تخصصه لدرجة أن أشعارهم لم تختلف عن الأعمال التى نظمت قبل خمسة أو ستة قرون من حيث مراعاة المسائل الفنية الدقيقة، وعلى هذا النحو عاد عصر السعديين والخاقانيين إلى الحياة مرة أخرى فى شعر بلاط فتحعلى شاه وخلفائه مع فارق يتمثل فى أن الأساتذة القدامى كانوا يهتمون بمعانى ومضامين أشعارهم وأقوالهم أكثر من تقيدهم بالوزن والقافية والبلاغة، فى حين أن شعراء عصر العودة كانوا يحاكون أشعار العصور السابقة أو يقومون بما يعرف بالتتبع أو الاقتفاء دون أن يكون لديهم مثل هذا الفكر والإحساس بفنهم، وأفضل ما يقال عنهم إنهم كانوا صناعًا مهرة أفذاذًا؛ فقد كانوا يصبون مجموعة من الألفاظ والعبارات البراقة اللامعة وفقًا لرغبة وتوصية زبائنها فى القوالب التى كان نموذجها قد وضع تحت أيديهم من قبل، ثم يسلمونها لصاحب العمل.

وأحيانًا كان الممدوح رفيع الشأن يبدأ غزلاً أو قصيدة ثم يأخذ الشعراء نفس هذا المطلع ويتبعوه بالعبارات التى يحبها هو(١)، أو كانوا هم أنفسهم

---

(١) مثلاً كان الشاه قد نظم مصراع "الكأس فى يد الساقى سافر الرأس" فى وصف إحدى حسناوات جناح الحريم التى ثملت من الخمر وأمسكت كأسًا فى يدها، فأكمله مجمر أرتجاليًا وقال "سهيل فى شعاع الشمس" [سهيل هو اسم نجم نادر الظهور].

يختارون قصيدة أو غزلاً للأساتذة ويقيمون مسابقة حولها ؛ بمعنى أنهم يحاولون فقط بنفس وزن وقافية هذه القصيدة أو الغزل أن ينظموا أى شىء يمكن أن يتساوى مع العمل الأصلى من حديث المتانة والانسجام[1]. فأخذ ملك الشعراء صبا – ينظم قصيدة فى وصف مجلس شراب الخاقان والأمراء متتبعًا شعر الأنورى:

عندما هبط هذا الطائر العملاق ذو الجناح الذهبى عند الفجر

من السماء وأظلنى بظله المبارك

طفت أغنى متفائلا إذ إن جناح هذا الطائر

ليس له معنى فى الدنيا إلا التاج ..

ويقوم مجمر بنسخها بعبارات أخرى وفقًا لذوقه.

عندما ظهر هلال صفر فى سقف القبة الخضراء

كان بالفعل كخط ذهبى فوق الكرة الزرقاء

كان يظهر على تلك الدنيا الأزرق هذا كهندى جالس فوق الرماد...

---

(١) للأسف لم تمح بعد بدعة المحاكاة و"اختبار القريحة" وقد شملت الآن أيضًا شعراء المحافل، والكثير من هذه الأشعار النضرة ذات التشبيهات والاستعارات الجميلة والوزن واللحن الجذاب والتى تنشد فى المجالس والمحافل الأدبية بحماس ومتعة كبيرة، تعتبر فى الغالب فقيرة جدًا من ناحية المضمون لدرجة أنها عند ترجمتها إلى أية لغة أخرى تفقد تمامًا لطفها وجاذبيتها التى كانت عليها فى اللغة الفارسية والشخص الذى يعرف رموز وأسرار الفن الشعرى الإيرانى هو فقط الذى يستطيع أن يفهم قصد الشاعر.

ويقوم ملك شعراء البلاط بتتبع شعر الأنورى مرة ثانية :

لتكن السماء أرضك أيها المــلك   ولتكن يد القدرة فـــى ساعــدك

ليكن النجم الجامح والفلك العنيد   هــادئين ومروضين تحت سرجك

وعلى الفور يقوم مجمر بنظم نظيره :

ليكن المُلك والدين ملازمين لك أيها الملك

ليكـــــن كـــلاهمــا جليسيــك إلى الأبــد

وينظم صبا الأحجية فى وصف "الرمح" :

ما ذلك الثعبــان الذى يمر على صـــدر عــدوه

خيزرانى الجسم وحديدى الذيل وفولاذى الرأس

أحيانا نيله حربة على وسط الثور   وأحيانًا رأسه منغرز فى كبد الأسد

ويصنع مجمر أحجية أخرى بعنوان نامه "الرسالة" بنفس البحر والقافية والرديف:

مـــا ذلك البــرعــم الــذى لا يتفتــح مــع ريــاح السحــر؟

البرعم الذى ما من أحد يسمع الأسرار التى يفشيها لرياح الصبا !

لا منة من رشحـــة سحـــابه أو رشحـــة مطـــر

فسحابه ومطره من تنهيدة القلب ودموع العين !

ويحاكى نشاط شعراء الغزل القدامى :

هؤلاء الحسـان اللائى هـن بلاء قلـب أهـل النظـر

هن أعداء الروح والقلب وهن أفضل من القلب والروح

أو

سلَّمنا قلـوبنـا بأيدينـا للعـشـق فإلى أين سيأخذها وماذا سيفعل بها

أو :

إن بشرى الإحسان تصـل إلى أذنى فى السر

فأى بشائر تلك التى تعطينى الإلهام من الغيب

أو :

لا ضير إذا لم تكن عندى الثروة ولا زاد الطريق

فأنا ذلك الشحاذ الذى يعقـد آمـاله عـلى الملك

ويتفق معه أيضًا مجمر :

لو أنهم مع كل هذا الحسن واللطـف بشر

فهم إذن من سلالة أخرى ومن بلاد أخرى

لو كنت أنت صاحب الشهد وصاحب اللدغات

فالآخرون على حق، فأنا معك لا أدرى بنفسى

تارة يأخذونى إلى الحلم والخيال وتارة يوقظوننى

حبذا خـصم الصبـاح، حـبذا الصديق الملازم

ذؤابة الحبيب في يدي وعيني على القمر

فأنا أحذر من النهار المضيء بالليل المظلم

ويتتبع نشاط طريق الأنوري "

أطلب من الشمـــس هــلال القمــر الجديــد أيها الملك

فانظر إلى حاجب المحبوبة واطلب الشراب من الساقي

ومن خلفه أيضًا سحاب :

اطلب من الخمــر إكسيــر الشبــاب أيها الملك

واطلـــب من الســاقي السرعة من أجل طول العمر

وقد استمر نظم الشعر بهذا الشكل، وينظم قاآني القصيدة، مقلدًا شعر الفرخي الجميل :

صعدت من البحر سحابة عند الصباح في السماء المظلمة

تـــنـــتـــج وتـــصـــب وتـــنـــثـــــر الجـــــواهـــــر

وسروش تقليدًا لقاآني أيضًا :

ظهــــرت مــــن طــرفي السمـــاء ســحــابتـــان صـــائحتـــان

وفجأة اصطدمت كل منهما بالأخرى فعلت الضوضاء من الناحيتين

نظرًا لأن العمل الفني قد قام على أساس المحاكاة والتقليد فإنه لم تعد هناك أية فرصة للإبداع والابتكار أو أي مجال لأصالة الفكر والإحساس الحر

للشاعر، وقلما يلحظ فى ثنايا هذه الأشعار التى كانت تنظم بهذا الشكل أوضاع العصر والأحداث الوطنية والاجتماعية، فكانت هناك فواصل وفجوات بين أشعار الشعراء والحياة نفسها، ولم يكن يُشار إلى آلام العصر وصعوباته ومشكلاته أو القلاقل والاضطرابات التى كانت قد عمت أرجاء الدولة والبلاط نتيجة الحروب والفتن والهزائم المتتالية والسياسات الوصولية التى اتبعتها الدول المجاورة أو فقر الشعب وذله وعجزه والذى كانت هذه الأشعار قد نظمت بلغته وفي محيطه، أما البلاط الإيرانى فقد كان فى واد آخر بعيدًا ومنفصلاً، فقد غرق فى نوم عميق مع الشاه والأعيان والرؤساء مثل الدولة المسحورة فى الأساطير وأصبح غافلاً تمامًا عن الاضطرابات والإخفاقات والمظالم وكل ما يحدث فى العالم الخارجى بوجه عام، أو كما يقول الشاعر الروسى "كانت طهران تضطجع على سرير الراحة أمام النافورات الجميلة وتنعس منتشية بالنرجيلة فى جو مليء بالدخان"(١)، وفى تلك الحالة من النعاس والسُكر أخذ شاعر البلاط يمدح هؤلاء الملوك الغارقين فى النعمة والغافلين عن عالم الوجود بالأعمال التى لم يفعلوها وبالصفات التى لم تكن فيهم وذلك ضمن مدائحه الممتلئة بالمبالغة ، وقد كان المادح والممدوح كلاهما سعيدين ومسرورين مع أنهما كانا يعلمان مدى ابتذال هذا النوع من الشعر.

وبصفة عامة "فقد كانت حركة العودة انقلابًا قام به الشعراء لإسقاط

---

(١) من قطعة "المناظرة" تأليف ليرمونتوف التى أنشدها فى هذا الوقت (سنة ١٨٤١م) وقارن عبرها بين الشرق والغرب.

السلطة الاحتكارية لنمط الأسلوب الهندى الذى ضاق به الجميع، ومحاولة إيجاد ملوك للطوائف فى الشعر والأدب مع فارق أنه لم تظهر أية شخصية ألمع من الشخصيات السابقة، فكان من السهل ظهور حفنة من المدعين والمزيفين من أمثال : سعدى المزيف وسنائى المزيف ومنوچهرى المزيف وغيرهم"(١).

وكانت مضامين أشعار هؤلاء المزيفين تنحصر بوجه عام فى المدح والثناء ووصف الصيد والشراب وحفلات السرور والطرب مع بعض الغزل والتشبيب أو تصوير الطبيعة والزمان كالربيع والخريف والليل والنهار أو التصوف والعرفان أو الشكوى من الزمان والتأسف على العمر الضائع، مع نوع من الاضطراب والحسرة والخوف والحزن والتشاؤم من كل شيء، وندرة أسباب الراحة، والسعادة التى لم تدرك ولم توصف بعد بشكل جيد أو الدوران حول الأشياء المبهمة التى لم تتخذ شكلاً معينًا أو ثابتًا إلا بعد ظهور الثورة الدستورية والأفكار التحررية وجرت بعد ذلك على لسان الشعراء والكتّاب. وما تقدم يكفى لمعرفة أسلوب ومنهج الشعراء وسمات وخصائص الفن الشعرى لهذا العصر ولا حاجة لنا بذكر أحوال وأشعار المجموعة الكبيرة جدًا من شعراء الدرجة الثانية والثالثة المحترفين الذين كانوا يتطفلون على موائد الآخرين ولا يستحقون إمعان النظر، وكذلك الأمراء والقادة وأعيان البلاط والذين أنشدوا الشعر من باب التفنن والاستعراض أو التقرب

---

(١) مهدى إخوان ثالث (م.اميد) "نيما مردى بودمردمستان " [كان نيما رجلاً اجتماعيًا] مجلة انديشه وهنر، العدد التاسع، فروردين ١٣٣٩ش [مارس/ ابريل ١٩٦٠م].

إلى الممدوح والحصول على الجاه والمكانة[١]، ومن بين هذه المجموعة سنقوم، على حسب ذوقنا وأسلوبنا وبقدر ما يتسع هذا الكتاب، بذكر عدد من شعراء الدرجة الأولى فقط ممن تحظى أشعارهم بالأهمية والذاتية إلى حد ما.

١ـ صبـــا

يعد فتحعلى خان الكاشانى والمتخلص بصبا أشهر شعراء بلاط فتحعلى شاه وهو ابن آقـــا محمد (ابن الأمير فاضل بيـــگ بن الأمير شريف بيـــگ بن الأمير غياث بيـــگ) من أسرة كاشانية عريقة، وقد خدم معظم أفراد هذه الأسرة فى المناصب الحكومية، وكان جده الأعلى فى الأصل دنبليًا[٢] وقد

---

(١) ذكر الأمير محمود ميرزا بن فتحعلى شاه مجموعة كبيرة من شعراء عـــصره فـــى تذكرة (سفينة المحمود) على النحو التالى : الملك والأمـــراء ١٥، كبـــار القـــادة ٤، الوزراء والعلماء ٤، شعراء العراق ٢١٨، شعراء فارس ٣٣، شعراء خراسان ٣٤، شعراء مازندران وجيلان ٣٢، شعراء أذربايجان ١٧، والمجمـــوع ٣٥٧ شخـــصًا والذين إذا أضفنا إليهم بنات الشاه وسيدات جناح الحريم اللائى كن ينشدن الأشـــعار فى بعض الأحيان، والشعراء المغمورين الذين كانوا يعيشون فى أرجاء الدولة، ولم يعرفهم المؤلف أو تجاهلهم، فإن عددهم سيصل إلى ما لا نهاية.

(٢) حكم الأمراء الدنبليون فترات فى آذربايجان فى حدود خوى ومراغه، وقد كانوا تارة مستقلين وتارة تابعين للملوك الزنديين والقاجاريين، وقد أورد محمد بن يعقوب فـــى المعجم أن الدنبليين قبيلة من أكراد مناطق الموصل خرج منها حمد بن نصر، والفقيه الشافعى وعلى ابن أبى بكر بن سليمان ومحدث الدنبلى، وقد جاء فى تاريخ أبو الفدا أنهم كانوا من جنود السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبى، ويقول شرفخان: يـــصل نسب هذه الطائفة إلى أمير من أمراء الشام يدعى عيسى، وقد جاءوا فى العـــصور السابقة من تلك البلاد إلى إيران وتنسب هذه الطائفة ليحيى البرمكى (نادر ميـــرزا، تاريخ وجغرافياى تبريز، وملك الشعراء بهار، مقدمة على "گلشن صبا" طبعة كوهى كرمانى، طهران، ١٣١٣ش [٤-١٩٣٥م].

رحل من هناك إلى العراق فى آخر عهد سلطنة كريم خان الزندى وأقام فى مدينة كاشان، وقد ولد فتحعلى خان فى كاشان وكبر فيها(١)، واشتهر فى شبابه باسم آقافتحعلى(٢)، وكان من تلامذة الحاج سليمان بيك صباحى بيدكلى.

كان فتحعلى خان فى البداية من مداحى البطل الزندى لطفعلى خان، وطبقًا لما هو معلوم فقد كان له ديوان فى مدح هذا الأمير القوى الشجاع وقد مزقه عقب حادثة قتل أخيه خوفًا على روحه. وظل فترة مطاردًا شريدًا ومغضوبًا عليه من قبل الجماعة الغالبة بسبب هذا الديوان حتى تقرّب إلى باباخان (فتحعلى شاه فيما بعد) فى الأيام التى لُقب فيها بملك العالم، ووصل إلى حكومة فارس من جانب آغا محمد خان، فقام باباخان والذى كان هو نفسه شاعرًا ومتعلما ورجلاً لطيفًا بدون شك، قام هو الآخر بتربيته ورعايته.

ومن مدائح صبا بشأن لطفعلى خان قصيدة مفصلة أنشدها عقب مقتل أبيه جعفر خان وجلوس صيد مرادخان بدلاً منه، ودعا فيها لطفعلى خان للتحرك من بوشهر والقدوم إلى شيراز من أجل إقصاء الأعداء عن السلطنة. وفيما يلى عدة أبيات من تلك القصيدة التى نظمها بأسلوب ووزن قصيدة الأنورى(٣).

---

(١) تاريخ ولادته ليس معلومًا بالضبط وبالاستدلال الذى قدمه ملك الشعراء بهـار (فـى مقدمته على كتاب گلشن صبا/ ربما يكون قد ولد فى عام ١١٧٩هـ ق.

(٢) ميرزا حسن زنوزى المتخلص بفانى مؤلف "رياض الجنة" يذكره فى كافة المواضـع باسم آقا فتحعلى التبريزى.

(٣) مطلع قصيدة الأنورى هو :

إذا مررت على سمرقند يا رياح السحر ـــ فاحملى إلى الخاقان رسالة أهل خراسان

اتجه يا رسول الشمال إلى ناحـــية ميناء بوشهر

عند الملك العظيم ذى الخصال الظاهرة كالشمس

الملك المتربع على عرش المُلك لطفعلى خان الذى

معيـــنه هو اللطـــف العلـــى وحبـــيبه الله المتعال

إبـــك دمـــــاً بعـــــد تقبيـــــل نســـاء حـــرمـــه

تضـــــرع ألمـــــاً بعـــد تعطيــــر غبـــار قـــدمه

وقل له على لســـانى أنا المسكين مشتت البال

قــــل له علـــى لسانى أنا الحزين مضطرب الحال

يا ملك المـــلوك يا حاكم العالم يا حامل راية دارا

يا ملك العالم الشاب يا مالك سيف رستم وسهراب

***

ألا تعلـــم مـــــاذا حـــدث ومـــاذا يقـــع على

رؤوس الخلائق من ظلم الفلك العدوانى الطبع؟

الغـــوريـــون رفعـــوا كلهـــم التاج على رؤوسهم

والمحتالون وضعوا كلهم الخلخال المرصع فى أقدامهم.

أخذوا ثروة كل الرؤساء بالسلب والنهب

وأعطـــوا الأمـــوال لكـــل العبـــيد بكـــبر

وهم يدقــون الآن طبــول الحكــم باســم

ذلك الــذى ظل ليلاً ونهارًا نديم الطبال

......

فارحم وتعطف على ذلك الشخص الذى ذاب فى النار

بعــد أن تــألمــت أنــت مــن ريــاح الشــمــــال

مادام الشمس والقمر يتعاقبان فى السماء أيها الملك

فـــــلا تخشَ مــن زوال نـــور إقبــالــك

لابــــد لـــلابــن أن يأخـــذ بثـــــار أبيـــه

حبذا لو كان ابنًا مثلك أيها الملك المبارك الخصال

آن الأوان لكــــــى تستـنـصــــر الحـــظ

آن الأوان لكــــــى تتـعجـــــل القـتـــال

ذلك الخسيس الذى يرخى قدمه الآن على الإيوان

ذلك الظــالم الذى يجلــس الآن علــى العــرش

لقد كان له صـــدر يئن كالنـــاى خـــوفًا مـــنك

وكــــان له جســد يرتعش كالزرزور هلعًا منك

إن أهــــالى هــــذه البــــلاد كلهــــم فــداؤك

صـغـيــرهـــم وكبيرهم، نساؤهم ورجالهم...

وقد حضر فتحعلى خان إلى طهران فى عام ١٢١١هـ ق وأنشد فى عيد جلوس فتحعلى شاه (١٢١٢هـ ق) قصيدة جميلة أعجبت الملك[١]، فعلا شأنه يومًا بعد يوم حتى لُقب بملك الشعراء وحصل على اسم "الخان" ومنصب حسبة الممالك، وتولى أيضًا حكومة قم وكاشان لعدة سنوات ثم ترك بعد ذلك الحكومة، وظل ملازمًا لركاب الملك، وعين فترة أيضًا حاملاً لمفاتيح عتبة قم المقدسة.

وفى آخر عام ١٢٢٣هـ ق استشرى المرض والجفاف فى قم، فحضر صبا إلى طهران بإذن وفرمان الملك وكُلف من طرفه بمأموريتين إحداهما فى آذربايجان والأخرى فى التركستان، وقد رافق صبا الملك فى عام ١٢٢٨هـ ق عندما قصد آذربايجان للمشاركة فى جبهة الحرب الإيرانية - الروسية، لكنه مرض على بعد عدة فراسخ من زنجان وعاد إلى طهران، وحدث فى هذا السفر أيضًا أنه تلقى الأمر من الملك فى أثناء العودة بنظم كتاب فى بحر المتقارب (بنفس وزن شاهنامه الفردوسى) بعنوان "شاهنشاهنامه" وقد أتمه صبا فى أربعين ألف بيت[٢] فى مدة ثلاث سنوات[٣]، وقد حصل على جائزة قدرها أربعون ألف مثقال ذهبى[٤]. وفى عام ١٢٣٣ هـ ق

---

(١) كان مطلع القصيدة كالتالى :

شمســان بهما تجددت الأرض والزمان   واحدة حُملت إلى القصر وواحدة إلى الفلك

(٢)عدد أبيات الشاهنشاهنامه المطبوعة لا يتجاوز ٣٣٠٠٠ بيت .

(٣) فى ثلاثين عامًا هذه الرواية البهلوية أعــدهــا الفــردوسى شــريكــى فطلــبت من الملك العظيم أن أنظمها فقمت بإعداد هذا العمل النفيس فى ثلاثة أعوام.

(٤) يقال إن الملك قد قال له : لقد وعد السلطان محمود الغزنوى الفردوسى ولــم يــف بوعده، ونحن دون أن نعد سننفذ وعد السلطان محمود فيك أنت.

حدثت مجاعة شديدة فى خراسان، وكُلف صبا بأمر خراسان كرئيس لهيئة الإغاثة، وقد وصل إلى هناك بعد أن واجه مشقة وصعوبات كثيرة بسبب برودة الشتاء القارسة، وقام بتوزيع الإعانات على المحتاجين ثم عاد إلى طهران.

وبعد هذا السفر ظل صبا فى بلاط فتحعلى شاه بصفته الخادم والنديم الخاص و"ملك الشعراء"، إلى أن توفى بطهران سنة ١٢٣٨هـ ق بعد عمر دام ستين أو تسعة وخمسين عامًا، ويكتب جريبا يدوف السفير الروسى فى البلاط الإيرانى بتاريخ ١٤ يوليو ١٨١٩م (١٢٣٤هـ ق) ضمن كتاب رحلاته : "ويعد الشاعر فتحعلى خان البالغ من العمر ستين عامًا رجلاً مؤدبًا ومتواضعًا وبشوشًا ويتكلم بهدوء ويحب القص والسرد، وقد وضع الملك فى فمه حفنة من الماس مكافأة له على إحدى القصائد"(١).

شعر صبا : كان ملك الشعراء صبا متبحرًا فى الأدب الفارسى، وكانت لديه إحاطة كاملة باللغة العربية ولقد أنشد أشعارًا كثيرة من الغزل والمثنوى والرباعى والترجيع بند، لكنه تفوق فى نظم القصيدة وهو فى هذا الفن، مع تقليده للأنورى، له أسلوب ومنهج خاص حيث قام قا آنى وأديب الممالك الفراهانى وكثير من شعراء القرن الثالث عشر بتقليد ذلك الأسلوب بعد ذلك.

ويراعى صبا دقة الصنعة اللفظية والمعنوية بل إنه يستخدم الألفاظ والمصطلحات المهجورة وغير المتجانسة فى قصائده بمهارة كبيرة.

وديوانه من عشرة إلى خمسة عشر ألف بيت، وله بخلاف الشاهنشاهنامه التى سنتحدث عنها على حدة، مثنوى بعنوان خداوند نامه فى

(١) جريبايدوف، كليات، لينجراد ، ١٩٤٥م.

بيان معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم، وحروب وبطولات سيدنا عليّ أمير المؤمنين، ورسالتان منظومتان بعنوان عبرتنامه تقليدًا لتحفة العراقين للخاقاني، و"گلشن صبا" في نصح ولده(١)، ويعتبر "گلشن صبا" من أفضل أشعار صبا وقد نظمت هذه الأشعار تقليدًا لأسلوب سعدى وهى رصينة وبسيطة وسلسة جدًا.

شاهنشاهنامه : يعتبر مثنوى "شاهنشاهنامه" أعظم مثنوى لصبا، وهو قصة ملحمية بنفس وزن شاهنامه الفردوسى ونمطها ، وهو فى مدح فتحعلى شاه ذكر وقائع سلطنته ومآثر آغا محمد خان وأجدادهما وحروب عباس ميرزا ضد الجنود الروس وفتوحاته، ونصائح وموضوعات أخرى.

وقد أشاد المعاصرون كثيرًا بهذه القصة، حيث أتم الفردوسى الشاهنامه فى ثلاثين عامًا، أما هذا الأستاذ فقد نظم سبعين ألف بيت فى ستة أعوام، لكن "إذا حذفت من السبعين ألف بيت مناقب آل البيت، والألفاظ الصعبة المعقدة التى لا يفهمها إلا الخواص وأهل العلم والأدب واللغة فلن يبقى منها سوى سبعة أبيات تعادل بيتًا واحدًا من أبيات الشاهنامة الثلاثين ألف.." (٢).

ورأى المعاصرين فيه ليس رأيًا فيه مبالغة فحسب، بل إنه رأى ساذج، والشاعر نفسه برغم كل ادعاءاته ومزاعمه ووصفه لنفسه من باب التفاخر بأنه "شريك الفردوسى" و"الشاعر الحديث"، وتحذيره بأنه ينبغى عليهم أن "ينسوا الأشعار القديمة"، إلا أنه كان يعترف دائمًا أو على الأقل فى آخر عمره بالتفوق التام لمكانة الفردوسى.

---

(١) محمد حسين ملك الشعراء، المتخلص بعندليب.

(٢) مجلة يا دگار، السنة الخامسة العددان ١ ، ٢ (نقلاً عن حديقة الشعراء).

يكتب مؤلف حديقة الشعراء :

«.... وقبل وفاته بأربعـــــة أيام طلب ذات يوم وأهله وأولاده وأجرى حديثًا عن الشعر، وبعد ذلك قال لأحدهم اقرأ جزءًا من منظومتى "خداوندنامه"، وبعد ذلك قال لآخر : انشد بعض أبيات شاهنشاهنامه فأنشد هو الآخر، ثم قال احضروا شاهنامة للفردوسى أيضًا ولنقرأوا بعضها، فأحضروها وفتحوها وبالصدفة كان هذا البيت هو أول الصفحة :

يصير الجبل الصلب كالبحر السائل   إذا سمـــــع اســـــم افـــراســـياب

وبمجرد سماعه لهذا البيت تغير حاله وأدرك فى الحال الفارق الشاسع بين أشعاره وأشعار الأستاذ..» [1].

وفى مجال مقارنة "شاهنشاهنامه" برائعة الفردوسى الخالدة، يجب القول قبل أى شىء إن هدف شاعر بلاط فتحعلى شاه كان يكمن فى نظم ملحمة تاريخية ، إلا أن تقليده الأعمى لأسلوب بيان الفردوسى قد أجبره على أن يتغاضى عن مراعاة الحقائق التاريخية، والقصة كلها ممتلئة بالألفاظ القديمة، والتعبيرات والاستعارات كلها مأخوذة من للفردوسى أما شرح الحروب والبطولات فهو انتحال كامل لمعارك أبطال القصص الإيرانية، ويحاكى صبا قالب الفردوسى محاكاة عمياء دون أن يدرك تغير الوضع التاريخى واختلاف العصر، ويعتبر بحث الوقائع الحقيقية، فى هذه القصة بلا فائدة، وجميع الأحداث غارقة وضائعة فى بحر لا نهاية له من المحسنات البديعية، والفردوسى لا يتحدث إلا بحكم الضرورة أما صبا فإنه مشغول بتزيين الكلام، وبصفة عامة فإن عمله (شاهنشاهنامه) ليس إلا منظومة مدح معقدة

---

(١) مجلة يادگار، السنة الخامسة، العددان ١، ٢ (نقلاً عن حديقة الشعراء).

في شأن فتحعلي شاه وابنه عباس ميرزا، وفي الواقع فإن القصيدة قد أعطت مكانها لمنظومة مدح مفصلة في قالب المثنوي.

وبالرغم من كل هـذه العـيوب الذي ذكرناها فإن قصـــة صبا جديرة بالاهتمام سواء من حيث جمال البيان أو إبراز رأي البلاط الإيراني وموقفه الرسمي بشأن الجار الشمالي: فالشاعر لا يستصغر العدو ولا يحقر من شأنه في أي موضع من المواضع، وإنما يعرضه دائمًا في صورة العدو القوي القدير، وعندما ينتصر الإيرانيون في نهاية الأمر على مثل هذا الخصم القوي العنيد فإنهم في الغالب يتباهون ويفتخرون بفتحهم وانتصارهم.

وقد وُصف الجنود الروس وقائدهم بأبيات من هذا القبيل :

عجبًا لقتال الجنود الروس ذوي الشعر الأشعث

عجبـًا للأنين الــذي يصدر من صوت الطبول

إنهم جميعًا في فعل الشياطين وطبع السحــرة

عـروفهــم وخوذاتهم من النحــاس والحــديد

يمسكون في أيديهم ثعبانًا ضخمًا من الحديد

فمـــه مـفـتـــوح كـغـــار ســحـيـق

كــل منهــم هائــج كــالذئــب الجــائع

مفـتـــرســـون كــــالأســـــود

بقامة طــويلة وســاعــد ضــــخـــم

كلهــم بوجــه كثيف الشعر مثل الأسد

وفى القلب "اشبخدر[(١)]" قــوى القبضـــة

كالنمـــر المفتــرس والتمساح الملتوى

كعفريت قامته مــن النحــاس والحــديد

وخوذته من الحديد ورمحه مـــن الحديد

عجبــًا عندما يقوم بإشعال البـــركــان

لا يقــدر عليـــه الفيـــل الــهـــائـــج

لـــو يمـــر مـــن فـــوق مـــوج البحـــر

يثيـــر الشـــرر مـــــن قـــــاع البــحر

إنه فى المعركة التنين ذو النفس الحارق

يحـــــرق العــــالـــم بنَفَســـه الحـــارق

أشعل نارًا كثيفـــة فى روما الجـــميلـــة

أشعل نارًا شـــديدة فيمـــا حـــول روما

---

(١) على ما يبدو تحريف للكلمة الروسية "اينسبكتور" بمعنى المفتش ويُقصد بها الجنـــرال باول ديمتريفيتش سيسيانوف (١٧٥٤-١٨٠٦م) الأمير الجورجى الذى كـــان قائـــدًا للقوات الروسية فى القفقاز، وضم ولايات القفقاز لروسيا، وقد قتل خلف أسوار باكو بيد الإيرانيين.

وجعلـــها كشــــراب ســـاخـــن فى كأسه

وكقطعة كـــباب من فخـــذ الخـــنازيـــر

على هذا النحو وجد فى الدنيا طعامه

وعلى هـــذا النحـــو تربـــى جســـده

إلا أن قائدًا كهذا بكل هذه العدة والعتاد يرتعش أمام العسكريين الإيرانيين الشبان :

وعندما علم "اشبخدر" ذلك الشيطان المقاتل	بتحـــركـــه وتخطـــيطـــه فى "كنجـــه"
ارتعـــد جســـده واحـــمـــرت شفـــاهـــه	المتحسرة وصار وجهه كالسرو الجبلى
أخذ يعض على شفاهه في كل لحـــظة عضة	خفيـــة ولكـــن الســـر قـــد انكـــشـــف
أخذ يقول : إن حظ الإمبراطور قد ولىَّ	فقـــــد قـــلبـــت الـــريـــاح عـــرشـــه
لقد قلت مرارًا إن إيران ليست الهند أو الروم	فلم يحقق أحد النجاح فى تلك الحـــدود
لا تذهب إلى تل العقارب بأمـــل ورغـــبة	فـــــإنك لـــــن تنجـــــو مـــنـــه
اصـــمـــت ولا تـــذكـــر اســـــم إيـــران	ولا تجعـــل الحـــظ السعيد يعرض عنك
فـــــإن ترابهـــــا قـــد امتزج بدم الأسود	ومقـــبـــرة ملـــوكهـــا كهـــف مظـــلم
لا تنصت لهذه الشرذمة الذليلة من المأجورين	فـــإن هـــؤلاء كـــالحـــيوانات المـــفترسة
إنهـــم خـــوفـــًا مـــن سيـــف ملك إيران	قد اختاروا مكانًا فى الكهوف كالشياطين
لا تظـــــن أنهـــــم مـــــــن إيـــــران	أو مـــن المشـــاهـــيـــر والشجعـــان
إنهـــم كلهـــم كـــالشياطيـــن الأنجـــــاس	قطـــاع طـــريق كـــالشياطين الأنجاس

لا أحـــد فى إيـران يعـرف أسمـائهم وأملهـم خـائب وضائع مثل أسمائهم
أحـدهم ذئب عجـوز يدعى بولكونيك[1]، وهـو قائد الجَيش فى تلك المجموعة
شيطـــان عجـــوز محـنـــك لديه دراية كبيرة فى الزحف العسكرى
عنـدما رأى قـائد الـروس خائفًا بشدة وقـد أصفـر لـونه كالسـرو الجبلى
وفى الليـل يطيـر النـوم مـن عـينه وأن روحه قـد أصيبت بالفزع الشديد
قـال له : ياقـائد الجيـش الـروسـى هـل ضحـك عـليـك الشيطـــان ؟
ماذا حدث لك أيها البرق المـضئ للـدنيا إننـى أرى فـى عينيـك ظلمة النهار؟
لقد تقـدمت مـن جبـال البرز إلى الهند وأشعـلت نـار الانتقام فى بحر السند
وفى تلك البلاد أيها الملك المثـير للغبار لا يوجد بها مهراجا ولا چيپال ولا رايا

* * *

بكل هذه العظمـة والفخـامـة والجـلال بكل هذه القوة الجسمانية والقدرة الحربية
وتخـشـى طـفــــلاً صـغـيـرا[2] لـم يبلـغ أكثـر مـن ظـل المظـلة
لـم يحتـك بالعـالم ولـم ير أى عذاب جســده الحـريـرى الـرقـيــق
تـــربّى علـى اللـبـــن والسكـــر طعــامــه مــن الحلـوى الخـالصة
نشـأ وتـربـى داخـل الإيـوان الملكى لـم يُهـزم إلا مـن شعـر التركيات

(١) كلمة روسية بمعنى قائد الفوج أو العقيد، والتى تصور الشاعر أنهـا اسـم لـذلك الشخص.
(٢) المقصود الأمير عباس ميرزا نائب السلطنة.

لــــم ينهكــه تعــب الحمــــى و الذبول وفـــى مـــهـــده صلــــى الملــوك

أتظل هكذا بلا طــعام ولا نوم ولا عقــل وبجسد مثخن بالجراح وروح مضطربة !

عدة نماذج من أشعار صبا :

قصيدة فى وصف الربيع

حينما اتجهت هذه الزنبقة[1] نحو برج الحمل تلــونت شفــاه زهرة الشقائق باللون الأحمر النارى

ومن الأرض الخضراء المائلة للزرقة تلون الغزلان بلون الزمرد وقدمها لون المرجان الأسود

انظــر الآن إلى قــوس رســتـــم فـــإن له تقــوس القــوس الشــاشى كثير الثنايا

الطبيعة فى جمــالهــا كجـنـــاح الطـاووس والأرض فى فيضهــا كجناح الديك البرى

فى يــوم كهــذا لا يجــوز الـــروضــــــة حمــل الهمـــــوم والتفكيــر فى الرواق

ولقد قفزتُ من مكـــان بمـــــائة فـــرحــــة وعزمت على تقبيل الأرض أمام الملك الحاسم الرأى

وجلست على جواد سريع قاطع للصحـــــراء والذى سرجه الجميل هو إيوان برج السرطان

كــأن سرجه القمر وغطــــاءه السمــاء وركابه الشمس الجميلة وحزامه المجـرة

إن كل مملكــة الـرى قــد بدت أمـــام عينى وسبحـــان الله فقد تلونت الأرض بلون السماء

جـــوهــا مثــل جــو التبت فى فصل الربيع وأرضهـــا معرض صور مثل كتاب مانى

---

(١) كناية عن الشمس

مقدمة إحدى القصائد(١).

فى الليل اتجه هذا الطائر العملاق ذو الجناح النارى(٢)   باسط جناحيه نحو الغرب

بسط غراب(٣) جناحيه من ناحية الشرق   وأظل بجناحيه الأرض والسماء

جسده الجميل تغطى بالشعر الأسود   وفى كل تجعيدة من شعره يظهر جناح فضى(٤)

وكأن خازن هندى قد نثر   على هذا الجلد الأخضر غير المدبوغ(٥) الجواهر(٦)

وعندما خرج من هذه الغابة أسد صياد   حاد المخالب وانتقل ناحية الوادى الآخر

صارت للأرض صرة مملوءة بالمسك الخالص   من صرة (نافجة) الغزلان بيض الأقدام

لأتحدث بوضوح إلى أصحابى عن هذا الأمر   فقد كانت ليلة مظلمة وكنت أنا مهمومًا

مصباحى فيها هو عين العقرب   وحجرتى هى فك الثعبان

ورفيقان مخلصان زنجى ورومى   أحدهما على اليمين والآخر على اليسار

فذاك الزنجى عزب الشفاه كان ثملاً جدًا   لدرجة أنه كان يمزق حرير شوشتر الذى يغطى جسده

وذلك الرومى فضى الجسد كانت ساقه كالياسمين   والذى كان يدهن جسده بالكافور والعنبر

---

(١) تقليدًا لقصيدة الأنورى بهذا المطلع :

- حينما كنت تحت مركز السماء المدورة   اختبأ جرم الشمس المنورة

(٢) الطائر النارى، كناية عن الشمس

(٣) الغراب، كناية عن الليل.

(٤) جناح فضى، كناية عن النجمة

(٥) الجلد المدبوغ، كفل الجواد، الجلد المدبوغ المغضن، كناية عن السماء.

(٦) الجوهرة، كناية عن النجمة.

حينمـا شاهـدا حبـى لهمـا فى الخفاء تشـاجـر هـذان الحبيبـان بسبب الغيرة

فى البداية تطاول ذلك الزنجى على الرومى وأطلـق لسـانه فكان فى الحدة كالمشرط

فقـال يا كـذا وكـذا، كـم ظـل وجـهى شاحب اللون بسبب الغيرة منك ؟

أنا التـزم الصحبـة فى مكـان واحـد وأنـت دائـم الغمـز واللمز على كل باب

فتـألم الـرومـى وتأثـر بقـوله وقـال له أيهـا الفـاسـق المحـتال

إننـى حـائر فى كـل حى بسبب حيلتك إننـى هـائم فى كـل مكان بسبب خداعك

عنـدما تـرى جسـدى كجناح الطاووس فـإنـك تقـيدنـى عـلى جـناح الحمامة

أنا مسـافـر فـى الشـرق والغـرب مـن أجـل نشـر مـدح الملك المظفر...

ومن "خدا وندنامه" فى التوحيد :

باسـم الله مـصـور الأبصـار خـالـق العـقـل، ومصـور الخلـق

رب هـذا البـلاط المـزدان بالجـواهر رافـع هـذا البـلاط العـنـبـرى

ظهـوره محجـوب عـن الخـلائق ولكـن الـرؤيـة لا تخـفـى علـى الله

كـل ذرة فـى الشمـس تدل على وجوده وكل قطرة فى البحر العميق تدل على وجوده

انظـر إلـى البصـيـر الخـالـق انظـر بعـمـق إلى الـرؤوف البصـير

فـلك عيـن مفتـوحـة من خلال عقلك علـى بـلاط خـالقـك العـظـيـم

وفى مدح الكلام :

إن حافظ العالم قد خلق العالم من الكلام فقـد ظهـرت هـذه الخليقة بفضل الكلام

والكلام أسمى من أى مخلوق فالكلام جوهره أحسن من جوهر الخليقة
شهرة الرجل بين الناس بالكلام لا بالعظام الصلبة ولا بالجسد الرقيق
من زادت قدرته على القول زاد استحقاقه للشهرة والسمعة
إن المتحدث قلبه لا يهاب الموت فالكلام مطرقة وخوذة حديدية تحميه من الموت
إن لسان المتحدث ما هو إلا خنجر تارة يصب الشهد وتارة يبخ السم
كل حلاوته لهؤلاء العقلاء وكل سمه من أجل الأغبياء
إن الشخص المتكلم لم ولن يموت فالكلام هو أساس الروح وقوة الجسد
والكلام الطاهر لا يمكث فى التراب وجسد المتكلم الطاهر ينطق فى التراب
الكلام هو السماء وأنا فيها الشمس أنا نفس هذا المتكلم الطماع
إننى سأشعل الآن من الكلام ثورة فلسانى صادق تماما كالسيف الحاد
أعطنى كأساً من الشجاعة كى أتمتع برأس كلامها مباشرة
استمع لقائل الكلام الجديد وانس الأقوال القديمة

ومن گلشن صبا "الكاهن الزردشتى المسن" (١):

سمعت أن كاهنًا زرادشتيًا مسنًا فى تلك اللحظة التى كان يحتضر فيها
كان جسده الطاهر من أشعة الشمس كالشمع فى النار وكالسكر فى الماء

(١) يمكن مقارنة هذه الحكاية بنظائرها فى بوستان سعدى ومخزن الأسرار للنظامى و"خانهء سقراط" [بيت سقراط] تأليف عباس شهرى أحد الشعراء المعاصرين.

فقال له أحد الأشخاص : أيها الكهل المعمر	لقـد احتـرق جسـدك من أشعة الشمس
فلمــاذا لــم تــوجــر لك فــى حيــاتك	مــنــزلاً مـــوقتًا لــدفـــع الأذى عنك؟
فتوجع وتأوه وقال : فى هذه الأيام القلائل	لـــو كــانت الراحة فى الظل ما تعب أحد
فــالعظمـــاء قــد تحــرروا مــن الدنيا	ولـــم تتعلـــق بهـــا قلـــوبهـــم مثلنا
فلا تتعلق بالدنيا وكأنك واحد من السالكين	ولا تجـــــــــرى وراء الســـــراب

٢- نشاط

ولد ميرزا عبد الوهاب "نشاط" أحد سادات أصفهان المشهورين بمدينة أصفهان عام ١١٧٥ هـ ق، وحكم جده عبد الوهاب أصفهان، وترك لأولاده أموالاً وثروة كبيرة، وقد حظى نشاط بنشأة طيبة وتعلم اللغتين العربية والتركية علاوة على لغته الأم، وتميز على أقرانه فى حسن الخط، وكان ملمًا بالشعر والأدب الفارسى والعربى وعلوم عصره من العلوم الدينية والرياضية والفلسفة الإلهية والمنطق.

وعندما ظهر على الساحة صار من أشد المؤيدين لمدرسة "العودة الأدبية"، وفى الوقت الذى كانت فيه مدينة أصفهان مركزًا لهذه الحركة وهذه النهضة الشعرية والأدبية فتح أبواب مضيفته لاستقبال الكتاب والعلماء، و"كان مجلسه مجمعًا للشعراء والظرفاء[1]" الذين كانوا يتجمعون هناك مرة واحدة كل أسبوع ويتحدثون بإفاضة، وقد قام هو ورفاقه بإنشاد الشعر بأسلوب القدامى وأحيوا من جديد منهج الأدب الفارسى القديم. وحضر نشاط إلى طهران سنة ١٢١٨هـ ق حيث كان قد مضى من عمره ثلاثة وأربعون

(١) رضا قلى خان هدايت، مجمع الفصحاء.

عامًا، ووجد طريقه إلى بلاط فتحعلى شاه، وعين فى منصب الكتابة والإنشاء ولقب بلقب "معتمد الدولة" ثم عين بعد فترة رئيسًا لديوان الرسائل وقد قيل فى شرح أحواله : مع أنه لم يكن محرومًا من أموال الدنيا وكان عنده دخل خاص من أملاكه فى أصفهان إلا أنه نظرًا لكونه رجلاً كريمًا ومضيافًا فقد صرف كل ما معه فى فترة قصيرة بل واقترض مبلغًا كبيرًا من المال حوالى ثلاثين أو أربعين ألف تومان، ولكي يقوم بعض رجال البلاط بتوبيخ وتقريع الشاعر تحدثوا عنه عند الملك فقالوا : "إن الأكابر يأخذون أموال التجار بلا حساب ويأكلونها ظلمًا" إلا أن هذا الكلام كان فى صالح ذلك الرجل العظيم، فرق قلب الملك لحاله وأمر بأن يحضر الدائنون إلى البلاط ويأخذوا دين الشاعر من مال الملك راعى الشعراء، فكانوا يحضرون جماعة جماعة من الصباح إلى المساء ويحصلون على الصرر واللفائف"[1] وبعد أن وصل نشاط إلى رئاسة ديوان الرسائل، رافق الملك فى كل مكان فى السفر والحضر، وكانت معظم الأحكام السلطانية والفرمانات الرسمية ورسائل الملك الخاصة وعقود ووصايا أفراد الأسرة الملكية تكتب وتحرر بخطه وإنشائه، وقد ظل فى هذا المنصب حتى آخر عمره.

وقد سافر نشاط إلى باريس ذات مرة ضمن أحد الوفود نيابة عن الملك، والتقى بنابليون الأول، وفى سنة ١٢٣٣هـ ق كلف بإخماد الفتنة والاضطرابات فى "غوريان" و"باخرز"، وقد تولى بنفسه قيادة القوات ووقع فى الأسر أثناء المعركة، ولكنه أجبر بنياد خان حاكم غوريان وباخرز أثناء أسره على كتابة رسالة إلى شجاع الدولة والى خراسان وطلب منه العفو،

(١) ديباجه، گنجينه، طهران، ١٢٦٦هـ ق.

وعلى هذا النحو هدأت فتنة بنيادخان وعاد نشاط إلى طهران، وفى سنة ١٢٣٧هـ ق كلف مرة أخرى بإخماد فتنة الأفغان وقد أتم هذه المهمة أيضًا بنجاح.

وقد عاش نشاط فى طهران منذ عام ١٢٣٧ هـ ق وحتى آخر عمره، ورافق فى الغالب أهل الطريقة والسلوك حتى توفى بمرض السل وهو فى التاسعة والستين من عمره يوم الاثنين الخامس من ذى الحجة من عام ١٢٤٤ هـ ق (قبل موت ممدوحه بست سنوات) (١)، ويكتب قائممقام فى أحواله : "تذوق الخمر دون أن يشربها، وثمل من الكأس دون أن يلمسها.. خلع ثوب الطهر ذات مرة وألقى دعوى التقوى جانبًا، فلم يعد يحب أو يكره أحدًا ولم يبق فى قلبه الكفر أو التدين... لاشك أن تصرفه كان مستبعدًا فى نظر الخلائق الذين وقعوا فى فخ الأهواء ولم يتخلصوا من قيد الطبائع، وارتاب كل شخص فى أمره ونسب إليه عملاً لم يكن له دخل به ولا يتفق مع عاداته..."

ويقول هو نفسه فى إحدى الرسائل : " يعتبرنى إمام المسلمين كافرًا ورئيس الأطباء مجنونًا، وأنا وسط الجميع معروف بالضعف والعجز، وفى الأعمال موصوف بالإهمال والتخاذل، والمدهش جدًا إننى بفضل اللطف الإلهى – برغم كل هذا – فأنا مقصد الأحباب ومحسود من الأعداء، فالعزة لله جمعيًا. " وفى الرسالة الأخرى يقول : "... لقد تخلصت من أهوائى وقصدت رضا الواحد، وأنا معروف بالموسوية، ولكن ما الموسوى وما العيسوى، وما الأخروى وما الدنيوى؟ لأدين بدين الصدق. أنَّى توجهت ركائبه أرسلت دينى وإيمانى..."

(١) ذكر منصف القاجارى الشاعر المعاصر لنشاط تاريخ وفاته كالتالى : "ازقلب جهان نشاط رفته أى "رحل نشاط عن قلب العالم".

وقد طبعت مجموعة أعمال نشاط فى بادئ الأمر سنة ١٢٦٦ هـ ق فى كتاب بعنوان "گنجينه" ثم طبعت بعد ذلك سنة ١٢٨١ هـ ق فى طهران بخط جميل بأمر ناصر الدين شاه.

ويشتمـل گنجينه على : ١) المقدمات، والخطب، والأوقاف، والعقود. ٢) المدائح، والوثائق ، والقصائد، والقطع ٣) رسائل وفرمانات فتحعلى شاه. ٤) الرسائل التى كتبها للملك والأمراء. ٥) الأشعار والقطع الأدبية والحكايات الأخلاقية.

نثر نشاط : تعتبر مقدمة ديوان الخاقان (فتحعلى شاه) ومقدمة شاهنشاهنامه لفتحعلى خان صبا بقلم نشاط، وكما قيل فإن نشاط كان يكتب ويحرر رسائل وفرمانات الملك ومكتوبات البلاط والأسرة المالكة بقلمه فى بلاط فتحعلى شاه بحكم طبيعة منصبه، وقد كان خطه وكذلك إنشاؤه فى عصره نموذجًا للكتاب وكانت تتناقله الأيدى.

ولم يكن أسلوب نشاط جديدًا بل كان تقليدًا لأسلوب القدامى المتأخرين و"أسلوبًا وسطًا بين وصاف والشيخ سعدى وكان يشبه أسلوب ميرزا مهديخان في حذف الأفعال وإيراد الأفعال الوصفية(١)".

وفيما يلى عدة نماذج لكتابة المقامة عند نشاط :

- كان قد خطف النـوم مـن عينـى ليلـة أمس خيال

رأيت فيه أن صرخة بلبل قد وصلت إلى أذنى من الروضة

(١) ملك الشعراء بهار، سبك شناسى، ج٣، ص ٣٣٢.

- فتـــوقفـــت روحـــــــى وعجـــــزت يــــدى

ورحـــل الصـــبر عن قلــــبى وطار العقل من رأسي

وفيما يبدو أن أحد الأصدقاء والذى كان يقظًا فى ذلك الوقت بحكم عمله، قد تعجب لهذا الأمر وقال : وهل البلبل يصرخ وهو على غصن الزهرة، ماذا حدث لك؟ أصرت غافلاً لهذا الحد؟ فقلت له اصمت فإن الذى يحمل البلابل على الصياح فى روضة تلك الزهرة هو الواحد : ما من شيء إلا يسبح بحمده، فعشق الزهرة هو الذى يدفع البلابل للصياح.

- فمن الذى شق جيوب الزهرة ؟

- أو من الذى أصاب البلبل بالقلق؟

ولو دوى صوت الفاختة حول السروة الشابة، فما السبب إذن فى اضطراب السرو؟ لو نظرت بعين الحقيقة ولم تسلك طريق الغفلة.

الكـــل يضـــطرب مـــن ذكر اسمه   يسألون عن الحبيب ويتحدثون عنه

* * *

لى قلب من الشكوى متحرر وشفاه عن الكلام صامتة

إن شفتى قد انعقدت وتوقفت عن قص ما تعلمته

وأنـــت عنـــــدك لغـــة بلا لســـــــــان

ماذا أقول وأنت تعلم كل ما أقول دون حوار وعما أبحث وأنت تلبى كل ما أبحث عنه دون بحث؛ فالقول عمل اللسان والبحث رغبة الروح، وأنا نفسى لست هذا ولا ذلك.

إننى حيثما كنت فــلا يكــون آخــر ســواك

مــن الشفــاه خــبــر ومــن القــلب أثر

أين الشفـــــاه التى تضع قدمًا فى ذلك الكلام

أين الروح التى تجد طريقًا فى ذلك الطلب؟

ولكنهم أطلقوا لسانى حتى أتحدث معك وأعطونى الروح حتى أبحث عنك، فإذا لم أتحدث ظلت الصنعة عاطلة، وإذا لم أبحث ظلت الخلقة باطلة.

فى كل عضو من أعضائى انفعال آخر منك

أتظـــــن أننـــى أعـــرف شيئًا عن نفسى

إذا كان للقلب أحيانًا حزن وكدر، أو للسان حديث وفقًا لذلك أو للقلم حكاية عن هذين الاثنين أو شكوى فى رسالة فليس لى ذنب فى ذلك، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

* * *

أنا فى حيرة لماذا باعنى السيد بدون مقابل

ألــم يكـــن يـــريد شـــراء غلام، لماذا !

انظر ماذا حدث لك أيها السيد، كفى لك عارًا أننى عنك راحل، سبحان الله، لماذا حدث هذا؟ كأنه كان حلمًا وسرابًا.

نـــمـــنـــا واســــــتيقظنا ثانيـــة أو سكـــرنا وأفقنـــا ثانيـــة

عمومًا هل كان أصل وأساس السيادة هكذا بالضبط ؟

ربما لا تدرى أنت نفسك سر قيدنا   فلا تلــف حــبلك حــول صيــدنا

من الآن فصاعدًا دعنا نستريح لفترة وفق المراد بعيدًا عن مشقة لقاءاتنا المفاجئة ومقالاتنا غير المفيدة حتى نرى ماذا سيفعل الله الذى أوصل حالنا لهذه الدرجة من الحزن والسلام.

شعر نشاط : يعتبر شعر نشاط بسيطًا وسلسلاً بالرغم من وجود بعض العبارات الممتزجة بالعربية واستخدام الصنعة الشعرية والتركيبات الغريبة والمجهولة وتكرار القافية "وهو أستاذ القصيدة والغزل معًا، وقصائده من مدرسة صبا ولكنها أبسط قليلا"(١) ، ولم يترك نشاط قصائد كثيرة، فنظم القصيدة المدحية ليس عمله الأساسى، ومع هذا كلما قام بالمدح والثناء بقصد التقرب إلى الملك أفرط في هذا الأمر ووصل بالتملق والمداهنة إلى أعلى درجة، مثلما وصف رجلاً مثل فتحعلى شاه لا دراية له بالجندية بعبارة "سماء فى وسط الدرع" و"شمس بجوار المغفر" ومدحه فى أحد مثنوياته بهذه العبارات :

إذا كــانت لفــريــدون شهــرة من الحديد

فأنت من السيف الفولاذى الذى يشق الحديد

إن الأرض حفنة من غبار عتبتك   والسمــاء عــدة حجب على بابك

أى ذات تعــلو علــى ذاتك غيــر ذات الله ؟

إذا كان هذا هو الملك فكيف تكون الألوهية !

حتى وصل إلى :

---

(١) خطب بهار حول العودة الأدبية، مجلة أرمغان، السنة الثالثة عشر، بــين صــفحات ٤٣٣ و٧٤٨.

- إن حـكـيـم گـنـجـــه الفـصـيـح

الذى عنده كنز جواهر من المنظومات الخمسة

قـــــد قال فى وقت ما اعتـــذارًا عن التقصير

إننى إذا كنت قد تأخرت فقد جئت سبعًا موفقًا

أما أنت حتى لو عرضـــت نفسك على هذا البلاط

وتظاهرت بأنك سبع موفق، فقد كنت ضبعًا فاشلاً

أما أنا فلم أتأخر عن الحضور إلى بلاطـك فقط

بـــل وجئـــت حـــاملاً عشـــرات الـــذنـوب

ولكنـــــى لا أعــــرف سبعـــاً ولا ضبعــــاً

وكـــل ما أعـــرفـــه أنـــنى كـــلب هـــذه العتبة

وقد تناول نشاط الغزل فى الغالب من بين أنواع الشعر، وتعد غزلياته الجذابة التى لها طابع فلسفى وعرفانى "أفضل نموذج على غرار أسلوب حافظ[١]"

ومن قصائده [٢]:

أجمـــــل الأشـــياء وأبهـــــج الكـــــائنات

من كل ما هو ظاهر وكل مـــا هـــو باطن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تقليدًا لقصيدة الأمير معزى، وهذه القصيدة كما رأينـــا قـــد قلـــدها أيـــضًا مجمـــر الأصفهانى.

من الطيــــور البلبل ومن الأوقات السحر

من الفصول الربيع ومن الأجناس الإنسان

من العهود الشباب ومن المشروبات الخمر

مــن النجــوم الشمس ومن الشهور نيسان

من الأحجار الكريمة قلب الحبيب، ومن أحوال العيش التفكير فى الحبيب

من السيوف الحاجب، ومن الخناجر الأهداب

من الزينة التــاج، ومــن العطــور العنــبــر

مــن الأعضاء العين ومن الفضائل الإحسان

من الأنبياء محمد، ومن المدن المدينة المنورة

ومــن الأشجــار طوبى ومن الجنان رضوان

وقصيدة أخرى [١]:

اطلب أيها المــلك الهــلال الجـــديد مـــن الشمــس

انظر إلى حاجب الحبيب واطلب الخمــر مــن الســاقى

استطلع كل ليلة هلال العيد بالنظر إلى حاجب الحــبيب

وفى وقــت الهــلال اطلب كأسًا من الخمر المتــوهجة

---

(١) محاكاة لقصيدة الأنورى :

- اطلب الخمر أيها الملك وتناول صبوح الفتح والنصر

اطلب النرد والنديم والمطرب والعود والرباب

عندما ينثر الفجر أوراق الورد وتذهب أدراج الـــرياح

اطلبهـــا تـــارة بالمصـــحــف وتـــــارة بالكتــــاب

إذا استمعـــــت بالنهـــــار إلى قـــــول الــــــزاهــد

اطلب الكفـــارة بالليـــل مـــن لحـــن الصنج والرباب

لـــــو فكـــــرت فـــــــى ســــؤال الحســـــاب

اطلب مـــن الحبيـــب كـــأس خـــمر بـــلا حســـاب

حين تأخذ جـــرعـــة مـــن ذلك الشــــــراب النارى

اعتبـــر الخصـــم قشة علـــى النار ورسمًا على الماء

إلا الأحبـــاء لتكن قلوبهـــم راضيـــة عــنــك

فـــأى قلـــب يطلـــب غـــير رضاك هو طالب للخراب

واطلب السعادة دائمًا من "الصــــــــبا" و"السحاب"

روضـــــة مجلسك – لتكن دائما مفعمة بـــ "النشاط"

ومن غزلياته :

إن الطـــاعة لا تـــأتى فى الحـــال فيـــجب ارتكـــاب ذنب

يجـــــب الوصــــــول إلى قلـــب الحبـــيـــب بأية حيلـــة

لقـــد أصبح إنســــــان العـــيـــن مـــوطـــئـــا للشحـــاذين

وقصر القلب يستحق أن يكون هـــو العـــرش الـــمـــلكى

إن النـــجـــــوم الفلكيـــــة لا تــؤثـــــر فــيــنـــا

أمـــا دوران العيــــون الســـوداء فيجـــب الحذر مـــنه

ولما كانت الشمس مضيئة العالم تختفى عن الأنظار ليلاً

فإنه يجب خلال هذه المرحلة الاعتماد على نور القمـــر

فلــتسـعــد وتسيـــر فى الطــريق يا قـــائد القـــافــلة

ويجـــــب أن تمـــــر بجـــــانب طـــــريق مضـــلل

لا يجب بالضرورة امتلاك كل هذه الأهداب السوداء المصفوفة

ولكن يجب النظر أيضًا إلى صف العشاق الولهانين

يجـــب مـــراعاة جـــانب الحبيـــب بنظـــرة واحـــدة

ويجـــب هـــدم دولـــة العـــدو بجـــيـــش واحـــــد

إن اســـتــحـــالـــت مجـــاورة الحـــانة يـــا "نشاط"

فيجـــب السجـــــود كـــل صبـــــاح مـــن بعـــيد

* * *

إذا مللـــت مـــن قـــصـــتنا فهناك حكـــاية أخـــرى

وإذا ضـــاق قلبك بنا ذرعـــًا فهنـــاك مجنـــون آخـــر

لى معشوق فى خلوة الروح لا يخفى عن عين الدنيا

ولا سبــيـــــل إليــــه ســـوى القـــلـــب الغـــــريب

إذا لـــم يعجـبك قلبى فضـــع القـــدم علـــى روحى

فـــإن لى فـــى ذلك الجانب منزل آخر أكثر خـــرابًا منه

لماذا أنت مهموم، لماذا أنت مكتئب إذا كنت تحترق وتتعذب

فأنت مجموعة شموع وحولك من كل جانب فراشة أخرى

بكأس واحدة نقضتُ العهود، أخاف أيها الساقى

أن أنقـــض العهـــد بعـــد ذلك بكـــأس أخـــرى

* * *

طفل من كل بيت يتتبعون المجنون فى هذه المدينة

يا رب مـــاذا يفعل قـــلب المجنون فى هذه المدينة

إن القلب لا يرغـــب فى مـــرافـــقتنا، انظـــــروا

فـــــإن المجنـــــون لا يملك البقاء فى هذه المدينة

لو أن الهوس بخصلة شعـــرك يقطع طريق القلوب

فـــإن المشكلة أن يبقى القلب عاقلاً فى هذه المدينة

لماذا نحـــرق الشمـــع فى كـــل تجمع وما الفائدة

فقلب الفراشة لا يحترق فوق الشمع فى هذه المدينة

لـــم يعـــــد أحـــــد يسمـــــع حكـــــايتنا

فإن جنوننا قد أصبح خرافة فى هذه المدينة

إذا ضـــاق المكـــان فى حيـــه، فمـــا العمـــل

نحن غرباء وهناك منزل واحد فى هذه المدينة

إن الســـــــيد ينوى إعمــــــــــار المنزل، بالله

إن المجـــــــنون لا يملك البقاء فى هذه المدينة

لـــم أر زاهـــدًا ولا مـــاجنًا فى هـــذه المـــدينـــــة

فقد أغلقوا باب المسجد وباب الحانة فى هذه المدينة

لا أعرف لماذا يهرب القلب من "تشاط" [السرور]

إن المجنـــون لا يمـــلك البـــقاء فى هذه المدينة

* * *

هؤلاء الحسان اللائى هن بلاء قلب أهل النظر

هن أعداء الروح والقلب وهن أفضل من القلب والروح

لا يمكـــــن إعطـــاء العشـــاق قلـــبًا مهـــمـــومـــاً

وإلا فـــالحســـان أخيـــار وليسوا ظلمة ولا أشرار

طـهـــر القلـــب مـــن أية شـــائبـــة وادخل بعد ذلك

فـــإن المقيـــميـــن فى الحـــانة هـــم أهـــل النظـــر

إن القدم فوق رأس العالم والرأس أسفل قدم الحبيب

حتـــى لا تقـــول إن هـــذه الطائفة بلا قدم وبلا رأس

يجب أن يكون الهــم هو شــأنك الــذى فيــه سعــادتك

وإلا فإن السعــادة والهــم همــا شــأن العــالم الفــانى

وجــهــه مــــدوّر ومــــزين لــيـــلاً ونـــهـــارًا

والعشــاق غـــافلــون عــن فتنــة دوران القــمــر

أنا ونسيم السحــر حــائــران هكــذا مــن عبيــرك

أم أن كــل المتيميــن بــك هـــائمـــون هكــذا؟

لماذا يبحث الخلــق عن ســر وجــودهم يا "نشــاط"

والماء والكأس ليس فى مقدورهما أن يفهما حقيقتهما

٣ – سحاب :

هو ميرزا سيد محمد "سحاب" ابن سيد أحمد هاتف الأصفهانى (فى الأصل من أهل اردوباد بآذربيجان)، من شعراء عصر فتحعلى شاه ومن مادحيه، وكان سحاب ملمًا بالعلوم النظرية الإيرانية القديمة، وكانت لديه معلومات غزيرة فى الطب والنجوم، وقد حظى بمكانة واحترام لائقين عند فتحعلى شاه، ولسحاب أشعار بسيطة وسلسلة وجذابة وديوانه ينتظم حوالى خمسة آلاف بيت، وقد أهدى فتحعلى شاه نسخة منه إلى آوسلى[١] السفير الإنجليزى فى البلاط الإيرانى.

---

(١) Sir Core Oueseley

وعلاوة على نظم الشعر فقد كان متبحرًا أيضًا فى علم الشعر والفنون الأدبية، وقد ألف تذكرة رشحات سحاب باسم فتحعلى شاه ولكنه للأسف لم يتمها وتوفى سنة ١٢٢٢هـ ق. وربما كان سحاب يعلم جيدًا مدى لغو؛ شعر البلاط وعبثه ؛ بمعنى تنسيق عدة ألفاظ ونسج عدد من المصاريع فى مدح الأشخاص، والتى يكون مضمونها فى الغالب لشخص آخر، وتوضح هذه الأبيات جيدًا مدى اشمئزازه وخجله من الشعر :

كيف يصل الشخص إلى كمال النفس بدون حسن العقيدة

وأى كمـــال لمـــن ليـس عنـده حســـن العقـيدة

لا يـوجـد لا شعـــر ولا نظـــم عـلى الإطـــلاق

وأنا أتســاءل فـــى حيـرة عـــلام كـــل هذه الضجة

ألا يســأل أحـد عـقـب تنسيــق عـدة ألفـــاظ

مــا هــذا التخـريـف أيهــا البلهــاء عـديمو الفضل

فى مقــابل مصـــراع أو اثنيــن يخــــالفــان الحقـيقة

تفكـــرون كـــل هذا التفكـير فى الجاه وتحلمون بالمال ؟

إن الشعـر أصـــله مـــن الخيــــال ونـــوعه من المحال

فمـــا كـــل هـــذا التفكيـــر المحـــال مـــن أجـــل الخيال؟

من عدة ألفاظ فارغة لم يدع التفوق كـــل مـــن يشعـــر بالخجل والحياء

مـــائة نـــوع من هـــذا الكمـــال عنـــد أهـــل الرأى والعقل

ماذا تساوى أمام حسن طبع شخص عامى محمود الخصال ؟

لأفـرض أن النظـم هـو بحـر الـدر ومنجـم الجـواهر

فمـــاذا يســـاوى أمــام كـــلام الله عــالى الصــفــات؟

وله أيضًا هذه الغزليات :

أريــد أن تكــون آهتــى فــى فــراقــك مشتعــلة كــالبرق

حتـــــى أضـــــــئ بهـــــا نهـــــارى المظـــــــلم

لا دلال ولا غمـــز فـــى فـــرمـــانه، وكـــأنه مـــلك

لا يــســتــطــيــع أن يــمــنــع جيـشــه مــن الانهيـــار

شكــونه ذنب فــى حقنــا وهــذا الذنب يتحمله القلب المعتذر

فكـــيـــف سنـطـــلب نحـــن عـــذر المـعـتـذر؟

مــا أكثـــر مـــا رغـب فـى التحـلـــى بالحـيـــاء

فكــان يلقــى كـل لحظـــة نظـــرة علـــى نفـســـه

لا أمـــان لأميـــر القــافلـــة مـــن أذى الطـــريــق

طــالمـــا أن الـــدليـــل قـــد ضـــل طـــــريقـه

بــرغــم أن "سحــاب" قــد أصبــح شــيـــخًا مــســنًا

فــإنه يضــيــع عمـــره علـى قمـــر صغيـــر السن

* * *

لا مكان لعشــق الأحــبــة إلا القــلب الخــرب

لأنــه كنــز ومكــان الكــنز ما هو إلا الخرابة

لقد كانت الفردوس جميلة ونعمها وفيره ولكــن

لا نعمة كالخمر ولا مكان أفضــل مــن الحانة

لم ير أحد من أهل الدنيا حكيمًا واحدًا فى العالم

فكل من يطلب الدنيا هو بوجه عام ليس حكيمًا

ذؤابته المصيدة وخـــاله الطعــم أما صــائدى

فلا حاجة له للمصيدة والطعم حتى يصيد القلب

لماذا يكون هذا القلب المفتــون مجنــونًا دائمًا

بــذؤابتــك مــع أنـــه غــيــر مجــنــون

لــن أبــــوح أبــــدًا بســــرك للــقــلــب

فسر عشقك لا ينبغى أن تعرفه أذن أى غريب

تبتُ عن الخمر أيها الــزاهد ومنذ الآن سأنقض

العهــد ولكــن مــا لــم تكــن فى الكأس خمر

إن قصـــة ليلــى والمجــنــون يا "سحــــاب"

بالنسبــة لحسنـــه وعشــقــى ليست إلا أسطورة

* * *

إن سهــمك لا يختــرق جســدى   ربما كان جناحى أقوى من سهمك

والحريق الذى اشتعل فى القلب بسببك ما زال

يمكــن مــشــاهــدته تحــــت رمـــــادى

وشفاهك العذبة تعاقبنى بأن تضع لى السـم فـى شـــرابى المنـعـش

تارة كـأســى تكسـر التوبة وتارة تـوبـتـى تكـسـر كــأســى

قلت له ما هى صورة ماء الحيـاة؟ فقـال إنـه تـراب عـتـبـتـى

وجواهر عينى هـى الدموع أمـا الشعر

فهو جوهر موهبتى الشعرية الفياضـة

وإن لكل جوهرة صـدفة يا "سحـاب"

والعيـن والقلب هما صدفتى وجوهرتى

٤ - **مجمر**:

ولد سيد حسين الطباطبائى الأردستانى المتخلص بمجمر ابن سيد على بقصبة زواره بأصفهان فى آخر القرن الثانى عشر الهجرى[1]، وبعد أن حصل على قسط من التعليم فى بلدته ذهب إلى أصفهان ودرس فيها العلوم الأدبية، وانضم لمجموعة من الشعراء الذين كانوا قد تجمعوا حول نشاط، وظل فترة فى أصفهان ثم ذهب إلى طهران بعد ذلك مع معتمد الدولة نشاط وفى هذه الأثناء كان فتحعلى شاه قد ذهب إلى آذربايجان لظروف الحرب مع روسيا فذهب مجمر إلى آذربايجان بصحبة نشاط وقُدم للملك فى معسكر

---

(١) تاريخ مـولده ليس معلومًا بالضبط، وقد قيل إنه عاش ٢٥ أو ٢٦ سـنة، وبرواية أخرى ٣٥ سنة، وبناءً على هذا فإنه قد ولد سنة ١١٩٩/ ١٢٠٠ وبأصح الروايـات سنة ١١٩٠ هـ ق.

إيروان وهناك عرضت على مسامع الملك قصائده وغزلياته[1]، وبعد عودة الملك إلى العاصمة (شهر رجب سنة ١٢١٩هـ ق) تربى مجمر في كنف معتمد الدولة[2]، ولقب بلقب "مجتهد الشعراء" سنة ١٢٢٢هـ ق، وهو العام الذي توفي فيه مير سيد محمد سحاب ابن هاتف، و "كتب ميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة بخطه الشريف فرمان لقبه مجتهد الشعراء"[3].

وقد ظل مجمر لسنوات نديما لحسنعلي ميرزا بن فتحعلي شاه، وكان يجد من الأب والابن الجوائز والإنعام والملاطفة، و "لو كان قد امتد به العمر لوصل بالتأكيد إلى أعلى الدرجات"[4]، ولكنه للأسف توفي في ريعان شبابه سنة ١٢٢٥ هـ ق[5].

---

(١) منها قصيدة بهذا المطلع :

- عندما ظهر هلال صفر في سقف القبة الخضراء كان بالفعل كخط ذهبي فوق الكرة الزرقاء .

(٢) ولكن بعد ذلك "دفعته وساوس أصحاب السوء وهواجسه النفسية لمخالفة أستاذه ومربيه والوشاية به، علاوة على أنه ميز نفسه على الأستاذ في مرتبة الشعر والفضل... فاستاء منه معتمد الدولة ودعا عليه بالهلاك، فأخبره هؤلاء الحاسدون بحال معتمد الدولة فأدرك أنه أخطأ في حقه فطلب منه السماح ولكنه لم يفلح في ذلك، وكان سهم دعاء الأستاذ قد أصاب الهدف ولهذا فقد مرض وتوفي " (مجلة يادگار، السنة الخامسة ، العدد ١ و ٢، نقلاً عن كتاب حديقة الشعراء.

(٣) مقدمة ديوان مجمر، طهران، ١٣١٢.

(٤) رضا قلي خان هدايته، مجمع الفصحاء، الطبعة الثانية، طهران، ج٥، صفحة ٩٧١.

(٥) أورد محمد طلعت الأصفهاني تاريخ وفاته بهذا الشكل في إحدى القطع :

لقد طلب طلعت من العقل تاريخ رحيله فقال قل "رحل الشاب سيد حسين مجمر"

والأشعار التى نظمها فى أثناء إقامته فى أصفهان ليست موجودة ، إلا أن بعض أصحاب التذاكر الذين التقوا به فى أصفهان قد شهدوا على شهرته وصيته هناك. وقد ترك مجمر قصائد وقطع وتركيب بند وأشعار فى الهزل والهجاء ومثنوى بأسلوب تحفة العراقين للخاقانى وقطع نثرية بأسلوب گلستان الشيخ سعدى، أما ديوانه الذى يشتمل على حوالى ثلاثة آلاف بيت فقد طبع فى طهران سنة ١٣١٢.

ويعد مجمر من شعراء القصائد، وقد مدح الملك وابنه وأعيان الدولة فى أغلب قصائده التى قد نظمها بأسلوب الأنورى والخاقانى والمعزى.

ومن قصائده :

فى أنحـــاء العـــالمين، مـــن الظـــاهـــر والباطن

أجــمـــل الأشيـــاء التـــى خُلقـــت بفضـــل الله

من العقـــول الأول ومـــن الأرواح القـــدس

من الأعضـــاء العيـــن ومـــن العـــروق الشـــريان

من الـــرســـل جبـــريـــل ومـــن البشـــائر البعثـــة

ومن الأصـــول التـــوحيـــد ومـــن الفضائل الإيمان

من الســـادة أحمـــد ومـــن العبيـــد يـــوســـف

من الأوصياء حيدر(سيدناعلى) ومن الأتقياء سليمان

من الخواص الضاحـــك ومن الفصـــول النـــاطـــق

من الأجناس الجـــوهـــر ومـــن الأنـــواع الإنســـان

من السجاجيد المروج الخضراء ومن القطرات الندى

من السحـــــب آذر ومـــــن البحـــــار عمـــــان

من القبـــلات الكعبـــة ومـــن الأعمـــال الطـــاعـــة

من الأعيـــاد الأضحـــى ومـــن الفـــدى الأضحيـــة

وقصيدة فى التهنئة بعيد الفطر :

الحمـــــد لله أن تحـــــولت مـــرة أخـــــرى

السجـــادة إلى الكـــأس والتسبيـــح إلى الزنار

فقد رحل هؤلاء الذين فتحوا باب زاوية الشيخ

ورحـــل أولئك الذين أغلقوا باب منزل الخمار

وعـــاد صفـــاء قلب الماجنين شاربى الأقداح

وعاد قفـــل باب التزوير ومفتاح باب الأسرار

فليس فى مجـــال الوعظ إلا الواعظ وهو أيضًا

مثل النقطـــة عديمة الفائدة داخل دائرة الفرجار

كم يستغرق الانتقال من المنزل إلى المسجد بحثًا عن الإيمان؟

عمومًا الأحبة لا يبيعون الهم فى السوق

إن ذرة غبار واحدة من طريق الحبيب بمائة تسبيحة من تسبيحات الزاهد

وحديث واحد من شفاه المحبوب بمائة دفتر من دفاتر الواعظ

وأغنية واحدة من قلب الصنج بمائة آذان للمؤذن

ولحن واحد من أوتار العود بمائة ابتهال مسجع

لـــو أن الـــزاهـــد لم يقـــل كـــلامًا فـــارغـــاً فلمـــاذا

لا يلقـــى قـــوله بعـــد ثلاثيـــن يـــومًا ســـوى الإنكار !

لقد صمنا ثلاثين يـــومًا ولم نر ســـوى تعـــب القلـــب

وضـــعــــف الجســـــد واصفـــــرار الـــوجـــه

لـــو كـــان للصـــوم روح وجســـد، لكـــان

كالمرحاض المهجور والسيف الذى اعتلاه الصـــدأ

لقد أقبل العيد وولى الصوم فأعطنى الخمر فلم أعـــد

أتحمـــل الخجـــل مـــن الخمـــار أكثـــر مـــن ذلـــك

لـــو أنه لا ينبغـــى رفـــع الكـــأس علـــى الشفـــاه

فلماذا يظهر القمر فى السماء على هيئة فم الكـــأس ؟

من الآن فصاعدا أنا ولذة العيش التى لا عيش بدونها

من الآن فصاعدا أنا والعمل الذى لا ينبغـــى غيـــره

إن الحفل والمنادمة والغناء كلهـــا من لـــذة العـــيش

والخلـــوة والصحبـــة والمنـــادمـــة كلها من الحبيب

وفى أحجية القلم :

أنا سحـــــابة أنثـــــر الجـــــواهـــر أنا مثـيـــرة غـــضـــب بحر عمـــان

أرأيت الطائر الذى ينثـــر العطـــــر؟ فأنا ذلك الطـــــائر أنثـــــر العطـــر

أنا ثعبان ولكنى لست فى طبع الثعبان يخرج الشهـــد مـــن طـــرف سنتى

أنا ناثـــر السكر كما أننى ناثر العبير أنا شفة المحبـــوبة وذؤابـــة الأحبة

كـــل مـــا هـــو ســـر فى الفـــــلك خـــرج كلـــــه مـــن جـــيـــبـــى

لى فـــى نثـــر الدر وصـــب الجواهر طبـــع الـــوزيـــر ويـــد السلطـــان

و له أيضًا هذا الغزل :

لو كنت أنت صاحب الشهد والآخرون هم أصحاب اللدغات

فـــــأنا معـــــك إذن لا أدرى بـــنفـــــسى

فى أى عضو من أعضائك تُطبع القُبلة ؟ إن الفقير لا يعرف

مـــاذا يفعـــل عنـــدما يجلـــس على مائدة السلطان

الكـــل يســـتـــحـــق وصـــالـــك وأنـــا أقـــلـــهـــم

الكــــل حيــــران فـــى جمـــــالك وأنـــا أكـــثرهم

تضرب السيف ولا تعلم كم هو حاد على الآخرين

كـــذا الذئـــب فى القطيـــع لا يعـــرف حـــالة الشاه

إذن ماذا يريد هؤلاء القوم من الأرواح الجريحة ؟

إذن عـــم تبحث هذه الجماعة فى القلوب المهمومة؟

أسيــر فــى طــريــق ولكــن بآلاف الأمنيــات

أضــــــع قــــــدمًا ولكـــــن بآلاف الهـــمـــوم

لقد ذهـــب "مجمـــر" إلى بـــلاط الملك، فقل للفلك

مهما فعلت فإنه سيأتى عندى وبعد ذلك سيكون عندك

* * *

تارة يأخذونى إلى الحلم والخيال وتارة يوقظوننى

حبذا خصم الصباح، حبذا الصديق الملازم !

لا ضير إذا دخــل الخــــراب من الســقــف والباب

فإن بيت الماجن خراب وبيت الشحاذ بجوارى

أنت لم تمسسك النار كى تعلم كيف أعتصر ألمًا من شدة الحزن

إن السيد سيبيع لى همه فى مقــابل ملــك العالم لكن

قــل لى كيــف ســأبيــع هــمّى أنا الغلام

كيف لا أشكــو وأنت لا تعــــرف مــاذا حــدث لنا

ولمـــاذا أصرخ وأنت تعلم ماذا فعلت بنا ؟

إذا كنت أنت لا تقدر على أن تغمض عينك أمام الغير

فكيف أستطيع أنا أن أخفى المنة عن العين

لقد دعانى "مجمر" الليلة إلى حفله وأنا أعلم

أنه سيعطينى النصائح حتى الصباح ولن أصغى إليها

٥- وصال :

ميرزا شفيع الشيرازى المعروف بميرزا كوچك والمتخلص بـ "وصال" يعتبره مؤرخو الأدب الإيرانى هو الآخر واحدًا من أكبر شعراء عهد فتحعلى شاه وابنه محمد شاه. ولد وصال فى عهد سلطنة كريم خان الزندى سنة ١١٩٢ أو ١١٩٣ (وبرواية أخرى سنة ١١٩٧هـ ق) فى أسرة شيرازية محترمة لأب يدعى محمد إسماعيل، ودرس العلوم المتداولة فى عصره عند علماء العصر ومنهم ميرزا أبو القاسم سكوت أحد الصوفية المشهورين، وتعلم كتابة أنواع الخطوط ووجد طريقه إلى مجالس الأنس فى ظل استعداده الأدبى وخطه الحسن وصوته الجميل وتخلص فى أول أشعاره بـ "مهجور" ، وحينما ذهب فتحعلى شاه إلى شيراز لتفقد منطقة فارس سمع عن مكانة وصال وفضائله فطلبه للحضور، فقدم له وصال مصحفًا كان قد كتبه بأنواع الخطوط السبعة واستخدم فى تذهيبه وتجليده قمة الفن والمهارة وأنشد أيضًا قصيدة منها هذه الأبيات :

يا مملكة جمشيد، بفضل الجناح الذى وصل به ملك العجم

امتلكت تاج خسرو ووصل إليك عرش جمشيد

إن روضـــة الســـرور قـــد تجـــاوزت خـــطر الخـــريف

واستقبـــل يـــوم الأمـــل نســـمـــة الصبـــــاح

برغـــــم أنك يا فـــــارس قـــد سعـــــدتى بظـــل المـــلك

فلتسعدى أكثر فقد وصل إليك أيضًا ظل الله ...

ويقال إن الملك قد أثنى على وصال لسعيه واجتهاده من أجل بلوغ الكمال، وأعطاه جائزة قدرها ألفا تومان، وخصص له مبلغًا من المال ومساعدة عينية كل عام.

وكان وصال رجلاً حنونًا وزاهدًا وحسن المعشر، وكان له أصدقاء كثيرون من بين أهل التصوف والأدب، وأقام علاقات وطيدة خاصة مع قا آني، والأوقات التى كان فيها قا آني فى شيراز قضاها الاثنان معًا فى الغالب.

وقد أصيب بالعمى فى آخر أيام حياته وتوفى بشيراز سنة ١٢٦٢ هـ ق فى عهد سلطنة محمد شاه القاجارى وهو فى التاسعة والستين من عمره.

وقد قام وصال بترجمة "أطواق الذهب" للزمخشرى إلى الفارسية وألف رسائل أيضًا نظمًا ونثرًا فى الفلسفة والكلام والموسيقى والعروض وتفسير الأحاديث، وألف كذلك كتابًا بعنوان "صبح وصال" بنفس أسلوب الجلستان، وقد طبع ديوان وصال فى طهران طباعة حجر فى مجلد كبير قد اشتمل على مدائحه ومراثيه ومثنوياته وغزلياته وأعماله الأخرى.

شعر وصال : يعد وصال أستاذًا فى فنون الشعر، وبرغم تقليده للسابقين فقد حافظ على السمات الأساسية لأفضل نماذج الشعر الكلاسيكي، ونظم مثنوى "بزم وصال" فى بحر المتقارب، وأتم بمنتهى المهارة والكفاءة قصة "شيرين وفرهاد" لوحشى والتى كانت ناقصة، لدرجة أنه من الصعب على أى ناقد دقيق النظر اكتشاف وجه الاختلاف بين بداية القصة ونهايتها، كما أن محاكاته البديعة لغزليات سعدى تتميز كلها بدقة النظر.

ويعتبر وصال شاعر مدح وشاعر قصيدة وبه كل صفات أى شاعر ينتمى للبلاط، وقد مدح فتحعلى شاه ومحمد شاه وشجاع السلطنة وحاكم فارس وعددًا من أعيان فارس، وديوانه كما يقول هو نفسه "مملوء بمدح النجباء" ومع هذا كان قد أدرك مثل سابقه سيد محمد سحاب عدم قيمة شعر البلاط وظل يعانى من الحرفة التى كان قد احترفها :

أما من أحـــد يقــول لى ما هذا الكلام الفارغ

أى قبيــــح فى القــول والفعــل والســلــوك

أية حــــرفــــة هــذه التـــى احــتــرفــتها

فعلى عين القلب مشرط وفى قدم العقل شوكة!

هل أصبحت معلمًا للأدب، وعلى هذا أصبحت يائسًا ؟

هل صـــرت بليغـــًا، وعلى هــذا صـــرت حقيـــرًا؟

برغــم أن الفن أنقص من قدرك فإنك قد أثريته كثيرًا

فهــل تليــق كــل هــذه الحقــارة بفنــان كبيــر !

أثـــريـــت الفــن علــى حـســـب المقـــدور

وهــــو أنقــص مقــدارك أكثــر مــن المقـــدور

مـــاذا وجــدت مـــن القـــوام حتى تقوسه بهذا الشكل

ومـــاذا رأيت مـــن العين حتى تجعلها مظلمة هكذا؟

ديـــوانك مملــــــــــوء بمــــــدح النجـبـــاء

ولــــم يكـــن فى كيســك لا درهـــم ولا دينـــار

ثمـــة جمـــاعـــة قــد سلكـت هــذا الطريق من قبل

فالفائدة كلها فى هذه الحرفة والنفع كله فى هــذا العمل

لـــم يجلـس أكفــأ الأشخـــاص بجـــوار الملك مثلهم

ولـــم يدخــل أهـــم الأشخاص البلاط مثل هؤلاء القوم

إنك تـــرى بعينـك كيــف كسـد ســوق الأدب حاليًا

فلمـــاذا إذن تهجـــم علـــى الســوق بكــل حمـــاس ؟

أما الأفكار والمضامين الجديدة أو الابتكارات اللفظية فلا نجدها فى ديوانه، كل ما هناك هو انعكاس لأشعار كبار الشعراء السابقين بمهارة وأستاذية فحسب، وبرغم ذلك فإن قراءة أشعاره تمنح القارئ متعة فنية كبيرة، وكل بيت من أشعاره يعيد إلى الأذهان بيتًا من أشعار الأساتذة القدامى. وقد زادت شهرته الأدبية كثيرًا بفضل مراثيه المؤثرة التى قد نظمها بأسلوب محتشم الكاشانى نفسه .

ومن قصائده :

إن الجميع أيها الملك من البر والبحر والسمـــاء والنجـــوم

يعتـــرفـــــون ويقـــــــرون بـــأن المـــلك ظـــــالـــــم

ومن بيـــن هـــؤلاء البحــــر الذى يشكـــو من ظــلم الملك

فيقول : لقد جف مائى بسببه واستويت الآن على الأرض

لقـــد أخـــذ كـــل مـــدخـــراتى ولـــم يقـــل هـــو نفســـه

إن هذه ليست أرضًا حصوية وإنما هى جواهر ومـــرجان

وسكـــت البحـــر ورفـــع الجبـــل رأســـه وقـــال حقًـــا !

فـــإن لى قـــلب يحتـــرق بشـــدة مـــن هـــذا الملك الجواد

إن مـــا رأيتـــــه مـــــن المـــــلك لـــــم يـــــره البحـــر

فكيـــف يتســـاوى المـــرجـــان باليـــاقـــوت الأحمـــــر !

إن الياقوت الأحمر الذى كان محرمًا إلا على تـــاج الملوك

صـــــار أكثـــر إذلاةً مـــن الجنـــود عنـــد بلاط الملـــــوك

هـــل رأيـــت ذهبـــى وتلك العـــزة التـــى كـــان عـــليـــها

لقـــد تســـاوى الآن بتـــراب الطـــريـــق بســـبـــب جـــوده

إن الجبـــــل وأحـــــجـــاره الآن أمـــــام سخـــاء المـــــلك

وكـــــذلك أمـــــــام حلمـــــــه أقـــــــل مـــــن التبـــن

فـــرفعـــت السمـــاء رأسهـــا وقـــالت : وأنا شكـــوتى أكبر

فـــإن ثلجـــــه يتـــــزايـــد بينمـــــا سقفـــــه يـــرتفـــــع

ونجـــــومـــى التـــى لا حصـــر لهـــا، أمـــام جـــيـــشـــه

لا تظنهـــــا نجـــــومـــًا فجميعـــهـــــا محبـــوســـــة

والشمـــس التـــى ظلـــت عيـــــن ومصبـــــاح الـــدنيـــــا

قـــــد امتـــــلأ قلبهـــا بالنـــار مـــــن مجمـــــرة الملك

مـــــا إن قصـــــــد أســـــد رأتـــه السمـــــاء

صــار أســدى كـالثعلـب الهـــزيــل مـــن شدة الخوف

ونســـــرى الجـــائـع أرســـــل إلى صقـــر المـــــلك

أكثـــر مـــن مـــائة شــكــوى علـــى جنـــــاح الحمـــامـــة

إن هــذا ليــس ملكــاً إنـــه عــــدو البحــــر والمنـــجـــم

إن هــذا ليـــس ملكـــاً إنـــه وبـــاء السمـــــاء والنجـــــوم..

ومن غزلياته :

اتـــفـــقـــــــت عـــيـــنـــــاك علـــــــى قـــتـــلـــى

فقامت الفتنة وعندما هدأت عربدت كل منهما مع الأخرى

كـــل حـــاجـــب مـــن حـــاجبـــيـــك يكفـــى لقـــتـــلـــى

مــــاذا أفعـــل مــــع هـــذين القـــوسين اللذين تحالفا معًا ؟

إن الشيـــخ محطـــم الكـــوؤس قـــد لقـــنـــنـــا التـــوبـــة

وآه من هذه التوبة والكأس اللذين حطم كل منهما الآخر !

إن عقلـــــى قـــــد تشـــتـــت مـــــــن أمـــر الـــدنيـــا

فقـــــد انحلـــت جـــــديلـــتـــه وعقـــــدت أمـــرى

إن طائر القلب لمّاح ولكن الفكاك من هذا الفـــخ محـــال

فـــإن ثنيـــات ضفيـــرته مجـــدولة معـــاً كـــالأنشـــوطة

حـــاولـــت أن أشـــد سهـم عـــشـــقـــه مـــن قـــلبـــى

فضــــربنـــى بسهــم آخـــر وربــط القــلب واليــد معـــاً

مـــن الممكـــن جمـــع أى نقيضين معًا بالحيلة يا "وصال"

إلا الـــراحـــة والعـشـــق فـــإنهمـــا لا يجتـــمعـــان

* * *

لقد صـــوّرك الله بـــذلك الشكـــل الذى كان يريده

فكيف لا أشكر الله أيها القمر على أنه قد صورك؟

كـــل مـــن هـــو قصيـــر النظـــر يظـــن

أن كـــل هـــذه الفتنـــة مـــن وجهـــك فاتن القلوب

والوجه الجميل يملكه الجميع فلماذا لم يخطف القلـــوب ؟

إن فتنتـــكِ وسلبكِ للقلـــوب مـــن روحـــكِ الجميلــــة

إذن يـــا مـــن أنتِ الكعبة المقصودة أرينا خدًا واحـــدًا

فـــإن مـــن كـــل ركـــن يقصـــدكِ مـــائتا مســـافـــر

إن الغمزة الجريئة والنظرة الفاتنة والأهداب السفـــاحة

كلهـــا مـــن أسلحتـــكِ المجهـــزة لقتـــلى

لو فقدت روحى أنا العاشق المتيم بسبب لوعة حـــبك

مـــاذا يهمـــكِ أنـــتِ أيتها المعشـــوقة المحبـــوبة

نحـــن معـــك أطهـــار وأصفيـــاء القلوب كـــالمرآة

فـــانظرى مـــن مـــرآتك حتـــى يظهـــــر لك ذلك

لا تـــذكـــر "الـــوصـــال" ولا تمـــــر علـــــى باله

فإن الراحة التى نلقاها منكِ ليست هى التى نلقاها منا

* * *

مـــن ذا الـــذى رآك ولـــــم يغـــــادره قلبـــــه؟

أو من ذا الذى جاء إلى حيك ولم ترحل عنه نفسه؟

إن يـــد السعـــى لـــن تحقـــق المطلوب أيها القلب

وإلا فـــإننى قـــد حـــاولـــت كثيـــرًا ولـــم أنجح

لقـــد جئت إلـــى هـــذا الحـــى مـــن أجـــل الآخرين

وإلا فـــإن المنعـــم لـــم يطـــــالب الفقيـــر بالـــديـــن

لا تترك ذيل ثوب الحبيـــب بسبـــب لـــوم الآخـــرين

فإن الإنسان لا يرحل عن باب الحبيب بسبب الوشاية

بحثت عـــن قبلة من شفاهه فأصـــابنى سهـــم أهدابه

مـــن ذلك الشخـــص الذى بحث عن العسل ولم يلدغ

إن عقيـــدة عشـــاقـــك هـــى الـــذبـــح قـــربانًا لك

وأنا قـــربان الغـــريـــم الذى لم يرتد عن هذه العقيدة

ومن مثنوى "بزم وصال" [حفل وصال] :

كانت الليلة العاشرة من الشهر ولم يكن القمر مكتملاً

وكأنه رسم كحاجب جميلات الفرنجة

حسناء فاتنة، جميلة وجذابة

آفة الهدوء ووباء الصبر

وردتها مسكية وسنبلها بائع الورد

قمر يرعى المساء، وليل يحجب الصباح

في قامة الصنوبر وفي وجه الشمس

خالان مسلوبان، وساحرتان ناعستان

صدرها عين بللورية اللون

وداخل تلك العين قلبها الحجرى كالرخام

عندما كان كفها المنقوش على كأس الخمر

ظهرت الشمس في الحال من وراء الهلال

ربما قد أصبح مفتوناً بوجهها فقيد نفسه بضفيرتها...

إن الدنيا ساعة فرح وساعة حزن وكل حزنها وكل فرحها قليل

لقد كان هناك جبل أكبر من جبل قاف

وكان كل شق من شقوقه يستوعب جبل قاف

الأرض مـــن تحتـــه مختفيـــة نظـرًا لعظـمـتـه
وكأنهـــا نملـــة حبيســـة فى فـــم بعـــوضـــة
والشمـــس ياقـوتة حمــراء تدحــرجـت مـن منجمــه
اعتــرضتهـــا السمـــاء فـى منتصـــف الطــريق
فـــأمـــرتهـا بالانشطـــار إلـــى نصـفـيـــن
نصف عن اليمين والآخر عن اليسار والصعود فوق الجبل
مـــن سيفــه لحـــق بــراكبـــى الجيـــاد مـــا
لحـــق بالمتـــاطـــق الجبـلـيـة مـن البـــرق
عجـبًا كـل مـن كـان يلقـى مـنه سـيـف الانتقـام
كـان يتخلـص مـن المغفـر ويتحـرك نحـو السـرج
لقـد أضحـت الأرض سمـــاءً مملـــوءة بالنجـــوم
وأصبـــح كـــل نجـــومهـــا الجـــوزاء...

ومن مثنوى فرهاد وشيرين :

تأهـب المـاهـــر لنحـــت الأعمـــال الفنيـــة
وبضـــربـــات البلطـــة شـــق ذلك الجبـــل
وصنـــع تمثـــال تـــلك الجـميلـــة
فكـــان شـديد الشبـــه بهـا والتبـــس عليـه الأمر

فقـــد سحـــب الخصـــلة العنبـــرية تمـــاماً

كمـــا رآهـــا ذلك القلـــب الـــذى تـاه فيهـــا

وأغلـــق الفـــم ومنـــع النـــار

التـــى كـانت تشتعـل بسبب كـلامه الكـاذب والبـذئ

وجعـل قلـب التمثال قـاسيًا وعـديـم الـرحمة

تمـامـاً مثـل قلبهـا الحجـــر الصـــوان

فـالشفـاه البـاسمـة تعنـــى أننـا مقـــربـون

والـــرأس المطـأطـأة تعنـــى أننـا أوفيـاء

نظـــرة حميمـــة تعنـــى أننـــا مـواســون

لســان ناعـــم يعـــنى أننـــا مـــدبـــرون

إن الحسناء الفاتنة قيدته من الرأس إلى القدمين لدرجة أنك

لـو كنت أنـت مكـانه لسلمتهـا القلـب فـى يـدها

ولمّا فــرغ مــن نحــت ذلــك التمثـــال

وضـع رأسـه ناحيـة قـدمهـا بسـبب اضـطـرابـه

وصـرخ قـائلاً حقـق لـى أملـى أيهـا الصنـم

انظـر إلـى عـدم تحملـى وامنحـنى الـراحـة

إن العشـق المحتـال قـد قيـد يـدى لـدرجـة

أننـى أنا نفسـى أصبحـت وثنيًا وأيضـاً عـابدًا للصنم

الفصل الثانى : كتاب النثر

مقدمة :

نظرة إلى الماضى : فى الفترة المظلمة من تاريخ إيران التى تبدأ من أوائل القرن السابع وانقراض الدولة الخوارزمية على يد المغول عام ٦٢٨هـ حتى أوائل القرن العاشر وظهور الشاه إسماعيل الصفوى عام (٩٠٥)، هذه الفترة التى امتدت لما يقرب من ثلاثمائة عام حكم فيها المغول والتيموريون وأخلافهم وبعض الأسر الإيرانية فى أجزاء من إيران، كانت اللغة الفارسية والنثر الفارسى قبل هذه الفترة مكتظين بالكلمات العربية نظرًا لسيطرة العرب، وخلال هذه الفترة دخل إلى اللغة الفارسية عدد كبير من الكلمات والاصطلاحات التركية والمغولية والجغتائية فى الأمور العسكرية والقضائية والاجتماعية والأسماء الخاصة والمصطلحات العامة ، كما دخلت اللغة الفارسية عبارات وتعبيرات من اللغة المغولية. آثار هذه الفترة مليئة بالأنين والشكوى وعدم الاهتمام بالدنيا والحياة الدنيوية، ومشحونة بالأفكار الصوفية والروحانيات الغيبية والغامضة وابتعد النثر الفارسى عن السهولة والبساطة وأثقلته الصنعة اللفظية.

ويُعد أديب شرف الدين عبد الله الشيرازى الملقب بوصاف الحضرة مؤلف كتاب (تجزية الأمصار وتزجية الأعصار) [١] الذى يعرف بكتاب

---

(١) بُدئ تأليف هذا الكتاب فى عام ٦٩٩هـ، وتم تقديم القسم الأول من هذا الكتاب إلى غازان خان عام ٧٠٢هـ، وبقية الكتاب إلى أولجايتو سلطان محمد خدابنده.

(تاريخ وصاف) هو (المفسد الأكبر للغة الفارسية) [١] لم يكن التاريخ فى يد هذا الرجل سوى أداة للتكلف والسجع، واعترف بنفسه أنه لم يكن يقصد كتابة التاريخ، بل إظهار الفصاحة والبلاغة، حيث يقول (إن هذا الكتاب عبارة عن مجموعة صنائع وفهرست بدائع وقاعدة للأساليب البلاغية وقانون البراعة، وإن الأخبار والأحوال التى هى صلب علم التاريخ تتضح مضامينها ضمناً".

هذا الرجل وضع قاعدة سيئة وبعد ذلك (للأسف تبعه وقلده عدد كبير)[٢] مثل شرف الدين اليزدى مؤلف ظفر نامه، وصاين الدين على تركه، ووحيد القزوينى مؤلف تاريخ شاه عباس الثانى الصفوى، وبعد ذلك ميرزا مهد يخان مؤلف كتاب جهانگشاى نادرى ودرهء نادره.

فى فترة حكم الدولة الصفوية والسنوات التى تلت انقراض هذه الأسرة المليئة بالاضطرابات حتى أوائل العهد القاجارى، تعرض الشعر الفارسى للأفول والانحطاط فضلاً عن إننا لا نجد أعمالاً نثرية مهمة فى هذه الفترة[٣]. كان الملوك الصفويون متعصبين للمذهب الشيعى ولم يهتموا سوى بكتب الأحاديث والأخبار والفقه والأصول، كذلك لم يكن هناك مجال للكتاب

---

(١) إدوارد براون : تاريخ آدبيات إيران از آغاز عهد صفويه تازمان حاضر ، ترجمة : رشيد ياسمى ص ٢٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٨.

(٣) جدير بالذكر أن خوندمير حفيد ميرخوند الذى ولد فى إيران وكان يعيش فى الهند فى بلاط أكبر شاه كتب تكملة لتاريخ جده، كما خلفت الفترة الأخيرة من العصر الصفوى عدة كتب قيمة مثل تاريخ شيخ على حزين والذى لا يزال باقيًا لكن هذا الأثر القيم به تكلف وتصنع ومليء بالأوضاع المؤلمة لهذه الفترة وكان يحكى عن القتل والغدر والخيانة.

والفنانين نتيجة للفوضى التى عمت البلاد بعد انقراض الأسرة الصفوية.

ونثر هذه الفترة، التى أعقبت المرحلة الماضية - نثر مليء بالغموض والتكلف والكنايات الثقيلة والملتوية والكلمات العربية الغليظة فانحسرت اللغة الفارسية الأصلية، الأمر الذى كان يتطلب جهدًا كبيرًا لفهم هذا الأسلوب حتى من جانب الكتاب وأصحاب القلم وأدى هذا إلى ظهور كتاب (دره‌ء نادره) الذى يعد قمة هذا الأسلوب الصعب.

كاتب هذا الكتاب هو ميرزا مهديخان الاسترآبادى كاتب نادرشاه الذى بالغ فى تقليد أسلوب وصاف، بل وزاد على أستاذه فى التركيبات اللفظية الغامضة والكلمات العربية الشاذة، وأورد فى كتابه آيات قرآنية، وتمادى وأفرط فى هذا حتى أضاع الهدف الأصلى من الكتاب من خلال أسلوب المقامة واستعراض الصنعة، حيث إننا إذا حذفنا العبارات الفنية جميعها لن يتبقى لنا سوى عدة صفحات. وديباجة هذا الكتاب هى فقط التى توضح الغرض من تأليف هذا الكتاب، ومع أن كل القراء الأفاضل وأهل الفن اعتادوا كذلك على هذا الأسلوب من الكتابة الغامضة والملتوية إلا أنهم سوف يتعبون ويملون من قراءة هذه الصفحات(١).

وهذا الأسلوب فى الكتابة الذى انتشر فى القرن الحادى عشر والثانى عشر لم يكن مستخدمًا فحسب فى الكتابة التاريخية والمتون الأدبية بل استخدم كذلك فى الرسائل الرسمية والبلاط والأحكام و(القرارات)

---

(١) للتعرف على النثر المشحون بالكلفة لميرزا مهدى خان ارجع إلى الاسترآبادى، ميرزا مهد يخان (كاتب نادر شاه) دره‌ء نادره، باهتمام جعفر شهيدى، طهران مؤسسة آثارملى سنة ١٣٤٢ش.

والفرمانات، حتى أن الرسائل التى كتبت إلى ملوك أوربا كانت قد كتبت بهذا الأسلوب.

النثر فى عهد الدولة القاجارية

فى عهد الدولة القاجارية كانت الغلبة للشعر، أما النثر فكان فى المرتبة الثانية من حيث الأهمية، وكما رأينا فإن النهضة فى الـشعر الفارسـى قـد ظهرت من أجل العودة إلى أسلوب القدماء، لكن الاهتمام بالكلام المنثور كان قليلاً ، وهذه النهضة والثورة فى النثر لم تكن فقط قد تأخرت بل كانت أيضًا بطيئة جدًا. ونثر هذه الفترة كان غالبًا ما يكتـب بـنفس العبـارات ونفـس الأسلوب والطريقة التى كتب بها من قبل وليس له أهمية تُذكر من الناحيـة الأدبية. وكتاب النثر فى هذا العهد مثل فاضل خان كروسى، وعبد الـرزاق بيك دنبلى، وميرزا صادق هماى المروزى كاتب الوقائع فى مجلس فتحعلى شاه، وميرزا جعفر رياض الهمدانى كاتب السفارة الإنجليزية، وميرزا طاهر شعرى كاتب مقدمة كتاب (گنج شايـگان)، وميرزا عبد اللطيف مترجم كليلة ودمنة ومؤلف كتاب (برهان جامع درلغت)، وميرزا حيرت متـرجم كتـاب (تاريخ سرجان ملكم) أحد فضلاء الهند، وميرزا عيسى قائممقام الفراهـانى، وميرزا تقى على آبادى صاحب الديوان، وميرزا حبيب الله قا آنى، وميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة نشاط، وميرزا رضى التبريزى وآخـرين. كـانوا مرتبطين بهذا الأسلوب إلى حد ما دون أن يحـاولوا الترويج له. واسـتمر هـذا الوضع حتى أواسـط فترة حكم ناصر الدين شاه. على الـرغم مـن وجود محاولات إصلاح النثر الفارسى على يد أناس مثل أبى القاسم قائمقام،

وقد استمر هذا الأسلوب متبعًا من قبل كتاب كثيرين ليس فقط في المكاتبات والرسائل الخاصة بل في المكاتبات الموجهة لملوك الدول، وتم استخدام العبارات الطويلة والسجع الأمر الذي كان يثير الضحك، ونرى ذلك أيضًا في فرمانات الدولة والرسائل الرسمية لهذه الفترة. وكنا نتعجب كيف كان الملوك والوزراء معجبين بهذا النوع من العبارات الجوفاء ويغدقون الأموال على هؤلاء الكتاب ويقربونهم إليهم من أجل هذه العبارات التي ليس لها معنى. ولتوضيح هذا البحث والاطلاع على التطور التدريجي الذي حدث في النثر الفارسي سوف نعرض عدة فقرات من المنشورات والقرارات والرسائل الرسمية التي صدرت بتواريخ مختلفة وسوف نعرضها حسب ترتيبها الزمني مع شرح لأحوال عدد من الكتاب المشهورين في هذه الفترة.

مقدمه قرار نائب السلطنة والذي بموجبه تم تعيين ميرزا محمد رضا صاحب ديوان الرسائل حاكمًا على ولاية آذربايجان وتفويضه على قرية ميلان التابعة لتبريز والتي كانت إقطاعية لوالده ميرزا رضا[1].

"ذلك الذي رقم بأساليب ديوان (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) [2] حتى طرزوا رسائلنا بطراز (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [3]، ووقعوا فضائلنا بخاتم (وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ) [4]، فقد أضحت فطرة سجيتنا وجلبت نيتنا مقرونة ببذل الكرم، ونشر النعم، وفصل الخطاب، وأفاضه الصواب، وكفالة المهام، ووكالة الأنام، وكل مختصر لمجمل هو تفضيل لمعاني

---

(١) صاحب كتاب زينة التواريخ والذي سيرد ذكره فيما بعد.

(٢) نون للقسم – سورة القلم آية ١.

(٣) سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

(٤) سورة الفتح، آية ٢٠.

ذاتنا (وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً) [1] وأضحى لكل صاحب تربية تفضيل من الكـــرم الكافى (فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُـــونَ فَتِيلاً) [2] ونعم الســـابقون (أُولَئِـــكَ الَّـــذِينَ يَـــدْعُونَ يَبْتَغُـــونَ إِلَـــى رَبِّهِـــمُ الْوَسِيلَةَ) [3] من سعاده (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى) [4] وحضرتنا التـــى هى مهبط أنصاف، وصلوا إلى درجة (السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) [5] (فَأُولَئِكَ لَهُـــمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى)[6] والرضوان بعدل أمرنا الذى هو باقتضاء أصل الرضـــى ودأب المرضى فى الكتاب (لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) [7] ثم (فَلاَ كُفْرَانَ لِـــسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ) [8] وسمعوا بشارة عنايتنا التى هى بشير كرامـــة وأفـــضال وسمعوا (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَـــيْهِمْ فِعْـــلَ الْخَيْـــرَاتِ) [9] وكذلك (نَجْزِي مَن شَكَرَ) [10] (الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيـــرًا) [11] لأن صاحب المقام العالى ملاذ المجد والنجدة[12]"

---

(١) سورة الإسراء، آية ١٢.

(٢) سورة الإسراء، آية ٧١.

(٣) سورة الإسراء، آية ٥٧.

(٤) سورة الأنبياء، آية ١٠١.

(٥) سورة الواقعة، آية ١٠.

(٦) سورة طه، آية ٧٥.

(٧) سورة إبراهيم، آية ٧.

(٨) سورة الأنبياء، آية ٩٤.

(٩) سورة الأنبياء، آية ٧٣.

(١٠) سورة القمر، آية ٣٥.

(١١) سورة الإسراء، آية ٩.

(١٢) نادر ميرزا، تاريخ تبريز ص ٢٦٦.

فى هذه الرسالة أيضًا التى كتبها عبد الوهاب نشاط بناء على أمر فتحعلى شاه إلى نابليون إمبراطور فرنسا نجد أن العبارات الطويلة التى لا محل لها قد همشت الموضوعات السياسية:

"بعد تقديم آيات الشكر والامتنان لله الواحد الأوحد... الملك المكرم، كسرى الأعظم، الخديوى الأكرم، الإمبراطور الأعظم، ملك ممالك فرنسا وإيطاليا، أسعده الله وجعل الدنيا تسير وفق مراده، يا أيها الملك، أيها الموفق، منذ ذلك اليوم الذى انعقدت فيه أواصر الوحدة بين الدولتين، واتحدت غصون التآلف بينهما، وأصبحت بلون واحد وحتى اليوم، وبميامين الحظ السعيد لم ينفتل حبل المودة فى يد الألفة، ولم تحد روضة الإخلاص عن مشرب الماء الصافى وخصوصًا فى هذه الأيام فإن صاحب المقام الرفيع ... من حضرة فلك القدرة،... والحمد لله فإن الدولتين لم تتركا رسوم المودة والإخلاص لحظة واحدة، ولم تسلك أية خطوة إلا لتوثيق عُرى الوحدة. والعاملون بالدولة من هذه الناحية إذا نقشوا نقشًا على ألواح الضمير فهى مرآة صافية لصفحات الخواطر، وإذا تحدثوا حديثًا مهمًا فإن ما لهجت به الألسنة لهى ترجمات كافية.. والمخلصون فى هذه الحضرة نور وفأل سائر وعاكف فمرآة الصداقة صافية ومحطمة لآمال الأعداء.. سفراء وعمال الدولة ... دولة الفلك علامة الإقبال كمثال دائر وواقف وفى أداء الحضرتين فلك ثابت ومستقيم وأحيانًا فى عين الاستقامة راجع وأحيانا مقيم. والسلام".

ومن أجل إتمام هذا البحث وإطلاع القراء على التقدم والإصلاح النسبى والتدريجى الذى حدث فى النثر الفارسى نعرض فيما يلى الرسالتين اللتين بعث بهما فتحعلى شاه إلى إمبراطور روسيا بعد حادثة قتل السفير الروسى فى إيران (جريبايدوف) وكانت الرسالة الأولى فى (ربيع الأول)

والثانية كانت (فى ذى الحجة عام ١٢٤٥هـ) بعد وصول (كنياز دولجوروكى) السفير الروسى الجديد إلى إيران، والرسالتان كتبهما ميرزا أبو القاسم قائممقام الفراهانى:

«بداية الكتاب بسم الله العليم الخالق الحى القدير الذى لا مثيل له، ولا نظير، والمنزه عن السؤال، العالم العادل، وقاهر كل ظالم، وواضع الثواب والعقاب لكل خير وشر، فبحكمته البالغة يعاقب ويعذب المذنبين ويؤجر ويثيب المحسنين، وتحية عطرة على الأرواح الطاهرة للرسل الصادقين والأئمة الأبرار. وبعد، لا يخفى على الرأى كاشف الحقائق على الملك صاحب المقام العالى المنصف العادل، المتوج صاحب العظمة، ملك البحر والبر، الأخ كريم الأصل مبارك الطالع إمبراطور ممالك روسيا وملحقاتها، صاحب الملك العظيم وراية الفتح والنصر، لا أخفى عليكم أن سفير روسيا قد تعرض للأذى فى حاضرة إيران بحكم القضاء والقدر، والاشتباك بين رجاله والعامة فى المدينة، وحيث إنه صار من الواجب واللازم على المسئولين التابعين لنا تدارك هذه الحادثة، لهذا فى البداية أرسلنا ولدنا العزيز خسرو ميرزا إلى حاضرة الدولة البهية الروسية لتقديم الاعتذار والاحترام. وقد كتبنا ووضحنا بصدق الحقيقة الغائبة لهذه الحادثة وغفلة أمناء هذه الدولة فى آخر الرسالة.

ثانيا : نظرًا لما بين الدولتين الكبيرتين من تضامن ووحدة فإننا اعتبرنا القصاص لهذا السفير فى ذمة دولتنا وكل من كانت تحوم حوله الشبهات من أهالى دار الخلافة وسكانها فى التورط فى هذه الجريمة البشعة بشكل أو بآخر، أنزلنا عليه ما يستحق من قتل أو إقامة الحد أو النفى، كما عزلنا وعاقبنا رئيس الشرطة فى المدينة وعمدة الحى أيضًا على غفلته عن هذه

الواقعة وعدم الانضباط والسيطرة على المدينة والحى قبل وقوع هذه الحادثة. والأهم من كل هذا، الجزاء الذى لحق بصاحب المقام ميرزا مسيح على الرغم من مكانته كمجتهد فى الدين الإسلامى حيث كان يقتدى به زمرة الخواص والعوام، وبسبب تجمهر أهالى المدينة حوله فى أثناء وقوع حادثة مقتل السفير، رأينا أنه من غير اللائق العفو عنه نظرًا للوحدة بين الدولتين ولم نقبل شفاعة الشفعاء ووساطة الوسطاء بشأنه؛ ومن ثم لما كان من الضرورى إطلاع ذلك الأخ حسن السيرة على هذا التقرير فقد قمنا بتحرير رسالة الصداقة هذه ووكلنا ابننا المؤيد الموفق، ولى العهد عباس ميرزا، لإطلاعكم على تفاصيل الأحداث. ونرجو من الله دوام الصداقة والمودة بين الدولتين الخالدتين، واستمرار روابط الصداقة والوحدة بين الطرفين، وأن نقوى هذه العلاقات بتبادل الرسل والرسائل. والعافية فى الختام. تحريرًا فى شهر ربيع الأول عام ١٢٤٥.

الحمد والشكر لله الذى أراح القلوب الحائرة بإرسال الرسل، وإبلاغ الكتب، والرسائل رحمة بالخلق، وجمع الأمور المشتتة، والتحيات والنفحات على أرواح الرسل الصادقين وأمناء حضرة الخالق، الذين رفعوا الوحشة عن عالم الإنس ونقوا الخواطر من الأخطاء. وبعد فإننا نطلع الملك صاحب الجاه قائد الجيش المظفر الأخ المعظم المكرم حسن السير والطبع، صفوة الخالق، درة عقد المودة والصفاء، إمبراطور الممالك الروسية وملحقاتها الذى يتحلى رأيه الصائب بنصرة الخير وقهر الشر، وبحكمه المحكم المتين سيطر على البر والبحر، وحفظ ملكه الواسع الفسيح من كل جانب، ورفع عرشه العالى الرفيع إلى أعنان السماء، أن الرسالة الملكية تدل على الصداقة والرحمة...».

والآن نعرض أيضًا عبارات من الفرمان الذى صدر فيما بعد فى عهد ناصر الدين شاه بشأن حاجى جابرخان نصرة الملك، والد الشيخ خزعل خان :

«عندما تهب نسايم المكارم، وتبدأ روضة أزهار المكارم فى التفتح، فإنها تعطر رؤوس الخلق وتنير خلوة الرجاء، وتغمر روضة آمال العباد بالسحاب الفياض، وتوشح ديباجة إقبال المحبين بالعنايات والإنعامات الملكية، ولاسيما الأشخاص الذين أظهروا علامات الأمانة وحسن الإدارة فى الحضرة السلطانية العليا، وتقربوا بدلائل الصداقة والكفاءة، وبحكم الهمة الملكية الفياضة، حيث إن البحر الزاخر ذا الأمواج المتلاطمة ما هو إلا قطرة من كرمه، والسحاب الوابل ذو الأمواج المتراكمة ما هو إلا رشحة من نعمه، فيجب علينا أن نرفع قدر كل واحد بشمول العناية وإظهار المكرمة...».

مع كل الذى قلناه، يتضح من النماذج التى أوردناها سابقًا والشواهد التى سوف أوردها، والتى تشرح أحوال كتاب النثر الأساسيين فى العصر القاجارى أنه منذ أواخر الدولة الزندية ظهرت بعض الإصلاحات النسبية واليسيطة فى أسلوب الكتابة بالرغم من أن النثر الفارسى قد اتجه ببطئ إلى البساطة والسلاسة وقلَّت فيه صنعة والتكلف إلى حد ما. جدير بالذكر أن أمور مثل المدح والثناء ووصف الطبيعة والجمال والعشق قد استخدمت فى الشعر فى هذه الفترة، أما النثر فلم يستغل سوى فى كتابة الرسائل وكتابة التاريخ وكتابة التراجم، لكن منذ النصف الثانى من عهد ناصر الدين شاه ومع ظهور أفكار جديدة مع أوائل النماذج الأدبية النثرية الجديدة انتقل جزء من الأمور التى كانت تهتم بها القصائد والغزليات، إلى النثر وشيئًا فشيئًا اهتم الشعر بالعواطف الداخلية وأمور الحياة.

بعد هذه المقدمة القصيرة نعرض تراجم لأحوال عدد من كتـاب هـذا العصر مع نماذج من كتاباتهم.

١-عبد الرزاق بيك :

عبد الرزاق بيك دنبلى صاحب كتاب تاريخ المآثر السلطانية ومؤلفات أخرى[١] والذى سيرد ذكره فى الجزء الخاص بالمؤلفين، فى أثناء إقامته فى شيراز كتب كتاب باسم (حدائق الجنان) عن سيرته ، وترجمة لأحوال العلماء والفضلاء المعاصرين له، وقصص عن كريم خان الزندى وأسرته، ثم بعـد ذلك قام بعمل تغيرات وإصلاحات فى هذا الكتاب نفسه وأسـماه (تجربـة الأحرار وتسليه الأبرار) تقليدًا لكتاب (تجزية الأمصار وتزجية الإعـصار) تأليف عبدالله بن فضل الله الشيرازى. هذا الكتاب بنـاء علـى قـول ملـك الشعراء بهار يعد من أعظم كتب القرن الثانى عشر الهجرى، وقـد كتـب بأسلوب يتوسط أسلوب وصاف وأسلوب گلستان الشيخ سـعدى، ويتـضمن جميع المزايا الفنية القديمة (ونستطيع أن نعده من جملة الآثار التـى تتعلـق بالنهضة الأدبية والعودة إلى الأسلوب القديم)[٢].

---

(١) حقائق الأنوار، حدائق الأدبا، ، نگارستان دارا، ترجمة عبر تنامه من التركية، جامع خاقانى، روضة الآداب وجنة الألباب (باللغة العربية) ديوان قصائد وغزليات، مثنوى نازونياز، مختارنامه وهى منظومة عن غزوات المختار بن أبى عبيدة الثقفى.

(٢) ملك الشعراء بهار : سبك شناس ج٣، ص ٣٢٠.

نموذج من هذا الكتاب :

" حكى لى، أننى وبعض أهل الوجد قصدنا بيت الله الحرام عن طريق نجد. ومن شدة الشوق للوصول إلى كعبة المشتاقين، كان شوك أم غيلان تحت أقدامنا كأنه الورد والياسمين، وكانت شقائق التمنى تنمو فى رياض الخواطر وشوك وادى البطحاء. قال الرفقاء إن فى قبيلة نجد فتاة هى قبلة أهل الوجد، فهى فى الجمال والكمال كسلمى وليلى، وعندها جيش من الخدم وتأسر القلوب بنظرتها الساحرة التى تشبه المغناطيس.

وأدى ميل دواب ومطايا وجمال الرفاق إلى التأخر عن الوصول إلى كعبة الكمال وكأن لسان حال السالك مبارك الخصال يقول :

أيها المرشد أين بشاير الكعبة إننا متنا فى صحرائها

أقدام المرشدين من هوى تلك القرية فى الطين وأنا مهموم القلب من فراق الأحباب

الروح تطير بجناحيها إلى الأعلى والجسد يضرب مخالبه فى الأرض

اتجه الأحباب إلى مقام تلك الفاتنة، مثل ذى الرمة المفتون والهائم بالخرقاء

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام[1]

وكان من الصعب علىَّ فراق الأحباب والبقاء بمفردى وإطاعة لأمر (لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) [2] . فقد اضطررت مجبرًا على موافقة الرفاق واتجهت إلى الطريق فى اللحظة نفسها، وقبل الوصول إلى المقام المنشود أراد أحد الرفاق أن يسبق الجميع إلى رؤية تلك الفتاة ذات رائحة الياسمين، والذى

---

(١) عندما تلم الإبل على أعتاب سراى الخرقاء يكون هذا وقت زيارة بيت الله الحرام (الخرقاء، هى التى ترفع البرقع عن وجهها) وهو اسم معشوقة الشاعر.

(٢) سورة البقرة ، آية ١٩٥.

كان هو نفسه السبب في الانحراف عن الطريق، ووخزه شيء ما في إصبعه وهو في الطريق. ومن شدة الألم صرخ صرخة وصلت إلى عنان السماء. فقالوا ربما تكون شوكة فإن وخزة الشوكة تؤلم. قال الرفاق برغم أن تلك الفتاة ذات حسن كامل فلديها معرفة أكيدة بعلاج الأوجاع. ومع أن سهم أهدابها لا تفيد معه الجراحات، فإن لعاب شفتيها ترياق للمتألمين. وعلاج داء هذا المستغيث تلك الجميلة الممشوقة. ومع أن غمزاتها شافية، لكن أصابعها المخضبة ليست مرهمًا للقلوب المهمومة.

خرجت يد كالعاج الأبيض من خلف الستار وكأن الشمس والقمر قد شقا الغيوم

ظاهر يدها ناعمة كبطن السنجاب وطرف إصبعها أسود كذيل السنجاب[١]

عندما وصلنا إلى خيام بنت الكرام، وقابلها الرفاق، وقالوا لقد رأينا أكثر مما سمعنا. وبعد الضيافة والملاطفة وعندما عرضوا إصبع الرفيق المجروح على ذات الوجه القمرى، صاحت قائلة : أيها الرفاق لقد عضه الثعبان، ونفث سمه القاتل فى أعضاء بدنه. وليس له علاج فى هذا العالم الآن فقد حان وقت رحيله من الدنيا إلى الدار الموعودة. وفى أثناء حديثها رحل ذلك العاشق الحزين. وفى المكان نفسه دفناه فى التراب بقلب حزين وتندى ثراه بدموعنا.

لا تسأل عن السر؛ لأن لأسرار سالكى الحرم

علامات (كرامات) تظهر من حين إلى حين

---

(١) شعر لكسائى المروزى.

قبلة العشق واحـــدة، وكل من لديــــه شك

في قلبه يكون طفلاً في طريق سالكي الدرب

* * *

إن الظـــاهر يعلـــم الـــسر والعلـــن	والعين في كل اتجاه فماذا تملك يا إنسان؟
العين التـــي لا تريـــد العمـــي أفـــضل لهـــا	والرأس التي لا يفتتن بها القبر أفضل لها
الأذن التـــي لا تريـــد ســـماع الـــصمم أفـــضل لهـــا	والقلـــب بدونـــه النـــار أولـــي بـــه
إنه الوجود المطلق، صـــاحب كـــل الوجـــود	مـــع وجـــوده فالكـــل زائـــل
لا تتعلـــق بـــأي شـــيء فـــي هـــذه الـــدنيا	ولا تتعلـــق بـــأي شـــيء ســـوى الله[1]

٢- ميرزا رضي :

من كتاب النثر في بداية عصر الدولة القاجارية ميرزا رضي منـــشئ الممالك، ابن ميرزا شفيع الآذربايجاني. كان ميرزا رضي من أسرة عريقـــة صوفية، ولكن هذا الأمر لم يمنع ميرزا رضي ووالده مـــن الوصـــول إلـــى مناصب حكومية مرموقة. كان ميرزا شفيع مسئول الأمور المالية لدى نادر شاه و شغل ميرزا رضي هذا المنصب نفسه بعد وفاة والده في فتـــرة حكـــم كريم خان الزندي ثم بعد ذلك في فترة حكم محمد خان قاجار، وكان يكتـــب الكتب والرسائل والفرمانات بالعربية والفارسية والتركية والجغتائية، وعندما حانت فترة حكم فتحعلي شاه حظي ميرزا رضي بمكانة كبيرة واحترام أكثر،

---

(١) حدائق الجنان، ص ٢٩-٣٠ (نقلاً عن ملك الشعراء بهار، المجلد الثالث من كتـــاب سبك شناسي).

وأصبح مشهورًا، وكان يضع خنجرًا من الماس ولفافة من الــورق[١]. كــان ميرزا رضى يقرض الشعر بالتركية وأحيانا بالفارســية والعربيــة وكــان يتخلص بــ (بنده) أى (عبد) باللغة العربية.

ولقد سجل رضا قلى خان هدايت قصيدتين لميــرزا رضـــى باللغــة الفارسية فى كتابه مجمع الفصحاء .

توفى ميرزا رضى متأثرًا بمرض السل فى طهران عن عمر ينــاهز الخامسة والستين عام ١٢٢٢ هـــ ق، ودفن فى النجف.

ولقد ترجم ميرزا رضى إلى الفارسية وقائع حرب فرنــسا والنمــسا وروسيا (١٨٠٥م) التى كانت قد ترجمت من الأوربية إلى التركيــة ليطلــع عليها فتحعلى شاه. ومن كتاباته أيضًا رسالة (عشق وروح) و(حــسن ودل)، ومن أشهر كتاباته رسالة مفصلة كتبها على لسان فتحعلى شاه إلى نــابليون الأول وطبعت كلها فى "زنبيل" لفرهاد ميرزا معتمد الدولة [٢].

وميرزا رضى له كتاب تاريخى باسم (زينة التواريخ) ألفه بناء علــى أمر الملك، ومؤلف هذا الكتاب الأصلى هو ميرزا رضى واشترك معه فــى

---

(١) قيل إنه مُنح هذا الخنجر فى أثناء عزف السلام وقت المساء حيث كان خواص الأتباع قد تأهبوا للعرض، ونظر أحد الحاقدين والحاسدين منهم نظرة سخرية لوضع الخنجر والورق فى حزام الخصر معًا، والتفت المرحوم ميرزا وقال للحاضرين إننى أتعجب من أناس رأيتهم ثلاثين عامًا وكانوا من الجهلة وكانوا يضعون القرطاس والورق فى حزام خصرهم ولم يضحك عليهم أحد والآن عندما وضعت خنجر المحبة فى حــزام خــصرى عن جدارة واستحقاق ضحكوا على . (نادر ميرزا، تاريخ تبريز ، ص ٢٦٥).

(٢) محمد على تربيت، دانشمندان، آذربايجان، ص ٧٠.

كتابته معتمد الدوله نشاط وعبد الرزاق بيــك دنبلـــي المـــتخلص بـــالمفتون وشخص آخر يدعى ميرزا عبد الرحيم اشتهاردى.

٣- فاضل خان :

ميرزا محمـــد من طائفة البـــايندر التركمـــانية، ولد في الرابع عشر من شهر ذى الحجة عام ١١٩٨هـــ. ق في جروس (گروس) . أصبح يتيمًـــا وهو في ســـن الســـادسة عشر من عمره وكبر في ظروف صعبة. بعد وفـــاة والده بفترة سافر إلى العراق وإلى أمـــاكن أخرى وتعـــلم فـــن الخط والإنشاء. ثم عاد إلى طهران والتحق بالبلاط عن طريق فتحعلى خان صبا وأصبح من خاصة الغلمان، وبناء على أوامر الشاه تربى ودرس علـــى يد فتحعلى خان صبا، وخـــلال خمـــس سنوات تعلم الكثير مـــن علـــوم زمانه، وعنـــدما لمس الشاه هذه الفضـــائل لقبـــه بـــ (فاضـــل خـــان) وعينه رئيسًا للمنـــادين في البـــلاط. وخلال عدة أعوام كان يعمل ضمن الكتاب الخصوصيين للشـــاه ورافقه في سفرياته. ولحسن بيانه كان يحفـــظ القصـــائد التى كان ينظمها فتحعلى خان صبا ملك الشعراء وغيـــره مـــن الشعراء في مدح الشاه ويرويها مرة أخرى لهذا السبب كان تخلصه الشعرى (راوى).

وفى يوم الجمعة ٢٤ رجب عام ١٢٤٤هـــ ق الموافق (٣٠ يناير سنة ١٨٢٩م) وقعت حادثة مقتل السفير الروسى في طهران جريبا يدوف، وسافر فاضل خان إلى روسيا ضمن الوفد الذى تـــرأسه الأمير خسرو ميرزا أحـــد

أصغر أبناء عباس ميرزا ولى العهد بعد سبعة أشهر لتقديم اعتــذار للــبلاط الروسى.[١]

والتقى وفد خسرو ميرزا وهو فى طريقه إلى القوقاز بالشاعر الروسى الشهير بوشكين، فقد كان بوشكين ضمن الجيش المتوجه لقتــال العثمــانيين بقيادة الجنرال (باسكوفيش).

وقد شرح بوشكين تفاصيل هذا اللقاء فى كتاب رحلات أرزنه الــروم (سفرنامه ارزروم) :

"كنت على عجلة بغية الوصول إلى تفليس على وجه السرعة ... وكنا ننتظر الأمير الإيرانى[٢]، وعلى مقربة من قرية كازبيــك (قاضـــى بيــك؟) صادفنا عدة عربات، وأغلق الطريق نظرًا لأنه كان ضيقًا. وبينمــا كانــت وسائل النقل تمر إلى جوار بعضها بعضًا قال لنا ضابط الحراسة إنه يقــوم بتوديع شاعر البلاط الإيرانى، وبناء على طلبى قدمنى إلى فاضـــل خــان. وبمساعدة المترجم أردت أن أقدم تحية شرقية ساخرة، ولكننى شعرت بخجل شديد عندما رد فاضل خان على مبالغتى غير اللائقة بتواضع شــديد وأدب جم، وأعرب عن أمله فى رؤيتى مرة أخرى فى بطرسبورج، وأسفه لقــصر اللقاء. فاضطررت لتغيير أسلوبى الساخر المسهب وتحدثت معه بالعبــارات الأوروبية السائدة.

---

(١) كان رفاق خسرو ميرزا : .. ميرزا محمد خان أمير النظام، ميرزا صالح كاتب الــديوان، ميرزا بابا كبير الأطباء، ميرزا مسعود المستوفى، ميرزا تقى خان الفراهانى كاتــب الديوان لدى قائمقام الذى عرف بعد ذلك بأمير كبير، والصدر الأعظم وهو الوزير الشهير فى عهد ناصر الدين شاه ومن الشخصيات الإيرانية البارزة.

(٢) خسرو ميرزا.

يجب أن تكون تلك الواقعة درسًا وعبره بالنسبة لنا نحن الروس كـــي ندع السخــرية جــانبًا، فأنا نفسى لن أصدر حكمًا على أحد لقبعته الجلدية، أو أظافره المخضبة بالحناء". [١]

تولى فاصل خان لفترة شئون الوزارة فى همدان، لكنه عاد إلى طهران نظرًا لاستدانته هناك وضيق الحال، وانضم ثانية إلى كتاب البلاط، وظل فى هذا المنصب لفترة من الوقت فى عهد محمد شاه، إلـــى أن آثـــر الاعتـــزال "وحصل على راتبه من السلطان" وفى النهاية تــوفى فــى طهــران عـــام ١٢٥٣هـــ. ق أو ١٢٥٤هـــ.ق[٢] نتيجة مرض عضال أصابه لعدة شهور[٣].

---

(١) سفر نامه ارزروم، الفصل الأول.

(٢) ذكر فى لغت نامه دهخدا أنه توفى عام ١٢٤٣هـــ ق وهذا التاريخ خطأ بالطبع.

(٣) يقول أى . ك كالوبوف، فى رسالته التى ألفها بالروسية بعنوان (الشاعر ميرزا شفيع) والتى نشرها عام ١٩٣٨ فى باكو، وتحتوى على ملخص بالفرنسية : "كانت تبريــز فى ذلك الوقت – الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادى – مركــزًا للمدنيــة والثقافة الإيرانية، وقد جمع ولى العهد عباس ميرزا حوله الفضلاء والعلماء. وكـــان من بين الشعراء رجل يسمى ملا فتح الله الذى غير اسمه بعد ذلك وأطلق على نفسه (فاضل خان). وفاضل خان هو نفسه الذى امتدح بوشكين بعد مرور فترة قــصيرة امتدح أخلاقه وشيمه فى كتابه "أرزنه الروم". نظم فاضل خان قصيدة تنـــاول فيهـــا وضاعة أكثر أمراء إيران وانتقدهم لأنهم كانوا يتفوهون بكلمات التملق والنفاق فـــى مجلس الأمير عباس ميرزا كالعبيد بينما استسلموا للروس عندما أحرزوا تقدمًا فـــى الحرب. وكان هذا الهجاء موجهًا بشكل أساسى إلى ميرزا أبى الحسن خـــان وزيـــر الخارجية فى ذلك الوقت الذى كان قد قدم نفسه إلى بلاطات أوربا باعتباره سياســـى محنـــك. وقـــد أثارت قصيدة فاضل خان آراء مختلفة بين الشعراء. فنهضت جماعة

ويعد فاضل خان من أكثر الكتاب بلاغة في بلاط فتحعلي شاه. ويذكر قائممقام في منشآته فاضل خان عدة مرات باحترام ويعـده شخـصًا "قـدره مجهول ومثيله معدوم" ويقول عنه "لم ترعيني مثلكم فاضلاً".

وعلاوة على منشآته التي تعد من النماذج الراقية للفصاحة فـي ذلـك الوقت ألف أيضًا بناء على أمر من فتحعلي شاه تذكرة بعنوان "انجمن خاقان" عن مجلس الخاقان في ذكر أحوال الـشعراء والعلمـاء فـي بـلاط الـشاه القاجاري.

رساله فاضل خان إلى آقا خان المحلاتي :

«النبوة فـي النسـب والملكية في الحسب

أين سليمان كي يضع الخاتم في الإصبع

حضرة المخدوم الجواد، وصـاحب الهمـة ذي العـدل والإنـصاف، الرؤوف عالي النسب ليظل أبد الدهر كعبة الحاجـات ومركـزًا للأطـراف ومحطًا لرحل الأوتاد ومحيطا لركاب الشعراء. في الكتابـة حكايـة، وفـي التقرير رواية تقدم العبرة، وتثير الحيرة، فأنا متعب وذلك لأن : فـي بدايـة عهد كريم خان الزندي كان العالم كله سوقًا للسكر. فتاة جميلة المنظر، قضية

لتأييد الشاعر وأيدت جماعة أخرى الوزير...' وجاء في موضع آخر من الكتـاب نفسه أن المدارس الإسلامية فتحت في عهد الجنرال فارنسوف، في تفلـيس وكلـف الشاعر والعالم فاضل خان القادم مؤخرًا من إيران بإدارة مدرستين. وللأسف لم ترد إشارة إلى هذا الموضوع في المصادر الإيرانية، وعلى الباحثين أن يقوموا بـإجراء أبحاث ودراسة عن الملا فتح الله فاضل خان والقصيدة التي نظمهـا وتوليـه إدارة مدرستين في تفليس.

الصدر، مغرية، لعوب، فاتنة، قوادة، ساحرة، ماكرة، غادرة، تحنث الوعـد، ترتدى زى الرجال، لها محبان لوطى وزان، مغرية للعالم، فاضحة قدمت من شيراز إلى همدان، وصارت كالنار فى أكولم حصاد الشيوخ والشباب بمعنى:

حاجبها كالقوس، غمزتها كالسهم، كيدها كالفخ

لم تعطـيك فى سبيل الله ؟ .. بغرض الاصطياد

جعلت الزهاد أسرى قديها والعارفين كالذباب علـى الـسكر وأسـرى الجدائل. جعلت ألف تاجر فاجرًا، ومنحت ألف تاجر مرادهم، باعت للعطار والبزار الزعفران وزهرة البطونية، وجمعت الـذهب والفـضة، وأشـعلت بغمزتها النار فى مخزن كل علاف، ومزقت خيوط التـصحيف لـدى كـل صحاف. وحصلت بقوة جاذبيتها من القطرة على بحر، ومن كل حبة علـى مكيال. الخلاصة خلال خمسين عامًا من البقاء فى البلدة والناحية أخذت مـن الحر والمملوك ومن الحاكم والمحكوم، من الإمام والمـأموم أكياسًـا مليئـة بالمال فى مقابل فرجها، استولت على صرر المال فى مقابل سـرتها حتـى أغلقت الدكاكين وأرهقت الساعين إليها... وبعد أن ابيض شـعرها، واسـود وجهها واصفرت أسنانها، وجف ثديها، وانقطع طمثها، وولت لعنتها صارت مفتونة بالخروج على رأس القافلة، فركبت حمارًا وذهبت للزيـارة وقـدمت تصحبها السلامة وصارت طيبة طاهرة، وأصبحت سيدة كربلائية تقية، والآن اشترت بيتًا إلى جوار المسجد الجامع وشيدت منزلاً من ذلك الـذهب الـذى حصلت عليه من عرق جبينها وكد يمينها، وأحيانًا تصنع الحصير للمـسجد وأحيانًا أخرى تقوم بطهى حساء "عباس على"، وجعلت عدد حبات المـسبحة أكثر من عدد الفجار، ولباد سجادة الصلاة أكبر مساحة من أبسطة الفجـور وتؤدى الصلوات الخمس خلف الإمام، أما النساء فهى تؤمهن. وإذا أعطـت

قرضًا لغريب ما فهي لا تخفض الفائدة عن عشرة أو خمسة عشر، ولا تعطي له درهمًا إلا في مقابل قيمة عشرة دنانير عن كل دينار. وبالصدفة اقترضت أنا العبد المسكين للضرورة لأمر واجب. فأتت سمسارة وكأنها سمسارة محتالة أو مرابية وقالت توجد سيدة عفيفة طاهرة ثرية تقدم قروضًا، وإذا مرت أربعة شهور على موعد السداد فهي لا تتذمر ولا تطلب فائدة. وشعرت بالرضا نظرًا لأن "الغريق أعمى" وسررت لذلك. فأرسلت رجلاً في طلب تلك السيدة وبعثت رسالة تفيد أنني أريد مبلغًا من المال. فحضرت على الفور بعد أن ضرب نعلها الأصفر عنان السماء ووضعت النقاب الأسود على وجهها الشاحب الفاجر. تحدثت معها فلاحظت أنها أزالت عني الحزن بأسلوب لبق وناعم ولطيف. مارست أعمال الاحتيال وأبدت حسرتها وضربت كفًا بكف ولعنت الزمان قائلة : لماذا يحتاج شخص مثلك لمثلي، ولماذا يقترض شاب من عجوز؟! لن أطيل؛ فقد لاطفتني كثيرًا بأسلوب طيب حتى أنني صرت مترددًا فيما إذا كانت السيدة الكربلائية موجودة ببيتي أم أنها جعلتني عبدًا لإحسانها ثم أطلقت سراحي. ثم تطرقنا إلى الرهن، فهذا هو الكتاب وتلك هي المحبرة. حملت عباءتي ومصحفي وقلبت كلاً منهما وهزت رأسها وتنهدت. أي أنني صرت شديد الانفعال وشعرت بالخجل. ولكنها أخذت تخفض قيمة كل شيء إلى النصف، وصارت تبالغ في عيوبه، وتعرب عن اعتذارها على الفور بسبب المزايدة وتستغفر. في النهاية عرضت على العجوز المسكينة كل شيء من رطب ويابس في مقابل مبلغ قيمته مائة تومان. أردت أن أوصيها على الحفاظ على تلك الأشياء فقالت : أنا فداك، سأدعها في حجرة فلان التاجر الذي كان رفيقي في الماضي وصار الآن من الشهود العدول لدى سيادة القاضي، فهناك ستكون بعيدة عن اللصوص والفئران، كما أنها ستكون بذلك قريبة من المبلغ وقريبة من صاحبها.

وصرت أنا المخدوع الساذج المشهور بالذكاء والفضل على سبيل الخطأ مفتونًا بتلك السيدة الطيبة النجسة الغدارة، وخدعت بتلك الفاسقة الزاهدة الزانية، وقدمت الرهن وعقدت العقد، وأخذت المال. وذهبت السيدة وبقيت أنا وقرأت آية الكرسي لتحفظها. ولما بقي على الموعد المحدد أربعة شهور، فإذا بساكنة همدان تأتي كل يوم كالإعصار وعلى رأسها عباءتي الجوخ حاملة المصحف الذى كتبته بخطى الياقوتى وتقول لقد احتميت بتلك العباءة من الأمطار وأحضرت هذا المصحف شفيعًا لترد لى مالى !

فأقول لها : أيتها النشالة المحتالة ، أيتها اللصة المحتالة، لو كان هذا هو قصدك كان عليك أن ترتدى عباءة المؤذن وتحضرى ثلاثين من المقرئين. فتغمز بعينها وتذهب. وتأتى فى اليوم التالى وتجلس وتقول مهددة إننى احتفظ بالشارة الخاصة بالوزير الفلانى وبسيف الأمير الفلانى فلا هذا يستطيع ثانية أن يردنى، ولا ذاك يستطيع أن يؤخر لى طلبًا !

الخلاصة، هى تفعل معى ذلك حتى يغمر الماء البناء، وتطيح الرياح بالخيمة، ويصير ذو الفقار خان مع أبى الحسن الجندقى وسهراب خان مع الحاج محمد البسطامى".

شرحت حالى كلى ثقة فى كرم مخدومى لأننى لا أطمع فى السؤال ولا أشك فى عطائك والسلام».

٤- صاحب الديوان :

ولد ميرزا تقى العلى آبادى بن ميرزا زكى مستوفى الممالك لدى آغا محمد خان فى على آباد (شاهى حاليًا). وكان رجلاً فاضلاً محنكًا ومن

الكتاب البلغاء . ولما ضاقت به سبل العيش فى بلده رحل من مازندران إلى طهران، وقدمه فتحعلى خان صبا إلى بلاط فتحعلى شاه، وعمل فى البداية في منصب الكاتب الخاص عنده. وعُين بعد ثلاث سنوات رئيسًا للدور الملكية. وكان موضع ثقة الشاه ويقوم بحمل وتسليم رسائل الشاه السرية. وعُين فى منصب الوزارة لشئون زنجان لعدة سنوات، وظل بتلك المدينة لعشر سنوات، ثم عاد بأمر الشاه إلى طهران، وعمل فى منصب أمين الرسائل في البلاط. وعندما توفي ميرزا خانلر المازندرانى منشئ الممالك عام ١٢٤٤هـ.ق بوباء الطاعون. عُين ميرزا تقى فى منصب منشئ الممالك ولقب بعد فترة بلقب "صاحب الديوان" لكنه عُزل بعد أربع سنوات (١٢٤٨هـ.ق) بتهمة كتابة مرسوم ومنح إقطاعية لرجل ما دون علم الشاه، وتولى بعده ميرزا تقى نوائى المازندرانى منصب منشئ الممالك.

وبعد تتويج محمد شاه عام ١٢٥٠ هـ.ق كُلف العلى آبادى فى شوال من ذلك العام باستقبال الأمير محمد قلى ميرزا ملك آرا حاكم مازندران الذى استدعى إلى طهران خشية رفع لواء العصيان. وأدى مهمته على أكمل وجه، ثم كُلف بالذهاب إلى شيراز وهناك تعرف على وصال الشيرازى، وبعد ثلاث سنوات عاد إلى طهران بتصريح من الشاه بسبب مرضه، ولم تمض فترة طويلة حتى أصابته غيبوبة ولازم بيته، فقد شُلت قدمه وأصيب بالعمى إلى أن توفى فى جمادى الآخرة عام ١٢٥٦هـ.ق.

يعد صاحب الديوان من بين كتاب الدرجة الأولى فى بداية الحكومة القاجارية. ويذكره قائممقام بإجلال فى منشآته ويمتدح مهارته فى الإنشاء.

كان الصاحب ينظم الشعر أيضًا ويتخلص بـ "الصاحب" و"صاحب الديوان". وأشعاره مشهورة. وتوجد نسختان من ديوانه في مكتبة مدرسة "سبهسالار" بطهران.

• نموذج من نثر صاحب الديوان :

"في عهد الخاقان عفى الله عن أمسه وسقى الله رمسه الذى كان زمانًا للأمن وأمنًا للزمان؛ كُلف أمير أيروان بتسخير بلاد أرمينية والسيطرة على تلك الممالك والبقاء فيها. فأغار عليها بجيش جرار. وتيسر له فتحها وأرسل للسلطان بشرى الفتح. وأغار الجنود فسلبوا الأموال وقيدوا الأسرى وحملوهم للأمير. وكانت بين الأسرى فتاة فى غاية الحسن والجمال، كانت كالصنم عند الكفار وكالحور عند المسلمين، قمر الفتيات وأميرة الحور، كان يخفق لها قلب الطفل الصغير، ويهفو خاطر الشيخ الكبير إليها عشقًا في الشباب... وعلى الفور صار الأمير أسيرًا والأسيرة أميرة. وما ذلك على الله بعسير[1].... فأخذها له وترك بقية الغنائم للجند. ووفقًا لحكم سلطان العشق عصى أمر الشاه وترك ذلك المُلك إلى حاكم تلك الديار وعاد إلى أيروان مع الفتاة. فحكم الشاه لا يصمد أمام حُكم الدلال !! فلما أدركت الفتاة بفراستها أنه أسير حبها قالت له لن تنالنى لأننى أسيرة هوى شاب من شباب قبيلتي، وأفكر فيه فى كل لحظة وفى عهدى معه ووصالى به الذى لا يمكن لسيفك أن يقطعه ولا لتدبيرك أن يمنعه . عصفورك ليس الطائر الذى يستحق ذلك التين... وصيدى ليس إلا صقر صائد العنقاء... لا تخالف رأى السلطان ولا

---

(١) يبدو أن الكلمة محرفة. فنص الآية : "وما ذلك على الله بعزيز" سورة إبراهيم، الآية ٢٠.

تدع مصلحتك. فقال : لا أرغب من الدنيا سوى وجهك... ومـع وصـالك أعزف عن الجنان .. فإذا أمسكت بطرف جديلتك.. ماذا أفعل ببلاد الأرمن، ولا أريد إيروان... وعاد إلى إيروان وتخير قصرًا عند جانب القلعـة التـي اشتهرت بأنها من المعاقل الرضية. وخصصه له مستقرًا. كان قصرًا مشيدًا أعلى كتلة حجرية ارتفاعها مائة ذراع وأسفلها نهر يفوق دجلة بغداد ونيـل مصر وينحدر ناحية نهر ارس، وكانت الطيور البحرية تحذر التحليق أعلاه. ثم عيّن لها الخادمات والجواسيس لخدمتها بغية استدراجها بالحيلة والـدهاء وإيقاعها فى فخه. ولم تكترث الفتاة بذلك الجلال ولم تأبه بتلـك الجماعـة. واختارت الإقامة فى كشك حتى تخفى الكنز، وفى قلبها ألم مفرط. وكانـت أسيرة حبها لدرجة أنها لم تكن تعلم شيئًا عن الدنيا. لم تكن تغادر مكانها رغم حيل وخديعة الخادمات الماكرات. وذات يوم اشتاقت لدخول ذلك القصر ... فذهبت إليه. وبالمصادفة كان ذلك الشاب العاشق قد قطع الصحراء ووصـل إلى إيروان بعد فراق دام لفترة طويلة، وسأل عن منزلها . فأخبروه أنها فى قصر أعلى القلعة يقع على قمة جبل من الحجارة يجرى إلى جداره نهـر لا يستطيع الطائر الخرافى اجتيازه... وأخذت الفتاة تنظر إلى تلك الصحراء كل يوم فى انتظار ذلك الشاب وتُسمع بكاءها للأسماك والقمر. وقطـع الـشاب أسير العشق أيضًا صحراء الشوق، وتناسى ما قيل، ووصل إلـى إيـروان هائمًا. وعلم أن محل إقامتها عند قمة تلك القلعة، فسار فى أثر ذلـك النهـر كالماء الذى لا يستطيع أن يتوقف للحظة، ولم يرفع رأسه عن الحجر أثنـاء ركضه. ووصل إلى شاطئ ذلك النهر المرعب فى مقابل تلـك القلعـة ذات الطريق المسدود ومثل من ينتظر تلبية الدعاء. عقد ناظريه علـى الـسماء وخفق قلبه. فإلى أية ناحية يحلق الصقر، ومِنْ أية ناحية يهب نسيم الوصال.

وفجأة وقع ناظر الفتاة المنتظرة على جمال الشاب. فتدحرجت الفتاة كالحمامة من أعلى القلعة على الحجر وقفز الشاب أيضًا من الشاطئ إلى النهر كالطائر البحرى. وحمل شوق العشق الفتى من موج البلاء إلى الساحل والفتاة من ورطة الفناء إلى الحياة، وتعانقا سالمين. وحمل الجواسيس الخبر للأمير، فعض بأسنانه على إصبعه حائرًا. وتراجع عن قصده ومراده من باب الفتوة وحكم المروءة، فأعد قصره الخاص وزينه بزينة فاخرة وسلمه لهما وأكرمهما(١)".

• حكاية :

فى أثناء قتال الروس فقد أحد أمراء الأتراك جواده، واضطرب حال فرسانه، والتف حوله الأعداء. وأصبح فى عداد القتلى نتيجة جروح غائرة بعد الكر والفر بشجاعة. فلما رأوه ميتًا تركوه. ونظرًا للأجل الموعود ظل به رمق فى الحياة. نعم... إذا كان الجسد جسدًا روسيًا فالروح روح فردوسية... تظل محفوظة من سهم الروسى وسيفه. وعلم أحد الجنود الذين يحبونه بمقتله. ورغم مقتل صديقه لم يخش قتل الأعداء له، ونهض كالقمر حين يلقى بضوئه على زهرة الكتان(٢) أو كالشعلة حين تصيب أكوام الحصاد وفرّق ذلك الجمع... وجعل الغدو والرواح عند رأس قتيله مرهمًا لجرحه... يعد ذاك القتيل بقتل قاتله. أخذ يمسح وجهه بوجه القتيل المخضب بالدماء

---

(١) مخزن الإنشاء، ص ٤١٥. ونهضت أدبى ايران : إبراهيم صفائى ، ص ٣٠.

(٢) القمر وزهرة الكتان طرفا نقيض؛ فزهرة الكتان لا تتفتح إلا نهارًا. (المترجم).

عازمًا على غسل الدماء بالدماء. أشعل نار الدواء بالكبريت الأحمر على الوجه الساكن... فقال له بأنفاس متقطعة أزح وجهك المشتعل عن جرحي فيجب عليَّ أن أتجنب النار، فقال :

انظر لدموعي فهي تُخمد النار

فهذه الدموع تصلح لتلك النار

لو اشتعلت في وجهي نار الخليل

ولو سال من عينيَّ نهر النيل

ومن بركة قدومه توقف الأخير عن الذهاب إلى العدم، وعاش الأمير لسنوات طويلة، وصار أسيرًا في قبضة عشق ذلك المقدام.

ليظل ساعد العشق قويًا، فمن قوته

تصلح الكرة الأرضية موضعًا لسجود السلطان

كل من صار عبدًا له فهو ملك للكونين

كل من صار قتيلاً له فهو حي خالد

إلا أن أسلوب الكتابة السائد المتسم بتلك الصنعة والكلفة التي تبعث على الملل لم يستطع الصمود أمام اتصال إيران بالعالم الغربي ونفوذ المدنية الحديثة.

لذلك فكر بعض الأشخاص في تخليص الكتابات الفارسية من تلك الألفاظ والتكلفات والمبهمات والإفراط في استعراض الصنعة.

وابتعد ميرزا أبو القاسم قائممقام عن الأسلوب القديم إلى حد بعيد، وقدم نثرًا أكثر بساطة وجمالاً . ونظرًا لمنصبه الحكومى الرفيع اتبـــع الآخـــرون أيضًا أسلوبه وكانت مراسلاته الكثيرة نموذجًا لجمال العبارة. (١)

٥- قائممقام :

كان ميرزا أبو القاسم الفراهانى ابن ســـيد الـــوزراء ميـــرزا عيـــسى المعروف بميرزا الكبير من السادات الحسينية من أهل هزارة فراهان التابعة لأراك. ولد عام ١١٩٣هـــ.ق، وتربى فى كنف والده العـــالم وتعلـــم علـــوم زمانه. فى بداية شبابه عمل فى الحكومة وبعد فترة كان ينجز أعمال والـــده فى طهران. ثم بعد ذلك توجه إلى تبريز عند والـــده الـــذى كـــان وزيـــرًا لأذربايجان ثم عمل لفترة كاتبًا فى ديوان عباس ميرزا ولى العهد ورافقه فى سفرياته الحربية وبعد أن فضل والده الابتعاد تولى هو الأعمـــال الرئيـــسية لولى العهد، وأتم ما كان قد بدأه والده ميرزا الكبير حيث تنظـــيم الجيـــوش الإيرانية بمساعدة مستشارين فرنسيين وإنجليز ، كما اشـــترك فـــى معظـــم حروب إيران وروسيا. فى عام ١٢٣٧هـــ ق توفى والد ميـــرزا قائممقـــام، ووقع خلاف بين ابنيه ميرزا أبى القاسم وميرزا موسى على خلافة والـــدهم، ودعم حاجى ميرزا آقاسى ميرزا موسى إلا أن هذا الدعم لم يأت ثماره، وفى

---

(١) فيقول متفاخرًا فى مقدمة "رسالهء عروضيه" التى كتبها باسم ولى العهد عباس ميرزا "إن العبد الحقير (إشارة إلى نفسه)... غاية بضاعته وقمة استطاعته أن كسر القلـــم وامتنع عن الكلام، فبفضل الله ويمن التفاته السامى لا يمكن لأى مخلوق أن يـــسترد منى تلك الوسائل والقوالب المستخدمة فى الدعاء والثناء".

النهاية وبناء على أمر من فتحعلى شاه خلف ميرزا أبو القاسم والده وحصل على جميع الامتيازات التى كان يتمتع بها والده، وحصل على لقب سيد الوزراء وقائممقام ووصل إلى وزارة نائب السلطنة ولى العهد، ومنذ هذا التاريخ أصبح هناك خلاف شخصى بين ميرزا قائممقام وميرزا آقاسى.

كان قائممقام رجلا ذكيًا ومغرورًا، وكان يخالف ولى العهد فى بعض الأعمال، وبعد عام من توليه الوزارة ونتيجة لوشاية المغرضين تم عزله من الوزارة بتهمة الصداقة مع الروس، وظل بلا عمل فى تبريز لمدة ثلاث سنوات.

وفى هذه القصيدة الطويلة جدًا والتى نظمها فى ذلك الوقت كان يشكو فيها تآمر أبناء زمانه وسوء حظه :

أيها الحظ السيئ يا قرين روحى

يا من وصالك أضحى أصل حرمانى

يا من تلازمنى ليل نهار

معك لم أشعر بالسعادة لحظة واحدة

يا من خربت بيدر عمرى

يا من خربت منزل الصبر

بسببك تحول كوكب سعدى إلى نحسى

وبسببك تحول ربحى إلى خسارة

النجـــم هـــو السيـــف وأنــــــت الجــلاد

الــزمـــن هـــو السجـــن وأنـــت السجـــان

منـــــذ الأذل وأنــــت رفــيـــقى

أنـــت رفيـــق ليـــلى إلـــى الأبـــد

أنـــت تمـــلك عمـــرى ليـــلاً ونهـــارًا

وأنـــت ضيـــفى علـــى مـــائـدة ظلـم الـدهـر

إن ذلك الســافـل الـــذى كـــان يضيفـــنى

لم يقـدم لى ســوى حنظـل الصبـر واليأس والحرمان

يـــريق الـــدم إذا أعطـــانى شـربة مــاء

ويطـــلب الـــروح إذا أعطـــانى كـســـرة خبـز

لا يعطيــنــــى شــــــراب العســـــل

إلا إذا قطـــع شـــريان حــياتى بمشـرط الألم والغم

يجلس على مائدتى مع البشر الذين يشبهون الكلاب

هـــذه الكـــلاب التـــى تتجمـــع حـــول الجيفـة

تـــارة يضــــربنـــى بمخـــالبـــه

وتـــارة يـــعـــضـــنـــــى بـــأسـنـانـه

إلـــى متـــى يجـــب أن يأخـــذنى إلى مـــائدة الدهر

وأرى ظلـــم السفلـــة مـــن أجـــل كســــــرتيـــن خـــبـــز

ولكن بعد انقضاء ثلاث سنوات من العزلة والاعتكاف فى البيت عـــاد مرة أخرى إلى العمل فى أذربيجان، وعين فى وزارة نائب السلطنة. وكـــان ذلك فى عام سنة ١٢٤١هـــ، وفى عام ١٢٤٢هـــ ق توجه فتحعلى شاه إلى آذربايجان وعقد اجتماعًا حضره رجال الدولة والأعيان وعلماء الدين والقادة وزعماء العشائر؛ ليستشيرهم فى أمر الصلح مع الروس واستمرار الحرب. وكانت أغلبية المجلس ترى استمرار الحرب. ولكن قائممقام كان مخالفًا لهذا الرأى. وقارن بين القوتين (الروسية والإيرانية) من حيث القوة الاقتـــصادية والعسكرية، وأشار إلى ضرورة إقرار السلام مع الروس. وجهة النظر هـــذه والتى ثبت صحتها للجميع فيما بعد، كانت فى ذلك الوقـــت دافعًـــا لهمهمـــة أعضاء المجلس واتهامه من قبل بعضهم بأنه يقيم علاقات خفية مع الروس ومن ثم تمَّ عزله من العمل مرة أخرى وإبعاده إلى خراسان.

واستمرت الحرب بين إيران وروسيا وانتهت بهزيمـــة إيـــران حتـــى وصلت القوات الروسية بقيادة (جراف باسكوفيتش) (١) فى ربيع الثانى عـــام ١٢٤٣هـــ ق الموافق نوفمبر ١٨٢٧م إلى تبريز واستدعى الشاه قائممقام من

---

(١) جنرال فلدمارشال إيوان فيودورفيتش (١٧٨٢-١٨٥٦) اشترك فـــى حـــرب عـــام ١٨١٢م، وكان قائدًا للقوات الروسية فى حربها ضد إيران فـــى عـــام (١٨٢٥م - ١٨٢٨م) وأخمد التمرد الذى حدث فى المجر عام ١٨٣٠-١٨٣١م، وكان نائبًا عن إمبراطور روسيا فى بلاد المجر.

خراسان وطيب خاطره، وطلب منه أن يعد اتفاقية للصلح باسم ولى العهد وإرسالها إلى تبريز.

وبذل ميرزا أبو القاسم جهدًا مكثفًا لإقرار الصلح وعقد معاهدة مع الروس تضمن حماية القيصر لأسرة عباس ميرزا وأن يكون الحكم له ولأولاده بالرغم من وجود أخوة له أكبر منه ذوى مكانة، وكتب قائممقام معاهدة (تركمن جاى) بخطه ووقعها بنفسه فى الخامس من شعبان عام ١٢٤٣هـ ق الموافق ٢١ فبراير عام ١٨٢٨م، وحمل قائممقام نسخة من المعاهدة وعاد بها إلى طهران، وعرض هناك التفاصيل الضرورية وحمل الغرامة البالغة ثلاثة ملايين تومان التى كان لابد من تسديدها لروسيا طبقًا لبنود المعاهدة، وعاد قائممقام مرة أخرى لسابق عمله فى أذربايجان وتولى وزارة ولى العهد فى تبريز.

فى أوائل عام ١٢٤٩هـ ق توجه ولى العهد إلى هراة للقضاء على فتنة المتمردين الأفغان ورافقه أيضًا قائممقام. وأصيب عباس ميرزا بمرض السل ولازم الفراش فى مشهد، وكلف ابنه محمد ميرزا بفتح هراة وفى أثناء محاصرة هراة توفى عباس ميرزا، وعقد قائممقام الذى لم يكن يرى صلاحًا من هذه الحرب اتفاقية صلح مع يار محمد خان الأفغانى، ووقعها من محمد ميرزا وتوجه إلى مشهد، وبعد فترة عاد إلى طهران مع محمد ميرزا . وصل محمد ميرزا إلى طهران فى شهر صفر عام ١٢٥٠ هـ ق وفى الشهر نفسه أقيم حفل تنصيبه وليًا للعهد خلفًا لوالده وسافر ولى العهد الإيرانى إلى تبريز باعتباره حاكم آذربايجان ورافقه قائممقام بصفته وزيرًا له.

لم يمر وقت طويل وتوفى فتحعلى شاه فى شهر جماد الآخر عام ١٢٥٠ هـ ق فى مدينة أصفهان، ووصل الخبر إلى أذربايجان وتوجه محمد شاه إلى العاصمة. وقام ميرزا قائممقام بثمل عينى جهانگير ميرزا وخسرو ميرزا أخوى الشاه اللذين كانا مسجونين فى قلعة آردبيل وبذلك هيأ أسباب جلوسه على العرش، وفى شهر رجب وفى مدينة تبريز نودى بمحمد شاه فى الخطبة، وتوجه الشاه وبرفقته قائممقام إلى طهران ووصل إلى طهران فى ١٤ من شهر شعبان وأقيمت من جديد مراسم التتويج وأصبح قائممقام رئيسًا للوزراء، وقمع ظل السلطان وفر مانفرما وملك آرا وركن الدولة وسائر أعمام الشاه والمتمردين الآخرين. ورغم هذه الخدمات كلها لم يستمر طويلاً فى الصدارة وذلك نتيجة وشاية الحاسدين ولاسيما مثيرى الفتن من الأجانب مما أدى إلى أن الشاه أساء الظن به، وفى العام الثانى من حكم محمد شاه صدر الأمر بسجن قائممقام فى حديقة نگارستان (مصيف العائلة السلطانية) ثم أعدم بعد عدة أيام (أواخر صفر ١٤٥١هـ.ق) وعلى هذا النحو انتهت حياة واحد من كبار رجالات إيران وواحد من أشهر كتاب النثر فى ذلك الوقت.

كان كتاب التاريخ فى هذا العصر مثل سپهر وفرهاد ميرزا وجهانگير ميرزا وغيرهم يذمون قائممقام ويذمون أعماله كثيرًا وكانوا ينعتونه (بالجبان والقبيح) [1] و(غير المناسب والمحب للدنيا) [2] وكذلك (المزور وأكل الحرام وسيئ الظن والخائن) [3].

---

(١) فرهاد ميرزا، منشآت، طبعة بومباى. ص ٣٧.

(٢) نادر ميرزا، تاريخ تبريز، ص ٤٠.

(٣) جهانگيرا ميرزا، تاريخ نو، ص ١٩٨، وصفحات أخرى.

ولم يكن فى استطاعة مؤرخى هذه الفترة كتابة غير هذا؛ فقد كانوا من الأمراء أو من الموالين للبلاط، وكان البعض منهم قد لحق به الأذى على يد قائممقام مثل جهانگيرا ميرزا. لكن من خلال عباراتهم نستطيع بسهولة استنباط أن بلاط هذه الفترة – مع وجود مثل هذا السلطان المتدروش والرجال المنافقين والمتملقين – لم يستطع تحمل تشدد وصرامة رجل مثل قائممقام فاعتزازه بنفسه وغروره أحيانًا وتمرده[1] على كل القرارات التى لم يكن يعتبرها فى مصلحة البلاد قد أثار عليه الجميع كبيرًا وصغيرًا.

كان قائممقام رجلاً فوق العادة ذكى وصاحب فكر وعزيمة ثابتة أى كان (رجل سياسة من الطراز الأول، تهمه مصلحة إيران) [2] واستطاع باطلاعاته وتجاربه التعرف على الأوضاع والأحوال السياسية لجيران إيران جيدًا وقوة نفوذ وسطوة الكاردينال (مازاران برلوبى الرابع عشر) على شاه إيران الشاب. وبالرغم من هذا الوضع كان محالاً أن يحصل على امتيازات من شأنها الضرر بمصلحة إيران، وكان الإنجليز متيقنين من أن ميرزا قائممقام هو المحرك الفعلى، وليس من الممكن أن يحدث تصدع فى الأمور الداخلية لإيران، أما الكتاب الإنجليز الذين كانوا يجوبون إيران فى هذا الوقت مثل

---

(١) يقولون ذات يوم قرر محمد شاه ٣٠٠ تومان سنويًا لحاجى ميرزا آقاسى وعندما وصل القرار لميرزا قائممقام تعجب وقال بهذا المبلغ الذى يعطيه من كدح الفقراء إلى ميرزا آقاسي المجنون أستطيع أن أعين جنودًا لتأمين الحدود، وأيضًا : "عندما أمر الملك الغازى بإعطاء ما يعادل ٢٠ تومان من الذهب إلى بستانى الحديقة، أرسل قائممقام أحد الأشخاص واسترد هذا الذهب وعلى الفور أرسل رسالة إلى الملك مفادها أن كلينا فى خدمة دولة إيران، إلا أنك الخادم الأكبر لدولة إيران ونحن لا نستطيع أن نؤثر أنفسنا بأكثر من مائة ألف تومان" – (ناسخ التواريخ، ج٢).

(٢) فريزر.

(اليوتنان كونولى ودكتور وولف وفريزر) كانوا جميعًا يقدرونه ومــع ذلــك كانوا يتهمونه بموالاته للروس وتحريض عباس ميرزا نائب السلطنة علـــى عصيان نصائح الإنجليز وإعلان خريطة الاستيلاء على هراة، ولم يكونـــوا يخفون سوء ظنهم وعدواتهم الشديدة لهذا الرجل الكبير، ولا يخفون كذلك أنه الشخص الوحيد فى ذلك الوقت الذى كان يستطيع إدارة إيران إدارة جيدة.

ولقد قام الأمير فرهاد ميرزا[١] بطباعة مجموعـــة رســـائل ومنـــشآت قائممقام التى شملت عدة رسائل وخطابات صـــداقة ومعاهـــدات ومكاتبـــات ووثائق أوقاف، وذلك فى طهران عام ١٢٨٠ هـــ ق وكتب محمود خان ملك الشعراء مقدمة لها[٢].

نثر قائممقام :

يُعد قائممقام قبل كل شىء رجل سياسة وعمل، وكانت الكتابة أيضًا من ضروريات عمله، فلم تكن من باب التفنن واستعراض فنه. وأغلب كتاباته قد كتبت فى عجلة، ومع هذا فإن كتاباته تتمتع بالذوق وحسن الأسلوب بالفطرة[٣].

---

(١) لا ننسى أن هذا الشخص هو نفسه الذى وصفه بالجبن وسوء العمل، ورغم هذا كلـــه مع طبعه لكتاباته قدم تاج عبوديته لبلاط فضله وكماله.

(٢) بعد ذلك طبع مرتين أخرتين فى عام (١٢٨٢-١٢٩٤هــ ق) فـــى تبريـــز وأيـــضًا ظهرت طبعتان أخريان فى طهران (١٣٣٧ش)

(٣) أطلق معاصرو قائممقام عليه لقب سيد المترسلين وإمام النثر الفارسى، وبالغوا فـــى عظم منزلته وعلو مكانة قلمه. يقول مؤلف ناسخ التواريخ. عندما اعتقل فـــى عهـــد محمد شاه، قال الملك "خذوا قلمه وقرطاسه من يده وإذا أراد أن يكتب لى مطلبه فلا

نثر قائممقام لا يوجد به عبارات متكلفة كثيرًا ولا متـصنعة ولا ذات مضامين ملتوية ولا تشبيهات جافة، ولاسيما في المراسلات الخاصـة التـي تقترب إلى البساطة وإلى الكلام المتداول بين الناس. ونثر قائممقام يعتمد على الجمل قصيرة التركيب والتي ليس فيها تكرار، وهذا خلاف أثار أسلافه حيث كانت جملهم وعباراتهم طويلة ومليئة بالتكرار والسجع. ويتميـز قائممقـام بقدرة كبيرة على نظم المزدوج مستفيدًا مـن الأسـجاع الجميلـة لـسعدى وجلستانه. وابتعد قدر الإمكان عن ذكر الألقاب والأوصاف المرائية، وكـان أقل كثيرًا من أقرانه وأسلافه في الاستشهاد بالأشـعار الفارسـية والعربيـة وآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية في كتاباته والتي كانت سـمة لـدى الكتاب السابقين، وأحيانًا كان يستخدم كلمات واصطلاحات جديدة ومتداولـة، وكانت صعبة جدًا على الكتاب المحافظين، الذين لم يكونوا يهتمون بها.

وفي النهاية فإن رسائله بالنسبة لعادات وتقاليد ذلك العـصر جامعـة ومركزة، ولاسيما في الأمور التي لم يكن يرغب في التصريح بها، فنجـدها موجزة وقصيرة ومناسبة مع المقام التي تقال فيه (لكل مقام مقال).

على أي حال فإن أسلوب قائممقام كان محاكاة لأسلوب سعدى وكـان جميلاً وسلسًا ومتناسقًا مثله. و الرسالة التالية كتبت عن لسان عباس ميـرزا في أثناء حربه مع الروس إلى ميرزا الكبير قائممقام (عيسى قائممقام) كانت من أولها إلى آخرها مليئة بالألغاز والكنايات وكانت موجهـة إلـى علمـاء

تتركوه يفعل ذلك. فإن في قلمه سحرًا وفي بنانه وبيانه سحرًا وخدعة فإني إذا رأيت خطه فتنت به وأطلق سراحه) – ناسخ التواريخ ، مجلد قاجاريه، (أحداث) سال سنة ١٢٥١هـ ق.

وطلاب تبريز الذين لم يكونوا على وفاق مع ولى العهد حتى أنهم كانوا مشاركين فى تحريض الروس ورجالات البلاط فى طهران ضده :

«يا إلهى أقول الصدقَ الفتنةُ منك

ولكن من شدة الخوف لا أستطيع الاعتراض

فشفاه وأسنان حسناوات بلاد الخطا

ما كان يجب خلقها بهذا الحسن

فمن جراء شفاههن وأسنانهن

يجب عض اليد والشفاه بالأسنان

ويقول ولى العهد[1] إن السكر والعدس (نوع شبيه بالعدس) وأقداح من عصير الفاكهة وشرابكم طوق أعناق علماء الدين[2]. وإن الجواد العربى لا يأكل شعيرًا كثيرا والجواد القازاقى لو أكل عشرة أمنان مرة واحدة لا يثمل بخلاف الجواد غير الأصيل الذى إذا رأى شعيرًا كثيرًا وأتيح له الدخول فى أماكن الرعى الممنوعة فإن أول عضة وأول ركلة تكون لسايسه الذى يرعاه ويؤدبه.

يا شجرة الورد الجديدة إن شوك ظلمك

أصاب أول ما أصاب قدم البستانى

ومنذ ذلك التاريخ الذى رأى فيه شيخ الإسلام فى مدينة تبريز إن صلاح المسلمين يكمن فى استسلامهم للمغول، فإن علماء تبريز لم يحظوا

---

(١) عباس ميرزا نائب السلطنة.

(٢) أئمة تبريز.

مطلقًا سواء فى عهد جهانشاه ومظفر وسواء فى عهد السلاطين الصفويين وحتى فى عهد نادر شاه وكريم خان وأيضًا فى عهد آل دنبلى وعهد أحمد خان بالاحترام والإعزاز والاعتبار والطاعة، مثلما حظوا فى هذا العهد من دولتنا وعنايتنا الذى رفعوا فيه علم الكبرياء إلى أوج السماء. خيرًا تعمل شرًا تلقى ! اليوم الذى نقف فيه أمام الجيش المعتدى وتركنا ممتلكاتنا دون حماية خارجية معتمدين على أهل تبريز، فإنهم يثيرون الفتن فى عاصمتنا ويغلقون المحلات والسوق ويتجولون فى سيد حمزة(١) وباغ ميشه(٢) وينشر

---

(١) سيد حمزة، هو من السادات والذى يصل نسبه السادس عشر إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام وهذا النسب يصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد كتب هذا على قصره. ومولده الشريف فى بلده خواف (خاف) وكان السلطان غازان يرغب دائمًا أن يكون سيد حمزة فى صحبته لما يضيفه من بهجة، وكان يأخذه معه فى أكثر سفرياته. توفى سيد حمزة فى سنة ٧١٤هـ ق. وذلك القصر شيده ابنه ميرزا حسين (تاريخ محمد أمين حشرى نقلاً عن نادر ميرزا) وأيضًا سيد حمزة رضى الله عنه كان له منزلة كبيرة لدى محمود غازان، ويقولون كان نديمه، ويقال إن كبار رجال المغول ضاقوا من تقربه للإيلخان محمود غازان. وأحيانًا لم يكن يتحدث بخير للسلطان عن القادة المغول. وذات ليلة خرج ممتطيًا جواده من الحضرة ووصل إلى تلك المنطقة التى يطلقون عليها (سرخواب) (وهو المكان الذى دفن فيه) وكان هذا المكان معسكرًا للجيش وانطلق سهم عربى فأرداه قتيلاً ودفنوه فى هذا المكان وقد بنى ميرزا أبو طالب الوزير الأذربايجانى بناية فى هذه البقعة إلا أن هذا المبنى قد هدم وتلاشت جدرانه (نادر ميرزا . تاريخ وجغرافياى تبريز).

(٢) باغميشه : ضاحية كبيرة ومتنزه، وهى ممتدة من الشرق إلى ساحل النهر فى ممر ضيق، وطقسها ممتاز، ومليئة بالأشجار المثمرة، ومغطاة بالأشجار (نادر ميرزا تاريخ وجغرافياى تبريز).

مرزفيتش[١] أخبار هذه الفتنة عند ملك الروس ويذيعها صفي خان في البلاط الملكي وآخرون في بلاد الروم ويل لأهل تبريز لو كان فتحعلي خان لديه الكفاءة وكان الحكام بشرًا، برغم أن بجانبهم إنسانًا مثل ميرزا مهدى، لما كانت لفتاح غير العليم[٢] الجرأة والقدرة على فعل مثل هذه الأمور ؟!

---

(١) سيمون إيفانوفيتش مازارفيتش : طبيب كاثوليكي من أهل فينسيا عمل في الحكومة الروسية منذ عام ١٨٠٧م، وكلف في الفترة من ١٨١٨م إلى ١٨٢٨م من جانب الحكومة الروسية بحل الخلافات المتعلقة بين روسيا وإيران وكان يعيش مع أخويه الأصغر منه (اسبيردن، يوسف مازارفيتش) في تبريز . گريبايدوف الشاعر الروسي المعروف وسفير روسيا الذي قتل في طهران يعده رجلاً محبًا وعاقلاً وذا همة (الرسالة المؤرخة في ١٥ ابريل سنة ١٨١٨) أما عباس ميرزا في مباحثاته مع جريبايدوف فإنه يعده عدوًا وسببًا من أسباب الحرب بين إيران وروسيا (جريبايدوف، تبريز، بتاريخ ٣٠ يونيو سنة ١٨٢٧م من معسكر قراباba إلى الجنرال باسكوفيتش) وتوفي سيمون إيفانوفيتش عام ١٨٥٢م.

(٢) عندما توفي حاجي ميرزا يوسف، كان عنده ولد يدعى السيد عبد الفتاح. وكان الناس مخلصين كثيرًا لحاجي ميرزا. فالتفوا حول ابنه، ورويدًا وذات يوم ادعوا بهتانًا أنه من السادات وأن له كرامات... وكان شابًا مغرورًا وأحمق. واطلعت عدة مرات على كتابات ميرزا أبو القاسم التي لا مثيل لها والتي كان قد كتبها إلى والده من طرف نائب السلطنة، وكان قد أطلق عليه لقب (فتاح غير العليم). لو كنت أستطيع اتهامه بجرم يعلم الله لأفعل ذلك (نادر ميرزا، تاريخ وجغرافيا تبريز).
في هذه المرة التي اقترب منها آرستوف انضم إليه، أهل مرند الذين كانوا قد عانوا اضطراب خاطرهم. من بين بلدة تبريز كان السيد فتاح شابًا غرًا وكان ابنًا لحاجي ميرزا يوسف مجتهد. اعتقد بوساوسه النفسية وتخيلاته الشيطانية، أن طاعة الإمبراطور الروسي ستؤدي إلى خضوع الناس له وأن المحراب والمنبر سوف يزدهر مرة أخرى. وبعد ذلك صعد إلى المنبر ودعا الإمبراطور عامة الناس أيضًا إلى طاعته.
وفجأة ثار الناس وعمت الفوضى وأنزلوا حراس البرج والسور، ومن ناحية أخرى=

قيل إنه إذا لم يشبع السادة جيدًا من الحساء والأرز فهذا مقبول، لكن أنت ماذا حدث، ألم تشبع من الزهد الكاذب ونهم الملالى؟ لقد تم كتابة كتاب الجهاد، وثبتت النبوة الخاصة، كفاك لغوًا، وعليك أن تخدم أيضًا المعشوق والخمر ! فلو كنت صرفت عُشر ما قلت عن الجهاد مع أهل السلاح بدلاً من أهل الصلاح لما بقى كافر واحد يحتاج لمجاهد.

على كل حال عليك أن تجعل مائدة الجمعة الخميس وقفًا لأعيان المدينة ورؤساء الأحياء، ونجباء القبائل، والرؤساء العقلاء، وأن تطوى مائدة الحيلة والخداع، وتعرف العملة المزيفة.

العملة الصوفية ليست كلها حقيقية وسليمة

فما أكثر الخرق التى تستحق الحرق

لم تظهر أية فائدة حتى الآن من كل ما قرأناه من هذه الأوراق وسردناه على هذا النسق، بل إن هذا يمكن أن يكون من نتائج صلاتنا وصلاتكم يوم الجمعة وتضرعنا ليلة يوم الجمعة. فلتطووا بعد ذلك البساط القديم، وتفرشوا الجديد، وتخالطوا أهل تلك المدينة، ولتتقربوا إليهم، وتوجهوا الدعوة لهم وتتحدثوا معهم، ولتختاروا من شبابهم الأكفاء وشيوخهم العقلاء من يصلح

=ارتفعت أصوات المدافع الروسية من منطقة (آجى جاى) التى تبعد فرسخين عن تبريز ورفع ميرفتاح علمًا وطلب من الأهالى أن يخرجوا لاستقبال الروس فى يوم الجمعة الثالث من شهر ربيع الثانى من عام ١٢٤٣هـ أحضروا جماعة من الروس إلى قلعة تبريز، فى تلك الأثناء كان نائب السلطنة قاصدًا مدينة تبريز، واستمع إلى هذه القصة وهو على بعد فرسخين من المدينة وأمر قائممقام بالتوجه إلى تبريز فاضطر إلى تنفيذ ذلك واتجه عن طريق سلماس (سپهرناسخ التواريخ ، مجلد قاجاريه).

للخدمة، وأصرف عليهم واحد على ألف مما صرفته علـــى تلــك الطائفـــة، ويستحسن أن تصرفوا هذه الجماعة، ولتــكن مثل ســـائر ممالك المحروسة لا أذى ولا ضرار ولا تدخل ولا سيطرة.

إن حضرة جناب ميرزا مهدى فى الحقيقة أحد أمناء دولتنـــا وكـــاتمى أسرار حضــــرتنا ولا دخـــل له بهذه العصابة. وهو من المخلصين لنا تمامًا. [وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ] (1). فلـــو كان يحمل نفس اسمهم، فهو بحمد الله ليس في رسمهم، فهو فى العلم أغــزر منهم، وفي الخدمة أوفى منهم. إن مؤانستكم أزاحت مجانستهم، وهو مماثـــل لأمنائنا وكاتمى أسرارنا ومؤانس لعنايتنا ومكارمنا.

برغم أن كليهما من الطباع فإن السعادة أفضل من الحزن

ورغم أنهما من الخشب فإن المنبر أفضل من المشنقة

لو طلبت صحبة أهل الكمال فكن أديبًا مبدعًا فى تلك المدينة مثل جناب حاجي فاضلى وحاجى عبد الرازق بيك(2) كثير العمل، وقليل الطعام، قـــادرًا على تدبير شئون الحياة بحلوها ومرها. أعوذ بالله أن تكون مثل الشيخ الملا قصير القامة الذى إذا قيل له هل امتلأت؟ قال هل من مزيد. مثـــل حـــصان الأحمال كثير الأكل وقليل العدو، آفته التبن والشعير، ليذهبوا فـــداء لأكـــابر الروم، وباباوات أوربا، فلم يكن عندهم ذلك العلم وتلك الفضيلة التى يـــردوا بها على البابا ولا هذه الغيرة والحمية بحيث يغلقون باب المـــسجد وطريـــق المئذنة مثل أكابر الروم، ويسوقون الناس لمواجهتنا، ويدعونهم إلـــى حفــظ

---

(1) سورة فاطر، آية ١٢.

(2) المقصود عبد الرزاق بيك دنبلى مؤلف المآثر السلطانية .

ملكهم ودينهم، ما شاء الله عندما يفتحون قبضة الشجاعة يـشهرون الـسيف الذى يجب إشهاره اليوم فى وجه الجيش العثمانى يشهرونه فى وجه ميـرزا أمين الأصفهاني، ويعتادون على الصيد المنزلى وادعاء الجنون وعلى كـل حال، الآن وهم أصحاب الرمح والسيف وبكل هذه الشجاعة والقوة عليهم أن يتحملوا مشقة المجيء وأن يقاتلوا العاصى.

لقد صدر القرار المبارك فى هذا الشأن إجلالاً وتعظيمًا لكـم، ولكـم القدرة وحرية التصرف فى أى موضع، والسلام على من اتبع الهدى».

وهناك رسالة كتبها لزوجة (جون ماكدونالد) [١] وأخت السير (جـون مالكوم)[٢] المعروف وهى أسهل رساله لدينا لقائممقام، وقد حاول الكاتب فيما يبدو أن يكتب الرسالة بأسلوب سهل بسيط قدر المـستطاع حتـى يـستطيع القارئ الذى لديه القليل من المعرفة باللغة الفارسية أن يفهمها جيدًا، ولـيس لهذه الرسالة تاريخ، لكن يبدو أنها كتبت بعد عام ١٨٢٦م وقبل عام ١٨٣٠م:

"صاحبة الجاه والعظمة وصاحبة العصمة والعفة، الأخـت الرحيمـة المباركة السيدة الفاضلة، أسأل الله من فضله ورحمتـه أن تكـون الـسعادة والتوفيق مصاحبة لك أينما كنت، لقد أصابنى الملل والضيق منذ رحيلك لأنك الصديق الحقيقى لى والسفير العظيم للحكومة الإنجليزية الخالدة، قـد بقيـت وحيدًا أخاف أن أصاب بشدة من آلام الوحدة والابتعاد عنكم وتضيق بى هذه

---

(١) Macdonald ماكدونالد : السفير الإنجليزى فى إيران والذى كان يعيش فـى تبريـز توفى فى عام ١٨٣٠م.

(٢) Sir John Malcolm السير جون مالكولم رجل سياسة ومؤرخ إنجليـزى (١٧٦٩-١٨٣٣م) ألف كتاب تاريخ إيران عام ١٨١٥م، وترجمه إلى الفارسية ميرزا حيرت مدرس اللغة للفارسية فى الهند.

المملكة، والحق إننا لسنا راضين أبدًا عن رحيلك. وسكتنا خوفًا أن يغلب عليك حب الوطن وتتضايقين من إلحاحي عليك بالبقاء. الآن وقد وصلت بحمد الله إلى إنجلترا واسكتلندا موطنك الأصلي ومسكنك المألوف، وتلافيت ما مر بك هنا بقضاء أوقات سعيدة ، فقد كان من الواجب أولاً، أن أعرب عن أسفي وحزني للفراغ الذى تركتيه فى هذه المملكة (إيران)، ثانيًا، أكتب لك مهنئًا ومباركًا على وصولك إلى ديارك ووطنك . ثالثًا، أن أسأل على أحوالك المباركة، ثم أخبرك بثلاثة أمور برغم الاختلاف والفارق الكبير بين تلك الممالك وبلدنا هذا (إيران) وأن كل من يرى بلادكم لا يرغب ولا يميل أبدًا للعيش فى مثل هذه الأماكن، إلا أنه من الممكن على سبيل الصداقة والأخوة والرحمة أن يرضى بسوء العيش هنا. ومعلوم لك أن أهل هذه المملكة (إيران) أنسوا بوجود صاحبة الجاه السفيرة المعظمة، وتعامل معها الملك الأعظم والنواب وولى العهد، ومن الصعب جدًا أن يجدوا إنسانًا طيب القلب مثلك وفى هذه الحالة سيكون من الصعب بقاء السيد المشار إليه (ماكدونالد) فى هذه المملكة (إيران) بدون وجود تلك الأخت الرحيمة؛ لأنه ليس له أهل أو راع غيرك ولا يستطيع أن يصرف نظره عنك.

أتوقع كأخت لى أن ترسلى ردًا سريعًا على هذه الرسالة، وأن تكتبى لى فيها عن أحوالك لكى نطمئن جميعًا على سلامتك. وعليك أن تفكرى جيدًا فى هذا الموضوع المهم الذى كتبته إليك وأن تبلغينى بقرارك ورأيك ، ونرجو أن تتخذى قرارًا يصير مدعاة لسرورنا وسعادتنا جميعًا. لتكن الأيام الباقية المباركة كما ترغبين. والسلام قائممقام الدولة العلية الإيرانية أبو القاسم الحسينى[١]».

---

(١) أصل هذه الرسالة فى المتحف البريطانى فى لندن، إسماعيل دولتشاهى، رسالة غير منشورة لقائممقام، مجلة راهنماى كتاب السنة الخامسة العدد الثانى.

من الرسائل الخاصة لقائممقام:

«كانت قد وصلت المكاتبات المفصلة بصحبة ذو الفقار بيك، بينما كنت أجيب عن عريضة مختصرة. حتى إذا ما وصلت إلى منتصف الصفحة، عندئذ جمح القلم عن الكتابة، ووقع العنان من يدى (لم أستطع السيطرة عليه) فرأيت دون إرادة منى أن أقتبس من العلم الفياض لوقائع نكار، "غراب، والغراب يتمنى أن يمشى مشية طائر الكبك فدفعته إلى الأمام"... مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه. [1] ماذا يعنى الصدق؟ أين الحقيقة؟ لماذا الحديث دون مواربة؟ نشرب الخمر فى الخفاء حتى لا يكفروننا. الرجل الذى يتحدث هنا صراحة أكثر ندرة من المرأة التى تسير محجبة منقبة فى بلاد الفرنجة ... إنى لم أستطع معك صبرًا. [2] لقد جعلت ورقتك مثل أبناء الزمان الذى انقطعت أنفاسهم، إن شاء الله لن يخيب الله رجاءك. ليس كل شخص يستطيع أن يتفوه بفحش الكلام، وإنى باقتضاء الجبن والحذر أميل إلى الكناية والرمز حتى احترز من السعاية والغمز. يا نجى الألطاف، نجنا مما نحذر وما نخاف».

كتب من خراسان إلى ميرزا بزرگ:

"كل شخص بيده كأس

يشرب من الكأس السلطانى خمرًا

---

(١) سورة إبراهيم، آية ٤.

(٢) المقصود (إنك لن تستطيع معى صبرًا) سورة الكهف، آية ٦٧.

لو كان السيد يقول الصدق، فإن ميرزا على خان الذى يحكم مدينة جام[1] يجب عليه أن يحمل رأسًا من اللفت حتى لا يموت من الجوع، فما بالك بحالنا نحن الضيوف فى هذا المكان.

أول أمس فإن مائة مَن من القمح فى سرخس لم تجد مشتريًا، اليوم فى جام فإن مَنًا واحدًا من الشعير لم يجد أيضًا اثنين من المشترين لينحصر قوت الإنسان والحيوان فى الثلج والبرد؟....».

كتب من خراسان إلى وقايع نگار:

"يا نسيم الصبا لتتلطف علينا بالحديث

فإن الغزال الأرعن الذى منحتنا إياه شارد صوب الجبل والصحراء

إنكم قد مهدتم لنا السبيل إلى خراسان والآن تقولون أن أموال العام المنصرم لم تصل بعد. ولتتلطفوا علينا بمحبتكم مرة أخرى فى مقابل الخمسة آلاف، أين نحن من هذا؟ الطائر المسكين أى خبر عنده عن الروضة!

مرحبًا أيها العشق الذى فتنا به

أيها الطبيب لكل أمراضنا

أيها الدواء لنخوتنا وناموسنا

يا من أنت لنا كأفلاطون وجالينوس

---

(١) جام مدينة فى خراسان.

أحداث الزمان كلها عجيبة وهى مصدر للحيرة والدهشة التى لا حدود لها. فلقد حكم وأفتى ميرزا جعفر ووقع فى الحضرة العلية على أن كل شخص متعب ومتألم لن يبقى فى الموكب المنصور حتى لا يستشرى الداء. والحراس الخبراء والعالمون ببلاط الحريم مكلفون ومعنيون بالإبلاغ عن أى شخص يصاب. سبحان الله! لماذا هم غافلون تمامًا عن حال قلبى، فهو نفسه مصدر الداء والطاعون، فلتقر بعجزك يا أرسطو ويا أفلاطون!".

رسالة إلى محمود خان دنبلى فى الدفاع عن محمد ميرزا:

"المخدوم المحمود حفظه الله الودود، قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود،(١) يريدون أن يطفئوا نور الله.(٢)

لقد أتممت الحديث مع الأصدقاء

يا إلهى فلترفع الحجاب عن هذا المعمى

الأمير الأعظم، روحى فداه، إذا لم يكن يمتلك ذهبًا وفضة فإننا لا نخشى عليه، فإن يده وقدمه ووجهه طلق ومبسوطة بحمد الله.

وليس بأوسعهم فى الغنى ولكن معروفه أوسع

ألم يكن لحاتم الطائى سوى كيس خال وهمة عالية ولا شىء آخر؟ يا ولى العهد المرحوم المغفور، ألبسه الله حلل النور، ألم يكن له سوى الاجتهاد وبذلك الجهد الجهيد فى سبيل دين الله والإخلاص والصدق فى أمور الدولة؟ أو لم يورث غير هذين الشيئين فلسًا واحدًا للورثة؟ ومع هذا الوصف من

---

(١) سورة البروج، آية ٤، ٥.

(٢) سورة التوبة، آية ٣٢.

ضيق العيش وضيق ذات اليد فى كل عام لا محالة، ألم يكن يتصدق ويهب مليونًا أو نصف مليون؟ ألم يكن يسدد واحدًا من هذه الملايين الثمانية (إشارة إلى الملايين الثمانية الغرامة التى وقعت على إيران لروسيا والتى أعطى منها عباس ميرزا ذاته مليونًا) رغم الظروف القاسية.

آه من هذا القوم الذى لا حمية ولا دين له، والذى لا يكف عن الثرثرة، والذى لا يملك ذاكرة. إنهم أعمياء فى الحق مبصرون فى الباطل، جهلة فى العلم علماء فى الشر. كما قال الشاعر:

تميم بطرق اللوم أهدى من القطا

ولو سلكت سبل الهداية ضلت

لو أبصرت بعين الإنصاف إلى ما وصل إليه غرور الأغنياء الذين يدعون الكثرة والتقدم والذين يطعنون فى المفلسين والدراويش يعلم الله أنه غرم لا غنم فليس لدينا مال وليس لدينا فضة فلا نخاف وليس لدينا ذهب يسبب البلاء. دائمًا هم فى هول وأسى وغالبًا فى قسم وأكاذيب.

«وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ» (١)

كأنهم لا يؤمنون بيوم الحساب فهم يحكمون بالغش والتزوير.

أحيانًا يصلون نار جهنم بسبب الخمس والزكاة، وأحيانًا يغرقون فى الماء مخافة الهدايا والضرائب، وأحيانًا ينامون فى التراب من فكر الحوادث والآفات، ولاشك أن عاقبة ذلك فى الدار الدنيا ستذهب هباءً".

---

(١) سورة الهمزة، آية ١، ٢.

رقعة أخرى:

"منذ ذلك الوقت الذى انقطع فيه الحضور وانكسرت فيه قنينة الصبر على حجر الفرقة والبعاد، الآن مضى أكثر من عامين ولم يـأت مـن هـذا الطرف بريد وسلام، ولا من هذا الجانب رسول أو رسالة. فطائر الرسـائل عقد جناحه وأغلقت صومعة الوصال بابها.

أنت قلت إنك ستأتى فقلتُ لن تفى

بالعهد والميثاق والمحبة والصداقة

الحمـد لله اطمأننـت، لا سفـر ولا حضـور، لا مشقـة ولا أرق لا اصطدام ولا اضطراب.

مقدر أن يعطى للوردة رائحتها وأن ينفخ الروح فى الطين

ومـن حكمتـه أنـه أعطـى كـل شـىء مـا يناسبـه

يعطيكم السعادة ويمنحنى التعب، نصيبك باقٍ وحاضـر، ونـصيبى غائب، عيوننا على الباب وفى صدركم عين ضاحكة. هناك فرق بـين مـن يكون حبيبه فى القلب وبين من تكون عيناه على الباب فى انتظاره. ما أسعد من تكون معيشته وحياته من حلال، وأن تكون فرحته من القرب والوصال، ليس مثلنا كسيرى القلوب وأسرى السراب نحن صيام بالنهار ومتـضرعون بالليل، شكرًا لله أن ليس لنا حظ نادر ولا نصيب الإسكندر، جمالك ليس من الماء والطين غير أن نسيان ذكرى الأحبة كان ميمونًا للحبيب.

أيهـا السحــــاب أتــذكــــر الطــــائــر الحــزيــن

ذات صــبــــاح فــــي وســـط الـــــروضـــــة

أمــن الجـــائز أن أكـــون فـــي قيــد المعـــاناة

وأن تكون أنت حينًا على الخضرة وحينًا على الشجرة

أقاموا هذه الليلة احتفالاً للمخلصين وأعدوا كل سبل اللهو والمـرح، الكأس قلبي والنواح طربي، والشراب دمعي، والشواء كبدي! فإذا كان لـك رغبة في مثل هذا الاحتفال، وإن كنت عازمًا على مشاهدة نزهــة العــشاق، فلتمر بصومعتي دون تكلف، ولتنظر بعين العون بشهداء حبك ولتكن عونــا للمحتاجين بسم الله إذا كنت صديقًا لنا".

شعر قائممقام:

قائممقام شأنه شأن غالبية رجال وعظماء إيران كــانوا يقرضــون الشعر من آن إلى آخر، وكان يتخلص بـــ (ثنائي) ولكنه لم يكــن شــاعرًا، ونحن لم نعرفه كشاعر. وأشعاره أغلبها قصائد ومــدائح وبعــض القطــع والمثنويات، ويبلغ مجموعها حوالي ثلاثة آلاف بيت تقريبًا، وقــد جمعــت وطبعت على يد وحيد دستكردي. وله أيضًا مثنوى باسم جلايرنامه كتبه باسم غلامه كتعبير عن حسن طويته وقد مدح فيه محمد ميرزا الذي عرف فيمـا بعد باسم محمد شاه، وهذا المثنوى هو نفسه الذي ألف جلال الممالك إيــرج ميرزا كتابه المعروف عارف نامه[1] تقليدًا له.

---

(١) جلايرنامه قائممقام هي قدوتي في هذا الحديث (عارفنامه).

وتتضح أهمية أشعار قائممقام فى أن أشعاره بخلاف معاصريه التى لم تتضمن أية إشارة لأحداث عصرهم، فأشار فى بعض أشعاره إلى الأحداث والوقائع الجارية. ومن بينها قصيدة نظمها بعد هزيمة المجاهدين الإيـرانيين فى أذربايجان وكانت سببًا فى هزيمة وانكسار ولى العهد، وفيها ينوح ويشكو من جهل مواطنيه، **فيقول:**

آه مـن هـؤلاء القـوم الذين لا حميـة لـهم ولا ديـن

كُـرد الـرى وأتـراك خمسـة ولـور قـزويـن

سـواء كـان العـدو والحقـود عـاجـزًا ومسكينًا

وكـان العـاجـز والمسكيـن عـدوًا حـقـودًا

يتقاطرون على الخيار والقرع عندما يلتفت رستم

ويسـرعـون خـلف الخيـل كـالذئـاب

وعبر فى هذه القصيدة كذلك عن ضيقه من هزيمة إيران وانتـصار الروس عليها قال:

إنـه الـزمـن حينـًا يهـب العـزة وحيـنـًا المـذلـة

إنـه فلك لاعـب لـه ألاعيـب كثيـرة على هذه الشاكلة

إذا تـرفـق فـإنه يكـون غـالبًا بلا سبـب ومبـاغتًا

إذا تشـدد فـإنه يكـون غـالبًا غير موائم وغير مستقيم

فـإنه مثل المنـافقيـن يلصـق بنفسه تهمة الإسلام أحيانًا

وحينًا يتخـذ جـانب الكفـار مثل الـرهبان والقسـاوسة

ينظر أحيانًا إلى العقيد وإلى النقيب وإلى صاحب المنصب
وأحيانًا إلى العقيد والعميد وإلى القائد
يريد أحيانًا جيشًا على مراد الذئب آكل الجيفة
وأحيانًا يطلب دولة يحكمها سياسي محنك
أحيانًا يقود جيشًا سفاكًا للدماء من بطرسبورج إلى تبريز
وأحيانًا يرسل جيشًا جرارًا من خراسان إلى تفليس

وقد قرض الشعر التالي معاتبًا اللهيار خان آصف الدولة ومذكرًا بفراره من ميدان المعركة إبان الحرب الإيرانية الروسية الثانية:

أهرب حين يكون الوقت وقت الهروب
وول وجهك صوب الروح فإن الروح عزيزة جدًا
يا خائن عيش وملح الملك وولي العهد
هل مقابل نعمة الملك وولي العهد الهرب؟
يندفع للصلح ويفر من الحرب
فليس هو رجل حرب، بل امرأة عاهرة وضعيفة
يقول إنني غلام في المملكة
إنه والله ليس غلامًا، بل جارية
عاد بمائة مذلة وعار، والآن
عاد ثانية للنهب والطمع

حـــاشـــا أن يفـــل الحـــديـد والفـــولاذ

بقطعـــة مـــن الخشـــب ليســت قــوية ولا حـــادة

٦ – وقايع نگار:

كان ميرزا محمد صادق المروزى، الملقب بوقايع نكار مـــن أهـــل شاهجهان ومن نجبائها، جاء إلى مشهد بصحبة الحاج محمد حسين خان بـــن بيرامعلى خان قاجار المروزى الملقب بـــ فخر الدولة، وفى هذه المدينة بـــدأ فى تحصيل العلوم. وبعد مقتل بيرامعلى خان عز الدين لوى قاجار على يـــد بكجان الأوزبكى واضطراب الأمور فى خراسان اتجه من سواحل عمان إلى زيارة النجف الأشرف، ثم أقام فى كاشان بعد عودته، واتصل بواحـــد مـــن أهالى قم. وبدأ قرض الشعر وهو فى ضيافة حاجى سليمان خـــان صـــباحى الكاشانى (متوفى عام ١٢٠٦ هـــ.ق) ثم توجه بعد ذلك إلى طهران وسـلك طريقه إلى بلاط فتحعلى شاه حيث عمل كاتبًا فى البداية فى بلاطه ثم شـــغل فى عام ١٢١٥هـــ.ق منصب كاتب الوقايع، وكلف بكتابـــة تـــاريخ الدولـــة القاجارية وألفه فى مجلدين، أتم المجلد الأول فى عام ١٢٢٥هـــ.ق وأســـماه تاريخ جهان آرا أى [تاريخ زينة الدنيا] وعرضه على الملك القاجارى حيث منحه لقب رئيس دفتر السلطنة، وبعد ذلك التاريخ تقلد مناصب عدة وكلـــف بمأموريات مختلفة من قبل كل من الشاه وعباس ميرزا نائب الـــسلطنة فـــى خراسان وأذربايجان حتى وفاته فى عام ١٢٥٠هـــ.ق.

كتب المروزى كتابين آخرين باسم قواعد الملوك وشيم عباسى كمـــا أمر بجمع أشعار شعراء البلاط التى قرضوها فى وصف ومدح الملك منـــذ

جلوسه حتى السنة السابعة من حكم فتحعلى شاه، وأطلق الشاه نفسه على هذه المجموعة التى أتمها فى سنة ١٢٢٣ هـ.ق اسم (زينة المدايح)، وجرت مكاتبات بين المروزى وقائممقام "تتميز بقدر من التجديد الإنشائى ولكنها لا تسمو لأسلوب قائممقام"[١] فكان قائممقام يمتدح إنشاءه وكتب فى كتابه إليه [إنه مثال فى بدائع الأفكار...إلى درجة لم يصل إليها أى مخلوق][٢] ويقول مرة أخرى عن قول نائب السلطنة:

"إن ألفاظ وعبارات وقايع نكار مثل الماء الزلال الصافى الذى لا يحجب ما وراءه، والمضامين والمعانى واضحة وحاضرة دون حجاب أو غطاء مثل الماء والشمس، ليس مثل أشرار المدينة ونوائب الدهر المصابين بمرض الجدرى الذين يشبهون المسجونين والمخدرين، يتحدثون عن العفاف ويأملون الزفاف.... ويخفون رؤوسًا صلعاء، ووجوهًا قذرة ملوثة، ويتحدثون عن جدائل هفهافة مثل السوسن والسنبل الذى تميله ريح الصبا والشمال".[٣]

وكما قلنا فإن وقايع نكار قد قرض الشعر أيضًا واتخذ لنفسه تخلصًا بـ (هما) وله قصائد على غرار أسلوب القدماء فى مدح الخاقان، وعباس

---

(١) ملك الشعراء بهار، سبك شناسى، جـ ٣، الطبعة الثانية، طهران ١٣٣٧ش.

(٢) منشآت قائممقام، طهران ١٣٣٧ ش، ص٢١.

(٣) أرسل فتحعلى شاه وقايع نكار مع مازارفيتش إلى تفليس للتباحث مع باير ملوف حول گوگجاى وقبان. ووصل تفليس فى ربيع الثانى ١٢٤١ هـ.ق (نوفمبر ١٨٢٥م) وحين توفى إلكسندر الأول قيصر روسيا فإن هذه المباحثات لم تصل إلى نتيجة، وعاد وقايع نكار إلى طهران فى رمضان ١٢٤١هـ.ق (مارس ١٨٢٦م).

ميرزا نائب السلطنة، وميرزا محمد تقى صاحب الديوان، وكبار رجالات الدولة الآخرين، أشار فى بعضها إلى أحداث وقعت آنذاك مثل فتح ترشيز وأمير آباد وخبوشان على يد عباس ميرزا وغير ذلك.

وكمثال على ذلك نذكر بعض أبيات من قصيدة نظمها فى أثناء سفره وتوقفه فى تفليس مقتفيًا فيها أسلوب الخاقانى ومخاطبًا فيها عباس ميرزا نائب السلطنة يشجعه فيها على فتح القفقاز:

لقد حبسنى الفلك فى تفليس

فيا حسرة على هذا الظلم وأسفاه على هذا العدوان

لقد أخرجونى من التربة الطاهرة

التى نعم بها الأطهار مثل الروح فى الجسد

لقد أحضر الزمان، الشريد

وجعله أنيسًا للروس ومؤنسًا بالمسيحى

إلا سيف ولى العهد الحارق للأعداء

ألا تدبير الشاه المحنك الشاب

يمنحنى الخلاص من هذا المسكن الشؤم

ويحررنى من هذا السكن القذر

أيها الإله العادل امنح الخلاص

من هذا السيف اللامع كالبرق

امــح غبــار الكفــر عــن طــريــق الــدين

واكشــف غطــاء الشــرك عــن وجه الشرع

هــاجــت وماجت نزعات العدو بحدود إيران

فــلتــضــرم نــاره فــي قــــدر الهــيــام

وسكـــن بمـــــاء الســيــف غــلــيــانــه

حتى يعلم أن هذا الهوس ساذج ولا أساس له

الباب الثانى

الأدب الإيرانى فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر

الفصل الأول – الشعراء

مقدمة:

واصل شعر البلاط الذى كان قد وصل إلى حد الكمال فى عهد سلطنة فتحعلى شاه، تقدمه وازدهاره فى عهد خلفائه، كذلك واستكمل المسيرة شعراء لا حصر لهم بنفس الأسلوب حتى منتصف عهد سلطنة ناصر الدين شاه، وكان أشهرهم شهاب الأصفهانى وفروغى البسطامى وقا آنى الشيرازى ويغماى الجندقى وسروش السدهى الأصفهانى وشيبانى الكاشانى ومحمود خان ملك الشعراء، ومنذ منتصف القرن الثالث عشر فقط ظهر تحول بسيط فى بنية الشعر الفارسى(١).

١ – شهاب:

يعد ميرزا نصر الله "شهاب" الأصفهانى من كبار شعراء هذا العصر، وقد حضر إلى طهران سنة ١٢٥٤ هـ.ق، وحظى بعناية الوزير الإيرانى حاجى ميرزا آقاسى ولقب بتاج الشعراء، وظل يتردد على طهران

---

(١) من شعراء الدرجة الثانية فى عهد محمد شاه، وناصر الدين شاه ميرزا مهدى فروغ، وفرخى الأصفهانى، وميرزا رضا قلى سلطانى، وكلهر الكرمانشاهى، وهماى الشيرازى، وميرزا محمد تقى سبهر، وعبد العلى احتشام الملك، الذى يعتبر من أسرة السلطنة، وعدد من أبناء وصال.

من حين لآخر ليعرض مدائحه وقصائده على الوزير ثم يعود إلى موطنــه، وبعد أن اعتلى ناصر الدين شاه عرش السلطنة وصل شهاب إلــى حــضرة الملك وقدم التهنئة، وكلف بنظم عدة مجالس فى مراثى ومأتم حضرة ســيد الشهداء، وقد نظم شهاب أشعارًا كثيرة من القصيدة والقطعة والمثنوى.

وبرغم أنه قد جاء فى حديقة الشعراء أن طغرل ابن شــقيق شــهاب قــد تخلص من أشعاره وأخذ ينشد قصائده باسمه محرفًا إياها[١]، إلا أننى لا أصدق هذا الادعاء لأن ديوان شهاب موجود[٢]. وقد توفى شهاب سنة ١٢٩١ هــ.ق.

فى وصف الربيع:

إن نسيم فروردين[*] قد استضاء كضياء عظمة ملك العالم

وأشــــــرقــــت أيـــام شــــاربـــى الخـــمـــــر

فهيــا يـــا ربيعـــــى يا ضاحــك الوجه فقد أقبل النوروز

هيــا انعش أرواح الأصــدقاء بتلك الخمر الصافية المعتقة

وحمــلت الشــمــس الحلـــة الــذهبيــة فــى بيــت الشــرف

وتـــوارت الشــجـــــرة تحـــت الخلعـــة الـــزمــرديــة

وصعــد مـــلك الــورد فــوق العــرش بتاجه الأصفر الكهرمانى

فهيـــا أعطنـــى الكأس الفضية فقد اصطف الصفصاف والياسمين

---

(١) مجلة يادگــار، السنة الخامسة، العددان ١ و ٢ (نقلاً عن حديقة الشعراء).

(٢) فى مكتبة مدرسة ســپــهالار بطهران تحت رقم ٢٥٧.

(*) فروردين شهر هجرى شمسى يقابل مارس وإبريل (المترجم).

لقــــد تحطــــم قلــب الشتــاء مــــن جيــش شــهــر آذار[1]

فكـــسَّرى أيتهـــــا الشـــمـــس الـــــذؤابتيـــن الملتــويــتيـــن

فمن نسيم الرياح صارت الروضة كلها تفوح بعبير مسك الصين

ومـــن قطـــرات السحـــاب صـــارت الصحراء كلها لؤلؤ عدن

إن النـــسيـــم قـــــد عقــــــد السنبـــل وجعلـــه مثـــل ذؤابتك

وظهـــرت الخضـــرة بجـــوار النهـــر مثـــل حـــاجبك اللطيف

واكتست الروضة بألوان الزهور وتعطرت برائحة اليـــاسمـــين

فأعطنى أيتها الشمس الملونة بلون الورد خمرًا برائحة الياسمين

والسحاب مثل رسامى الصين يرسم فى الصحراء الشـــاسعـــة

لـــــوحـــــة جمـــيلـــة وبـــديعــــة فـــى كـــــل لحـــظـــة

أشـــرب الخمـــر الـــورديـــة فـــإنه مـــن نسيـــم الـــربيـــع

الأرض مخضـــرة والصحـــــارى بهـــيـــجــــة وسعـــيـــدة

إن العيــــد السعيــــد قـــد دق طبـــول البهجــــة والإقبـــال

وقطـــرة المطـــر النـــوروزيـــة قـــــد أنعشــــت العـــالـــم

ونسيـــم الفصـــل الجـــديـــد قـــد زيَّن عـــرائـــس الـــروضة

فجـــــــدد عهـــــــدى أيهـــــا الفتـــــى بالخـــمـــــــر

(۱) الشهر السادس من الشهور السريانية، أول شهور الربيع.

لقــد ابتهــج الــوادى فــأســرع الخطــى بالكــأس الكبيرة

وانظــر إلى تلك الــزهــور المتنــوعة المتحررة من القيود

إن حلقــات الــريحــان ملتــوية ومعقدة مثل الذؤابة السوداء

وزهــرة النســرين متــدحرجــة فــوق أختها كشحمة أذنك

فأصبح الوادى متعدد الخطوط والألوان كجناح الديوك البرية

وصــارت الــروضة كثيرة النقوش والنقط كجناح الطاووس

إن الــدم ينــزف مــن الشــراب على لحــن نــاى البلبــل

يا مــن حــاجبك كجنــاح الببغاء وخصلتك كجناح الغراب

ويهــب النسيــم فــى الــروضــة كنفــخــة جبــريــل

فتــصــيــر البــرعمــة حبلــى كــابــنــة عمــران

ويشـــرب الــلبــن مــع عيــسى مــن ثــدى واحــد

الســوســن الأبيــض الــذى يتكــلــم فــى المهــد

ويصيــر الشيــخ فــى عنفــوان الشبــاب بفضــل

نغمة طائر القمرى التى هى أحسن من نغمة العود والرباب

والبلبــل يــزن القــافيــة مــع "شهــاب" فــى الــروضــة

وينشــد الشعــر فــى ذكــرى مجــلس فخــر الــزمــان..

نوروزيه (العيدية) :

أقبـــــل عـــيـــــــد النـــــــوروز بكـــــوكـــب الســـعـــد

بكـــــوكـــب السعــــــــد أقـــبــــل عيــــــد النــــــــوروز

وتســــــــــــاوت دورة اللــــيـــــــــل والنـــــهـــــــــار

وانتقلت الشمس إلى بيت الشرف، وأنت أيها القمر مضئ الليل

آن الأوان لكى تترك خلوة الليل وتتحــرك إلـــى الـــروضـــة

فإن المــروج الخضـــراء تشبـــه خطـــك الممـــزوج بالمسك

والســــــرو المـــائلة علـــى شـــط النهـــر تشبـــه قـــوامـــك

وشقـــائـــق النعمـــان مثـــل وجهـــك الجميـــل مـــزين القلوب

والسنبـــل مثـــل ذؤابتـــك التـــى تفـــوح بـــرائحـــة اليـــاسمين

فتمــــايل وتبختـــــر فـــإن الـــروضة قد ابتهجت بالورد والريحان

والبـــرعـــم ضحــــــك كمــــا تضحكــيـــن أيتهــــا الشمـــــس

وبكـــى سحـــــاب الـــــربيـــــع كـــمـــا تـــبـــكـــى عيـــنـــاى

والصبـــــا قـــــد نثـــر المســـــك التتـــارى مثـــل طـــــرتـــك

إنــــــه العيـــــد فهيـــا أشعـــــل العــــــود القـــمـــــــارى (•)

(•) نسبة إلى "قمار" وهى مدينة فى الهند (المترجم).

وصب في الكأس خمرًا كالنار الحارقة

يامن عشقك تسبب لي في فضيحة

لقد تغيرت الأيام ودار الزمان دورته

وصارت الصحراء جميلة ومزينة كجنة إرم

فتبختر واشرب الكأس واسترح في الروضة

من أول فروردين حتى آخر نيسان

إن صفوف النبات المتراصة في الوادي

كأنها جيوش ملك إيران المدرعة

فانهضي أيتها الختنية التركية حاملة القوس المدرع

وجهزي ركابي بعشبة دم سياوش

حتى أقود جواد الطرب مثل رستم دستان

وقام آذار بغارة ليلية على جيش كانون

فغرقت الأرض بالدماء من غارته الليلية

وأقبل العيد مثل علم كاوه(*) المبارك

وصعد البلبل على عرش الورد مثل فريدون(**)

وهرب الغراب الأسود من الروضة مثل الضحاك

(*) كاوه اسم الحداد المشهور الذى رفع لواء الثورة على الضحاك الظالم (المترجم).

(**) فريدون ملك من العهد الأسطورى حارب الضحاك وانتصر عليه (المترجم).

والشمـس بـوجههـا المضـئ فـى منـزل بهـرام(***)

قـد جلسـت وأقبلـت الصـبـا ومعهـا فـن سنمـار

وأفسدت الروضـة منظـر قصـر خـورنـق الجميـل

فتعال إلى الخمر الصـافيـة المعتقـة التـى تشـبه العقيق اليمنى

يا مـن أحـرق وجهـك قلـب شقـائـق النعـمـان

وطـائـر الحـق هـذا معـلـق بقـدم واحـدة

من أول الليل وحتى الصباح وهو يصيح كمنصور الحلاج أنا الحق

أعطنـى يـا ذات الشفـاه اليـاقـوتية الخمـر الصـافية المعتقة

مـن الخـط الأزرق[١] بقلـب خـالص

مـادامـت الكـأس الـذهبيـة الكبيـرة فى يـد النـرجس الفتان

لقـد أقبـل العيـد بالمجـد السليمـانـى جميـلاً وطيبًا ومبتهـجًا

وصـارت الـدنيـا مثـل الجنـة المـوعـودة

ووضـع نسيـم الصبـا فـى طـريقـه العـود علـى النـار

وكـأن داود كـان يغنـى المـزاميـر

(***) المقصود ببهرام كوكب المريخ (المترجم).

(١) الخط الرابع من خطوط جام جم وجام باده السعة (فرهنـگ معين) جام جم: هـى كأس خرافية كانت لجمشيد أو لسليمان أو للإسكندر كلما نظر فيها مالكهـا رأى مـا يجرى فى العالم (المترجم).

وتحـــول الطيـــر جميــــل الألحـــــان كلــــه إلــــى مطـــربين

ورفـــــع شهــــر فـــروردـيــــــن رايـــــة الإقبــــــال

ووضـــــــع فـــى إصبعــــه خـــــاتـــم العظمـــــة والإجــــلال

وعـــــاد دى وبهـــمـــــــن واصــطــفــــــا إلـــــى الخـــلف

واشتعلـــت نـــار زرادشـــت مـــن زهـــــرة نسـيـــم الصبــــا

وأخـــــذ البلبـــل يغنـــى فـــى الـــروضـــة مـــن كتاب "الزنـــد"

وانظـــر إلـــى عقـــد الجـــواهـــر هذا الذى صنعه الندى للجـــو

وتـــلك الكـــــأس العقيــقــيـــة التـــى فـــى يـــد الشقـــائـــق

فيا صاحب الخط الأخضر والوجه الوردى والطرة الصفصافيـــة

لقـــد آن الأوان لأن تكـــون الخمر فى الرأس والكأس فى اليـــد

فــــامـــــرح وارقــــــص وتمـــــــايـــل كـــالســـــــــــرو

لقـــد صـــار الـــوادى جميـــلاً مثـــل وجهـــك أيتهـــا الحسناء

فمـــن الأفضـــل أن تكونى فى الروضة كالغزال حديث المشـــى

فتبخـــتـــرى كـــالقطـــــا واستـــنشقـــــــى الـــورد والسنبـــل

كـــــى ينظــــــم طــــائــــــر الـــروضـــة القـــــافيـــــة

فـــالمـــــداح فـــى بـــــلاط المـــلك هــــــو "شهــــاب"...

٢- فروغى:

ولد ميرزا عباس بن آقاموسى البسطامى (الشخص الذى قطـــع آغـا محمد خان القاجـارى إحدى أذنيه بتهمة الوشاية والنميمة) بالعتبات فى عام ١٢١٣ هـــ.ق، ولم يكن قد تجاوز السادسة عشرة من عمره عندما مات والـده، وظل فقيرًا وبلا عائل فحضر مع أمه إلى إيران وسافر إلى مازندران عنــد عمه دوستعلى خان وأقام فى سارى.

ولم يكن ميرزا عباس متعلمًا فكافح بشدة حتى تعلم القراءة والكتابـة ، وقضى معظم أوقاته فى قراءة دواوين كبار شعراء الغزل مثل سعدى وحافظ حتى نظم هو الآخر غزليات بنفسه نتيجة اطلاعه وخبرته، وتخلــص باســم "مسكين"، أما دو ستعلى خان الذى كان خازن الملك عندما قصد العودة مــن مازندران أخذ معه أيضًا ابن أخيه إلى طهران وعرفه على فتحعلـــى شـــاه، وعرض مسكين غزلاً كان قد نظمه فى مدح الملك فلقى الإعجاب، وقد قصد مشهد بناءً على فرمان الملك للخدمة عند شجاع السلطنة والى خراسان، فـــأكرم شجاع السلطنة مقدمه وأعطاه منصب الكتابة، وبعد فترة قام مسكين بتغييـــر تخلصه إلى "فروغى" على اسم الأمير فروغ الدولة أحد أبناء شجاع السلطنة.

وبمجرد أن دخل قا آنى فى خدمة شجاع السلطنة بخراسان تعرف عليه فروغى وبعد الإقامة عدة سنوات فى مشهد انتقل الاثنان معًا إلـــى كرمـــان بصحبة شجاع السلطنة حتى عام ١٢٤٩ هـــ.ق، ثم قدم شجاع السلطنة إلـــى طهران فحضر معه أيضًا فروغى.

وقد عاش فروغى فى طهران حتى آخر سلطنة فتحعلى شاه وفترة بعد ذلك فى عهد محمد شاه، وحضر عدة مرات مجلس محمد شاه فــرأى منـــه

الملاطفة والتدليل وذهب بعد فترة إلى العتبات.

وبعد عودته من العراق تغير حاله بسبب استغراقه فى أحوال ومؤلفات الصوفية مثل بايزيد البسطامى ومنصور الحلاج، وابتعد عن الناس وقضى حياته فى الزهد والاعتزال.

فوصلت حكاية عزله وشرود فروغى وغزلياته الصوفية إلى مسامع ناصر الدين شاه فطلبه ولاطفه وصار مغرمًا به لدرجة أنه كلما كان ينظم غزلاً كان ينشده عليه ويكمله فروغى.

وفيما يلى إحدى غزليات ناصر الدين شاه التى أتمها فروغى:

إن الحبيب لا ينبغى أن يشكو من حبيبه

والرجل لا يجب أن يكون ملولاً

لماذا يكون عاشق المعشوق بعشرة قلوب؟

إن عاشق المعشوق من الأحسن أن يكون بقلب واحد

إن رؤية وجهك الحسن لا تطيب مع الشكوى

فرؤية وجهك تطيب بدون الشكوى

فأضاف إليها فروغى:

إن السيد قد اشترانى ليلة أمس بلا مقابل وأخاف

أن يندم ويتراجع عن هذه الصفقة

وسالك طريق العشق يجب أن يسعى وراء هدفه

ولــــو فــــى قــدمه مــائة ألــف بشـرة جــدرى

إن الــذى قـــام بــتــضــفــيــر طــرة ليــلـــى

أراد أن يكــون المجنــون هــو أسيــر الضــفــيرة

لا تسـرع الخــطى يــا دليــل الطــريــق خشيــة

أن يكــون هنــاك عــاشـق متعــب وسـط القافلة

لقــد أضــفــت غــزلاً بديعًا لأبيــات الملك الثلاثة

حتــى يتصـــدر غــــزلــــى أية مــــراســلــة

مـــاذا أضيــف يا فروغى إلى غزل الملك الموزون

بحــيث يصبــح غــزلى جــديــر بالجــائــزة؟(١)

وظل فروغى يعيش هكذا متصوفًا وبعيدًا عن الناس وكان يذهب عنـد الملك مرة واحدة كل شهر ويعرض عليه غزلياته الجديدة حتى تــوفى فــى الخامس والعشرين من المحرم سنة ١٢٧٤ هــ.ق. بعد مرض شديد ألمَّ بـــه وهو فى الستين من عمره.

وقد كان فروغى، كما قيل، رجلاً زاهدًا وورعًا، ويقال إن الناس قــد شككوا فى صحة عقيدته، حيث قال ميرزا إبراهيم النيـسابورى المــتخلص بمشترى وأحد الذين عارضوه وهجوه، فى قطعة أنشدها فى وصف الــصيد بعد وفاة فروغى:

---

(١) وردت فى ديوان فروغى عدة غزليات أخرى مطلعها لناصر الـدين شــاه والبــاقى لفروغى.

يتحـدث النـاس كثيـرًا فـي أمـر عـقيـدتـه

وأنا لا أعلم إن كان مات على الكفر أم على الإسلام

وفى مجال تمجيده قال جلال الدين ميرزا والذى كان هو نفسه أيضًا من أهل الشعر:

"أول مرة تشرف فيها بالمثول بين يدى سلطان العصر ناصـر الـدين شاه، خلد الله ملكه، لقى اللوم والعتاب لأنه ادّعى الربوبية، فخلص نفسه بـل ونال الإنعام والإحسان بهذه المقولة الطريفة : لقد هرولت سبعين عامًا حتى وصلت الآن إلى ظل الله (أى الملك) فمتى سأصل إلى الله، فكيـف لـى أن أدعى أنا نفسى الربوبية؟"(١)

يُقال إن فروغى كان له عشرون ألف بيت من الشعر، وقد ادعى جلال الدين ميرزا أنه اختار خمسة آلاف بيت له وطبعها مرفقة بديوان قـا آنـى ولكن لم يطبع فى آخر ديوان قا آنى أكثر من ثلاثة آلاف بيت لفروغى. (٢)

وقد برع بالدرجة الأولى فى نظم الغزل، وهو يقلد سعدى فى غزلياته، وليس فى شعره إبداع كثير، ومضامينه الشعرية هى نفسها التى قد تكـررت مرارًا فى الغزل الفارسى سواء قبله أو بعده، إلا أن السلاسة وأسلوب البيان والآلام والأحزان الصوفية التى فى أشعاره قد منحته مكانـة فـى الـشعر وتسببت فى شهرته، وقد راجت بعض غزلياته واشتهرت جدًا بسبب جمـال اللحن وفصاحة البيان برغم أن مضمونها ليس جديدًا.

---

(١) رهـى معـيرى، مقدمة على غـزليات فروغى البـسطامى، طهـران، ١٣٣٦ ش (٧- ١٩٥٨ م)، نقلاً عن جامع ديوان فروغى.

(٢) الطبعة الجديدة لغزليات فروغى البسطامى، بسعى منصور مشفق، طهـران ١٣٣٦ وتشمل ثلاثة آلاف وخمسمائة بيت.

وفيما يلي بعض غزلياته:

إذن فــإن لهــذه التنهيــدة المحـــرقة آثار

ولهــذه الليــلة المظــلمــة أسحـــار مضــيئة

لا تغفلين عن حال القلب المحترق بنار العشـــق

فــإن لــه شــرارات فــي مــوقــد الصـــدر

إن الشكوى تصدر من كل جذور شَعْرِي كالنـــاى

بأمــل أن يكــون فـــي فمـــك السكـــــر

أنــت تنظــريــن فــي المـــرآة – ولا تـــدرين

أن المـــرآة هـــي التـــي تنظـــر إلى وجهـــك

من يستحق سهم ذلك الحاجب الذي يشبه القوس التركى؟

إنـــه ذلك الـــذى له دروع علـــى صـــدره الممـــزق

أنــت المحــبب لــدى قلــوب أصحـــاب النــظر

وإلا فــإن أم الدهــر لها أبناء فى كــل ركــن وزاويــة

لقـــد أظلــم نهــار "فــروغـــى" فى طريق عشق القمر

فــــالأقمـــار مختبـــأة فــــى ثنــيــة الطـــرة

إن القلب قد غرق فـــى التفكيـــر فى تلك الخصلة المعقودة

فاستبشــر العقــلاء أن المجنــون قــد سقــط فى الأغلال

* * *

ألا أيهـــا السيـــد إلى متـــى تمنعنى من عشق الخمر؟

ماذا يفعل العبــــد الــــذى سقــط فـــى يد القـــدر !

أمسكـــت بطــرف ثـــــوبه مــــــن أجــل الشكـــوى

عندما سكت اللسان عن الكلام وامتنـــع عـــنْ النطـــق

وقلـــتُ لأكتــب شـــرحـــاً عـــن مســـألة العـــــشـــق

فسقطت الرسالة من يدى وكذا عجز القلم عن الكتـــابة

إن المحبوب قد جاء لكى يـــرحـــم قلبـــى الخـــــرب

ولكـــن فى وقـــت لا تفيــــد قـــلبــــى الـــرحمـــــة

لا نكـــــــر لإشـــراقـــة الشـــمس زينـــة العالـــم وكأن

الحجاب قد سقط عن ذلك الحسن المستولى على العالم

إن الحـــورية قد توارت عـــن عيون الناس خجلاً منك

والقمـــر سقـــط من فـــوق سطـــح الفلـــك حقدًا عليك

لقـــد انفصــــل القلــــب عـــن جديلتك وانضـــم للحاجب

وســقـــــط أميــــــر قيــــد عشـــقــــك بالسيــــف

إنـــك كثيــــــرًا مــــــا تجـــــاهـــــلت أنيـــن القــــلـــب،

إذن فإن القلب قد توقف عن الأنين وكذا الأنين عجز عن التأثير

فقال إننى سأقتل تلك الجريئة فى أسرع وقت يا "فروغى" ولم يقتلها

فكيف أتصرف وقد تأخر مثل هذا الأمر !؟

* * *

المحبوب وفقًا للمرام والكأس فى اليد والقنينة على الكتف

سأخـرج ثمـلاً مـن بـاب الشيـخ بـائـع الخـمـر

أتريد أن تصل مراد القلب، اطبع قبلة على شفاهه الياقوتية

أتـريـد ألا تـذق طعـم الهـم اشـرب كـأس الخـمـر

نحـن وحـى العـشـق وروح متـخـنـة بالجـراح

نحـن وحفـل الشـوق وفـم مملـوء بالصـيـاح

أتعـلـم ممـن يـشـكـو البلـبـل المجـذوب؟

إنـه يشكـو مـن ذلك الـذى أسكـت فـم البـرعم

كيـف أسمـع نصيحـة الشخـص الـذى بشـفـتيـه

هـاتيـن سـلـب منـى الأذنيـن المسـتمـعـتـيـن

لـو أن عنـدك عيـن الجود من منبع الدفء هذه (الشمس)

فـاعتصـر ألمًا أيهـا القـلب وتوقدى أيتهـا العين الدامعة

إننـى عـاشـق لجمـالك بمـائـة ألـف عيـن

وعـابـد لخطـابـك بمـائـة ألـف أذن

لا يصـــل أحـــد إلى مـــراده مـــن ذلك الفـــم بـــدون جهد

فـــاجتهـــد أنـــت بالخـــلاص يا "فـــروغى" بقدر الإمكـــان

* * *

متى رحلت عن القلب حتى أتمناك   متى غبت عن العين حتى أبحث عنك

إنك لم تغب لكى أطلب حضـــورك   إنك لـــم تختـــف حتـــى أجـــدك

لقد ظهرت بمـــائة ألـــف منظـــر   لكـــى أشـــاهـــدك بمـــائة ألـــف عين

انظـــر أعـــلاك فى مرآة عينـــى   حتـــى أطلعـــك علـــى العالم العلوى

ليتك تمر متبخترًا فى الحـــرم والـــدير   حتـــى أجعلك قبلة المسلم والمـــسيحـــى

أريـــد أن أنـــزع النقـــاب ذات ليلة مـــن على وجهـــك

وأجـــعـــلك شـــمـــس الكعبـــة وقـــمـــر الكـــنـــيســـة

لو تقع فى يدىَّ هاتان الجديلتان اللتان على هيئة الصليب

أضـــع فـــى قـــدمـــك آلاف الســـلاســـل

لـــو أعطيـــت شجـــرتى طـــوبى والسدر يـــوم القيامة

جعلتهمـــا معـــاً فداءً لقـــامتـــك الممشـــوقـــة

يصـــيـــر أمـــســـرى جميـــلاً فـــى بـــلاط العـــشـــق

إذا مـــا نظـــرت إلـــى وجـــهـــك الجمـــيـــل

لقد أصبحت فضيحتى فى كل مكان فى العالم بسبب فتنة العشق

وأخـــاف أن أفضـــحـــك لا قـــدر الله

* * *

عـــانقتـــى ليلـــة أمـــس ذلـــك القمـــر النخـــشبى(•)

ليـــت الصبـــاح مـــا طلـــع فـــــى هـــــذه الليلـــة

واحتضنتنـــى حسناء قمـــرية الوجـــه من شدة الحب

كـــــالقمـــــــر فـــــى وســـــط بـــــرج العقـــرب

إن العشـــق قـــــــد أخـــــــذنى إلـــى ذلـــك المكـــان

حيـــث لا دوران للفـــلك ولا ضيـــاء للكـــواكـــب

كلمـــــا زاد هـــــوى الكعبـــــة المـــقـــــصـــودة

طـــاب سعـــى الـــراكـــب وحـــركـــة المـــركـــبة

مادام كـــرم الســـاقـــى موجـــودًا والخمـــر بـــاقية

فاقض وطرك فى كل لحظة وامسك الكأس الممتلئة

لا تتحـــدث عـــن التـــقـــرب إلـــى حضرة الحبيب

لأن العـــبـــيـــد المقـــــربيـــــن صـــــامتـــــون

إن قلـــب خســـرو قـــد تحطـــم وكـــذا رأس فرهاد

مـــن دلال شيـــريـــن حـــادة الطبـــع حلـــوة الشفاه

إن الـــــذى عنـــــده خبـــر عـــــن أمـــر العشـــق

(•) نسبة إلى نخشب وهى مدينة فى التركستان (المترجم).

لا شـــــأن لـــــه بـــــأية مـلـــة أو ديـــن

إن الشعر المجعـد المعـنبـر قد جعل نهارى مظلمًا

والعنبـر الأشهـب قـــد جـدد جـروحـى وآلامى

إننـــى لـــم أقـصـــد أبـــدًا قـــراءة الأوراد

فالحـبـيب لــم يصبـح عـوفـاً بقـــول يا رب

الحـــسناوات يطلبـــن الـــذهب يا فـــروغـى

فقـد جـــرب حـاجـب المـلك هـــذا الـدعـاء

٣- سروش:

ولد ميرزا محمد على بن قنبر على السدهى الأصفهانى سـنة ١٢٢٨ هـ.ق، وقد عشق الشعر منذ طفولته وتعلق به تعلقًا شديدًا، وأتم دراسته فى أصفهان، وقرر أن يختبر قريحته فى ساحة الأدب، فاقتحم المجـال بإنـشاد القصائد فى مدح الحكام والأعيان المحليين مثل سائر شـعراء عصره، لكنه لم ينجح فى هذا الأمر ولم يلق عناية الممدوحين فقرر السفر وتجربة موهبته الأدبية فى مكان آخر.

وكان عمره تسعة وعشرين عامًا عندما غادر أصفهان، وعاش فترة فى قم وكاشان وقد ذهب فى آخر الأمر إلى تبريز بعد ثلاث سنوات وأقام هناك، وقد حالفه التوفيق فى هذه المدينة حيث هبّ لمساعدته الأميران القاجـاريان قهرمان ميرزا ومحسن ميرزا حتى وصل إلى ولى العهد، وأعجب ولى العهد بالقصائد الرنانة المشحونة بالمبالغة والتى كان يقدمها فى الأعيـاد فأكرمـه

بمنحه الجوائز والعطايا، وعاش عدة سنوات في مدينة تبريز في رغد وهناء، وعندما توفي محمد شاه سنة ١٢٦٤ هـ.ق حضر سروش إلى طهران في رفقة ركاب ناصر الدين شاه. وأصبح من خدام البلاط الخصوصيين ونال من الملك جوائز عديدة، وصار من أهل الجاه والمال، وبعد وفاة قا آنى أصبح هو شاعر البلاط الأول، وحصل من الملك على اسم "الخان" ولقب "شمس الشعراء" وعاش، سنوات بصفته شاعر البلاط الرسمي حتى توفي بطهران سنة ١٢٨٥ هـ.ق وهو في السابعة والخمسين من عمره.

أما مؤلفات سروش فهي عبارة عن قصائد ومنظومات الفتح ومثنويات (ارديبهشت نامه، ساقي نامه، الهي نامه) وكتاب بعنوان شمس المناقب(١) يحتوي على قصائد في مدح الرسول الكريم وآل البيت وستين قطعة في الرثاء وكذلك مثنوي بعنوان "روضة الأنوار" في ذكر واقعة كربلاء وديوان بعنوان "زينة المدايح" ولكن لم يجمع ديوانه الكامل ولم يطبع، حتى طُبع ونشر مؤخرًا سنة ٣٩- ١٣٤٠ في مجلدين بالحواشي ومعجم الألفاظ مع مقدمة لجلال الدين همائي بسعي واهتمام الدكتور محمد جعفر محجوب.

شعر سروش: يعد سروش من أتباع المدرسة القديمة، وقصائده تقليد ماهر ومتقن لقصائد الأنوري والأمير المعزي والفرخي السيستاني، فهو يحاول أن يستخدم في أشعاره مضامين وتشبيهات أكثر أصالة وجرأة، وهذه الرغبة تقوده في الغالب إلى التكلف المفرط وأحيانًا إلى الابتذال، لكنه بوجه عام قادر على بيان فكره وتوضيحه بمهارة واقتدار، والأبيات الأول من قصائده جميلة وقيمة جدًا وهي في منتهى الشاعرية والأستاذية برغم وجود

---

(١) بخط ميرزا آقا كمره أي وبسعي إبراهيم مشتري الطوسي، طهران، ١٣٠٠.

التصنع والتكلف بكثرة، والأبيات التالية التى قد أخذت من قصيدة له فى تتبع قصيدة الفرخى(١)، تعتبر أفضل نماذج فنه الشعرى:

ظهرت من طرفـــى السمـــــاء سحـــابتان صـــــائحـــتــــان

وفجأة اصطدمت كل منهما بالأخرى وحدثت الضوضاء من الناحيتين

ولمًا اشتبكتا معًا عـــلا صـــوت المعـــركـــة مـــن الجـــانبين

وهجمت كل منهما على الأخرى وكأنها معركة حربية

ألا أيتها السحـــابة المســـــرعـــة الصـــائـــحة بـــلا سبب

لماذا تصيحين وليس هناك عداوة فهل أنت مجذوبة!؟

إن الشمس ذات الوجه المضئ تغيب وتتوارى بسبب غبارك المظلم

كالفارس الحائر المشتت بسبب غبار المعركة

وقد أشار سروش فى أشعاره إلى وقائع العـــصر، و منهـــا قـــصيدته المشهورة جدًا فى مدح ناصر الدين شاه وقتل خان خيوه (خوارزمشاه):

إن تاج خوارزمشاه الذى يعانق السماء السابعة

قد انتقل برأس صاحبه إلى ملكنا صاحب الإيوان المبارك

كان قد زحف من أجل السعى والاجتهاد بجيش

عدد جنوده أكثر من أوراق الشجر وحصى الصحراء

---

(١) مطلع قصيدة الفرخى هو:

صعدت سحابة زرقاء من فوق البحر الأزرق ... مشتتة كحال العشاق وهائمة كطبع المتيمين

فهاجمه جيش خسرو فوق التل

وكان السيف المسلول كالبرق اللامع

فافتدى نفسه بالتاج والحزام والثوب

لكي ينجو من السيف الهندى

فقتلوه وهزموا جيشه

وانتصر جيش الشاهنشاه الإيرانى المظفر

فلا تجد شجرة سرخس واحدة فى كل أنحاء سرخس

غير ملطخة بدمائهم كشقائق النعمان

وفى أثناء تركيب جهاز التلغراف الإيرانى، قام أيضًا بتوضيح انطباعه عن ذلك الاختراع العظيم على النحو التالى:

الشكر لله أن يسّر الأمر على العشاق

بفضل ذلك الاختراع المبارك الذى انتشر فى العالم

فقد أصبح العاشق على اتصال بالمعشوق فى السؤال والجواب

بلا رسول أو رسالة ولو كانت المسافة ألف فرسخ

إن الأمور قد تيسرت فى عهد الملك

فالثناء على عهد الملك السعيد

وهذه الخدمة المباركة قد قدمها اعتضاد السلطنة

فحصل على وسام الشرف من ملك ملوك الدنيا

أما هذه القصيدة فقد أنشدها أيضًا فى حفل أقيم في متنزه الجلستان فـــى يوم الخميس السابع من ربيع الأول سنة ١٢٧٣ هـــــق بمناســبة انتــصار الجيش الإيرانى على الأفغان وفتح هراة.

إن هراة هى المدينة التى فتحهـــــــا الملك والنجمة

هى الرفيق فهات الخمر أيتها النجمة الغيورة بهذه البشرى

فــــالزمان يدور دورته ويحـــمل كـــل عـــام

بشــــــــرى فتـــــح عظـــــــيم للمـــــــلك

فبشَّــره هـــذا العــــــام بفــتــــح هـــــراة

مثلمــــا بشَّــره العــــام الماضـــى برأس خوارزمشاه

كل أسبوع رسول النصر وكــل شهر بشــرى الفتح

وكـــأن عصـــــر المـــلك هــــــو بـــــاب الفـــتــــوح

بالأمس جـــــاءت رســــالة فتــح هراة عند الملك

وفـــى الغــــد سيصــــل إليــه خبــر فتــح قنــدهار

لقد كان الاستيلاء على مدينة هراة ماهو إلا أسطورة

فحــطـــم المـــلك السعيــــد هــــذه الأسطــــورة

وفيما يلى نموذجان آخران لقصائد سروش:

ما إن رفعت عــروس فصــل الربيع الحجاب عن وجههــا

حتـى قــام النسيــم بتــزيينهـــا وتجميلهـــا وكأنه ما شطتها

والنــدى على السنبل وكـــأن شعـــر حـــوريـــات الجنة

قــد تحلــى باللــؤلؤ والجــواهر علــى باب جنة رضوان
والبستانى فــى الــروضة كــأنه أذاب المسك طوال الليل
ومســح بيــده الغــارقة فــى المسك على غصن الزعتر
ومــن كثــرة النقــوش المتنــوعة فى الحديقة والبستان
شطــــب السحـــاب الآذارى(*) على حــرفة آزر(**)
وخـــرجت شقـــائق النعمـــان مـــن الحجـــاب الأخـــضـــر
وغطــت شتلة الــورد الأحمــر وجهها بالنقاب الفيروزى
ورســم الصبــا صــورة الحــسنــاوات الجــمــيــــلات
فصنـــع الوجـــه مـــن ورق الشقـــائق والعين من النرجس
ما أسعد ذلك العاشق الذى شرب كأس الخمر مع المعشوق
وفى الصبـــاح فــرش متـــاعـــه تحــت أغصـــان الـــورد
والبــلبــل يغــنـــى فـــى الحـــديقـــة مجــانـــاً
فلا يجب على المغنى أن يرفع بعد الآن يد التمنع والدلال
إنه ينبغى الآن عزف البربط، يجب الآن الجهر بالعشق
يجــب الآن حمــل الكــأس فــى البســتان مع الحسان
يجب الآن سمـــاع المطــرب واستنشـــاق عبيــر الربيع

(*) الآذارى نسبة إلى شهر آذار (مارس) (المترجم).
(**) آزر أبو سيدنا إبراهيم (المترجم).

وشـــرب الخمـــر فى ذكـــرى حكـــم الملك السعـــيـــد...

* * *

عنــــدمـــا غـــــرَّد الطـــــائر فـــى وقـــــت الصــــــباح

أحضــــــرت لـــى شمـــس الحســـــان كـــأس الخـــمـــر

وقـــالـــت لـــى انهـــض فقـــد حـــان وقـــت الصـــبـــاح

وأخـــاف أن يصيبك الخمـــــار الآن بــــوجــع الـــرأس

وهى تعلـــم أن خمـــارى لا يجلـــس مـــن أجل قدح واحد

فـــنهـــضـــت وأحضـــــرت بســـرعـــة قــــدحًا آخـــــر

وزيَّنـــت مجـــلســـى اليـــوم من جديد كما زينته بالأمس

وأحضـــــــرت النُقـــــل والنبيذ والمطـــــرب والمغـــنـــى

تارة لحن البربط وتارة الأغنية، مرة القُبلة ومرة الرشفة

وجعلـــت مـــن حـــولـــى جيشًا مـــن السعـــادة والســـرور

ولمّا قضيـــت النهـــار فى متعـــة حتـــى وقـــت الليـــل

قـــامـــت مـــــرة أخــــرى بإعـــداد بســـاط أكثـــر جـــدة

ودخـــل الخـــادم مـــن البـــاب وأحضـــر الشمع والشراب

وأحضرت الخادمة من بعده البخور مع المجمرة

وعندما مضى جزءان من الليل قامت من أجل النوم

بإعـــداد فـــــراش مـــــن الحـــــرير الخــــالص

وفكت قلادتها الثمينة وبعد ذلك
وضعت يدى حول عنقها كالقلادة
ودخلت إلى المخدع وهى مزينة وسعيدة
بعد أن خلعت ثوبها من جسدها كالوردة
ونمنا سكارى كل منا فى حضن الآخر
إلى حد أن الجسدين قد حقدا علينا
أنا لا أمل ساعة من البقاء إلى جوارها
فكيف أمل من رفقة فاتنة مثلها
لقد هجرتنى محبوبتى وخرجت من منزلى
لقد اشتاقت للقاء الأمير مربى الغلمان
الأمير المحسن الذى ببركة قدوم الملك
سلَّم بهرام لمروض أشقر...

وهذا غزل أيضًا لسروش:

لا تضفرى شعرك واتركيه مسترسلاً
ارفعى الذؤابة العنبرية فإنها هكذا طويلة
لا تغطى الوجه الرقيق كله بالخصلة الغارقة فى المسك
اتركى فرقاً بين الليل والنهار
قفى فى طريق الصبا واطلقى الذؤابة

لتكـــن النافجـــة علـــى استحياء منك بعد أن تُفتح

إن نسيـم الصــبا هذه لا تقــوس قامة سرو البستان

لأن الكـــل أمــام قـــامتك يكـــون فـــى صـــلاة

لقــد اعتــرف الصنــوبــر لعـــاشــق قـــوامــك

بأنـــه بـــك يكون مرفوع الرأس بين الحديقة والبستان

أنا واحتمـــال البـــعـــــد عـــن وجـــهـــك حـــاشـــا لله

إن النفس الذى يدخل ويخرج بدونك هو النفس المجازى

أنـــت لا تحتـــاجيـــن للحســـن ولكن "سروش" المسكين

يحتـــاج إليـــك ليـــلاً ونهـــارًا مـــن بـــين الحســـــان

ترجمة أشعار ألف ليلة وليلة:

من أبرز وأقيم أعمال سروش تضمين حكايات ألف ليلة وليلة الجذابـــة والتى قام بترجمتها ميرزا عبد اللطيف الطسوجى، وتزيينها بالشعر الفارسى، وتوضيح ذلك أن الأمير الفاضل بهمن ميرزا حاكم أذربايجان والابن الرابع لعباس ميرزا نائب السلطنة والأخ الشقيق لمحمد شاه القاجـــارى قد طلب من اثنيـــن مـــن فضلاء عصره ترجمة ألف ليلة وليلة من العربية إلى الفارسية نثرًا أو شعرًا، وكان أحدهما هو الملا عبد اللطيف الطسوجى والـــد مظفـــر الملك، والذى نقل نص ألف ليلة وليلة النثرى إلى النثـــر الفارســـى البليـــغ الفصيح، وكان الثانى هو سروش والذى كلف بترجمـــة الأشـــعار العربيـــة

الموجودة فى ألف ليلة وليلة، وقد أتم هذه المهمة على أكمل وجه بمعنى أنه اختار بدلاً من أشعار الكتاب العربية أفضل وأشهر نماذج الشعر الفارسى لكبار الأساتذة وفى الغالب من غزليات سعدى وحافظ وفقًا لسياق الكلام، وأدرجها ضمن الحكايات بمهارة خاصة، وبما أن ألف ليلة وليلة تتضمن أشعارًا تشير إلى واقعة خاصة ومن المستحيل إيجاد ما يعادلها من الأشعار الفارسية، فقد نظم سروش بنفسه أشعارًا بالفارسية ووضعها مكان هذه الأشعار، وعلى هذا النحو أصبحت هذه الترجمة الفارسية الموجودة لألف ليلة وليلة كنزًا نفيسًا ومملوءًا بأفضل وأفصح وأجمل الأشعار الفارسية، وتعد الأشعار الفارسية لألف ليلة وليلة المكتوبة بالفارسية أفصح وأبلغ بكثير من أصل الأشعار العربية لهذا الكتاب والتى تعد فى الغالب سخيفة وعامية(١).

وفيما يلى على سبيل المثال بعض الأشعار الفارسية لألف ليلة وليلة والتى قد كتبها سروش بنفسه:

فى حكاية على نور الدين والجارية أنيس الجليس والتى يتقابل فيها الخليفة هارون الرشيد وهو بثوب الصيادين مع نور الدين:

„ قال على ابن الخاقان للخليفة الذى كان يرتدى زى الصيادين: أرى أنك قد طربت من هذه الجارية ومن عزفها على العود، فقال الخليفة: نعم، فقال على نور الدين: لو أعجبتك أهديتها إليك، وشيمة أصحاب الكرم ألا يندموا على عطاياهم، فوقف على ابن الخاقان وأعطى الجارية للخليفة الذى كان فى هيئة صياد، وقال له : اقبل منى الهدية، فنظرت إليه أنيس الجليس وقالت: يا سيدى:

---

(١) وفيات المعاصرين من مذكرات الأستاذ العلامة محمد القزوينى، مجلة يادگـار،السنة الخامسة، العدد ١٠٢.

إن البعد عن حضنك لا يقدر عليه المتمرسون

والفــــراق أيضــاً صــعب عــلى المبــتدئين

فقال على عندما سمع هذا:

ليكــن الــمــوت جليســــــى فــى هجـــــرك

ولتكـــن عينـــى قصيرة النظر فلا ترى إلى كمى

لو تنفست وفقًا لهوى القلب نفسًا واحدًا بدونك

فــلــيــكـــن يــــــا رب نفســــى الأخــيــر!

وعندما سمع الخليفة حديثهما شق عليه شدة افتراقهما فالتفت لعلى نور الدين، وقال: هل ارتكبت خيانة أم فى ذمتك غرامة، ولهذا السبب هربت، فقـــال على نور الدين: هل أتحدث شعرًا أم نثرًا أيها الصياد؟ فقال الخليفة: النثر هو الكلام العادى والشعر هو لضم اللؤلؤ، فأنشد نور الدين هذه الأبيات:

كـــان لـــى صـــديق حنـــون بمـــدينـــة البصـــــرة

كان بالنسبة لى الروح فى الجسد والبصر فى العين

اشتـــرى مـــــن أجــــل إسعــــادى جـــــاريـــة

جميلـــة الـــوجـــه ومنيـــرة المجلـــس ومطـــربـــة

مـــن لـــون وجههـــا امتـــلأ بيتـــى بأوراق الـــورد

ومـــــن عبير شعـــــرها امتلأت حجــــرتى بالعنبر

ومـــــات والـــــدى وأنفقـــت فـــــى سبـيلهـا

كـل مـا كـان قـد تـركـه لى من الذهب والفضة

فقـــالت لــــى جـاريتـى: اذهــــب وبعنــى

لأنها وجدت أن يدى قد أصبحت فارغة من الذهب

فأمسكــت بيــد الحسـناء وذهبـت إلــى السوق

لكــى أبيــع روحــى، فهــى لمــن يـدفــع الثمن

فـظـهــر لهـــا ألــــف مشـتــــرٍ

فقد كانت ذات وجه كـوجه كوكب الزهرة المضيئة

وفى تـلك الأثنــاء نهـض شيـخ وضـيع الأصل

وعــدَّ الفضـــة وأخــذ تلك الحسنـــاء بيضاء الجسد

فلمَّــا رأيــت محبـوبتــى وقــد ذهبــت مع غيرى

كــأنهـــم أشعـلـــوا الـنـــار فــى جـسـدى

فتشبثتُ بهــا بكلتــا يــدى مــن شـدة الـغـيـرة

حيـــث إن العشـــق والغيـــرة قـد امتزجا معًا

وطـــــرحـــتُ الشيــخ وضيــع الأصل على الأرض

وأخـــذت منــه تلـك الحسـناء حـوريـة الجسد

ولمـــا ذهبــت إلى البـيت وأنـــا أفكـر فى العــدو

حـــضـــر غــلام والــدى ولـــه اسم حسن وهو سنجر

مــاذا قــال؟ قــال إن ذلك الشيــخ الحــــاقد

قد ذهــب الآن إلى الأميــر وشكــى له منــك

وأميــر المــديــنــة أمــــر أيضــاً بحبســك

فاحزم أمتعتك وارحل من هنا فلا موضع للبقــاء

فخـــرجنــا من البصرة عنــد صـــلاة العشاء

أنا وجــاريتــى فــى مــواجهة مئات الأخطار

وهـــذه الجـــارية الفـــاتنــة الجــذابـــة

التــى أحـــافــظ علــيهــا مثــل روحــى

قـــد أهــديتهـــا لك الآن أيهـــا الصــيــاد

فــأية هـــدية أغــلـــى مـــن الـــروح!

وفى حكاية الحلاق يمدح الأستاذ حلاقه بهذا الشكل ضمن الجزء الذى قد ورد فى الليلة التاسعة العشرين:

جميــع الــصنائع مثــل العقــود   وهــذا المزيــن در الــسلـــوك

فيعلو علـــى كــل ذى حكمـــة   وتحت يديه رؤوس الملـــوك

وترجمه سروش على النحو التالى:

هذه هى صنعة الملــوك التــى فــى يــدى   حتى لا تظن أننى أخجــل منهــا

إننى أسحب الموس علــى مفــرق العظماء   وتحــت يــدى رؤوس المــلوك

وفى حكاية الليالى من الليلة ٣٣٧ إلى الليلة ٣٣٩ تحدث لهارون الرشيد واقعة مع إحدى الجوارى فيتم إحضار الشاعر أبى نواس، الذى كان رهينة فى إحدى الخمارات عند الخليفة فيأمر بأن ينظم الشاعر شعرًا تكون فيه عبارة "يا أمين الله ما هذا الخبر؟" فينشد أبو نواس ما يلى:

طال ليلى بالعوادى وسهر	فانضنى جسمى وأكثرت الفكر
قمت أمشى فى محلى تارة	ثم طورًا فى مقاصير الحجر
فرأت عيناى شخصًا أسود	وهو بيضا قد تغطت بالشعر
يالها من بدر تم زاهر	كقضيب البان يغشاه الخفر
فشربت الكأس منها جرعة	ثم أقبلت وقبلت الأثر
فاستقامت وهى فى غشيتها	تنثنى كالغصن فى وقت المطر
ثم قامت وهى لى قائلة	"يا أمين الله ما هذا الخبر؟"
قلت: ضيف طارق فى حكيم	يرتجى المأوى إلى وقت السحر
فأجابت بسرور: سيدى،	أكرم الضيف بسمعى وبصرى

وقد ترجم سروش هذه القطعة بنفس الوزن والقافية كالتالى:

فى ليلة أمس مر جزء كبير من الليل	والفكر قد سلب النوم من عينى
قمت أتجول حول البيت وأنا مضطرب الحال	ومررت على باب كل حجرة
فسرت وفى أثناء سيرى	وقع نظرى على شخص أسود
وقد كانت حورية بيضاء الجسم	ولكن شعرها الطويل قد غطاها كلها
طلعتها غطت على قمر السماء	وقامتها غطت على سرو كاشمر
فشربت جرعة من كأسها	فأخذ عشقها عقلى

فتقدمت بعد ذلك رويدًا رويدًا وقبلت تلك الشفايف التى مثل السكر
فقالت لى وهى تتمايل وتتثنى يا أمين الله ما هذا الخبر؟
فقلت لها ضيف جاء فى وقت السحر حتى يأوى هنا لهذه الليلة
فقالت: مرحبًا بك، أخدمُ الضيف بالقلب والروح والبصر[(١)]

٤- قا آنى:

مثلما كان وصال من أفضل شعراء بلاط فتحعلى شاه، فقد ظهر شاعر قصيدة آخر فى عهد محمد شاه وخليفته ناصر الدين شاه، ولقى شهرة كبيرة فى حياته القصيرة التى استمرت سبعة وأربعين عامًا وهو قا آنى.

وقد ولد ميرزا حبيب الله الشيرازى المتخلص بقا آنى بشيراز فى التاسع والعشرين من شعبان سنة ١٢٢٣ هـ.ق، وكان أبوه ميرزا محمد على گلشن فى الأصل من طائفة زنجنه، وقد ولد بشيراز ونشأ فيها أيضًا، وكان گلشن ينظم الشعر هو الآخر وكان معروفًا بنظم القوافى.[(٢)]

وقد ذهب قا آنى إلى المدرسة وهو فى سن السابعة، وكان عمره أحد عشر عامًا عندما فقد والده[(٣)] وابتلى بالفقر والحاجة، حيث يقول الشاعر فى

---

(١) لرؤية نماذج أخرى يمكن الرجوع إلى نص ترجمة ألف ليلة وليلة، والمقالة الشيقة التى كتبها الدكتور محمد جعفر محجوب (مجلة سخن الدورة ١١ العدد الأول).

(٢) نقلت أشعار لـگلشن فى تذاكر العصر القاجارى مثل دلگشاو فارسنامه ومجمع الفصحاء.

(٣) كنت فى الحادية عشرة من عمرى عندما دخلت شوكة فى قدم أبى گلشن، وبينما كانت الشوكة لا تزال فى قدمه فاضت روحه (پريشان) - رحل والدى گلشن إلى جنة رضوان وأنا فى الحادية عشرة من عمرى (ى. أ.برتلس "ترجمة حال قا آنى بقلمه" تقرير أكاديمية العلوم السوفيتية، ١٩٢٧، ص ١٣).

ترجمة أحواله والتى كتبها بنفسه: "لم أمتلك من نعيم الدنيا سوى الحصيرة ورغيف الخبز، وقد دفعنى فقرى واحتياجى لأن أعول نفسى بنفسى وأن أسلك أى طريق.

فرأيت أمامى طريق الأسلاف العظام، فذهبت بدون تحريض أو تشجيع من أحد إلى مدرسة بابله[١] وهى إحدى مدارس شيراز وأخذت حجرة وانشغلت بالدرس والتدريب، ونظرًا لأننى كنت أملك موهبة شعرية فقد مدحت حاكم فارس[٢] بقصيدة أو قصيدتين فأمر لى براتب قليل يسد رمقى فقنعت به، وبذلت قصارى جهدى فى دراسة العلوم وعكفت على هذا الأمر لدرجة أننى تقدمت على أقرانى خلال عامين وهو ما أدهش الجميع، ومع أن منظرى كان قبيحًا فإننى صرت جميلاً فى نظر الجميع".[٣]

وقد أمضى قا آنى عدة سنوات أيضًا فى دراسة الرياضيات والعلوم الإسلامية بأصفهان، وعاد بعد ذلك إلى شيراز وقام بتدريس العروض وشرح ديوان الخاقانى والأنورى حتى حضر الأمير حسنعلى ميرزا شجاع السلطنة بن فتحعلى شاه إلى شيراز عام ١٢٣٩ هـ.ق فبادر برعايته وقدَّم له أنواع العطف والملاطفة.

وفى آخر هذا العام عُين الأمير حسنعلى ميرزا حاكمًا لخراسان من طرف أبيه واصطحب معه قا آنى فانشغل الشاعر فى مشهد بدراسة

---

(١) باهليه هو أحد أحياء شيراز والذى يسمى بابله، والمدرسة التى تقع فى هذا الحى وتسمى باسمه هى مدفن لعدد من أولياء الله ومنهم منذر بن منذر بن قيس.

(٢) حسينعلى ميرزا الحاكم.

(٣) ترجمة حال قا آنى بقلمه، تقرير أكاديمية العلوم السوفيتية، ١٩٢٧.

الرياضيات والحساب تحت رعاية وحماية ذلك الأمير وحوّل تخلصه بنـاءً على رغبته من "حبيب" الذى اشتهر به حتى ذلك الوقت إلى "قا آنى"[(1)].

وفى خراسان أصبح قا آنى أكثر ميلاً للشعر، وعندما ظهرت انفراجة فى أزمته أو على حد قوله "كان الحظ قد حالفه وانتفخ كيسه وكثرت أموالـه وتحول ذهبه وفضته من القطمير إلى القنطار ودراهمه ودنانيره من الآحـاد إلى الألوف"[(2)]، أنفق مبالغ كبيرة فى جمع دواوين الأساتذة القدامى، فجمـع الكثير من الكتب الأدبية وغير الأدبية وانشغل بالتعليم والتعلم.

وعلى هذا النحو عاش الشاعر فترة فى خدمـة ومنادمـة حـسنعلى ميرزا حاكم خراسان إلى أن فوضت حكومة كرمان ويزد لهذا الأمير عـام ١٢٤٢ هـ.ق، فسافر إلى مقر حكمه بالجيش الخراسانى نفسه الـذى كـان ملازمًا له، وعلى ما يبدو فقد سافر معه أيضًا قا آنى إلـى يـزد وكرمـان، ولكننا لا نعلم بالضبط متى خرج من هناك وفى أى عام "سافر إلـى رشـت وجيلان ومازندران وأذربايجان ودرس كافة العلوم التى راجت هناك"[(3)].

ويبدو أن قا آنى قام بهذه الأسفار سنة ١٢٤٦ هـ.ق حيث تحـرك شجاع السلطنة من كرمان وهجم على يزد بدون إذن الحكومة فأرسله الأمير عباس ميرزا إلى طهران تحت الحراسة المشددة بناءً على فرمـان الملـك، وبالتالى فقد قاآنى راعيه وعائله ولذلك قام بهذه الأسفار، وقُدِّم إلـى بـلاط

---

(١) على اسم اوكتاى قا آن ابن الأمير حسنعلى ميرزا.

(٢) ترجمة حال قا آنى بقلمه.

(٣) ترجمة حال قا آنى بقلمه.

فتحعلى شاه فى هذه الأثناء أيضًا وحصل على الجائزة والراتب ولقب بلقب مجتهد الشعراء.

وبالرغم من ذلك نرى قا آنى مرة ثانية فى مدينة مشهد سنة ١٢٤٨ حيث قام الأمير عباس ميرزا نائب السلطنة بقمع تركمان سالور وفتح قلعة سرخس، وفى شتاء ذلك العام "من شدة المجاعة كان كل متدين يترك الدين بحثًا عن الدينار وسعيًا وراء الزاد الحلال والركن المناسب للحال" [١].

وقد حضر قا آنى إلى طهران سنة ١٢٥١ هـ.ق عندما جلس محمد شاه على العرش، وانضم لحلقة شعراء البلاط وحصل من الملك على لقب "حسَّان العجم"[٢] وفى سنة ١٢٥٤ هـ.ق عندما تحرك محمد شاه فتح غوريان وقندهار كان قا آنى ملازمًا للركاب، لكن عندما وصل موكب الملك إلى بسطام مرض وعاد إلى طهران بإذن الملك، وعقب عودة الملك من حرب أفغانستان نظم قصيدة مفصلة تحدث فيها عن شجاعة الإيرانيين وانتصارهم وحسن سلوك محمد شاه مع الأسرى الأفغان وعراقيل السيد مكنيل السفير الإنجليزى واحتلال السواحل الإيرانية الجنوبية من قبل السفن الحربية الإنجليزية والتهديد بإعلان الحرب [٣].

وفى سنة ١٢٥٦ هـ.ق تزوج قا آنى فى طهران وهو فى سن الرابعة والثلاثين ولكن "رفيقته تحولت إلى أفعى" فألقاها الشاعر من نظره

---

(١) پريشان، بتصحيح إسماعيل شرف، شيراز، ص ٧٥.

(٢)على اسم حسان بن ثابت شاعر العرب ومداح الرسول (ص.ع).

(٣) بهذا المطلع:

لماذا تبالغ فى الحديث عن الملوك القدامى   تحدث مرة عن شوكة ملك العالم

واختار" زوجة أخرى" ولكن الزوجة الجديدة لم تحبه أيضًا ولم تخلص لـــه، وفى آخر الأمر حولّت هاتان "الزوجتان الوضيعتان" حياة هذا الشاعر الهائم الباحث عن السعادة إلى جحيم [١].

وقد عاد إلى شيراز فيما يبدو سنة ١٢٥٩ هـــ.ق بقـصد الإقامـــة الدائمة، والتقى من جديد بالأصدقاء القدامى بعد سنوات الغربة الطويلة وعاد بعد فترة إلى طهران، ثم عاد إلى شيراز مرة ثانية، وفى هذه الأسـفار قـام أهل بلدته بإكرام مقدمه فى أول الأمر فشعر بالراحة التامة خاصة فى عهــد حكم صاحب الاختيار.[٢][*].

ولكن رويدًا رويدًا قامت جماعة من أدباء شيراز بإيذائـــه، وانتقــل صاحب الاختيار أيضًا من فارس إلى منطقة أخرى، وقام خليفته معتمد الدولة (منوتشهر) خان الكرجى، والذى لم يكن له حظ من الشعر والأدب، بالمماطلة فى دفع راتبه حتى ضاق بهذه الحياة عديمة الفائــدة، فقــدم إلـــى طهـــران مضطرب الحال عام ١٢٦٢ هـــ.ق (عام وفاة ميــرزا شــفيع وصـــال)[٣]، وتعرّف بعد فترة على الأمير العالم والمحب للأدب عليقلى ميرزا اعتــضاد السلطنة وزير العلوم، وحظى بهباته وعطاياه، وعن طريقه تعرّف على مهد

---

(١) شرح قا آنى هذه الحادثة فى الرسالة التى كتبها للملك، وطلب منه المساعدة المالية.

(٢) كما يقول:

الخمر منعشة وجذابة حبذا فى وقــت الربيــع حبذا فى الصباح وحبذا إذا كانت من يـد المحبوبــة

حبذا فى الروضة وحبذا تحت شـجرة الصفـصاف حبذا فى شيراز فى عهد صاحب الاختيــار.....

(*) صاحب اختيار: هو لقب اشتهر فى عهد الملوك القاجاريين (المترجم).

(٣) أنشد قصيدة فى الشكوى من حياته فى ذلك الوقت، والتى يقول مطلعها:

لو وضعوا على رأسى التاج الذهب منذ الآن فى بلاط الأمير لن ترانى شخصًا آخر

عليا أم ناصر الدين شاه، ووجد طريقه بعد ذلك إلى الملك نفسه والذى كان قد جلس على العرش حديثًا وكان يعرفه منذ أن كان وليًا للعهد، فصار الشاعر الرسمى للبلاط، ومنذ ذلك الحين أقام فى طهران بصفة دائمة وأحضر أيضًا أسرته إلى هناك وقام بتربية ولده ميرزا محمد حسن.

وفى سنة ١٢٧٠ هـ.ق أُصيب الشاعر بمرض الاضطراب العقلى والهذيان، وتوفى يوم الأربعاء فى الخامس من شعبان من العام نفسه.

طبع ديوان قا آنى مرات فى طهران وتبريز والهند، ففى أول الأمر طبع منتخب لأشعاره فى الهند أثناء حياته، وبعدها صارت أشعاره تطبع بصورة أشمل مرة واحدة كل عدة سنوات فى المناطق الإيرانية والهندية المختلفة، وأضيفت إليها الأشعار التى كانت قد تبعثرت هنا وهناك فى أيدى الناس، وأول طبعة صحيحة ومنقحة لديوان قا آنى صدرت فى طهران سنة ١٢٧٤ هـ.ق بعد وفاته بأربعة أعوام، وكان المسئول عن الطبعة جلال الدولة أحد الأمراء القاجاريين والذى كان هو نفسه يتمتع بالموهبة الشعرية، وكان يجيد نظم الغزل ويتخلص باسم "جلال" وعلى حد قوله كانت تربطه بقا آنى "رابطة علمية وأدبية أقوى من القرابة وصلة النسب"، وهذا الأمير "جمع بنات أفكار الشاعر التى كانت متفرقة ومشتتة كبنات النعش ورتبها كنجم الثريا... وقام فى حدود علمه بتزيين تصحيفات وتحريفات الكتاب ... وترجم الألفاظ التى كانت بعيدة عن أذهان العامة، فى هامش الكتاب للتيسير"[١]، وطبعها بخط ميرزا محمد رضا كلهر، أحد أكبر أساتذة الخط فى ذلك الوقت"[٢].

---

(١) ديوان قا آنى ، طبعة كلهر، خاتمة الكتاب.

(٢) وبعد ذلك فى سنة ١٣٠٢ طبع ميرزا محمود الخوانسارى نسخة أخرى منه وضم

وتعد هـذه النسخة هى أتم نسخة لديوان قا آنى وبها حوالى مـن ٢١ إلى ٢٢ ألف بيت وهناك بالطبع كم كبير من أشعاره لم يجمع (١).

شعر قا آنى:

يقول ملك الشعراء بهار حول قا آنى وشعره: "منذ أن أصبح من أتباع مدرسة صبا، واستسلم للسمات السائدة فى ذلك العصر فى هذا المجال، بـدأ فى تتبع أسلوب القدامى وقلّد أغلب الأساتذة السابقين وفى النهاية اختار أسلوبًا خاصًا اشتهر منذ ذلك الحين بأسلوب قا آنى، وقد أسس لنفسه بوجـه عـام مدرسة حيث أخذ يقلده فى الشعر حتى فترة متأخرة شعراء طهران والولايات الإيرانية(٢)، ولكن الحقيقة أن قا آنى لم يكن أبدًا صاحب أسلوب خـاص أو مدرسة مستقلة فى الشعر غير أنه يتميز عن معاصريه بـسلاسة وعذوبـة البيان وهو ما يعد أمرًا طبيعيًا فى هذا الفن، وعلى حد قول مؤلـف "شـعر

لبدايتها "پريشان" لقا آنى وحدائق السحر لرشيد الدين الوطواط، والطبعات المتكـررة التى تمت بعد ذلك تعتمد أيضًا على هاتين النسختين ولكن لا تقاس إحـداها بهـاتين النسختين (خاصة نسخة كلهر المخطوطة) من حيث فخامة الطبعة وصـحة الـنص، وآخر طبعة لديوان قا آنى صدرت فى طهران فى آبان ١٣٣٦ ش [أكتوبر ونـوفمبر سنة ١٩٥٧م] بتصحيح ومقدمة الدكتور محمد جعفر محجوب وهى مزودة بالفهـارس التى أضيفت لآخر الكتاب.

(١) يقول ميرزا طاهر كاتب المقدمة فى شرح أحوال قا آنى "من بين أكثر من مائة ألف بيت من قصائد الحكيم وغزلياته ورباعياته ومقطعاته يوجد الثلثان والباقى مفقود" وإن صح هذا الكلام يكون قد فقد ما يقرب من أربعين ألف بيت آخر من أشعاره.

(٢) خطاب ملك الشعراء بهار، مجلة أرمغان، السنة ١٤، العدد الأول.

العجم" شعره ليس شعرًا جديدًا بل إنه ربما أعاد للأذهان حلمًا منسيًا عمـره سبعمائة عام"[١].

وقد تحدث كتّاب التراجم فيما يتعلق بقا آنى عن حضور ذهنه وسلاسة طبعه وعرضوا شواهد على أنه كان ينشد معظم أشعاره بالبديهة والارتجال، أو وهو ثمل وسعيد، أو على الأقل وهو غير مهيـأ، وبـدون أن يـصقلها ويصلحها ويدقق فيها التدقيق الكافى وينقيها من العيوب، ودون أن يعرضها كذلك على نقاد الشعر[٢]، وكانت ثمرة هذه الارتجاليات تلك القصائد الفخمـة الرنانة التى اتضح أن معظمها "كلام فارغ"[٣].

وهذه القصائد الفخمة الرنانة التى نظمت فى مدح محمد شـاه وابنـه ناصر الدين شاه وأكابر ذلك العصر وتشكل ديوانه الضخم لا تـستحق مـن الناحية الأدبية بحثًا طويلاً ولكن لأبياتها الأولى طابع فنى خاص، فالمنـاظر

---

(١) شبلى النعمانى، شعر العجم، ترجمة فخر الداعى: المجلد الثالـث، طهـران، ١٣٣٤ ش[٥- ١٩٥٦م].

(٢) يروى دولت آبادى على لسان ميرزا إبراهيم ساغر الأصفهانى (توفى سـنة ١٣٠٢ هـ.ق) أنهم كانوا ذاهبين بصحبة قا آنى صباح عيد النوروز إلـى منـزل سـلطان العلماء وإمام جمعة أصفهان، وقا آنى "عندما خرج من المنزل قال ربما يكون مـن المناسب أن ننشد أيضًا شعرًا، والآن ليس معى شيء جاهز فهل تحفظ أنت قـصيدة، فقلت نعم للأنورى، فقال: قل قوافيها واحدة واحدة، فأخذت أقول القافية، وكـان هـو يفكر قليلاً ويقول: قل، فكنت أقول القافية الأخرى، حتى وصلنا إلى المسجد الجـامع القريب من منزل الممدوح فجلس أمام باب المسجد وكتب كل القصيدة وأخذها معـه وأنشدها فى المجلس العام..." (دولت آبادى، قا آنى الشيرازى، مجلة آينـده، الـسنة الأولى، العدد السابع).

(٣) المعجم فى معايير أشعار العجم.

البديعة والغريبة التى قد اقتبست من الحياة مباشرة يقوم فى الغالب بتصويرها وتلوينها بقلم بارع، وتبدأ كلها تقريبًا بالتغزلات الجميلة والمناظر الخلابة والملونة في وصف الربيع والخريف والليل والنهار والخمر والحسناء والسفر ومشقته أو حضور السفير ووصول الرسالة، وهى ترتبط دائمًا بمدح الممدوح.

والتغزل والتشبيب أى وصف المحبوب ومناظر الطبيعة المختلفة هى مضامين قد أوردها مئات الشعراء الفرس فى صدر قصائدهم ومدائحهم قبل قا آنى وبعده وأفاضوا فى الحديث عن كل باب من أبوابها، إلا أن هذا التغزل والوصف فى شعر قا آنى يبدو فى الغالب بديعًا ولطيفًا ومبتكرًا إلى حد ما، ويعتبر تنسيقه للكلام بصفة خاصة تنسيق ساحر وجذاب للغاية لدرجة أن القارئ فى أثناء قراءة قصائده ينسى كل أسلافه، وكأن قا آنى هو أول من استخدم هذا الأسلوب الجميل والملون وهذه التعبيرات الجريئة الحادة.

ولغة قا آنى غنية وبليغة، ولديه سيطرة غير عادية على الألفاظ، ويختار الكلمات الجزلة المفخمة، ويبدى قدرة ومهارة فائقة فى وضع كل كلمة فى موضعها، ولا يصل أى شاعر فارسى إلى مرتبته فى انتقاء الكلمات واستخدامها.

لكن بالرغم من هذه القدرة على البيان والمهارة فى الوصف والتشبيه وتصوير المناظر فإن أغلب قصائده فقيرة ولا قيمة لها من حيث المضمون.

"وقا آنى عنده أشعار كثيرة فيها الغث والثمين، فعنده الأشعار الجيدة وعنده أيضًا الأشعار الركيكة جدًا"(١) بل ويوجد فى شعره أيضًا أخطاء فى العروض والنحو والتشبيهات الفاترة والتافهة، وأحيانًا تصل ثرثرة الشاعر

---

(١) خطاب ملك الشعراء بهار، مجلة أرمغان، السنة الرابعة عشر، العدد الأول.

لدرجة أنه حتى دبيب الكلمات وفخامتها لا يستطيع أيضًا أن يخفى هذا العيب والنقص، "وبصفة عامة يطغى اللفظ فى شعر قا آنى على المعنى، والخيالات السطحية على الخيالات العميقة، والصور العالية"(١)، فكان "الفارس الأوحد فى ميدان الألفاظ"(٢).

وقا آنى ليس شاعر قصيدة دائمًا، حيث إن فنه الأساسى يتمثل فى إعداد المسمطات السلسة والجميلة، فهو يصب فى قالب مسمطات منوتشهرى المضامين الجذابة التى تعد فى الغالب جديدة ولم تسمعها الأذن، ويمكن لهذه المسمطات مع التغزلات التى قد أدرجها فى مقدمة قصائده أن تخلد اسمه إلى حد ما. (٣)

إلا أن غزليات قا آنى التى اقتدى فى نظمها بغزليات سعدى أكثر من أى شئ آخر بل وضمنها بعض مصاريع الشيخ لا تصل إلى مرتبة أشعاره الأخرى، ويُقال إن قا آنى نفسه كان يعلم هذه النقطة وقد ألقى غزلياته فى النار فى ليلة شتوية باردة، ففى الليلة التى أنشد فيها المطرب غزلية لسعدى شعر قا آنى الذى كان ثملاً من الخمر الصافية، بالتدنى والحقارة أمام كلام سعدى البليغ.

ومجموعة الغزليات هذه التى قد بقيت عنه، وطُبعت فى آخر ديوان قصائده، لا تعطيه أية ميزة. وقا آنى يعرف جيدًا قيمة الذهب والفضة

---

(١) خطاب ملك الشعراء بهار، مجلة أرمغان، السنة الرابعة عشر، العدد الأول.

(٢) مجلة آينده، السنة الأولى، العدد السابع.

(٣) م. ا. به آذين، انتقاد بر ديوان حكيم قا آنى شيرازى [نقد لديوان الحكيم قا آنى الشيرازى]، مجلة صدف، العدد الرابع، دى ١٣٣٦ ش [ديسمبر ١٩٥٧/ يناير ١٩٥٨م].

ويصفهما كالتالى فى إحدى القصائد:

إننى لا أعلم أيتها الفضة بإقبال وبركة من ولدت؟

فإن من عطفك يعادى المولد أمه

بدون ذكرك لا يتجه الزاهد إلى المحراب

بدون عطفك لايضع الواعظ قدمه على المنبر

الجرئ الذى لا ينظر إلى تاج الملوك من الكبر

يسجد أمامك ويضع رأسه على التراب

وللحصول على هذا الذهب والفضة يستغرق فى التفكير:

من الأفضل أن أسافر فى طلب الفضة حتى يزين أمرى بالفضة مثل الذهب

ويقوم أيضًا من أجل هذا الذهب والفضة بتسخير قريحته وموهبته الفذة العالية فى خدمة مدح هذا وذاك.

فهو يمدح أى شخص شريفًا أو وضيعًا طمعًا فى الجائزة والإحسان، ولا يبحث فى ممدوحيه عن الفضيلة وعلو الهمة، ولا قيمة عنده ولا وزن للشعب الإيرانى وآلامه، فالأحداث والوقائع التاريخية المهمة جدًا مثل الزحف العسكرى عديم الفائدة الذى قام به محمد شاه نحو هراة، ومحاولة اغتيال ناصر الدين شاه على يد ثلاثة من البابيين وهى الوقائع التى كان من الممكن لإحداها أن تغير مصير الدولة، هى بالنسبة له مثلها مثل حفل ختان عباس ميرزا ابن محمد شاه، فرصة له ووسيلة للتقرب إلى البلاط والبحث عن المصلحة والمنفعة الشخصية.

وقد كان هذا كما يقولون أحد وجهي العملة، أما الوجه الآخر فإننا نرى في أشعار قا آني أحيانًا الهجاء اللاذع السام والذي قد نظم بنفس القدرة والمهارة التي استخدمت في المدائح، وللأسف فقد نظمت هذه الهجائيات البلاطية في صورة هجوم واعتراض على الأشخاص ولهجتها مخجلة وفاضحة جدًا لدرجة أنها تصل بفنه الشعري إلى حد الابتذال، ففي القصيدة المعروفة والمنتهية أبياتها بالرديف "بر" والتي شن فيها الشاعر الحرب على السوزني، والأشعار التي تشرح قصة زوجة رجل يدعى إسماعيل، والأبيات التي نظمت حول نظام العلماء، تصل أشعار قا آني إلى قمة الهزل والهجاء، وتقذف لغة الشاعر الجريئة كل ما لا يجب قوله أو سماعه.

وقا آني لا يتورع أساسًا عن استعمال الألفاظ الغليظة وأحيانًا الركيكة جدًا سواء في التشبيب والتغزل أو في الهزل والهجاء، فهو يعرض على الملأ الأحداث التي تتنافى مع العفة والأخلاق، ومجالس شرب الخمر والعربدة والزنا، كما أن الموضوعات الجنسية تظهر في شعره غالبًا في صورة تتنافى مع الفطرة والطبيعة، وقا آني لا تحكمه حدود في التفاخر وكذلك في المدح والذم، فهو في مدح أقبح وأرذل رجال البلاط بل وخدامهم؛ إذ يستخدم الصفات التي لم يتصفوا بها أبدًا، بالرغم من كل هذا الغلو في التملق فإنه لا يثبت أيضًا على وفائه لممدوحيه وأولياء نعمته؛ بمعنى أنه ينسى سوابق نعمتهم عليه بعد أن يعزلوا من منصب الرئاسة والسلطة، ويصف الشخص الذي كان قد وصفه مثلاً بأنه "قلب العالم" و" روح العالم" و "الإنسان الكامل" و"سيد الدارين" و " ظل الله" و "حامل فيض الخالق إلى المخلوق" [١]، يصفه

(١) كل هذه الصفات قد أوردها بشأن حاجي ميرزا آقاسي وعندما عزل من الحكومة وحل محله ميرزا تقي خان أمير كبير وصفه بالظالم الشقي ووصف أمير كبير بالعادل التقي، وأيضًا عندما أصبح أميرًا، كبيرًا مغضوبًا عليه وعُزل وتولى الوزارة

بمنتهى القسوة بأنه "الظالم الشقى" (*).

وكان قا آنى يجيد اللغتين العربية والتركية علاوة على لغته الأم، ويعد أول شاعر فارسى يعرف اللغة الفرنسية، يقول كاتب أحواله حول معرفته باللغة الفرنسية: "أجاد هذه اللغة بصورة كبيرة فى فترة قصيرة لدرجة أنه فى أثناء التحدث بها لولا أن زال اللبس والاشتباه بتمييز الشكل والثياب لما عرف أحد إن كان المتحدث پارسى أم باريسى" (١).

"لاشك أن قا آنى كان يجيد اللغة الفرنسية لأنه بعد أن غضب عليه المرحوم ميرزا تقى خان أمير كبير وقطع عنه الراتب الذى كان يحصل عليه فى مقابل الشعر، توسط له اعتضاد السلطنة عند الأمير، وطلب منه أن يعيد صرف الراتب له مرة أخرى، فقال الأمير: أى فن آخر عند قا آنى غير الشعر، ولمّا أخبره بأنه يعرف قدرًا من الفرنسية سلّمه الأمير كتابًا فى الزراعة لترجمته من الفرنسية، فأخذ ذلك الشاعر يترجم من هذا الكتاب جزءًا كل أسبوع من الفرنسية إلى الفارسية ويرسله للأمير عن طريق اعتضاد السلطنة وينال فى مقابل ذلك أجرًا فى حدود خمسة تومانات فى ذلك الوقت"(٢). ويروى على لسان محمد على فروغى أن بعض هذه الأجزاء

ميرزا آقا خان نورى ابتهج ووصفه بأنه "العدو المحلى" و "الشيطان سيئ الجبلة" ووصف الوزير الجديد بأنه "آصف ابن برخيا".

(*) آصف ابن برخيا هو اسم وزير سليمان ويضرب به المثل فى حسن الوزارة (المترجم).

(١) ميرزا طاهر كاتب الديباجة، گنج شايگان، طهران ١٢٧٢.

(٢) عدة موضوعات حول قا آنى، مجلة يادگار، السنة الثالثة، العدد الثالث، آبان ١٣٢٥ ش [أكتوبر ونوفمبر ١٩٤٦م].

المترجمة قد ظلت حتى هذه الأيام الأخيرة عند حاجى ميرزا عبد الغفار نجم الدولة.

لكن كانت هناك مبالغة فى مسألة معرفته باللغة الفرنسية، فقا آنى لم يسافر إلى أوروبا ولم يدرس هذه اللغة الدراسة المنهجية ولم يتتبعها التتبع الكافى، وذلك القدر الذى كان يعرفه من اللغة الفرنسية قد تعلمه، كما يقول هو نفسه[1]، بعد عام ١٢٥١ هـ.ق فى جهاز الأمراء القاجاريين الذين كان عندهم معلمون لتعلم اللغات الأجنبية، وكانوا يخالطون القساوسة والأطباء والمعلمين الأجانب، أو تعلمه مثلاً عند ريشارخان معلم الفرنسية لأولاد محمد شاه.

وخلال فترة الثلاث سنوات التى قضاها قا آنى فى شيراز من عام ١٢٥٩ إلى عام ١٢٦٢ هـ. ولم ينشغل فيها بأى شيء، يقول بنفسه أيضًا[2]، "انشغلت ثلاثة أو أربعة شهور بتعلم اللغة الإنجليزية"، وقد أحرز تقدمًا إلى حد ما فى هذه اللغة.

وربما كان قاآنى يستطيع بإجادته البسيطة للغة الفرنسية وتقريبًا الإنجليزية أن يغير طريقة تفكيره، وأن يصبح بفضل ذلك العقل الزاخر والقدرة على البيان مصدر خدمات جليلة للشعب الإيرانى، ولكنه للأسف لم يستخدم هذه الوسيلة، وعلى عكس أسلافه قلما يستخدم قا آنى فى شعره المعانى والمضامين الفلسفية والصوفية العميقة، فهو يتعامل فى الغالب مع

---

(١) ترجمة حال قا آنى بقلمه، برتلس، ص ١٣.

(٢) ترجمة حال قا آنى بقلمه، برتلس، ص ١٣.

الطبيعة والحياة نفسها، فمثلاً يعرض فى قطعة هزلية قصيرة حوارًا بين شيخ وطفل. والطريف فى هذه القطعة أن كليهما ألثغ. وأمثلة هذه الإبداعات عند الشعراء الإيرانيين القدامى ليست كثيرة، ويجب اعتبار قا آنى مجددًا إلى حد ما فى هذا الأسلوب، ولكن مثل هذا النوع من أشعاره نادر جدًا(١).

وقد أشير أيضًا فى أشعار قا آنى إلى الوقائع والأحداث التاريخية لذلك العصر أكثر من الشعراء الآخرين المعاصرين له، مثل زحف محمد شاه العسكرى إلى هراة، وعزل ميرزا تقى خان الصدر الأعظم وقتله، ومحاولة اغتيال ناصر الدين شاه الفاشلة على يد أتباع "الباب"، واحتفالات السوق، وإقامة الزينات، وقتل البابيين قتلاً جماعيًا، وغيرها من الوقائع، وعلى الرغم من ذلك يجب القول بأن قا آنى يعيش من كافة الوجوه وبصورة كاملة فى نفس هذا العالم القديم وبالأفكار القديمة و "أقوال قا آنى، باستثناء حديثه عن الساق والأرداف والخمر والأمرد، وما يمكن أن تحدثه من تأثير خاص، كلام ميت عن عصر وعالم منصرمين".(٢)

پريشان "المضطرب":

أفسدت الركاكة وكشف المستور فى بيان الموضوعات، مؤلفه النثرى كتاب پريشان والذى هو تقليد بدائى لكتاب جلستان سعدى، وقللت كثيرًا من قيمته وأهميته.

---

(١) ى.ا. برتلس، تاريخ مختصر أدبيات، لنينغراد، ١٩٢٨، ص ٩٤.

(٢) م.ا. به آذين، نقد ديوان الحكيم قا آنى الشيرازى، مجلة صدف، العدد الرابع، دى ١٣٣٦ش [ديسمبر ١٩٥٧/ يناير ١٩٥٨م].

أما كتاب پريشان والذى قد تم تأليفه بناءً على رغبة "أحد الأكابر" وباسم محمد شاه القاجارى وتم الانتهاء منه فى العشرين من رجب سنة ١٢٥٢ هـ.ق[١]، فهو عبارة عن ١٢١ حكاية كبيرة وصغيرة متنوعة وعلى حد قول المؤلف نفسه "خليط من الجد والهزل ومزيج من النظم والنثر"، وهو ينتهى بفصل فى نصيحة أبناء الملوك، واللهجة العامة للكتاب هى لهجة تعليمية، وكان هدف الكاتب أن يخرج بنتائج أخلاقية من كل هذه الحكايات إلا أن الموضوعات التى جاءت فى هذا الكتاب لا تخرج من تحت محك التجربة النقدية الصحيحة ولا تؤخذ منها النتيجة الأخلاقية، ليس هذا فحسب بل إن كثيرًا من حكايات هذه المجموعة تعتبر حكايات فاضحة جدًا وعديمة الحياء – مثل حكاية الأديب الذى كان فريدًا فى علم المساحة، والمرأة السحاقية، والشيخ المحتضر، وزواج الزاهد، واللوطى والشرطى، وذلك الذى نام فى مجلس اليقظين، والكردى والسبزوارى، والأطفال لاعبو المقلاع، وابن رئيس شرطة شيراز، وكتاب فرج المرأة، والمجوسى الذى أسلم، ورفيق المرأة الأجنبية وغير ذلك، وحتى الحكايات الأخرى التى كُتبت بشكل مؤدب إلى حد ما تعتبر موضوعات ساقطة ومبتذلة قيلت وكتبت قبله مرات بعبارات أفصح وأبلغ.

وفيما يلى بعض القطع من كتاب پريشان:

« دخل من الباب ذات يوم أحد العظماء والذى يعد من أصل سيف الشهامة وجوهر منجم الكرامة

---

(١) عشرون يومًا مضت من شهر رجب وألف ومائتان واثنان وخمسون عامًا – كان عمرى أقل من اثنين أو ثلاثة وثلاثين عامًا ولكنى كنت متعبًا جدًا (پريشان، خاتمة الكتاب).

ذلك الذى ما دام اسمه لا يندرج فى الحديث من شدة العظمة

فلابد من إخفائه داخل حجاب الروح

أو ما دام اسمه الشهير هو الكنز وهو كنز الكنوز

فمن الواجب إخفاء الكنز عن الخلق

ونظرًا لسوابق الألفة والملاطفة بيننا فقد فتح درج الفم وبدأ فـــى نثــر الجواهر فقال: لماذا جلست هكذا أيها الحبيب فى زاوية الرواق فى هذا الشتاء وأغلقت طريق الذهاب والإياب أمام الأصدقاء، ماذا دهاك فأنت بلبل حديقــة العلم وقمرى روضة البصيرة، فتحججت وقلت: إن البلبل لا يتكلم ما لم يطلع الورد، والقمرى لا يئن مالم ينمو السرو، فتبسم وأشار إلى وجهه وقامته، أى ها أنا ذا وجهى متورد وقامتى ممشوقة كالسرو، أليس لك نظــر، لا وقــت للحجج والأعذار.

الآن وقد تبختر سرو الروضة وخرج الورد من الطين فأطلق

الصرخة كالقمرى وغرد كالبلبل

غرّد وأنشد فإن الزرزور يهمس فى أذن كأس الصهباء

بالكلام ويخبرها بأنين الغلغل

ولمّا رأيت هذه العذوبة فى القول نهضت واحتضنته من حلاوة الروح وقلت:

من هذه العذوبة فى القول إذن لا عجب

أن تطــرب الأرض وترقــص الســـماء

عندما يحمل الكمال علامة قبولك

يصبح كذات العقل مبرأ من العيب والنقص

وبينما كنا نتناجى قليلاً ونتجاذب أطراف الحديث فى كل شىء، إذا به يذكر، جلستان سعدى عليه الرحمة والذى كل ورقة من أوراقه تعادل ألف دفتر مكتوب بالنثر.

إنه الجلستان الذى كل ورقة من أوراق زهرته

الآلاف من رياض الخـلد عـبيد لـــه

أرواح أهـــل المعــــنى إلــى القـــيامة

حـــية برائحـــتها واهـــبة الـــروح

فأمسك بكمى وهو يقول هل من الممكن للسيد أن يهم ويكتب كتابًا نظمًا ونثرًا على هــذا النمط، فاضطربت وقلت له استغفر مما قلت أيها الحبيــب؛ لأن ما عندى ليس بالدرجة التى تجعلنى أتحــدى شخــصًا كهــذا وأتحــدث بأسلوبه، فليس كل متكلم فصيحًا وليس كل معالج هو المسيح، ومـــا علاقــة سحبان بباقل والجاهل بالعاقل، ليس كل نجــم بــرجيس ولا كــل مظلــوم جرجيس، ليس كل راعى الكليم ولا كل معمارى إبراهيم، ليس كــل أســود عنبر ولا كل غلام قنبر، ليس كل مر عقارًا ولا كل سيف ذو الفقار...

وباختصار عندما اضطربت وقلت له ذلك اشتعلت ناره

كل من تحــلى بحــسن العقيدة لايصمت عن الاعتذار عن المنكر

وقد كان من الطبيعى ألا يسمع خـــسرو عـــيب شـــــيرين

فتحملت مضطرًا، وقلت:

قطعًا العصفور ليس كالصقر الملكى ولكن لا مفر للعصفور من الطيران

إن اختلاف البعر والمسك واضح   بينهما ولكن لا غنى عن البعر

ولكن بحكمة "المأمور معذور" صنعت خليطًا من الجد والهزل ومزيجًا من الشعر والنثر، وسميت تلك المجموعة پريشان (المضطرب) بالنظر إلى حالى لأن كل من اضطرب حاله اضطرب مقاله».

حكاية: إننى أتذكر ذلك العام الذى وقع فيه زلزال شديد هز أرجاء شيراز لدرجة أن قصور الأثرياء قد أصبحت أكثر دمارًا من حظ الفضلاء، ووجوه المجاورين أكثر غبرة من شعر المسافرين، وصار كل سقف عتبة وكل عتبة سماء.

أظلمت الدنيا واشتد الغبار   فأحاط بها كهالة من الدخان

وصار الجو زمهريرًا وانطلقت من كل جانب

تنهيدة باردة من الكبد المحترق

ومن تصاريف القدر أنهم بعد أسبوع، حيث تشققت أرض العمارات، عثروا على مكيال شراب تحت الطين سليمًا كعهد العشاق وإيمان الصادقين.

لك الله وحده الذى يحفظ المكيال   تحت التراب سليمًا كعهد أهل العشق

حتى لو ذهبت إلى فك الأسد أيها القلب ما دمت صادقًا

فإن قسمك لسالكى الطريقة هو الذى سيحفظك

وقد سمعت فى ذلك الأسبوع أيضًا أن أحد الظرفاء أخذ هذا المكيال إلى منزل المحتسب وقال له أيها الظالم إن مكيال الشراب الذى يحفظه الله سليم تحت التراب، لا يصح كسره...

حكاية: سئل أحد الزاهدين: أتعلم فيم راحة الدنيا، قال في شيئين، أولهما الزاد الذى يجنب حلقى العناء، والثانى هو الزاوية التى تغنينى عن سؤال الناس، فقيل له: ولو خيرت بين الاثنين فأيهما تختار، قال اختار الزاوية وأترك الزاد؛ لأن تحمل مشقة الجوع خير لى من منّة الناس.

عدة نماذج من أنواع شعر قا آنى:

مقدمة قصيدة فى وصف السحاب[1]:

صعدت من البحر سحابة عند الصباح فى السماء المظلمة

تنتج وتصب وتنخل وتنثر الجواهر

جاحظة كعين الشيطان، سوداء كوجه الزنوج

كأنها كلها عمامة هندية على الرأس تجلب الهوس

مظلمة كالليل الغاسق ومهمومة كقلب العاشق

دامعة كعين وامق وملونة كوجه عذرا[*]

---

(١) قام الشاعر فى هذه القصيدة التى اعتبرت إحدى روائعه، بتتبع قصيدة الفرخى المعروفة ومطلعها (صعدت سحابة زرقاء من فوق البحر الأزرق، مشتتة كرأى العشاق وهائمة كطبع المتيمين)، وعندما نمر على صحة البيان وسلاسته غير العادية وفخامة الألفاظ ووقعها، ونوازن بين هاتين القصيدتين من حيث المعنى والمضمون والماهية الفنية نجد أن شعر قا آنى يحتل مرتبة أدنى بكثير من شعر الأستاذ السيستانى.

(*) وامق وعذرا اثنان من العشاق (المترجم).

جسدها مدهـــون بالقـــار وقلبها ممـــزوج باللبن

ظاهرها مملوء بالكحل المطحون وباطنها مملوء بالدر اللامع

بقلب كالروضة وجسد نحيف، تارة باكية وتارة ضاحكة

من تأثير نشوى الخمر أثناء مجلس طرب الماجنين

تسير فى الجو كيالة من الدخان، وكشيطان ثمل ومضطرب

تتراكم مثل قطعات الدر الخاص

من قبح جريمتها اختفت الشمس المشعة

فهى كملك مصر فى السجن وكقمر السماء فى الظلماء

أو كالوجه المضئ المتوارى فى ظلمة بئر بيــچــين(*)

أو كبهمن شريف الأصل وهو فى فم الأفاعى

إن بثور الحمى قد ظهرت على شفاه البرعم ووجه الشقائق

ناحية الروضة والصحراء من شدة المطر وكثرة الندى

من فيضها تتفتح الوردة وتتعطر طرة السنبل

ويغرد البلبل على غصن الوردة الحمراء

إن وجنة الوردة مجروحة وحاجب الريحان مزين

من كثرة الدر المنثور فى الحديقة من الندى الأبيض

بسببها صارت الأرض المملوءة بالشوك جنة الربيع فجأة

(*) قصة بيــچــين ومنيــچــه من قصص شاهنامة الفردوسى (المترجم).

وبسببها غارت نقوش ورسومات الأرض من الشقائق الحمراء

تصرخ من السماء فى كل لحظة فتغطى جسم الأرض

بكسوة الحرير من السنبل، وبخلعة الديباج من الندى

نثرت الندى على الروضة، والشقائق على جبل دماوند

يئن من أعماق قلبه كما تئن نجمة السعد لفراق السماء

قصيدة فى الشكوى من أهل فارس:

إلى متى يا حصانى الجامح يا جوادى السريع

تظل ملازمًا للإصطبل، اخرج وتبختر

لماذا تأكل تبن السفلة أيها الحصان الجامح

لماذا تحمل أحمال الحمر أيها الجواد السريع

إن ماءك لم يكن أبدًا من منهل السفلة

وتبنك لم يكن أبدًا من أصطبل اللئام

فى عشرة شهور أدمنت الطاس والكأس

وأكلت ونمت فى الطوالة على الدوام

أعطيك التبن والشعير كل ليلة بامتنان

وأغسل عنقك وذيلك كل يوم

يا من كثيرًا ما قمت بسقايتك وتمريضك

إننى لم أضع السرج على ظهرك بقسوة ولم أشد وثاق لجامك

أحضر لك الماء تارة من البئر وتارة من النهر

وأشترى لك التبن تارة بالنقد وتارة بالدين

لم أرفع السوط يومًا على مؤخرتك

ولم أشد الحبل حول عنقك

أعطيتك التبن فى ميعاده والماء والعلف فى وقته

لم أغفل عنك لحظة واحدة فى الصباح والمساء

ولو أشرح حقوقى عليك واحدًا واحدًا

سيتصبب عرق خجلك من المسام فى الحال

جوادى العربى الأصيل، أين الحمية

اشتهر مرة واحدة بالحمية مثل العرب

أين ذهبت حميتك العربية التى كنت تشتهر بها قبل ذلك؟

ارفع رأسك من الاصطبل كالسيف من الغمد

انهض يا من أنت أسود الوجه أكثر من رخش جواد رستم

وافقأ بحافرك إنسان عين الأعداء

أيها الجواد، لو حولت حقوقى إلى عقوق

أخاف أن ينتقم منك الزمان

إنه زمن المساعدة أيها الجواد ووقت الإعانة

فاخرج وتبختر لحظة واحدة وحرام أن تتسبب فى ألمى

فإنه من قدم الجواد تهتز الأرض

ومن حدوته القوية يُثقب الرخام

أطلق الصرخة حتى يموت الثعبان فى الشق

ارفع الصهيل حتى يصاب الأسد بالهلع فى الغابة

انثر الغبار بذيلك فى عين أسد السماء(•)

وبحافرك مزق جسد ثور الأرض واجعله عظامًا

صل أيها الجواد السلام الحار من فارس إلى ملك الرى

سأجعل ركابك ذهبيًا وسرجك فضيًا

سأصنع ركابك من حلقة النجوم

وأُحضر لجامك من مجموعة المجرة

سأجعل مسمارك النجمة وحدوتك الهلال

سأصنع سرجك من الذهب وجلاجلك من الفضة

سأنسج عقالك من لحية البلهاء

وكذا سأصنع حزامك من شارب العوام

أنت تأتى تحت فخذى كالجبل تحت السحاب

وأنا أجلس عليك كجلوس سام على سمند(•)

(•) المقصود الشمس.

(•) سام: أحد الأبطال الإيرانيين القدامى/ سيمند – حصان مائل للصفرة (المترجم).

سأرحل عن فارس من أجل كسب الجاه

سأحرّم على نفسى الراحة لحين حصول المرام

سألف وجه النجمة فى سن السهم

وكذا سأربط عنق الزمان فى سهم القوس

إن الإقبال والحظ والعز والجاه يتزاحمون

من حولى بكل قوة من الجهات الأربع

يحتار من حركتى فى الجو طائر العقاب

وتغير من رحمتى فى الأرض الهوام

أسخر من الدهر كما يسخر الماجن من الفقيه

أهجم على الموت كما يهجم الصقر على الحمام

ألعن فارس لأنها بسبب سكانها

لم تحصل على النعمة ولم تصل إلى المرام....

قصيدة فى وصف الصبح وطلوع الشمس(١)

نصبت الشمس الخيمة المنسوجة بخيوط الذهب فى السماء الزرقاء

وتدلّت من السماء الزرقاء حبال ذهبية كثيرة

وبسط الصبح الأبيض جناحيه من بعد الليل الأسود

---

(١) يقال إن هذه القصيدة التى نظمت بمناسبة عيد ميلاد على أمير المؤمنين، وكانت آخر أشعاره.

وبسط الصبح الأبيض جناحيه من بعد الليل الأسود
كالصقر الملكي الفضي في عقب الغراب الأسود
لا عيب إذا صار شعر الليل المعنبر بلون الكافور
فإن صبح النهار يأتي شيخاً من بعد ليل الشباب
وكأن بنات الهوى القمريات قد خرجن من الماخور
أو كسيف ذهبي خرج من الغمد الأسود
أو لا، كأنه من أجل صيد فراخ البلشون
خرج من عش الفلك عقاب ذهبي
أو أن الفلك أخفى في صندوق الياقوت الأصفر باستخدام السحر
آلاف الأحجار من اللؤلؤ الشفاف
أو لا، كأنه عنكبوت ذهبي نسج مائتي خيط من خيوطه الدائرية
الذهبية على مائة ذبابة فضية في القبة الزرقاء
أو تمساح أصفر الجسم والذي بسبب حركته
اضطربت آلاف الأسماك الفضية
أو كزورق ذهبي بسبب اصطدامه تختفي
فقاعات فضية كثيرة في بحر زئبقي
فأعطنا أيها القمر فضي اللقاء الشراب في السفينة
في صبح كهذا، في ذكرى سفينة الحب الذهبية

غزل:

لى محبوب ماجن ومهزار، جرئ وساحر، طيب وحسن الطبع

طرته عبير، جسده حرير، وجهه الربيع وطلعته الجنة

كأن مصور الروح لكى يرسم وجهه وشفاهه بصورة صحيحة من البداية

غسل قطعة الياقوت بماء الحياة ثم أذابها فى محلول السكر

لقد سلب منى ذلك الفتى فى قمار العشق العقل والدين والجسد والروح والرأس

والحكمة والصبر والتحمل، والمال والفضة والذهب، وعلى حد قول أهل اللواط حصل ما حصل

قبل أن تظهر الذقن على وجهه كان ذلك الفتى حاد الطبع جدًا

والآن وقد نبت الشعر من وجهه، إذن ما هو مصيرى من ذلك الشعر؟

عندما ظهرت ذقنه تجمد خاطره حيث أصبح صفاء حسنه مضاعفًا.

لقد سلب وجهه عبير الحديقة والورود، والبرعم يحترق ويتألم من شفاهه

لقد كان شعر رأسى أسود بلون القار، فصار عند فراقه أبيض بلون اللبن

أصابنى المشيب فى عز شبابى ومضى الدهر وولّى الزمان

أطلب من الله، من العالم بأسره، قدر مساحة قفص فى الأرض ولحظة عمر واحدة

حتى أشرب فيه وفقًا لهوى القلب بدون خصم شرير ومحبوب قبيح

وأستمتع بجو الربيع ونشوى الخمر الحمراء تارة على شط النهر وتارة فوق التل

لحظة تحت السرو ولحظة أمام الورد ولحظة فى ساحة الحديقة ولحظة حول

الزرع

عندما أدرك الإنسان الفرق بين المظهر والجوهر لا يرى غير الحبيب أينما نظر

وحيثما ذهب فإن المُلك مُلكه سواء فى الحرم أو فى الكنيسة

- **مسمط:**

مرة ثانية ظهرت فوق الجبل رايـة سحاب الربيع
فانهار سيل من الأحجار من فوق المرتفعات الجبلية
ومرة ثانية صاحت الطيور من كل جانب
الفاختة وأبو المليح الصلصل والقطا والبلبل
الببغاء والطاووس والبط الحسون والقبرة والزرزور

....

وكأن البنفسج رسول أرديبهشت
فهو يفوق جميع الزهور كثرة ويلتف حول الحديقة
ومن عبيره صار النهر روضة من الجنة
كأن الله قد كتب بالطيب على وجهه
يا أيتها الوردة يا ذات العبير المسكى احملى البشرى من الربيع الجديد

....

مرة ثانية امتلأت عين النرجس بالنعاس فى الحديقة
مرة ثانية امتلأت طرة السنبل بالضياء فى المرج
مرة ثانية صار الماء المتجمد الفضى مثل الزئبق
وهبَّ نسيم الربيع فأصيب بالهلع والفزع

منتصف الليل الغافل ففر من البستان

....

رويدًا رويدًا، يزحف النسيم أسفل الزهور
فيمص نقن هذه ويتذوق وجنة تلك
ويشد ضفيرة هذه ويعض عنق تلك
تارة يتبختر في الرّوضة وتارة يهب على الياسمين
تارة على فرع الشجرة وتارة على حافة النهر

....

- ودخلت الشقائق الحديقة بوجه مشتعل
- وقد صنع خيَّاط الحياة من أجلها عباءة حمراء
- ارتدت العباءة الحمراء فأحرقت مكانًا أو اثنين أو ثلاثة
- أو كأنها تعلمت العشق من العشاق
- فأصبح لها قلب غارق في الدم وكبد محترق...

....

- والنرجس الصغير وضع على رأسه ثانية ذلك الطست الفضى
- وفوق الطست الفضى وضع طاسًا من الذهب
- وفى وسط الطاس الذهبى رفع الجناح الذهبى
- وعلى جناحه الذهبى وضع الندى حبات اللؤلؤ
- لكى يصبح ذلك الذهب الصلب نديًا من جواهره

....

- وعندما ظهرت الحُمرة في جسد الصفصاف الأحمر
- أصيب الأرغوان بالهلع عليه وخفق قلبه
- والنامية مثل الطبيب وضعت يدها عليه لقياس النبض
- ثم ضغطت بقوة على ساعده فخرج الدم من عرق يده
- وترك ساعده تذكارًا من الدم فى عدة أماكن

....

- وزهرة الفل كجارية صينية فى وسط الحديقة
- بيضاء وجميلة وبديعة مثل أختها الياسمين
- نجمتان صغيرتان اقترنتا
- أو عقد الثريا الذى انفصل عن الشمس
- وظهر فى منتصف الليل وكأنه عقد الياسمين الذى ينثر على العروسين

....

- والدائرة الحمراء التى تحيط بالوردة لماذا صارت ذات أسنان؟
- ولماذا تغطى جسدها الملائكى هذا بالثوب الحريرى؟
- ولماذ حريرها عديم النظير و أملس هكذا؟
- ولماذ جسدها من عند المنتصف ذهب مُكلَّس؟
- ولماذا قامت بتكليس كل هذا الذهب الخالص؟

....

- والبلابل زوج زوج يتحركون إلى أعلى وإلى أسفل
- وطيور الصلصل فوج فوج يستمتعون معًا
- وأعطى الخلق ظهورهم للهم وتعلقوا فى النعم
- وأشهروا فى وجه الألم سيف الإيذاء والقهر
- وشربوا معًا كأس الخمر   برفقة الدف والرباب والعود

....

- والبلبل على غصن الوردة يغنى ويغرد
- وأغنيته تجلو الصدأ من صفحة القلب
- ويمدح بمنتهى الجمال حسناء الروضة
- فهذا ليس خطأى فإنه يمدح مثلى
- وعلى زهرة تاج الكرم ثمرة غصن الشرف ....

٥- يغما:

يتميز شعر هذا الشاعر المعاصر لقا آنى وفروغى بمذاق آخر ولد ميرزا رحيم يغما ابن حاجى إبراهيم قلى عام ١١٩٦ هـ.ق فى ولاية إيرانية فقيرة جدًا وقليلة السكان بقرية "خور بيابانك" التابعة لمنطقة جندق، وقد قضى فترة طفولته فى شقاء وعناء شديدين، فقد عمل وهو فى السادسة

أو السابعة من عمره، حيث كان يرعى الجمال خارج القرية حتى يدبر نفقات معيشة أسرته. يُقال إن يغما خرج ذات يوم بقطيعه إلى الصحراء فمر عليـــه الأمير إسماعيل خان كبير عرب العامرية والذى كان من كبار الملاك وحاكم تلك المنطقة، فنادى على يغما وسأله بعض الأسئلة فأجابه يغمـــا، فأعجـــب الأمير بأدبه وجوابه الحاضر، فأخذه عنده وتبنّاه، وقرر أن يربيـــه ويرعـــاه وخلال عدة سنوات تعلم يغما القراءة والكتابة والمراسم وأنـــواع المهـــارات المطلوبة من الفروسية والرماية، وأصبح واحدًا من رســـل أبيـــه بـــالتبنى، وسرعان ما لاحظ الأمير استعداد هذا الشاب وتفوقه غير العادى فى الكتابـــة فجعله كاتبه الخاص، وفى هذه الأثناء بدأ يغما فى نظم الأشعار لأول مـــرة بتخلصه "مجنون".

وفى عام ١٢١٦ هـــق توترت العلاقة بين إسماعيل خان والحكومـــة فأرسلت الحكومة الجيش لمهاجمته، وهُزم إسماعيل خان فى الحرب وفر إلى خراسان وسقطت أملاكه فى يد الفاتحين، وقد عُين لإدارة أمور جندق رجل يدعى جعفر سلطان من طرف القائد ذى الفقار خان حاكم سمنان ودامغـــان، فرأى جعفر سلطان أنه من الضرورى وجود شاب متعلم وكفء مثل يغما فى جيشه، فحث الكاتب الشاب على الانخراط فى الجندية والعسكرية، ولكن لـــم يقبل يغما هذا الظلم الفاحش وعُين كاتبًا للقائد نفسه وبتأييد منه، وقد ظل عنده فى هذا المنصب ست سنوات وعلا شأنه ولكن أصبحت هذه المكانة سببًا فى نكبته وتعاسته، فقد حقد عليه زملاؤه فى العمل ووشوا به عند القائـــد الـــذى كان رجلاً حاد الطبع وبذىء اللسان حتى غضب عليه القائد وضربه بالعصا وألقاه فى سجن مظلم، وأرسل بعض رجاله إلى جندق لمصادرة أملاكه وقمع

أقاربه. [1]

وبعد خروج الشاعر من السجن قام بتغيير اسمه إلـــى "أبـــى الحـــسن" وتخلصه إلى "يغما"، ولبس الخرقة الصوفية، وظل سنوات "شريدًا وهائمًا فى ربوع إيران. بسبب ظلم القائد وأخذ كل فترة يظهر فى مكان آخر ثم يختفى وهو شديد التعب والاضطراب" [2].

وفى هذه الأثناء سافر أيضًا إلى بغداد وكربلاء حتى ظهرت فى آخر الأمر براعته وافتضح أمر الحاقد" [3]، أما القائد "فقد ترك الطبع الـشيطانى وعـاد تدريجيًا إلى الطبع الإنسانى" [4]، وعزف مع الشاعر "لحن الصلح والتعـارف وسر الحب والتآلف أكثر مما يليق، ولم يعد يصغى لأحد مهما قال" [5]، وعاد يغما إلى مسقط رأسه، ولمّا كانت الإقامة فى جندق تذكّر الأيـام الماضـية والظلم الذى كان قد وقع عليه وعلى أسرته، إذ كان أمرًا شـاقًا عليـه، ولا عجب فى أنه توجه إلى طهران عبر طريق يزد بعد ستة شهور [6]، وتقابـل

---

(١) كان الظلم الذى وقع على يغما من ذى الفقار خان فوق طاقة البشر بـل وأدى إلـى حيرة الناس ودهشتهم، على الرغم من أنهم كانوا يعيشون فى عـصر كلـه ظلـم وتجاوزات، مثلما يقول فاضل خان فى رسالته لآقا خان المحلاتى "إنها -يقصد المرأة الدائنة- تفعل معى كما يفعل الماء بالأساس المطموس والرياح بالخيمة المندرسة وذو الفقار خان بأبى الحسن الجندقى وسهراب خان بحاجى محمد البسطامى".

(٢) كليات يغما، ص ٦٢.

(٣) كليات يغما، ص ٦٢.

(٤) كليات يغما، ص ٦٢.

(٥) كليات يغما، ص ٦٢.

(٦) بعد ١٤ سنة حيث قدم القائد ذو الفقار خان من سمنان إلـى طهـران أذن للـشاعر بالدخول بدون وساطة أحبابه ومساعدة أصدقائه، وقابله بشفاه مفتوحة ووجه طليـق=

بالصدفة مع الحاج ميرزا آقاسى الوزير الإيرانى القدير، ذلك الوزير الذى كان شديد التعلق بالتصوف على الرغم من كل مشاغله الدنيوية وكان يعد نفسه من الصوفية أصفياء العقيدة.

وسرعان ما أصبح مريدًا له، وعلا نجم إقبال يغما من جديد، وما لبث أن صار من ذوى المكانة والاحترام والشهرة والجاه بفضل سلطة ونفوذ ذلك الوزير (١٢٥٠- ١٢٦٤ هـ.ق)، لكنه لم يستفد من هذه السلطة ذلك أو النفوذ، والحسنة الوحيدة التى فاز بها من تلميذه رفيع الشأن كانت هى وزارة حكومة كاشان.

وفى أثناء إقامته فى كاشان حدثت واقعة فضائحية، وقد نظم يغما هذه الواقعة فى منظومة بعنوان "خلاصة الافتضاح" وأثبت موهبته فى الهجاء، فحاولت الأسرة التى كانت قد تعرضت للإهانة والتحقير الانتقام من الشاعر بكافة الطرق والوسائل فسلكت طريق الرشوة والافتراء، واتهمه إمام جمعة كاشان بشرب الخمر وإهمال أحكام الشريعة ووصفه فى صلاة الجماعة بالفاسق والمرتد، ومن ناحية أخرى فقد هبت جماعة لمناصرته حيث بذل الحاج ملا أحمد نراقى العالم الدينى المشهور والمسئول الأول عن الفتوى، جهدًا كبيرًا فى هذا السبيل، ولكى يدفع يغما التهمة عن نفسه تظاهر بالتوبة ولبس خرقة الزهد.

وهاتان الغزليتان هما نتاج هذه الفترة:

- إذا لم أصب الخمر فى الكأس وقت الربيع، فماذا كنت فاعلاً؟ إذا لم أرطب

=وأجلسه بجانبه و "مدرب الصقور الذى لم يكن يمشى منذ بدء الخليقة إلى آخر الحياة إلا بالسب والشتم ولم يكن يتحدث عنه إلا بالذم واللعن" سأل الله تعالى الراحة والعفو للشاعر (كليات يغما، ص ٦٢).

رأسى بالكأس، فماذا كنت فاعلاً؟

- الجو بديع والخمر فى الكأس وأنا سأمت التفكير العقلانى، فإذا لـــم يكـــن عندى عمل آخر، فماذا كنت فاعلاً؟

إلى أن قال:

- نجوت من شيخ المدينة بحيلة الإسلام فإذا لم أســالم هــذا الكــافر، فمــاذا كنــت فاعلاً؟..............

- أى خمر تجرعتها من زجاجة الدهر تلك التى لم تدمى ولم تنهمر مــن أهدابى على وجهى

- إلى متى أتحمل الذل من أمير الحانة لم تعد لى القدرة على التحمل، فلست مخلوقًا من الحديد أو النحاس!؟

- الآن لا يفتح شيخ الحانة الباب فى وجهى لا يهم، فلم يغلــق أحــد بــاب المسجد فى وجهى

- أزيل بتراب الخانقاه غبار الكفر من الجسم وأمحو بماء الــصومعة غبــار الشرك من الوجه

- إن إمام المدينة الذى بحكم الشريعة لم يكن يسمح لى بدخول الحى قبل هذا بسبب الفضيحة

- يجلس الآن بجانبى من شدة الحب ويصب الخمر ويزيل غبار الحانة مــن على وجهى بكم الخرقة

لكن لم يأت كل هذا بفائدة، ولم يعد يغما يستطيع البقــاء فــى كاشــان فاضطر لترك بيته وأهله مرة ثانية، وقام بالسفر والتجوال وعاش فترة فــى

هراة وعاد فى آخر الأمر إلى وطنه وهو فى الثمانين من عمره، وفى يوم الثلاثاء السادس عشر من ربيع الثانى من عام ١٢٧٦ هـ.ق توفى بقرية خور، ودفن فى القرية نفسها بالقرب من قبر سيد داود.

لم يهتم يغما بجمع وترتيب كتاباته وأشعاره، فلم يكن يؤمن بهذا الأمر حتى تعرّف عليه شخص يدعى الحاج محمد إسماعيل[١]، وارتبط معه بصداقة حيث قام هذا الشخص بجمع مؤلفات يغما التى على حد قوله " كانت كعقد منفرط وكيس نقود كثير الثقوب، وأعاد ترتيبها وتنسيقها بعد سعى وجهد كبير"، وبعد موته أخذ ابنه الكبير ميرزا عبد الباقى الطبيب كل هذا وطبعه طباعة حجر فى مجلد كبير بالقطع الرحلى فى طهران عام ١٢٨٣ هـ بسعى واهتمام اعتضاد السلطنة وزير العلوم والصناعة[٢].

والحاج محمد إسماعيل هذا الذى "كان من عامة أهالى دار الخلافة وكان سليم الفطرة وحسن الطبع ولكنه كان بلا نصيب أو حظ من فنون البحث والعلم"[٣] كانت لديه رغبة شديدة فى جمع أعمال يغما المتفرقة، وكلما رأى أو سمع فى أى مكان أو من أى شخص شعرًا أو نثرًا يعتقد بذوقه واجتهاده أنه ليغما، كان يجمعه وينسخه فى أحد الدفاتر، وقد ظل سنوات يخفى تلك المجموعة عن الناس.

يقول سلطان محمد ميرزا سيف الدولة المتخلص بسلطان، الابن الرابع والأربعين لفتحعلى شاه والذى كان أميرًا فاضلاً وعالمًا وله مؤلفات شعرية

---

(١) جد الدكتور خليل خان أعلم الدولة الثقفى.

(٢) الطبعة الثانية، بمباى، ١٣٠٢ هجرية، والطبعة الثالثة، طهران، أوفست، ١٣٣٩ ش [٦٠- ١٩٦١م].

(٣) مقدمة ديوان "سلطان"، نسخة "آستان قدس رضوى".

ونثرية بالعربية والفارسية، وظل يجالس ويصاحب يغما في طهران لمدة عشرين عامًا عقب جلوس محمد شاه على العرش،[1] يقول في المقدمة التي كتبها لديوانه سنة ١٢٩٢ هـ.ق: "سمعت مرارًا بأنني يغما و هو يقول إن هذا الصديق العامي- أي الحاج محمد إسماعيل- سيلقي بي إلى عالم الفضائح وسوء السمعة، فإنه يأخذ بعض أشعار وكتابات الناس ويضعها باسمي في الدفتر والديوان وكلما أجزمت وأقسمت له أنها ليست لي، وقلت له أخرجها من الدفتر ولا تفضحني وتسئ إلى سمعتي لا يصدقني ويصمم أكثر على تسجيلها"

ويقول يغما نفسه في الرسالة التي كتبها لأحد أقاربه (الملا محمد حسن الأصفهاني) وطُبعت بالصدفة ضمن كتاباته "...إنني إذا قمت في أي وقت وفي أية سنة وفي أي شهر بإعداد رسالة بناءً على طلب شخص ما أو وفقًا لرغبتي وتكون هذه الرسالة ملأً من الدُر اللامع.. يأخذها هذا وذاك بهوس ويمزقونها من الأمام والخلف، وفي الأيام التالية تصير قطعًا صغيرة وتقع في أيدي الأطفال الأشقياء فيصنعون منها الطائرة الورقية أو تتحول إلى

---

(١) يقول سلطان في مثنوي سيف الرسائل:

الأستاذ الجليل الذي لا يفكر إلا في العلم ... الغريب عن عوالمه الكثيرة
يغما الذي هو شمس البشر ... وبه تستقيم كل أمور البشر
فقير، غني شحاذ، سلطان ... في كسوة الفقر، نفس الإيمان
فمه وشفاهه عن اللغو مغلقان ... وروحه وقلبه من الخلاف متحرران
من أول العشرين إلى ما بعد الأربعين ... مستريح من الغير وفارغ من النفس
في السنة والشهر واليوم والأسبوع كنا معًا ... رفاق السعادة والحزن
ليعلم أبناء العالم من الأعداء والأصدقاء ... أن كل ما أعلمه هو عنه

ورقة قديمة يقوم بائعو الأدوية بلف الدواء فيها.. إن صديقى القديم، الحاج محمد إسماعيل الطهرانى، قام من باب الحب والإخلاص وليس من باب الأحقاد وهتك الأسرار بعد أن مضى على عمرى أربع سنوات بعد السبعين، قام بإعداد دفتر ووضع فيه كل أعماله الثمينة وغير الثمينة، وأعمال الآخرين أيضًا الغث منها والثمين وصنع من كل هذا كتابًا ضخمًا ووضع اسمى على كل ما رآه فى أى مكان وكل ما سمعه من أى شخص دون أن يلقى نظرة واحدة أو يتحقق من صدق وكذب هذا العمل وذلك بعد أن يحصل عليه بالمال أو بالتضرع أو بالقسوة، ثم يضيفه إلى أعمال الأربع سنوات، ولقد قمت مرارًا فى السر والعلن بترتيب الأوراق وأرسلت الاحتياجات من الذهب والفضة عسى أن أسترد صحيفة الفضائح هذه وأخلص نفسى من النار المحرقة فى الحياة والممات ومن سباب ولعنات كل شريف ووضيع، ولكننى لم أجد إلا آذانًا صماء وعقول جامدة...". [١]

وبعد وفاة يغما، وبينما كان الحاج هذا لا يزال على قيد الحياة "كلما أرادت فئة من الناس أن تأخذ نسخة من ذلك الشعر والنثر لتقوم بإصلاحه وتصحيحه وطبعه، رفض ذلك"[٢]، والعجيب أنه بعد وفاته قام ابنه ميرزا عبد الباقى والذى "كان صاحب فضل وعلم ومن أدباء دار الخلافة المعروفين وعلمائها الأساسيين" [٣] بطبع هذه المجموعة التى كانت "ميراثًا مغلوطًا وبأقوال الغير مخلوطة"[٤] باسم يغما كما قلنا.

---

(١) كليات ، ص ٨٨.

(٢) مقدمة ديوان سلطان.

(٣) مقدمة ديوان سلطان.

(٤) مقدمة ديوان سلطان.

وبعد أن طبع الديوان ونشر تبين أن تسعة وسبعين بيتًا غزليًّـا كـان للأمير سيف الدولة المتخلص بسلطان تحت عنـوان "الغزليـات الجديـدة" وقطعتين أو ثلاثة للملا محمد حسن بهرام السـمنانى، وبعـض منظومـات ورسائل ميرزا إسماعيل هنر ابن يغما، والقطعة التى كتبها الأميـر سـيف الدولة وهنر معًا قد سجلت كلها فى ذلك الديوان باسم يغما. (١)

نثر يغما:

مؤلفات يغما النثرية عبارة عن هذه المجموعة من رسائله العديدة التى كتبها لأبنائه الكثيرين (ميرزا إسماعيل هنر وميرزا محمد على خطر وميرزا أحمد صفائى وميرزا إبراهيم دستان) وبعض الأمراء والعلماء وعدد من أهله وأصدقائه، وهذه الرسائل التى احتلت ثلث ديوانه، على الرغم من أنها مزيفة ومكررة، وللأسف غير مؤرخة فضلاً عن أنها – كما ذكر – ممزوجة بكتابات الآخرين، فإنها مصدر مهم ونفيس للقراءة والبحث فى أحوال المؤلف، ويذكر يغما فى هذه الرسائل شخصيات كثيرة منها شخصيات معروفة، فهو يـذكر بالخير الأميرين سيف الدولة وبهاء الدولة والحاج محمد إسـماعيل صـديقه القديم وجامع ديوانه، ويسمى قا آنى "صاحب الكلام والعالم القديم" (٢) وفاضل خان جروسى "السيد الرحيم"(٣) ويصف نفسه بأنـه بالنـسبة لـه "المملـوك المخلص"(٤).

---

(١) يمكن الرجوع إلى مقالة أحمد گلـچين معانى (مجلة يغما، السنة السابعة عشر، العدد العاشر).

(٢) كليات ص ١١١.

(٣) كليات، ص١١٥.

(٤) كليات، ص١١٥.

لم يكن يغما يحب اللغة العربية وقد كتب الكثير من رسائله بالفارسية "الخالصة"، بحيث إنه استخدم الألفاظ الفارسية المهجورة بدلاً من الكلمات العربية الشائعة، وقد يكون السبب فى هذا الأمر أنه لم يتعمق فى الدراسة ولم يكن يعرف قواعد اللغة والأدب العربيين بالشكل الكافى، مثلما يقول هو نفسه فى رسالة لأحد الأصدقاء "وللأسف فإننى لا أعرف العربية، وفضيلة الجهلاء بيع الوقاحة"(١)، إلا أن عدم تبحره فى اللغة العربية وآدابها قد دفعه لتعلم اللغة الوطنية الفارسية على الوجه الأكمل، وبالتالى فإنه لم يكتف بالتحقيق والتتبع فى دواوين أساتذة الشعر فحسب بل إنه قرأ المعجم الكبير "برهان قاطع" بدقة وتريث شديدين، بل وكتب عليه أيضًا تتمة فيما يبدو.

وقد اعتقد يغما، نتيجة هذه القراءات أن الإيرانيين بإمكانهم الاستغناء عن الألفاظ العربية، ومع هذا فإنه لا يمكن القول إن يغما قد نقى لغته النثرية تمامًا من الألفاظ العربية، بل إنه بخلاف الرسائل "البسيطة" أو الكتابات "الفارسية الخالصة" التى تجنب فيها استعمال الكلمات العربية بصورة متعمدة، عنده رسائل أخرى أيضًا كتبها باللغة الأدبية الدارجة فى عصره بل والممزوجة فى بعض الأحيان بالألفاظ العربية الغليظة، أما دعوته لتنقية اللغة فهى محصورة فى أنه قلل من استعمال الألفاظ العربية بقدر الإمكان.

وعلى ما يبدو فإنه قد ظهرت فى عهد يغما نهضة فى مجال الكتابة الفارسية، فقد كتب فى رسالة لابنه ميرزا أحمد صفائى "وهذا الأسلوب كما يرى العلماء والفضلاء أسلوب حديث ومبتكر، وضع أساسه عدد كبير من

---

(١) كليات، ص٩٣.

كتّاب قزوين والري وفصحاء أصفهان والجي(*)، وقد ثبتوا بشدة على هـذا الأسلوب وبه كتبوا القصص العميقة ورفعوا القصور العريقة، ليتـك أيـضًا تسلك ذلك الطريق وتحمل على ظهرك ذلك الحمل والهم على سبيل التجربة وتجعل القلم في إصبعك، وأنا أعتقد أنك في رسالتك الثالثة، أو الرابعـة قـد تقتفي أثر مجموعة الزملاء والفصحاء من كتّاب الفارسية".[1]

وفي موضع آخر يرشد الكتّاب الذين يتدربون علـى هـذا "الأسـلوب الجديد حديث الظهور"، على النحو التالي: "احذر في أثناء الكتابة وكن منتبه الفكر والعقل وافتح أذنيك وعينيك بشدة، حتى لا ينفصل ما يجب اتصاله، ولا يتصل ما ينبغي انفصاله، فإن عين القراء مفتوحة بشدة على هذا الأسـلوب الجديد، وهي تعرف المبتدئين قليلي العمل وترى الأشياء الدقيقة والغائبة عن العين الجامدة والقلب المتحجر، وإذا لم تقتصر في أثناء الكتابة المرور على هذا الأسلوب فإن بداية ونهاية الفقرات ذات الحجم والعدد المناسبين سـوف تتداخل حتمًا، وسيصعب على القارئ والسامع كليهما الاستمتاع بجمال جوهر الكلام وفصاحته، وبذلك ستفتح أبواب النقد والتطاول على مصاريعها من كل صوب وحدب وتطلق الألسنة في ذم الكاتب، وعندئذ سينتقد النص كل من لا يعرف شيئًا عن الأدب، أما إذا انتبهت وأعملت العقل واستمعت لنـصيحتي المخلصة.. احترم رأي هذا المبارك المذهب واحترس من صديقك الجاهـل وعدوك المتربص بك...".[2]

(*) جي اسم أصفهان قديمًا واسم قرية فيها (المترجم).

(١) كليات، ص٥٦.

(٢) كليات، ص٤٩.

شعر يغما:

يعد يغما شاعرًا غزير الشعر، أما الأشعار التى قد بقت عنه فهى عبارة عن مجموعتين من الغزليات القديمة والجديدة [1]، وخمس منظومات هزلية قصيرة وكم كبير من المراثى والقطع والترجيعات والرباعيات.

ويمكن تقسيم هذه الأشعار من حيث المضمون إلى ثلاث مجموعات:

١- الغزليات التقليدية البليغة المقبولة نسبيًا والتى نظمت بأسلوب القدامى، وهى تثبت مدى قدرة الشاعر وموهبته العالية فى فن الشعر.

٢- الهزليات التى تعد أكثر أعماله أهمية على الإطلاق وترجع إليها شهرته فى الحقيقة، وهى: "سردارية" التى نظمها لتسلية القائد ذى الفقار خان، وهى غزليات وضعت بجوار بعضها البعض بدون رابطة خاصة وتبدأ كلها بالسباب والشتائم المبتذلة القبيحة وتنتهى بمدح القائد، "قصابية" و"أحمدا" واللتان لا تختلفان عن "سردارية" فى الشكل والمضمون، ومثنوى "خلاصة الافتضاح" الذى مر ذكره، ومثنوى "صكوك الدليل" والذى نظمه فى هجاء قارئ الروضة سيد قنبر وسماه "رستم السادة" والكثير من القطع والترجيعات والرباعيات فى الهجاء والهزل.

---

(١) كما أشير فإن هذه الغزليات التسعة والسبعين التى دخلت ديوان يغما بعنوان الغزليات الجديدة كانت للأمير سيف الدولة المتخلص بسلطان، وقد كتب ميرزا عبد الباقى فى هامش ٨٦ من الكتاب أن يغما تخلص فى بعض أشعاره باسم سلطان، لكن العجيب هنا أنه قد غيّر تخلص سلطان إلى يغما فى كل الأشعار ما عدا فى غزل أو اثنين كانت كلمة سلطان جزءًا من الغزل ولا يمكن تغييرها.

وأشعار يغما الهزلية لا تختلف عن غزلياته فى الصنعة الشعرية، وأهم خصائصها الفضائح الصارخة والشتائم العلنية والتى توجد فى كل سطر من سطورها، وهزليات يغما لا تستحق الشرح والترجمة إلى اللغـات الأخـرى وهذه الأشعار مملوءة من أولها إلى آخرها بالفحش والألفاظ السوقية القبيحة والخارجة عن حدود الأدب، واللازمة التى استخدمها الشاعر فى كلامه هى كلمة الديوث والتى نعت بها نفسه أيضًا، ويعد هذا ألطـف وصـف سـوقى استخدمه فى غزلياته، حيث يرى يغما أن العالم كله بأرضه وسمائه، بسره وعلنه، بشرقه وغربه هو "سوق الدياثة"، وفى نظره أن كل ما يُرى من بعيد أو قريب باستثناء "الأرواح المكرمة" عبارة عن دياثـة أوجـدها أنجـاس، ويتعجب يغما حتى من "يوم الحشر والبعث" قائلاً: أى بلاط أو ديوان يقيمـه الله لهذا "الديوث الأحمق"!

ولكن لا يجب أن ننسى أن هذا الاشمئزاز والنفور وهذه البذاءة والفحش هى نتاج فساد وتلوث البيئة التى كان يعيش فيها الشاعر، صحيح أن يغمـا يفكر فى الانتقام الشخصى فى أغلب المواضع وينضم من هذه الناحية إلـى شعراء هجاء المدرسة القديمة ولكن لم يعلن أى شاعر هجَّاء حتى عهد يغما عيوب ومفاسد عصره بهذه القسوة مثله.

وقد كان شعراء اللهو والمجون الإيرانيين كحافظ وأمثاله، كان حزنهم دائمًا فى القلب وشكواهم على الشفاه من الأشخاص الـذين يظهـرون فـى المحراب وعلى المنبر، أما سب يغما للمرائين والمتظاهرين بالتدين فله لون وشكل آخر، فتطاوله بوقاحة على الشيخ والصوفى والواعظ وكذلك مسئولى عصره ليس سبًا بسيطًا بل هو هجوم على الحالة المتـدهورة واضـمحلال البلاد وعلى جميع الأشخاص الذين كانوا سببًا فى هذا الأمر أو ساهموا فيه،

ويهتم يغما بالأحداث والوقائع التي تسببت في معاناته واضطرابه ولكنه غير مستعد لمحاربة عوامل الفساد واقتلاع جذورها، فيغما الذي يعد نتاج بيئتـه وربيب العادات القديمة ليس لديه الأفق الواسع الذي يجعلـه يـدرك حقيقـة الأمور، وكل ما في الأمر أنه غاضب من الجميع ونافر من كل الناس فتدوي صرخته في كل جنبات الدولة وتصل إلى أذن سائر الإيـرانيين الـصالحين الداعيين إلى الإصلاح.

٣- الأشعار التي تمتلئ باليأس والتشاؤم التي تعد امتدادًا أو رد فعل طبيعي لحالة الغليان والفوران التي كانت عليها أحاسيسه وانفعالاته النفسية.

فالعصر الذي كان يعيش فيه يغما كان مازال بعيـدًا عـن التحـولات المستقبلية، ولم تكن الظروف تسمح بأن يجرب فنه الأصلي الذي كان عبارة عن الهزل والهجاء والنقد في الأمور الاجتماعية، ومن ثم فإنه يعـود إلـى اليأس والتشاؤم المطلق ويميل إلى الأفكار الصوفية التي كان ينفر منها كلها ويتوب ويرجع عن الفحش والبذاءة أو على حد قوله عن ذلك "الكلام الفارغ".

وهذا الجزء من أشعاره ليس فيه ذلـك الغـضب والغليـان الـسابق، والإهانة والاحتقار ليست بتلك الشدة والحدة التي كانت عليها، ولكن بـصفة عامة يلاحظ أيضًا في كل هذه الأشعار الألم والتعب والاضطراب، ووسـط هذا الحزن والإحباط المميت ينشد الشاعر أبياتًا من هذا القبيل:

- سافرت أنا يغما والحظ والسعادة والغم معًا من العدم إلى مملكة الوجود

-ولمّا وصلنا نحن المسافرون الجدد إلى منتصف الطريق

نام الحـــظ وسلكت السعادة طريقها وبقيت أنا والغم

وكأن الحياة في نظره قد فقدت تمامًا قيمتها وأهميتها، ولم يعد عنده أى أمل، ولم يعد بمقدوره التعايش مع المحيط الخارجى.

وقد نظم جزءًا من هذه الأشعار بلهجة وأسلوب عرفانى، وتقترب أغلب أشعار هذا الجزء من أفضل نماذج الشعر الكلاسيكى.

٤- مراثى يغما: والتى قد نظم جزءًا منها للألحان الإيقاعية، والشاعر نفسه يسميها "نواح الضرب على الصدور أو الضرب بالأحجار" وهى ذات مكانة خاصة في ديوانه، ويستعمل فيها شكلاً جديدًا نسبيًا والذى يسمى فى الأدب الفارسى "المستزاد" حيث إنه أوجد نوعًا جديدًا من المراثى يشبه الأناشيد الوطنية، فالأناشيد الثورية بعد عام ١٣٢٤ هـ.ق والكم الكبير من الأشعار الفكاهية التى نراها فى صحف عصر الحكومة الدستورية هى بالشكل نفسه الذى أوجده يغما.

وكما رأينا فإن قا آنى ينتسب للعصر الماضى سواء من حيث الشكل والقالب أو من ناحية مضمون الأشعار، أما يغما فربما يمكن انتسابه للعصر الحديث، وهو لم يحدث تغييرًا مهمًا أو أمرًا جديدًا فى شكل وقالب الشعر ويعتمد فى كافة المواضع على منهج وأسلوب الأساتذة القدامى، وبالرغم من ذلك فإن أعماله قد ظهر فيها انحراف كامل عن طريق القدامى من حيث المضمون، ويعد يغما بالنسبة لعصره رجلاً مستنيرًا فهو لا يختنق فى محيطه مثل قا آنى وليس مجرد متفرج مستسلم ومنقاد للأحداث، وإنما يعترض على الحياة الموجودة بمنتهى العنف والشدة ويواجه كل ما يراه قبيحًا ونجسًا وسيئًا بوابل من الشتائم والبذاءات، ويعد يغما رائد شعراء السخرية السياسية، وكما ظهر بسرعة فقد اختفى أيضًا بسرعة، ولو كان قد جاء بعد قرن من هذا العصر ربما احتل الزعامة والريادة بين كتّاب عهد الثورة الإيرانية.

والآن نقدم نماذج من رسائله ثم من أنواع أشعاره بعد ذلك.

من الرسالة التى كتبها لابنه اسماعيل المتخلص بهنر:

.... إن هؤلاء الأبناء هم تذكار لأولئك الآباء الذين قتلوا مائة وأربعة وعشرين ألف نبى، وسفكوا دماء خلفائهم الذين هم بحر العفو وسفينة النجاة، اعلم أنك إذا لم تنثر بذرة الشمام اللطيفة كل عام وتزرعها فى أرض جديدة وبكر فإنها ستفقد وجودها تدريجيًا ويُدفن جوهرها فى الحضيض، ولأن الأجناس الخمسة التى كانت ثمرة زواج سبعة آباء وإنجاب أربع أمهات [1] لم تتغير بذرتها منذ آلاف آلاف السنين، ولا يأتى الماء إلا من ظهر الرجل وقُبُل المرأة، فإن الأمل والطمع فى تحسن هذه البذرة هو مثل غرس زهرة الشقائق فى أرض بور مالحة، ولو فتحت عقل ولب هذه الأبقار المروضة والحمر ذوى الآذان والحوافر والذين يطلق عليهم من باب قلب الأمور "البشر" لن تجد غير مجموعات الشياطين المخادعين للناس وقطعان من الكلاب آكلة لحوم البشر.

لا توجد إنسانية على ظهر الأرض فلابد من خلق عالم جديد وإنسانية جديدة

إن جوهر الإنسانية هو النظر، والعلم وهو العدل والإدراك والطبع والأخلاق، وهو الأسلوب والطريقة، وكظم الغيظ، وهو التسامح والسكينة والهدوء، وهو العفو والعطاء مع المرؤوسين، وهو مواساة المكلومين والتحرر من كل الناس وعدم التعلق إلا بالله وحده وأمثال ذلك، ومهما اجتهدت وبحثت فلن تجد أكثر من واحد فى المائة، هذا إن وجدته وسمعته،

---

(١) أراد أن يأتى بالأعداد أربعة وخمسة وسبعة جنبًا إلى جنب والتى تتعلق بـ "العنصر" و" الحس" و "الجسم".

فأنت لن تجد سوى حفنة من محترفى الغدر ونقض العهد من أصحاب الوجوه البشرية والطباع الشيطانية... أصحاب الخيال الضعيف والبأس الشديد، هم فى الظاهر أغنياء وفى الباطن متسولون، أكثرهم بخلاء وجشعون وفى النهاية سموا أنفسهم بشرًا بالرغم من أنهم فى شكل وأخلاق الذئاب وطباع القطط واحتيال ابن آوى ومكر الثعلب، ويلبسون قناع الصداقة وهم أعداء.

ذلك يجـــذب قميص هذا وهـــذا يشـــد سروال ذلك

وكأن حدود العالم قد أصبحت مدينة الكلاب؛ أليس كذلك؟

حضرة القائد، إن اليد التى قد رأيتها والأيادى التى تعرفها هى مفتـاح هذا السر وعازف هذه الآلة، وأنت لا تحتاج إلى تقرير جديـد أو مكتـوب حديث؛ لأن الأمور هكذا وأهل الزمان اعتادوا على ذلك، فلا تشغل بالك بما هم عليه واخرج من هذه الدائرة التى تستأصل جذور الاسم والسمعة وتحطم أصول العظمة والثقافة، واتخذ وجهة وقاعدة أخرى، واشكر الله على أنهم لم يغيروك ولم يجعلوا منك إنسانًا آخر فارغًا بحيلتهم ومكرهم، وانس أى قـبح تراه وعندما تسمع أى سوء التزم الصمت واصبر.

ولا تجادل، وابذل العطاء ولا تطلب شيئًا، وكن إنسانًا، وانظـر إلـى الوحوش، واصنع معروفًا، وتحمَّل السوء، وافرش الموائد، وانتصر، وتحمل الغارة الليلية، ولاتصغ للسباب، وقل قولاً طيبًا، وانظر إلى الذنب، وفكر فى العفو.

عش بحيث تكتـب لك النـــجاة إذا ما مت

ولا تعش بحيث يستريحون منك إذا مت... [١]»

(١) كليات، ص ١٧.

ومن الرسالة التى كتبها لابنه ميرزا محمد على خطر:

" .... أحمد، بالرغم من أننا لا نتدخل وأفواهنا مغلقة تمامًا فإن هـذه السفينة لن ترسو على الرصيف، وهذه الجذور القديمة لن تخرج ورقًا ولـن تثمر فاكهة، وينبغى على رخش (حصان رستم) أن ينتشل جثمـان رسـتم، وأتمنى أن يقفز الآن ويتحرر من قيد التسيب والإهمال، ويقطع حبل الخمول والنفور، وأن يعمل بطريقة الحكماء، وينظم الحياة برجولة، وأقـسم بـروح السيد بأن كل هذا مزاح، فلابد من بذل الجهد والعرق، ولابد من طهى الخبز ولابد أن تأكل من صنع يدك وتطعم الآخرين أيضًا، فكل قرش أسود يحرسه أسد أحمر، وكل حبة قمح مدفونة تحت تل من التـراب، يمـوت والأعـداء يأكلونها أفضل من أن يعيش ويمد يده للصديق حتى يعطيه.

حكاية : كان أحد العلماء الصالحين يعظ الناس بأن كل مـن ينفـق قرشًا واحدًا فى سبيل الله سيرد إليه عشرة فى الدنيا ومائة فى الآخرة، وكان هناك فقير بسيط فى شدة الاحتياج، ولكى يحصل على أى شىء انضم لقافلة المتسولين وجلس عدة أيام يطلب من الناس وينتظر أن يجزلوا له العطـاء، لكن لم يفتح أمامه أى باب ولم تفتح أية نافذة لإعطائه شىء، فأجبره الجـوع الشديد على الخروج من الحارة والإسراع إلى السوق فأخذ يـركض يمينًـا ويسارًا ويطير إلى أعلى وإلى أسفل فرأى ثريًا كان حزامه الذهبى قد وقـع منه فى بئر ممتلئ بالمياه الراكدة وهو يصرخ ويقول على قارعة الطريـق: أى شخص سيأتينى بحزامى سوف أكافئه بسخاء، فقفز هذا المسكين فى البئر وغاص فى المياه وكانت المياه راكدة وعفنة فتأذى منها بشدة، لكنه أمـسك بالحزام فى النهاية وخرج من البئر متسخًا ومتعبًا، وذهب بالحزام إلى صـاحبه فى القصر، ورأى صاحب الحزام الذى وعد بمكافأة، فقال له لقد تعبت كثيرا

وملأتنى القانورات والأوساخ لأحضر لك ما تريده ولكن هذا العمل سـوف يقتلنى!

أربعون عامًا قضيناها فى بئر قانورات الحياة وتحملنا صعوبات كثيرة حتى يمَُن الله سبحانه وتعالى علينا بلقمة عيش أو كسرة خبز، وقد زاد رزقه ونعمته فتركنا لكم وعاءً (إرثًا) دون أن نضع منه شيئًا فى أفواهنا وتركنـاه على المائدة بالحب ودون أن ننتظر الشكر فامتلأت البطون وهدأت غـيلان النفوس حتى ظهرت بوادر الجحود والنكران وبدلاً من أن تحمدوا وتشكروا وتعضوا على هذا الوعاء بالنواجز مزقتم بعضكم البعض كالقطط المفترسـة والكلاب النجسة، فأين الكرامة والعفة وأين الاستعلاء والاستغناء، إنكم لـو عوقبتم على هذا الفعل، لا أعلم بأية طريقة ونظام ستـسير الـدنيا، وكيـف ستمضى حياة جفنة جاحدة مجنونة!

وأوصل سلامى لقرة العين ملاباشى وقل له : إننى أنا وأباك قد ضيَّعنا كل ما نملك وسبقناك أنت وأحمد بأميال فى هذا الأمر ولم نجد سوى التشرد والذلة وهمَّ القلب والحقارة والجوع والعطش والخجل من العـدو والحبيـب والجلوس أمام بيوت الناس، ومد اليد بخجل إلى موائد الغرباء ومثـل هـذه الأشياء، ونتمنى أن تتجنب أنت نفسك هذا الأمر وتجنب أحمـد أيـضًا، وإذا عاند ورفض الارتداد عن هذا الأمر فابتعد عنه واتركه وحيدًا، وإذا فكـرت فى غير هذا فسوف اعتبر أن التقصير من ناحيتك ولن انظر إليك ما حييـت إلا بعين الاستياء والضيق، ولن استقبلك حـتى لو أصبحـت شيخ الطريقـة أو السالك العالم....". (١)

---

(١) كليات، ص ١٨، الحاشية.

ومن رسالة يشكو فيها من جرأة ووقاحة تلميذه:

" .... بالرغم من كل هذه المساعي مِن جانب الأب وانفطار الأم ورغبتي بالتأكيد، فإنه طالما أن الله لم يقدِّر الأمر فمهما وضعنا القلم على لسانه وأكلناه الكتاب في فمه لا نرى أثر العلم في كيانه ولا حسن البصيرة في روحه وقلبه، فأفق تعليمه وتحصيله ضيق ولسان القدرة عنده ثقيل وقدم الاستطاعة عرجاء، والحمد لله أن حليلة الإمارة وزينتها هما الفراسة والعلم الذي هو رأس مال الأصل العريق، فلا تكن مضيعًا للجواهر ولو تحليت يومًا بالعلم فلن تكون أقل حظًا من الجاهل[١]".

وقد كتب لأحد الأصدقاء:

" ...إن مكسب كلا الاثنين في هذه الصفقة وجوهر المتعة والسعادة في هذا البحر، ابذر الحبة واحصد المحصول، ابذر حفنة واحصد بيدرًا، إن البخل هو أساس الخراب فلا تمشي في هذا الطريق ولا تلق بنفسك في ورطة كبيرة من أجل منفعة قليلة، إن الإنسان هو ربيب اللبن الصافي وهو في الأمور ينقاد لأهوائه الفاسدة، وأنت إذا لجأت إلى الظفر الصلب لحل هذه العقدة فسوف يتخذ القضاء والقدر هما أيضًا طريقًا آخر وسيضيع من جيب هذين الأخوين ستمائة تومان....[٢]

...كن راضيًا بما قسم الله لك، واحفظ سرك عن الغريب والقريب والطيب والشرير، وما تسمعه من هذا أو ذاك كأنك لم تسمعه، وعفف لسانك عن ذم العدو و الحبيب، وحاول دائمًا أن تصلح أقوالك، وأفعالك، واشكر ربك

---

(١) المصدر نفسه، ص ١١٢، الحاشية.

(٢) كليات ، ص١١٣.

واحمده على نعمته ورزقه، وبعد أن تكون عبدًا لله وتقبل أوامره اجعله فوق كل شيء، واحفظ لسانك في كل زمان ومكان، وإذا سمعت من أحد ذمًا فــلا تحزن، وفي أثناء الكلام اصمت قبل أن يُقال لك كفى، ولا تتكلم مع الصادقين إلا بالصدق، واسكت عن الكلام الفارغ، وجالس دائمًا من هم أفضل منــك، وتكلم مع الجميع من باب العلم والفراسة، ولا تنس الله عز وجــل فــي أي مسلك تسلكه، واسع بكل قوة وجهد في سبيل إرضائه لأن من يعزه الله ويحبه لا يذله الله أبدًا، أما من يذله الله فلن يستطيع أي مخلوق أن يعزه أبدًا، وســر هكذا دائمًا بشكل جميل[1]".

وفيما يلي قطعتان غزليتان من الشعر ليغما:

عابد الشمس

- انظر حتى لا تُسكب الخمر عنــــدما تعطني إياها

في يدي فداء عينك أيها الســــــاقي، انتبــه فأنا ثمل

- إنني سأعقد مصـــالحة كاملة مع أتقياء خمر الكوثر

بشرط ألا يأخـــذوا مــن يـــدي هـــــذه الكاس

- إنني لكي تظـــــل كأسي ســليمة دون أن تتكسر

نقضت التـــوبة ألف مرة بقصــــد الخير والتصدق

- وكما أســـــجد أمام جمــــالك بلا خجـــــل

انتقل إلى العالم المضئ الذي أكون فيه عابدًا للشــمس

---

(١) كليات، ص ١٣٠، الحاشية.

- إن أنشوطة خصلة إحدى الحسناوات قد قيدت عنقى

بشعرة وجذبتـــــــها بشــــــدة فحطمت مئات القيود

- لا الشيخ يمنحنى التوبة ولا الخـــمار يعطينى الخمر

من كثرة ما تبت ومـــن كثرة مـــــا نقضت التوبـــــة

- وفى النـــــهاية بسبب البكاء فى السعى خلف خصلته

جلســــــــت فى وســـــــط بحرين من الدماء الجارية

- وعنـــــــدما قســــــــــتُ يوم الــــقيامة بقــامتــه

جلــس وقال إن القيــــامة بقدر القــامة التى أنا عليها

- إن جنــــــة وجهـــــــك قد حُرمــت على "يغمــا"

عنـــــدما تعلق قلـــــبى بحبة خــــــالك الخادعة

شيخ المدينة

- إذا لم أصب الخمر فى الكأس وقت الربيع، فماذا كنت فاعلاً؟

إذا لم أرطـــــب رأسى بالكأس، فمـــــاذا كنت فـــــاعلاً؟

- الجو بديع والخمر فى الكأس وأنـــا مللت التفكير العـــقلانى

فإذا لم يكن عــندى عمـــــل آخر، فمـــــاذا كنت فاعلاً؟

- شاهدت المنظر ما عدا الخمر برغم أن رائحة السرور قد انبعثت منها

وإذا لم اقــــنع بهــــــذا الجــــو، فماذا كنت فاعلاً؟

- لماذا يقولون إنك حشرت نفسك فى الخرقة الصوفية الضيقة

إننى كنت أكتسى بالزهد، إذا لم أفعل هذا فماذا كنت فاعلاً؟

- يلومونني: لماذا ابتعدت عن أهدابه

إذا لم أفر من أمام جيش كامل فماذا كنت فاعلاً؟

- عندما أعطونى الخاتم السلطانى لمملكة الجنون

إذا لم أترك التاج وأرحل فماذا كنت فاعلاً؟

- إذا لم أعاقب الدنيا بالدموع فبم كنت سأعاقبها؟

إذا لم أحتال على النجم بالتنهيدة فماذا كنت فاعلاً؟

- نجوت من شيخ المدينة بحيلة الإسلام

فإذا لم أسالم هذا الكافر، فماذا كنت فاعلاً؟

- لقد فتح "يغما" من دير الراهب (المجوسى) ما كان يجب فتحه من الحرم

إن لم أكن أنظر إلى هذا الباب بعين الأمل، فماذا كنت فاعلاً؟

هزليات يغما:

وفى المثنوى الهزلى "صكوك الدليل" يقوم الشاعر بعد أن يحمد الله وينعت الرسول ويمدح حضرة الأمير ويعرب عن أمله فى الانضمام إلى خدام هؤلاء العظام فى ساحة النشور والوصول معهم إلى الفردوس الأعلى، يقوم فى البداية بوصف الجنة التى قد رسمها العوام فى أذهانهم بهذه العبارات:

- ما الجنة؟ ليست يا صاحب العمل الصالح هى تلك الجنة

التى تجـــــرى فيهـــــــا أنهار اللـــــــبن والعسل

- ونهـــــــر من المـــــــــاء الطـــــــــهور

ممتلئ من أولــــــه إلى آخره بالحــــــــور العين

- ومنـــــــافق شــــــــرير فى كل ركـــــــن

قد احتضن حســــــناء جميـــــلة القـــــــوام

- وغوغاء الصالحين الحمقى من كل جانب كتزاحم الذباب على العسل

- لقد طوى الفقراء سجاجيد الصلاة فاشرب من الخمور المتنوعة

- وهذه الحفنة من اللصوص فى كل محفل تمتلئ بطونهم بألوان نعم الفردوس

- واحد غارق حتى أذنيه فى العسل كحمار حمَّال غارق فى الوحل

- وواحد منشغل بالغناء وواحد بالسماع واحد يشرب وواحد يضاجع

- وواحد يرفع ثوبه مثل اللصـــــوص

ويبحث عن ثمار الفاكهة فوق أغصان الشجر

- وواحد يسقط ثملاً على حافة الكوثر فقد خارت قواه وفقد توازنه....

وبعد ذلك يصف الجنة التى يعرفها ويتمناها لنفسه على النحو التالى:

- إن تلك الجنة التى تخلو من هؤلاء القوم

ليـــس فيهـــا إلا نـــور طلعـــة الحبيب

- أرضها منزهة عن دنس الغريم وجوها معطر بخلق الحبيب

- لا يظهر فى محفلها إلا الشمع ولا يطرق أحد بابها إلا الحاجب

- لو تتبختر فيها طول العمر لا ترى فيها أثرًا للغريب

- أقل حاجب على بابها هو الأدب وأدنى خادم فى خيمتها هو العقل

- الكل مصطف ومنتبه إلى الخف لأن سلطان القلب قد استقر فى الصدارة

- الخمر الصافية تملأ الكأس من كأس التوحيد والسقاة دائمًا سكارى التوحيد

- الكل ثمل من خمر المحبوبة الياقوتية الكل فانٍ فى نفسه ومتحد مع الحبيب

- فارزقنى يا إلهى الثمر فى ذلك المحفل وامنحنى الطريق إلى خلوة الحبيب...

وهذه القطعة تعيد أيضًا إلى الأذهان بعض أشعار ايرج:

- رأيت فى المنام شهيد كربلاء والدموع تفيض من عينيه

- فقلت له: من شدة حزننا عليك يا من أنت إلى يوم الحشر

كل عين من شدة البكاء عليك تفجر عينًا من الماء

- فإننا نقطر عليك الكواكب فلماذا عينك أنت تزرف النجوم؟

- هل ابن زياد يقاتلك مرة ثانية؟ أم أن شمر الشرير يحاربك؟

فقال: لا ، أنا لا أشكو من الأعداء فقد قامت القيامة ضدى بسبب الأحباب

- خاصة الحُمير الذى فى التكايا فإنه يحدث جلبة وضوضاء فى كل صباح ومساء

- ويقفز من منبر إلى منبر بغرض فضح آل المصطفى

- إننى أبكى وأشكو من وراء آل البيت   كشخص يحاول الهرب من الغارة

- تارة فى الكوفة وتارة فى الشام   تارة بالمدينة وتارة بالحجاز

- حيناً يقول زين العابدين غلام   وحيناً يقول فاطمة جارية

- فى كراهيته لنا كأنك تظن   أنها معركة الروس والإنجليز

- صوته الجهورى من حنجرته الشؤم   حاد وقاطع كخنجر شمر....

- فقلتَ : أنا فداؤك، أى أحمق ارتكب فى حقك كل هذا الظلم؟

- وهذه البغي من أى ظهر؟   هذه المرأة المفتضحة من أى مخنث؟

- من أى وطن مولودها؟   ما هو شغلها وما هو اسمها؟

- فأخرج تنهيدة حزينة وقال   آه، هو الملا حسن الحمصانى

أبى احترق

- سمعت أن حريقًا هائلاً قد شب فى بيت لص

حتى أن قلبى احترق بنار الحسرة

- ذهبتُ لاستفسر منه عن الواقعة   فبكى بحرقة قائلاً لقد احترق بيتى من أوله إلى آخره

- وقال: آه لقد كان فيه السجاد والنحاس والأوانى والذهب والفضة

فاحترق مع كل متاعى الآخر من الغالى والرخيص

- وقد تطاير الشرر منه وانتقل الحريق إلى مهجعى

فاحترق منديلى وردائى وخرقتى ونطاق خصرى

- وهذا كله أمره هين لأنه من تلك الشعلة الطائشة

احترق فخذى وقدم زوجتى ويد ابنى

- ما عدا عينى ورأسى اللذين خرجا سالمين

وقد احترقت كل أنواع الأطعمة المخزونة من الجاف والطرى

- ثم انتقلت تلك الشعلة من المنزل إلى الطوالة

واحترق لجام وجوال وغطاء وسرج حمارى

- فقلت له: طالما أن الأمر كذلك، لا تشق على نفسك بالإسهاب

فك زر الياقة وقل احترق أبى!

....

- الحاج والسيد والأستاذ ثلاثة أصناف عجيبة

فقد كان كل صنف من هذه الأصناف الثلاثة يحدث ضجة فى كل مملكة

- حرس الله حدود سمنان ببركة أنك أنت السيد وأنت الحاج وأنت أيضًا الاستاذ

ومن مراثيه:

(١) يجف الساحل من نهر فرات ابنى أكبر

صغيرى أكبر

ازرف السيول يا منبع عينى المبللة

صغيرى أكبر

إن كسوة عمرك حتى هذه القبلة الفيروزية (السماء)

قد ازدادت احمرارًا من الدماء

إن الدنيا قد صنعت نقابي الأسود لتلقي العزاء

صغيري أكبر

لا يمكن نسيان حرقتي عليك إلى الأبد

أيها الابن شريف الأصل

يا ليت أمي لم تلدني من الأزل

صغيري أكبر

(٢) إذا لم أصرخ من الدنيا الظالمة فماذا أفعل

ماذا أفعل إذا لم أصرخ

إذا لم أشكُ من دوران الكواكب فماذا أفعل

ماذا أفعل إذا لم أشكُ

إذا لم أحمل همَّ عباس المبتلى فماذا أحمل

ماذا أفعل إذا لم أحمل همّه

إذا لم أبكِ على مصيبة أكبر فماذا أفعل

ماذا افعل إذا لم أبكِ

إذا لم أتحمل عذاب بؤس القاسم فماذا أتحمل

ماذا أتحمل إذا لم أتحمل هذا

إذا لم أتذكر حرمان أصغر فماذا أفعل

ماذا أفعل إذا لم أتذكر هذا

(٣) إن البشر لم يقيموا العزاء كما ينبغي لهذه المصيبة فمتى أصبح من الجائز لك أن تتقلب أيها الفلك

ليس الأركان الأربعة ولا الجهات الستة وإنما الفلك هو دار العزاء

فمتى أصبح من الجائز لك أن تتقلب أيها الفلك

إن صرخة الجن والملائكة فى مأتم فخر الأمم

منذ القدم إلى آخر ليل العدم

من الثرى إلى الثريا ومن الثريا إلى الثرى

فمتى أصبح من الجائز لك أن تتقلب أيها الفلك

(٤) إنه أسبوع العداوة وشهر الشر وسنة الفساد وقرن الاحتيال

فالدماء تستباح والأموال تهدر

إنه ليل الغم ونهار الظلم ومساء الألم وصباح المأتم

فالدماء تستباح والأموال تهدر

الفتنة يقظة والأمان نائم والخصم متأهب للعداوة

والغزاة متربصون

إن القانون بلا شرطى والمائدة منهوبة والحكم مسلوب

فالدماء تستباح والأموال تهدر

لو أن ابن الزهراء لا يوافق هوى ابن مروان

فانظر وتعجب، من دوران الزمان

انظر إلى هذا وذاك فهذا ذليل وذاك عزيز

فانظر وتعجب من دوران الزمان

عند آل مروان السيف في الكف وفى آل يس التضحية بالروح

وإذا أمعنت النظر فى هذا وذاك

ستجد إنكار الحق وإثبات الباطل فانظر إلى الكفر وانظر إلى الإيمان

فانظر وتعجب من دوران الزمان[1]

إن قلب زينب صار داميًا فى صدرها من شدة الخوف عليك

آه على قلب زينب

ماذا كسبت زينب سوى الدموع الحارقة

آه على قلب زينب

وقد نظم هذا النواح أيضًا بالعامية الدارجة الجميلة والمؤثرة جدًا:

- إن قلبى قد ملَّ الحياة بشدة ليتنى أموت بأسرع ما يمكن فقد تأخر الوقت
- فقلب المرأة بيت الألم والمأتم وجسد الرجل دليل على السيف والسهم

---

(١) كما سنرى فيما بعد فقد استخدم شعراء عصر الحكومة الدستورية شكل مراثى يغمـا كثيرًا لتوصيل أفكارهم، والقطعة الأخيرة بصفة خاصة تشبه كثيرًا أشـعار أشـرف مدير "نسيم شمال" والتى هى بهذا المطلع:

- انظر أيها الملك الشاب على الأسود المحاربين، تأمّل عالمًا آخر....

- الابن مخضب بالدماء والابنة فى مأتم   الأخ مقتول والأخت أسيرة

- فى سقف فم الأمهات قطعة من الكبد الدامى   وفى حلق الأطفال اللبن المخلوط بالدم

- الأسرى بدلاً من الدموع والصراخ الشرر فى عيونهم والنار فى قلوبهم

- وتدوى صرخة هؤلاء الذين جفت حلوقهم   من الأرض المظلمة إلى السماء العالية

- ....

- كيف أصبر وعندى هذا المأتم ؟!   كيف يداوى المرهم مثل هذا الجرح؟!

- هؤلاء الذين سفكوا دمك   يا رب لا ترفع من قدرهم!

....

- الدنيا عدو والأرض صلبة والسماء بعيدة   ليمت عدوك يا غريب كربلاء!

٦- محمود خان ملك الشعراء:

محمود خان ابن محمد حسين خان عندليب وحفيد فتحعلى خان ملك الشعراء صبا، أصله من كاشان ولكن انتقل أجداده فى عهد الزنديين من أذربايجان إلى العراق، وقد ولد محمود خان بطهران عام ١٢٢٨ هـ.ق ودرس علوم عصره عند عمه العالم محمد قاسم خان فروغ، وفى آخر سلطنة محمد شاه القاجارى نظم قصيدة فى مدح حاجى ميرزا آقاسى وعُرف عنده وعُين مساعدًا لوى اللهقلى خان الإيلخانى حاكم بروجرد ولرستان والذى كان ابن بنت فتحعلى شاه وابن زوجة حاجى ميرزا آقاسى. وكان اللهقلى خان رجلاً مغرورًا وفاسقًا وحاد الطبع لكن كانت له يد

معطاءة، وكان يشترى الخيل والأسلحة فى بروجرد ويجمع حوله رؤساء اللوار، ولم يكن يهتم كثيرًا بقرارات الحكومة المركزية.

فلم يتفق معه محمود خان فى هذه المهمة ومنع الناس من دفع الضرائب وقدَّم للوزير تقارير غير معلوم إن كانت صحيحة أم كاذبة عن طريق ميرزا محمد تقى سپهر الذى ارتبط معه بصلة القرابة وادّعى أنه يفكر فى المطالبة بالمُلك، فكتبت الأميرة عزت نسا خانم أم الإيلخانى لابنها أن يتوخى الحذر فى عمله، فقرر الإيلخانى إيذاء محمود خان، فهرب محمود من بروجرد فى منتصف الليل ووصل إلى طهران بعد فترة من التحصن فى قم(١).

وما لبث أن توفى محمد شاه وهبَّت جماعة للاعتراض على حاجى ميرزا آقاسى وظل محمود خان لفترة بعيدًا عن العمل، وفى عهد ناصر الدين شاه وجد محمود خان طريقه مرة ثانية إلى البلاط وحصل على لقب ملك الشعراء والذى حصل عليه أيضًا أبوه وجده، ولقى اهتمام واحترام ملك إيران

---

(١) حضر الإيلخانى إلى طهران أيضًا، لكن أمر الملك بمنعه من دخول العاصمة فتحرك أحد خدّام الخلوة من طهران فى السادس والعشرين من ربيع الأول سنة ١٢٦٢ هـ.ق وأعاده إلى قم عندما كان قد وصل إلى حوض السلطان وبعد عدة أيام نفى من هناك إلى أرض العراق، وظل الإيلخانى يعيش فى العتبات سبعة وعشرين عامًا حتى عاد إلى إيران بفضل وساطة حاجى ميرزا حسين خان مشير الدولة سنة ١٢٨٨ هـ.ق حيث كانت السلطة فى إيران فى يد ناصر الدين شاه، وظل حتى عام ١٢٩٨ هـ.ق يحكم قزوين وهمدان والولايات الخمسة وفى عام ١٢٩٥ هـ.ق وعندما كان ناصر الدين شاه مسافرًا إلى أوروبا لأول مرة لازم ركابه حتى توفى فى السادس والعشرين من شعبان سنة ١٣٠٩ هـ.ق.

الشاب وميرزا آقا خان نورى رئيس الوزراء والوزراء والأمراء، وقد وجد فراغًا فى هذه المرحلة من العمر فانشغل بالقراءة والتدريب على الرسم والنحت والحفر على الخشب وكتابة أنواع الخطوط، وقد برع فى كل هذه الفنون، وتوجد لوحاته الآن بمتحف قصر جلستان الملكى بتوقيع "حارس العتبة محمود".

وقد توفي محمود خان بطهران سنة ١٣١١ هـ.ق (قبل مقتل ناصر الدين شاه بعامين).

وديوانه الذى طبع بطهران سنة ١٣٣٩ ش (١٩٦٠- ١٩٦١م) ونُشر كملحق بمجلة أرمغان فى سنتها الثالثة والعشرين، ويرى الناشر أنه "الديوان الكامل والجامع" للشاعر، ويضم ٥٨ قصيدة وعدة أشعار متفرقة غير مكتملة، و ١٤ مرثية تحاكى مراثى محتشم الكاشانى الاثنى عشر، وتبلغ جميعها ٢٦٠٠ بيت والتى ربما قد انتقاها الشاعر نفسه فى آخر عمره وهذا الكم القليل من الشعر الذى قد بقى عنه سلس ومقبول.

ويعد محمود خان شاعر قصيدة، ومعظم قصائده فى مدح ناصر الدين شاه وأعيان بلاطه، وهو يقلد أساتذة الشعر الفارسى كالعنصرى والفرخى ومنوتشهرى ومع ذلك فإن له أسلوبًا خاصًا يميزه عن كثير من شعراء العصر القاجارى.

يقول فى وصف الطبيعة فى شهر أرديبهشت [إبريل ومايو]:

- حين يغرد القمرى وقت السحر

تعالى معى لحظة إلى الحديقة أيتها الحبيبة

- فإننى سأذهب فجر الغد صوب الحديقة حيث سيفتح الورد الأحمر فمه ضاحكًا

- ويتلون أحد جوانب المرج باللون الأزرق من البنفسج حديث الظهور والجانب الآخر باللون الأبيض من الياسمين المتفتح

- ويئن الرعد ومن ذلك الأنين تنمو النباتات ويبكى السحاب ومن ذلك البكاء تضحك الروضة

- ولو أنكِ مررتى فى أثناء الطريق على الشقائق البرية سترين شمعًا مضيئًا فوق الشمعدان الأخضر

- وحافة كل نهر قد امتلأت بالشقائق والبردقوش فهيا أيتها المحبوبة انصبى الخيمة على حافة النهر

- وتشبثى بتلابيب السعادة، وفى أوان الورد شدى ثوبك من يد هموم الدنيا وأحزانها

- صبى الخمر فى الكأس إن لم يكن لك شغل آخر وإن كان لك شغل آخر فدعيه أيضًا جانبًا

- إن الغم هو ثمرة فاكهة مُرَّة فلا تأكلينها أبدًا واقتلعى تلك الشجرة التى تجلب الغم من جذورها

- واحذرى من الليل الحامل لأنه لا أحد يعلم ماذا سيولد من هذا الحمل...

- أقبل الربيع الجديد بالبهجة والجمال ووجه مشرق من شدة النضارة والشباب

-وفوق رأسه مظلة ملونة بألوان قوس قزح وتحت قدمه سجادة من المروج الخضراء

- والحسان كلهن قد ربطن الأحزمة فى خدمته والمكان كله من أوله إلى آخره جميل وطيب الرائحة

- إن ثوب الوادى هو الآن الحرير الشوشترى وحلة الجبل هى الآن النسيج الصنعائى

- مثل أمراء الجيش قارعى الطبول من فوق قمة الجبل تقوم السحب بإعداد وتنظيم الجيش كل يوم

- والطيور تنتقل فى كل لحظة من حديقة إلى أخرى ربما هم مطربون فى كل مكان وزمان

....

- إن أشجار الصفصاف ترقص وطيور الفاختة تغنى

- وأشجار التوت فى وقت نسيم السحر تنثر الثمار على رؤوسنا

- وبنفس طريقة رياح الشمال تجرى السحب فى كل ناحية كالفيل الهائج

- وأشجار السرو سعيدة ومسرورة تستعيد شبابها من بعد السبعين

- وقيل إن رؤوس شجرة القرع فى الحديقة تثقل على جسدها وكاهلها

- وزهور النرجس تغمز بعينها فى العلن وزهور السنبل تتمايل إغراء فى السر

- عسى أن تستمتع بالورد البلابل حلوة اللسان

- ونقوش ورسومات البستان تجعل الحديقة أجمل من رسومات مانى

- فإنها بلؤلؤها وفيروزها وياقوتها وجواهرها تثير غيرة العرش الملكى

....

- ظهرت السحب فوق الجبل وهى تصرخ فتدحرجت المياه كاللؤلؤ من فوق البرز

- وأقبل نسيم الصبا ومر فى البستان فاستمدت خصلة السنبل الثنيات من ذلك النسيم

- والسحب الندية فوق البستان فى الليلة الماضية رشت ماء الورد فوق الزهور فى وقت السحر..

- والفقاقيع فوق الغدير من سقوط المطر كالآف الكؤوس البللورية المقلوبة

- وحسان الفجر ذهبن صوب البستان مسرعات من أجل رؤية وجه الورد

- إنه لوقت ممتع فلا يمكن للعاشق الهائم أن يُقيد الآن فى المنزل بالأحبال

- من هذه الفصول والأبواب التى يتضمنها كتاب الزمان اختر فصل الطرب من الأبواب

- من أيام العمر لا يحتسب إلا يوم البهجة وقد أخذنا الحساب من الدنيا

- لا تغتم لهذه الثورات التى تحدث فى العالم فإن المملكة فى أمان من هذه الثورات...

....

- إن البساتين قد امتلأت كلها بالورد والسنبل فتعالى أيتها الحسناء إلى الحديقة ودعى كل شئونك

- فقد أقبلت قافلة الروم والصين على باب المدينة وألقت الأحمال على الجبل والوادى من كافة الجوانب

- وهبت الرياح من مدينة التتار ففكت الأحزمة وفى داخل الأحمال أطنان من المسك

- وظهر من حدود الصين إلى الروم قوس أزرق وأحمر وبنفسجى فوق المناطق الجبلية

- ورفع السحاب السيف وهجمت الرياح وجعلوا قمة البرز ساحة نزال

- وألقت رياح الصبا حجابًا على رأس كل تل

وجهه من الزبرجد وظهره من الزمرد

- وأحد جوانب الحديقة أصفر من زهرة الخيرى والحلبة

والجانب الآخر أحمر اللون من وجه زهرة الرمان

- لم يمر عليَّ ربيع قط بهذا الشكل الجديد فقد رأيت الربيع مرارًا طيلة عمرى

- فقد قصَّت رياح الصبا على قوام الوردة مقطعًا من الحرير ليس له مثيل فى كل الأسواق

- وهبَّ نسيم فروردين العليل وقت السحر وملأ المزامير فى حلق الطيور

- وطائر الفاختة يتعلم القافية من الأستاذ وفى الصباح يقوم باستذكار الدرس

- والورد الأحمر يشعرك بأن حسان فرخار(•) فى كل مكان فى الحديقة

أما رائحة السنبل فكأن جميلات التتار فى كل جانب من الروضة

- والسحاب يلقى على البساتين سجادة من الإستبرق

فيا ليـــت ملك المـــــلوك يتوجه إلى البســاتين

٧- قرة العين:

ولدت زرين تاج "ذات التاج الذهبى" أو فاطمة المكنية بأم سلمة والملقبة بالزكية والطاهرة وقرة العين ابنة الحاج المــلا محمـــد صـــالح البرغــانى القزوينى أحد علماء الحديث المعروفين بقزوين عام ١٢٣٣ هــ.ق، ودرست مقدمات العلوم مع أختها مرضية على يد أبيها ثم قامت بعد ذلك بدراسة الفقه والأصول والكلام والأدب العربى، وقد قــرأت الطــاهرة مؤلفــات الــشيخ الإحسائى وسيد الرشتى، واعتنقت العقيدة الشيخية وقد اتصلت بسيد الرشتى وراسلته وكان سيد يسميها فى رسائله قرة العين.

أما قراءة الطاهرة فى الآثار والمعتقدات الشيخية، فقد غيَّرت مجــرى حياتها تمامًا لدرجة أنها سلَّمت ابنيها وابنتها الذين أنجبتهم من ابــن عمهــا، سلمتهم لزوجها وذهبت إلى كربلاء بقصد رؤية سيد الرشتى، لكــن عنــدما وصلت إلى هناك كان سيد الرشتى قد توفى، وأقامت قرة العين التــى كــان عمرها آنذاك تسعة وعشرين عامًا فى منزله وقامت بتعليم وإفادة الطلاب من وراء الحجاب، وبعد أن ظهر الباب فى شــيراز راسلته قــرة العــين عــن

(•) فرخار: اسم مدينة مشهورة بحسن نسائها (المترجم).

طريق الملا حسين بشرويه (باب الباب) ودخلت في عداد الأصحاب الأوائل للباب ونالت منه لقب الطاهرة وجهرت بالدعوة.

وبعد عودة أصحاب الباب إلى كربلاء ظلت قرة العين مشغولة هكذا في مساعدتهم وفي البحث والاستدلال والتدريس حتى هجمت جماعة على منزل سيد الرشتي الذي كانت تقيم فيه فاضطرت للسفر إلى بغداد، وعندما قامت بالدعوة والتبليغ هناك أيضًا تم احتجازها في أول الأمر في منزل الشيخ محمود الآلوسي مفتي بغداد بناءً على أوامر والي بغداد، وأرسلت إلى إيران بعد ذلك مع الرفاق في مطلع عام ١٢٦٣ هـ.ق بأمر السلطان العثماني، وقد قامت بالدعوة في كل أرجاء قزوين وظلت لفترة هناك حتى جاءت إلى طهران بعد مقتل عمها ووالد زوجها الحاج الملا محمد تقي على يد أتباع الباب (١٢٦٤ هـ.ق)، ورحلت مع الأصحاب الآخرين إلى صحراء "بدشت" على بعد سبعة كيلو مترات من "شاهرود" وظهرت في الاجتماع الذي كان قد أُقيم هناك أمام الحاضرين بدون حجاب وتحدثت لأتباع الباب وأحدثت ضجة وذهبت من هناك إلى طهران، وعادت فيما يبدو إلى قزوين حتى أُحضرت من قزوين إلى طهران عقب مقتل الباب وحبست في حديقة محمود خان رئيس مدينة طهران في طابق علوي ليس له سلالم، وظلت هناك حتى قُتلت في الحديقة الملكية (المقر الحالي للبنك الوطني) بأمر الملك ووزيره ميرزا آقا خان نوري بعد فترة قصيرة من حادثة إطلاق النار على ناصر الدين شاه[١]، أي في أول أيام ذي القعدة سنة ١٢٦٨ هـ.ق حيث لم تكن قد تجاوزت السادسة والثلاثين من عمرها.

---

(١) يوم الأحد ٢٨ شوال سنة ١٢٦٨ هـ.ق.

وكانت قرة العين امرأة صاحبة قلم وشاعرة وخطيبة وكانت ملمة بالأدب والفقه وأصول الكلام والتفسير.

يقول الآلوسي مفتي بغداد الذي مر ذكره في ترجمة أحوالها: "لقد رأيت في هذه المرأة فضلاً وكمالاً لم أره في كثير من الرجال فقد كانت صاحبة عقل ورزانة وعفة وحياء شديد".

ويمدحها كذلك ميرزا مهد يخان زعيم الدولة في كتاب "مفتاح الأبواب" عندما يصل إلى اسم قرة العين.

ولقد كانت قرة العين أول امرأة في إيران تظهر أمام الرجال بلا حجاب وتقوم بالبحث والمجادلة مع العلماء والرجال خلافًا لتقاليد وأعراف العصر.

وقد فُقدت فيما يبدو أعمال قرة العين الشعرية والنثرية، وما بقي من كتاباتها متفرقات مثل المناجاة والرسائل، وهي إما بخطها أو بنسخ الآخرين، وطُبع بعضه في كتاب "ظهور الحق" و كتب في الغالب بالعربية وكتب جزء منه بالعبارات الرمزية والمصطلحات الخاصة، وهناك أيضًا أشعار تنسب لها وأسلوبها شبيه بأسلوب الباب، وهذه الأشعار تمتلئ بالعبارات والمصطلحات الدينية والمتأثرة بشدة بأعمال المتقدمين مثل مولانا جلال الدين والجامي.

وهذه الغزليات قد بقيت عنها:

– جذبات شوقك أجمت بسلاسل الغم والبلاء

كل العشاق مكسوري القلب الذين يقدمون الروح في سبيل كلمة نعم

– لو أن ذلك المحبوب يحاول قتلي ظلمًا

لقد استقام بسيفه ولقد رضيت بما رضي

– ليس فى كل الختن نافجة فى رائحة خصلته المعطرة بالطيب

ليس فى كل الختا كافر مثل عينه الفاتنة

– يا من أنت غافل عن الخمر والحسناء وتحاول قتل العابد والزاهد

ماذا أفعل أنا وهناك كافر وجاحد فى صفاء قلوب الأصفياء

– أنت والمُلك والجاه السكندرى، أنا والمذهب والمسلك الصوفى

إن كان ذلك طيبًا فأنت تستحق وإن كان هذا سيئًا فأنا أستحق(١)

....

– إننى مولع بالبلاء فى عشقك أيتها الحسناء كيف تتغيرين وأنا معتاد على الغم فى عشقك

– وضعتى الحجاب على الوجه وثنيتى الخصلة وتحررتى من كل الخلق وأنا معزول عن الجميع

– أنت اللبن، أنت السكر، أنت الفرع، أنت الثمر أنت الشمس، أنت القمر، وأنا الذرَّة، أنا الهباء

– أنت النخل، أنت الرطُب، أنت المحبوبة حلوة الشفاه

(١) الغزل الآخر المنسوب للطاهرة بهذا المطلع:

– لمعات وجهك أشرقت بشعاع طلعتك اعتلا لماذا لا تسأل ألست بربكم؟.اسأل لنقول بلى بلى بالتأكيد ليس لها وإنما للملا محمد باقر صحبت لارى المتوفى سنة ١٢٥١ هـ.ق شاعر هذا القرن صاحب الموهبة العالية الذى طبع ديوانه بعنوان "تاج الدواوين" فى بمباى سنة ١٣١٢ هـ.ق أول الأمر ثم مرتين بعد ذلك فى شيراز وطهران.

أنت السيد المؤدب، وأنا العبد عديم الحياء

- أنت الكعبة، أنت الصنم أنت الدير، أنت الحرم أنت المعشوق المبجل وأنا العاشق المسكين

- إن الحسناء الجريئة الفاتنة قالت لى تعال نحوى وتحرر من الكبر ومن الرياء فأنا رمز الكبرياء

- أنا أيتها الطاهرة تراب قدمك، أنا ثمل خمر لقاءك منتظر عطاءك، ومعترف بخطئى

....

- لو يقع نظرى عليك ويكون الوجه فى الوجه سأشرح همى بسببك نقطة نقطة وشعرة شعرة

- إننى من أجل رؤية وجهك طرت كنسيم الصبا من زقاق إلى زقاق ومن باب إلى باب ومن بيت إلى بيت ومن حى إلى حى

- على جانبى فمك الصغير وجنتاك العنبريتان برعم على برعم ووردة على وردة وزنبقة على زنبقة ورائحة على رائحة

- إن دم قلبى بسبب فراقك يجرى من عيناى دجلة بدجلة ويم بيم وعين بعين ونهر بنهر

- إن القلب الحزين قد نسج حبك على قماش الروح فتلة فتلة وخيطاً خيطاً وسدى سدى ولحمة لحمة

- إن "الطاهرة" قد تجولت فى قلبها ولم تبحث إلا عنك

صفحة صفحة، وطية طية، وغلاف غلاف، وطبقة طبقة

٨- الشيباني:

"يعد أبو نصر فتح الله خان الشيباني من العقلاء الـواقعيين، ويمكـن القول بأنه يمثل مذهب التشاؤم، وتنتج حالته النفسية هذه من جو التشاؤم الذى يسود البيئة الأوروبية، ففى أشعاره نلاحظ لهجة الاحتجاج والاعتزال نوعًـا ما والتى تنفذ إلى القلب، وسبب هذه اللهجة هو الحظ العاثر والحياة التعيسة للشاعر نفسه"(١).

وقد ولد الشيباني لأسرة كاشانية، معروفة عام ١٢٤١ هـ.ق وكان جده الأمير محمد حسين خان حاكم نظنز وكاشان وجوشقان وقم فى عهد سلطنة آغا محمد خان، وقد حارب التركمان أكثر من مرة وانتصر عليهم وظل يعيش فى الحكومة القاجارية معززًا مكرمًا، وقد انضمت أيضًا إلى منطقة نفوذه حكومة أصفهان بعد أن قبض على محمد حسين خان كبير عرب العامرية والذى كان قد تمرد على الحكومة، فى صحراء شهراب ونواحى جندق وأحضره عند الملك.

وكان أبناء محمد حسين خان هم أيضًا من ذوى المكانة والشأن الرفيع، وقد وصلوا إلى أعلى المناصب الحكومية فى عهد فتحعلى شاه.

---

(١) هرمان اته، تاريخ أدبيات فارسي، ترجمة: دكتور رضا زاده شفق، طهران، ١٣٣٧ ش [١٩٥٩م].

وكان محمد كاظم خان أبو فتح الله خان وزيرًا للمالية فى سلطنة محمد شاه، وفى حكومة شعاع السلطنة عين نائبًا له فى كاشان وهمدان.

كما التحق فتح الله خان نفسه فى فترة شبابه بخدمة محمد شـاه ومنادمـة ناصر الدين ميرزا ولى العهد، وقد مدح فى قـصائده الأب والابـن والأمـراء الآخرين، فمثلاً قال فى قصيدة كان قد نظمها فى مدح ولى العهد فى ذلك الوقت:

- إن الربيع والعيد قد ظهر وتفتحا كلاهما معًا أحـدهما زاحـف بـالجيش والآخر رافع العلم

إلى أن قال:

- أيها السيد إننى سأتحدث بعد الآن بوضوح ماذا يجب القول، كلامًا كثيـرًا كله غامض وغير مفهوم؟

- إنك ستصبح فى الدنيا ملكًا عظيمًا وسيصير الملوك والعظمـاء خـدمًا وعبيدًا لك

- إن الملك الذى سيفوق جميع الملوك قدرًا سيكون هو أنت من بين البشر

وعندما جلس ناصر الدين شاه على عـرش المملكـة الإيرانيـة قـام الحاقدون والحاسدون بإخراج الشيبانى من حضرة السلطنة وفى السنة الثالثة من عهد ناصر الدين شاه (١٢٦٧ هـ.ق) حيث كان الشيبانى فى همدان أراد أن يعرض حاله ويقص حكايته عسى أن تشفع له سوابق خدمته، فنظم قصيدة جميلة بالوزن نفسه وقال فيها:

- إن ذقنك قد رسمت على الياسمين بالمسك فظهر وجهك واسوَّد نهـارى فى وقت واحد

– وبسبب هذا السواد الذى ظهر من وجنتك قسى علينا الزمان وظلمنا أنا وأنت

– فسبب لك الخجل وسط حسان المدينة وأصابنى بالحزن والندم وسط عشاق الزمان

إلى أن قال:

– إننى أمدحك أيها السيد، والعقل يغنى فى أذنى بصوت الناى

– قائلاً: كرر الآن ما قلته قبل ثلاث سنوات من باب الفأل الحسن فى مدح ملك العجم

– ألا تعلم ماذا قلت؟ عندما أنشدت قائلاً "إن الربيع والعيد قد ظهرا وتفتحا كلاهما معًا"

– وقلت: "سأتحدث بعد الآن بوضوح ماذا يجب القول كلامًا كثيرًا كله غامض وغير مفهوم؟

– إنك ستصبح فى الدنيا ملكًا عظيمًا وسيصير الملوك والعظماء خدمًا وعبيدًا لك"

– انظر الآن فإن كل توقعات عبدك شاء الله أن تُقضى وتتحقق

– فإنه سيجلسك فى المكان الذى كان قد توقعه عبدك

ثم يجلسك فى مكان أعلى أيضًا أيها الملك

– فإن الأمر الذى يتوقعه عبدك أيها السيد يتحقق سريعًا لدرجة أنه يتحقق منذ الوهلة الأولى

– ولكنه لم يتوقع لنفسه أى مكروه فلماذا تقذفه الدنيا فـــى دوامـــة الحـــزن والحسرة؟

ولكنهم لم يسمحوا فيما يبدو بوصول أشعاره هذه وشكاويه الأخرى إلى مسامع الملك، فاضطر الشيبانى لتحمل مشقة وعناء السفر، فأخذ يعـــدو فـــى مرتفعات ومنخفضات العالم، وواجه الصعوبات والويلات، وتعرض للعنـــف والقسوة والكلام البذىء، وزار البقاع المقدسة بقدم العجـــز، ونـــال الفـــيض والبركة من شرف صحبة كبار الشيوخ والزهاد والأولياء حتى وصـــل فـــى آخر الأمر إلى خراسان.

وقد شرح الشاعر هذه الأسفار والتنقلات فى القصيدة التى قـــام عقـــب عودته من بلخ بتقديمها لناصر الدين شاه عن طريق الأمير حسام الـــسلطنة على النحو التالى:

– عندما تخلى عنى الحظ وابتعدت عن عرش السلطان

طفت لفترة أسعى إلى كل بلد وأنا حائر

– توقفت عامًا أو اثنين فى همدان ثم ذهبت ناحية نهر دجلة، ومـــن عـــين روديار

– قضيت فى النجف ثمانية أربعينات للحسين وأضاف إليها الزمـــان ســـبعة بدموع العين ونار القلب

– ومن هناك قذف بى القضاء والقدر إلى كرمان وأراد

أن يجعلنى كالدودة ويغزل نفسه حولى

- وظل بى المقام فى حضرة ماهان(*) لمدة شهر حتى تعرضتُ لضغوط كثيرة من عالم الطريقة

- فانتقلت من هناك إلى هيرمند ومنها أيضًا قادتنى الدنيا إلى ناحية أصفهان

- ومن أصفهان إلى كاشان وفى بيوتها الصغيرة كان الورد أمام العين والشوك الجارح فى القلب

- حتى ساقت الدنيا فرسى مرة ثانية إلى فارس القلب مطحون من الحزن وروحى عليلة وقلبى جريح

- ثم نقلتنى من فارس إلى خراسان وصبت فى صحتى كأسًا مملوءة بالخمر الأحمر الزنبقى(١)....

وفى عام ١٢٧٢ هـ.ق حيث كان الأمير سلطان مراد ميرزا حسام السلطنة عم ناصر الدين شاه قد زحف بالجيش للاستيلاء على هراة، كان الشيبانى فى معسكر "تربت جام" عند پاشا خان مظفر الدولة بالخرقة

(*) ماهان: اسم قصبة فى مدينة كرمان (المترجم).

(١) بقية قصيدة الشيبانى كالتالى:

فحضر حسام السلطنة من الرى إلى طوس   بالجيش صوب هراة مثلما ذهب إلى طوس
وزحف فرآنى أنا العبد بثياب رثة فى "جام"   فى التربة المباركة الخاصة بالشيخ الجليل
فاستقبلنى من باب كرمه وعظمته وأنا   أزداد عجزًا وفقرًا فى كل ساعة
ففتح غوريان وكتبت أنا رسائل الفتح   وكانت كلها كالدر النفيس
وحاصر هراة من بعد ذلك   وأظهرت أنا الولاء الشديد فى أثناء تلك الحصار
فذلك وقت استمالة قلوب الرجال لخدمته   وذاك وقت حث القادة على القتال
فذاك وقت اقتحام هراة   والعودة إلى حضرته فى فرح وسرور
حتى انتزعن الزمان بقسوة من هناك   وكذلك بى إلى بلخ ويا لهما من قسوة

والكشكول، وقد كتب رسائل الفتح بعد محاصرة غوريان والاستيلاء عليها (رجب ١٢٧٢ هـ.ق) وعندما رأى حسام السلطنة كفاءته فى العمل وأعجب بكتاباته جعله كاتب رسائله السرية، وقد أرسله أيضًا عدة مرات إلى مدينة هراة عند عيسى خان فأجرى الشيبانى مع عيسى خان المحادثات والمفاوضات، وأعطاه الآمال حتى رقق قلبه وشجعه على الحضور عند حسام السلطنة، واستطاع أيضًا بمخالطته لأهالى هراة الناطقين بالفارسية ومراودته لهم أن يشجعهم على الخدمة والطاعة حتى فتحت مدينة هراة خلال شهرى صفر وربيع الأول سنة ١٢٧٣ هـ.ق، وفى أثناء إقامة المعسكر الإيرانى فى هراة تحرك سلطان أحمد خان بن محمد أعظم خان وابن شقيق الأمير دوستمحمد خان والى أفغانستان كلها، من كابل وحضر عند حسام السلطنة، ووجد عن طريق ابنه شاهنواز خان الأنس والألفة عند أبى نصر الشيبانى، وقد أحسن الشيبانى إلى الأب والابن وبشرهما من باب الفراسة بحكومة هراة، فتحرك سلطان أحمد خان مع ابنه من هراة وقدم إلى طهران مستصوبًا رأى أبى نصر فلقى عطف وعناية ملك إيران، وبينما كان معسكر حسام السلطنة مازال فى هراة عاد هو إلى هراة ومعه منشور الولاية وبعد استقراره سافر الشيبانى إلى ناحية بلخ وطخارستان بقصد زيارة المزار الشريف لحضرة شاهمردان(*)(سيدنا علىّ) ومشاهدة الولايات الشرقية، لكن بعد عودته وجه له هذا الأب وابنه الإهانات بعكس ما تقتضيه المروءة والشهامة ودون مراعاة الصداقة القديمة وذلك بتحريض من رئيس الوزراء الإيرانى ميرزا آقا خان نورى، وبعثوا بعض الرسائل المزورة إلى مسئولى الحكومة الإيرانية وألصقوا به التهم الزور ومنها أنهم أرسلوا الشعر الذى كان قد نظمه الشيبانى

(*) شاهمردان (ملك الرجال): لقب أطلقه الشيعة الناطقون بالفارسية على سيدنا علىّ (المترجم).

تعبيرًا عن ضيقه فى أثناء توقفه فى بلخ باميان إلى طهـران عنـد رئـيس الوزراء وبه بعض التحريف من باب الوشاية وإفساد العلاقة .

وكان هذا الشعر كالتالى:

- اعزف على الناس أيها المطرب حتى نشرب الخمر على أنين الناى

ونثـــمل، ثم نكتشـــــف كلا العـــــالمين

- لو أغلق علينا سادة الرى طريق الرى سنفتح طريـق تنهيـدة القلـب ونضرم النار فى الرى

- متى كان لنا هوى فى عرش الرى؟ فإننا فى هذا الزمان نشرب الخمر فى بلخ بامى[1] فى ذكرى الملك

- إن ملك الرى يحمل لنا فى قلبه كل الحب والوفاء ورئيس وزراء الـرى يحمل لنا العداء، وسوف نشعل فيه النار

- سنشعل النار فى الرى وفى رئيس وزرائها ولكن لا ينبغى إخبار أحد متى سنفعل ذلك!

- سنشعل النار فى ذلك البيدر إن شاء الله ويعلم الله أيضًا أننا سنشعلها فـى مرداد(*) أو فى دى[2](*)

---

(١) المقصود بلخ باميان.

(*) مرداد: يوليو وأغسطس (المترجم).

(٢) صح هذا التوقع وقصر الملك يد ميرزا آقا خان نورى عن العمل، وظل يعيش فتـرة فى قم وكاشان ويزد وأصفهان ولم يأخذ من كل هذا الذهب والمال إلا الوزر والوبال، وقد قال الشيبانى فى هذا الأمر:

وعلى كل حال فقد اتهموه بصداقته للإنجليز فى أثناء سفره إلى هراة، مع أن الإنجليز كانوا يعتبرون وجوده منذ بداية دخوله أرض أفغانستان فى خدمة حسام السلطنة، سببًا فى تقدم العمل وفتوحات الجيوش الإيرانية بل وظنوا أنه جاسوس الحكومة الإيرانية، بعد أن ذهب إلى بلخ، ففهم الشيبانى نفسه أن هذا "كان بسبب تآمر رئيس الوزراء الإيرانى وفساد رأيه حيث إنه وشى بأبى نصر وألصق به التهم الزور بالرغم من صداقته القديمة لأجداد أبى نصر وأسلافه، وكذلك بسبب خلافه مع فرخ خان الغفارى أمين الدولة – الذى سافر إلى أوربا ليعمل سفيرًا، وقد نجح هناك مخيبًا ظنه، وأدى أعمالاً عظيمة فى بلاط ملوك أوروبا، وكانت هذه الكفاءة والخدمات ترفع من قدره عند الشاهنشاه الإيرانى وتزيد من حقد رئيس الوزراء– بسبب هذا الخلاف أخذ يبحث كيفية إلصاق أية تهمة به، وبما أنه كان يعد أبا نصر قريبه المقرب ووجد أن أبا نصر قد حقق فى مهمة أفغانستان تلك المهمة الخطيرة والحساسة، شهرة عظيمة وتقدمًا كبيرًا، فقد أراد رئيس الوزراء أن يقنع الشاهنشاه بأن أبا نصر يعيش فى تلك الممالك بناءً على رغبته وبإرشاد أمين

– أتذكر متى عزفنا هذا اللحن الحزين فى بلخ بامى؟ عندما شربنا الخمر الكأس تلو الآخر فى ذكرى الملك

– إذا كان طريق الرى قد أُغلق أمامنا فإننا بحمد الله فتحنا طريق تنهيدة القلب وأضرمنا النار فى الرى

– كنت قد قلت إن ملك الرى يحمل لنا كل الحب والوفاء ورئيس وزراء الرى يحمل لنا العداء، فأشعلنا فيه النار

– ولقد وعدنا بتنفيذ ذلك فى مرداد أو فى دى وإذا أمعنت النظر تجد أن الوعد المردادى قد تحقق وأننا أشعلنا النار فى شهر دى...

(•) دى: ديسمبر ويناير (المترجم).

الدولة وأنه يتذرع بهذا السفر والتجوال لكـــى يـــراود مـــسئولى الحكومـــة الإنجليزية ويراسلهم، فأصدر فرمانًا وأرسله إلى مشهد:

نظرًا لأن فتح الله خان قد ربط نفسه بالحكومة الإنجليزية فاقبضوا عليه وأرسلوه إلى طهران، فقال الإنجليز الذين سمعوا بذلك: لو أن لديكم مـــشكلة معه بحجة تبعيته وصداقته لنا، فمن نواقض المعاهـــدة أن تقومـــوا بإيذائـــه وإهانته، وبما أنه قد تبين للجميع بعد فترة أنه لم تكن لنا علاقة به ولم تكن له أية مراسلة معنا، وأنه من رعاياكم أنتم، فاتهموه بأية تهمة أخرى وافعلوا ما تريدون..." (١)

وعلى كل حال بعد أن أخلى المعسكر الإيرانى هراة وتحـــرك حـــسام السلطنة قائد قوات الجيش نحو خراسان تحرك الشيبانى الـــذى امـــتلأ قلبـــه بالمرارة من سلوك وحركات ومراسلات رئيس الوزراء الإيرانى، ولم يكـــن يستطيع أن يخطو خطوة واحدة نحو إيران، تحرك، كما قلنا، نحو بلخ، ويقول الشاعر فى هذا الشأن:

- لقد أرسل لى صديقى ليلة أمس فى وقت السحر قائلاً إن موكب أمير العجم قد استعد للسفر

- فهل ستذهب مع الجيش عند الملك أم ستبقى هنا مـــع جميلتـــك قمريـــة الوجه؟

- فأجبته إننى لن أبقى هنا وسأذهب ولكن ليس خلف الأمير ولا فـــى إثـــر الجيش

---

(١) درج درر ، طهران، ١٣٠٠ ص ٧٠.

- فإن جيش الملك سيتجه إلى طوس أو العراق وأنا أنوى أن أتجه إلى المملكة الأخرى

- لماذا يجب الذهاب إلى المكان الذى يتساوى فيه الطائر الملكى والبوم ، ومن ثم الشعور بالحزن واللوعة دائمًا؟!

ويتضح من أشعار الشيبانى هذه ومن مذكراته الأخرى أنه لم يكن يفكر إطلاقًا فى العودة إلى إيران، فيكتب هو نفسه: "بسبب عداوة مسئولى الحكومة وخصومتهم لى وضيقى وشكوتى من زملائى وأصحابى الذين كانوا فى حضرة السلطنة والذين لم يذكرونى أبدًا بعد طردى وإخراجى، ولم يراعوا حق الصداقة والأخوة، فإننى منذ بداية وصولى إلى هراة كرهت إيران والشعب الإيرانى وكرهت بشدة العودة إلى تلك المملكة حتى أننى كلما فكرت وجدت الاتجاهات الثلاثة المتجهة إلى إيران مغلقة ومسدودة بجدار حديدى ونارى، والاتجاه المؤدى إلى أرض المشرق مفتوحًا، ولذلك فقد سافرت إلى بلخ وعند العودة عشت فى هراة ظنًا منى بأنه يمكن اختيار زاوية العزلة والوحدة فى تلك المملكة فى ثوب الفقر والزهد..."[١] ومع ذلك فإن وساطة الإنجليز أو حب الوالدين قد جذبه نحو إيران فقدم من هراة إلى خراسان ومنها إلى طهران، لكن نظرًا لأن مسئولى الحكومة قد ظلوا على حقدهم وعداوتهم له ورفضهم لبقائه فى طهران فإنه لم يمكث هناك طويلاً، وذهب إلى كاشان عند والديه وخلال أربعة وعشرين عامًا أنفق فى صحراء بادرود نطنز بعض المبالغ وتحمل المشقة والعناء، وفى تلك الصحراء التى "كانت مسكن الغيلان ومكمن الأرانب ومأوى الثعالب" أعد جنة باسم "عشق آباد"

(١) درج درر ، ص١٧١ وعدة مواضع أخرى.

وبنى فيها المدرسة والميدان والعمارة، وهناك اختار العزلة والوحدة[1].

وذات مرة قام الأمير المحب للشعر سلطان مراد ميرزا حسام السلطنة والذى كان يعرف صفات الشيبانى وفضائله أكثر من كل عظماء العصر ورأى منه مواهب وخدمات فى فتح غوريان وهراة ولاحظ فيه التواضع الشديد عندما دخل مزارعه ومنازله فى أثناء أسفاره إلى فارس وأصفهان، قام هذا الأمير فى عام ١٢٩٩هـ.ق عندما كان مسافرًا إلى ولاية خراسان وسيستان بدعوته إلى موكبه وسلمه زمام أمور مدينة مشهد؛ فقام بضبط شئون تلك المنطقة التى كانت مضطربة وغارقة فى الفتن نتيجة المجاعة والغلاء السارى وسوء تصرف الولاة، ومع ذلك فإنه استقال من ذلك المنصب بعد فترة وعاد إلى عزلته، وقد ذكر هذه المهمة كالتالى فى إحدى القصائد:

– كيف يمكن لشخص اقترب عمره من الستين أن يسعد بالشغل والعمل؟

– لقد أعطانى الملك وأنا فى الخامسة والأربعين العمل فى طوس وكان كمصباح العظمة والإجلال

– والله يعلم وذلك الشخص النائم فى طوس أن قلبى ذاق ألوانًا من الضيق والتعب من ذلك العمل

– وكأن شيئًا كان يهمس فى أذنى ويقول لى دائمًا انظر ماذا رأى طوس من

---

(١) كان أبو نصر يتباهى بأملاكه المعمورة هذه وينظم الأشعار فى وصفها، فمثلاً قال:

سافرت وتجولت فى كل مكان ولم أر مكانًا مثل جنتى عشق آباد

كانت صحراء ومنطقة مملوءة بالأشواك ولكننى زرعت فى كل شوكة منها زهرة بمائة لون

طوس وزال من زابلستان!

- حاول بسرعة أن تعود إلى البيت فإن ركن الفقر أحسن من الكنز وأفضل من مال الرمال

إلا أن هذه العزلة والراحة لم تدم طويلاً فقد ثارت عليه جماعة من أشرار بنى خالد بتحريض المفسدين وهدموا عشق آباد ودمروها؛ فحضر الشيبانى إلى طهران للشكوى والتظلم ووصل إلى رئيس الوزراء ميرزا على أصغر خان أمين السلطان والأعيان الإيرانيين الآخرين مثل ميرزا على خان أمين الدولة وميرزا يوسف خان مستوفى الممالك وحكيم الملك ومظفر الدين ميرزا ولى العهد، وقام بتأليف الكتب بأسمائهم وذكر أسمائهم جميعًا بالمدح والإشادة، وكان الكل فيما يبدو يتفق معه ويشاطره الأحزان، فمرت عرائضه وقصائده على نظر الملك وسمح له هو نفسه بالحضور والمقابلة وقد لقى العناية والعطف وصدر فرمان التحقيق فى تظلمه ورفع الظلم عنه ومع ذلك فإنه لم يخرج "من هذه المساعى والتضرعات إلا بحزن القلب واضطراب الخاطر وهتك الحرمة وانكسار العزة"، فقد راحت العدالة الاجتماعية فى سبات عميق، و"القوم الذين اقتصرت عليهم إدارة شئون المُلك، وكانت يدهم مطلقة فى حل وعقد الأمور، كانوا مشغولين بأنفسهم وكارهين لحديث أهل العلم ونافرين من مصاحبة أهل الفضل"[(١)].

ولم تستطع الشكوى والصرخة التى ظلت تنطلق من حلق الشيبانى، أن توقظ المسئولين الإيرانيين

- لم يتحقق فتح ولا ظفر من "الفتح والظفر" لم أضع فى جيبى جوهرًا من

(١) درج درر، ص ١٧٥.

"كنز الجواهر

- ليس لى رغبة ولا هوى فى "كامرانية" لم أحصل على شىء فى الرى من "درج اللآلئ"

وهاتان القصيدتان هما أيضًا تذكار لهذه الفترة:

- إن الدنيا قد سحقتنى بطاحونة الألم والتعب كنت عزيزًا فأذلتنى سريعًا
- لم أر فائدة من المدينة ولا من الصاحب ولا من البيت لم أجد نفعًا من بلاط الملك

- لم يعطنى العلم أى جيش أو راية لم يكسنى الشعر بالسرابيل[1] أو الشعار[2]

- وسقطت فى هذه الصحراء وقلت إننى سأستريح من الهم ولا شأن لى بالناس

- خاصة أنه لم يكن هناك على الأقل أى قيل وقال فالسماء هى سقف بيتى والجبل هو الجدار

- وفى اعتقادى أنه لولا أن شملنى ملك العالم بعدله وحفظنى من شرور الدنيا

- لكنت أرى الآن أحقر لئام الدنيا وهو يوخزنى فى جنبى بالشوكة الجارحة

....

(١) سرابيل جمع سربال وهو القميص أو الثوب.
(٢) شعار: الثوب الداخلى.

-- لماذا يعادينى الزمان هكذا؟ إن الحزن يسقط من السماء كالمطر والمحن تنمو من الأرض

– مَنْ أنا نفسى، وماذا أملك حتى يعادينى هذا الفلك اللص

ويجلس ويتربص بى ليلاً ونهارًا؟

– إن قلبى كان أسير الحزن بعيدًا عن العاصمة وهنا فى العاصمة القلب أسير الحزن أيضًا

– لا الملك يسألنى ولا أمراؤه ولا رؤساء الحكومة ولا حماة الدين

– لماذا هذا الشيخ الذى انسلخ تمامًا من الدنيا لماذا مزقت الكلاب فروته بهذا الشكل!؟

– ذلك الذى انصرف عن الناس لماذا لا يتركه الناس فى حاله!؟

– وهذه الأمور لا يذكرها أحد للملك وإلا فإن الملك

هو الدهاك[١] مثير فتنة فريدون ابن آتبين....

وعاد الشيبانى إلى مقره وتنازل عن ملكية عشق آباد التى كان قد أنفق فى بنائها عشرين ألف تومان من الذهب وعشرين سنة من عمره وسلّمها للمدّعين (كلاب بنى خالد على حد قوله) وفوّض أمره إلى الله القادر المنتقم.

وكان من نتيجة كل هذه الشدة والمرارة فى الحياة أن يأس الشاعر تمامًا من العدالة الإنسانية، وداس على الدنيا بمالها ونعيمها، وعاش ما تبقى من حياته منبوذًا ومهجورًا وساخطًا.

---

(١) الدهاك هو نفسه الضحاك.

وفى آخر أيامه بنى فى طهران منزلاً وخانقاه فـــى الجانـــب الغربـــى للمدينة قرب بوابة قزوين وخصص هناك مكاناً لمدفنه، وقد قرأ علـــى أجـــد أصدقائه هاتين الرباعيتين فى اليوم الذى كان ينشئ فيه ذلك البناء والقبر:

–وضعت هذا القبر أمام عينى لكى أتعظ منه وآخذ العبرة من الراحلين

– فمن كل هذا القصر والنعيم والمال فى الدنيا هذا فقط لى والباقى للآخرين

– يا من أنت ممشوق القوام ومتورد الوجه وسوف تأتى وتضع قدمك على هذا القبر

– احذر من الذى ينام تحت قدمك فله شأن مع قدمك وشفتك كلاهما

وما لبث أن توفى ليلة الاثنين، العشرين من رجب سنة ١٣٠٨ هــ.ق بعــد عمر دام سبعة وستين عامًا، ودفن فى هذا القبر نفسه.

ومن مؤلفات الشيبانى سيرته الذاتية بعنوان مقالات أبو نصر الشيبانى ومجموعة كبيرة من الأشعار من القصائد والغزليات والقطـــع والرباعيـــات والتى قد جُمعت فى مجموعات بعنوان "درج درر"، "فتح وظفر"[١]، "گـــنج گـــهر"،[٢] "مسعود نامه"،[٣] "تنـــگ شكر"، "زبدة الآثار"، "شرف الملـــوك"، "كامرانية"،[٤] "يوسفيه"،[٥] "خطاب فرخ"، "فواكه السحر"، "جواهر مخزون"، لآلى مكنون، نصائح منظومة، وقد طبعت منتخبات منها فى اسطنبول عـــام

---

(١) فى مدح مظفر الدين ميرزا ولى العهد.

(٢) كلاهما فى مدح السلطان مسعود ميرزا ظل السلطان.

(٣)كلاهما فى مدح السلطان مسعود ميرزا ظل السلطان.

(٤) فى مدح كامران ميرزا نائب السلطنة.

(٥) فى مدح ميرزا يوسف خان مستوفى الممالك.

٨- ١٣٠٩ بأمر ميرزا رضا معين الوزارة القنصل الإيرانى بتفليس (الأمير أرفع الدولة بعد ذلك) مع مقدمة لإسماعيل نصيرى القراچــه داغى، وعلــى حد قول القراچــه داغى فقد قام بجمع هذه المنتخبات الشيبانى نفسه بناءً على طلب ميرزا رضا خان وأرسلها إلى تفليس فى آخر سنة ١٣٠٧ هـــ.ق(١).

ويعد الشيبانى من شعراء القرن الثالث عشر الفصحاء والبلغاء، ويتميز بموهبة عالية وفذة، وهو ينظم الشعر كأحد شــعراء الأســلوب الخراســانى المجيدين، والقصائد الكثيرة التى نظمها الشيبانى فى مراحل عمره المختلفــة فى مدح الملك والأمراء ورجال الدولة، لا تتميز فى نوعهــا علــى أعمــال الشعراء الآخرين إلا فى الصحة والمتانة والإحكام الشديد، أما الأشعار التى نظمها بلهجة النصح والوعظ أو فى موضع التباهى والافتخار والتــى تــدل على شدة يأسه وتشاؤمه من أوضاع الدولة وفساد حياة البلاط وحقارتها فإنها غير مسبوقة فى أدب ذلك العصر، ويلاحظ فيها التأثير المباشر للعلاقة مــع أوروبا ويلاحظ فى هذه الأشعار التشاؤم والواقعية المفرطة التى راجت فــى الأدب الأوروبى خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وعلى الــرغم من أن التشاؤم ليس بصناعة مستوردة من الخارج بل كان عمر الخيام يدعو له فى القرن الثانى عشر، فإن أشعار الشيبانى ليس لها ذلك الطابع الخيــالى الذى يتيمز به الخيام وأتباعه"(٢).

---

(١) الأمير أرفع الدولة دانش كان يعرف الشيبانى ويراسله وعلى حد قوله ألقاه الــشيبانى فى طريق الشعر، وقد نظم الشيبانى قصيدة فى وصف تفليس ومدح أرفع الدولة يقول مطلعها:

إن علم الدنيا يخرج من تبريز وحسنها يخرج من بــلاد الكــرج   حبذا المدينة التى فيها الحسن والعلم توأمان

(٢)Levy, Persian Literature, London, 1923, p. 99 .

وننقل هذه الأبيات من غزله:

- الروضة مضطربة والسرو والصنوبر مضطربان

الملك مضطرب والعرش والتاج مضطربان

- لعنة الله على العناد الذى قد أصبحت شئون بلاط الملك مضطربة بسببه

- يا حسرة على الملك الذى اضطرب من الداخل والخارج

الدخل مبعثر والخراج مضطرب

- إن الملك لا يرى أى حلم آمن لأن فراشه مبعثر واللحاف غير مرتب

- والراعى لا يرى أية فائدة من شحم وصوف أى قطيع اضطرب إنتاجه

- لابد وحتمًا من طبيب ماهر للملكة التى اضطربت حالتها الصحية

وقد كانت نبوءة الشيبانى فى محلها وبالفعل ما لبث أن سقط "التاج والعرش القاجارى المضطرب" ولم يكن أحد حتى عهد الشيبانى يصغى لمثل هذا الكلام فى إيران والظاهر أنه لم يكن من الممكن أن يطبع إلا خارج الدولة.

والشيبانى، مثل يغما أيضًا، لم يكن يرى طريقًا لخلاص بلاده الخربة المضطربة من ظلم واستبداد الحكام الطغاة، ولهذا السبب فإن أغلب أشعاره كئيبة ومؤلمة وتمتلئ كلها بالنفور والسخط والتشاؤم.

وهذه القصيدة التى على نفس نمط قصيدة" انظر إلى صراخ هذا الغرب وحسرته" لمنوتشهرى، تعد أفضل نماذج مثل هذا النوع من أشعار الشيبانى:

- آه من هذه الدنيا وطبعها القبيح فإن كل أرضها وأعمدتها من المحن والمصائب

- لا أحد يرى فائدة من كعبتها ولا يجد منفعة من كنيستها

- لا تأمل الاستقامة من هذه الدنيا فإنها قد جُبلت على الاعوجاج

- لقد أشعلت النار فى مزرعة عمرها فلم ينعم أحذ بزرعها حتى الآن

- فهلا لا تحزن أبدًا عندما يمضى كل حزنها وفرحها وحسنها وقبحها

- لا تحمل همًا فى قلبك من نارها ولا تفرح أبدًا بجنتها

- البس كل ما أحضرته عندك من الحرير والصوف فإنه من صنع يدها

- وإذا كان هناك ثمة حزن فى قلبك فاذهب ودعه مراعاة لخاطر ملكها حسن الطبع

وواضح أن البيت الأخير لا يتفق مع الأبيات السابقة وفيما يبدو أنه قد أضيف إليها حتى يمكن عرض القصيدة على الملك.

وكما رأينا فقد سلك يغما فى آخر الأمر من شدة اليأس طريق التصوف والعرفان، لكن الشيبانى لم يذهب هو الآخر إلى هذا الطريق، فزهد الشيبانى ولبسه للخرقة وشروده من نوع آخر، فمع كل هذا التدين لا تسليه الحياة الأخروية، ولا يرى فائدة أو منفعة من الكعبة والكنيسة، فهو ليس منقبضًا من النار ولا سعيدًا بالجنة وكأن سقف وأعمدة قصر الأفكار السابقة قد انهارت ولم يوضع أساس جديد بعد فوق أنقاضها.

وتعرض أشعار الشيبانى أعظم كوارث الروح البشرية المكتئبة المتألمة، وندرك جيدًا من قراءتها كيف كان وضع الفضلاء والأحرار الإيرانيين على أعتاب التحولات الاجتماعية الجديدة.

والشيبانى ويغما كلاهما متمردان ومعترضان، ولكن قطع كل منهما طريقه الخاص ورفع صرخة احتجاجه بلهجة خاصة، والملفت للنظر أن صرخة الرفض والاستنكار هذه فى مثل هذا المحيط المظلم المخيف، فى الجرأة والصراحة، ليست أقل من لهجة الاحتجاج التى انطلقت مثلاً من حلق ملك الشعراء بهار فى عصر اليقظة والحرية.

وفيما يلى نماذج من أنواع شعر الشيبانى:

الخريف:

- من أزال هذه النقوش والرسومات من الأراضى الجبلية

حتى صارت هذه الاراضى الجبلية الآن كالفضة غير المنقوشة

....

- لقد هجمت رياح مهر[١] وشنت غارة

على تلك الأحجبة والأقنعة الزرقاء والحمراء

- وصارت كل جوانب البستان بلا لون أو رائحة

وتطهرت كل مزارع شقائق النعمان من الشقائق

---

(١) مهر: يقابل سبتمبر وأكتوبر (المترجم).

– وطيور القطا الجبلية خوفًا من الـثلج والريـاح اختبـأت فـى الكهـوف والمغارات المظلمة

– انظر إلى رياح الخريف كيف أزالت من البستان

تلك النقوش الجميلة والرسومات البديعة

– من الصعب ألا يشعل القلب النار فى العالم فى تلك اللحظة

التى تسقط فيها ورود الحديقة وأزهار الربيع المتفتحة هذه

– وتذهب فى مهب رياح الخريف هى وتلك الأساور الذهبية وتلـك الأقراط!

– انظر إلى ذلك الريحان كيف ارتعد خوفًا من الرياح كطرة الحـسناوات المسكية

– وتهيأت طيور الحديقة للرحيل سربًا سربًا .

حتى هجمت رياح مهر كالفرسان من كل جانب

– ولم يقطع الطريق إلى الحديقة سوى الغراب

حتى امتلأت جميع الممرات بالثلوج

....

– اليوم يجب إشعال البخور فى البرهمى فإن الأبخرة

قد خرجت من السحاب من كل جانب

العدل:

– إن عادل السماء الذى أنعم على الإنسان بنعمة العدل

قد منحه العدل لكى يتحرر أهل الأرض من الظلم

– فإذا لم ينشر عادل الأرض العدل بين الناس

فإن عادل السماء سوف يسلب منه نعمة العدل

– فإنه قد أعطاك العدل لكى تنشره أنت   فإن لم تنشره فإنه سينزعه منك

– استمع اليوم لصرخة المظلوم حتى   لا تضطر للصـــراخ فى الغـــد

– انشر العدل واعدل فإن العادل الأول   قد بعث هذه الكوكبة من الأنبياء بالعدل

– كـــل مـــا بناه الأنبياء فى الدنيا   أساسه وأعمدته من ماء وطين العدل

– وإذا كانت البلاد قد عمرت فإنها قد عمرت

بالعدل لأنه كيف تُعمَّر الدنيا بدون ماء العدل؟

– وإن كان لابد أن تتعظ من الظلم والعدل

فانهض وتوجه إلى بابل والمدائن وبغداد

– وانظر إلى قصور الملوك الراحلين العظيمة

منها ما كان من القرميد الخام ومنها ما كان من الفولاذ

– فما كان بناؤه بالعدل ظل قائمًا   وما بُنى بالظلم سقط وتهدَّم كله!....

....

- لو أنهم لم يأذنوا لى بدخول بلاط الملك لو لم يكن لى مشترى فـــى هـذا المُلك

- لو أن هؤلاء الذين هم عند الملك أعزاء كالورد

يريدوننى جميعًا أكثر إذلالاً من الشوكة

- لو أن الله يريد ألا يكون لى عمل سوى البكاء ليلاً ونهارًا فى حضرته

- فأنا والتسليم والرضا حتى أرى ماذا ستفعل يد القدر؟

هل ستأخذنى إلى البلاط أم إلى المشنقة؟

....

- لقد سأمت هذه الحياة ما أحلى الموت وراحة الخلود!

- إن العاقل هو من رافق الحُمر فى الإصطبل

قل للروح اشتر الموت ما استطعت

- هل يليق أن تقف فترة على كل باب كالكلب الحارس

فلربما تأخذ ذات يوم عظمة؟

- يجب عليك أن تتبع الرجال الأسود ولا تلهث خلف الحراسة كالكلاب

- اعتد على خبز الشعير وخط الحدود فإن

مثل هذه الحراسة لا تساوى حبة شعير واحدة

....

- ماذا ستقول لى، أتقول إن اللسان ليس معبرًا؟

أو أن القلب والكبد والساعد ليسوا أقوياء؟

- أتقول إنه لا فن ولا فضل ولا علم ولا حماسة

لا قلم ولا سيف، ولا موهبة مزينة للعالم؟

- لقد صار معلومًا من دجلة إلى شاطئ ميرمند

أن حظ الرجل الفنان ليس عاليًا

- إننى راحل الآن إلى العراق ولن أقول إلا أن حدود كرمان

بحر وليست واديًا أو صحراء

-"إننى ذهبت إلى البحر وغطست فيه فلم أجد اللؤلؤ

وهذا ذنب حظى وليس ذنب البحر!"

....

- إننى كثيرًا ما وضعت يدى على السيف وسحبته ولم ينافسنى أحد فى القتال

- وفى لهو الصيد أبحث عن صيد الأسد الذكر

كما يبحث الأسد الذكر عن صيد الغزال

- لو يشقوا جنبى فى المعركة سيخرج من جنبى مائة رجل مقاتل

- لكن لا فائدة من وراء شجاعتى فأنا والإقبال فى طريقين مختلفين

- لا غنى عن الإقبال والحظ، فما فائدة الفضل والموهبة

إما يكون الحظ أو أكون كلى عيوب

- أكثر من مائة أسد فى درعى ولكن

ما دام الحظ غائبًا فأنا فى نظر الناس مفتضح

....

- إن الملك هو عين مياه عذبة وسائغة

فوق قمة جبل عتيد وضخم مثل الوند

- والطريق إلى هذا الجبل وعر ومحفوف بالمخاطر

وينام حول العين عدد من الأسود

- والرجل العاقل لا يذهب بقدمه إلى مثل هذا الجبل وتلك العين

ولا يحوم حولهما قدر المستطاع

- إننى أرى غابة جميلة وفى كل ركن من أركانها

الأسود نائمة والثعالب فى كر وفر

- وأسد عجوز يحرك ذيله من حين لآخر

ولكن لا أحد يهتم بحركته هذه

- ما أصعب اليوم الذى يظهر فيه طائر فى أى مكان فى هذه الغابة

فإن هذه الثعالب المفترسة تختطفه وتمزقه وتلتهمه!.....

الفصل الثانى : كتَّاب النثر

١- بدايع نـــگار

هو ميرزا محمد ابراهيم نواب الطهرانى ابن آقا محمد مهدى نـــواب والذى أدرك عصرى محمد شاه وناصر الدين شاه، وكـــان مـــن الأعيـــان والكتّاب الحكوميين، وقد قضى فترة ككاتب بمكتب وزارة الخارجية، وتوفى بطهران فى منتصف ربيع الأول سنة ١٢٩٩ هـــ.ق ويعتبـــر نـــواب مـــن مؤرخى وكُتَّاب العصر القاجـــارى المشهورين ومؤلـــف حادثـــة كـــربلاء المعروفة بـــ "فيض الدموع" وكتاب فى التاريخ بعنوان "عقد اللآلى".

ومن أفضل كتاباته ترجمة رسالة أمير المؤمنين سيدنا علـــى لمالـــك الأشتر النخعى التى طُبعت فى طهران بمقدمة جميلة فى أول كتاب مخـــزن الإنشاء بخط ميرزا رضا كلهر أستاذ الخط الكبير لذلك العصر.

وقد ترك نواب رسالة أخـــرى بعنـــوان" عبـــرة للنـــاظرين وعبـــرة للحاضرين"[١] والتى كُتبت بمنتهى المهارة والجمال، وقد صور فيها بـــشكل جيد وقائع عام الجفاف ١٢٨٨ هـــ.ق ونتائجها التى انتهت باعتلاء ميـــرزا حسين خان مشير الدولة الســـپهسالار كرسى الوزارة، وانتقد بشدة أعمـــال وأفعال هذا الشخص.

---

(١) النسخة الأصلية بخط ميرزا كلهر متعلقة بحسين نواب.

ونعرض فيما يلي جزءًا من مقدمة ترجمة رسالة سيدنا على وفقـرات من الرسالة الأخيرة التي توضح هي الأخرى وضع الشعب المؤسف وطريقة عمل وتفكير الشاه ورجال المملكة في ذلك العصر، وتبين أسـلوب إنـشاء الكاتب وطريقة تفكيره:

مع أن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لم تطل فترة خلافته على الرغم من كل هذه الرفعة ومكارم الأخلاق، وسرعان ما اضطرب العالم من حوله وبدأت السماء في معاندته، وخاصمه كل أصحابه وأتباعه الذين كانوا يظنون أنفسهم جنود الله سبحانه، ونال في النهاية درجة الشهادة الرفيعة علـى يـد هؤلاء الأنجاس الظلمة والجاحدين الغدارين، وفاز بلقاء الحق سبحانه وتعالى ومشاهدة الأبرار، إلا أن الأذكياء يعلمون أن الدنيا مهما طالت فإنها زائلـة، ولن يخلَّد فيها أحد ولابد أن يتجرع الجميع كأس المنية، ولكن مـن كانـت سمعته طيبة في الدنيا ويذكر اسمه بالخير وتُرسل إليه التحيات ويجد الثنـاء من الناس من الممكن أن يكون دائم الوجود بلا شك ويمكن تسميته بصاحب الذكرى الخالدة، واليوم وبعد مرور ما يزيد على ألف ومائة وبضع وثلاثـين عامًا مازال عظماء كل ملة وعقلاء كل أمة يمدحون هذا العظـيم وينعتونـه بالشريف ويضربون به المثل في الحشمة والوقار، فالبعض يـسميه الإمـام والبعض الآخر يعتبره الإله، وهذه المكانة يمكن أن تكون نتيجة ذاته المقدسة وثوبه الطاهر وخُلقه الكريم وطبعه الرحيم وصفاته الربانية.

فقرات من رسالة عبرة للناظرين: (١)

وهكذا لم يمض يوم أو يومان حتى أمروا بعزله وإقالته، فذهب إلى بيته الخاص برضا واشتياق ووُزعت مهام بلاط السلطنة على عدد من أولياء النعمة وأصحاب الدولة فألقت هذه الجماعة تدبير معاش الخلق وتهيئة راحة القوم وراء ظهورهم في مثل هذا الغلاء الهائل والبلاء النازل وتفرغوا للاشتباك فيما بينهم وأطلق كل منهم على الآخر لسان الطعن والتوبيخ ونظر كل منهم لمكانة وجاه الآخر بعين الطمع... ولهذا السبب انفرط عقد العمل والنظام وبشؤم خلافاتهم أيضًا لم تسقط السماء مطر الفضل على الأرض، وسرعان ما تطايرت شرارة البلاء وعلت نيران القحط والغلاء وصدرت صرخة الاستغاثة من الرجال والنساء، ووصلت صيحة "الخبز، الخبز" إلى عنان السماء واضطرب عامة الناس وحدثت فتنة عظيمة.

وفي النهاية ونتيجة التقدير الإلهي سبحانه والفراسة الملكية التي لم تكن سوى إكسير الرؤية وكأس الإبداع، ومشورة أرباب الدولة الملهمين الذين يتعلقون في حبائل الوهم سُلمت الوزارة لقاعدة الشرك وأصل النفاق وبديهة الشر وطليعة الضلال سليل الخزي وأبو الفضائح والقبائح مشير الدولة ميرزا حسين خان القزويني، خذله الله تعالى، ووضع زمام مهام الملك في يده.

ففتح خزانة الدولة في الحال وسلب منها مبالغ كبيرة، وقد تعاون معه الناس الأغنياء والسادة الأثرياء طوعًا أو كرهًا، وتقبل الأمر فقراء الحي ومشردو الأطراف... وكان الصدر الأجل نفسه يقف مرتين في الأسبوع بنفسه وحيدًا فريدًا في ميدان فسيح وساحة واسعة، وكان عجائز وأرامل القوم

(١) نقلاً عن سياستگران دورة قاجار تأليف خان ملك ساساني.

يصطفون أمام منصته وهم طليقو الوجه وشعث الشعر وينتظرون مقدمه غير المبارك، فكانوا يتزاحمون فيما بينهم ويتصارعون ويفتك كل منهم بـــالآخر، وكان البعض تطأهم الأقدام أحياناً ويلقون مصرعهم ... وقد أمر ببناء البيوت والمنازل للمشردين والمساكين، وأنشأ لجنة خاصة لكى تتعهد بأحوال هؤلاء المساكين من اليهود والمجوس والروم والروس وســماها "لجنــة الإغاثــة"، وفرض على أثرياء البلاد ورجال البلاط أكثر من خمسين ألف دينار فـضة وذهب وطعام وثياب لسد نفقات هؤلاء واحتياجاتهم من الثياب، وقــد بــالغ كثيرًا فى المطالبة بخفض الأسعار وزيادة الغلال وتوفير الحبــوب. وكتــب تقارير حول هذا المعنى وأُرسلت النشرات إلى أطراف الممالك ودار الحديث فيها عن الظلم والشائعات، كما قام بشرح إفاضاته ومبراته الباطلة.... وفــى تصورى أن هذا كله ما كان يجب أن يحدث فى ظل عنفوان الحكم والسعادة بمنصب الوزارة، ففى وقت كهذا عمَّ الفقر الشديد كل أنحاء البلاد وأضــحى أثرياء الدولة فى الحضيض، فإن وضع مائدة العطاء وفتح يد السخاء وتوجيه الدعوة العامة لعالم الفقر وإيفاد المخبرين السريين إلى أطراف العالم وإلــى الأقطار والأمصار وإرسال النشرات والإعلانات، سيؤدى حتمًا إلى تــزاحم وفود الأطراف وتجمع طوائف الخلق وتعطل أعمال وأشغال الولايات وفساد حال الصناعات والزراعات...

وهكذا لمَّا علم فقراء الأطراف وأهل البادية والقرويون بالجود الشائع والبر المستفيض وسمعوا قليلاً عن رخص الغلال وكثرة الحبوب فــى هــذه الحدود، تركوا بيوتهم وأمتعتهم وتوجهوا إلى بيت الخلافة، وما أكثر النفوس الدنيئة التى ظهرت فى ثوب الفقراء على الرغم من ثرائها وعــدم حاجتهــا وانضمت إلى هــؤلاء، وقد زاد من سوء الأوضاع دخول فصل الشتاء فقــد

كان شتاءً قارصًا وبردًا شديدًا تجمدت فيه العظام واحتبست فيه الأنفاس وسقطت الثلوج الكثيفة والأمطار الغزيرة وطُمست معالم الطرق وأغلقت طرق ذهاب وإياب القوافل وقد هلك غالبية المساكين والشحاذين فى الطرق الأصلية والفرعية نتيجة شدة البرد وقوة الرياح..... وأكل الناس بعضهم البعض فكانوا يتغذون على لحوم الأموات وجيفة الحيوانات، ووصل الأمر لدرجة أن حوالى مائة نفس محترمة قد هلكت فى دار الخلافة ودفنت تحت التراب وظلت مدفونة فى الخرابات دون أن يغسّلها أو يقوم بتجهيزيها وتكفينها أحد...

وقد ظلت هذه الواقعة العظمى والكارثة الكبرى تلقى بظلالها على كل شعب إيران لفترة طويلة حتى أقبلت طليعة فصل الربيع عام ١٢٨٩ وهبَّ النسيم النيروزى ورفع السحاب الآذارى الحجاب وبسطت يد فروردين البساط الزمردى (الأخضر) على الأرض، وتفتح وجه الطبيعة، ومسح نسيم الربيع المسك التتارى والعود القمارى على حافة الأنهار والجداول واستقام السرو الممشوق وانحنى له الصفصاف الولهان احترامًا له، وعرضت الزهور المتنوعة الجمال الأخاذ وغردت الطيور أعذب الألحان فوق الفروع والأغصان على نغمات الناى والبربط والعود، فقد أقبل عصر أعز وربيع مجلل، والحمد والشكر لله فقد ولّى عهد تلك المحنة وتجمعت الخواطر المشتتة وعادت القلوب المنخلعة إلى مكانها مرة ثانية!...

لكن حتى الآن لم تُذكر النقطة المطلوبة ولم يتضح الشاهد من الموضوع. نعم إنهم لم يعطوا لأحد حرية الاختيار، ولم يغلبوا أحدًا على مراده وإذا نظرت إلى ما يسير وفقًا لمراده فى الظاهر فإنك لن تجد أحدًا فى الحقيقة...

ولمّا هدأ قليلاً هذا الغلاء المهلك والوباء المميت، ظهرت في جميع القرى والبلدان بل في كل الممالك الإيرانية الأعراض المختلفة والأمراض المتنوعة بحكم "لكل قحط وباء"... ولم يكن هناك منزل إلا وفيه بكاء ونواح، ولا بيت إلا وخرجت منه حكاية غريبة.. ولمّا خمدت قليلاً زلازل الجفاف ونوازل المحن وهدأت حدة ذلك الوباء الشنيع والبلاء المريع، اعتبر كل هذا الفيض والفضل والكرم الذى تفضل به الحق جل وعلا بسعة رحمته ومزيد كرامته على عباده المذنبين المفسدين، اعتبرها بفضل نماء عهد وزارته وبركة عصر صدارته، ورأى جواد الفلك الحرون طوع أمره، فعقد الاجتماعات وتصاحب على عدد من خواص الحضرة وبطائن السلطنة ووجهاء العسكر وخدعهم بالأقاويل الكاذبة والعهود الزائفة، وبادر أيضًا بقطع أرزاق العسكر ورواتب الخدم وأموال الطوائف ومنع رواتب وأجور موظفى الدولة وخادمى الحضرة بشكل أو بآخر، ولم يقنع بهذا ، فكل من مات – وما أكثرهم– لم يُصرف له كفن أو معاش وألغى أجره وراتبه، وقال: "كل من مات مات معه راتبه!؟ ولم يفكر قط فى أن هذا الشخص من الممكن أن يكون تاركًا خلفه مجموعة من العجائز والأرامل، أو يكون له أطفال صغار وأولاد عاجزون يحتاجون إلى راتبه لسد احتياجات العيش، ومادام هذا الشخص قد مات وأهله مساكين وعاجزون فإن حاجتهم وحل مشكلتهم بالتأكيد فى ذمة الحكومة، وكان يجب على زعيم الدولة وعظيم المملكة أن يوفر لأولاد وأحفاد خادمى الدولة وعاملى الحضرة مزيد العناية وجزيل الرعاية ويفوض من يهتم بشئونهم ويتابع أحوالهم...

ومن هنا انصرفت قلوب عامة الناس عن هذا الملك ولم يعد رجال الحكومة يثقون فى سلطانه وسقطت حشمة تاج وعرش هذا الملك من الأنظار

ونفر الجميع من مسألة الخدمة والدعوى لتأييد السلطنة، وخافوا على حياتهم ومماتهم، إذن فماذا ينتظر من هذا الرأى الباطل وماذا يُرجى من سوء العشرة!....

... وكان يقيم حفلاً يستمر أربع ليالٍ فى كل شهر ويُسمى ذلك الحفل "السواريه"، وكان يُدعى إلى ذلك الحفل طبقات الشعب من المسلم والمشرك، وكان حفلاً أبهة، فالوسائد مبسوطة والمناضد مرصوصة، وكان يتعين على الحاضرين فى هذا التجمع أن يتصرفوا على الطريقة الأوروبية فى الدخول والخروج والقيام والقعود، وكان يجب الجلوس بدون غطاء رأس، وكان لابد من الحذاء البوت، وكل الحاضرين فى هذا الحفل أحرار تمامًا فى طريقة الجلوس أو النوم أو النهوض وهم آمنون من اعتداء أى شخص آخر وأحرار فى شرب الخمر ولعب القمار، وقد سمعتُ أن ملك العالم كان قد ذم القمار ولا أظنه صادقًا إذ لو كان صادقًا لكان من الأولى أن يذم شرب الخمر بل إن مثل هذا الحفل يستحق الذم أكثر من الخمر والقمار....

وهو ما زال فى عنفوان عصره وبداية أيام قدرته وسلطته، والله وحده يعلم ماذا سيصيب الخلق فى عهده من مظاهر الخلل وماذا سيعانى الدين والدولة من عوامل الزلل!

وبعد، فقد تم فى هذه الرسالة توضيح بعض صلاحياته القبيحة وتدابيره العقيمة.. ويعلم الله أنه مازال هناك الكثير من مساوئ ومفاسد هذا الشؤم القذر والذى باسم الحسين وبطبع يزيد وأنه لم يُذكر عنه إلا قليل من كثير وحفنة من جوال.

٢- مجد الملك:

هو الحاج ميرزا محمد خان سينكى الملقب بمجد الملك ابن أخت ميرزا آقا اعتماد الدولة نورى رئيس وزراء إيران، ووالد ميرزا على خان أمين الدولة، كان فى بداية سلطنة ناصر الدين شاه مساعد والدة محمد شاه وقد سافر معها إلى الحج ثم ترقى بعد ذلك فى الوظائف الحكومية المختلفة وتولى الوزارة.

وعمل فى عام ١٢٦٨ هـ.ق سفيرًا لحاجى طرخان ثم النائب الأول لوزارة الخارجية عام ١٢٦٩ هـ.ق ولُقب بسكرتير الشئون الخارجية، وفى عام ١٢٧٥ هـ.ق أوفد إلى الأراضى العثمانية لتسوية الاتفاقيات التى أُبرمت بين الحكومتين الإيرانية والعثمانية وقام ضمناً بتنظيم شئون الرعايا الإيرانيين فى العراق، وفى عام ١٢٧٩ هـ.ق عُين وزيرًا للأشغال والأوقاف وتم استدعائه إلى طهران فى عام ١٢٨٢ هـ.ق، وفى عام ١٢٧٤ هـ.ق عندما توجه ناصر الدين شاه إلى خراسان كان ضمن مرافقيه، وفى عام ١٢٨٦ هـ.ق عُين مديرًا للعتبة الرضوية المقدسة ولقب بمجد الملك ثم فوضت إليه شئون التجارة بالممالك المحروسة فى عام ١٢٨٨ هـ.ق، واختير فى العام نفسه كأحد وزراء دار الشورى، وفى عام ١٢٩٠ هـ.ق عُين مرة أخرى وزيرًا للأشغال والأوقاف وظل فى هذا المنصب حتى توفى (١١ ذى الحجة سنة ١٢٩٨ هـ.ق)(١).

ويعد سينكى من كتَّاب وخطاطى العصر القاجارى، ومن أعماله كتاب "كشف الغرايب" أو كما هو مشهور "الرسالة المجدية".

---

(١) ولد فيما يبدو سنة ١٢٢٤ هـ.ق لأنه عند موته كان فى الرابعة والسبعين.

وقد كُتبت هذه الرسالة على حد قول المؤلف نفسه[١] سنة ١٢٨٧ هـ.ق وتوجد منها نسخ عديدة فى أيدى الناس[٢]، ونثرها سلس وعذب وهى مهمة جدًا من الناحية التاريخية لتعريف العصر الذى كُتبت فيه، وقد ذكرت فى هذا الكتاب إشارات عديدة للوزراء ورجال البلاط فى ذلك الوقت.

- وفيما يلى ملخص للرسالة المجدية:

لقد أوقع عدد من الصيادين المتوحشين صائدى الملوك قلب الملك[٣] فى شباك إرادتهم ورأيهم وتحكموا فيه لدرجة أنهم لم يسمحوا له بأن يتفرغ دقيقة واحدة لقطع الصحراء والجبال وقتل الحيوانات المسبحة، فهم يتوقعون أن شؤم هذا العمل الذى سيؤدى حتمًا إلى قطع النسل وتقصير العمر وسوء الحظ، سيظهر أثره جيدًا. شعر:

- إن قاطع الشجر قصير العمر   ونصب شبكة الصيد يؤدى إلى الفقر

ولو بالفرض وصل إلى تراب القدم المبارك خبران فى وقت واحد بالصدفة أحدهما إعداد أدوات وأسلحة الصيد والآخر الحصول على امتياز كبير فإنه بناءً على استشارة هؤلاء الصيادين، العناية تكون للخبر الأول ولا تكون للثانى.

---

(١) ص ٦٦ من طبعة طهران، شهر يور ١٣٢١ ش [أغسطس وسبتمبر ١٩٤٢م].

(٢) نسخة لشته نشاء جيلان، بخط درويش يوسف، بتاريخ الخميس ١٥ محرم ١٣٢٠، ونسخة بخط على بن عبد الرسول بتاريخ السبت ٢٧ رجب ١٣١٧ ، وهذا الكتاب طبعه الأستاذ سعيد نفيسى سنة ١٣٢١ ش [٢- ١٩٤٣].

(٣) المقصود ناصر الدين شاه.

وعيوب الأعمال التى تتعارض مع مصلحة المُلك وذوق الجمهور، تغيب عن عين الملك بكتمان وإغماض هؤلاء الأشخاص، والأحداث ذات الأضرار البديهية تحدث نتيجة الإطراء عليها من باب ارتكاب الخطأ والاستسهال.

لقد جعلوا الملك ينفر من مركز السلطنة ومقر حل وعقد أمور الدولة لدرجة الشوق والحماس عند تحرك الموكب المبارك والبطء والتكاسل عند العودة، ربما أن هؤلاء الصيادين هم ولصوص الأموال الإيرانية الذين يرغبون فى إفلاس الدولة، لديهم رغبة داخلية أو عهد فيما بينهم بأنهم كلما وجدوا أن استراحة الملك فى مركز السلطنة قد طالت يحركوه بأستاذية إلى "دوشان تَـپـه" شاء أم لم يشأ لصيد الغزلان كى تبدو أمور السلطنة والمُلك كالأرنب النائم الذى تفككت حظيرته...

ويجلس الحاكم العام[1] على الكرسى بالقبعة الليلية والفرو ويصرخ من بعيد:

أيها الشعب، ماذا تريدون منى؟ فإنكم لن تروا منى شيئًا سوى الأخذ السهل، والكبر الأجوف والاستغناء المزيف والاستعلاء الزائف، فإن لى مال من المرحوم والدى عند الشعب وسأجمعه تحت مسمى القرض الحسن[2] وأتحمل العناء، وفى هذه الأثناء يترقب الطريق ويرهف السمع علِّه يريح خاطره الأنانى بسماع خبر مرض أحد أكابر الحكومة ممن لا ولد لهم ولا

---

(١) الصدر الأعظم رئيس الوزراء ميرزا يوسف مستوفى الممالك الأشتيانى.

(٢) كان أبو السيد يدعى حسن (ميرزا حسن، مستوفى ممالك عصر فتحعلى شاه).

وريث فيحصل على مبلغ من المال من أجر ورواتب ذلك المرحوم الذى لم يتأكد خبر موته بعد.

وحول كرسيه وقفت جماعة من المتملقين معسولى الكلام والبلطجية حارقى العالم المعروفين بالوصولية مثل حاجى سعد الدولة[١] وأمثاله: وينسبون فوائد فقه طهماسب ميرزا مؤيد الدولة[٢]، وفتح فرهاد ميرزا، وفسق فيروز ميرزا والذين يعدون أعلام الحكومة الأفذاذ، لحُسن كفاءة أكفأ الكفاة، وهناك جماعة أيضًا من الكتبة المدربين قد جمعت حواسها وسنت أقلامها للحصول على رسوم لتحرير الأوامر بمنح المناصب وزيادة الرواتب ومنح النياشين والخلع فى مقابل خراب أذربايجان وكل كردستان وتشتيت الجيش الإيرانى، وتأخذ الرسوم وتحصل على أموالها فى كل قضية سواء كانت هذه القضية تنفع الدولة أو تضرها، ويغضب الملك على الرغم من كل هذا الصبر والتحمل ويظل حائرًا إذ كان هناك شخص ما قدَّم خدمات ماذا يجب العمل معه وأية عطية حكومية يجب منحها له؟ وعلى الرغم من هذا الغضب والتحير يضطر للسير خلف رأى الحاكم العام وأتباعه.

وكما سمعنا فإن اهتمام الملك موجه إلى رعاية الشعب والإقلاع عن الرذائل ونشر مبادئ البشرية والإنسانية والإعراض عن الأسباب التى تؤدى إلى البطالة وتضييع الوقت فيما ليس له منفعة إيجابية، فمثلاً يأمر بتقليل مراسم تهنئة الشعب للملك التى كانت على حد قول العوام من مظاهر عظمة

---

(١) اسم حاجى سعد الدولة كان هو قنبر على خان، وقنبرك بمعنى الجلوس فى حلقة (فرهنگ معين).

(٢) طهماسب ميرزا كتب كتابًا فى الفقه عُرف بالفقه المؤيدى.

سلطنة العجم، ويلغى مراسم الوقوف الطويلة هذه التى تسبب الحيرة وتؤدى إلى البطالة الصارخة.

أما هذا الشخص فبالرغم من سابقة الزهد والتواضع والتجول والتجرد واعتزال الدنيا فإنه يصر على إقامة مراسم هذه التهنئة العامة والسلام والقيام بلا قعود بصفة مستمرة فى حضرته وفى وقت أطول من وقت تهنئة الملك، وظهور هذه الأحوال ليس له تفسير إلا اعتراضه على ذوق ورغبة الملك مثلما ظهر هذا الاعتراض منه أيضًا فى إلغاء الألقاب.....

أما طبقات الشعب الإيرانى فإنها فى هذه الظروف السيئة التى تنبعث فيها رائحة الفقر والعجز من الرئاسة العامة، قد سقطت فى دوامة التفكير واتبعت كل طبقة عقيدة معينة...

وعجز كفاة الدين وهداة الحق واليقين، ونواب الأئمة والعلماء الأعلام الذين كان قيامهم على طريق الأنبياء وقوامهم لحماية الملة الغراء، عجزوا عن أداء الواجبات وإضاءة السراج وعرض المنهاج وأوجدوا وظيفة جديدة لعهدهم وفقًا لظروف العصر، وهم يعلمون كذلك أنهم إذا قالوا خيرًا لرفع الظلم والبدع الجديدة التى ستطول أضرارها الأمة والحكومة الإيرانية، وستجبر الناس على اختيار التوصيات والأوصياء على أموالهم وأولادهم، فإن القادر ذا الجلال سيعجز عن مساعدتهم. والأعذار التى ستبدو فى أعمالهم العلمية لن تقبل أى منها من قبل أهل التحقيق، وربما نستطيع أن نقول إن عوامل الكراهية والحسد ونار هاتين الصفتين المحرقة مازالت مشتعلة ومتوهجة بين أفراد هذه الطائفة وأنه قد حدث تفسخ فى معنى "إنما المؤمنون إخوة" بحيث يصل الإخوة فى الدين إلى هذه الدرجة من التنافر والشقاق.........................

أما الأحكام الوطنية والحكومية فقد فقدت قيمتها وما من حكم يكون فى يد أحد إلا وناسخه يكون فى يد المدّعى (مصراع) وهذه المسألة تسرى على كؤوس الخمر الصباحية الثلاثة.

وهذا الخلاف هو نفسه سبب انقسام العلماء، فجعلهم فى ثلاث مراتب: المرتبة الأولى، منعتهم مقتضيات العلم والحلم والوقار أو حفظ الضياع والعقار من كافة الأمور، فألسنتهم داخل حلوقهم وذو الفقار على[1] فى الغمد (مصراع) أسد الشريعة فحسب ولا يهجم على أحد! وإذا لجأ مظلوم إلى مرجعيتهم وأراد حلاً فوريًا لمشكلته، بما أنهم يرون ثمرات وجودهم فى غاية الخطأ فإنهم يواسون المتظلم بالطبع بقدوم حضرة صاحب الأمر عليه السلام، وفوائد المرتبة الأولى هى بالفعل الخدع التى يستخدمها السيد الجماراني[2] والملا الجهرمى فى المعاملات الشرعية للشعب (شعر):

- وكم من يد قبلتها عن ضرورة وكان منائى قطعها لو أمكن[3]

والمرتبة الثانية كانت تمنعها بعض دواعى الاحتياط فقد خافوا من إضعاف لجام العوام خشية أن تحدث فتنة يعجزوا عن إخمادها، ولكنهم لا يمتنعون عن تشجيع العوام بسبب شدائد الظلم والبدع وأسباب شكوى وسخط جميع الناس، أما المرتبة الثالثة فقد قطعوا المنحنى التصاعدى بالقوة الجسمانية لا بروح العلم (شعر) :

- وعند الشيخ كُتب من أبيه مسطَّرة ولكن ما قرأها

---

(١) إشارة إلى حاجى ملا على كنى.

(٢) إشارة إلى السيد محمد باقر .

(٣) (پرتو أصفهانى).

وكل واحد سيطر على منبر ومحراب ويقوم بالمرافعة الشرعية دون إجازة فى العلم، والكتّاب والمحررون يجرون فى ركابهم ويكتبون كل ما يحكمون به وهم مستعدون لتنفيذ كل ما يريده المريدون، ومن كل مكان يعلو صوت كالسيل الذى يسقط من السحاب، فيسرعوا مع جيش الأصحاب ويطلقون صيحة واديناه واملتاه، والأحكام التى تصدر من المرتبة الثالثة تكون أكثر نفاذًا من أحكام المرتبتين الأولى والثانية لأنهم فى تنفيذ الحكم متضامنون دائمًا، أما أوباش البلد ورجال المدينة فإنهم ينوحون ويضربون الصدور حول هذا الطبل والعلم وهذه الملحمة وما ينتظره الأوباش والبلطجية من علماء هذه المرتبة لا ينتظرونه من علماء المرتبتين الأولى والثانية.

أما مذهب الشيخية الذى يعد من مستحدثات التشييع فقد أصبح فى هذه الأوقات علة مزمنة استشرت فى جسد إيران كله حكومة وشعبًا فمرضت قوى الأمة واعتلت صحة الدولة.

وانشغل زعماء الشعب ورؤساء الحكومة عن علاج هذه الآفة لكثرة مشاغلهم، الأمر الذى أدى إلى تحول ولاية عهد الدولة الإيرانية إلى شيخى مقتدر فى ظل التشجيع الداخلى والخارجى من جانب أقاربه لأمه والذين صاروا ذوا بأس وسيدفعه التعصب لهذا المذهب إلى فعل يخرج عن طاقة الحكومة والشعب، والحقيقة أنه من العار الشديد للحكومة أن تعين ولى عهد يرفضه الشعب.

إن ما يجرى فى إيران فى الوقت الحالى من عادات قد جعل طبائع وقلوب شعوب الأمم والدول الأجنبية تنفر من الأمة الإسلامية، فقد اعتقدوا أن الظلم والتعدى والزجر والتعذيب وإزهاق الأرواح وقمع الجماعة بذنب الفرد وإسقاط الناس من المكانة العالية إلى الحضيض وفضح العام والخاص وسلب

كافة الحقوق الشعبية والحكومية بالرشوة والهبة من أجل المصالح الشخصية، اعتقدوا أنها من مبادئ الأمة الإسلامية وعرَّفوا هذه الدولة حكومة وشعبًا بأنها دولة سفاحة ومتوحشة.

والحكم الإيرانى لا هو يشبه الشريعة الإسلامية ولا هو قريب من قانون ونظام الأمم والدول الأخرى.

ويجب أن نقول إنه حكم مختلط ومكون من عادات الفرس والأتراك والتتار والمغول والأفغان والروم وأنه عالم منفصل تحيط به الفوضى الشديدة، فكل عدة قرون يسيطر على إيران أحد ملوك هؤلاء الأقوام وترسخ فى إيران العادات المذمومة والمكروهة لكل قوم، وفى هذا العصر تطبق كل هذه العادات بشكل كامل، ولو يقول مطبقو هذه العادات: إن ظروفنا الحالية لا تقتضى إجراء هذه العادات التى تعد بالتأكيد أحسن القوانين ويمكن تداولها فى جميع العصور.

أما النعامات الإيرانية التى عادت من بطرسبورج ومن سائر الدول الأجنبية وتحملت الدولة الآلاف من أجل تعليمهم وتربيتهم فإن معلوماتهم قد انحصرت فى شيئين من العلوم الدبلوماسية وسائر العلوم التى كانوا مكلفين بدراستها وتعلمها وهما الاستخفاف بالشعب وتخطئة الحكومة، ففى بداية وصولهم لم يثبتوا على اتجاه معين إذ أنهم قد جاءوا من أوروبا فقاموا بالترفع عن عوامل السلب والطمع والبخل والحسد لدرجة أن كل الشعب وحتى الملك على الرغم من حسن الطبع والفراسة ظنوا خطأً أن الجو فى أوروبا يخرج العجائب من الماء وربما العيش هناك فى حد ذاته يعلِّم الكثير ويقلب الماهية.

وتارة تعبر هذه البراعم حديثة الظهور عن دهشتها من حظها بخطب التأسف والتحسر وتتساءل لماذا عادت بهذه السرعة من الولايات المنظمة إلى الممالك غير المنظمة؟ وتارة تتعجب من أحوال الملك وتتساءل إلى متى سيظل غافلاً عن تهيئة عوامل التنوير؟ ويستمر هذا التأسف والتعجب ما لم يعهد إليهم بأى أمر من أمور المُلك، وبمجرد أن صاروا من المسئولين يتصورون وهم فى غاية الثقة من أن قبح أعمالهم سيتوارى لفترة ببركة التجول في بلاد أوروبا وأنه لا أحد ينوى كشف تزويرهم بهذه السرعة، يقومون بنشر الفساد والانحلال الأخلاقى، ويبالغون بشدة فى إهمال حقوق الناس وإشاعة مظاهر الانحلال الدينى، والتخلى عن الغيرة والمروءة وابتكار الأمور الضارة، ويتحلون بالطمع الشديد، ويقومون بتملق وممازحة الرؤساء والكبراء، ومسايرة طلباتهم، والتصديق على أفعالهم وأقوالهم، لدرجة أن الملك يندم على تكليفهم ويظل حائرًا بأى قانون يتعامل معهم.

- السمكة تشبه الثعبان وليس هناك

سمكة ولا ثعبان ماذا تفعل أيها المنافق، كن ثعبانًا أو حتى سمكة!

ومن أسباب نفور الملك وعدم راحته وهو يفكر فى تهيئة عوامل التربية والرعاية ظهور هؤلاء الشبان المشعوذين، فأقوالهم جميعًا قد بدت فى نظر الشاهنشاه بلا معنى، وليس مستبعد أن يقرر زيارة تلك البلاد بنفسه فى وقت ما عله يختار من حصيلته الفكرية المباركة ما يحقق الفائدة العامة للمملكة.

ومن بين الأسلحة المسلطة على رقاب الشعب الإيرانى والتى سُلِّمت لأيدى زبانية الظلم والتعدى ولا بد لهم من إشهارها، سيفان تربيا على السم

وطعامهما الأرواح: الأول هو اتهام أغنياء الولايات بإشاعة الفتنة والفساد والتصير فيما يتعلق بالضرائب، والثانى هو اتهام الشعب باتباع الباب.

أما المرحوم اعتماد السلطنة والذى كان جاسوس الأجل ومكنسة الأمل فإنه فى سبيل استكمال صفة الرذيلة هذه قد تحمَّل العناء وشرب الماء الممزوج بالدم وسفك الدماء وهدم البيوت، وفى الغارة التى شنها على كافة البلاد فى بداية الأمر بالغ بشدة فى قطع الأعمار وإهانة العلماء وشق الصدور ونبش القبور وشد الوثاق وضرب الأعناق لدرجة أن الأرض وكأنها قد تحولت إلى بحر من الدماء والتراب قد تحول إلى منجم عقيق، ومادام هذا العمل قد تم تنفيذه على يديه على أكمل وجه فإن أبناء جنسه أى زبانية الظلم يرون إلى يومنا هذا بقاء حكمهم فى تنفيذ هذه العادات والقيام بإعدام خلق الله.

٣- حاجى فرهاد ميرزا:

هو حاجى فرهاد ميرزا معتمد الدولة عم ناصر الدين شاه والابن الخامس عشر لعباس ميرزا نائب السلطنة، ولد فى جمادى الأول سنة ١٢٣٣ هـ.ق، وسافر فى شبابه إلى أذربايجان مع والده ودرس العلوم فى تبريز، ولَمَّا سافر محمد شاه إلى طهران فى عام ١٢٥٠ هـ.ق بقصد الجلوس على العرش طلبه من تبريز ودعاه إلى البلاط واختاره لإدارة أمور خوزستان ولرستان فقام فرهاد ميرزا بتأمين تلك المنطقة وأدخل المتمردين فى طاعته، وقد ظل عامين فى لرستان حتى قصد محمد شاه جرجان فى عام ١٢٥٢ هـ.ق حيث حضر إلى طهران حسب الأوامر ولازم الركاب مع فرقتين من

الجنود وخمسمائة فارس وقدَّم في ذلك السفر خدمات جليلة وعند عودته من ذلك السفر حيث سافر الشاه إلى خراسان في عام ١٢٥٤ هـ قاصدًا الاستيلاء على هراة، قام بتعيينه نائبًا للسلطنة في العاصمة ولمَّا أخفق الشاه في فتح هراة وعاد إلى طهران، قرأ خطبته المهمة التي توضح القضايا السياسية لذلك العصر، قرأها باسمه في مسجد الشاه مخاطبًا إياه بـ "نور العين المكرم الشهير " ، كذلك في عام ١٢٥٥ هـ.ق حيث توجه الشاه إلى أصفهان تولى فرهادميرزا إدارة شئون المملكة باعتباره نائب السلطنة.

وفي عام ١٢٥٧ هـ.ق عندما حكم فارس الأمير فريدون ميرزا التلميذ المحبوب لحاجي ميرزا آقاسي، ثار عليه شعب فارس وطردوه، فأراد حاجي ميرزا آقاسي تعيين أقل الأمراء خبرة واليًا على فارس وتكليفه بتأديب شعب فارس حتى تختل الأوضاع نتيجة عدم كفاءته ويخضع الشعب مرة ثانية لحكم فريدون ميرزا، وبما أن تاريخ فرهاد ميرزا لم يكن يسمح له بأن يتولى مرة واحدة حكم فارس فقد أصدر قراره الحكيم باسم ناصر الدين ميرزا ولي العهد وعين الأمير فرهاد ميرزا نائبًا له، أما هو فقد أدى هذه المهمة الخطيرة على أكمل وجه بعكس ما كان متوقعًا ولكنهم أوغروا صدر الشاه عليه في عام ١٢٥٩ هـ.ق، فقالوا إنه "ألقى حقوق الحكومة الإيرانية من على ظهره وتعرَّف في السر على حكومة أخرى وتحالف معها"[1] لاشك أنهم خلعوه من منصبه كنائب لحاكم فارس وأرسلوا إلى حكم فارس بدلاً منه ميرزا نبي خان أمين الديوان أما هو فقد اضطر "إلى اللجوء للحكومة الإنجليزية، والابتعاد سنوات عن البلاط والعيش في طالقان بقزوين بناءً على

(١) ناسخ التواريخ، جلد قاجاريه، طهران، ١٣٣٧ ش، ص ١٥٠.

حكم الملك"[1] حتى بعد بضع سنوات من النفى، "وقف على قدمه من تلك الكبوة وابتعد عن الحكومة"[2] وعُين حاكمًا على لرستان وقد قيل إن كل هذا كان بوشاية ميرزا آقا خان الصدر الأعظم وأن فرهاد ميرزا قد أنكر هذه الاتهامات فى الرسالة التى كتبها لإمام جمعة طهران.

وعندما قصد ناصر الدين شاه السفر إلى أذربايجان كان فرهاد ميرزا ملازمًا للركاب وعند العودة عين مرة ثانية حاكمًا لخوزستان ولرستان، وفى عام ١٢٧٨ هـ.ق عندما توفى جوانشير معتمد الدولة [الأسد الشاب] أُعطى هذا اللقب لفرهاد ميرزا وعين فى عام ١٢٨٤ هـ.ق حاكمًا لكردستان وهمدان، وهناك قدَّم خدمة عظيمة كانت تتمثل فى فتح أورامان واستئصال شأفة متمرديها حسن سلطان وأخيه.

وقد حكم فرهاد ميرزا كردستان لمدة ست سنوات حتى عام ١٢٩٠ هـ.ق حيث قصد ناصر الدين شاه السفر إلى أوروبا وكان ميرزا حسين خان مشير الدولة ملازمًا لركابه، فقد تم استدعائه إلى طهران، وطبقًا لفرمان ١٤ صفر فوضت نيابة السلطنة لكامران ميرزا وإدارة الأمور بالصلاحيات الكاملة لفرهاد ميرزا، وقد سافر إلى كردستان مرة ثانية عقب عودة الشاه من أوروبا ولكنه عزل من الحكم هذه المرة بتهمة إقامة علاقات سرية مع مظفر الدين ميرزا وتم استدعائه إلى طهران، وبعد عام (١٢٩٢ هـ.ق) سافر إلى مكة، وبعد وصوله إلى طهران وإزالة الخلافات وسوء الظن عين مرة أخرى حاكمًا على فارس فى عام ١٢٩٣ هـ.ق وأقر فيها الأمن والنظام، وفى عام

(١) نادر ميرزا، تاريخ وجغرافيا تبريز، نسخة مطبوعة، ص٧٥.

(٢)نادر ميرزا، تاريخ وجغرافيا تبريز، نسخة مطبوعة، ص٧٥ .

١٢٩٨ هـ.ق تم استدعائه إلى طهران وشارك فى مجلس الوزراء وعاش فى راحة ورفاهية حتى آخر عمره، وفى النهاية ابتعد نهائيًا عن العمل وخدمة الحكومة حتى توفى بطهران سنة ١٣٠٥ هـ.ق. (١)

وأعمال فرهاد ميرزا الأدبية هى "منشآت"(٢) وكم من الأشعار وكتاب "هداية السبيل" وهو كتاب رحلات يحكى رحلة حجه، و"زنبيل" الذى يُعد مجموعة شعرية ونثرية مثل كشكول الشيخ بهائى و "قِمقام ذخار وصمصام بتّار" فى مقتل سيدنا الحسين وكتب عديدة أخرى والتى لم تطبع بعد.

وقد قام فرهاد ميرزا أيضًا بالأعمال شبه العلمية والتى منها "جام جم" فى الجغرافيا.

والذى يعد ترجمة لجغرافية "وليم بينوك"(٣)، ومعجم إنجليزى/ فارسى مكون من ألفى كلمة، وترجمة خلاصة الحساب للشيخ بهائى من العربية إلى الفارسية تحت سم كنز الحساب، وكان الأمير فرهاد ميرزا رجلاً صاحب سيف وقلم وكان له حظ من العلوم المختلفة، ويقول بشأنه نادر ميرزا مؤلف "تاريخ وجغرافياى تبريز": "يا ليت كان للأسرة القاجارية العظيمة

---

(١) محمود خان ملك الشعراء أنشد قائلاً فى القصيدة التى كان قد نظمها فى رثائه:

انتقلت إلى دار الخلد لما مضت من هجرة الرسول   ثلاثمائة وخمسة أعوام من بعد الألف

(٢) طبع فى بومباى فى البداية باهتمام وحواشى ميرزا آقا فرصت الدولة الشيرازى سنة ١٣١٨ هـ.ق، وبعد ذلك طبع فى طهران عام ١٣٢٧ هـ.ق مع منشآت ميرزا مهديخان الاستر آبادى وأمير نظام گروسى..

(٣) William Pinnock: طبُع هذا الكتاب فى علم ١٢٧٢ هـ.ق فى طهران وقد استفاد منه ميرزا محمد على مدرس الرشتى الچهاردهى (متوفى سنة ١٣٠٤ هـ.ق) فى تطبيق أحكام الفقه مع علم الفلك الحديث.

ألف شخص مثل هذا الأمير العالم الفاضل فقد كان جوهرة ثمينة للأسرة وكان قوة لهذا الدين المجيد"[1].

وفرهاد ميرزا ليست عنده قريحة وموهبة شعرية غير عادية، وأعماله في مجال الشعر والنظم وإعداد بعض المدائح، محكمة وسلسة بالقدر الكافي ولكنها جافة ومملوءة بالصنعة وخالية من الذوق.

والمهم من وجهة نظرنا أن شخصًا مثل فرهاد ميرزا يحظى بمكانة رفيعة بين الأمراء وداخل جهاز الدولة لا يحتاج لتأمين نفقات معيشته من كسب يده، فقد أدرك جيدًا ضرورة تعميم ونشر العلوم الأوروبية في إيران، ولهذا السبب ترتبط مؤلفاته بأعمال معلمي دار الفنون الذين سنتحدث عنهم فيما بعد وبعبارة أخرى يمكن اعتبار فرهاد ميرزا حلقة الوصل بين كتّاب البلاط وناشري الثقافة الحديثة الرسميين في إيران.

وقد كتب هذه الرسالة من طالقان إلى فريدون ميرزا الحاكم بعد الفتنة البابية في ربيع الأول سنة ١٢٧٠ هـ.ق واشتكى من الإهانة التي وجهت له، يقول:

.... بحكم حسن النية وصفاء الطوية كنت أعتقد أن حضرة السيد لاقدر الله سيغيث المستجير ويعطيه زلال الرحمة خاصة أخيه المتألم عند فوران شراب الفتن وخفقان سراب المحن، ويسقي تائهي بادية الضلالة الخمر الحلال ويكون للمحروم الركن الأشد وللمظلوم الناب الأحد، ولكن ما تصورناه كان عين الخطأ لأنني كنت أظن أنه حينما يحدث لهذا المخلص أي خطب كبير وأمر خطير في أي زمان وأوان سيهب حضرة السيد لنجدتي

---

(١) النسخة المطبوعة، ص ٧٦.

ونصرتي ويتمسك بالآية الشريفة[1] "ولا أملك إلا نفسي وأخي" ولكنه خلافًا للاعتقاد وخلفًا للاعتماد تلا قوله "يوم يفر المرء من أخيه" وقرأ "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو"[2] ولم يكن من المقبول أن أرى في هذه المرحلة الطعن من العدو والحبيب واللعن من الرجل والمرأة.

جُعلت فداء لك، إن الشكوى من طبع النساء والتضحية من شيم الرجال، وبما أنني لا أضحي فأنا أقوم إذن ببث شكوتي، لو تقول: لِمُبَلِّغُك الواشي أغش وأكذب، لا والله فلا المبلغ كان واشيًا ولا المستمع ناشئًا؛ لأن التقرير يشهد على الضمير والفعل يدل على الفكر، فالظاهر هو عنوان الباطن ولو لم يكن هناك تقصير لا قدر الله في الرعاية والاهتمام كنت على الأقل اكتفيت بالعطف والرحمة، فقد تجنبتني بشدة خاصة أيام الإقامة في شمران حتى أن أحدًا لا يهرب من المجذوم بهذا الشكل ولا يتجنب الطاعون بهذه الدرجة، إن المخلص الذي لم يكن يغفل يومًا واحدًا عن أحوال حضرة السيد ويهنئه على السلامة في الحال لماذا لا يتذكره حضرة السيد في هذه المسألة، والآن أيضًا وأنا في ذلك الوقت ذو قلب غليل وطفل عليل قد نسيني حضرة السيد تمامًا، وأصل المروءة لم يكن هذا وقانون الشهامة ليس هكذا:

كأن لم يكن بين الجحون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وطبقًا لما تبين فيما بعد فإنه في ذلك الوقت الذي قامت فيه هذه الضجة وشاعت تلك الأقاويل والأباطيل بين الناس لدرجة أن السيد كبير الخدم لدى الحاكم أخذ يذكرها على الملأ، كان من الواجب على حضرة السيد في تلك

---

(١) سورة المائدة، الآية ٢٥.

(٢) سورة عبس، الآية ٣٤، ٣٥.

الأثناء أن يتظلم أمام حضرة الملك ظل الله روحنا فداه، ولو أن مصلحة الخان المرحوم[١] لم تكن تقتضي ذلك كان على الأقل يعاتب رئيسه الساذج ويسأله ما شأنك بذكر هذه الأخبار وبث هذه الأسرار! أو كان ذكر في حضرة ذى الجلال نظام الدولة وقوام الشوكة الصدر الأعظم الأفخم أن سليمان سيئ الأصل[٢] يتربص بخسرو (الملك) شريف الأصل، فما دخلي أنا أو حضرة الأستاذ[٣] يفسر ذلك بأن للخسوف والكسوف أثر فى العالم وأن لهذين الذيلين وتلك الذؤابة مثل هذه الخطورة فى الدنيا، فما هو دخلي أنا المسكين المستكين! أى مجال للجريمة والاتهام والتقصير والخيانة! أم أن الاستماع يؤدى إلى النفى من البلد والابتعاد عن الأهل والولد، ألم يستمع حضرة السيد إلى الشيخ الجنى[٤] الذى يدعى معرفة الغيب؟ أو ألم يشرح الشيخ الجنى ويوضح لعدد كبير من أعيان الدولة وأركان الحضرة؟ ولو كان حكم المنجم والعرّاف صحيحًا، فلماذا أخطأ الأنورى فى قران الكواكب السبعة؟ إذًا من الواضح أن زمام المقادير فى يد مالك الملك وأن التدبير عاجز مع تقديره تعز من تشاء وتذل من تشاء، وكل شيء عنده بمقدار، ومن ثم فلا قيمة لأحكام النجوم ولا قدر لعلم الحروف! والكل يجمع على أنه كان من اللائق لحضرة السيد أن يقوم برفع التهمة ويكرس وقته لإغاثة الملهوف فيصير ممدوح الترك والتاجيك [غير الأتراك وخاصة الإيرانيين] ومحمود

---

(١) ميرزا أحمد خان والذى كان مساعدًا للحاكم.

(٢) حاجى سليمان خان افشار بن يحيى خان الذى آمن بالبابين وبعد أن أطلق النار على ناصر الدين شاه حشوا جسمه بالشمع وطافوا به فى المدينة.

(٣) إشارة إلى حاجى محمد ولى ميرزا.

(٤) الشيخ محمد الجنى.

البعيد والقريب ولا أحد يعترض عليه فى هذه الإغاثة ولا تتجه الظنون نحو المحاباة فى هذه الإعانة، فلا كأس كان سيضيع من خراسان ولا مال كـان سيؤخذ بالقوة والإهانة من إقطاع رستاق ونظنز؛ فقد كان باب الضرر مغلقًا وطريق الخطر مسدودًا، والله يشهد إننى حائر من حظى السيئ وطالعى المدبر، فثمرة الإرداة ليست هذه وأثر العناية ليس هكذا، ويشهد الأجنبى والمحلى والزنجى والرومى أننى طيلة أربع سنوات لم أتوقف لحظة واحدة عن الإخلاص لحضرة السيد والسعى فى الخير من أجله ليلاً ونهارًا سرًا وجهرًا ولو يرجع بالذاكرة إلى الوراء وينصف سيصدق كلامى هذا، قيل: الأخ أفضل أم الرفيق؟ فأجيب: الأخ أفضل عندما يكون هو الرفيق، والمخلص خلافًا للأدب يعد نفسه الرفيق ولكنه يعد نفسه صديقًا للصديق أيًا كان، وبعد أن ظهر مثل هذا الجفاء من حضرة السيد وضاعت الأسرار سلب الإيمان كله وصارت التدابير هباءً والأفكار ضاعت هدرًا، ومضى ما مضى وفات ما فات، وذهبنا إلى العدم نحن الذين كنا أشرارًا:

لتقرعنَّ علىَّ السن من ندم   إذا تذكَّرت يومًا بعض أخلاقى

إن جفاء حضرة السيد قد أثر بشدة لدرجة أن السيد العزيز قد علم فى خراسان أنه قد نسينى تمامًا ولم يكلف خاطره بأن يكتب رسالة ترفع عنى الكرب وتزيل عنى الحزن والهم من هذه الآلام المتواترة والهموم المتكاثرة، أو أنه كتبها ولكن لم تقتض مصلحة المُلك فى طهران أن يبعث الرسالة. لقد انعدمت المروءة وضاع الوفاء، ماذا حدث بالضبط؟ ليحفظ الله الوجود السعيد لحضرة جلالة الملك روحنا فداه، لقد امتزجت طينة السلاطين القاجاريين بالماء الشريف فتجاوزوا زلة العبيد وعثرة الخدم.

ويعفو عن الذنب العظيم تكرمًا   ويصفح عن قول الخنا متكبرًا

وأنا الحمد لله تعالى لا صدرت منى خيانة فى حق الدولة ولا جريمة فى حق الشعب ولم أخسر لا فلس فى قمار ولا عرس فى خمار. يقول المنوتشهرى:

لقد حسدنى الحساد وأنا وحيد هكذا

فأنصف المظلومين يا عز أمير المؤمنين

يقول حاسدى لماذا تكون أنت فى بلاط الملك

يا له من بغض علنى، يا له من تزوير حقيقى!

وقال مولى المتقين سلام الله عليه: أستغفرُ الله عنى كل الذنوب والآثام. وعلى الرغم من كل هذه الأحوال فإن عين الأمل مفتوحة وتنتظر البشرى- وكل ما يقع علىَّ أنا به راض وشاكر لئن شكرتم لأزيدنكم- لو أن الملك رفيع الشأن، روحنا فداه، قد أعطى بالفرض "طالقان" لأحد الطلقاء، وهو فى حالة السخط فماذا سيفعل فى حالة الرضا؟

هذه نارك، فكيف كان نورك؟

هذا مأتمك، فكيف كان فرحك؟

- وإنَّ أمير المؤمنين وفعله لكالدهر، لا عار بما فعل الدهر

فيعطوا للمحبين جرعة السم وضربة القهر.

- كان من الأحسن لو ظهر محك التجريب

كى يفتضح كل من كان يضمر الغش

الشكر لله فإننا جميعًا قد كبرنا فى روضة إقبال هذه الدولة وامتدت فروعنا وصارت لنا ثمار، ولو أنهم يقدمون الخدمة من أجل الثمر فهم

محمودون ومشكورون، ولو يقتلعوه من جذوره فهم مغفورون ومعــذورون، لقد تيقنت الآن أن البلاء للولاء لأن عالم السرائر عالم وخبير.

لم أحسد أبدًا على منصب ومال

وقمت بحفظ الناموس ورعايةالقاموس (صاحب السر)

واحترمت نفسي في السر والعلن، وذلك أيضًا لم تسمح به السماء

- ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن[١]

كان في الخاطر أن أعرض عدة أبيات من شعر المقنع الكندى مصداقًا لحالي، وهي في الحقيقة تعبر بشكل جيد:

وإن الذى بينــي وبين بنــي أبى وبين بنــي عــمى لمــختلف جــدًا

فإن ياكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن يهدموا مجــدى بنيت لهم مجدًا

وإن ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وإن هم هووا أعنى هويت لهم رشدًا

وإن زجروا طيرًا بنحس تمر بى زجــرت لهــم طيرًا تمر بهم سعدًا

وعمومًا فإن الجو البارد والقلب المهموم في الليل الطويل بلا أنيس أو جليس يدفع الإنسان لكتابة هذه الترهات، أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها، إن شاء الله وعين الرضا عن كل عيب كليلة، وإن كنت قد تجرأت فإنك ستعذرني.

ومتاع هذه الولاية في هذا الوقت البارد هو البرد ثم البَرَد ليلاً ونهارًا وكل ما في طهران هو كلام وهنا الثلج، ويوجد أيضًا طائر القطــا ولكننــي رجل عمل ولست صيادًا فلا الصقر في يدى ولا البندقية على كتفــي، مــرة

(١) شعر المتنبي.

ثانية الكتاب، والكتاب مرة ثانية حتى نرى ماذا سيكون حاصل هذه المنمقات الأدبية والخزعبلات العربية!...

وكتب فى رسالة لمعاون الملك عندما أُوفد إلى أذربايجان كسفير فى رمضان ١٢٨٢ هـ.ق من أجل مراجعة حسابات ميرزا عبد الله خان نائب الوزارة، وأعمال ساعد الملك ميرزا قهرمان المستشار العسكرى:

مقرب الخاقان معاون الملك، هكذا سافرت سريعًا وبهدوء دون أن تودعنا، فقد علا شأنك لدرجة أنك نسيت حتى إرسال بطاقة، والحق معك فالذى يُكلف بمهمة كهذه ويُسر بنعمة كهذه لن يتذكر أحدًا بالتأكيد.

الإقبال هو أن يحقق القلب منيته دون دماء

وإلا ما كانت كل هذه الجنان بالسعى والعمل

وأنت تجلس الآن فى صدر الإيوان كالبدر المنير وتقرأ أحيانًا إذا جاء نصر الله[1] وتتلو رب اغفر لى وهب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعد إنك أنت الوهاب [2]، من الذى يتشاجر معك؟ كل من استعمل القوة مع الساعد الفولاذى أتعب ساعده الفضى[3]، ولو كان قهرمان [بطل] الماء والطين[4]، وفى الحقيقة كما أن الإياب من أذربايجان مهم فإن الذهاب كان ضروريًا بالقدر نفسه خاصة على حصان صاحب البريد، فشاع فى المدينة أن البلاء

---

(١) إشارة لميرزا نصر الله.

(٢) سورة ص، الآية ٣٤ كلمة الوهاب إشارة لميرزا عبد الوهاب خان وزير خارجية أذربايجان.

(٣) إشارة لساعد الملك.

(٤) إشارة لميرزا قهرمان.

الآخر قد حل مثل القضاء الإلهى ونزل فى تلك المحيط اللامتناهى وأخذ كل شخص يفكر ويخطط كيف يقوم فى تلك الحضرة بتقديم الخدمة وتسليم النعمة والهروب من المسئولية وطلب الألفة وإعداد الضيافة ليلاً والملاطفة نهـارًا، والبعض ممن بعد طريقهم يدعونك للطعام، ويسعدونك بالكيس الثمين، وقـد سقط قوَّاد الجيش فى الدهشة وحكام الدولة فى الخوف وتساءلوا من الـسبب فى هذا الأمر ومتى ستنتهى هذه الزيارة! والعملات الذهبية والصرر العديدة تأتى من أطراف المملكة وأكناف الولاية وتُحمل إلى الحضرة وتُسلم بلا منّة سرًا وجهرًا بلا دليل أو برهان، ولم يعد فى صحن المنـزل مكـان للـشاى والسكر، ولا أعلم هل سيكون لنا نصيب فى واحدة من تلك الـسجاجيد ذات الأشكال الغريبة، والجمال الأصيلة أم أنها ستكون كلها جزءًا من الـصناديق والحقائب المغلقة؟! مصونة من أكف اللامسينا، ومهما يكن فإنك سـتعود إن شاء الله مقضى المرام ومكفى المهام، ولو كانت هديتنا حتى العـشب فإنهـا مقبولة منك، إنه وقت السحور، والباقى كثير على شرب التريـاك ومـدفع الإمساك، فقد تذكرتك وأنهيت هذه الصفحة بالقلم المكسور فاليوم أنـت فـى عرش القلب فالقدرة لك. اللهم إنى أسألك ببهائك كله. إنه بعد عودتك إن شاء الله تلقى تحقيقاتك فى شئون الملك وتوصياتك الشخصية رضا الملك! وكمـا يقول المنوتشـهرى:

ارع، فليكن العرش العنبرى هو مرعاك! وامرح

فليكـن العـرش الحـديدى هـو مفـاصـلك!

أزعجتك كثيرًا ولكنك تعلم أن ميدان الكلام كان فسيحًا والقلـم كـان صريحًا، وعليك أن تشكر التعب والنوم فقد سلبا منى الإرادة فاكتفيت بهـذا القدر.

ومن (سفر نامـــهٔ مكه) "كتاب السفر إلى مكة"

كتب هذه السطور بعد اشتراكه فى حفل الســمر الذى أُقيم على شرفه فى السفارة الإيرانية بإسطنبول:

....وبعد أمور الاحتيال، بدأ الحفل ورقصت السيدات والرجـــال وأدوا خمسة أنواع من الرقصات، وهؤلاء الرجال قد أتعبوا تلك السيدات فكل مـــن كان يمد يده كانت السيدة المسكينة تضطر للقيام والرقص معه، وقد اقتربـــت من سيدة وقالت بالفرنسية لميرزا جواد خان النائب الأول للسفير: إذا لم تكن فيها إساءة للأدب أريد أن أمد يدى وأرقص مع الأمــــير، فقلـــت لميـــرزا جـــواد، قل لها إنه حجر شديد النتوء وغير أملس ولن يتحرك من مكانه وإن أمسكت يدك الرقيقة هذا الحجر فسوف تتألمين، فضحك بشدة وقالت عـــذرًا وذهبت، وسألت ميرزا جواد خان فقال إنها مستشارة سفارة النمـــسا وهـــى امرأة ذكية جدًا، وفى الحقيقة فهو عالم غريب، فأهل أوروبا لا يستقبحون أن تتزين المرأة بأنواع الحلى فى رقبتها وعلى صدرها وتمسك بيـــد الرجـــال الأجانب ويمسك كل منهما بخصر الآخر ويقومان بالرقص وتبادل المشاعر فى محفل يضم آلاف البشر، صدق الله العلى العظيم" كل حزب بمـــا لـــديهم فرحون"[١]، وسوف تنتشر هذه العادات قريبًا بين العثمانيين بل وفى أقـــرب وقت، وستصل أيضًا إلى أهل إيران ولكن متأخرة قليلاً، وقد قلنا لمحة حول هذا الأمر وكفى، وكان بين النساء اللائى كن يرقصن امرأة يهودية وابنتهـــا وكانت الابنة تلبس سلسلة فضة فى خصرها وكانت تجيد الرقص أكثر مـــن نساء أوروبا، فقال لى ناظم أفندى الذى عمل سنوات فى طهران نائبًا للسفير

---

(١) سورة الروم، الآية ٣٢، والمؤمنون، الآية ٥٣.

إنها يهودية هذه التى ترقص، فقلتُ: مع كل هذا التشدد فى الـدين اليهـودى ويسمحوا بهذه الأمور المخالفة للشريعة من كشف الرؤوس والصدور فقـال لقد أصبحوا هم أيضًا الآن متحضرين وستصبح كل البلاد متحضرة قريبًا، لن يبقى من عمرنا شيء ولكن سيعلم القادمون أن ما قد قيل هو الحق، وسـوف تسير النساء فى إيران بل فى كل آسيا فى الأزقة والأسواق بوجه مكشوف.

ولم يبق من الإسلام إلا اسمه ودرس رسمه، وستصبح الصلاة والصوم والحج عمل السفهاء والمجانين.

- الزمن يضحك والسماء تبكى   على طاعتنا وعلى صلاتنا وعلى صيامنا

وسيحتفظون فقط بالعقد والنكاح من باب الشهرة والتظاهر بالـصلاح والأطفال الذين فرغوا لتوهم من الرضاعة سيتجهون لتعلم اللغـة الفرنـسية وستُلغى قراءة القرآن بحيث لو أراد أحد أن يتعلم القرآن فعليه أن يذهب إلى الحجاز و المدينة، ومثل هذا الأمر يظهر فيما يبدو مـن الآثـار الـسماوية والأسباب الأرضية حتى نرى ماذا سيظهر من حجاب الغيب وكيف ستكون مشيئة مالك الملك الحقيقى!... سنة ١٢٩٢ الموافقة لسنة ١٨٧٥م.

٤- حسنعلى خان:

استخدم حسنعلى خان أيضًا فى كتاباته أسلوب قائممقام ومال أكثر منه إلى الأسلوب البسيط فى الكتابة، وحسنعلى خان أمير نظام من قبيلة كبودوند، ولد سنة ١٢٣٦ هـ.ق فى قصبة بيجار إحدى ملحقات جروس، وقـد كـان أجداده كابر عن كابر رؤساء القبيلة وحكـام ولايـة جـروس أو أصـحاب

مناصب أساسية أخرى.(١)

وقد واصل تعليمه حتى سن الثامنة عشرة وتعلم الفارسية والعربية والتاريخ والأدب بصورة جيدة ووصل إلى مكانة رفيعة فى الإنشاء وحسن الخط. وقطع فى الفترة من سنة ١٢٥٣ إلى سنة ١٢٧٥ هـ.ق مراحل الوظائف الحكومية المختلفة، فقد عمل قائدًا لجيش جروس وكذلك رئيس حرس الديوان وقلعة تبريز وتولى حراسة أمن كرمانشاهان وخراسان وحراسة البيوت والعمارات السلطانية بطهران وشارك فى دفع فتنة محمد حسن خان سالار فى خراسان والقضاء على الثورة البابية فى زنجان ومعركة قلعة هراة.

وفى سنة ١٢٧٥ هـ.ق عُين فى منصب الوزير الإيرانى المفوض فى البلاطين الفرنسى والإنجليزى وسافر إلى أوروبا مع أعضاء السفارة واثنين وأربعين من أولاد الأعيان والذين سافروا إلى باريس ولندن للدراسة، وأقام فى باريس سبع سنوات، وقد تعلم فى هذه المدة اللغة الفرنسية وسافر إلى حكومات لندن وتورينو وبرلين وبروكسل وقام بتوصيل رسائل وهدايا ناصر الدين شاه، وحصل على معلومات عن النظام الإدارى والسياسى ومظاهر الحضارة فى هذه الدول.

---

(١) حكم أبوه محمد صادق خان جروس لمدة تسعة عشر عامًا، وكان جده نجفقلى خان حاكما لآردبيل وأميرًا لأمراء تبريز فى عهد فتحعلى شاه، وكان أحد قواد جيش عباس ميرزا نائب السلطنة فى الحرب الإيرانية الروسية الأولى (١٢٢٤هـ.ق)، وحكم جده الثالث محمد أمين خان كرمان فى عهد كريم خان الزندى، وكان جده الرابع حسنعلى خان حاجب بلاط نادر أما جده الخامس لطفعلى خان فقد كان حاكمًا لقم وخلج•ستان فى عهد الشاه حسين الصفوى.

وفى أواخر عام ١٢٨٢ هـ.ق حضر إلى طهران، وبعد عام واحد عاد مرة ثانية إلى باريس وهو فى المنصب نفسه، لكن ساءت صحته هذه المرة وأحضر إلى طهران فى أواخر عام ١٢٨٣ هـ.ق وصار واحدًا من وزراء دار الشورى.

وفى محرم سنة ١٢٨٨ هـ.ق عين سفيرًا لإيران فى اسطنبول ثم عاد إلى طهران بعد عام واحد وبضعة أشهر فى أواخر سنة ١٢٨٩ هـ.ق وحصل على رتبة أمير التومان [التومان فرقة مكونة من عشرة آلاف جندى] ووزير الطرق.

وقد لازم حسنعلى خان الركاب فى زيارة ناصر الدين شاه الأولى لأوروبا (سنة ١٢٩٠ هـ.ق) وبعد عودته وفى عام ١٢٩٧ هـ.ق كلف بمهمة ساوجبلاغ مكرى (مهاباد الحالية) من أجل دفع فتنة الشيخ عبيد الله وحكم لفترة فى ساوجبلاغ وصاين قلعة وارومية وخوى وجروس وظل يدير هذه الولايات الخمس بلقب الحاكم العسكرى.

وبعد ذلك عُين مساعدًا لولى العهد ورئيسًا للجيش الأذربايجانى وتشرف بلقب أمير نظام وسافر إلى تبريز وظل سبع سنوات فى هذا المنصب، وفى عام ١٣٠٩ هـ.ق حدثت أزمة احتكار التبغ والدخان واحتج الشعب على الحكومة فى تبريز أيضًا مثل كافة المدن الإيرانية، فأصدر الشاه أوامره لأمير نظام تلغرافيا بأن يطلق النار على الثوار، ولمّا امتنع هو عن هذا الأمر اتُهم بالتحالف مع الثوار واستدعى إلى طهران وظل عاطلاً فى طهران لمدة شهرين حتى عُهد إليه بحكومة كردستان وكرمانشاهان، وبعد ذلك انضمت إلى منطقة حكمه أيضًا هُمدان وملاير ونهاوند وتويسركان.

وبعد قتل ناصر الدين شاه أغلق عليه ميرزا على أصغر خان أمين السلطان طريق الترقى وجعله بعيدًا على هذا النحو عن العاصمة فى حكومة الولايات الغربية نفسها، لكن بعد عزل أمين السلطان قام ميرزا على خان أمين الدولة الذى كان قد تم استدعائه من منصب مساعد حاكم أذربايجان وعُين وزيرًا، قام بإرسال أمير نظام مرة أخرى عند محمد على ميرزا ليكون مساعد حاكم أذربايجان بدلاً منه، لكن لم تدم هذه المهمة أكثر من عامين لأن ولى العهد وحاشيته قاموا بإثارة أوباش تبريز ضده، فاستقال من منصبه هذا فى ذى القعدة سنة ١٣١٦ هـ.ق نظرًا لسوء الأوضاع وكبر السن، وحضر إلى طهران عبر طريق القفقاز والتركستان، وفى أوائل عام ١٣١٧ هـ.ق عُين حاكمًا على كرمان وحدث فى هذا السفر أن توفى فى الخامس من رمضان من العام نفسه.

ويعد أمير نظام واحدًا من رجال العصر القاجارى الكبار الأكفاء والذى قدَّم خدمات جليلة طيلة ٦٤ عامًا بمنتهى العفة والصدق والإخلاص والكفاءة وخلال فترة خدمته الطويلة، لم يخش من قول الحقيقة، وحتى الشاه وولى العهد أيضًا كانا يعملان له حساب.

بعد سنوات من موت أمير كبير، يكتب ناصر الدين شاه- الرجل الذى كان هو نفسه من حكم بقتله- لابنه مظفر الدين ميرزا ولى العهد يوصيه على حسنعلى خان "أعلم قدر الخادم الصالح فإننى بعد الأمير أردت نحت إنسان من الخشب فلم أستطع".

ويقول كورزن بشأنه: "إن حسنعلى خان أمير نظام الجروسى الذى شغل لفترة منصب الوزير الإيرانى المفوض فى فرنسا وأقام فترة أيضًا فى لندن يتحدث اللغة الفرنسية بطلاقة وتغلب على أفكاره الأفكار التقدمية

والغربية، وهو شخص قوى الإرادة وذو عزيمة، وفى فترة عمله كمساعد لحاكم أذربايجان قضى تماماً على الفوضى الموجودة فى تلك الولاية، والخلاصة إنه أفضل الحكام المديرين الإيرانيين..."[1].

أما فيفريه طبيب ناصر الدين شاه والذى كان برفقته عند عودته من رحلته الثالثة إلى أوروبا ورأى حسنعلى خان فى تبريز فى صفر ١٣٠٧ هـ، فإنه يكتب فى تعريفه: "أمير نظام رجل مسن فى منتهى الذكاء والخبرة والعقل والكفاءة، ولهذا السبب يحظى بمكانة متميزة عند ولى العهد وكان سابقاً السفير الإيرانى المفوض فى باريس وعندما أبلغته بحالته وارتفاع درجة حرارته وأوضحت له عدم مناسبة مكان المعسكر وتحدثت معه عن الأمور العجيبة التى كنت قد رأيتها فى باريس إلى هنا، قال لى: لا يجب أن تتعجب من هذه الأمور البسيطة، إن شاء الله عندما تبقى فى هذه المملكة مدة أطول سترى عجائب أكثر"[2].

وكان أمير نظام رجلاً عالماً ومحبًا للعلم وأحد الكتَّاب الفصحاء والبلغاء وأصحاب الذوق وقد كان فنه العظيم فى بساطة الكتابة، وكتاباته تخلو من الخطأ والركاكة والصعوبة وتتميز بالجزالة والسلاسة التى توصلها إلى حد السهل الممتنع[3].

---

(١) كرزن، ايران وموضوع إيران، ج١، ص ٤٣١.

(٢) الدكتور فيفريه، سه سال دردربار ايران [ثلاث سنوات فى البلاط الإيرانى] ترجمة: عباس إقبال، ص ٦٨.

(٣) فى ١٢ شوال سنة ١٣٠٧ هـ.ق يكتب للملا عباس نامى "لم يكن ضرورياً إظهار الفصاحة ومعرفة العربية وعرض الموضوع بالسجع والقافية، ولو كان تم الأداء بدون تعقيد وبعبارات متداولة لكان يكفى هذا".

ومن بين أعمال أمير نظام التي ستظل تذكر باسمه طبع كتاب كليلة ودمنة، فقد صحح هذا الكتاب بناءً على إشارته الحاج وكيل اعتضاد الممالك ثم طبعه أمير نظام على نفقته بخط ميرزا باقر فخر الكتاب، كذلك قام ميرزا على آقا ثقة الإسلام بناءً على تشجيعه بترجمة رسالة بث الشكوى تأليف محمد بن عبد الجبار العتبي، وقد طبعها بعد وفاته ابنه سالار الملك في عام ١٣١٨ هـ.ق.

وفيما يلي نماذج من أسلوب إنشاء أمير نظام:

من رسالة الوعظ اليحيوية التي كتبها باسم يحيى خان: (١)

أرى أنه من الصواب أن أكتب لك عدة كلمات للذكرى على سبيل الوعظ حتى إذا ما أراد الله ووصلت إلى مقام الرشد والتمييز تعمل بنصيحة أبيك فتتمتع بعمرك وحياتك، وأول نصيحة لك مني إياك أن تقترب من الجماعة البعيدة عن الله وإياك أن تجالس الأراذل واللئام؛ فإن صحبة هذه الجماعة عاقبتها سيئة وستؤدي إلى فساد الدين والدنيا في فترة قصيرة ينبغي أن يكون جليسك كي يزيدك عقلاً وديناً، إذن احرص على ألا تقطع طريق العلم إلا مع الأشراف ووجّه همتك دائمًا للأعمال العظيمة والعميقة، وقِّ القلب على ذلك حتى تتطبع على ذلك ولا تميل إلى الدناءة والضعف.

---

(١) هذا الولد ذو الكفاءة والنجابة الذي كان مع جيش جروس في كرمان توفي هناك سنة ١٢٨٧ هـ.ق متأثرًا بالطاعون، ويكتب أمير نظام في رسالة لمدير عام العتبة الرضوية بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى: "لقد كان مقدَّرًا أن ابنًا تعبت وتألمت سنوات في تعليمه وتربيته يُصاب بطاعون كرمان وأُبتلى أنا المسكين في هذه السن المتأخرة بمثل هذه المصيبة التي تهدم أساس هذه الأسرة تمامًا وتطوى بساط المخلص فجأة".

اطلق يد الكرم قدر استطاعتك فإن الفقير الكريم أفضل من الغنى البخيل، وإياك وحذار من البخل والإمساك فإنه يجلب التعاسة والتشتت فى الدارين، ويجب ألا تضيع عطائك وإحسانك بإظهار المنَّة، كن حلو اللسان وحسن المقال، وحافظ دائمًا على آداب الكلام فحاول أن توجز وتختصر كى لا يمل المستمع من الإسهاب والتطويل وتشتهر أنت أيضًا بالثرثرة والتخريف، وتجنب استعمال الألفاظ الصعبة والعبارات المهجورة كى لا تصبح موضع سخرية الناس، ومع أن الهزل والفكاهة من خصائص الجهال إلا أن الغالب أن الناس يعتبرون الكلام البسيط مكْروهًا، إذن يجب أن تكون متبحرًا فى الكلام حتى تتحدث فى أى محفل بما يُناسب المقام ويتفق مع الطباع، ويجب عليك أن تبذل الجهد الكافى فى دراسة العلوم الأدبية وإذا لم يكن لك نصيب من العلوم فإياك أن تبادر بتقليد استعمال الألفاظ والأمثال العربية فإن استعمال الألفاظ الصعبة من لسان الجهلاء لا يتم بصورة صحيحة وبما أنه لا يتم بصورة صحيحة فإنه سيؤدى إلى السخرية والاستهزاء اجتهد فى حسن الخط فإن الزينة الظاهرة تجد انطباعًا جيدًا لا تتأخر فى الإقدام على العمل بعد ملاحظة جوانب الصلاح والفساد، ولا تؤجل عمل اليوم إلى الغد لو ظهر عدو حيثما تعلم أنه يطلب الصلح لا تبادر بمحاربته ومخاصمته، احرص على فض مجلس الحرب ولو تعلم أنك ستهدم العش، وإذا اضطررت للحرب فلا تؤخر الفعل لحظة واحدة، وعندما تعلم يقينًا أن العدو لم يطأطئ رأس الصلح والصداقة فلا تطرق أنت أيضًا باب الصلح ولا تتأخر فى القضاء عليه؛ فإن التأخير سيجعل العدو يتغلب عليك ويعرفه بخططك وتدابيرك، مثلما هو حال القلعة المتمردة: لو تأخر الاستيلاء عليها بلا داع سيكون من الصعب فتحها وسيصاب الجيش بالإحباط والملل

وتزول الرهبة والخوف من قلب العدو، بالرغم من أنه من الخطأ بوجه عام العمل بدون واسطة وإرشاد وتوجيه العقل إلا انه لا يجب الانصياع للعقل طوال الوقت فى أثناء الحرب؛ لأن قوة العقل تدل الإنسان فى الغالب إلى طريق السلامة، ولمَّا تتغلب قوة العقل تسوق الإنسان إلى الضعف والجبن وعندما تكون ضعيفًا وجبانًا ستعجز بالطبع عن دفع العدو وتلقى الهزيمة حتمًا وتوصم نفسك بعار الفرار، والموت أفضل عند الرجال من الحياة بوصمة العار...

ومن كتابات أمير نظام الأخرى:

جعلت فداء لك، إن شاء الله سيكون وصول صاحب المقام الرفيع مباركًا علينا وسيرفع عنا التعب والهم، إن كل ما أنثره امتنانًا لقدوم صاحب المقام الرفيع يعد قليلاً فما الحال إذن مع هذا الشال المتواضع لقد وقعت حادثة عجيبة فى طريق سكة حديد الشاه عبد العظيم ومادام وضع شعبنا وأهالى مملكتنا هكذا، فلا يجب انتظار حدوث تحسن وتقدم فى الأمور، ففى ظل هذه الأوضاع وانتشار هذه الأخبار فى أية شركة ستمد سككنا الحديدية إلى المناطق الأخرى، وأى مسئول أجنبى سيشارك معنا فى إنشاء الطريق المرصوف من آواجيق[١] إلى قزوين. ٢٦ ربيع الأول ١٣٠٨ .

أخونا العزيز، لقد اعتاد الأمير المرحوم هادى خان على أنه كلما أراد أن يصف شيئًا بأنه جيد كان يقول "إنه عمل روجرز"[٢]، وكلما أراد أن ينسب العلم والفضل لشخص من باب السخرية والاستهزاء كان يقول عليه

---

(١) اسم قرية على الحدود الإيرانية التركية فى مركز ماكو (أذربايجان الغربية).

(٢) Rogers.

"إنه فاضلِ خان"[1]، والآن أنا لا أعلم ماذا حدث فأخونا فـــي كـــشف هـــذا الموضوع وحل هذه المشكلة قد ترك فاضل خان الحاضر والموجـــود بـــدار السلطنة وسألنى أنا!

لقد ظل القلب سنوات يطلب منا الكأس الجمشيدية

ويلتمس من الغريب ما كان عنده هو نفسه

لا شك أنه فى هذا الموضوع وفى كل ما يتعلق بمثل هذه الأمور عليك الرجوع إلى مولانا ممدوح أكابر الآفاق ومجمع مكارم الأخلاق. إن أحوالى سيئة منذ عدة أيام وقد كتبت هذا الموجز وأنا فى شدة الصداع فـــلا تتـــرك الجواب بلا جواب ٢٧ ربيع الآخر ١٣٠١ .

وقد كتب لميرزا عباس خان قوام الدولة:

جعلت فداء لك، مرة ثانية رفعت قلمك وهاجمتنى أنا المسكين هجومًـــا شديدًا.

سيدى ومولاى وزير الداخلية ووكيل شئون مملكة أذربايجان أو كمـــا يقول المرحوم مؤيد الدولة عندما كان يناجى أمير العسكر:

– أيها الملك، أيها القمر، أيها المحبوب، أيها المعشوق، أيها الربيع

إننى فى غاية الحيرة ولا أعلم ما اسمك!

فى ذلك الوقت الذى كنت فيه يا ميرزا عباس إنسانًا بسيطًا كنت أنـــا

---

(١) المقصود محمد فاضل خان الجروسى.

مخلصًا ومؤمنًا بحضرة السيد وكنت أراهن على وصـــوله إلـــى الـــوزارة والرئاسة، والآن وحضرة سيادة قوام الدولة وزير الداخلية ووكيل أذربايجان وكاتم أسرار السلطنة وكذا وكذا فإنك لو ادَّعيت الإلوهية سنقول لـــك آمنـــا وصدَّقنا! فأى أحمق الذى لا يعرف رفعة شـــأنكم أو العيـــاذ بـــالله ينظـــر للملازمين العاليين بعين التحقير، فذلك الشخص الذى كان متحيرًا ولم يعرف أيًا منًّا أنا وحضرة ناصر الملك وصاحب المقام الرفيع أعلى فى المرتبة كان شخصًا ساذجًا وغافلاً، فأين أنا وناصر الملك من صاحب المقام الرفيع؟ مـــا للتراب ورب الأرباب! أنت الصقر حاد المخالب ونحـــن طـــائر الـــصعوة الضعيف ! والله مكانتك أنت الأعلى ولم يكن هنـــاك داعٍ أيـــضًا لإرســـال اللائحة؛ لأنك أنت كبير مدربى صقور الصيد بلا نقاش، إن حظك العالى قد أصاب قليل الحيلة بالاضطراب والتشتت وإلا كان قد هجم من خراسان وجاء من أجل الوزارة، فهم يكتبون أشياء مضحكة على حركاته وسكناته ويجـــب الضحك، وعلى حد قول المرحوم هاديخان نحن الهدف الأساسى لأية حادثة، وإذا كان الخاتم لا يلقى قبول صاحب المقام الرفيع فمن الممكن تغييره ولـــم يكن ضروريًا أن يجذبنا تحت الركاب بتلك القوة، فرقعة حضرة السيد التـــى كانت لائحة عملى أنا نفسى قد عرضتها على حضرة الجناب العالى وقد فرح بها وضحك خاصة مما كتبه للسيد الفلانى، وكتب مرسومًا يشملكم بالرأفـــة والذى سوف يسلمه لكم حاجى محمد خـــان، وحـــول الاكتـــشافات الجديـــدة والبحث عن المناجم وإنشاء الطرق التى أُهملت رغم أننا أشرنا إلى أهميتها؛ لو كنتُ قد تقاعصت عنها ما كانت مملكتك أذربايجان بهذا الاستقرار ومـــا كانت مدينة تبريز التى كانت وكرًا للمتمردين والأشرار بهذا الأمن أو كمـــا

يقول العوام لم يكن الماء يتحرك من النهر، ويعد البحث عن المناجم وإنشاء الطرق والاكتشافات الجديدة من هذه الأشياء أيضًا التى قد قلتها وكتبتها ألف مرة وتم تبادل الاتفاقيات ولكن دون جدوى، إذن ماذا أقول وماذا أكتب! فالاكتشافات الجديدة ستؤدى إلى زيادة النفقات فى حين أننى لكى أعرض النفقات اللازمة يجب أن أضع فى اعتبارى ألف ملحوظة وأن ترتعش يدى، إذن فمن الأفضل ألا تتوقع منى إطلاق العنان وأن تكتفى بأن أمسك بمقدمة السرج لأن الذهاب والوصول إلى المنزل بهدوء وببطء أفضل من الهجوم والانكباب على الوجه وما كنت قد قلته إننى آكل كل أذربايجان ولا أرمى لقمة منها فى فم صاحب المقام الرفيع، فأنا أعلم أنه يجب إغلاق فم صاحب المقام الرفيع، لكن بحق الولاية المطلقة لعلى عليه السلام فإننى قد احترق فمى ولم أشرب الحساء، ولو بالفرض لم يحدث هذا وأنا آكل أذربايجان بالفعل فإن صاحب المقام الرفيع يبتلع كل إيران، فيتركنى آكل كل أذربايجان فأنا أيضًا تلميذ مدرسته، فماذا يريد منى إذًا؟

أيها السيد المعظم، كنت قبل هذا قد رأيت فى الحديث النبوى أن الفقر هو الموت الأكبر، ولم أكن أعرف معناه حتى الآن حيث اتضحت لى العبارة وعُرفت الرواية فى هذين العامين اللذين أمضيتهما فى طهران، ففى هذين العامين كنت فى حضرة هذا الموت وعانيت من سكراته، لكن لم يحن الأجل بعد، والحركة لم تتحول إلى سكون، ومهما سعيت ومهما بُذلت المساعى وتمزقت الأحذية فلم ولن تكون هناك أية فائدة، وكم من قطع وكتابات تمت بصورة جيدة ولكن لم تسقط نقطة زيت فى المصباح ولا جرعة خمر فى الكأس ، فالعمل فى طهران بالرشوة والدلال وأنا لا أملك المال للرشوة، ولا

الجمال للدلال، وواالله المتعال أنا قد استسلمت للموت ولكن الموت يجـافينى ولا يأتى عندى.

من حظ المتشائم أنه يجب عليه أيضًا أن يتحمل دلال الأجل! وإيجـار المنزل وراتب الخادم المجنون من الالتزامات العاجلـة، فهـى لا ترضـى بالقضاء ولا تؤجل اليوم للغد، فلا محيص من هذا وذاك، لقد أصـبح مـاء الوجه كماء النهر وأضحت الوجوه أكثر صلابة من الحجر وبهذا النظام يجب تحمل الجوع والصبر على الضيق والشدة، إن أفضل صديق لى هـو مـن يكتب على حجر تربتى هذا الرباعى عندما استريح إن شاء الله مـن النـاس والعذاب:

- يا من أنت ميت نتيجة العذاب والبؤس

لقد مت من الهجر فى عز الوُصال

- وذهب إلى التراب عطشان مع كل هذا الماء

ومت من الفقر وأنت أمام الكنز

كنت قد اشتكيت من بلدك إيران وانتقدتها بأسلوب الكناية، والحق مـع حضرة الجناب العالى، فأنا نفسى أيضًا عندما كنت أرى هذه المملكة الخربة فى المنام فى أثناء توقفى فى اسطنبول، كنت أستيقظ وأنا فى شـدة الفـزع والاضطراب وكنت أشكر الله كثيرًا على أنه كان حلمًا، لكنى بعد أن جئـت إلى إيران تحملت الجوع بحيث كنت أرى رغيف الخبز الحاف مائدة سماوية، وتحملت الأرق لدرجة أن الحجر الصلد كان يبدو فى نظرى خزًا وديباجًـا، ورأيت الظلم من المسئولين حتى أننى اعتبرت تلقى مائة عصا بدون وجـه

حق ودفع غرامة قدرها مائة تومان بسبب الذنب، اعتبرته الحكم الداوودى، ورأيت من العلماء أشياء منها أن فتوى قتل المظلوم هو حكم القرآن ونص الحديث، وسمعت من الواعظين والذاكرين الأكاذيب فآمنت بالعنقاء والإكسير، ولاحظت من التجار الخلاف والنزاع الشديد لدرجة أننى لجأت إلى مصادقة الشاة والذئب... وحياتك الغالية، عندما تدخل هذه المملكة صاحبة الأربعة آلاف أو الخمسة آلاف سنة ستهيأ العوامل بحيث تصبح غافلاً عن نفسك وتنسى مظاهر المدنية وكأنه ليس هناك تقدم لا فى العالم ولا فى الدولتين المتقدمتين فرنسا وإنجلترا، وستعيش مذهولاً وحائرًا فى الأزقة الخربة وكأنك أمام سور الشانزلزيه الصينى البالغ ذراعًا بباريس... اكتفى بهذا القدر فلا يكن عندك أى خوف وما عليك إلا أن تجمع احتياجاتك وتسلك طريق الصحراء الإيرانية، والصعوبة كلها فى ثلاثة أو أربعة شهور فقط وستصبح بعد ذلك واحدًا من المسئولين أو واحدًا من العلماء والواعظين والتجار والذاكرين.. يوم الأحد ٢٩ ربيع الأول ١٣١٢.

٥- نادر ميرزا:

كان من المفترض أن نتحدث عن تاريخ تبريز ومؤلفه العالم أبو محمد نادر ميرزا فى الجزء الخاص بالتاريخ والمؤرخين، لكن نظرًا لأن هذا الكتاب يقدّم معلومات مهمة عن تاريخ وجغرافية مدينة تبريز وكل ما يتعلق بهذه المدينة، علاوة على أنه يحتل مكانة أدبية كبيرة فى الأدب الفارسى القاجارى، لذلك رأينا أنه من المناسب أن نتناول ترجمته وكذلك أعماله فى هذا الجزء.

ونادر ميرزا القاجارى هو أحد علماء ومؤلفى العصر الناصرى، ولـد سنة ١٢٤٢ هـ.ق "يوم الجمعة آخر شهر الصيام بعد طلوع الشمس مضيئة العالم بساعة واحدة بمدينة استار آباد [1]، بالقصر الملكى الذى كان قد بناه الخاقان الشهيد محمد شاه[2] وكان أول مولود لوالديه".

وأبوه بديع الزمان ميرزا صاحب الاختيار، وجده محمد قلى ميرزا ملك آرا [مزين الملك]هو ثانى أولاد فتحعلى شاه القاجارى والذى حكم فى عهد أبيه مازندران واسترآباد وصحراء التركمان وكل ما كان على ساحل بحر الخزر (قزوين).

وقد أمضى نادر ميرزا فترة طفولته فى استر آباد وكان فى السابعة من عمره عندما توفى فتحعلى شاه فى أصفهان[3]، وقد انتقل بديع الزمان ميرزا إلى سارى عند أبيه الأمير ملك آرا وذهب من هناك إلى طهران.

وفى هذه الأثناء اعترض بعض الأمراء القاجاريين الذين سيطروا على حكم الولايات على سلطنة محمد ميرزا، وكان من بنيهم على ميرزا ظل السلطان والذى سمى نفسه عليشاه وضرب العملة باسمه وحكم أربعين يومًا بلقب الملك حتى وصل محمد شاه من تبريز إلى قزوين وحارب جنوده وهُزم ظل السلطان وتم اعتقاله وحبسه هو وأغلب أمراء وأبناء فتحعلى شاه وتعرض بعضهم للسمل. وقد حُبس بديع الزمان ميرزا صاحب الاختيار،

---

(١) استر آباد، جرجان الحالية.

(٢) آغا محمد خان القاجارى.

(٣) ١٩ جمادى الآخرة ١٢٥٠ هـ.ق.

والد صاحب الترجمة، هو الآخر مع الأمير المتمرد وسبعة آخـرين[1] مـن الأمراء في قلعة روبين (قلعة أردبيل التي كانت تُسمى فيما بعد بقلعة نارين) وقد استمر هذا الحبس حتى عام ١٢٥٤ هـ.ق أي حوالي أربعة أعوام.

وفي هذه الأثناء حضر نادر ميرزا إلى طهران مع أمه وأخ وأخت له وانشغل بالدراسة إلى أن ذهب إلى تبريز في عام ١٢٥٧ هـ.ق مـع ابنـي محمد شاه بعد حصوله على إذن محمد شاه لزيارة زوجته التي كـانوا قـد أحضروها مع أعمامها من أردبيل إلى تبريز وجعلوها محددة الإقامة، وكان نـادر ميـرزا آنـذاك في الخـامسة عشرة من عمره، فظل فـي تبريـز وتعلم على يـد المـلا مهر علي[2] أحـد أدبـاء وعـلماء تبريـز وآقـا

---

(١) كان هؤلاء السبعة أشخاص هم:

- حسينعلي ميرزا شجاع السلطنة الأخ الشقيق لحسينعلي ميرزا حاكم فارس.
- محمد تقي ميرزا حسام السلطنة جد نادر ميرزا من الأم.
- عليقلي ميرزا ركن الدولة.
- أماموردي ميرزا كشيكجي باشي، شقيق ركن الدولة.
- شيخعلي ميرزا، حاكم ملاير وتوسيركان.
- محمود ميرزا، حاكم نهاوند.
- محمد حسين ميرزا حشمت الدولة، وقد ظل هؤلاء التسعة في قلعة أردبيل حتى هرب ظل السلطان وركن الدولة وكشيكجي باشي ولجئوا إلى روسيا وأحضروا الستة الآخرين إلى تبريز ووضعوهم تحت الحراسة.

(٢) الملا مهر علي زنوزي المتخلص بفدوي، ولد فيما يبدو في خوي سنة ١١٨٢ هـ.ق وكان يعيش حياة فقيرة في تبريز في بداية أمر الملوك القاجاريين وفترة ولاية عهـد عباس ميرزا نائب السلطنة، وكان ينظم الشعر باللغة الفارسية والعربيـة والتركيـة، وأشعاره العربية التي كانت معروفة جدًا وتترد على الألسنة لم تكن لطيفـة وشـعره

ميرزا أحمد مجتهد[1] وولديه ميرزا لطفعلى إمام الجمعة وميـرزا جعفـر، والملا محمود الطسوجى[2]، تعلم الفارسية والعربية وآداب هاتين اللغتين.

ويكتب صاحب الترجمة بقلمه فى تاريخ تبريز: "... وكانـت الحالـة العلمية تتمثل فى تتمثل فى أن كتب الأدب فى ذلك العـصر كانـت نـادرة وغالية لأن فن الطباعة الذى لا مثيل له لم يكن قد انتشر بعد فى إيران فهذا العمل كانت تقوم به مطبعة أو اثنتين، وكانت تقتصر على نشر القرآن الكريم وزاد المعاد وكتب الأخبار، وأنا كنت قد سمعت اسم القاموس والصحاح وقد حصلنا على نسخة متهالكة من كتاب كنز اللغة، وإذا ظلت عندى يومًا يأخذها صاحبها شهرًا، على الرغم من ذلك فقد كان شوقى لتعلم الأدب مـن الـشدة بحيث عندما كان ميرزا أحمد يركب مع أولاده ويتحركون معًا من المـسكن كنت ألازم ركابهم لعلى أنتفع بشعر أو مسألة، وكان إمام الجمعة رحمـة الله

الفارسى متوسط، أما أشعاره التركية فهى بمثابة الشعر الحقيقى له ، وكان يمزج فى بعضها أجمل المعانى بأدق الحقائق الفلسفية، وهى تعد من أرق النماذج الأدبية فـى هذا العصر، وفرهاد ميرزا يذكره باسم "زنده بوشى" [الدرويش] أمـا نـادر ميـرزا والذى لحق به فى فترة الشيخوخة وتتلمذ على يديه فقد كان يسميه "أديـب الإنـشاء القديم" وقد توفى الملا مهر على سنة ١٢٦٢ هــق فى تبريز وكان عند وفاته فـى الثمانين من عمره.

(١) ميرزا أحمد المجتهد المشهور فى تبريز وهو الجد الأعلى للأسرة المجتهدية الذى قد وردت ترجمة أحواله هو وأولاده بالتفصيل فى كتاب شهداء الفضيلة وتـاريخ نـادر ميرزا وقد حدثت وفاته فى تبريز سنة ١٢٦٥ هــق .

(٢) المعروف بالملا باشى وهو من أساتذة اللغة والشعر وقد عمل معلمًا لمظفـر الـدين ميرزا ولى العهد ، وتوفى سنة ١٢٩٥ هــق.

عليه قد أعجب بذهنى وذوقى، وقد قال يومًا لوالدى قائد الجند إن هذا الشاب لديه موهبة عظيمة ومن الظلم والحرام أن يتعلم هكذا بدون قاعدة، ينبغى أن يقوم أستاذ مربى بتربيته وتعليمه العلوم الأدبية بقوانينها، فقال قائد الجند: كل من يجد القبول من الطلاب خصصوا له راتبًا وأرسلوه، فقام ذلك العظيم بذكر اسم شاب من أهل طسوج كان يدعى محمود، فحضر وخصصت له خمسة تومانات من أجل معيشته ولم يكن هذا الراتب يُعطى لأى معلم فى ذلك الوقت....".

وعلى هذا النحو استعد لتعلم الأدب عند هذا الشخص الذى "لم يكن فى ذلك العصر معلم عاقل وعالم مثله، وكان يتمتع بذهن صاف وخاطر وقاد" وبعد أن فرغ من الدراسة سافر مع أمه وأخته إلى العراق من أجل زيارة البقاع المقدسة وحضر من هناك إلى طهران وبعد تمديد فرمان والده بخصوص الراتب عاد إلى أذربايجان سنة ١٢٦٤ أو ١٢٦٥ هـ.ق[1]. وتعهد بالشئون الحكومية وهو فى سن الخامسة والعشرين وصار من مقربى البلاط فى خدمة مظفر الدين ميرزا ولى العهد، وتولى لعدة سنوات الحكم والإشراف على تحصيل الأموال الحكومية إلى أن جاء عام ١٢٩٨ هـ.ق الذى تولى

---

(١) أقوال صاحب الترجمة فى هذا الموضوع متضاربة والظاهر أنه كان هو نفسه مترددًا فى ذكر التاريخ الصحيح لهذا السفر والعودة إلى طهران: فى أول دولة الشاهنشاه عدنا إلى أذربايجان وكان ذلك فى سنة ١٢٦٤ (تاريخ تبريز، ص ٣٠٣)– فى سنة ١٢٦٥ حيث قمت بزيارة أئمة العراق العربى عليهم السلام، وصلت إلى همدان .... (المصدر نفسه ، ٣٧)– فى سنة ألف ومائتين وستين وبضع سنوات ثم انتقلت من زيارة مشهد أمير المؤمنين والحسين سيد الشهداء وسائر الأئمة عليهم الصلاة والسلام إلى بلاط الخلافة بناءً على فرمان قائد الجند أبى (المصدر نفسه، ١٨٧).

فيه محمد رحيم خان نسقجى باشى [رئيس الجلادين] حكومة آذربايجان والقيادة العسكرية حيث تم اعتقال نادر ميرزا الذى كان مسئولاً عن مخزن الغلة وتحصيل الأموال الحكومية، وقد صودرت أمواله وأملاكه .

وقد ذكر صاحب الترجمة هذه الحادثة المريرة فى عدة مواضع فى كتاب تاريخ تبريز وكتب شرحها أيضًا بالتفصيل بخطه فى ظهر مخطوطة تهذيب إصلاح المنطق(١) ونظرًا لأن هذا الشرح يوضح بقية حياته وكذلك يُعد نموذجًا لأسلوب إنشائه فإننا سنعرض جزءًا منه:

...أنا نادر بن بديع الزمان ميرزا الملقب بصاحب الاختيار، يصل نسبى إلى فتحعلى شاه الجد الأول، وإلى نادر شاه الافشارى الجد الثالث وإلى السلطان حسين الصفوى الجد الخامس(٢)، وقد ظل أبى ثلاثين سنة كاملة حاكمًا على إستر آباد وصحراء القبجاق وأمير أمراء جميع أفراد الحشم التركمان، وقد شاء المولى عز وجل أن استوطن فى تبريز بعد وفاة جدى فتحعلى شاه، وبعد أن تجاوز عمرى الخامسة والعشرين عملت بالوظائف الديوانية وحتى الآن ونحن فى الخامس من ذى الحجة سنة ١٢٩٩ هـ.ق

---

(١) كتاب "إصلاح المنطق" تأليف ابن سكيت (أبو يوسف يعقوب بن إسحق الخوزى الأهوازى)، نديم المتوكل الخليفة العباسى ومعلم أبنائه والمتوفى عام ٢٤٤ هـ.ق والذى قد شرحه الخطيب التبريزى (أبو زكريا يحيى بن على الشيبانى المتوفى عام ٥٠٢ هـ.ق) وسماه "تهذيب إصلاح المنطق".

(٢) وفى موضع آخر: وأبى قائد الجند له أم تدعى شاهزنان بنت شاهرخشاه بن رضا قلى ميرزا بن نادر شاه الملك الإيرانى الشهير القاهر وأمها فاطمة بنت الملك الشهيد السلطان حسين الصفوى الموسوى، وأنا أتباهى بهذا النسب إذ إن نسبى يصل إلى رسول الله (تاريخ تبريز، ص ٢٩٨).

سنة ١٨٨٢ م وعمري بلغ السابعة والخمسين عملت طيلة السنوات حاكمًا إما بالمشاركة أو بالتبعية وعهد إليَّ بأكثر الوظائف الديوانية الصعبة، حتى بداية سنة ئيلان ئيل ١٢٩٨ هـ.ق [سنة الحية، السنة السادسة من التقويم التركي الشرقي] حيث إنه لسبب يطول شرحه تولى محمد رحيم خان نسقجي باشي الذي كان قد ترقى بضع سنوات إلى مدارج الاعتبار في حضرة الملك الحاكم وحصل بدون استحقاق على لقب علاء الدولة ووزارة البلاط ومنصب رئيس الحرس ورتبة رئيس الغلمان وغيرها من المناصب، تولى حكومة أذربايجان وقيادة العسكر، وكنت قد عملت حاكمًا على تبريز ورئيسًا للمخازن، على الرغم من أنني قد علمت لدى وصولي أن هذا الفظ الغليظ لن يكون هو الشخص الذي يمكن التوافق معه، وكنت أعرف أنه لم يكن مؤمنًا بالإسلام ولم يكن يصلي أو يصوم قط، وكانت قسوة قلبه ذائعة الصيت في الآفاق، ولكن نظرًا لأنني كنت قد تورطت وانزلقت قدمي في العمل فإنني لم أستطع الاستقالة... كل ما حدث لي، كان هو اللعنة عليَّ والتي ماثلت حادثة كربلاء، مع الفارق[1]، وكل ما كنت قد جمعته في هذه السبعة وعشرين عامًا من الأموال النقدية والمتاع والأثاث والكتب والأسلحة تعرض للسلب والنهب ولم يكن قد بقي شيء لكفني لولا أن أخذ بيدي ثمرة رسول الله صلى الله عليه

---

(١) ويقول في موضع: واتجهت إلى الوظيفة الحكومية، منذ سن الخامسة والعشرين وقد مارست كل الوظائف الصغيرة والكبيرة وكان الله عز وجُل قد شاء ألا أفعل السيئة قط، فقد أخذت الخراج وساهمت في بناء المملكة وظلت الرعية سعيدة وراضية وكل هذا ضاع هباءً سنة ١٢٩٩ وعندما قيدوني مثل السفاحين لم يسأل أحد ما ذنب هذا الشيخ، (تاريخ تبريز، ص٧٦).

وسلم الحاج ميرزا كاظم وكيل آذربايجان.. [١] ومن بين أملاكى التى نهبوها مائتا كتاب من الكتب القيمة لم تكن توجد نسخ لها ولأن هذه النسخة[٢] كانت سيئة الخط ومن الصعب فهمها فقد بقيت..

واليوم عصر الثلاثاء الثامن من صفر سنة ١٣٠٢ هـ تم بحمد الله مطالعة هذه الأوراق وبفضل الله تعالى وعون أئمة الهدى سلام الله عليهم نظر الأمير السعيد وارث التاج والعرش مظفر الدين ميرزا ولى عهد الدولة الإيرانية إلىّ أنا الغلام المسن بعين الرأفة والرحمة فعلا شأنى أول الأمر بمنصب ولقب كبير الندماء، ثم تشرفت بعد ذلك بالخطابة فى المراسم العامة، وبعد ذلك وفى السابع والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٣٠١هـ صرت حاكم المدينة ومراقب السوق وزاد راتبى مائتى تومان أطال الله العظيم عمر هذا الظل لظل الله وزاده حشمة وجلالاً.

حرره نادر. ونادر ميرزا الذى "كان من بين نخبة العصر انتقل إلى رحمة الله فى دار السلطنة تبريز بعد ظهر يوم الأربعاء العاشر من صفر المظفر سنة ١٣٠٣ هـ"[٣].

---

(١) الحاج ميرزا كاظم وكيل اعتضاد الممالك (١٢٤٦- ١٣٤١ هـ.ق) ابن ميرزا عبد الوهاب وكيل الطباطبائى أحد علماء وصلحاء تبريز وكان له على الدوام دور بارز فى الأمور الهامة، وكان ابنه الكبير إجلال الممالك من رؤساء الحركة الدستورية التحررية وشارك فى عضوية المجلس عدة دورات.

(٢) مخطوطة كتاب "تهذيب إصلاح المنطق" والتى كانت مع نادر ميرزا، وطبقا للمعلومات التى يقدمها الحاج حسين آقا النخجوانى فإنها الآن فى مكتبة أخيه الحاج محمد النخجوانى.

(٣) هامش كتاب "تهذيب إصلاح المنطق" ربما بخط الحاج ميرزا كاظم وكيل الرعايا اعتضاد الممالك.

- تاريخ تبريز:

"تاريخ وجغرافية دار السلطنة تبريز" كتاب قام بتأليفه صاحب الترجمة فى آخر أيام حياته بناءً على رغبة حاجى ميرزا كاظم اعتضاد الممالك وردًا للجميل لفضله ومروءته التى كان قد رآها منه فى كبوته عام ١٢٩٩ هـ.ق، وفى هذا الكتاب الذى كتب بمنتهى الدقة والتأنى والتعقل الشديد تم الحديث بالتفصيل عن بناء تبريز والموقع والمكان وعدد السكان وطبيعة الطقس والأحياء والقنوات والمساجد والجوامع والمقابر والمزارات والأبنية والآثار التاريخية لهذه المدينة والأحداث التى شهدتها حتى عام ١٣٠٢ هـ.ق (آخر سنة فى أحداث الكتاب) من الحروب والسيول والزلازل وغيرها والأشخاص الذين حكموها من الطائفة الدنبلية وأمراء قراقوينلو وآق قويونلو والملوك القاجاريين، والأسر الكبيرة ومشاهيرها من القضاة والعلماء والمشايخ والأمراء والأعيان والكتبة والمحاسبين والشعراء الذين خرجوا من هذه المدينة والعادات والآداب ومراسم احتفالاتهم وعزائهم وأنواع الأشجار والفواكه والأطعمة، كما ذكرت فى هذا الكتاب أيضًا فقرات عديدة من فرمانات ومنشورات الملوك السابقين والتى تحتوى بعضها على جوانب تاريخية، وفى نهاية الكتاب يعرض المؤلف موجزًا عن أصله وجنسه وترجمة حاله وتقرير شامل جدًا عن فتنة الشيخ عبيد الله الكردى (١٢٩٧ هـ.ق) وأسبابها وقصة حفر قناة السويس (١٢٨٦ هـ.ق) على يد دليسبس(١) الفرنسى وربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر.

---

(١) فيكنت فردينان دليسبس، السياسى الفرنسى (١٨٠٥- ١٨٩٤م) الذى تولى مهمة حفر قناة السويس وربط البحر الأحمر بالمتوسط سنة ١٨٦٩ م.

وقد راعى الكاتب "ألا يتحدث بشكل مبالغ فيه وألا ينقل من الروايات مثل سائر الكتّاب إلا إذا كان الراوى من الثقاة المحايدين وألا يدرج أيضًا شيئًا لا يصدقه العقل. " وعلى هذا النحو فإن موضوعات الكتاب كلها محققة ؛ وموثقة بالأدلة والبراهين القيمة وأغلبها موضوعات شاهدها المؤلف بعينيه أو سمعها من الثقاة وأى موضع فيه شبهة خطأ أوشك فى صحة الأمر امتنع فيه عن التوضيح الكافى وعرض وجهة النظر(١).

ومع أن الكاتب العالم لم يكن ينوى أن يتناول كتابه بالفارسية الخالصة، بل وأدرج فى مواضع كثيرة ألفاظًا وعبارات عربية عديدة بما يتناسب مع المقام إلا أن الكلمات جاءت سلسة ومترابطة وجميلة وبوجه عام مطابقة لقواعد وأصول الكتابة الفارسية الصحيحة.

وقد كانت هناك نسخة مغلوطة وناقصة من هذا الكتاب فى يد ميرزا هدايت الله لسان الملك سبهر فكتب عليها مقدمة تفيد بأنه قد تلقى الأمر من مظفر الدين شاه بأن يتم بقية الكتاب منذ عام ١٣٠٢ هـ.ق فصاعدًا، وحتى عصره "بدون المبالغات الشعرية والصعوبات الإنشائية واستعمال الألفاظ المتنافرة واستخدام الكلمات المنكرة وإنشاد الأمثال والأشعار والاستشهاد

---

(١) المصادر التاريخية المشهورة التى قد أشار إليها المؤلف أو أورد موضوعًا بشأنها هى: نزهة القلوب حمد الله المستوفى، تحفة النظار ابن بطوطة، ناسخ التواريخ مجلد القاجاريين، روضة الصفا ناصرى، أتشكده آذر، سفر نامه ناصر خسرو، سياحتنامه شاردن، تذكره حشرى (سامى الأسامى) ، عمدة المطالب فى الأنساب آل أبو طالب، تاريخ عالى آراى عباسى تاريخ جهانگيرى، تاريخ جهان نما (تركى)، تاريخ مصطفى سلانيكى (تركى)، تاج التواريخ، شرفنامه البدليسى فى تاريخ الأكراد وغيرهم.

بالآيات والأخبار"، ولكن الحقيقة أنه لم يتدخل قط في تحرير الكتاب أو إتمامه[١] واكتفى فقط بإضافة هذه المقدمة المتكلفة والمزينة نفسها والتي لا يمكن مقارنتها أبدًا بأسلوب تحرير الكتاب، وذكر معاني بعض الألفاظ الصعبة في الهوامش، وقد طبع هذا الكتاب ابنه لسان السلطنة بعنوان "تاريخ وجغرافي دار السطنة تبريز" أو "جغرافياى مظفرى" في طهران بتاريخ ١١ رجب سنة ١٣٢٣ هـ.ق.[٢]

وقد كتب نادير ميرزا أيضًا كتابًا بالفارسية في أنواع الأطعمة والأغذية الإيرانية وطريقة طهي وتجهيز كل منها والمأكولات التي يفضلها الشعب الإيراني، وقد زين العبارات بالآيات والأمثال والأخبار والأشعار[٣]، ومن

(١) والعجيب أن لسان السلطنة طابع وناشر الكتاب قد نسب كتابته لأبيه، مثلما يقول في خاتمة الكتاب: "كتاب جغرافية دار السلطنة تبريز والمشهور باسم جغرافياى مظفرى تأليف المرحوم الأمير نادر ميرزا وكتابة المرحوم آقا ميرزا هدايت الله لسان الملك، ملك المؤرخين والذي يقوم بطباعته لسان السلطنة ملك المؤرخين..

(٢) وبعد سنوات علم أولاد المؤلف بأمر طبعه فجمعوا كل النسخ المطبوعة والتي كانت عند أسرة سبهر وصادروها ولكن توجد النسخة الأصلية للكتاب بخط المؤلف عند أسرته وأنا قد رأيتها قبل سنوات وقرأتها أكثر من مرة وفي سنة ١٣١٢ ش، وعندما كان حسين سميعي أديب السلطنة محافظ أذربايجان وكان يتولى رئاسة جمعية تبريز الأدبية، أخذ هذه النسخة من محمد آراسته الأمير المحتشم ابن نادر ميرزا وطلب أيضًا النسخة التي كانت في المكتبة الحكومية، وقرر أن يطابق النسخ ويصححها بمساعدة أعضاء الجمعية وطبعها بالحواشي والتعليقات وبعض الصور للأماكن والمساجد ورجال ورؤساء الأسر المعروفة التي مر ذكرها في الكتاب، وللأسف لم تنجح هذه الخطوة بسبب تغيير مهمته.

(٣) كان هذا الكتاب حتى فترة سابقة في أسرة صاحب الترجمة عند الأمير محمد ميرزا آراسته وأنا قد رأيته وقرأته.

مؤلفاته الأخرى مجموعة نفيسة فى أمثال العرب[١] وكتاب فى علم النجـوم ورسالة فى تشريح أعضاء جسم الإنسان[٢] باللغة العربية ، والتى لا توجـد نسخة منها.

وفيما يلى بعض الأجزاء من تاريخ تبريز:

من مقدمة الكتاب:

أيها الصديق، لقد لاطفتنى وكلفتنى بالعمل فى الوقت الـذى أدركتنـى الشيخوخة وعجزت يدى وعينى عن العمل وأبيض شـعرى ويأسـت مـن الحياة، إن جرعتنا الأولى قد تذوقناها من الشراب المر لكن تحققت الآن ثمرة أصدق الوعود، ومع هذا فإن الطاعة فريضة على الموالى ولاسـيما طاعـة ذلك الرجل العظيم الفاضل حفيد عبد مناف، على الرغم من أن العمل الكتابى لم يكن هو حرفة أجدادى ولم تكن أسرتنا تعرف الإنشاء مطلقًا ولـم يكـن يتحدثون إلا عن السيف الهندى والسيوف اليمنية والجبال والوديان والحقـول والصحارى الممهدة، ولكن عندما أمرتنى أنت أيها الشهم بهذا، عادت إلـى مكانها الطبيعى تلك البسطة التى كان الله تعالى قد منحنى إياها فـى العلـم والجسم فى مرحلة الشباب لأن ذلك المولى جده فى الحقيقة هو أمير المؤمنين على عليه السلام وهو لا يرضى ألا يبلغ حفيده أمله، وسوف تهل النفحـات والإمدادات فى كل لحظة وأنا سوف أنهى هذا الكتاب بعون الله تعالى كمـا كنت تريد، ولن أجد أية مشقة فى هذا الأمر الذى تلقيته منك وفى هذا الكلام

---

(١) ذكر محمد على تربيت اسم هذا الكتاب "نوادر نادرى" فى "دانـشمندا آذربايجـان"أى علماء آذربيجان .

(٢) كانت نستختها عند محمد على تربيت مؤلف "علماء أذربايجان" ولا تزال.

الذى أكتبه ولن أوفيك حقك ولو جزءًا من تلك الشهامة والمروءة التى أظهرتها معى فى كبوتى عام ١٢٩٩ لأن روحى كانت قد ضاعت هدرًا ولكن بفضل الله تعالى عفوت أنت عنى، والآن عقدت العزم ولجأت إلى الله خالق الكلام وطلبت منه أن يحل عقدة لسانى، ونسيت تلك المشقة التى رأيتها فى الحياة وتذكرت هذه الأبيات العربية الثلاثة لابن الألوسى، وأدرجتها هنا:

ومكابر الزفرات موصدة يلتد خوف القتل بالشلل

صرف همومك تنتدب هممًا بالرمى موقوفًا على ثعل

والليلة الميلاد مفرحة تنسى الحوامل أشهر الحبل

.....وأسفاه فقد رحل ديننا الآن ولم يبق منه سوى الاسم فقط وحتى الاسم سيمحى هو الآخر خلال فترة وجيزة، فأعداء هذه الشريعة قاموا فى أول الأمر بالضحك على جهلائنا فقالوا لهم فيم تفيد اللغة العربية وأية حاجة لهذه اللغة فى العالم، إذن لا ينبغى تضييع العمر الغالى فى تعلم العربية، وبعد ذلك خدعوا جهلاءنا بأن قالوا لهم إن هذا القرآن نفسه ما هو إلا ديوان جمعه محمد من التوراة والإنجيل، وسمعه من الرهبان والأحبار بعد أن سافر إلى الشام، إذن من أين جاء تحريم الخمر وكيف يقال إنها نجسة وهى مفرحة للروح، وأين الجنة، وما هى جهنم؟! إن الرجل العاقل هو الذى لا يبيع النعمة العاجلة بالوعود الآجلة، وهؤلاء كانوا هم أنفسهم الشياطين الذين ضللوا الناس، وكل الكتب التى كانت بين أيدينا وفى بلادنا توجد الآن فى المدن الأوروبية، ولم يكن هناك من ينصح جهلاءنا ويظهر حقيقة هذا الدين ويقول للمدعى – إننا سندع الكلام والأحاديث جانبًا فتأكد من كلامك فهذا قانون قد وضعه محمد بن عبد الله، فأى قانون أفضل من هذا؟ لقد أمر بالعفة

والتدين والصدق ومدح الجود والشجاعة والقناعة والمواساة وأوصى بصلة الرحم والمروءة والحياء والحلم، فقل لى أى منها صفة قبيحة؟ إن الإسلام بهذه الصفات قد تغلب على سلطنة العجم التى دامت أربعة آلاف سنة، وزلزل أرض أفريقيا وأسبانيا وحتى أرض فرنسا تحت سنابك خيول فرسانه، ولكن أمتنا نائمة ولن تستيقظ أبدًا لأن الأعداء قد خططوا لتدمير هذه الشريعة وخرج الأمر من اليد، فأفراد أمتنا الآن قد نسوا الدين الأحمدى فجأة ووضعوا دينين: الدين العلوى والدين العمرى (الشريعة والقانون الوضعى) وأصابوا هذه الأمة العظيمة بالشتت والاضطراب، فأين ذلك الرجل الذى ينبه جميع المسلمين ويقول لهم لاشأن لكم بعلى وعمر، وأيًا كان من يستحق الخلافة منهما فيجب علينا اتباع محمد صاحب هذه الشريعة ورفع رايته وتعلم كلمة الإسلام. وهذا الكلام لا ينتهى وإلى الله المشتكى...

حكاية: كنت فى تبريز سنة ١٢٦٥ هـ، وذات يوم ركبنا أنا ووكلاء الأمير محمد رحيم ميرزا[١] وذهبنا إلى الناحية الأخرى لنهر آجى من أجل النزهة وكان معنا الصقر والنسر، فقد قالوا إن فى تلك الناحية طيور الحبارى وصغار الغزلان، وحدث أننا ابتعدنا نحن الصيادون، ولم يكد يمضى جزء من الليل حتى وصلنا إلى جسر النهر فظهرت أضواء كثيرة من فوق الجسر من ناحية المدينة وعلت أصوات الضوضاء، فقلنا ربما شب حريق وذلك الضوء بسببه وهذه الضوضاء لأنهم تجمعوا لإطفاء الحريق، فانطلقنا بسرعة، فوصل عدد من حرس الأمير، وهنأونا بأن حضرة صاحب الأمر، عليه السلام، قد أتى بمعجزة وأنهم قد أقاموا الزينات والاحتفالات فى المدينة

---

(١) محمد رحيم ميرزا ضياء الدولة، الابن التاسع عشر لعباس ميرزا نائب السلطنة والجد الأكبر لمؤلف هذا الكتاب.

والسوق، فسألنا وماذا كانت هذه المعجزة؟ فقالوا إن جزارًا كان يسحب بقرة لكي يذبحها فأبدت البقرة قوة شديدة وقطعت الحبل وزحفت إلى المسجد والمقام، فتحرك الجزار إلى هناك وحمل حبلاً قويا ووضعه حول رقبة البقرة وسحبها إلى الخارج وأخذ يجرها بصعوبة شديدة، وفجأة سقط ومات... فتحركنا على وجه السرعة، ولما اقتربنا من ميدان صاحب آباد سمعنا صوت طبل وبوق النوبة، ووصلنا إلى السوق فوجدنا الدكاكين كلها مزينة ومقرًا للصلوات وأهل السوق يهنئون بعضهم البعض على أن تبريز صارت المدينة صاحبة الأمر وأُعفيت من الضرائب ومن حكم الحكام، فقد أصبح الحكم من بعد الآن لصاحب المقام، فتوجهنا إلى تلك الناحية فوجدنا المسجد والمقام والمكان كله في غاية الزينة، والجميلات فوق الأسطح أخذن في دق الطبول، فسجدنا هناك وانتقلنا إلى الحضرة وكان قد جلس الحاكم حشمت الدولة[1]، كيف كان يستطيع أن يتنفس!، وفي اليوم التالي أيضًا أخذوا يضربون النوبة حتى العشاء وتجمع الناس من كل صوب وحدب فلم يكن هناك موضع لقدم، وكان قد أخذ تلك البقرة السيد مير فتاح[2] وألقى عليها غطاء من النسيج الكشميري، وأخذ الأهالي يتدفقون ويقبلون قدم ذلك الحيوان ويخطفون قبعته من أجل التبرك، وأخذ الوجهاء والأكابر ينذرون المصابيح والستائر لتلك البقعة، لدرجة أن السفير الإنجليزي أرسل نجفة بللورية فقام بتعليقها[3] هناك

---

(١) حمزة ميرزا حشمت الدولة الابن الحادي والعشرين لعباس ميرزا.

(٢) ميرفتاح، ابن ميرزا يوسف المجتهد التبريزي، وهو الشاب الشرير والأناني نفسه الذي أحضر الجنود الروس إلى تبريز بقيادة الجنرال جورجي يوسيفيتش أريستوف (١٧٦٠- ١٧٦٣م) وقد ذكره قائممقام في منشآته بعنوان "الفتاح غير العليم".

(٣) قام ميرزا تقي خان أمير كبير باحتجاز كبار ملاكي تبريز ومن بينهم شيخ الإسلام وطلب من القنصل الإنجليزي أن يعتذر لإيران وألا يتدخل بعد ذلك في ما لا يعنيه،

الخدم والفراشون وأخذ أهالى الأقاليم يتدفقون فوجًا فوجًا مع الدليل من أجل الزيارة، وكل يوم يتحدثون عن معجزة جديدة مثل إبصار الكفيف الفلانى ونطق الأخرس العلانى وشفاء قدم الأعرج الفلانى، وأخذ بعض الأعيان فى نشر هذا الأمر بشدة ولم يكن أحد يستطيع إنكار هذا الأمر لمدة شهر، وكان العامة من الناس كان كل منهم يفعل ويقول ما يشاء، ولم تكن قد بقيت شعرة واحدة على جسم البقرة فقد انتزعوا شعرها كله، وقد رأيت شخصًا من أولاد أعيان تبريز وكان عنده ضعف فى البصر فظل لمدة شهر جالسًا فى إحدى غرف المسجد عله يشفى، حتى ماتت البقرة قضاءً وقدرًا، فأبعدوها قليلاً عن الديوان وأحدث الناس جلبة وظلوا يتوافدون لفترة طويلة وكان السيد قد أرسل جماعة ذات يوم إلى تلك البقعة فوجدوا الأهالى تعساء تمامًا. وكان هذا فى سنة ١٢٦٥هـ.

كان لدى [التبريزيين] فى العصر السابق طرائف تستحق المشاهدة كانت إحداها لعبة الذئب، والميدان الذى كانوا يقومون فيه بهذا الأمر، لا يزال موجودًا الآن فى مكانه ويسمونه "قورت ميدانى"[(١)].

فقد كانوا يأخذون الذئاب الذكور وهى فى سن صغيرة ويربونها، وكانوا يقيمون صراع الذئاب فى كل حى عدة أيام فى السنة، فقد كانوا يحضرون ذئبًا مفترسًا من كل حى وكان أنصار الذئبين المتحاربين يحضرون مسلحين، وكانت الذئاب تهجم على بعضها البعض وكل منهم

لم تات معجزة بعد ذلك من بقعة صاحب الأمر (فريدون آدميت، فكر آزادى، طهران، ١٣٤٠ ش، ص ٥١).

(١) بمعنى ميدان الذئاب والذى كان يقع فى حى سرخاب.

يضغط على الآخر بفمه المكمم ويحتضنه ويعصر عظامه وكانت الضوضاء تعلو من كلا الجانبين، فتلك الجماعة تقول إن ذئبنا يصارع جيدًا والجماعة الأخرى تمدح ذئبها فيتطور الأمر ويتحول الكلام إلى معركة حامية وأحيانًا كان يسقط مائة شخص ما بين قتيل وجريح وقد وصف الملك العظيم الشاه عباس هذا الأمر بأنه عادة قبيحة.

حكاية:

سمعت أن شيخًا عمره مائة عام قالوا له إن ذئب الحى الفلانى قد مزّق أمعاء ابنك الشاب، وأن ابنك قد مات، فقال: أخبرونى هل صارع ذئبنا بصورة جيدة أم ذلك الذئب الآخر؟ فقالوا: إن ذئب حيّنا قد صارع جيدًا، فقال: إن موت الابن هيّن!

........ومن تهورهم [التبريزيين] أنهم يبدأون الخروج والتجول فى سن الخامسة عشرة، يعلقون فى وسطهم خنجرًا داغستانيًا يُسمى "قمه" ويشدون الحزام على وسطهم بقوة ويربطون آخر زرين من الأزرار البارزة بالسترة، ويلبسون فى أقدامهم الحذاء الذى يشبه الخف الأصفهانى أو الحذاء اليمنى، وهؤلاء هم صبى البقال وصبى العلاف وصبى بائع الفواكه المجففة والذين يذهبون وقت السحر ويبحثون عن الخضروات والعنب والفحم والزبيب أو الزيت واللبن والحطب وعندما يصلون إلى ذلك المكان يتحدثون مع بعضهم البعض بأسلوب فظ فى أمر ملكية الأحمال ويسحبون القمة وكل منهم يريد أن يشتهر بهذه الطريقة، يُقال إن فلان شاب ماهر وعلامة ذلك أنه يترك بعض الشعر على شحمة أذنه ويرتدى قبعة مدببة الطرف ثم يعلوا شأنه ويلتف حوله اثنان أو ثلاثة من العاطلين المتسكعين فيضطر لأن يسرق ويخطف أمتعة الناس فقد كان لابد وحتمًا أن يأكلهم الدهن والحلوى ويأخذهم

إلى مطعم الأرز ويُجلسهم على المقهى، وكثيرًا ما يعجب أولاد التجار بفتوته ويعطونه من مال آبائهم وهو أيضًا يعد نفسه رستم واسفنديار، ولهذه الطائفة شهرة ومكانة في هذه المدينة، وقد كانت من العصر القديم....

عندما يهل شهر الله تُفتح أبواب المساجد ويظهر في كل منهـا إمـام وواعظ ويمسك الناس بالمسابح ويذهبون إلى المساجد حتـى اليـوم الرابـع والعشرين: بعد ذلك لا شيء إطلاقًا حتى يصل العام التـالى، وفـى شـهر رمضان تظهر في السوق القدور الضخمة بلا غطاء والتى تسمى "تيـان" أى القزان وفيها يطهون الرشيدية المصنوعة من دقيق القمح ويُسمى لقمة العزيز وهم يحبونها جدًا ويُرسل إلى العروس ما يليق من هذه الرشيدية، وكل الناس يشترون منها، ولما يحين وقت الظهيرة يعلقون على دكان الرشيدية المناديل الجميلة الملونة التى أعطاها لهم المشترون، وكل رجل لا يحضر الرشـيدية مرة أو مرتين في هذا الشهر لا يؤدى حقوق الزوجية، وعندما يحضر الرجل هذه الرشيدية إلى البيت تفرح المرأة وتقابله بوجه طلق وتنثر عليها قليلاً من الماء وتهرسها حتى تلين ثم تضيف إليها عصير العنب وترش عليها قليلاً من الزنجبيل المدقوق وتخلطها بعين الجمل المطحون وتصبح عجينة من الحلوى فيأكلونها بنهم وشراهة ويعدونها أفضل ملذات الدنيا، وهـم يـضعونها فـى قصور العظماء بمحلول السكر واللوز والحبهان والزنجبيـل، والمـشترون وأصحاب الذوق من النساء يحتفظون بالرشيدية ويأكلونها بعد رمضان وهذه هى صفة ست البيت الماهرة، وعندما ينتهى رمضان تغلق محلات الرشيدية ولا تفتح إلا فى العام التالى ويتحسر الناس قائلين: متى يصل رمضان حتى نأكل الرشيدية.

٦- الطسوجى:

أثر الأسلوب البسيط فى الكتابة الذى كان قد بدأ من البلاط وعلى يـد كتَّاب وربائب البلاط، أثر تدريجيًا في المؤلفين والكُتَّـاب الآخـرين. ومـن الأعمال الأدبية المهمة جدًا التى تمت فى آخر سلطنة محمد شاه وبداية حكم ناصر الدين شاه، ترجمة ألف ليلة وليلة العربية إلى الفارسية.

ومترجم هذا الكتاب هو ميرزا عبد اللطيـف أحـد أهـالى طـسوج بأذربايجان وكان يسكن فى تبريز، وقد خرج من إحدى الأسـر المـشهورة بالعلوم الدينية وتعلم الفارسية والعربية والعلوم الدينية، ودخـل فـى زمـرة علماء الدين وأهل المنبر وتعهد بتعليم وتربية الأمير ناصر الدين ميرزا ولى العهد بناءً على أوامر محمد شاه، وحصل على لقب المـلا باشـى [رئـيس معلمى البلاط] مع أنه كان هناك ملا باشى آخر فى تبريز فى ذلك الوقـت، ولما سافر للحج وعاد اشتهر بالحاج ملا باشى. وبعد فترة وفى عـام ١٢٦٤ هــ.ق توفى محمد شاه وحضر ولى العهد إلى طهران مع ميرزا تقى خـان أمير كبير، وقد كان الحاج ملا باشى وولده الحاج ميرزا محسن خان مظفر الملك فى الركاب خلال هذا السفر ولمًا وصل موكب الشاه إلى قزوين حصل الحاج ملا باشى من أمير كبير على إذن زيارة العتبـات المقدسـة بحجـة الشيخوخة وأودع ولده عند الشاه وسافر هو إلى العتبات وظل معتكفًا سنوات فى النجف وتوفى هناك وقد كانت وفاته بالتأكيد قبل عام ١٢٩٧ هــ.ق(١).

---

(١) محمد جعفر محجوب، ترجمة ألف ليلة وليلة الفارسية (مجلة سخن الدورة ١١، العدد١).

- ترجمة ألف ليلة وليلة:

نقل الطسوجي كتاب ألف ليلة وليلة من العربية إلى الفارسية في عام ١٢٥٩ هـ.ق بناءً على أوامر الأمير بهمني ميرزا بن عباس ميرزا نائب السلطنة وقام ميرزا سروش شمس الشعراء الأصفهاني بإعداد أشعار فارسية بدلاً من أشعارها العربية(١)، وقد طُبع هذا الكتاب أول مرة طباعة حجرية في تبريز عام ١٢٦١ هـ.ق بخط ميرزا على الخطاط(٢).

وقد تمت الترجمة فيما يبدو وفقًا للنسخة المطبوعة في مطبعة بولاق(٣) و "هي تعد من الآثار الفارسية البديعة من حيث فصاحة الكلام وحسن التعبير وسلاسة الألفاظ"(٤)

- مقدمة المترجم على ترجمة ألف ليلة وليلة:

..... من عادة الحكماء أن يتحدثوا تارة في شكل الأسطورة وتارة على لسان الحيوانات الأليفة وغير الأليفة، والهدف من هذا كله هو الوعظ والحكمة، ولكنهم يستخدمون هذه الحيلة، كي يستميلوا كافة الطباع إلى أقوالهم فيقرأها الناس على سبيل الحكاية ويتعلمونها بسهولة ثم يتفكروا فيها. بعد ذلك تكون عندهم بمثابة خزانة الحكمة النفيسة وكنوز المعرفة الغالية. ... وقد تم سرد ألف ليلة وليلة على هذا المنوال أيضًا وذكرت عدة عجائب عن أحوال السابقين وعدة غرائب كحكايات على لسان الحيوانات، وأُدرجت أشعار بديعة

---

(١) يمكن الرجوع إلى شرح أحوال شمس الشعراء سروش الأصفهاني في الكتاب نفسه.

(٢) وبعد ذلك طُبع عدة مرات طباعة حجرية ورصاص في طهران وتبريز وبومباي.

(٣) ألف ليلة وليلة، مطبعة بولاق، مصر، ١٢٥١ هـ.ق (١٨٦٣م).

(٤) خطاب علي أصغر حكمت بتاريخ ٢٨ بهمن ١٣٠٨ في الجمعية الأدبية الإيرانية: وقد طُبع هذا الخطاب مع تعديلات الخطيب نفسه في مقدمة ألف ليلة وليلة (طهران، ١٣١٥ ش، مطبعة كلاه خاور، المجلد الأول).

وطرائف جميلة حيث إن نوادرها تفيد الندماء وأشعارها تزيد الأدباء بلاغة ولهذا السبب يرغب الخاص والعام في قراءتها وسماعها، لكن نظرًا لأن فهم اللغة العربية يقتصر على أهل الفضل والأدب ولم يكن قد قام أحد بترجمة هذا الكتاب البليغ إلى الفارسية حتى عهد دولة وسلطنة محمد شاه الغازى بحيث يتمكن الجميع من الاستفادة منه، لذلك قام شقيق الملك ذو الشأن الرفيع وحاكم كل ممالك أذربايجان بهمن ميرزا أحسن أولاد ولي العهد المرحوم عباس ميرزا ابن السلطان فتحعلي شاه.

– الذى يشترك في الأصل من الناحيتين مع ملك الدنيا

هو أصل المجد ومدلل أهل الفضل

– الأمير العادل عضد الدولة والدين   محمود الخصال وممدوح السيرة

قام باستدعاء العبد الضعيف، عبد اللطيف التبريزى إلى بلاط ملاذ الخلائق وأمرني بنقل هذه النسخة البديعة من العربية إلى الفارسية التي تعد أحلى اللغات، وطلب من أفصح الشعراء وأبلغ الفصحاء وملك الكلام ميرزا سروش بأن يكتب بدلاً من الأشعار العربية أشعارًا فارسية من كتب الشعراء بما يتناسب مع المقام وطلب منه كذلك أن ينشد بنفسه أى شعر متعلق بقصة أو مرتبط بحكاية ، فربطنا نحن العبيد حزام الطاعة وشمرنا ساعد الخدمة راجين أن تتم هذه الخدمة بعون الله وتوفيقه وتلقى قبول بلاط الأمير صاحب العظمة والجاه.

صفحة من ألف ليلة وليلة ترجمة الطسوجي:

روى أنه لم يكن هناك من بين الخلفاء العباسيين خليفة أكثر علمًا من المأمون حيث إنه كان متبحرًا في جميع العلوم وكان يعقد مجلس مناظرة العلماء يومين كل أسبوع، وكان الفقهاء والمتكلمون كان كل منهم يجلس على حسب درجته، وكان المأمون قد جلس ذات يوم مع الفقهاء والمتكلمين، فدخل

المجلس رجل غريب يرتدى ثيابًا بيضاء بالية وقديمة وجلس أدنى من جميع الحاضرين، وبدأ الفقهاء فى الكلام وقاموا بحل القضايا والمسائل وكان من عادتهم أنهم كانوا يعرضون المسألة على كل أهل المجلس واحدًا واحدًا وكان كل منهم يذكر طرفة أو نكتة على حسب ذوقه واختياره، وفى ذلك اليوم طرحوا مسألة وعرضوها على كل الحاضرين حتى جاء الدور على ذلك الرجل الغريب، فبدأ ذلك الرجل فى الكلام وكان رده أفضل من رد الفقهاء فصدق الخليفة كلامه وأعجب به وأمر بأن يجلس فى مكان أعلى من ذلك المكان الذى كان قد جلس فيه، إلى أن جلس بالقرب من الخليفة ولما انتهت المناظرة أحضروا الماء وغسلوا أيديهم وقد خصه الخليفة بالملاطفة والاهتمام ووعده بالإنعام والإحسان، وبعد ذلك أعدوا مجلس الشراب وطلب الخليفة الندماء، ودار كأس الخمر ووصل إلى ذلك الرجل، فهب من مكانه فى الحال وقال: هل يأذن لى الخليفة فى أن أتكلم، قال الخليفة: قل ما تريد فقال ذلك الرجل: لقد تبين للخليفة أننى كنت اليوم أدنى الناس فى المجلس فرفعنى خليفة الزمان وقربنى منه بسبب قدر من العلم ظهر منى وأجلسنى فى الدرجة الأعلى والآن يريد أن يفصل بينى وبين هذا القدر الضئيل من العلم حتى أهبط من العزة إلى الذلة ومن الكثرة إلى القلة، حاشا أن يحسدنى خليفة العالم على هذا القدر الضئيل من العلم ولكن الرجل عندما يشرب الخمر يزول عقله ويقترب الجهل منه ويذهب الأدب عنه ويسقط من نظر الناس، وأنا أرجو من الخليفة سديد الرأى ألا يأخذ منى هذه الجوهرة الثمينة.

وعندما سمع الخليفة المأمون هذا الكلام مدحه وأجلسه فى مرتبته العالية هذه وزاد فى توقيره وتعظيمه ومنحه مائة ألف درهم وخلعة فاخرة، وظل يجلسه بجانبه دائمًا فى مجلس المناظرة.

التتمة

مقدمة

إذا تجاوزنا الحركة الأدبية فى القرن الثالث عشر الهجرى من بداية تشكيل الأسرة القاجارية حتى نهاية عهد ناصر الدين شاه، وما أظهرته من تطور تدريجى ونسبى فى هذه المرحلة من تاريخ الأدب فى إيران فإننا سنتناول أحوال وآثار عظماء النظم والنثر الفارسى. الآن قبل شرح الظواهر الحديثة التى ظهرت منذ أوائل عهد ناصر الدين شاه، مع نفوذ الحضارة والثقافة الغربية فى الأدب الإيرانى التى تتصل بالتاريخ الأدبى لفترة الثورة الدستورية، نعرض باختصار بعض المؤلفات التاريخية والدينية والفلسفية وكتب التذاكر والتراجم التى كتبت فى القرن الثالث عشر الهجرى. ومن هذا القبيل رسائل ومؤلفات مع أنها ليست أدبية صرفة إلا أنها توضح جانبًا من التاريخ الأدبى للقرن الماضى، لا نستطيع إغفاله.

١- كتب التاريخ:

نرى من بين الكتب التاريخية التى كتبت حتى عهد الدولة الصفوية، مؤلفات مثل (تاريخ البيهقى وزين الأخبار الجرديزى وعالم آراى عباس) والتى قصد مؤلفوها كتابة تاريخ وليس إظهار فضل وكمال. أما كتب التاريخ بعد عهد الدولة الصفوية مثل كتاب (دوره، نادره) تأليف ميرزا مهدى خان الاستر آبادى، كاتب نادر شاه، ومع أنه يمكن استخراج معلومات مفيدة من تلك الكتب التاريخية، إلا أنها بصورة عامة مملوءة بأساليب معقدة غير

واضحة وبتعبيرات مبهمة، كما أنها تحفل بمفــردات مهجــورة وعبــارات استعلائية مما قللت إلى حد كبير من أهميتها التاريخية. والعيــب الآخــر أن كتب التاريخ تلك ينحصر تأريخها على تاريخ السلاطين وأولادهم والأمــراء وأنها ليست تأريخاً لتاريخ الأمة والشعب الإيراني، بل إنها حسبما قال براون تقويم قاس لسفك الدماء والجبايات والاعتداءات التي يمكن بصعوبة الوقوف على موضوع عام قيم منها"[١].

مآثر سلطاني: (المآثر السلطانية)

يبدو أنه أول كتاب ألف في تاريخ الأسرة القاجارية وهو كتاب جيــد من تأليف عبد الرزاق بيك الدنبلي.

عبد الرزاق بيك المتخلص بمفتون من علماء أذربايجــان وأدبائهــا، وهو ابن نجفقلي بيك[٢] بيكلربيكي. حاكم تبريز، ولد في عام ١١٧٦هـــق في مدينة خوي، وحين كان في العاشرة من عمره أسر وأخذ رهينة بدلاً من أخيه الأكبر، فضلعلي بيك[٣] وأصبح رهينة في شيراز عند كريم خان الزندي وحمل إلى شيراز ووضع تحت المراقبة لمدة أربعة عشر عامًا حتى قام على مرادخان بالثورة على صادق خان شقيق كريم خان واستولى علــى شــيراز وأرسل الرهائن الذين كانوا في آذربايجان إلى أصفهان. وفي الرابع عــشر

---

(١) براون: تاريخ أدبيات ايران از آغاز عهد صفويه تازمان حاضر: ترجمــة رشــيد ياســمي ص٣١٥.

(٢) جرح في قدمه في زلزال عام ١١٩٣هــق الذي ضرب تبريز وتوفي فــي عــام ١١٩٩ هــق.

(٣) من تلاميذ رشيد درويش عبد المجيد طلقاني وواحد من أساتذة خط الشكسته توفي في زلزال تبريز.

من ربيع الأول ١١٩٩هــ.ق توفى على مرادخان ووصل آقا محمــد خــان القاجارى إلى أصفهان، وأرسل سجناء آذربايجان ، وقد كان عبد الرزاق بيك واحدًا ممن أرسلوا إلى آذربايجان. وهناك استكمل عبد الرزاق بيك اطلاعاته وتأليفاته حتى حصل في أثناء حكم عباس ميرزا نائب السلطنة على منصب المستوفى والعمل فى الحسابات الديوانية وقام بالحج عام ١٢٤١هــ.ق، وفى عام ١٢٤٣هــ.ق توفى فى مدينة تبريز عن عمر سبعة وستين عامًا.

تاريخ مآثر سلطانى (المآثر السلطانية)[1]:

كتاب تاريخ المآثر السلطانية يشتمل على وقائع فترة حكم فتحعلــى شاه من تاريخ توليه الحكم حتى عام ١٢٤١ ق. و هذا الكتاب مع أنه كتــب بعبارات غامضة إلا أنه مفيد فى التعرف على بدايات الأســرة القاجاريــة. وكان الكاتب قد أراد وبناء على قوله "أن يدون بدايات أحوال الخاقان الذى لا شبيه له بعد هذا التاريخ فى مجلد آخــر ويرسله للطباعة حتى يستفيد منــه القراء". لكنه لم يوفق فى تنفيذ ما نوى.

تاريخ نو (التاريخ الحديث):

بعد ذلك استكمل جهانكير ميرزا، الابن الثالث لعباس ميرزا كتــاب تاريخ عبد الرزاق دنبلى وأخرج كتاب باسم تاريخ نو والذى يــشتمل علــى الأحداث اعتبارًا من عام ١٢٤٠هــ إلى أوائل عام ١٢٦٧هــ.

كان جهانكير ميرزا رجلاً قويًا وفصيحًا وشجاعًا وفى بداية شــبابه كان حاكمًا لخوى وسلماس وقائدًا لجنود هذه المنطقة من قبل والده. وكــان

(١) هذا الكتاب طبع تحت إشراف ملا محمد باقر التبريزى وطبع بمطــابع الرصــاص وذلك فى شهر رجب عام ١٢٤١هــ.ق.

حاكمًا لآروميه واشترك فى الحرب ضد المتمــردين الأكــراد والمعتــدين العثمانيين وأيضًا فى المرحلة الثانية من الحرب الإيرانية الروسية وفى نهاية الحرب الإيرانية الروسية كلف بتأمين حدود أردبيل وطالش وسواحل بحــر الخزر وقلعة أردبيل. بعد وفاة فتحعلى شاه وقيام حركة محمد ميــرزا مــن خراسان إلى تبريز واستقطابها لبعض الناس كان أكبرهم ميرزا أبو القاســم قائممقام، تم القبض على جهانكير ميرزا وأخوانه الثلاثة (خـسرو ميــرزا، أحمد ميرزا، مصطفى قلى ميرزا) فى ربيع الأول عام ١٢٥٠هــ.ق فى جبل (باغميشه) فى تبريز بناء على أوامر الشاه الجديد، وتم ســجنهم فــى قلعــة أردبيل وفى المكان نفسه فى ليلة الخامس عشر من رجب عام ١٢٥٠ هــ.ق تم سمل عينى جهانكير ميرزا وأخيه خسرو ميرزا.

وبعد عام ونصف، كان قائممقام قد قتل، أشفق محمد شاه على هذين الأخين الكفيفين وسمح لهما أن يعيشا أحرارًا فى (تويــسر كــان). وعــاش جهانكير ميرزا خلال عهد محمد شاه فى (تويسر كــان وملايــر) وهنــاك وبالرغم من أنه كان كفيفًا انشغل بتحصيل العلوم وفى هذا الوقت كتب كتاب تاريخ نو. بعد وفاة محمد شاه، استقدم خليفته ناصر الدين شاه عميــه إلــى طهران وأكرمهما وكان هذا فى شوال عام ١٢٦٠هــ.ق وبعد ذلك، ذهب إلى تبريز بنية الحج، وعندما وصل إلى (خوى) مرض واضطر إلى العودة إلى تبريز وتوفى هناك فى عام ١٢٦٩هــ.ق.

تاريخ نو أو تاريخ جهانكيرى حسب قول نادر ميرزا، يعد كما قلنــا تكملة لتاريخ قاجاريه تأليف عبد الرزاق بيك دنبلى، وتاريخ نو يشتمل علــى أحداث ٢٦عامًا وبضعة شهور من حكم الدول القاجارية أى العشر ســنوات الأخيرة من فترة حكم فتحعلى شاه، الأربعة عشر عامًا لحكــم محمــد شــاه

وسنتين إلا قليل من فترة حكم ناصر الدين شاه.

هذا الكتاب أملاه جهانكير ميرزا وليس فيه تميز من حيث الإنشاء وأسلوب الكتابة، بل إن جمله مقطوعة وتعبيراته مهترئة وعامية وأملاه خطأ في الغالب. لكن من حيث الموضوعات التى تتعلق بالستة والعشرين عامًا والقليل من فترة حكم الأسرة القاجارية فلا غبار عليه، وحتى من هذا الجانب أى في ذكر الموضوعات رأى التبسيط والتفصيل وأيضًا عباراته سلسة وخالية من التكلف، مما يميزه عن المآثر السلطانية. ونستطيع أن نرى موضوعات فى غاية الأهمية فى هذا الكتاب فيما يتعلق بالحرب الثانية لإيران وروسيا وأحوال حاجى ميرزا آقاسى ومحمد خان أمير نظام وأمراء القاجارين وبداية حال ميرزا تقى خان أمير كبير وظهور الباب وغير ذلك وهى غير متاحة فى أى مصدر آخر[1].

وقد وقعت نسخة من هذا الكتاب مكتوبة بتاريخ تحريرها الأصلى (أى عام ١٢٦٧هـق) فى يد نادر ميرزا، مؤلف كتاب تاريخ تبريز، وتوجد تعليقات بخطه وإمضائه فى حواشى هذه النسخة هى التى هى قدمها ميرزا جعفر سلطان القرائى إلى عباس إقبال وبمقارنتها مع النسختين الأخريين قام إقبال بطباعة الكتاب.

تاريخ جهان آرا:

ألف هذا الكتاب ميرزا صادق وقايع نكار المروزى عن أحداث

---

(١) مقدمة عباس إقبال آشتيانى لكتاب تاريخ نو، طهران شهر مهر عام ١٣٢٧ش.

عشرين عامًا من حكم فتحعلى شاه فى مجلدين، المجلد الأول يـشتمل علـى أحداث عشر سنوات من ١٢١٢ ق إلى ١٢٢١ ق والمجلد الثانى يشتمل على أحداث الأعوام من ١٢٢١ ق إلى ١٢٣٣ هـ.ق، وقد وصل المجلـد الأول من هذا الكتاب إلى الشاه القاجارى فى عام ١٢٢٥هـ.ق.

ناسخ التواريخ:

من كتب التاريخ التى كتبت فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر مجلدات ناسخ التواريخ التى ألفها ميرزا تقى سـپهر.

ميرزا محمد تقى لسان الملك الأول، والمتخلص بسـپهر هـو ابـن ميرزا محمد على من أعيان كاشان. ولد فى كاشان عام ١٢١٦هـ.ق ودرس أيضًا فى هذه المدينة.

يقولون إن سـپهر نظم قصيدة فى مدح ملك الشعراء صبا وعنـدما أدرك ملك الشعراء صبا موهبته أعجب به وزوجه أخته وأرسله مع ابنه إلى كاشان. وظل ميرزا محمد تقى فى كاشان حتى وفاة ملك الشعراء وبعد وفاته أتى إلى طهران مع ابنه محمد حسين خان عندليب. وبعده مدة حدث خـلاف بين ميرزا محمد تقى ومحمد حسين خان عندليب وعاد ميرزا محمد تقى إلى كاشان، والتحق ببلاط الأمير محمود ميرزا حاكم نهاوند وتوابعهـا ونظـم ديوان مديح باسم "محمودة القصايد" وقدمه له فى بداية فصل الربيـع عـام ١٢٤١ هـ.ق (منتصف شعبان).

فى هذا العام نفسه أصبح محمود ميرزا حاكمًـا للرسـتان، وذهـب سـپهر أيضًا معه إلى خرم آباد وظل هناك إلى عام ١٢٤٢هـ.ق بعد ذلـك بعام عاد محمود ميرزا حاكمًا لنهاوند وذهب سـپهر أيضًا معه إلـى نهاونـد

وكان سـپهر حتى عام ١٢٤٥ق في بلاط محمود ميرزا. لكن في هذا العـام نفسه سافر فتحعلي شاه إلى خوزستان ونرى سـپهر في معية محمـد تقـي ميرزا حسام السلطنة شقيق محمود ميرزا الذي وصل إلى شوستر في معيـة فتحعلي شاه. في عام ١٢٤٥ق حدث خلاف بين الأخـوين (محمـود ميـرزا ومحمد تقي ميرزا) والذي أدى إلى الحرب بينها وضم الـشاه لرسـتان إلـى كرمانشاهان وعهد بحكمها إلى محمد حسين ميرزا حشمت الدولة وظل محمد تقي ميرزا في حكومة لرستان وأبقى محمود ميرزا في خرم آباد تحت الرقابة.

وبوسيلة ما خرج سـپهر من خرم آباد ووصل إلى طهران ويبـدو أنه منذ ذلك الحين ترك خدمة محمود ميرزا وأقام في طهران.

وفي عام ١٢٤٨ق كلف فتحعلي شاه يوسف خان سـپهـدار بحـل الخلاف الذي وقع بين حسام السلطنة وحشمت الدولة ورافقه في هذه المهمة سـپهر.

في عام ١٢٥٠ ق ذهب سـپهر إلى فارس في معية فتحعلي شـاه، وحين توفي الشاه في أصفهان عاد سـپهر إلى كاشان وبقي في كاشان طوال فترة النزاع الذي وقع بين مؤيدي السلطنة والمعارضين.

في عهد محمد شاه، تم استدعاء سـپهر إلى طهـران وأسـند إليـه منصب الاستيفاء. وبعد تولي ناصر الدين شاه، أصبح حاكمًا لكاشان وظـل هناك حتى عام ١٢٦٧هـ.ق وحين عاد ناصر الدين شاه من رحلتـه إلـى أصفهان والعراق أتى إلى طهران في معية الشاه. وفي بلاط ناصر الدين شاه أضيفت إليه مهمة الإعلان عن قرارات الشاه وفرماناته وفي عام ١٢٧٢ق. حصل على لقب لسان الملك، وبعدها أصبح عضوًا في مصلحت خانـه(أي

مجلس البلدية). وفي عام ١٢٩١هـ.ق تولى اعتضاد السلطنة رئاسة إدارة (عقد مجالس التنظيمات فى ولايات المملكة المحروسة) وأصبح سپهر المستوفى الأول وحصل على لقب (الخان المفتخر) إلى أن توفى فى ربيع الآخر عام ١٢٩٧ هـ.ق فى طهران.

وناسخ التواريخ كتاب فى التاريخ العام فى تسعة مجلدات ألفها ميرزا محمد تقى سپهر لسان الملك الأول

بدأ سپهر تأليف الكتاب عام ١٢٥٨هـ.ق بناء على أمر محمد شاه وتشجيع من حاجى ميرزا آقاسى وانتهى من كتابه الكتاب الأول فى مجلدين فى خمس سنوات ١٢٦٣هـ. و فى عهد ناصر الدين شاه بدأ فى تأليف تاريخ القاجاريين وأتمه فى عام ١٢٧٤هـ ونال إعجاب الشاه، وبعد أن انتهى من ذلك بدأ فى تأليف الكتاب الثانى من ناسخ التواريخ وألف منه ستة مجلدات. وعلى هذا النحو فإن كتاب ناسخ التواريخ لميرزا محمد تقى سپهر مع تاريخ القاجاريين يقع فى تسعة مجلدات[1].

---

(١) الكتاب الأول، المجلد الأول، من هبوط آدم حتى ميلاد المسيح، المجلد الثانى، من ميلاد المسيح حتى الهجرة النبوية، الكتاب الثانى. المجلد الأول من الهجرة حتى وفاة الرسول فى السنة الحادية عشر للهجرة، المجلد الثانى تاريخ الخلفاء الراشدين حتى عام ٣٥ للهجرة. المجلد الثالث شرح حال على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين (أمير المؤمنين) المجلد الرابع ذكر أحوال السيدة فاطمة الزهراء، المجلد الخامس أحوال الإمام الحسن المجلد السادس، أحوال الإمام الحسين وبقية مجلدات ناسخ التواريخ ألفها عباس قلى خان سپهر الثانى المشير الأفخم ثانى أبناء ميرزا محمد

ولقد عانى سبهر كثيرًا فى كتابه مجلدات ناسخ التواريخ وقال الكونت جوبينو – (فى أوروبا يجب تشكيل هيئة من عدة أشخاص لإتمام مثل هذا العمل)[1].

تاريخ قاجاريه (تاريخ القاجاريين):

مع أن تاريخ القاجاريين أو تاريخ ناصرى يذكر ضمن مجلدات كتاب ناسخ التواريخ إلا أنه فى الحقيقة تاريخ مستقل فى ثلاث مجلدات: المجلد الأول يشتمل على تاريخ تأسيس الأسرة القاجارية وشرح سلطنة آقا محمد خان وفتحعلى شاه والمجلد الثانى شرح سلطنة محمد شاه، والمجلد الثالث شرح العشر سنوات الأولى من حكم ناصر الدين شاه[2].

وكانت مصادر المؤلف فى تأليف تاريخ القاجاريين عبارة عن ما سمعه وما شهده وخواطره الشخصية وبعض الوثائق والكتابات الرسمية، وفى الواقع يعد هذا العمل تدوينًا للأحداث أكثر منه كتابًا فى التاريخ. ولأنه كتب بناء على أمر من الشاه والصدر الأعظم فإنه لا يخلو من المبالغات والأفكار التى تحظى برضا المسؤولين والمنافقين وكثير من الملاحظات الشخصية وكان المؤلف مضطرًا فى كثير من المواضع أن يغض الطرف

تقى سبهر.

(١) كنت كوبينو؛ ثلاث سنوات فى آسيا، ج٢ ترجمة ذبيح الله منصورى، طهران.

(٢) طُبع تاريخ القاجاريين ثلاث مرات فى أعوام ١٢٧٤، ١٣٠٤، ١٣١٥هـ.ق وأخيرًا فى عام ١٣٢٧ش تم طبعه وتصحيحه مع إضافة فهارس وحواشى تحت رعاية جهانكير قائممقامى.

عن شرح بعض الأحداث حتى أنه كان يحرف بعض الوقائع[١]. مع كل هذا فإن المؤلف كان قد أظهر فى مؤلفه الوثائق والمكاتبات التى جمعت فى البلاط من بداية الأسرة القاجارية، لذا يعد الكتاب من أهم مجلدات ناسخ التواريخ بل وأشمل كتب التاريخ عن الأسرة القاجارية. أما من حيث الإنشاء فإن تاريخ القاجاريين ومجلدات ناسخ التواريخ بها تركيبات وكلمات فارسية وعربية وأحيانًا استخدم المؤلف كلمات مهجورة وغير مستصاغة وبشكل عام ليس للكتاب قيمة أدبية كبيرة.

روضة الصفا ناصرى (روضة الصفا الناصرية) :

ومن بين كتب التواريخ التى كتبت فى هذه الفترة كتاب روضة الصفا ناصرى، تأليف رضا قلى خان هدايت المعروف بـ (لله باشى)، ومجمل الموضوع أن محمد بن جاوند شاه بلخى المعروف (ميرخواند)[٢] مؤلف تاريخ روضة الصفا، كان قد ألف كتابه فى ستة مجلدات ووصل إلى تاريخ انقراض التيموريين حوالى عام ثمانمائه وسبعين ونيف ثم أضاف رضا قلى خان إلى الستة مجلدات مجلد آخر وهو تاريخ حبيب السير تأليف محمد غياث الدين خواندمير[٣] حفيد ميرخواند لابنته والذى شرح فيه تاريخ

---

(١) يقول كسروى فى مقدمة تاريخ مشروطه: "إن هذا الرجل لم يكن صادقًا فى النصيحة وأنه اتخذ التاريخ أداة للإطراء والنفاق... إن كل شخص يقرأ هذا الكتاب يدرك أن الكاتب كتب أشياء كثيرة كاذبة وفيها قدر كبير من النفاق والتجاوزات" .

(٢) توفى عام ٩٠٣ هـ.ق.

(٣) توفى عام ٩٤١ هـ.ق.

السلطان حسين بايقرا وملوك القره قويونلو والـــ آق قويونلو (عام ٩١٢هـــ وبعد ذلك) وأسماه المجلد السابع. بعد ذلك كتب هو نفـسه ثلاثـــة مجلــدات والمجلد الثامن تناول تاريخ الصفويين إلى نهاية عهد نادر شاه والمجلد التاسع والعاشر خصصًا التاريخ الدولة القاجارية وفيه رصد لأحداث سلطنة الأسرة القاجارية حتى أوائل عهد ناصر الدين شاه عام ١٢٧٤ق وأسمى مجموع هذا الكتاب باسم روضة الصفا ناصرى وهذا الكتاب نفسه هو الذى انتقده ميرزا فتحعلى آخوند زاده.

كتب تاريخ أخرى:

لقد تحدثنا عن تاريخ تبريز، تأليف نادر ميرزا الذى يتميــز بطــابع أدبى مهم وخاص. تحدثنا عنه بشكل منفصل بالتفصيل، أما (منتظم ناصرى) فى التاريخ العام بمجلداته الثلاثة وسائر المؤلفات المنسوبة إلى محمد حــسن خان صنيع الدولة (اعتماد السلطنة)، وزير المطبوعات فى عهد ناصر الدين شاه وسوف نتحدث عنها ضمن ترجمة أحواله.

فى نهاية هذه المقال سنتحدث عن كتابين فى التاريخ كتابًا فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى (أواخر سلطنة ناصر الدين شاه وبداية فترة حكم مظفر الدين شاه):

صدر التواريخ: كتاب يشرح أحوال أحد عشر رجـــلاً مـــن وزراء سلاطين الأسرة القاجارية، والذى ألفه محمد حسين فروغى وغــلام حــسين أديب بناء على توجيه من محمد حسن خـــان اعتمـــاد الـــسلطنة فـــى عـــام ١٣٠٩هــ من أجل ميرزا على أصغر خان أمين السلطان. لم يطبـــع هـــذا

الكتاب حتى الآن وتوجد نسخة من هذا الكتـاب فـي مكتبـة كليـة الآداب بطهران، وتم نسخ نسخة بناء على أوامر الدكتور قاسم غنى من المخطوطة الخاصة بميرزا محمد خان ذكاء الملك وكانت تحت تصرف الأستاذ عبـاس إقبال الآشتياني.

أفضل التواريخ:

تأليف غلام حسين أفضل الملك المستوفى والذى يرجع نـسبه إلـى كريم خان الزندى[1]. ويتناول أحداث عهد مظفر الدين شاه جمـع المؤلـف وقائع كل عام من سلطنة مظفر الدين شاه وأخبار المملكة فى كتاب بناء على أمر مكتوب من مظفر الدين شاه. المجلد الأول من هذا الكتاب يشرح أحداث العام الأول من سلطنة مظفر الدين شاه، أى عام ١٣١٣هـ والـذى أسـماه (جلوس مظفرى)، والمجلد الثانى متعلق بعام ١٣١٤هـ وأسـماه أفـضل التواريخ، والمجلد الثالث خاص بأحداث عام ١٣١٥هـ، وهذا المجلـد يبـدأ بمراسم عزاء محرم عام ١٣١٥هـ، وموجود فى مكتبة أعزاز الثقفى، ابـن الدكتور خليل خان أعلم الدولة، ويوجد هذا الكتاب فى مكتبة مجلس الشورى الإيرانى وفقًا لما صرح به جهانكير قائممقام.

وبصرف النظر عن ذكر كتب تاريخ كثيرة أخرى والتى توضح كل واحدة منها زاوية من أحداث هذه الفترة قلت أو كثرت سيحل اليـوم الـذى يظهر فيه رجال يستطيعون أن يسجلوا تاريخًا كاملاً وجامعًا لهـذه الفتـرة المليئة بالحوادث من تاريخ إيران وسيتوفر ذلك بقراءة جميع تلـك الكتـب والمؤلفات التى ألفها السائحون والسياسيون الأجانب ويجمعـون المقـالات

---

(١) هو ابن مهدى، ابن على، ابن إبراهيم أنور، ابن كريم خان الزندى.

والمذكرات المتفرقة والموجودة في النسخ المطبوعة أو الخطية لها والموجودة في المكتبات والبيوت.

٢- كتب التذاكر:

لابد أن يكون قد ذُكر من قبل أن كتب التذاكر الفارسية لا تحتوى كثيرًا على معلومات عن الحياة الخاصة والأدبية للشعراء والكتاب وأن شخصية صاحب الترجمة ضاعت وسط عبارات مبهمة ومجاملات زائدة. ومع هذا كله فإن هذه الكتابات ذاتها إذا قرئت بالتوازى مع أعمال أقلام الشعراء والكتاب أنفسهم فمن الجائز أن تلقى ضوءًا على خصوصيات الحياة الشخصية والفنية لهم.

ويبدو أن أول تذكرة ألفت في بداية العصر القاجارى كانت "زينة المدايح" التى ألفها محمد صادق هما المروزى التى دونت في عام ١٢٢٣ق وتضم القصائد التى نظمت في مدح فتعلى شاه خلال السبع سنوات الأوائل من حكمه.

والتذكرة الأخرى التى ظهرت في تلك الفترة هى التذكرة التى ألفها فاضل خان كروسى والمتخلص بـ (راوى) والمعروفة باسم (انجمن خاقان). أى (محفل الخاقان) ويرجع ذلك إلى أن فتح عليشاه كان قد أسس جمعية باسم "انجمن خاقان" وقد تكونت من فضلاء ذلك العصر وأدبائه ، كما تقرر أن تؤلف تذكرة كذلك تشرح أحوال علماء وشعراء البلاط. وقد بدأ تأليف هذا الكتاب أحمد بيك الكرجى المتخلص بـ (اختر) تلبية وتنفيذًا لأمر الشاه إلا أن عمره قد انقضى قبل أن يتم العمل[1]، وأكمل العمل من بعده أخوه الأكبر محمد

---

(١) النسخة الوحيدة من هذا الكتاب والمؤرخة بتاريخ ١٢٢٧هـ.ق محفوظة في مكتبة برلين.

باقر بيك الكرجي المتخلص بـــ (نشاطى) إلا أنه قد توفى دون أن يتم العمـــل أيضًا بعد أن عمل فيه فترة، وأتم فاضل خان وكان عضوًا بالجمعية هذا العمل فى أربعة أعوام انتهت بعام ١٢٣٤هـــ وكتب نسخ عديـــدة بخطـــه الجميـــل وأرسلوا نسخة إلى كل مدينة "ولكن هذا العمل لم ينل الشهرة المرجوة وبقيـــت غالبية تلك النسخ فى هذا العصر مكتوبة بخط كتاب الديوان والخطاطين".[١] ثم ألفت بعد ذلك كتب كثيرة أخرى فى القرن الثالث عشر كانت تحوى كل واحدة منها على ترجمة لأحوال وأشعار بعض شعراء ذلـــك العـــصر وسنكتفـــى بذكـــر أسمـــاء بعضهـــا : تذكرة گلشن محمـــود[٢] وسفينـــه المحمـــود،[٣] نقل مجالـــس،[٤] تذكـــرة دل گشـــا،[٥] نـــگارستـــان دارا،[٦] تذكـــرة السلاطـــين،[٧] گنـــج شايـــگـــان،[٨] تذكـــرة محمـــد شاهـــى،[٩]

---

(١) رضا قلى خان هدايت، مجمع الفصحاء، الطبعة الثانية ج٤، طهران ١٣٣٩ش.

(٢) تأليف الأمير محمود ميرزا فى شرح حال ومنتخب أشعار ٤٨ من أبناء فتحعلى شاه، ١٢٣٦هـــق.

(٣) المؤلف نفسه ويدور حول شعراء زمان فتحعلى شاه ١٢٤٠هـــق.

(٤) المؤلف نفسه ويدور حول الشاعرات فى ذلك العصر ١٢٤١هـــق.

(٥) تأليف ميرزا على أكبر الشيرازى، المتخلص بـــ (بسمل) فى ترجمة شعراء زمـــان فتحعلى شاه ١٢٣٧هـــق.

(٦) تأليف عبد الرزاق بيك مفتون فى تراجم شعراء عصر فتحعلى شاه ١٢٤١هـــق.

(٧) تأليف سلطان محمد ميرزا سيف الدولة، ابن فتحعلى شاه، فى شرح شـــعراء ذلـــك العصر مع أشعار لفتحعلى شاه ١٢٤٥هـــق.

(٨) تأليف ميرزا طاهر شعرى (متوفى فى عام ١٢٧٥هـــق) ابن الشيخ زين العابـــدين الأصفهانى وهو من أحفاد الشيخ زاهد الجيلانى والمجلد الأول لهذا الكتاب الذى كتبه المؤلف باسم ميرزا آقاخان الصدر الأعظم واعتضاد السلطنة، طبع فى طهران عـــام ١٢٧٢هـــق.

(٩) تأليف بهمن ميرزا ابن نائب السلطنة عباس ميرزا ١٢٤٩هـــق.

مدايح معتمد الدولة[1]، مصطبية خــراب[2]، تــذكرهء قدســيه[3]، تــذكرهء مجديه[4]، وتذكرهء انجمن ناصرى[5].

مجمع الفصحاء ورياض العارفين:

من هذه التذاكر التى ذكرناها يجب أن تذكر مؤلفات أمير الــشعراء رضا قلى خان هدايت. مجمع الفصحاء أفضل وأشمل التذاكر العامــة فلقــد جمع المؤلف فى هذه التذكرة أكثر من سبعمائة شاعر من شعراء إيران مــع منتخبات لأشعارهم، وقد استفاد فى جمع مادة هــذه التــذكرة مــن التــذاكر الأخرى. وقد طبع هذا الكتاب عام ١٢٩٥هـــ فى مجلدين فــى طهــران[6] وأكمل هدايت هذا المؤلف المفيد بكتاب آخر باسم رياض العارفين، فى شرح أحوال المتصوفة والصالحين مع منتخب من أشعارهم وطبع فى طهران عام ١٣٠٥هـــ، وأضاف أيضًا رضا قلى خان هدايت إلى الكتاب الثانى من ذيل روضة الصفا (المجلد التاسع) الذى أوصله إلى آخر عهد فتحعلى شاه، عــدة صفحات خاصة بذكر أحوال أعيان الدولة والشعراء والعلماء وسائر رجــال

---

(١) تأليف آقا محمد مذهب الأصفهانى المتخلص بـــ (بهار) ويشتمل على ترجمة أحــوال مائة ونيف شاعر من الشعراء الذين مدحوا منوتشهر خان معتمد الدولة (متوفى عــام ١٢٦٣هـــق) والذى نظم قصائد وقطع وكان من رجال عهد فتحعلى شاه.

(٢) تأليف أحمد هولاكو فى ترجمة شعراء معاصرى فتحعلى شاه فــى إيــران وخــارج إيران، ١٢٥٣هـــق.

(٣) تأليف مدايح نكار إبراهيم بن ميرزا مهدى خان بدون تاريخ.

(٤) لنفس هذا المؤلف، طهران ١٣٠٣ هـــق.

(٥) لنفس هذا المؤلف، طهران ١٣١٠هـــق.

(٦) تم تجديد طبع مجمع الفصحاء مرة ثانية خلال عامى ١٣٣٦، ١٣٤٠ ش فــى ســتة مجلدات فى طهران.

هذه الفترة العظام ويحوى أيضًا أمورًا تتعلق بحياتهم والتى لم ترد فى مجمع الفصحاء ورياض العارفين.

٣- كتب التراجم:

غير التذاكر التى ذكرناها ولاسيما التراجم التى تناولت أحوال الشعراء والكتاب، ألفت أيضًا فى العصر القاجارى كتب عديدة تناولت بالشرح أحوال وآثار الرجال المعروفين من شعراء وكتاب وعلماء وفلاسفة وخطاطين ووزراء والتى هى فى الواقع نوع من أنواع التذاكر أو قاموس للأعلام الإسلامية والإيرانية.

روضات الجنات:

روضات الجنات كتاب مفيد فى أحوال العلماء والسادات، ويشتمل على تراجم لـ ٧٤٢ شخصًا من فضلاء وعلماء الإسلام والشعراء القدامى والجدد، ألفه ميرزا محمد باقر بن حاجى ميرزين العابدين الموسوى الخوانسارى (١٢٢٦- ١٣١٣هـ) وهو أحد أكبر علماء الإمامية وصاحب مؤلفات عدة. وقد ألف هذا الكتاب فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر (١٢٨٦هـ) وطبع فى طهران عام ١٣٠٦ هـ. كُتب روضات الجنات باللغة العربية وهو أحد أفضل كتب التراجم.

قصص العلماء:

كتاب آخر من كتب التراجم هو كتاب قصص العلماء تأليف محمد بن سليمان تنكابنى من فقهاء الأصوليين (١٢٣٥- ١٣٠٢هـ) والذى ألف فى ١٢٩٠ هـ، ويحتوى ذكر حوالى ١٥٣ عالمًا من علماء الشيعة من القرن الرابع حتى القرن الثالث عشر الهجرى وطبع هذا الكتاب مرات عديدة فى طهران ولكن هذا الكتاب لا يرقى إلى كتاب روضات الجنات.

نجوم السماء:

كتاب آخر من الكتب التى كتبت فى هذا المجال هو كتـاب نجـوم السماء تأليف محمد علي آزاد الكشميرى الكنهوى بن محمد صادق والـذى ألف فى نفس عام تأليف روضات الجنات أى فى عام ١٢٨٦هـ، ويـشتمل على شرح أحوال علماء وفقهاء الشيعة فى القرن الحادى عشر وحتى القرن الثالث عشر الهجرى (العصر الصفوى حتى أواسط العصر القاجارى) طبـع المجلد الأول من هذا الكتاب فى عام ١٣٠٣ هـ فى لكنهو.

تذكرة الخطاطين:

هذا الكتاب تأليف ميرزا سنجلاخ فى (متوفى عام ١٢٩٤هـ) والذى طُبع ونُشر فى مجلدين كبيرين بخط جميل وطباعـة فـاخرة بـين عـامى (١٢٩١- ١٢٩٦هـ) فى تبريز. وقد أورد المؤلف فى هذا الكتاب أحـوال الخطاطين ونماذج من كتاباتهم.

گنج دانش (كنز العلم) :

ألف هذا الكتاب محمد تقى خان بن محمد هادى خان المـتحلص بـ حكيم عام ١٣٠٥هـ وهو تذكرة كاملة لأسـماء الأمـاكن والـبلاد الإيرانيـة والأحداث التاريخية وللرجال المشهورين وبعض المعلومات المفيدة، ويقع فـى ٥٧٤ صفحة. وتكمن أهمية هذا الكتاب فى أن المؤلف ذكـر لأسـماء المراجـع وللمصادر التى رجع إليها واستفاد منها.

بستان السياحة:

مؤلف هذا الكتاب هو الحاج زين العابدين الشيروانى المعروف بـ (مستعلى شاه) والمتحلص بـ (تمكين) وهو ابن ملا إسـكندر مـن عرفـا

ودراويش فرقة نعمة اللهى، وكان الحاج زين العابدين مرشد جماعة من مشاهير هذه الفرقة. وبناء على قوله فإنه قد ولد فى منتصف شعبان عام ١١٩٤هـ فى شماخى من مدن القوقاز، ابتداء من سن السابعة عشر ساح فى إيران ومصر والشام والحجاز والدولة العثمانية والهند وأفغانستان وكشمير وبدخشان وتركستان وما وراء النهر وغير ذلك وعاشر طوائف مختلفة ونقل فى هذا الكتاب مشاهداته وما سمعه وأحداثًا تاريخية متفرقة وروايات وضمن الكتاب أيضًا يدرج شرحًا لأحوال بعض العلماء والعرفاء والفلاسفة والشعراء(١).

وبستان السياحة معجم مرتب ترتيبًا هجائيًا فى التاريخ والجغرافيا والهندسة والفلك وتذكرة الأولياء والعرفاء وشرح أحوال الشعراء والأدباء والفقه وعلم الأصول واللغة والآيات والأخبار والرمل والإكسير وتفسير الأحلام. ويوجد فى هذا الكتاب كثير من الأخطاء والالتباسات والأكاذيب والحقائق كل هذا متداخل مع بعضه، لكن الشخص الذى يتمتع بالفطنة يستطيع أن يحصل منه على معلومات مفيدة. بعد ذلك سافر مؤلف هذا الكتاب إلى بلاد الترك وبلاد التاجيك، وعندما كبر فى السن بدأ فى الانزواء وأتم هذا العمل باسم محمد شاه قاجار فى عام ١٢٤٧ هـ، وبعد ذلك عكف سيد عبد الله مستوفى لمدة عامين فى مقارنة النسخ المتعددة، ومن جملة هذه النسخ النسخة التى كتبت فى عهد محمد شاه لاطلاعه الشخصى، فصححها ونقحها وطبعها فى طهران عام ١٣١٠هـ.ق وللحاج زين العابدين كتابان

---

(١) بعد ذلك أقام فى شيراز، وفى عام ١٢٥٣ توفى وهو فى طريقه إلى مكة.

آخران أيضًا باسم رياض السياحة وحدائق السياحة. كتاب رياض السياحة ألفه المؤلف باسم محمد رضا ميرزا بن فتحعلى شاه، وقد طبع فى أصفهان عام ١٣٣٩هـ بمساعى واهتمام سيد سعيد طباطبائى النائينى. ولكن يقال إن حدائق السياحة لم يطبع حتى الآن.

نامه دانشوران (رسالة العلماء) :

نامه دانشوران معجم أو قاموس كبير ومفصل للأعلام فى شرح أحوال وصفات وآثار مشاهير الإسلام، من سياسيين وعلماء وشعراء وكتاب وفلاسفة وعلماء الإلهيات وغير ذلك، وقد شكلت لجنة من العلماء لإتمام هذا العمل.

بدأت هذه اللجنة عملها فى عام ١٢٩٤هـ طبقًا لأمر الشاه فى ذلك الوقت تحت إشراف الأمير العالم عليقلى ميرزا اعتضاد السلطنة وزير العلوم[١] وفى البداية تم اختيار أربع علماء لتأليف هذا المعجم.

---

(١) عليقلى ميرزا (١٢٣٤- ١٢٩٨هـ.ق) ابن فتحعلى شاه، هو واحد من الأمراء القاجاريين أصحاب الفضل والذوق وصاحب دور كبير فى نشر الكتب والصحف وإدارة دار الفنون وإنشاء خطوط التلغراف وتشجيع العلماء وإرسال الطلاب إلى أوروبا.

بعد وفاة محمد شاه كان ناصر الدين ميرزا وليًا للعهد فى تبريز وكلف عليقلى ميرزا ناظرًا لمهد على والده ولى العهد ناصر الدين ميرزا وظل فى هذا الموقع طوال فترة صدارة أمير كبير وكذلك الجزء الأكبر من صدارة اعتماد الدولة نورى، وخلال هذه الفترة كان مشغولاً بالقراءة ومخالطة أهل الفضل والكمال وجمع مكتبة قيمة بعد ذلك حصل عليها ميرزا حسين خان سبهسالار وجعلها وقفًا لمدرسة سبهسالار.

عين اعتضاد السلطنة فى عام ١٢٧٤هـ.ق رئيسًا لمدرسة دار الفنون ثم كلف

ورد فى مقدمة المجلد الأول من هذا الكتاب ما يلى:

توقيع ملك الملوك ملاذ العالم.... ناصر الدين شاه... على عهده... اعتضاد السلطنة وزير العلوم عليقلى ميرزا سليل ملك الملوك المبرور........ فتحعلى شاه القاجارى...... صدر قرار بأن يؤلف كتاب جامع ودفتر كامل فى ترجمة أحوال أساتذة العلوم ومشايخ الفنون من علماء الإسلام ومختلف الديانات ويشرح أخبارهم، وأن يذكر اسم كل واحد من فحول الفقهاء وأكابر الحكماء وحذاق الأطباء وأقطاب العارفين والمؤلفين فى كل فن والمتبحرين فى كل صناعة تحت عنوان خاص، وأن يشرح نماذج لمؤلفات كل واحد منهم قدر المستطاع من الأصول المعتبرة والمدارك المعتمدة والتى تحوى خلاصة للحالات والنوادر والوقائع ولطائف الحكايات ومنتخبات الأشعار وشيوخ الأخبار ومشاهير التلاميذ.... ما أن اتضح للأمير العالم (عليقلى ميرزا اعتضاد السلطنة) مضمون ذلك الخطاب الملكى – الذى يُعد عين العقل وباصرة العلم – ... نهض امتثالاً للأمر المقدس أسرع من دوران الفلك، وأمر فى البداية بإبلاغ مضمون الأمر الرفيع إلى الولاة وحكام الأقطار وصدرت الأوامر إلى المكلفين فى كل مركز وجمع معلومات مفصلة عن أحوال العلماء فى ذلك المركز من شيوخ وأكابر الأسر... حتى تُزين

بمشاغل أخرى شيئًا فشيئًا، ففى عام ١٢٨٣هـ.ق كان وزيرًا للعلوم والصناعة والتجارة ورئيسًا لدار التلغراف والمناجم وتولى رئاسة صحيفة (روزنامهء دولتى) و(روزنامهء علمى) والمطابع والمصانع وحاكمًا لملاير وتويسركان.

ومن مؤلفاته: "فلك السعادة فى رد أقوال المنجمين وسعد ونحس كواكب"، وترجمة كتاب الآثار الباقية لأبى الريحان البيرونى، وإكسير التواريخ فى تاريخ القاجارية. وكان ينظم الشعر أحيانًا وكان تخلصه فخرى.

كافة الأخبار والآثار فى هذا الدفتر الشامل بصحة التوثيق عن طريق روايات ونصوص المعمرين وصحة التصديق من خلال فحوى الرسائل وكافة الثقاة.... ومن أجل إعداد مقدمات هذا الكتاب الكريم أمر ... باستدعاء جمع غفير من الأفاضل والأعيان على أن يوضع فضل كل واحد منهم وعلمه على المحك... والأمير العالم... من جملة هؤلاء.... تم اختيار أربعة علماء من ذوى المكانة الفنية والمقامات العالية..... وتم تكليفهم بتأليف هذا المعجم المبارك..... على عاتق الأساتذة الأربعة الكرام.

هؤلاء الأربعة الذين تم اختيارهم من قبل عليقلى ميرزا قبلوا كمؤلفين لنامه دانشوران من قبل دار التأليف، وهؤلاء الأربعة هم:

١- شمس العلماء الشيخ محمد مهدى عبد رب أبادى وهو الذى تحمل العبء الأكبر فى هذا العمل فهو الذى كان يرتب ويكتب مواد الكتاب التى يجمعها المؤلفون[١].

الشيخ محمد مهدى شمس العلماء، ابن ملا غلا معلى المعروف بـ حاج آخوند المقيم فى قرية عبد رب آباد من قرى دشتى بقزوين كان كاتبًا ذا اقتدار وصاحب اطلاع واف فى الأدب والحديث وأحوال الرجال. درس الصرف والنحو والمعانى والبيان والفقه والأصول فى قزوين، وبعد ذلك أكمل دراسته فى مدرسة دوستعلى خان نظام الدولة. ومن مؤلفاته كتاب فى شرح أحوال أئمة أهل السنة الأربعة بناء على أمر من ناصر الدين شاه. ويعتقد ميرزا محمد خان قزوينى أنه هو الذى ألف كتاب المآثر والآثار

(١) يقول هو نفسه فى مقدمة المجلد الثالث: (فى مقام الجمع والترتيب والتدوين والتبويب، أن هذا الفقير وحده كان الشخص الذى يقوم بهذا).

والثلاث مجلدات من كتاب مطلع الشمس التي نسبت إلى محمد حسن خان اعتماد السلطنة وشمس العلماء علاوة على الفضل والكمال نظم الشعر بالفارسية والعربية وكان تخلصه (ربانى).

ويعتقد ميرزا محمد خان القزويني أنه توفى في ٢٤ ذى الحجة ١٣٣١هـ عن عمر يناهز السبعين عامًا[1].

٢- مجد الدين أبو الفضل الساوجى، ابن الحاج ميرزا فضل الله، من طائفة شاملوا، كان طبيبًا وأديبًا، وله اطلاعات وافية في شرح أحوال الرجال والتراجم، وكما ورد في مقدمة الكتاب كان بمثابة أستاذ لشمس العلماء.

وكان الحاج ميرزا أبو الفضل مطلعًا على الفلسفة الإلهية والعلوم الطبيعية ولد الحاج ميرزا أبو الفضل في عام ١٢٥٠ هـ وتوفى في عام ١٣١٢هـ في أثناء طباعة المجلد الثاني من الكتاب، واشترك فقط في تأليف المجلد الأول والمجلد الثاني من كتاب نامه دانشوران.

٣- ملا عبد الوهاب القزوينى المعروف بـ ملا آقا، ابن الحاج عبد العلى عمده قرية كليزور إحدى القرى التابعة لبشاريات قزوين، ووالد الأستاذ العلامة محمد القزويني، درس في طهران في مدرسة دوستعليخان معير الممالك، وتبحر في العلوم الأدبية وترجمة أحوال العلماء ورجال الإسلام، وهو الذى كتب معظم تراجم أحوال علماء اللغة والصرف والنحو والفقه الذين وردوا في كتاب نامه دانشوران. توفى ملا آقا في محرم عام ١٣٠٦هـ.

---

(١) وفيات معاصرين، من مذكرات محمد قزوينى (مجلة يادكار السنة الخامسة، العدد الثالث).

٤- ميرزا حسن خان الطالقانى الذى اشترك فى تأليف المجلد الأول والـذى تحمل تصحيح طباعة المجلد الأول. بعد ذلك اعتنق البابية واستبعد مـن دار التأليف. ولا توجد فى أيدينا معلومات كافية عن حياته[١].

والخطاب الذى وجهه الأمير عليقلى ميرزا فى بداية العمل لمـؤلفى الكتاب(فيما يتعلق بتوضيح رموز التصنيف ونكات التأليف) خطـاب جيـد ومفيد:

فى البداية عليكم بذل الجهد المضنى فى تتبع وتفحص جميـع آثـار وأخبار حالات الفقهاء والمحدثين والفلاسفة والمنجمين والنحـاة واللغـوين والأطباء والمفسرين والعرفاء والمقرئين والشعراء والعروضين وغيـرهم- ... من بداية الهجرة حتى بداية الدولة القاجارية ...... فمـع وجـود هـذا المجموع المحيط لن يحتاج الإنسان إلى كتب أخـرى مـن كتـب الرجـال والتراجم.

والشيء الآخر أن شرط الاستمرار فى العمل هـو تـرك العـصبية المذهبية وحمية الطريقة. وعلى هذا يسير على نسق واحد تـسجيل العقائـد وتفصيل الأقوال وشرح المدائح وتدوين المناقب مهمـا كانـت مخالفـة أو

---

(١) بعد ذلك حدثت تغيرات فى لجنة مؤلفى (نامه دانشوران) ومن جملة ذلك أن شخصًا باسم غيات الدين كاشانى تعاون مع شمس العلماء فى تأليف هذا الكتاب وكان شريكًا له فى التأليف اعتبارًا من المجلد الثالث حتى المجلد الـسابع. واعتبـارًا مـن عـام ١٣٠٦هـ.ق كان يعمل فى دار التأليف حاجي ميرزا أبو الفضل الساوجي، والـشيخ مهدى شمس العلماء وميرزا محمد صادق حفيد قائممقام (والذى كان يتخلص بأديـب الممالك) والشيخ محمد خان القزوينى ابن ملا آقا والذى كان يبلغ من العمـر عـشر سنوات .

مؤتلفة. وعلى هذا لا يفسر الكلام الوارد فى المصادر حسب الأغراض الرديئة والأهواء الباطلة، واحترس من أن تذكر صناديد الصحابة والتابعين وكبار رجال الدولة والدين وحنفاء الخلفاء الراشدين بكلمات بذيئة وألقاب مهينة، واحترس من أن تحاول الزج بمعتقداتك فى تصحيح عقيدة منتحلى الفرق وعقيدتهم ومتهمى الطوائف وإبطال عقيدتهم.

والشيء الآخر أيضًا عليكم أن تبذلوا كل طاقتكم للحفاظ على سلاسة العبارات وسلامة الكلمات حتى يستفيد من ثمرة هذه الشجرة الطيبة العارف والعام العالم والدانى فتلك الباكورة المباركة لهذا القرن الأبدى، حتى يأخذوا العبر ويجمعوا الفوائد. ولا تظنوا أن الحديث سيخلو من البلاغة عند مراعاة ما سبق أو أنه سيفتقر إلى الفصاحة؛ لأن حسن الكلام فى الحقيقة هو الذى يفهمه الخاصة والعامة ويقبلون عليه. كان عبد الله المأمون يكرر قوله لوزيره الحسن بن سهل متسائلاً: ما البلاغة؟ فقال: ما فهمته العامة ورضيته الخاصة. حقًا، يجب أن يكون ثوب المعانى الجزلة مصانًا من الألفاظ المبتذلة وأن يتجنب استخدام تعبيرات السفلة من الناس التى تخلو من نفائس الكلم والألفاظ. ومن مأثوراته يقول : خير الكلام ما لا يكون عاميًا سوقيًا ولا عربيًا وحشيًا.

والأمر الآخر عليكم فيما يتعلق بأصحاب التراجم أن تستخدموا الترتيب المعجمى للحروف، وعليكم عند ذكر الأسماء والألقاب والكنى الربط بين كل اسم ومدينة وأعلامها، فعن طريق هذين الشرطين يمكن الحصول على ترجمة بأسهل الطرق وأيسر الوجوه. وإذا جرت أعلى أسنة الأقلام عند الحديث عن أحوال شخص ما مصطلحات مصنعة وكلمات مستغلقة وأسماء

بلاد وأعلام متشابهة وعقائد للأمم؛ إذا حدث هذا عليكم بالاجتهاد في توضيحها وشرحها.

إذا كان لا مفر من معرفة القصة لفهم لفظ قد ورد تلميحًا أو شطرة تضمنتها القصص والحكايات، فعليكم للوقوف عليها على سبيل الاستطراد حتى يهدأ خاطر القارئ ولا يحتاج الرجوع إلى تذاكر أخرى.....

وإذا كان صاحب العنوان ذا طبع موزون وترنم بأشعار مطبوعة فاستشهدوا بنماذج لنتائج أفكاره حتى لا يبقى فنه خافيًا، لكن طبقًا لقاعدة تعميم الفيض وإشعاعه النفع عليكم كتابة ترجمة لكل شعر ترجمة لائقة وذلك بغرض حصول المقصود وتحقيق المراد من كل أمر وحتى لا تظل معاني الأبيات غير مأنوسة أو مطبوعة....

ويجب مراعاة ترتيب السنوات فى أثناء نظم وقائع كل شخص وأخباره على قدر الاستطاعة، وعليكم ألا تستهلوا مثل كثير من أرباب الطبقات وأصحاب التذاكر حديثكم بذكر تاريخ الوفاة فى البداية ثم وقت الميلاد فى النهاية فالعقد المنتظم أجمل من العقد المنفرط.

وبعد الاجتهاد في الحصول على تاريخ وقوع كل نادرة من القرائن والأمارات والآثار والعلامات وأن تفصلوا ذكر الأحداث مرتبةً، وبعد الانتهاء من تنفيذ جميع الشروط والقيود التى سبق الإشارة إليها، فإن خلاصة عملكم سوف تقرأ على لسان مدير المجلس حتى إذا كانت الأقلام قد تعثرت في موضع ما أو حدث سهو فى ربط أو ضبط أمر ما سأقوم بنفسى بإصلاحه.

ومع أنه... وحتى الآن قد مضى ألف ومائتى وأربعة وتسعين عامًا من هجرة الرسول فقد صنفت الكثير من التصانيف وألفت العديد من

الرسائل، لكنى أرجو فى ظل الإفاضات والتأييدات الربانية وسعادة الطالع الميمون لجلالة صاحب القران السعيد أرجو أن يتم هذا الكتاب وأن يكون التصنيف كاملاً والتأليف حافلاً بحسن اختيار ويمن انتخاب صاحب الرأى الصائب، ويصدر تحت عنوان "نامة دانشوران ناصرى" وأن يأتى هذا الكتاب ناسخًا لدفاتر الأخرين وخاتم رسائل السابقين....

كانت مؤسسة نامهء دانشوران من عام ١٢٩٤هـ وتحت رياسة الأمير عليقلى ميرزا حتى وفاته عام ١٢٩٨هـ وكانت فى هذه الفترة مشغولة بجمع وترتيب مواد المجلدين الأولين، وتم نشر المجلد الأول بعد ذلك تولى محمد حسن خان اعتماد السلطنة مسئولية الإشراف على مؤسسة نشر هذا الكتاب.

طبع من هذا الكتاب سبع مجلدات: نشر المجلد الأول عام ١٢٩٦هـ، المجلد الثانى نشر فى ربيع أول عام ١٣١٢هـ؛ أما المجلدات الخمس الأخرى فنشرت فى الأعوام ١٣١٨هـ، ١٣١٩هـ، ١٣٢١هـ، ١٣٢٢هـ، ١٣٢٣هـ والكتاب المذكور يعد واحدًا من المصادر المهمة فى التحقيق فى معارف العالم الإسلامى وذلك[1] لأن مؤلفين هذا الكتاب فى تنظيمهم لشرح أحوال الرجال قد أطلعوا تقريبًا على جميع المصادر المعتبرة.

٤- الفلسفة:

نظرة إلى الماضى:

ظهرت فى القرن الحادى عشر الهجرى فى الأدب الفارسى سلسلة

(١) المجلدات الخطية لهذا الكتاب محفوظة فى مكتبة محافظة قدس رضوى. وأخيرًا تم طبع طبعة جديدة فى عام ١٣٣٨ش بتقديم سيد رضا صدر.

من التأليفات الفلسفية، كانت تكملة لمطالعات فلاسفة القرن السابع والثامن الهجرى. فالشيخ بهاء الدين عاملى (متوفى فى عام ١٠٣١هـ) قام فى مجموعة قصصه وحكاياته التعليمية والتى تعرف باسم الكشكول، والتى كتبت بالعربية وتضمنت بعض الأشعار الفارسية، وأيضًا فى مثنويات نان وحلوا (الخبز والحلوى) وشير وشكر (اللبن والسكر) وهذان المثنويان كتبا باللغة الفارسية وتطرقا حفظهما إلى عقائد فلسفية من خلال الإشارات والكنايات مع حفظهما للأصول والسنن القديمة.

أما صدر الدين محمد إبراهيم الشيرازى، المشهور بـ آخوند ملاصدر المتوفى فى عام ١٠٥٠هـ والذى يعد واحدًا من المفكرين الإيرانيين العظماء، فقد عرض عقائده بصورة أكثر وضوحًا، وله مؤلف مفصل ومهم ومشهور جدًا باسم الأسفار الأربعة كتبه باللغة العربية وطبع طباعة حجرية فى ١٢٨٢هـ، ويعد من الأعمال الفلسفية حيث عرض فيه عقائده بشكل صريح.

وقد اتبع اثنان من تلاميذ صدر الدين محمد إبراهيم شيرازى – ملا محسن فيض الكاشانى وعبد الرزاق اللاهيجى آراءه وسعيا للتوفيق بين كلام أستاذهم وأصول العقائد الشيعية. كتب كتاب اللاهجى والمعروف باسم گوهر مراد (جوهر المراد) باللغة الفارسية ولاقى قبول العامة فى إيران.

فى القرن الثانى عشر الهجرى توقفت الفلسفة عن التقدم ولم يظهر فيلسوفًا إيرانيًا بعد صدر الدين الشيرازى وتلاميذه، إلى أن أسس الحاج ملا هادى السبزوارى فى القرن الثالث عشر الهجرى حوزة لبحث وتدريس الفلسفة فى سبزوار.

ولد حاج ملا هادى السبزوارى، المتخلص بـــ (أسرار) فى سبزوار فى عام ١٢١٢هـــ وبناء على سيرته الذاتية والتى كتبها بنفسه[١] بدأ فى تعلم الصرف والنحو فى سن سبع أو ثمان سنوات. والده الحاج ميـــرزا مهـــدى الطبيب من أثرياء سبزوار توفى فى شيراز بعد عودته من الحج، وعاش فى سبزوار حتى العاشرة من عمره، بعد ذلك أخذه ابن عمته الحاج ملا حـــسين السبزوارى معه إلى مشهد التى كان يدرس بها وعلمه اللغة العربية والفقـــه وعلم الأصول وعلم الكلام والمنطق وقليل من الرياضيات. بعـــد أن قـــضى عشر سنوات على نفس هذا المنوال مع ملا حسين، توجه إلى أصفهان عندما اشتد بداخله الشوق إلى الفلسفة وظل قرابة ثمان سنوات فى تحصيل الفلسفة لدى آخوند ملا إسماعيل الأصفهانى ولدى آخوند ملا على النورى بعد وفـــاة الملا إسماعيل الأصفهانى. بعد ذلك توجه إلى خراسان وعمل على تـــدريس الفلسفة وقليل من الفقه والتفسير لمدة خمس سنوات فى مشهد.، وسافر إلـــى الحج فى أواخر فترة حكم فتحعلى شاه واستمرت هذه الرحلة من اثنين إلـــى ثلاث سنوات. فى رجوعه من مكة نزل من السفينة فى بندر عباس وتوجـــه مع قافلة إلى كرمان وظل هناك ما يقرب من عام حتى عاد إلـــى ســـبزوار وظل حتى نهاية عمره مشغولاً بالتدريس والتحقيق والتأليف بانضباط شديد. توفى الملا هادى السبزوارى فى العشر الأواخر من شهر ذى الحجـــة عـــام ١٢٨٩هـــ فى مدينة سبزوار وهو فى الثامنة والسبعين من عمـــره. ويعـــد الحاج ملا هادى الفيلسوف الأوحد فى أواخر القرن الثالث عـــشر وأعظـــم مدرس فلسفة إسلامية بعد آخوند ملا صدرا (وكان فى عهد ناصر الدين شاه

---

(١) دكتور قاسم غنى، "شرح حال المرحوم الحاج ملاهادى سبزوارى بقلمه" مجلة يادكار السنة الأولى العدد الثالث.

مثل ملا صدرا في عهد الشاه عباس الكبير)[1].

لم يكن للفيلسوف السبزوارى مدرسة مستقلة في الفلسفة وكانت معظم دراساته حول أقوال ملا صدرا. لم يكن السبزوارى مقلدًا للفلاسفة القدامى بالرغم من أن علاقته مع الفلاسفة القدامى لم تنقطع ومؤلفاته مستندة على مصادر وتحقيقات القدامى، لكن النتائج الذى استخلصها من هذه التحقيقات أصيلة إلى درجة كبيرة وتستحق أن تدرس دراسة مستقلة. وتخرج دراسة مؤلفات السبزوارى عن إطار تاريخ الأدب، ولكن علينا أن نوضح أن ظهور مثل هذه المؤلفات يشير بوضوح إلى أن الاهتمام بالتقاليد والعلوم القديمة لم تنقطع كلية بالرغم من ظهور الأفكار الحديثة والأوضاع المتدهورة بالدولة.

ومنظومة السبزوارى والتى تعد واحدة من أهم مؤلفاته وتضم مختصرًا لموضوع متكامل من المنطق والفلسفة، تخلو من الأهمية من حيث البلاغة وسلاسة النظم العربى.

ومن مؤلفات السبزاورى المهمة (أسرار الحكم) والذى كتب باللغة الفارسية وطبع جزئين من هذا الكتاب فى مجلد واحد مرات عدة[2]. وهو كتاب فلسفي كبير يتحدث عن المبدأ والمعاد وعن أسرار التوحيد والعبادات.

ولقد استشهد فى الشرح الذى كتبه لمثنوى جلال الدين الرومى (المولوى) وكذلك فى المؤلفات الأخرى التى كتبها بالعربية والفارسية بآيات من القرآن الكريم وفسرها من وجهة نظر فلسفية وذلك ليوضح المعانى الدقيقة للفلسفة من خلال الكتاب السماوى.

---

(١) المآثر والآثار، طهران الباب العاشر ص ١٤٧.

(٢) أفضل هذه الطبعات الطبعة التى صدرت فى عهد ناصر الدين شاه.

من فلاسفة هذه الفترة نستطيع أن نذكر عددًا منهم: آقا محمد رضا قمشه آى وآقا على زنوزى وميرزا أبو الحسن جلوه وميرزا حسن الكرمانشاهى.

٥- الكتب والرسائل الدينية:

كما قلنا لم يستطع النثر الفارسى فى بداية العصر القاجارى الابتعاد عن الغموض والإطناب والصنعة بشكل كامل، وأن كتاب تلك الفترة اتبعوا أسلوب التكلف المتبع والمتداول قل أو كثر. ولكن فيما يتعلق بالكتب الدينية والفقهية نشير إلى نقطة أخرى تتمثل فى أن العلماء وفقهاء الشيعة القدامى كتبوا جميع مؤلفاتهم فى الفقه والأصول والحديث والأخبار باللغة العربية باعتبار أنها اللغة الرسمية ولغة الدين الإسلامى (وفى منزلة اللغة اللاتينية فى كتابات المسيحيين الكاثوليك)(١). وفى العصر الصفوى أيضًا كتب المجتهدين والعلماء الشيعين الكبار أمثال ملا محمد باقر المجلسى (متوفى ١١١١ هـ.ق) وملا محسن فيضى (متوفى ١٠٩٠ هـ.ق) والشيخ أحمد الإحسائى (متوفى ١٢٤٣هـ.ق) وآخرين مؤلفاتهم باللغة العربية. لكن منذ أواخر العصر الصفوى كتب بعض علماء الشيعة مثل المجلسى والجماعة التى يشرف عليها عقائد وأحاديث وأخبار الشيعة باللغة الفارسية. ومنذ بداية العصر القاجارى كتبت الرسائل الدينية في أصول وعقائد التشيع فى إيران باللغة الفارسية والتى كانت قبل ذلك تُكتب باللغة العربية فى خارج إيران (فى المراكز المقدسة للشيعة مثل كربلاء والنجف). وبحث هذه الرسائل

---

(١) إدوارد براون، تاريخ ادبيات ايران از آغاز صفويه تازمان حاضرة ترجمة رشيد ياسمي ص ٢٥٤.

يخرج عن نطاق هذا الكتاب، لكن يجب القول أن علماء الشيعة فى هذه الفترة أوجدوا فى كتبهم ورسائلهم أسلوبًا جديدًا مختلف تمامًا عن أسلوب الإنشاء المتبع قبل ذلك. هذه الكتابات بشكل تام بسيطة وصحيحة وخالية من الصنائع البديعية وقريبة جدًا إلى فهم العامة ومع أن أسلوب إنشائها بصفة عامة ترجم ترجمة حرفية من الأصل العربى. مع كل هذا يمكن القول أن وجود هذا النوع من الرسائل كان الخطوة الأولى فى سبيل إيجاد أسلوب جديد فى بداية عصر فتحعلى شاه ووضع الأدب الفارسى فى متناول فهم العامة من الناس بعد أن كان قاصرًا على إدراك وفهم جمع من الفضلاء والعلماء.

كما وجد فى هذا العصر فضلاً عن الآثار المتداولة والخاصة بأصول الدين الإسلامى ومعتقدات أهل التشيع التى كتبت فى الغالب على هيئة سؤال وجواب، وجد فرع أدبى آخر فى الرد على معتقدات أهل السنة والصوفية والشيخية والبابية وبعد ذلك فى الرد على النصارى أحيانًا.

قائمة المصادر

١- المصادر التاريخية:

- آوانسيا، آ.ر: الحاق ما وراء ققفاز به روسيه وروابط بين المللى در آغاز قرن نوزدهم، ايروان، ١٩٥٨م (روسى).
- جهانگير ميرزا: تاريخ نو، به سعى واهتمام عباس إقبال، طهران ١٣٢٧ش.
- سايكس، زنرال سربرسى: تاريخ إيران، ترجمة سيد محمد تقى فخرداعى گيلانى، طهران، ١٣٣٥ش.
- لسان الملك، محمد تقى سپهر: تاريخ قاجاريه (از مجلدات ناسخ التواريخ)، طهران، ١٣٣٧ش.
- ملكم، سرجان: تاريخ إيران ازپيشداديان تاقاجاريه، بمبئى، ١٣٢٣.
- نفيسى، سعيد: تاريخ اجتماعى وسياسى إيران دردوره‌ء معاصر، ج١، طهران، ١٣٣٥ش.
- واتسن، رابرت گرنت: تاريخ ايران (دوره‌ء قاجاريه)، ترجمة: وحيد مازندرانى، طهران، ١٣٤٥ش.
- هدايتى، دكتر هادى: تاريخ زنديه، ج١، طهران، ١٣٣٤ش.

Brydges, Harford Jones, the Dynasty of the Kajars, London, 1833.

٢- المصادر الأدبية:

- اته هرمان: تاريخ ادبيات فارسي، ترجمه دكتر رضا زاده شفق، طهران، ١٣٣٧ ش.
- افشار، ايرج: نثر فارسي معاصر، طهران ١٣٣٥ش.
- براون، أدوارد: تاريخ أدبيات ايران ازآغاز صفويه تازمان حاضر، ترجمهء رشيد ياسمي، طهران، ١٣٣٩ش.
- برتلس، ی.أ: تاريخ مختصر ادبيات ايران، لنينگراد، ١٩٢٨م (روسی).
- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: ١) سبك شناسی، ج٣، طهران، ١٣٣٧ش.

  ٢) سخنرانيهای.... درباره بازگشت ادبی، مجلة ارمغان سال ١٣، بين صفحات ٤٤٣- ٧٤٨

  ٣) شعر درايران، طهران ١٣٣٧ش.
- تربيت، محمد علی: دانشمندان اذربايجان، طهران، ١٣١٤ش.
- ريبكا، يان: تاريخ ادبيات ايران وتاجيك: پراگ، ١٩٥٦م. (به زبان چك).
- شفق، رضا زاده: تاريخ ادبيات.
- صفا، ذبيح الله: ١) مختصری از تاريخ تحول نظم ونثرپارسی، طهران، ١٣٣٧ش.

  ٢) گنج سخن، ج٣، طهران، ١٣٤٠ش.

- صفائی ملایری، ابراهیم: نهضت ادبی ایران در عصرقاجار، طهران، بی تاریخ.
- کلهر، محمد رضا: مخزن الإنشاء، طهران، ۱۲۸٦و ۱۳۰۳هـ.ق.
- مدرس، محمد علی تبریزی: ریحانة الأدب، طهران، ۱۳۳۱ش.
- میرزا مهدی خان: کتاب انشای....تبریز، ۱۲۷۷هـ.ق.
- نادر میرزا: تاریخ وجغرافی تبریز، نسخة چاپی، ۱۳۲۳ هـ.ق.
- نعمانی، شبلی: شعر العجم، ترجمهء فخر داعی، ج۳، طهران ۱۳۳٤ش.
- نفیسی، سعید: شاهکاریهای نثر فارسی معاصر، طهران، ۱۳۳۰ ش.
- وصاف، شهاب الدین عبد الله شیرازی: تاریخ...به اهتمام محمد مهدی ارباب اصفهانی: بمبئی ۱۲٦۹ هـ.ق.
- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، چاپ دوم، طهران، ۱۳۳٦ – ۱۳٤۰ش.

صبای کاشانی

- إقبال، عباس: صبای کاشانی وفردوسی، مجله یادگار، سال ٥، شماره های ۱– ۲
- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: ۱) مقدمه برگلشن صبا تألیف فتحعلی خان ملك الشعراء صبای کاشانی، چاپ دوم، طهران، ۱۳۱۳ش.

۲) لامیه فتحعلی خان صبا، مجلهء ارمغان، سال ۱۱، صفحات ۶۵۵- ۶۵۹.

- دهخدا، علی اکبر: لغتنامه، ذیل صبا.

- صبا، فتحعلی خان کاشانی: شهنشاه نامه، به اهتمام میرزا محمد ملک الکتاب شیرازی، بمبئی ۱۸۶۷م.

- صفائی ملایری، ابراهیم: ۱) فتحعلی خان صبا، مجله ارمغان، سال ۲۷، صفحات ۱۹۳- ۲۰۰.

۲) نهضت أدبی إیران در عصر قاجار، صفحات ۸ – ۱۶.

- قویم، علی: محمود خان ملك الشعراء، مجلهء دانش، السنة ۱، شماره های ۱۰ – ۱۱، صفحات ۵۵۳ – ۵۶۴.

- محجوب، دکتر محمد جعفر: خاندان صبا، مجلهء صدف، شماره ٥، صفحات ۳۸۳- ۳۹۲.

- نخجوانی، حسین: زندگانی وشخصیت ملك الشعراء فتحعلی خان صبا، نشریهء دانشکدهء ادبیات تبریز، سال ۳، شماره های ۳- ٤، صفحات ۶۶ – ۷۶.

- نوائی، عبد الحسین: عاقبت لطفعلی خان زند، مجله یادکار، سال۳، شماره۳.

نشاط أصفهانی

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: ۱) سخنرانیها در بارهء بازگشت ادبـــی، مجلهء ارمغان، سال۱۳.

۲) سبك شناسی، ج۳، صفحات ۳۳۱-۳۳۲.

- صفائی، ابراهیم: نهضت ادبی ایران در عصر قاجار، صـــفحات ۱۷-۲٦.

- قائممقام، میرزا ابو القاسم: ۱) ترجمهء حال میرزا عبد الوهاب نـــشاط، منشآت، ۱۳۳۷ ش، صـــفحات ۳۰۱ - ۳۰۲.

۲) مخزن الانشاء، صفحات ۱۸٦ - ۱۹٥.

- نشاط، عبد الوهاب: ۱) گنجینهء نشاط، ۱۲٦٦ هــق.

۲) گنجینه دیوان نشاط اصفهانی، به کوشش حسین نخعی، طهران، ۱۳۰۷ ش.

سحاب

- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج۲، ص۱۷۰.
- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، ج٤ صفحات ٤٥۲ - ٤٦۰.

مجمر

مجمر، سید حسین:

۱) دیوان، طهران، ۱۳۱۲هــ.ق.

۲) دیوان با مقدمه محمد محیط طباطبائی، طهران ۱۳٤٥ ش.

مجمر ونشاط (نقل از حدیقة الشعراء)، مجله یادگــار، سال ٥.

شماره ۱- ۲ ص ۱٤۲.

- محیط طباطبائی، محمد: مجمر، مجلهء ارمغان، ســال ۱۲، صــفحات ٤٧٤ - ٤٨٥ -٥٤٦- ٥٥٤- ٦۳۰ - ٦۳۸ - ٦٧٨ - ٦٨٨ - وسال ۱۳، صفحات ۱٦۲-۱٦٦.

وصال

- افقه، علی: یك نمونه از خط مرحوم وصال شیرازی، مجله یادکار، سال ۱، شمار ۳.

- صفائی ملایری، ابراهیم: ۱) نهضت ادبی ایران در عــصر قاجــار، صفحات ۳۳- ٤۳.

- ۲) وصال شیرازی، مجله ارمغان، سال ۲۸، صفحات ۹۷- ۱۰۸.

- ماهیار نوایی، یحیی: خاندان وصال شیرازی، نشریه دانشکدهء ادبیــات تبریز، سال ۷، صفحات ۱۹۰- ۲۳۹- ۲۸۸- ۳٥٦-۳٥۹- ۳۹۱.

وصال، میرزا شفیع ۱) کلیات، طهران بی تاریخ.

۲) فرهاد وشیرین (با فرهاد وشیرین وحشی در یکجا)، طهران.

۳) بزم وصال، هند، ؟

٤) مراثی (درهامش انوار الشهاده) بمبئی، ۱۲۸٥ هـــ.ق.

عبد الرزاق دنبلی

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناسی، ج۳.
- تربیت، محمد علی: دانشمندان آذربایجان، طهران، ۱۳۱٤ ش، صفحات ۳٥۳ – ۳٥۷.
- سلطان القرائی، جعفر: تجربة الاحرار وتسلية الابرار، نشریهء كتابخانه ملی تبریز، شماره ۱، ۱۳۳۸ ش.
- نخجوانی، حسین: عبد الرزاق بیگ دنبلی متخلص به مفتون، نـــشریهء دانشكدهء ادبیات تبریز، سال ۲، شماره ۱ ص۱.

میرزا رضی

- برتلس، ی.ا.: تاریخ مختصر ادبیات ایران، ص ۸۲.
- تربیت، محمد علی: دانشمندان آذربایجان، طهران، ۱۳۱٤ ش صفحات ۷۰- ۷۱.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج۱، كلمهء بنده تبریـــزی، ص ۱۸۲.
- نادر میرزا: تاریخ وجغرافیای تبریز، نسخه چاپی، صفحات۲٦٤-۲٦٥
- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، چاپ دوم، ج٤، ص۱۷۷.

فاضل خان

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناســی، ج٣، صــفحات ٣٣٢-٣٣٧.
- هخدا، علی اكبر: لغتنامه، كلمه راوی، شماره مسلسل ٩٩.
- صفائی ملایری، ابراهیم: ١) نهضت ادبی ایران در عــصر قاجــار، صفحات ٥٧-٦٢
- ٢) فاضل گروسی، مجلهء ارمغان، سال٢٦، صفحات ٢٧٣ - ٢٧٨.
- مدرس، محمد علی تبریزی: ریحانة الأدب، ج٢، ص ٧٠.
- مفتون، عبد الرزاق بیگ دنبلی: نگارستان دارا، بخش خاتمه.
- نفیسی، سعید: بوشكین وفاضل خان كروسی، مجلهء یغمــا، ســال١١، صفحات ٤٩٢-٤٩٨.
- هدایت، رضا قلی خان: ١) مجمع الفصحاء ج٤، ذیل راوی گروســـی، صفحات ٣١٩ - ٣٢٠.

٢) روضة الصفاء ج٩، قسمت آخر.

صاحبد یوان

- صفائی ملایری، ابراهیم: ١) نهضت أدبی إیران در عــصر قاجــار، صفحات ٢٧- ٣٢.

٢) صاحبدیوان علی آبادی، مجلهء ارمغان، سال ٢٧، صفحات٢-٦.

- كلهر، محمد رضا، مخزن الإنشاء صفحات٤٠٠-٤٣٥

- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج۲، ص٤٢٤
- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحا، ج٥، ص٦٣٧

قائممقام

- بهـار، محمـد تقـی ملـك الـشعراء: سـبك شناسـی، چاپ دوم ج۳، صفحات٣٤٨-٣٦٣
- جهانگیر میرزا: تاریخ نو، صفحات ١٩٧- ٢٤٠.
- دولت آبادی، یحیی: شرح حال میرزا أبو القاسـم قائممقـام، طهـران، ١٣١٠ ش.
- صفائی ملایری، إبراهیم: نهضت أدبـی إیـران در عـصر قاجـار، صفحات٤٤-٥٦
- فرهاد میرزا: منشآت، بمبئی، ١٣١٨، ص٢٢.
- قائممقام، میرزا ابو القاسم: ١) منشآت، طهران ١٢٨٠هــ.ق، تبریـز، ١٢٨٢ هــ.ق، ١٢٩٤ هــ.ق

٢) منشآت به اهتمام جهانگیر قائممقامی، طهران، ١٣٣٧ش.

٣) دیوان به تصحیح وحیددستگردی، طهران، ٩- ١٣٠٨ ش.

٤) جلایرنامه به تصحیح وحید دستگردی (ضمیمهء دیوان)، طهـران ٩- ١٣٠٨ ش.

- قائممقامی، عبد الوهاب: مطالبی که باید درشرح أحوال ودیوان قائممقام اضافه شود، مجله ارمغان، سال٢٦، صفحات ٥٢٧-٥٢٨-٥٧٤ وسال ٢٧ صفحات ٣٥-٤٠-٨٩-٩٦-١٩٢.

- قویم، علی: محمود خان ملك الشعراء مجلهء دانش، سال ۱، شماره های ۱۰- ۱۱.
- نادر میرزا: تاریخ وجغرافیا تبریز، صفحات ۳۹ – ۴۰.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج۳، طهران، ۱۳۲۸ش.

وقایع نگار

- اقبال، عباس: تاریخ جهان آرا، مجلهء یادگار، سال ۵، شماره های ۱-۲، صفحات ۱۱۵-۱۱٦
- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناسی، ج۳، طهران، ۱۳۳۷ش.
- کلهر، محمد رضا: مخزن الإنشاء، ص۲۰۹.
- مدرس، محمد علی تبریزی: ریحانة الأدب، ج٤، طهران ۱۳۳۱ ش.
- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، ج٦، طهران، ۱۳٤۰ش.

شهاب

- شهاب اصفهانی وبرادرزاده اش طغرل (نقل از حديقة الشعرا)، مجلهء یادگار سال۵، شماره های ۱-۲، صفحات۱٤٤-۱٤۵
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الأدب، ج۲، ص۳۵٦
- هدایت، رضا قلی خان: مجمّع الفصحاء، چاپ دوم، ج٤، صفحات٤۷٦-٤۸٦

فروغی

- صفائی ملایری، إبراهیم: ۱) نهضت أدبی إیـران در عـصر قاجـار صفحات ۸٤-۹۳

۲) فروغی بسطامی، مجلهء ارمغان، سال ۲۷، صفحات۴۳۳-٤٤٠

- فروغی بسطامی، میرزا عباس: غزلیات، به اهتمام منـصور مـشفق، طهران ۱۳۳٦

- فروغی بسطامی وتاریخ وفاتش (نقل از حدیقة الشعراء) مجله یادگـار، سال٥ شماره های ۱-۲ صفحات١٤٥-١٤٦

سروش

- حکمت، علی اصغر: ۱) من هزار افسان إلی هـزار دسـتان، مجلـة الدراسات الأدبیه، دانشگاه لبنان، سال۱، شماره٤، زمستان۱۳۳۸ش

۲) مقدمهء برهزار ویك شب، تهران ۱۳۱٥ هـ.ق.

- سروش، میرزا محمد علی: هزاربیت سروش، تبریز۱۲۸٦ هـ.ق

- صفائی ملایری، إبراهیم: ۱) نهضت ادبی ایـران در عـصر قاجـار صفحات٩٤-١٠٢

۲) تحقیق دربارهء سروش اصـفهانی، مجلـهء ارمغـان، سـال ۲۷، صفحات ١٥٧ - ١١٢.

- قزوینی، محمد: ازیادداشتهای....، مجلهء یادگار، سال ٥، شماره هـای ۱-۲ صفحات ١٠٢ -١٠٣.

- محجوب، محمد جعفر: داستانهای عامیانه فارسی- ترجمهء فارسی الف لیلة ولیلة، مجلهء سخن، دوره ۱۱ شماره۱، صفحات۳٤-۳٥.

- میکده، عبد الحسین: سروش اصفهانی، مجلهء ایرانشهر، سال۳، صفحات ٥۸۹-٦۰٤

- همائی، جلال الدین: شرح حال جامع سروش، مجلهء یغما، سال۱، شماره های ۳، ٤، ٥.

قا آنی

- آدمیت، فریدون: امیر کبیر وایران، چاپ دوم، طهران، ۱۳۳٤ صفحات ۱۷۱ - ۱۷۲.

- اشراق خاوری، عبد الحمید: حکیم عظیم قا آنی شیرازی، مجلهء ارمغان، سال ۸، صفحات٥۷٦-٥۸۷

- اقبال، عباس: قا آنی واردشیر میرزا، مجلهء یغما سال ۳، صفحات ٤٥۲-٤٥۳

- برتلس، ی.أ.: ۱) ترجمهء حال قا آنی به قلم خود او، گزارش فرهنگستان علوم اتحاد جماهیر شوروی، ۱۹۲۷ م (روسی).

  ۲) تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸م (روسی).

- بلگرامی، محمد حسن: حکیم قای آنی، مجلهء ارمغان سال۹، صفحات٤۳-٥۰ و ۱٤۳- ۱٤٥- ۱۹۹- ۲۰٤

- به آذین، م.أ.: انتقاد بردیوان حکیم قا آنی شیرازی، مجلهء صدف، شماره ٤، صفحات ۳۰۹- ۳۱٥.

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: خطابه...، مجلهء ارمغـان، سـال ١٤ شماره١.

- بهروزی، علینقی: ١) سدهء قا آنی (شامل شرح حال مفصل حکیم قـا آنی شیرازی)، شیراز ١٣٣٢ش.

  ٢) مطالبی چند در باب قا آنی، مجله یا دگـار، سـال ٣، شـماره ٣، صفحات ٧٤-٧٨

- دشتی، علی: ١) در میان پیغمبرها جرجیس، مجله آینده، سال١، شماره ٩ ، صفحات ٥١٣-٥٢٣

  ٢) سایه، طهران، ١٣٢٨ش. صفحات٨٢-٨٤

- دولت آبادی، یحیی: قا آنی شیرازی، مجله آینـده سـال ١، شـماره٧، صفحات٤٠٩-٤١٤

- دیباچه نگار، میرزا طاهر شعری: گنج شایگان، طهران، ١٢٧٢.

- سهیلی خوانساری، احمد: حسان العجم حکیم قا آنی، مجله یغما، سال٢، صـفحات٢٤٩ - ٢٥٣ - ٣١٨ - ٣٢١ - ٤٣٤ - ٤٣٧ - ٤٦٣ - ٤٦٨

- صفائی ملایری، ابراهیم: نهـضت ادبـی ایـران در عـصر قاجـار صفحات٦٣-٨٣

- قا آنی، حبیب الله: ١) دیوان باتصحیح ومقدمهء محمد جعفر محجـوب، طهران، ١٣٣٦ش

  ٢) پریشان باتصحیح اسمعیل شرف، شیراز، ١٣٣٨ش.

- محجوب، محمد جعفر: ترجمهء حالی از حکیم قا آنی به قلم خـود او، مجلهء یغما، سال١٤، شماره ٢، صفحات ٧٩- ٨٢.

- وحید دستگردی: حکیم قا آنی شـیرازی، مجلـهء ارمغـان، سـال ٨، صفحات ٢٨٥-٢٨٧.

- یاشار، علی بیگ: یك ساعت بادیوان قا آنی، با مقدمهء دکتـر حمیـد نطقی، تبریز، بی تاریخ.

- یغمائی، اقبال: گوشه ای از زندگانی قا آنی، مجلهء ارمغان، سال ٢٥، صفحات٢٦٦-٢٧١

یغما

- یغما وملا احمد نراقی (نقل از حدیقة الشعرا)، مجله یادگـار، سـال٥، شماره های ١-٢، صفحات ١٤١-١٤٢

- گلـچین معانی، احمد: سلطان قاجار ویغما جندقی، مجلهء یغما، سـال ١٧، شماره ١٥.

- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانـة الادب، ج٤، صـفحات ٣٣٩ – ٣٤٠.

- یغما، ابو الحسن: ١) کلیات، چاپ سوم، طهران، ١٣٣٩ ش.

- ٢) غزلیات وسرداریه بامقدمهء دکتر ناظر زادهء کرمانی وبه اهتمـام محمد حسین طبری، طهران، ١٣٣٧ش.

- یغمائی، حبیب: ١) شرح حال ابو الحـسن یغمـای جنـدقی بامنتخـب اشعاراو، طهران١٣٠٤

۲) شرح حال یغما، مجلهء ارمغان، سال۵، صفحات۴۰۴-۴۱۸-۴۸۱-۵۰۱-۶۳۶-۶۴۲

محمودخان ملك الشعراء

- شرح حال محمود خان ملك الشعراء، مجلهء مهر، سال۱، صفحات ۸۳۸-۸۴۰

- صفائی ملایری، ابراهیم: نهضت ادبی ایران در عصر قاجار، صفحات ۱۰۳- ۱۱۲.

- قویم، علی: محمود خان ملك الشعراء: مجلهء دانش، سال۱، شماره های ۱۰- ۱۱، صفحات۵۵۳-۵۶۴

- محجوب، محمد جعفر: خاندان صبا، مجلهء صدف، شماره ۵، صفحات ۳۸۳ - ۳۹۲.

- ملك الشعراء، محمود خان: دیوان (ضمیمهء سال ۲۳ مجلهء ارمغان)، طهران ۱۳۲۹ش.

- وحید زاده، نسیم: محمود خان ملك الشعراء، مجلهء ارمغان، سال ۲۶، صفحات۴۱۸-۴۲۱

شیبانی

- اته، هرمان: تاریخ ادبیات فارسی، ترجمهء دکتر رضا زاده شفق، ص ۲۰۳.

- شیبانی، فتح الله: ۱) منتخب ازمجموعهء بیانات شیبانی، اسلامبول، ۹-۱۳۰۸ هـ.ق.

۲) درج درر، طهران، ۱۳۰۰ هــ.ق.

۳) پیغام خرد، طهران، ۱۳۰۰ هــ.ق.

- غنی، قاسم: فتح الله خان شیبانی، مجلهء آینده، سال۳، صفحات ۳۰- ۳۷.

- قزوینی، محمد: از یادداشتهای...، مجله یادگــار، ســال۵، شــماره۳، صفحات۶۶-۶۸

- قویم، علی: محمود خان ملك الشعراء، مجلهء دانش، سال۱، شماره های ۱۰- ۱۱، صفحات ۵۵۳-۵۶۳

- نظام وفا: ابو النصر فتح الله خان شیبانی، مجلهء وفا، صــفحات۲۴۰-۲۴۲-۲۸۱- ۲۸۵

بدایع نگار

- بدایع نگار، میرزا محمد ابراهیم نواب: ترجمهء عهدنامهء مالك اشــتر، مخزن الانشاء.

- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناسی، ج۳، صفحات۳۶۴-۳۶۵

- خان ملك ساسانی، محمد: سیاستگران دورهء قاجار، صــفحات ۱۰۳- ۱۲۳.

- قزوینی، محمد: ازیادداشتها...، مجلهء یادکار، سال۳، شماره۴، ص۸.

- نواب، حسین، بدایع نگار: مجلهء یغما، ســال ۱۸، شــماره ۸، آبــان ۱۳۴۴ ش.

مجد الملك

- اعتماد السلطنة، محمد حسن خان: مرآت البلدان ناصری، جلدهای ۲و ۳.
- بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناسی، ج۳، ص۳٦٥
- فرهاد معتمد، محمود: تاریخ روابط سیاسی ایران وعثمانی، ج۲، طهران۱۳۲٦ش، ص۱٥۹.
- مجد الملك، حاج میرزا محمد خان: رسالهء مجدیه بامقدمه ومقابله وتصحیح سعید نفیسی، طهران، ۱۳۲۱ ش.

فرهاد میرزا

- قرهی، یوسف: راجع به مرحوم فرهاد میرزا، مجلهء یادگار، سال۲، شماره٦
- فرهاد میرزا: ۱)منشآت، به اهتمام وحواشی فرصت شیرازی، بمبئی ۱۳۱۸ و طهران ۱۳۲۱ هـ.ق.

۲) زنبیل، طهران، ۱۳۱۸ هـ.ق.

۳) جام جم، طهران، ۱۲۷۲هـ.ق.

٤) نصاب انگلیسی به فارسی، طهران، ۱۲٦۹

٥) کنز الحساب (ترجمهء خلاصة الحساب شیخ بهاء الدین عاملی) طهران، ۱۲٥٦ و ۱۲۷۹

٦) قمقام زخار وصمصام بتار، طهران، ۱۳۰٥ هـق.

٧) هداية السبيل (سفر نامه حج) طهران، ١٢٩٤ هـق.

٨) تعليقات وحواشی وفيات الأعيان قاضی ابن خلكان تهران، ١٢٨٤هـ.ق.

٩) تعليقات وتوضيحات لغوی تذكرة الخواص سبط ابن الجوزی، تهران، ١٢٨٥هـ.ق.

- فرهاد معتمد، محمود: تاريخ روابط سياسی ايران وعثمانی، ج٢، طهران ١٣٢٦ ش.

- مدايح نگار، ابراهيم: تذكرهء قدسيه، طهران، بی تاريخ.

- مدرس تبريزی، محمد علی : ريحانة الادب، ج٤، ص ٣٨.

- معير الممالك دوستعلی خان: فرهادميرزا معتمد الدولة(رجال عصر ناصری)، مجلهء يغما، سال ٩، صفحات ٥٦١- ٥٦٦.

-- نادر ميرزا: تاريخ وجغرافيای تبريز، صفحات ٧٥- ٧٧.

امير نظام

- اقبال، عباس: حسنعلی خان امير نظام گروسی، ازمجلهء يادگار، سال ٣، شماره های ٦- ٧، صفحات ٨ - ٣٣.

- امين الصنايع، ميرزا احمد: مقدمه برمنشآت امير نظام، ٩ رجب ١٣٣١ هـ.ق.

- معير الممالك، دوستعلی: حسنعلی خان امير نظام (رجال عصر ناصری)، مجلهء يغما، سال ٨، صفحات ٣٦٩ – ٣٧٣.

نادر میرزا

- آراسته، محمد: نسب مرحوم نادر میــرزا، مجلــهء یادگــار، ســال۲، شماره٦، صفحات ۳۷- ۳۸.
- تربیت، محمد علی: دانشمندان آذربایجان، طهران ۱۳۱٤ ش، صفحات ۳٦۷- ۳٦۸.
- قوسی، محمد علی: نادر میرزا وتاریخ تبریز، مجلهء یادگار، ســال ۲، شماره ٥، صفحات ۱٥ – ۲٦.
- نادر میرزا: تاریخ وجغرافیای دار السلطنهء تبریــز، طهــران، ۱۳۲۳ هــ.ق.
- نخجوانی، حسین: نادر میرزا قاجار، مجلهء دانشکدهء ادبیــات تبریــز، سال ۱۱، صفحات ٤۰۹- ٤۲۰.

ملامهر علی

- قاضی طباطبائی، حسن، ملامهر علی تبریزی، نشریهء دانشکدهء ادبیات تبریز، سال۱، شماره٥، صفحات ۲٦- ۳۱.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الادب، ج۳، کلمــهء فــدوی، ص ۲۰۰.
- نادر میرزا: تاریخ وجغرافیای تبریز، نسخه چاپی، ص۳۰۱.
- هدایت، رضا قلی خان: مجمع الفصحاء، چاپ۲، ج٥، ذیل مهری خوئی، ص۹٥۱.

طسوجی

- تربیت، محمد علی: دانشمندان آذربایجان، طهران، ١٣١٤ ش.
- حکمت، علی اصغر: ١) من هزار أفسان إلی هـزار دسـتان، مجلـة الدراسات الادبیة دانشگاه لبنان، سال١، شماره٤، زمستان، ١٣٣٨ش .

 ٢) مقدمه برهزار یك شب، ج١، طهران ١٣١٥ش.
- طسوجی، عبد اللطیـف: مقدمـهء برترجمـهء الـف لیلـه، تبریـز، ١٢٦١هـ.ق.
- قزوینی، محمد: ازیادداشتهای.....مجلهء یادگار، سال ٥، شماره هـای ٨-٩ صفحات ٦٨- ٧١.
- محجوب، محمد جعفر: داستانهای عامیانهء فارسی الـف لیلـة ولیلـه، مجلهء سخن، دورهء ١١، شمارهء ١، صفحات ٣٤ - ٥٣.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الادب، ج٣، ص٣١.

لسان الملك سـپهر

- برتو بیضائی، حسین: لسان الملك، سـپهر، مجلهء مردم شناسی، العدد ٣، صفحات ٩٩- ١٠٥.
- قائممقامی، جهانکیر: مقدمهء برناسخ التـواریخ، جلدقاجاریـه طهـران ١٣٣٧ش.
- قزوینی، محمد: وفیات معاصرین - سـپهر، مجلهء یادگار، سـال ٥، شماره های ١-٢، ص٩٦.

نامهء دانشوران

- اعتماد السلطنة، محمد حسن خان: المآثر والآثار، طهران ۱۳۰٦.
- اقبال، عباس: علامه مرحوم محمد قزوینی، مجلهء یادگار، سال۵، شمارهء۱۰ صفحات ٤٤- ٥٤.
- شمس العلماء، شیخ محمد مهدی: مقدمه بر ج ۳، نامهء دانشوران.
- صدر، سید رضا: مقدمه بر ج ۱ نامهء دانشوران.
- قزوینی، محمد : از یادداشتهای، شمس العلما، عبد الرب آبادی، مجلهء یادگار، سال ۵، شماره ۳، صفحات ٥٧- ٦۰.
- مدرس تبریزی، محمد علی: ریحانة الادب، طهران، ج۲، صفحات ۱٥۲ و ۳٤۷.

اعتضاد السلطنة

- مظاهری، حسن: اعتضاد السلطنة اولین وزیر فرهنگ ایران، مجلهء آموزش وپرورش، سال۲۲، شماره ۱، صفحات ٤٦- ٤٨.
- قزوینی، محمد: وفیات معاصرین – اعتضاد السلطنة، مجلهء یادگار، سال ۳، شماره ۳.
- یغمائی، اقبال: علیقلی میرزا اعتضاد السلطنة، مجلهء آموزش وپرورش، سال٢٤، شماره ۳، صفحات ۳٥- ٦۰.

حاج ملا هادی سبزواری

- غنی، دکتر قاسم: شرح حال مرحوم حاج ملاهادی سبزواری به قلم خودایشان، مجلهء یادگار، سال۱، شماره۳، صفحات ٤۳ – ٤٨.

- مدرسی چهاردهی، مرتضی: زنــدگانی وفلــسفه حــاج مــلا هــادی سبزواری، طهران ١٣٣٤ ش.
- هدایت، رضا قلی خان: ریاض العــارفین، چاپ دوم، صــفحات ٤١٨- ٤١٩.

تواريخ وأحداث

- أواسط رجب ١٢٢٠: وصول الجنرال روميو، ياور نابليون إلى طهران (بعد وصوله بعدة أيام مات فجأة أو قتل).
- ١٧ ربيع الأول ١٢٢١: وصول جوبر مبعوث نابليون إلى طهران.
- ٢٦ ربيع الثانى ١٢٢١: سفر جوبر وميرزا محمــد رضــا القزوينــى مبعوث فتحعلى شاه إلى فرنسا.

٢٦ ربيع الثانى١٢٢١: وصول الشيخ أحمد الإحسائى إلى إيران.

- ٢٥ صفر ١٢٢٢: استقبال نابليون لميرزا محمد رضا مبعوث الشاه.

(٤ مايو ١٨٠٧) فى معسكر فينكنشتاين. وعقد معاهدة بين إيران وفرنسا.

- أواخر ربيع الآخر عقد معاهدة تيلسيت بين فرنسا وروسيا.
- ١٢٢٢ (٩ يوليو ١٨٠٧)
- ٨ رمضان ١٢٢٢: عودة ووصول ميرزا محمد رضا بصحبة الجنرال جاردان والوفد الفرنسى إلى طهران.

١٢٢٢ وفاة ميرزا رضى التبريزى منشى الممالك. وفاة سيد محمد ســحاب الأصفهانى

- ٢٧ ذي الحجة ١٢٢٣: عودة جاردان ومرافقيه إلى فرنسا
- ٢٨ ذي الحجه ١٢٢٣: وصول السير هارفورد جونز، المبعوث الإنجليزى ومرافقيه إلى طهران.
- ٢٥ محرم ١٢٢٤ / ١٢ مارس ١٨٠٩: عقد معاهدة بين إيران وإنجلترا بحضور السير هارفورد جونس.
- العشرة الأوائل من ربيع الآخر ١٢٢٤: حركة ميرزا أبى الحسن خان الشيرازى مبعوث إيران إلى لندن برفقة جيمز موريه.
- ١٢٢٥: وفاة سيد حسين مجمر الأصفهانى.
- ١٩ شوال ١٢٢٦: وصول ميرزا أبو الحسن خان متزامنًا مع وصول السير جوراوزلى سفير إنجلترا إلى طهران
- ١٢٢٦: عودة السير هارفورد جونس إلى إنجلترا. إرسال طالبين إيرانيين إلى إنجلترا (ميرزا محمد كاظم وحاجى بابا افشار).
- ٢٩ صفر ١٢٢٧ /١٤ مارس ١٨١٢: عقد اتفاقية مفصلة بين إيران وأنجلترا بتمثيل السير جوراوزلى.
- ٥ ذى الحجة ١٢٢٧ هزيمة عباس ميرزا من روسيا فى حرب اصلاندوز.
- ٢٩ شوال ١٢٢٨ /١٢ أكتوبر ١٨١٣: عقد معاهدة جلستان ونهاية الحرب الأولى بين إيران وروسيا.
- ١٢٢٩ عودة السير جوراوزلى المبعوث الإنجليزى إلى لندن، وتوجه ميرزا أبو الحسن خان المبعوث الإيرانى إلى روسيا.

- ١٢ ذى الحجة ١٢٢٩ /٢٥ نوفمبر ١٨١٤: إمضاء الاتفاقيه النهائية بين إيران وإنجلترا وقعها هنرى الـيس وجيمـز موريـه وميـرزا شـفيع المازندرانى الصدر الأعظم لإيران.

- ١٠ جمادى الآخر ١٢٣٠: إرسال خمسة طلاب إيرانيين كدفعة ثانية إلى إنجلترا (كان من هذه الدفعة ميرزا جعفر الذى لقب فيما بعد بلقب مشير الدولة وميرزا صالح ناشر أول صحيفة إيرانية)

- أواخر عام ١٢٣٢: مقتل ميرزا شاه خليل الله، إمام طائفة الإسماعيلية فى يزد بتحريض من ملا حسين اليزدى وتولى ابنه آقا خان (حسنعلى شاه) مكانه.

- ١٢٣٣: طبع (رسالة الجهادية) تأليف ميرزا قائممقام الكبير، فى تبريـر (هذه الرسالة تشمل فتاوى الملالى فيما يتعلق بالجهاد ضد الروس).

- منتصف رجب ١٢٣٣ توجه ميرزا أبو الحسن خان الشيرازى، مبعـوث إيران إلى لندن.

- ١٢٣٣: تأسيس أول مطبعة حروف فى تبريز.

- ١٩ رمضان ١٢٣٤: وفاة ميرزا شفيع المازندرانى، الـصدر الأعظـم وتولى حاجى محمد حسين خان الأصفهانى نظام الدولة للصدارة

- صفر ١٢٣٥: عودة الطلاب الإيرانين الخمسة من إنجلترا

- ذي الحجه ١٢٣٦: بداية الحرب بين إيران والدولة العثمانية.

- ٢٥ ذي القعدة ١٢٣٧: وفاة ميرزا قائممقام الكبير ووصل ابنـه ميـرزا أبو القاسم لمنصب الوزارة لدى عباس ميرزا نائب السلطنة.

- ١٩ ذي القعدة ١٢٣٨: عقد اتفاقية بين إيران والدولة العثمانية فى ارزنه الروم (هذه المعاهدة تم تعديلها وتوقيعها فى أواخر ربيع الآخر).
- ١٢٣٨: وفاة ملك الشعراء فتحعلي خان صبا.
- ١٣ صفر ١٢٤٠: تأسيس أول مطبعة حجر فى تبريز.
- العشر الأواخر من شوال ١٢٤١: وصول السيد محمد المجتهد من العتبات إلى طهران وفتاويه بالجهاد مع الروس.
- ١٧ ذي القعدة ١٢٤١: فتاوى مجموعة من رجال الدين بالجهاد مع الروس.
- ٢٢ ذي الحجة ١٢٤١ /٢٨ يوليه ١٨٢٦: بداية الدور الثانى للحرب بين إيران وروسيا.
- ١٤ صفر ١٢٤٢: فتح كنجه على يد الروس وهزيمة إيران.
- ١٠ ربيع الأول ١٢٤٣: استسلام حامية قلعة سردار آباد.
- ٢١ ربيع الأول ١٢٤٣: فتح إيروان على يد الروس.
- ٢٥ ربيع الأول ١٢٤٣: عبور الجنرال أريستوف من نهر آرس.
- ٣ ربيع الآخر ١٢٤٣: وصول الجنرال أريستوف إلى تبريز.
- ٥ شعبان ١٢٤٣ /١٥ فبراير ١٨٢٨: عقد اتفاقية تركمن جاى وانتهاء الدور الثانى من الحرب بين إيران وروسيا.
- ١٢٤٣: وفاة عبد الرزاق بيك دنبلى مؤلف تاريخ المآثر السلطانية.

- ٥ رجب ١٢٤٤: وصول جريبايدوف السفير فوق العادة الروسى إلى طهران.
- ٢٤ رجب ١٢٤٤: مقتل جريبايدوف السفير الروسى فى طهران.
- شوال ١٢٤٤: توجه خسرو ميرزا إلى روسيا لتقديم اعتذار عن مقتل السفير الروسى.
- ٥ ذي الحجة ١٢٤٤: وفاة ميرزا عبد الوهاب معتمد الدولة نشاط.
- ٢٥ ذي الحجة ١٢٤٤: وصول كنياز دالجوروكى السفير الروسى إلى تبريز.
- محرم ١٢٤٥: وصول كنياز دالجوروكى إلى طهران.
- ٣ رمضان ١٤٥: عودة خسرو ميرزا من روسيا.
- شوال ١٢٤٥: رجوع كنيازد الجوروكى إلى روسيا.
- أوائل عام ١٢٤٩: توجه عباس ميرزا نائب السلطنة إلى هراة لدفع الأفغان المتمردين.
- ذي القعدة ١٢٤٩: وصول عدد من أصحاب المناصب الإنجليز لتعليم جنود أذربايجان.
- ١٠ جمادى الآخر ١٢٤٩: وفاة عباس ميرزا نائب السلطنة فى خراسان
- ١٢ صفر ١٢٥٠: تعيين محمد ميرزا بن عباس ميرزا وليًا للعهد.
- ١٦ صفر ١٢٥٠: ذهاب ولى العهد محمد ميرزا إلى آذربيجان.
- ١٩ جمادى الآخر ١٢٥٠: وفاة فتحعلى شاه خلال رحلته إلى أصفهان.
- ٧ رجب ١٢٥٠: جلوس محمد شاه فى تبريز.

- ١٤ شعبان ١٢٥٠: وصول محمد شاه إلى طهران وتتويجه.
- ١٢٥٠: وفاة ميرزا محمد صادق المرزوى (وقايع نكار).
- متمم صفر ١٢٥١: قتل ميرزا أبى القاسم قائممقام بناء على أوامر محمد شاه وتولى حاجى ميرزا آقاسى مكتبدار الإيروانى منصب الصدارة.
- ٢٥ محرم ١٢٥٣: صدور أول جريدة فى إيران.
- ١٩ ربيع الآخر ١٢٥٣: قيادة محمد شاه للجيش إلى هراة.
- ١٤ شعبان ١٢٥٣: فتح قلعة الغوريين.
- ٢٢ شعبان ١٢٥٣: وصول محمد شاه إلى خارج هراة ومحاصرة المدينة.
- أواخر عام ١٢٥٣: توجه مكنيل سفير إنجلترا من هراة إلى مشهد محتجًا ثم ذهابه إلى طهران.
- ربيع الآخر ١٢٥٤: وصول السفن الحربية الإنجليزية إلى الخليج العربى.
- ١٩ جمادى الأولى ١٢٥٤: عودة جيش محمد شاه إلى مشهد بعد محاصرة هراة لمدة عشرة أشهر.
- ٢٣ جمادى الآخر ١٢٥٤: توجه حسين خان آجود انباشى سفير إيران فوق العادة إلى أوروبا، للاحتجاج على سلوك مكينل وتدخل الإنجليز فى الأمور الداخلية لإيران.
- ١٢٥٤: وفاة ميرزا محمد فاضل خان كروسى.
- شوال ١٢٥٥: عودة آجود انباشى من سفره إلى أوروبا ووصوله إلى تبريز.
- جمادى الآخر ١٢٥٦: وفاة رئيس الديوان ميرزا تقى العلى آبادى.
- العشرة الأوائل من رجب ١٢٥٦: هروب أقاخان من محلات إلى كرمان وعصيانه.

- فصل الربيع عام ١٢٥٧: هزيمة آقا خان فى الحرب وهروبه إلى قندهار وتوجهه من هناك إلى بومباى.
- أوائل شعبان ١٢٥٧ /٢٨ أكتوبر ١٨٤١: عقد معاهدة تجارية بين إيران وإنجلترا ؛ بين جان مكنيل وحاج ميرزا أبى الحسن خان الشيرازى.
- ١١ ذي الحجة ١٢٥٩: تحرك جيش نجيب باشا والى بغداد إلى كـربلاء والقتل العام للشيعة هناك.
- أواخر عام ١٢٥٩: ارسال ميرزا تقى خان أمير نظام إلى أرزنه الـروم للتباحث مع المسئولين العثمانيين.
- ٥ جمادى الأولى ١٢٦٠: ظهور دعوة السيد على محمد الباب.
- ٢٦ ذيقعدة ١٢٦٢: السماح للسفن الروسية بالوصول إلى (ميناء) انزلى.
- ١٢٦٢: وفاة ميرزا شفيع وصال الشيرازى.
- ١٦ جمادى الأخر ١٢٦٣: عقد الاتفاقية الحدودية الثانيـة بـين إيـران والدولة العثمانية فى ارزنة الروم على يد ميرزا تقى خان امير نظام.
- ١٢٦٣: بداية فتنة محد حسن خان سالار، ابن آصف الدولة فى خراسان.
- ٥ شوال ١٢٦٤: وفاة محمد شاه.
- ٢٢ ذي القعده ١٢٦٤: تتويج ناصر الدين شاه وتنصيب ميرزا تقى خان أمير نظام فى منصب الصدر الأعظم.
- ١٥ ربيع الآخر ١٢٦٥: تمرد كثيرون على ميرزا تقى خان أمير كبير.
- ٢٨ ربيع الآخر ١٢٦٥: قتل السيد على محمد الباب فى تبريز.
- ١٢ رمضان ١٢٦٥: وفاة حاجى ميرزا آقاسى، الصدر الأعظم الـسابق لإيران فى كربلاء.

القسم الثانى
اليقظة لمحة تاريخية

عصر من الغفلة:

تولى ناصر الدين شاه رابع ملوك الأسرة القاجارية السلطة عام ١٢٦٤ هـ.ق. وحكم إيران باقتدار حتى عام ١٣١٣هـ. ق أى لمدة خمسين عاما إلا بضعة شهور. وبعد توليه السلطة بفترة وجيزة، حدث عام ١٢٦٥هـ ق (١٨٤٨م) تحول هائل على الساحة العالمية، ونشبت ثورات عظمى فى كافة الدول الأوروبية تقريبا. وفى نفس العام أيضا نشر كارل ماركس بيان الحزب الشيوعى، ولكن إيران ظلت غافلة عن تلك الثورات والتغيرات العالمية.

لم تكن فتنة البابية التى بدأت فى نهاية عهد محمد شاه تخلو من الأهمية على الجانبين السياسى والاجتماعى، وعلى الرغم من أنها شكلت عبئًا للدولة على مدى السنوات الأربع الأولى من عهد ناصر الدين شاه فقد قُمعت فى النهاية على يد ميرزا تقى خان أمير كبير أكثر رجالات إيران جدارة فى العصر الحديث. وصار من المتفق عليه أن الأمن والأمان قد ساد خلال بقية عهد الشاه ولكنه فى الحقيقة مضى فى خدر وأوهام وغفلة كالعصور الوسطى فى أوروبا (عدا السنوات الست الأخيرة التى تشكل أهمية لما وقع خلالها من أحداث سياسية حادة). ولم يكن الحديث فى تلك الفترة يدور حول السياسة بل فى الغالب حول الشعر والتصوف والأديان.

تنافس روسيا وبريطانيا فى إيران: بعد الهزيمة التى لحقت بإيران من روسيا عانت دولة إيران من ضغوط ندين قويين. ونتيجة لمعاهدة "تركمن جاى" والضرر الذى كان قد لحق بالملوك القاجاريين من جراء الروس، ظلوا يجاملون إلى فترة طويلة جاراتهم الواقعة إلى الشمال، ولكن يبدو أنهم كانوا يحاولون

الموازنة قدر الإمكان بين الجارتين. ولكن هذه الموازنة فشلت فيما بعد وخاصة منذ تولى ميرزا حسين خان سـپهسالار ومارست كل من روسيا وبريطانيا تلك الحيلة السياسية التى اصطلح على تسميتها "النفوذ السلمى" وذلك من أجل تحقيق أهدافهما التى تمثلت فى تدعيم نفوذهما فى آسيا وبالتالى إضعاف إيران وعمل الإنجليز على تشجيع الفساد فى إيران وتعيين الأشخاص الضعفاء غير الأكفاء فى المناصب الحيوية من أجل حماية مصالحهم والحيلولة دون تزايد النفوذ الروسى فى إيران، وجعلوا البلاط والحكومة الإيرانية طوع هواهم تارة عن طريق تقديم الأموال والوعود بالمناصب؛ وتارة أخرى عن طريق التهديد والترهيب.

الحصول على الامتيازات:

أفسد الروس والإنجليز البنيـة الاقتصادية فى إيران لدرجـة أن الحكومة اضطرت لمـد يد الحاجة إليهم. وبسبب احتياج الدولة المدينة كانت الدولتان تقدمان هذه المساعدات البسيطة فى مقـابل فرض شروط صعبـة ومجحفة، بعبارة أكثر وضوحا كانتا تحصلان من إيران على "امتيازات" دون أن تصرحا بهذه الكلمة.

وكانت هذه القروض المتتالية والمستمرة تجبر الحكومة الإيرانية على الاستسلام للشروط والمطالب الأخرى لهما خشية المطالبة برد الديون.

وعلى هذا النحو حصل الإنجليز قبيل الثورة الدستورية بعدة سنوات على امتياز التلغراف من خانقين إلى طهران ومن طهران إلى بوشهر، وامتياز السكة الحديد من بحر قزوين إلى الخليج الفارسى و"خدمات عامة مفيدة" أى إنشاء خطوط الترام والتعدين واستغلال الغابات والأنهار وغيره لصالح البارون جوليوس دورويتر[1] وامتياز الملاحة فى القطاع الجنوبى من نهر كارون لصالح لينتش،

---

(1) تم إلغاء هذا الامتياز نتيجة الخلاف بين الروس ورجال الدين.

وامتياز بنك إيران الملكى لصالح رويتر، وامتياز احتكار الدخان لصالح تالبوت(١) وأخيرا امتياز البترول لصالح ويليام نكسى دراسى(٢).

وقام الروس بدورهم بتعبيد الطرق المهمة فى الولايات الشمالية من إيران، واستغلوا رحلة ناصر الدين شاه الثانية إلى روسيا وحصلوا على موافقة الحكومة الإيرانية على تشكيل فرقة القوزاق فى إيران، ثم حصلوا بعد ذلك أيضا على امتياز بنك القروض والرهونات.

وسيطر الإنجليز والروس على كافة الشئون الاقتصادية والقطاعات الحيوية فى إيران تقريبا؛ الإنجليز عن طريق البنك البريطانى ذى الاسم البراق "بنك إيران الملكى"؛ والروس عن طريق بنك القروض.

إن ناصر الدين شاه الذى كان يظن فى البداية أنه ملك الملوك بالفعل، تورط فى الأمر شيئا فشيئا(٣) وأخذ يرقب تدهور الأوضاع، وربما لم يكن يرغب حقيقة أن يحكم على نهج أبيه نظرا لما حظى به من معرفة ضئيلة بأوضاع أوروبا؛ ولكنه لم يكن يستطيع برغم الصلاحيات الواسعة التى تمتع بها أن يتراجع بسهولة(٤). وفى ذلك الوقت كانت قد كبلته المشاكل الداخلية مثل عدم وجود رجال أكفاء محنكين ومخلصين وذوى خبرة وتسلط رجال الدين المتشددين بشكل كبير والأهم من ذلك تنافس الندين القويين لدرجة أنه شعر باليأس تجاه اتخاذ أية خطوة

---

(١) ألغى هذا الامتياز أيضا نتيجة اعتراض العلماء والشعب.

(٢) ألغى هذا الامتياز فى خرداد عام ١٣١٢ ش ومُنح عوضا عنه الامتياز المؤرخ فى ٢٩ أبريل ١٩٣٣ للشركة البريطانية الإيرانية للبترول المحدودة، وألغى أيضا الامتياز الأخير بموجب قانون تأميم البترول فى ٢٤ اسفند ١٣٢٩ش.

(٣) الكونت جوبينواز، رسالتان مؤرختان فى يونية ويولية عام ١٨٦٣ (مجلة يغما، العام ١٣ العدد ١٥).

(٤) المرجع السابق

مفيدة فى السنوات الأخيرة من عهده ولم يكن يفعل شيئا عدا السفر والصيد والاستسلام للمتع(١).

ناصر الدين شاه: على كل حال قتل ناصر الدين شاه "الملك العجيب والمتهوس" الذى كان يتحدث دائما عن العدالة والإصلاحات على الرغم من أن فترة حكمه كانت مليئة بالظلم والجور والكثير من المظالم، وذلك فى ساحة مسجد الشاه عبد العظيم إثر طلقات نارية أطلقها عليه رجل فطن وجسور يسمى ميرزا رضا الكرمانى من المفتونين بداعية الوحدة الإسلامية السيد جمال الدين الأفغانى، وكان ذلك فى عصر يوم الجمعة ١٨ ذى القعدة ١٣١٣، قبيل أربعة أيام من الاحتفال السنوى بمرور خمسين عاما على توليه السلطة، بعد نصف قرن من الحكم المطلق ومنح امتيازات كثيرة للأجانب. وأقر ميرزا رضا فى الاستجواب أن سبب هذا التصرف هو خراب الدولة وظلم الحكام وشيوع الفساد ووجود مجلس للوزراء من الخائنين. وأعرب عن قلقه إزاء منح امتيازات كثيرة للأجانب و"أن مملكة المسلمين سوف تقع فى أيدى الأجانب" وقال كان ملكا أفرزت أعماله الخراب وفساد الدولة وكـان رجال حكومته من الأراذل والأوباش، و"يجب قطع مثل تلك الشجرة حتى لا تثمر هذا النوع من الثمار ثانية".

إرهاصات الثورة الدستورية:

خلال عصر ناصر الدين شاه والذى دام خمسين عاما ومنذ بداياته الأولى ظهرت عوامل وأسباب أثرت فى مجموعها وكذلك كل منها بشكل أحادى فى

---

(١) كتب فى رسالة إلى ملكم وزير إيران المفوض فى لندن مبينا موقفه على النحو التالى: لقد تورطت الحكومة الإيرانية فى التنافس الدائر بين حكومتى بريطانيا وروسيا. وكلما أردنا إنجاز عمل فى جنوب إيران بغرض المنفعة والمصلحة وتعمير مملكتنا؛ تقول الحكومة الروسية إنكم تفعلونه لمصلحة بريطانيا... وإذا أردنا أن ننجز مثل هذه الأعمال فى شمال وغرب وشرق إيران يقول الإنجليز إنكم تبادرون بإنجاز هذه الأعمال لصالح روسيا. لقد صارت مهمتنا صعبة وسوف تصبح أكثر صعوبة يوما بعد يوم. إذن فلسوف يأتى الروس والبريطانيون فجأة ويقولون إن دولة إيران ليست دولة مستقلة..".

ظهور الأفكار المنادية بالحرية. ولو تجاوزنا الإنجازات الأولى لولى العهد عباس ميرزا ووزيره المثقف ميرزا أبي القاسم قائمقام في سبيل الأخذ بالفنون والصناعات الحديثة والترويج لها، فيجب علينا أن نعتبر إصلاحات ميرزا تقى خان أمير كبير وخاصة تأسيس دار الفنون عام ١٢٦٨ هـ. ق بإشارة منه وتحت إشرافه واستقدام المعلمين الأجانب لتدريس العلوم الأوروبية الحديثة لأبناء إيران؛ الخطوة الأولى في هذا الطريق، ومما أثر بعد ذلك على اليقظة الفكرية لدى الإيرانين تأثيرا قاطعا رحلتا السيد جمال الدين الأفغاني إلى إيران في عامي ١٣٠٤ - ١٣٠٧هـ.ق ودعوته الواسعة لمناهضة الاستبداد وضرورة إجراء الإصلاحات، ومساعي أتباعه وأصدقائه المتحمسين. وجدير بالذكر أيضا أن المستنيرين والمطالبين بالحرية من الإيرانيين الذين أدركوا منذ فترة طويلة فقر إيران المادى والمعنوى وحملوا هموم الأوضاع السائدة فيها كانوا يكتبون من خارج إيران، وعملوا على إنارة عقول الناس وتوعيتهم من خلال الصحف والكتب. ويعد ميرزا ملكم خان ناظم الدولة الأصفهاني من الشخصيات التي أثرت في إيقاظ الشعب الإيراني ونثر بذور الثورة وكان عضوا بوزارة الشئون الخارجية الإيرانية. ونتيجة لما اشتهر بالمحفل الماسوني (أو ما شابه ذلك) الذى أسسه في طهران وصحيفته المعروفة بـ (القانون) التي كانت تطبع في لندن وكذلك رسائله الكثيرة النافعة حدث انقلاب في نمط تفكير الإيرانيين.

وكانت هناك عدة عوامل أحدث كل منها في وقته وبالتدريج صدعا في هيكل النظام الاجتماعي الفاسد في إيران وهي ترجمة مقالات ومسرحيات ميرزا فتحعلي آخوند زاده ورسائل وأشعار ميرزا آقاخان الكرماني وكتب ميرزا عبدالرحيم طالبوف التي كانت توضح الأسس العلمية والمبادئ الاجتماعية بأسلوب ميسر، والرواية الاجتماعية لزين العابدين المراغي المقيم بإسطنبول، والصحف الفارسية التي كانت تطبع في مصر والهند وإسطنبول، وتردد تجار آذربيجان على

تركيا والقوقاز، وعلى وجه الخصوص الحرب بين روسيا واليابان فى فبراير عام ١٩٠٤م وهزيمة روسيا غير المتوقعة من اليابان التى أدت إلى عقد اتفاقية سلام فى الخامس من سبتمبر من العام اللاحق فى بورتسموث بأمريكا، والصدمة التى أحدثها هذا الأمر فى أذهان الإيرانيين، وبعد ذلك الحركات الثورية المتوالية فى روسيا القيصرية والتى أفرزت قيام الثورة الروسية الأولى عام ١٩٠٥م أى قبيل الثورة الدستورية فى إيران بوقت وجيز، وانعكاس أخبار تلك الثورة عن طريق جريدة ملا نصر الدين النائب الديمقراطى الشاب عن القوقاز الذى كان يحمل إلى مسامع الإيرانيين تلك الأحداث تفصيلا، وظهور الصحف والمجلات النافعة والمؤثرة الأخرى فى القوقاز ورواجها بين أهالى آذربيجان. وأصابت هذه العوامل الطبقة الحاكمة فى إيران بالقلق من نمط الإدارة القديمة التى كانت تعرض الدولة عاجلا أو آجلا للبيع لرؤوس الأموال الأجنبية أو الاحتلال المرتقب من قبل روسيا وبريطانيا، وهيأت هذه العوامل أيضا الشعب لقبول التغير الجذرى فى شكل الإدارة واختيار أسلوب جديد للحياة، وعلى هذا النحو نشأت تدريجيا الرغبة فى تغيير الأوضاع الاجتماعية والمدنية القديمة والبالية التى كانت بذورها قد نثرت منذ النصف الأول من القرن الثالث عشر من الهجرة، ونمت تدريجيا وعلى مهل وأفرزت الثورة الدستورية.

الباب الأول
النثر الفارسى فى مرحلة اليقظة

المقدمة

إن التحول الذى أحدثه قائمقام وأتباعه فى النثر الفارسى كان قد أسس أيضا على خصائص الأسلوب القديم بالرغم من اتجاهه نحو البساطة. وبعد قائمقام ورفاقه استخدم عدد من الكتاب أسلوبا خاصا فى مؤلفاتهم لم يختلف اختلافا جوهريا عن أسلوب أسلافهم ومنهم هدايت صاحب مجمع الفصحاء وسبهر مؤلف ناسخ التواريخ واعتماد السلطنة صاحب العديد من الكتب وأديب الممالك الفراهانى ومحمد حسين فروغي ذكاء الملك. ولكن مع انتشار اللغات الأوروبية وغزو العلوم الحديثة لم يكن ليستمر هذا الأسلوب ولم يقلدهم أحد.

كان ناصر الدين شاه نفسه ملما إلماما ضئيلا باللغة الفرنسية، وعلى معرفة طيبة بالتاريخ والجغرافيا، وكان قد اطلع على أوضاع الغرب والحضارة الغربية إلى حد ما أثناء رحلاته. وتمتع بقريحة شعرية فكان أحيانا ينظم الشعر أو يأتى بمطلع قصيدة ويدع إتمامها لشعراء البلاط. وكان يكتب نثرا لطيفا سلسا، وتخلو كتاباته من الأخطاء إلى حد بعيد. وتتميز كتب رحلاته إلى المزارات المقدسة لآل البيت وخراسان ومازندران وغرب أوروبا – سواء كتبت بقلم الشاه نفسه، أو بناءً على أوامره وبأقلام الآخرين – باستخدام نثر بسيط وسلس يخلو من الكلفة، يوضح ذوق الكاتب وموهبته فى الإنشاء وتنميق الكلام.

وكان فرهاد ميرزا نجل ولى العهد وشقيقه اعتضاد السلطنة رجلين متعلمين فاضلين ماهرين فى الكتابة، وخاصة اعتضاد السلطنة الذى عمل لفترة طويلة وزيرا للمطبوعات وأسهم مساهمة فعالة فى اليقظة الفكرية وتقدم العلوم ونشر الثقافة الحديثة.

وفى تلك الفترة عاد إلى إيران من كانوا قد سافروا إلى أوروبا حاملين معهم هدايا قوامها الأفكار الغربية الحديثة، ومع تقدم فن الطباعة راجت الكتب التاريخية والعلمية والأدبية بالفارسية والعربية. وظهرت الصحافة منذ بداية عهد ناصر الدين شاه في نطاق البلاط أولا ثم بين عامة الناس.

وأسست مدرسة دار الفنون نتيجة لمساعى أمير كبير، وقام المعلمون الأوروبيون بمساعدة تلاميذهم من الإيرانيين بترجمة الكتب العلمية والفنية والعسكرية إلى الفارسية من أجل سد حاجة الطلاب. وتُرجمت ونُشرت خارج نطاق دار الفنون الكتب التاريخية والكثير من القصص على أيدى مترجمى العصر الناصرى، واضطر المترجمون لمحاكاة بساطة المتون الأصلية، وأثمرت المحاولات التى كانت قد بدأت منذ فترة سابقة من أجل تخليص اللغة من الألفاظ الفجة والتركيبات المستهجنة مع رواج المقالات فى الصحف الصادرة داخل إيران وخارجها وورود كتب ومقالات الكتاب الإيرانيين المقيمين بالخارج. وفى مقابل سيل التجديد تراجعت الكتابة البلاغية القديمة المكتظة بالصنعة والكلفة بما فيها من سجع ومراعاة النظير والاستشهاد بالأحاديث ومأثورات فطاحل العرب والفرس وتركت مكانها للكتابة البسيطة السلسة الموجزة المفهومة.

الفصل الأول: الطباعة والمطبعة

لو لم تكن إيران قد استخدمت الطباعة والمطبعة عندما أدركت الحاجة إليهما فى ظل الاتصال بالغرب لما ظهرت أيضا الصحف والصحافة بالمعنى المعاصر لهما.

يقول القس أنج دوسن جوزيف[١] وهو من أهالى تولوز بفرنسا ومن مبشرى طائفة نصارى الكرملين وقد أقام لفترة فى إيران وأعد معجما من الفرنسية للفارسية[٢] وطبع عام ١٠٩٦ هـ.ق فى فرنسا يقول فى شرح الألفاظ "باصمه خانه، كارخانهء بصمجى، مطبع"[٣]:-

"إن آباءنا القدامى (قساوسة نصارى الكرملين) كانوا قد أقاموا فى دار عبادتهم بأصفهان مطبعة بالحروف العربية والفارسية ولازالوا يملكونها. ولدى الأرمن فى جلفا أيضا مطبعة أرمنية".

بناء على هذا حملت طائفة الكرملين أول مطبعة معها إلى إيران بعد عام ١٠١٦ هـ.ق عندما قدمت هذه الطائفة إلى أصفهان، وقد طبعت فى البداية بعض الأدعية والأذكار المسيحية باللغتين العربية والفارسية.

امتلك الأرمن مطبعة أرمنية زمن قديم كما أفاد سن جوزيف، وإلى حد علمنا افتتح خليفة خا جادور القيصرى[٤] عام ١٠٥٠هـ.ق (١٦٤١م) مطبعة فى أصفهان للمرة الأولى، وكان الورق والأحبار والحروف الخاصة بتلك المطبعة تصنع فى جلفا أيضا ويوجد حتى الآن فى متحف كنيسة "وانك" عدد من الحروف وألواح الضغط والكتب التى طُبعت فى تلك المطبعة وبهذه الحروف[٥].

---

(١) Ange de Saint Joseph

(٢) Gazophylaciun Linguae Persarum

(٣) بصمه" و"باصمه" فى التركية بمعنى طباعة "وباصمه خانه" بمعنى مطبعة وكان يطلق حتى تلك الفترة فى إيران على المطبعجى أو القائم على الطباعة كلمة "باصمه چى" (باسمه چى) و"چاپ‌چى". ويبدو أيضا أن كلمة (چاپ) مأخوذة من كلمة "چهاپ" الهندية والسنسكريتية.

(٤) خاجادور جساراتسى

(٥) قدم بتوجالستيان هذه المعلومات إلى صحيفة "اطلاعات".

ويقول أيضا "هوتوم شيندلر" في رسالته إلى مدير صحيفة (كاوه) بخصوص هذه المطبعة: "... لقد طبعت العديد من الكتب بالحروف الأرمنية، وهي موجودة منذ عام ١٠٥٠ هـ. ق بالمكتبة، ويوجد الآن عدد من الحروف القديمة في مذبح الكنيسة بجلفا"(١).

وورد في دائرة المعارف البريطانية ذكر ورقة كبيرة باللغة الأرمنية طبعت في جلفا بأصفهان وذلك تحت مادة "الأدب الأرمني" وقد طبعت عام ١٠٥٠ هـ.ق وموضوعها ديني(٢).

ولكن الإيرانيين الناطقين بالفارسية أنفسهم لم يمتلكوا مطبعة لسنوات طويلة، واستفادوا من مزاياها في وقت متأخر جدا. وفي كتابه للرحلات يقول الرحالة الفرنسي شاردن (١٦٤٣-١٧١٣م) الذي زار إيران في عهد الشاه سليمان الصفوي: "إن الإيرانيين لديهم شوق مفرط لدخول الطباعة إلى بلدهم وقد أدركوا تماما فوائدها وأهميتها، ورغم ذلك لم يُؤسس أحد مطبعة. وفي عام ١٠٨٧ هـ.ق كان يرغب شقيق وزير البلاط وهو عالم جليل ومقرب إلى مجلس الشاه أن يعقد معي اتفاقية لإحضار حرفيين إلى إيران ليعلموا الإيرانيين هذه الحرفة البديعة. وعرض المشار إليه الكتب العربية والفارسية المطبوعة التي كنت قد حملتها له على صاحب الجلالة، وتمت الموافقة على هذا الاقتراح ولكن عندما طرح موضوع دفع التكاليف ضاع هباءً كل ما تم الاتفاق عليه"(٣).

مضى ما يقرب من قرن ونصف على زمن شاردن ولم يتخذ الإيرانيون خطوة لإنشاء مطبعة إلى أن تعلم عدد من الإيرانيين تلك الحرفة في أوروبا لأول مرة في عهد فتحعلي شاه القاجاري بفضل ولي العهد عباس ميرزا، وأحضروا إلى إيران ماكينة طباعة بالحروف (بالرصاص)(٤) وبعدها مطبعة للطبع بالحجر(٥).

---

(١) من رسالة هوتوم شيندلر General Sir A. Houtum Schindler التي أرسلها عام ١٣٣٢هـ.ق من لندن لتقي زاده، صحيفه "كاوه" للعام الثاني (الإصدار الحديث)، العدد الخامس.

(٢) صحيفة "كاوه"، للعام الثاني (الإصدار الحديث)، العدد الخامس.

(٣) سياحتنامهء شاردون، ترجمة محمد عباسي، ج٤، طهران، ١٣٣٦ش.

(٤) Typography

(٥) Lithography

وهناك خلاف حول أول من افتتح مطبعة في إيران، ولكن من المسلم به من مجموع المعلومات المتاحة في هذا الشأن أن آلة الطباعة بالحروف أُحضرت إلى إيران أولا واستخدمت في مدينة تبريز.

ويقول هوتوم شيندلر في رسالته إلى تقي زاده: "لقد أحضر شخص يدعى السيد زين العابدين التبريزي عام ١٢٣٣ آلة صغيرة للطباعة بالحروف إلى تبريز بفضل رعاية ولي العهد عباس ميرزا الذي كان حاكما لآذربيجان في ذلك الوقت، وأنشأ مطبعة صغيرة وبعد فترة طبع فيها كتاب "فتحنامه". وكان هذا الكتاب أول كتاب يطبع في إيران بالحروف العربية. ومؤلف الكتاب المذكور ميرزا أبو القاسم قائمقام، ويروي الكتاب حكايات عن الحرب التي دارت عام ١٢٢٧ هـ. ق بين روسيا وإيران التي انتهت بعقد معاهدة جلستان المؤرخة بتاريخ ١٢ أكتوبر ١٨١٣م الموافق ١٦ ذي القعدة ١٢٢٨"[١].

وفي بداية عام ١٢٣٥ هـ.ق عاد "ميرزا صالح الشيرازي[٢]" إلى تبريز حاملا أدوات الطباعة ومكبسا صغيرا باهظ الثمن حيث كان قد درس حرفة الطباعة وصناعة أحبارها وترصيص الحروف في بريطانيا إلى جوار دراسته

(١) صحيفة كاوه، العام الثاني (الإصدار الحديث) العدد الخامس.

(٢) كان ميرزا صالح بن الحاج باقرخان الكازروني الشيرازي واحدا من خمسة أشخاص أرسلهم ميرزا قائم مقام الأول إلى لندن عام ١٢٣٠هـ. ق بناءً على أمر من عباس ميرزا لدراسة العلوم والحرف، وتعلم هذا الرجل شديد الفطنة اللغات الإنجليزية والفرنسية واللاتينية خلال المدة التي قضاها في لندن والتي ناهزت ثلاث سنوات وتسعة شهور وتسعة أيام. ودرس التاريخ والعلوم الطبيعية ومارس بعض الحرف مثل صناعة الزجاج والأحبار وترخيص حروف المطبعة. وانضم هناك للمحفل الماسوني، وعند عودته إلى إيران عين مترجما ومستشارا لولي العهد عباس ميرزا في تبريز ثم عين وزيرا لشئون طهران، وارتحل لتأدية العديد من المهام، ومن ذلك شارك في عضوية وفد المبعوثين إلى البلاط الروسي (١٢٤٥ هـ ق) تحت رئاسة خسرو ميرزا وبرفقة شاب يسمى ميرزا تقي خان الفراهاني (الذي عُرف فيما بعد بأمير كبير الصدر الأعظم الإيراني الشهير)، كما أنشأ أولى الصحف الفارسية الصادرة في إيران.

للغات والعلوم[١]، ويبدو أن هذه الماكينة التى تستخدم الحروف فى الطباعة، والتى كان قد أحضرها معه إلى إيران قد استخدمت فى تبريز، ولكننا لا نملك معلومات مؤكدة عن مصير هذه الماكينة والأعمال التى طبعتها".

ويعتقد الأستاذ مجتبى مينوى أن ماكينة الطباعة التى أحضرها ميرزا صالح الشيرازى معه من إنجلترا كانت أول مطبعة استخدمت فى إيران لطباعة الكتب الفارسية. ويُقال إن مدير هذه المطبعة التى تستخدم حروف الرصاص كان شابا يسمى ميرزا جعفر، لهذا ليس من المستبعد أن يكون ميرزا صالح قد عين المهندس ميرزا جعفر رفيقه فى الرحلة لإدارة المطبعة، خاصة وأن ميرزا صالح كان قد أصبح من الأعيان ورجال الدولة ولم يكن لديه متسع لمتابعة المطبعة[٢].

وفى عام ١٩٠٢ م طبع فى باريس كتاب فرنسى اسمه "المطبعة خارج أوروبا"[٣] لكاتب مجهول متخصص فى علم المكتبات[٤] ونقل هذا الكتاب عن لسان الدكتور كوتون[٥] أن شابا يسمى ميرزا جعفر تولى عام ١٨٢٢م إدارة أول مطبعة تستخدم حروف الرصاص فى مدينة تبريز وكان الجلستان أول كتاب يطبع فيها[٦]، ولم يذكر ميرزا جعفر مطلقا بصفته أول من أسس مطبعة تستخدم حروف الرصاص فى تبريز. ومع ذلك كله ليس من المستبعد أن يكون ميرزا صالح قد عين على المطبعة رفيق رحلته إلى لندن ميرزا جعفر التبريزى[٧] الذى كان قد

---

(١) سفر نامهء ميرزا صالح (نقلا عن مجلة يادگار، العام الأول، العدد الثالث).
(٢) مجتبى مينوى: كاروان معرفت، مجلة يغما، العدد السادس، العدد الثامن.
(٣) Imprimerie hors de l'Europe
(٤) Un bibliographe
(٥) Dr. Cotton
(٦) صحيفة كاوه، العام الثانى (الإصدار الحديث)، العدد الخامس.
(٧) كان هذا الرجل قد سافر إلى انجلترا عام ١٢٣٠هـ.ق ضمن بعثة من خمسة دارسين وتعلم هناك الهندسة والرياضيات والمدفعية، ثم ذهب إلى تركيا سفيرا لإيران ولُقب بمشير الدولة، وبعد أن عزل ناصر الدين شاه ميرزا آقا خان نورى فى محرم ١٢٧٥ هـ.ق من منصب الصدارة وأسس مجلس الشورى محاكاة للدول الأوروبية، عينه لرئاسة هذا المجلس، وهو نفس الشخص الذى وجه إليه ملكم عام ١٢٧٦هـ.ق رسالته المعروفة بـ "كتابچهء غيبى"=

درس الهندسة فى بريطانيا وعلى ذلك نسب إليه تأسيس هذه المطبعة فى تبريز، ولكن على كل الأحوال، فإن مجموع المعلومات المتوفرة لدينا كما سبق الذكر تشير إلى أن ميرزا زين العابدين قد استقدم من روسيا أول مطبعة للرصاص إلى تبريز، وأن هذه المطبعة قد عملت عام ١٢٣٢ هـ.ق أو عام ١٢٣٣ هـ.ق كما أكد شيندلر؛ أى قبل عامين أو ثلاثة من عودة ميرزا صالح إلى تبريز.

ومن أوائل الكتب التى طبعت طباعة بالحروف فى تبريز، مآثر سلطانى لعبد الرازق بيك دنبلى عن تاريخ سلطنة فتحعلى شاه والذى تم إهداؤه لولى العهد. طبع هذا الكتاب بهمة وإشراف ملا محمد باقر التبريزى فى أواخر شهر رجب ١٢٤١هـ.ق، وبعد فترة طُبعت رسالة صغيرة تسمى "رسالهٴ آبله كوبى درفوايد تلقيح ولزوم تعميم آن" أى "رسالة التطعيم ضد الجدرى وفوائد استخدامه وضرورة تعميمه"(١).

ولا نعلم على وجه الدقة تاريخ افتتاح أول مطبعة للحروف فى طهران. ويضيف شيندلر سالف الذكر فى رسالته لتقى زاده: ".... استدعى فتحعلى شاه عام ١٢٤٠هـــ ق ميرزا زين العابدين لدار الخلافة (طهران)، وقدم ميرزا المذكور فى البداية إلى منزل ملك الشعراء الثانى، ولكن لما لم يكن ملك الشعراء على علم بهذا الأمر، دعا منوچهر خان معتمد الدولة ميرزا زين العابدين وأسكنه فى تكية منوچهر خان، وبعد ذلك بفترة قصيرة طبع ميرزا زين العابدين القرآن الكريم طباعة حروف بخط المرحوم ميرزا التبريزى، وهو ما عرف بـــ "قرآن معتمدى". وتتلمذ عدد من الطلاب على يد ميرزا زين العابدين، ومنهم المرحوم مير باقر الذى طبع فيما بعد نسخة من ناسخ التواريخ للمؤلف لسان الملك وذلك فى طبعة حجر. وقد وردت الإشارة إلى ميرزا زين العابدين المذكور فى كتاب "مآثر

= يادفتر تنظيمات" والتى تحتوى على خطة للإصلاحات. وتوفى عام ١٢٧٩هـ.ق.

(١) تأليف للدكتور كارمك، ملحق "أنوار الناصرية يا مرآة الحكمة الناصـــرية"، تبريـــز، ١٢٤٥ هـ.ق.

سلطاني" الذى طبع طباعة حروف بتبريز فى رجب ١٢٤١هـ.ق وذلك ضمن وصف طباعة الكتاب؛ وجاء فى هذه الإشارة أن زين العابدين قد طبع فى دار الخلافة طهران مجلدات من كتب الحديث تحت إشراف منوچهر خان وأن التجار يحملونها إلى الولايات لبيعها"[١].

إن هذه التوضيحات لا تزيح الغموض عن تاريخ تأسيس أول مطبعة للحروف في طهران، وعندى شك فى أن يكون "قرآن معتمدى" قد طبع طباعة حروف، لأن هذا النوع من الطباعة لا يحتاج إلى خط وخطاط، وأعتقد أن نسخة القرآن التى أشار إليها شيندلر قد طُبعت طبعة حجر[٢]. ويتضح أنه فى نفس الوقت الذى كانت تدار فيه مطبعة الحروف الأولى فى تبريز كانت تعمل مطبعة أخرى فى طهران فى حدود عام ١٢٤٠هـ.ق، دون أن تنقل مطبعة تبريز إلى طهران، لأن العديد من الكتب قد طبعت فى هاتين المطبعتين عام ١٢٤٠هـ.ق والأعوام اللاحقة[٣].

على كل الأحوال أُغلقت مطبعة للحروف فى تبريز على ما يبدو عام ١٢٥٠هـ.ق بعد فترة قصيرة من وفاة عباس ميرزا الذى توفى عام ١٢٤٩هـ.ق، كما أغلقت أيضا مطبعة الحروف بطهران بعد عشر سنوات تقريبا عام ١٢٦١ أو ١٢٦٢ هـ.ق، واقتصرت المطابع فى إيران على طباعة الحجر لفترة تزيد على ستين عاما.

ودخلت طباعة الحجر إلى إيران بعد طباعة الحروف بثماني سنوات، وكان لعباس ميرزا أيضا الأسبقية فى هذا المجال. أرسل هذا الأمير المحب للعلوم ميرزا جعفر التبريزى عام ١٢٤٠هـ.ق إلى موسكو لدراسة حرفة الطباعة. وقد حاكت

---

(١) صحيفة كاوه، العام الثانى (الإصدار الحديث)، العدد الخامس

(٢) للأسف لم يرد ذكر النسخ المطبوعة من القرآن فى فهرس الكتب المطبوعة لخان بابا مشار (طهران ١٣٣٧ش) وليس عندى وسيلة لمزيد من البحث حول هذا الموضوع.

(٣) صحيفة كاوه، العام الثانى (الإصدار الحديث) العدد الخامس ومن بين الكتب التى طبعت طباعة حروف فى طهران يمكن ذكر كتاب "محرق القلوب" ١٢٣٩ هـ.ق، و"عين الحياة وحياة القلوب" (فى ثلاثة أجزاء) ١٢٤٠ هـ.ق

العاصمة مدينة تبريز فى هذا المجال أيضا، وأوفد ميرزا صالح الشيرازى وزير شئون طهران ميرزا أسد الله – وكان من أهالى فارس – إلى بطرسبورج(١)، وأتم المبعوثان المهمة بنجاح، ولكن لا يُعرف السبب وراء إدارة كل منهما مطبعة تستخدم طباعة الحجر فى طهران.

وطُبع أول كتاب طباعة حجر عام ١٢٤٨هـ.ق تحت إشراف ميرزا أسد الله، وكان القرآن الكريم، وبعد ذلك طُبع كتاب تفسير زاد المعاد فى غرة ذى الحجة عام ١٢٥١ هـ.ق. وكُتب كل منهما بخط الخطاط ميرزا حسين(٢).

---

(١) ورد بالصفحة الأخيرة من "زاد المعاد" طبعة تبريز ١٢٥١هـ.ق: "أنا محمد صالح بن الحاج باقر خان الشيرازى العبد ببلاط ملاذ العالم، كنت قد ذهبت فى مأمورية لروسيا (لا أعلم إن كان يقصد سفره عام ١٢٤٥هـ.ق ضمن البعثة التى رأسها خسرو ميرزا أم يقصد رحلة أخرى) وتعلمت حرفة الطباعة الحديثة فى تلك الديار وحملت معداتها وتجهيزاتها إلى دار السلطنة تبريز ووضعتها فى دار الطباعة، وعُين على إدارتها عالى المقام آقا على بن المرحوم الحاج محمد حسين الشهير بأمين الشرع التبريزى... وبعد طباعة القرآن المجيد تيمنا، تمت طباعة كتاب زاد المعاد الذى يلى كلام رب العباد وذلك فى غرة شهر ذى الحجة الحرام عام ١٢٥١هـ.ق"

(٢) ذُكرت الكتب التالية من بين ما طبع طباعة حجر فى تبريز: زيارة عاشوراء فى حجم كبير، ١٢٥٥ هـ.ق؛ كليات سعدى بقلم الخطاط ميرزا تقى ١٢٥٧هـ.ق؛ كليات حافظ ١٢٥٨هـ.ق، صد كلمة حضرت على و ترجمتها للفارسية نظما ١٢٥٩هـ.ق؛ تاريخ جهانگشاى نادرى ١٢٦٠ هـ.ق؛ تقويم رقومى لميرزا تقى أهدى ١٢٦١هـ.ق؛ ألف ليلة وليلة بالفارسية ترجمة عبد اللطيف الطسوجى وبقلم الخطاط ميرزا على ١٢٦١هـ.ق؛ قواعد پارسى لميرزا عبد الكريم الأيروانى ١٢٦٢هـ.ق؛ جنات الخلود ١٢٦٢هـ.ق؛ منشآت ميرزا مهديخان بخط ميرزا مهدى التبريزى ١٢٦٣هـ.ق؛ مثنوى مولانا رومى ١٢٦٤هـ.ق؛ كليات سعدى ١٢٦٤هـ.ق، جهان نما ترجمة فلوغون روفائيل بخط جرعة الشاعر ١٢٦٧هـ.ق، كتاب الأدعية والتعقيبات المترجم للفارسية بريشة الخطاطة فاطمة خانم والترجمة الفارسية بخط مصطفى مرندى المتخلص بـ (ساغر) ١٢٦٩ هـ.ق؛ شاهنامهء فردوسى ١٢٧٥ هـ.ق؛ ديوان ناصر خسرو ومختارات من غزليات مولوى الشهير بشمس تبريزى ١٢٨٥ هـ.ق؛ أجمل التواريخ لرضا قلى خان هدايت ١٢٨٣هـ.ق؛ امتحان الفضلاء يا تذكرة الخطاطين لميرزا سنگلاخ المشهدى فى ثلاثة مجلدات ١٢٩٥ هـ.ق، كليلة ودمنة لأبى المعالى نصر الله المنشى ١٣٠٠ هـ.ق (محمد على تربيت، مبدأ تاريخ ايرانشناسى در اروپ، مجلة ارمغان، العام الثانى عشر، العدد السابع).

وبعد خمس سنوات نقلت هذه المطبعة إلى طهران بأمر من الشاه وكان ديوان عبد الوهاب معتمد الدولة نشاط أول ما طبع بها، وكانت طباعته سيئة للغاية[1]. وفى المجمل فإن تاريخ دار الطباعة والمطبوعات فى طهران متأخر عن تاريخها فى تبريز (سواء طباعة الحروف أو الحجر). ويبدو أن ديوان غزليات حافظ هو أول كتاب يطبع فى طهران طباعة حجر، وقد طُبع بتاريخ الثامن عشر من محرم ١٢٥٤ هـ.ق[2].

وعممت طباعة الحجر على وجه السرعة فى إيران، فبعد تبريز وطهران أقيمت مطابع فى أصفهان وشيراز[3] وسائر المدن أيضا[4]. والعجيب أن طباعة

---

(١) محمد على تربيت، تاريخ مطبوعات إيران الترجمة الإنجليزية لبراون؛ ملك الشعراء بهار، سبلك شناسى، ج٣.

(٢) يقول محمد على تربيت فى مقالة "مبدأ تاريخ ايرانشناسى در اروپ" (مجلة ارمغان، العام الثانى عشر، العدد السابع) "لم ير المؤلف كتابا يفوق كليات حافظ الذى طبع فى الثامن عشر من محرم ١٢٥٤ هـ.ق فى قطع صغير وطبعة فاخرة للغاية". ثم يذكر بعد ذلك مطبوعات طهران التى صدرت فى طبعة حجر وهى كالتالى: المعجم فى آثار ملوك العجم ١٢٥٩هـ.ق؛ دبستان المذاهب ١٢٦٠ هـ.ق، تاريخ پادشاهان عجم ١٢٦٢ هـ.ق؛ خلاصة الحساب لميرزا جعفر خان مشير الدولة ١٢٦٢ هـ.ق؛ تاريخ پطر كبير وشارل دوازدهم واسكندر فى مجلد واحد ١٢٦٣ هـ.ق، أبواب الجنان ١٢٦٣ هـ.ق، كشكول بهائى ١٢٦٦ هـ.ق، وصاياى ناپليون ١٢٦٧ هـ.ق، جام جم معتمد الدولة ١٢٧٣ هـ.ق، كتاب السامى فى الأسامى ١٢٧٣ هـ.ق، ديوان بنائى ١٢٧٤ هـ.ق، مخزن الأدوية ١٢٧٧ هـ.ق، قاموس فيروز آبادى مع ترجمة فارسية فى الحواشى ١٢٧٧ هـ.ق، روضة الأنوار عباسى ١٢٨٤ هـ.ق، قابوسنامه ١٢٨٥ هـ.ق، بحر الجواهر ١٢٨٨ هـ.ق، جاودان خرد ١٢٩٤هـ.ق وبعد كتاب "جاودان خرد" تم ترجمة وتأليف سلسلة من الكتب تحت رعاية محمد حسن خان اعتماد السلطنة بلغ عددها حوالى ثلاثين كتابا وذلك خلال الفترة من ١٢٩٠حتى ١٣٢٤هـ.ق كملحق للتقويم السنوى وهى تاريخ إيران، مرآت البلدان، منتظم ناصرى، مطلع الشمس، خيرات حسان، المآثر والآثار، درر التيجان، التدوين فى جبال الشروين، تاريخ ساسانيان ونامهء دانشوران وغير ذلك.

(٣) لم تطبع مطبعة شيراز سوى نسخة من القرآن، وصدر عن مطبعة أصفهان الرسالة الحسنية المنسوبة للشيخ أبى الفتوح الرازى صاحب التفسير الشهير، وقام بترجمتها الشيخ إبراهيم جرجين الاسترابادى، وطبعت فى العام الأول لتأسيس المطبعة.

(٤) كانت أرومية أول مدينة بعد شيراز وأصفهان تأسس فيها مطبعة حيث كان المبشرون المسيحيون الأمريكيون يمتلكون مطبعة للحروف باللغات العربية والسريانية والأمريكية.=

الحروف التى كانت قد دخلت إيران أولا كما ذكرنا؛ ظلت معطلة لفترة طويلة إلى أن اشترى ناصر الدين شاه عام ١٢٩٠ هـ.ق – أثناء رحلته الأخيرة إلى أوروبا – ماكينة للطباعة بالحروف ومطبعة بالرصاص بمبلغ خمسمائة ليرة تركية من إسطنبول. وأحضرها إلى طهران مع متخصص فى ترصيص الحروف، ولكن أهمل استخدام هذه المطبعة، وفى النهاية أصلحها البارون نورمان(١) الذى كان قد حصل على تصريح بنشر صحيفة La patrie الفرنسية، وقام بتشغيلها وأحضر إلى إيران حروف رصاص لاتينية.

وكان لدى ولى العهد محمد على ميرزا مطبعة صغيرة تعمل تحت إرادته، وطُبع فيها ترجمة كتاب نهج البلاغة للفارسية وشرح له بقلم مولى محمد صالح بن محمد باقر الروغنى القزوينى (١٠٥٢-١١٠٦هـ.ق) التى نُسبت على سبيل الخطأ إلى الملا محمد صالح البرغانى القزوينى (المتوفى فى حدود عام ١٢٧٠هـ.ق) فى تبريز. (الغدير، ج٤، طبعة بيروت، ص ١٩٠؛ ريحانة الأدب، ج٢، ص ١٠١). وتمت تلك الطبعة تحت إشراف ميرزا على خان أديب خلوت آشتيانى (السرمدى) عام ١٣٢١هـ.ق. وهذه المطبعة هى نفسها التى اشتراها الحاج ميرزا آقا بلورى أثناء توجه محمد على ميرزا إلى طهران، وطُبعت فيها صحيفة "آذربايجان" وأغلب مؤلفات المناضلين فى سبيل الحرية.

=ويقول الدكتور بركين (Dr.J.Perkin) وهو من أوائل المبشرين الأمريكيين فى أرومية – فى كتابه المسمى "ثمانى سنوات فى إيران" عاد من أمريكا السيد بريت (Breath) المتخصص فى الطباعة فى الثانى عشر من رمضان ١٢٥٦ هـ.ق، وأحضر معه مطبعتنا التى كانت صغيرة ويمكن نقلها. وبدأت المطبعة عملها فى السادس والعشرين من رمضان، وطبعنابعض الأدعية باللغة السريانية وكان أهالى المدينة المسلمون مسرورين أيضا من إحضار المطبعة. وتقدم إلينا كبير الفلكيين فى أرومية وطلب منا أن نطبع تقويمه عن عام ١٢٥٧هـ.ق. وفى الخامس من شوال بدأنا فى طباعة الزبور باللغة السريانية القديمة". ويبدو أن المطابع أنشئت فى سائر المدن الإيرانية بعد أرومية على الترتيب التالى: بوشهر، مشهد، انزلى، رشت، اردبيل، همدان، خوى، يزد، قزوين، كرمانشاه، كرمان، جروس وكاشان (رسالة محمد على تربيت ترجمة براون الإنجليزية).

(١) Baron Louis de Norman

الفصل الثانى – الصحيفة والصحافة

إن كلمة "روزنامه" فى اللغة الفارسية ذات أصل قديم، وتشاهد هذه الكلمة أو المعرب منها على نحو "روزنامجه" فى الكتب التى ترجع للقرون الأولى من الإسلام(١) ومن ذلك قيل إن الصاحب بن عباد الكاتب الشهير ووزير آل بويه (المتوفى عام ٣٨٥هـ.ق) كان عنده "روزنامجه" وكان يدون فيها الوقائع اليومية، وبناء على هذا كانت تستخدم كلمة "روزنامه" قديما بمعنى سجل المذكرات والأحداث اليومية(٢).

وكان هذا المصطلح يستخدم فى القرون الأخيرة أيضا بنفس المعنى الأول تقريبا، وكانت التقارير التى يقدمها محررو الوقائع فى كل ركن من الدولة للحكومة تسمى "روزنامة"(٣).

أما الصحيفة بمعناها المتداول والرائج حاليا كانت تسمى فىالبداية "كاغذ أخبار" أى "صحيفة الأخبار" ولعلها مأخوذة عن الإنجليزية، وترجمة حرفية لـــ (Newspaper) وقامت الحكومة بإصدار الصحف الأولى، وكانت عبارة عن أوراق صغيرة تنشر الأخبار والأحداث المختلفة المتعلقة بالبلاط والحكومة، وكانت توزع هذه الأوراق فى نطاق المقربين للبلاط، وكان لمحررى تلك الأوراق مناصب حكومية ورسمية.

(١) صحف العاصمة

أول صحيفة فارسية: إن أقدم وثيقة لدينا متعلقة بأول الصحف الفارسية عبارة عن نشرة إخبارية من قبل الحكومة "حُررت بغرض إطلاع سكان الممالك

---

(١) للثعالبى؛ يتيمة الدهر، طبعة دمشق، ص ١٠، ١١.
ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج ٥، ص ٤٤٠.
(٢)Journal, Mémories
(٣) على سبيل المثال نقرأ فى صحيفة وقايع اتفاقيه: "ووفقا لما كتب فى صحيفة أصـــفهان فـــإن شئون دار الأسلحة..." أو "وفقا لما كتب فى صحيفة خراسان فإن الأمير أفضل خان...".

الإيرانية المحروسة" وتبدأ بتلك العبارة: "لا يخفى على الرأى الراجح لسكان الممالك المحروسة أن الهمة الملكية لولى الدولة العلية مكرسة لتنوير سكان الممالك المحروسة، وبالنظر إلى أن الاطلاع على الشئون العالمية أعظم وسيلة للاستنارة، لهذا ستحرر صحيفة الأخبار التى تضم أخبار الشرق والغرب فى دار الطباعة بناءً على قرار ملك الملوك وسوف ترسل إلى أطراف البلاد وأكنافها(١)..."

وقد ذكر تاريخ هذه النشرة الإخبارية بـــ "العشر الأواخر من رمضان المبارك عام ١٢٥٢هـــ"، وفى الواقع تعد هذه النشرة عددا خاصا أو العدد الأول للصحيفة التى صدرت بعد ذلك التاريخ بثلاثة شهور تقريبا. وللأسف فقدت أعداد الصحيفة نفسها فى الغالب، وقد علمنا بإصدارها بأساليب غير مباشرة.

فكتبت مجلة الجمعية الآسيوية اللندنية فى عددها الخامس المؤرخ بالثانى من فبراير ١٨٣٩م الموافق ١٨ ذى القعدة ١٢٥٤ (بعد أربع سنوات من تنصيب محمد شاه) تحت عنوان "نموذج لصحيفة فارسية" عن نشرة إخبارية "تصدر لعدة سنوات تحت رئاسة ميرزا صالح" ونقلت عن العدد المؤرخ بمحرم ١٢٥٣ هـ.ق العبارات التالية(٢): "دار الخلافة طهران: عاد صاحب السمو المقرب إلى الخاقان "خداداد خان" من رحلته التى أوفد خلالها إلى إسطنبول. وأحضر رسالة لصاحب الجلالة ملك الملوك من طرف صاحب الجلالة السلطان محمود. ونظرا لأن وفادة المذكور إلى إسطنبول حظيت باستحسان زينة عالم السلطنة، فبعد أن بلغ الرسالة وعرض تفاصيل مهمته، أعرب صاحب الخاطر المبارك عن رضائه عنه، وارتقت مكانة صاحب السمو المذكور إلى أعلى الدرجات، وأُنعِم عليه بالوزارة... (٣)"

---

(١) أرسل الحاج محمد نخجوانى – وهو من تجار آذربيجان العلماء والمستنيرين – هذه الوثيقة لمجلة يادگار، وقد نشرت بنصها المطول فى العدد السابع من العام الاول من المجلة المذكورة.

(٢) Journal of Royal Society, vol. 5th 2nd Feberm 1839, pp. 355-372.

(٣) صحيفة كاوه،العام الثانى (الإصدار الحديث)، العدد الثالث.

كما كتب الفرنسي آدمون دوتامبل في كتابه المسمى "القاجاريون، حياة ناصر الدين شاه": "صدرت لأول مرة في طهران صحيفة حكومية في عهد محمد شاه عام ١٨٣٧م وكانت صحيفة شهرية، وصدر العدد الأول منها في شهر مايو" وكانت تطبع هذه الصحيفة طباعة حجر في قطع كبير وورق يسمى خان باليغ ولكن طباعتها لم تكن فاخرة إلى حد كبير. ولم يكن للصحيفة المذكورة اسم محدد، وكان يُطبع في نهاية الصفحة الأولى منها شعار الحكومة الإيرانية. وهذه الصحيفة نفسها هي التي تحولت إلى صحيفة وقايع اتفاقية أو صحيفة طهران الرسمية بعد إجراء بعض التعديلات الجوهرية عليها.(١)"

وهذا العدد هو الذي أشارت إليه المجلة الآسيوية اللندنية ونقلت عنه بعض الموضوعات، وعلى هذا تجدر الإشارة إلى أن أول صحيفة صدرت في إيران بعد عامين ونصف من وفاة فتحعلي شاه وتنصيب محمد شاه أي في يوم الاثنين من محرم عام ١٢٥٤هـ.ق (الموافق الفاتح من شهر مايو ١٨٣٧م)(٢).

وكان ميرزا صالح الشيرازي كما ذكرنا يصدر هذه الصحيفة في ورقتين من قطع كبير مطبوعتين على وجه واحد طباعة حجر، وكانت تطبع أخبار مدينة طهران والأقاليم وتركيا والعرب بعد ذكر عبارة "طبعت في دار الخلافة طهران". وقد اطلع على مشيري على عددين آخرين من هذه الصحيفة محفوظين في مكتبة المتحف

---

(١) Les Kadjars; vie de naser ed-din Shah, Par Edmond Dutemple, Paris, 1873.

(٢)كتب تقي زاده في مقال "روزنامه نگاري در ايران در قرن سيزدهم" الذي نشره في صحيفة كاوه مستنبطا من العبارة التي وردت في المجلة الآسيوية والتي تقول "تولى ميرزا صالح إدارة هذه الصحيفة لعدة سنوات"، إن هذه الصحيفة الفارسية قد أسست قبيل عام ١٢٥٣ هـ. ق بعدة سنوات، وعلى هذا تكون قد أخذت في الظهور في أواخر عهد فتحعلي شاه.ولكن الواضح أن المقصود بعبارة "عدة سنوات" عدة سنوات قبيل كتابة المقال المنشور في المجلة الآسيوية أي قبيل ١٨٣٩م وليس عدة سنوات قبيل ١٢٥٣ هـ. ق (لمزيد من المعلومات برجاء الرجوع إلى مقال تقي زاده في صحيفة "كاوه" العدد الثالث من العام الأول، الإصدار الحديث، والعدد السادس من العام الثاني الإصدار الحديث، وكتاب "أمير كبير وإيران" لفريدون آدميت، الجزء الثاني، ومجلة "يادگار"، العددين ٣، ٧ العام الأول.

البريطانى تحت رقم (O.P.3(13، وذكر وصفهما خلال المقال الذى نشره فى مجلة "سخن" جاء فيه: "كانت هذه الصحيفة تُطبع طبعة حجر في ورقتين من حجم ٤٠ سم طولا و ٢٤ سم عرضا دون اسم أو عنوان وكانت رؤوس الموضوعات تُكتب بخط النسخ والمتن بخط النستعليق، وخصصت الصفحة الأولى لـ "أخبار الممالك الشرقية" والصحفة الثانية لـ "أخبار الممالك الغربية". ويتوسط أعلى الصفحة الأولى شعار الأسد والشمس فى حجم ٥× ٥ سم وكُتب تحته على مسافة ٢ سم إلى اليمين بخط النسخ "أخبار شهر ربيع الثانى سنة ١٢٥٣" وكُتب إلى اليسار بخط النسخ أيضا "طُبعت فى دار الخلافة طهران". وجاء العدد الثانى على نفس النسق أيضا وهو مخصص لأخبار شهر جمادى الأول من عام ١٢٥٣.

وعلى هذا النحو يتضح أن هذه الصحيفة كانت تصدر مرة واحدة فى الشهر، ويتبين من مفاد المتن أن هذه الصحيفة قد صدرت أيضا فى شهر صفر من نفس العام. وقد أُرسل هذان العددان من الصحيفة إلى إنجلترا بواسطة رجل يسمى تشارلز سوندت، ويبدو أن السبب الوحيد لوجود هذين العددين فى مكتبة المتحف البريطانى هو الخبر الذى ورد بعدد منهما بخصوص تتويج الملكة فيكتوريا. ومن المحتمل أن يكون المُرسِل أحد الموفدين السياسيين للحكومة البريطانية فى بلاط إيران، وأن يكون قد أرسل هذين العددين فى نفس التاريخ لحكومته. (١)

"روزنامة وقايع اتفاقية":

توقفت الصحيفة المذكورة التى لم تحمل اسما بعد فترة، وليس لدينا معلومات بعد ذلك عن الصحف، إلى أن أُسست صحيفة تسمى "روزنامة وقايع اتفاقية" فى طهران فى العام الثالث من عصر ناصر الدين شاه بأمر من ميرزا تقى خان أمير كبير وتحت إشرافه. وصدر العدد الأول منها يوم الجمعة الخامس من ربيع الثانى عام ١٢٦٧ هـ.ق، وكانت صحيفة أسبوعية تُطبع طباعة حجر فى أربع أو ثمانى

---

(١) على مشيرى: اولين روزنامـه ايرانى، مجلـة سخن، الإصدار ١٤، العدد ٧، ص ٦٠٩.

صفحات وكانت تنشر بها مقالات علمية مفيدة فضلا عن أخبار إيران والدول الأجنبية والإعلانات وأسعار السلع "فعلى سبيل المثال دارت موضوعات الصحيفة فى العام الأول حول: شرح برلمانات الدول الأوروبية، أوضاع أوروبا السياسية، أحوال الزعيم الإيطالى مازينى(١) ومبادئ الثوار ودعاة الحرية الإيطاليين وصراعهم مع النمسا، مشروع قناة السويس ومراحله عبر التاريخ، أوضاع الهند الاجتماعية، مد السكك الحديدية، أبحاث فى الفلك ورصد الهالة المحيطة بكوكب زحل، الأسباب الجغرافية للزلازل، اكتشافات قطبية، تاريخ الحضارة الأمريكية وأخبار أخرى متفرقة.

وكان مديرها الحاج ميرزا جبار ناظم المهام المعروف بـ "تذكره چى" مؤسس مصنع الزجاج ابن الحاج صفر على خوئى(٢) ووالد ميرزا جواد خان سعد الدولة، الذى عمل لفترة أيضا قنصلا لإيران فى بغداد، وتولى شئون الترجمة والإشراف على الصحيفة البريطانى برجيس صاحب(٣) وتحريرها ميرزا عبد الله، صدر العدد الأول من هذه الصحيفة باسم "روزنامچۀ أخبار دار الخلافة طهران" ورُسم فى الصفحة الأولى شعار الأسد والشمس وكتبت عبارة "يا أسد الله الغالب"

---

(١)Giuseppe Mazzini: (١٨٠٥– ١٨٧٢م) وطنى إيطالى شهير ومؤسس جمعية (إيطاليا الفتاة) التى أعلنت فى روما عام ١٨٤٨م الحكومة الجمهورية.

(٢)ابن الحاج صفر على وكان من أثرياء آذربيجان ومن الأبنية التى شيدها خان الحاج صفر على فى تبريز.

(٣)Eduard Burgess: استقدم هذا الرجل لإيران ولى العهد عباس ميرزا وأخذ يدير لفترة من الوقت المطبعة التى كان عباس ميرزا قد أحضرها إلى تبريز. ثم ذهب إلى طهران بعد موت عباس ميرزا وفتح على شاه وفتح هناك محلا لبيع السلع الأجنبية وظل يعمل فى التجارة طوال عهد محمد شاه. وفى بداية عهد ناصر الدين شاه عُين مترجما بوزارة الخارجية من قبل ميرزا تقى خان أمير كبير الذى كان قد تعرف عليه غالبا فى تبريز، ومنحه الأمير لقب "مترجم الديوان". وقبيل تأسيس "روزنامۀ وقايع اتفاقية" كان يترجم للشاه وأعضاء الحكومة مقتطفات مفيدة من بعض الصحف الأجنبية وخاصة الصحف الإنجليزية إلى أن أنشئت "روزنامۀ وقايع اتفاقية" فانضم برجيس لزمرة العاملين بها، وظل يعمل بها بعد عزل أمير كبير وقتله إلى أن توفى فى تبريز ما بين عامى ١٢٧٠– ١٢٧٧ هـ.ق، لم يكن برجيس يجيد الفارسية وكانت ترجمته للأخبار الأجنبية حرفية وأحيانا بلا معنى تماما.

وحولهما رسمت شجرتان، ولكن الصحيفة عُرفت منذ العدد الثانى بـ " روزنامـة وقايع اتفاقية".

وكانت تُنشر فى "روزنامـة وقايع اتفاقية" أخبـار دار الخلافـة أولا مثـل خروج الشاه للصيد وزيارته للمؤسسات ورجال البلاط ومنح الألقـاب والمناصـب وإصدار الفرمانات والأحداث المتعلقة بطهران يلى ذلك الأحداث المتعلقـة بالمـدن الأخرى وملخص عن أخبار الدول الأجنبية، وكانت تنشر فى الـصفحة الأخيـرة الإعلانات الحكومية فى عمود أو اثنين.

"روزنامة دولت علية إيران":

ظلت "روزنامـة وقايع اتفاقية" بنفس الاسم لمدة عشر سنوات، وفـى عـام ١٢٧٧ هـ. ق عندما تولى الأمير عليقلى ميرزا اعتـضاد الـسلطنة وزارة العلـوم والمطبوعات عين ميرزا أبى الحسن خان صنيع الدولة[1] مديرا للمطبعة الحكومية والصحيفة، وتغير اسمها إلى "روزنامـة دولت عليـة إيـران" منـذ العـدد ٤٧٢ (الخامس من صفر ١٢٧٧ هـ. ق) وزودت بالصور، وتعد هـذه الـصحيفة أولـى الصحف المصورة التى تصدر فى إيران.

وظلت الصحيفة المذكورة تصدر حتى العدد ٦٦٨ (السابع من شوال ١٢٨٧ هـ. ق) بشكل غير منتظم ثم توقفت بعد ذلك. وبعد صدور "روزنامـة دولت عليـة إيران" صدرت صحيفة أخرى فى طهران باسم "روزنامـة علميـة دولت عليـة

---

(١) ولد ميرزا أبو الحسن غفارى نقاشباشى الكاشانى بن ميرزا محمد وعم كمال الملك عام ١٢٢٩ هـ. ق، عُين جده ميرزا أبو الحسن مستوفيا للضرائب فى عهد نادر شاه وكريم خان الزندى، كما كان يعمل مصورا. وسافر صنيع الدولة إلى إيطاليا بتشجيع من حسنعلى خان نظام الملك مشير الممالك بعد تعلمه فن التصوير فى إيران وذلك فى أواسط عهد محمد شاه فى حدود عام ١٢٥٦ هـ. ق وظل يعمل بالتصوير فى متحفى فلورانس وروما لعدة سنوات، وعاد إلى إيران فى أواخر عهد محمد شاه. وفى بداية عام ١٢٧٧ هـ. ق أوكلت إليه إدارة "روزنامـة وقايع اتفاقية" المصورة. وفى عام ١٢٧٨ هـ. ق لُقب بـ "صنيع الدولة" وأسس أول مدرسة للتصوير. يبدو أنه توفى عام ١٢٨٣ هـ. ق.

إيران" أعقبها صحيفة "روزنامــة ملت سنيه إيران". وكانــت هاتــان الــصحيفتان تصدران شهريا فى طبعة حجر عن دار الفنون وتحت إشراف الأميــر اعتــضاد السلطنة.

روزنامة علمية دولت علية إيران:

أسست "روزنامــة علميــة دولت عليــة إيران" أو "روزنامــــة علميــــة" اختصارا عام ١٢٨٠ هـ. ق بثلاث لغات الفارسية والعربية والفرنسية، وصدر منها ٥٣ عددا خلال سبع سنوات منذ يوم الإثنين غرة شعبان ١٢٨٠ هـ. ق حتــى يــوم السبت غرة شوال ١٢٨٧ هـ. ق.

ويوجد فى صدر الصحيفة صورة واجهة بناية شمس العمارة الواقعــة فــى طهران وأعلاها ساعة كبيرة وعلى جانبيها صورتان لشعار الشمس والأسد، ورسم أسفل البناية ثلاثة حراس ورابع عند بوابة البناية، كما نُقش حوض من المياه مقابل البناية ومدفعان ينعكسان على مياه الحوض.

وكانت الصفحات الأولى من الصحيفة بالفارسية تليها صفحات تضم ترجمة لنفس الموضوعات باللغة العربية ثم ترجمة بالفرنسية.

وكان ميرزا محمد حسين فروغى يعد موضوعات الصحيفة والتــى غلــب عليها الموضوعات العلمية والاكتشافات الأوروبية الحديثة. توقفت هذه الــصحيفة لمدة عام بعد العدد السابع عشر (غرة ذى الحجــة ١٢٨١ هـ.ق)، وصــدر العــدد الثامن عشر فى غرة محرم ١٢٨٣ هـ.ق ثم توقف ثانية بعد العدد الثانى والأربعين (غرة جمادى الآخرة ١٢٨٥ هـ.ق) وصدر العدد الثالث والأربعون فى غرة محــرم ١٢٨٦ هـ.ق، ويعد العدد الثالث والخمسون آخر أعداد الصحيفة، ثم أُغلقــت هــذه الصحيفة وكذلك "روزنامــة ملتى" وكلف محمد حسن خان اعتماد السلطنة بــإدارة الصحف.

"روزنامة ملت سنية إيران":

في عام ١٢٨٣ هـ.ق أسست "روزنامة ملت سنية إيران" أو "روزنامة ملتى" التى سُميت بهذا الاسم للتمييز بينها وبين الصحيفة الحكومية. ظهر العدد الأول منها فى الخامس عشر من محرم من ذلك العام ثم توقفت. وبعد شهرين عادت للظهور، وصدر العدد الأول (وهو فى الواقع العدد الثانى) يوم الجمعة ١٤ ربيع الأول من ذلك العام، وسميت الصحيفة بـ "روزنامة ملتى" منذ العدد الثالث. وقد صدر من هذه الصحيفة فى المجمل ٣٤ عددا، والعدد الأخير منها مؤرخ بيوم الجمعة ٢٠ جمادى الآخر ١٢٨٧ هـ.ق.

ويقع أعلى الصفحتين الأولى والثانية صورة لمسجد الشاه الكائن بطهران كشعار لكون الصحيفة صحيفة قومية. وعلى الرغم من أن الشاه كان قد أصدر قرارا بإطلاق حرية الكتابة فى "روزنامة ملتى"؛ ليستفيد منها الخاصة والعامة[1]، فلم يذكر اسم من أسماء أصحاب المقالات، ويبدو أن المقالات الرئيسية قد حررت بقلم الأمير اعتضاد السلطنة نفسه، أو حكيم السامانى[2] محرر الصحيفة، وتدور أغلبها حول سيرة الشعراء القدامى والجدد وأعمالهم.

وهذه الصحيفة هى الصحيفة نفسها التى ألف عنها ميرزا فتحعلى آخوند زاده رسالة نقدية لاذعة بخصوص عددها الأول والذى تناول سيرة شمس الشعراء سروش الأصفهانى وأشعاره.

وأرسلت رسالة آخوند زاده النقدية المسماة "قريتيكا"[3] (أى النقد) والبالغة ثمانية وأربعين صفحة والمؤرخة بالثامن عشر من رمضان ١٢٨٣ هـ. ق إلى محرر الصحيفة حكيم السامانى وجاء فى استهلالها "موجهةً إلى محرر "روزنامة ملت سنية إيران، إعداد الكولونيل ميرزا فتحعلى آخوندزاده فى عام ١٢٨٣" [4].

---

(١) وردت العبارة أسفل صدر العدد الأول من الصحيفة.

(٢) محمد حسن بن قا آنى الشيرازى المتوفى عام ١٢٨٥ هـ.ق.

(٣) Critique.

(٤) توجد فى مكتبة كلية المعقول والمنقول تحت رقم ٢٧٧٦ نسخة من هذه الرسالة بالأبجدية التى ابتكرها آخوندزاده والمقدمة لوزارة الثقافة وأبحاث مفصلة حول الأبجدية العربية=

ويذكر الكاتب بعد ذلك حول شكل المسجد الذى جُعل شعارا للصحيفة:

"يبدو لى أن شكل المسجد الذى رُسم فى صحيفتك كشعار للأمة الإيرانية غير مناسب، فلو أن مرادك من لفظ "الأمة" المعنى المتعارف عليه أى لو أنك تقصد الشعب الإيرانى فالمسجد ليس حكرا على الشعب الإيرانى، فجميع الفرق الإسلامية لديهم مساجد، وشعار الأمة الإيرانية قبل الإسلام هو آثار ملوك الفرس القدماء مثل تخت جمشيد وقلعة اصطخر وأمثال ذلك، ومن أشهر شعاراتهم بعد الإسلام آثار ملوك الصفوية الذين نشروا المذهب الاثنى عشرى فى إيران وجمعوا الطوائف الإيرانية المختلفة فى أمة واحدة وحققوا لإيران الاستقلال فى السلطة. إذن يجب عليك أن تجد شعارا للأمة الإيرانية يشير من ناحية إلى ملوك الفرس القدماء ومن ناحية أخرى إلى ملوك الصفوية مثل قلنسوة القزلباشية المصنوعة من المخمل الأحمر والمكونة من اثنتى عشرة طية".

ومن مآخذ آخوند زاده الأخرى على موضوعات الصحيفة تخصيص أكثر من صفحتين منها لسرد نسب وسيرة شاعر يتخلص بسروش ولقب بعد ذلك بشمس الشعراء، فهذا لا يفيد الأمة الإيرانية.

كما أعرب الكاتب عن رأيه فى الشعر والنثر المنشور بالصحيفة. وناشد محرر الصحيفة فى نهاية المقال أن ينشر هذا النقد فى عدة أعداد من الصحيفة لتقديم العبرة للآخرين وكى ينتشر داخل المملكة، ولكن المسئولين عن الصحيفة لم يلتفتوا لطلبه، خاصة وأن النسخة التى أرسلت لاعتضاد السلطنة كانت مكتوبة بالأبجدية التى ابتكرها آخوند زاده، وكان المثقفون الإيرانيون فى ذلك الوقت يعتبرون تلك المحاولات فاشلة. (١)

=وصورة من القرار السلطانى العثمانى الخاص بتعديل الأبجدية والتى جمعها المؤلف فى أربع مجلدات.

(١) بل إن مرتضى قليخان بن نظام الدولة وحفيد صدر الأصفهانى رند فى رسالة (للتنظيم) على انتقادات آخوندزاده وتوجد نسخة منها أيضا فى مكتبة كلية المعقول والمنقول تحت رقم ٢٧٨٠.

وطلب المؤلف من أحد الخطاطين أن يكتب نسخةً أيضا من تلك الرسالة بالأبجدية الفارسية المتداولة وأهداها لنائب الوزير ميرزا عبد الوهاب.(١)

"إن الانتقادات التى طرحها آخوند زاده خلال هذه الرسالة على نهج "روزنامة ملت سنية إيران" وأسلوب تناول الموضوعات فيها ومضامين أشعار سروش ربما تكون جميعها أو أغلبها صائبة. ولكن الشيء غير الصائب مطلقا. الانتقادات التي وجهها إلى ترابط أشعار سروش وأوزانها. ويبدو جليا من خلال نفس الملاحظات والأشعار الرديئة التي كان ينظمها آخوند زاده نفسه بالفارسية أن ذلك الرجل العالم والغيور والوطني لم يكن يفهم الشعر برغم كل ما تحلى به من فنون." (٢)

"روزنامة دولت إيران":

في بداية عام ١٢٨٨ هـ.ق عندما توفى عليقلى ميرزا اعتضاد السلطنة تولى إدارة الصحف محمد حسن خان صنيع الدولة الذي لقب فيما بعد باعتماد السلطنة، وفي يوم السبت الحادي عشر من محرم من ذلك العام صدرت أولى أعداد صحيفة "روزنامة دولت إيران"، وتولى تحريرها في البداية ميرزا علي النائيني ثم ميرزا محمد حسين أديب فروغي (ذكاء الملك) في حدود عام ١٣٠٠ هـ.ق ثم ميرزا على محمد خان مجير الدولة.

وقد حلت هذه الصحيفة محل "روزنامة دولتي وروز نامه ملتي وروزنامة علمي" التي كانت إدارتهم تابعة في السابق لوزارة العلوم وأكاديمية دار الفنون وذلك وفقا للبيان المنشور في صدر العدد الأول منها. وكانت في الواقع الناطق الرسمي باسم الحكومة وتخصصت في نشر أخبار البلاط وفرامين الشاه وقرارات العزل والتنصيب ومنح الألقاب وخاصة أعمال الشاه مثل التشريفات وعقد المجالس والخروج للصيد والسياحة وأداء واجب العزاء في شهر محرم، وكذلك مدح الشاه ورجال البلاط.

---

(١) آصف الدولة ونصير الدولة الشيرازي الذي عمل نائبا لوزير الخارجية عام ١٢٧٤ هـ.ق.
(٢) عباس إقبال: مجلة يادگار، العام الثاني، العدد الأول (ضمن مقالة رضا صفي نيا).

ظل محمد حسن خان صنيع الدولة (الملقب فيما بعد باعتماد السلطنة) يتولى إدارة "روزنامـﮥ إيران" حتى العدد ٨٧٧، وبعد وفاته فـي (شـوال ١٣١٣ هـ.ق) خلفه على إدارتها محمد باقر خان أديب الممالك شقيق محمد حسن خان،[١] ومنـذ محرم عام ١٣٢١ هـ.ق صدرت باسم "روزنامـﮥ إيران سلطاني" تحت إدارة ميرزا محمد نديم السلطان الذى كان يتولى فى ذلك التاريخ وزارة المطبوعات.

استمر إصدار صحيفة إيران الرسمية سبعة وخمسين عاما منذ عـام ١٢٦٧ هـ.ق- والذى أسست خلاله أولى الصحف الحكومية فى إيـران-[٢] وحتـى عـام ١٣٢٤ هـ.ق.

صحيفتان باللغة الفرنسية:

فى عام ١٢٩٢ هـ.ق عزم ميرزا حسين خان سـپـهـسالار علـى تأسـيس صحيفة باللغة الفرنسية بمساعدة المهندس البلجيكى البارون دو نرمان[٣] مـن أجـل تعريف الدول الأجنبية بإيران، وفى السبت التاسع من محرم ١٢٩٣ هـ.ق (الخـامس من فبراير ١٨٧٦م) طُبع العدد الأول من هذه الصحيفة باللغتين الفارسية والفرنـسية باسم "الوطن"[٤] ولكن نظرا إلى أن المقالة الافتتاحية منهـا تحـدثت عـن الحريـة والمساواة، فقد أمر بإغلاقها ناصر الدين شاه بعد أن قُرئـت عليـه واطلـع علـى مضمونها، نظرا لأنه كان حاكما مستبدا ويعتبر نفسه ظل الله فـي الأرض ومالكـا لأرواح العباد، ولم يكن يقبل أن ينتقد أحد شئون الدولة بأية حال من الأحوال.

وليس بين أيدينا هذه الصحيفة التى لم يصدر منها سوى عدد واحد، ولكـن أدرج مقالتها الافتتاحية عدد من السائحين الأجانب ومـنهم الـسيدة كارلاسـرينا[٥]

---

(١) صحيفة "اطلاع" العدد ٣٩١، ٢٢ شوال ١٣١٣.
(٢) منتظم ناصرى: ج ٣، أحداث عام ١٢٦٧ هـ.ق.
(٣) Baron De Norman.
(٤) La Patrie.
(٥) Carls Serena: Hommes et CHoses en Perse. P. 168.

الإيطالية في كتب رحلاتهم. وسننقل فيما يلي عن مجلة (يادگــار) في عامها الأول العدد السابع ترجمة المقالة المشار إليها من أجل توضيح هدف الــصحيفة وأفكــار ســپهسالار الإصلاحية:

"ليعلم القراء وزملاؤنا من الكتاب أن الحكومة العلية لصاحب الجلالة الــشاه قد سمحت لنا بإصدار صحيفة باللغتين الفرنسية والفارســية، وعلينــا أن نعلــم أن اطلاع العامة هو النهج الذى تم تحديده للعدد الأول؛ وهو الأمر الذى سيكون نصب أعيننا أيضا باستمرار.

فمملكة إيران ليس لديها صحيفة مفيدة تستطيع أن تُعَرِّف الــدول الأجنبيــة بإيران على النحو الصحيح، وأن تدافع عن مصالحها عند الضرورة.

إن زملاءنا من الكتاب في صحيفة إيران- وهي صــحيفة رســمية باســم الحكومة- قد قدموا خدمات في هذا الإطار حتى الآن، ولكن لما كانــت الــصحيفة الرسمية تصدر فقط باللغة الفارسية. فلم تنتشر انتشارا واسعا ولــم يعرفهــا أحــد خارج إيران إلا القليل.

وهدفنا سد تلك الفجوة وإطلاع الزملاء من الكتاب الأوروبيين علــى أهــم القضايا السياسية والعامة المتعلقة بإيران. فضلا عن أننا سنكون مسرورين لتبــادل وجهات النظر معهم حول تلك القضايا إذا لزم الأمر، ونظرا لأن شرر الحقيقة ينتج عن احتكاك الأفكار؛ فإننا نريد أن نحقق هذه النتيجة من ذلك الحوار ليشرق نــور الحقيقة في إيران. بناء على هذا ننتظر من الصحافة الأوروبية أن تعتبرنا جديرين باحتلال مقام في محفل أهل الفكر والحوار وإن كان مقاما ضــئيلا، نظــرا لأننــا لانزال مستجدين ولا ننتظر أن نحتل مقاما كبيرا. ولكننا نأمل أن نستفيد من تجربة وخبرة الزملاء الأوروبيين في هذا المجال؛ فهم ذوو باع في هــذا الميــدان، وأن نشمل إيران بخبرات هذه الاستفادة.

وبالطبع سنتحدث عن القضايا الداخلية في حياد تام، فنحن لا نتبع أي فريــق ولا نريد أن ننسب إلى فريق بعينه، فنحن أحرار من كل القيــود، ولــسنا مقيــدين

بمنصب رسمي. فهدفنا الوحيد خدمة المملكة وكشف النقاب عن احتياجاتها الحقيقية. فدعم التقدم مسلكنا فى كل وقت، وسوف ندافع عنه بكل قوتنا، ولكننا لن ننزلق مطلقا إلى مرتبة المتملقين ولن نمجد الحكومة بلا طائل؛ فنهجنا هو الدفاع عن الحق ونقد الأعمال القبيحة.وسندعم كل ذى حق ملتزم بالقانون؛ ولكننا سننتقده إذا ما خالف الحق وخرج على القانون. وليس من شأننا الخوض فى الحياة الشخصية للناس. ولن نكون محايدين فى هذا الموضوع فقط بل سنغض أبصارنا تمامًا. فعيوننا الناقدة ترى فقط الأعمال والتصرفات التى تضر مصالح المملكة الأساسية وتسفر عن خسائر وأضرار. بناء على هذه المقدمة فنهجنا الرئيسى مناهضة كل أنواع التعدى والإفراط والتفريط، واحترام الدين والشاه. وشعارنا التقدم والعدل والمساواة وليس لدنيا هدف آخر سوى هذا.

ونظرا لأن الوطنية هى أعظم الفضائل لكل فرد من أفراد الأمة؛ فقد سمينا صحيفتنا أيضا الوطن. ويُقصَد بالوطنية فى إيران عادة تقديس مسقط الرأس بينما يشمل المعنى الشامل للوطنية محبة الشاه واحترام القوانين والنظم والولاء للحكومة. ويقول أحد الكتاب الفرنسيين "إن كل من يملك قلبا نقيا يُجل وطنه". نسأل الله التوفيق فى أن يستقبل القراء دخولنا عالم الصحافة قبولا حسنا بفضل هذا الاسم الذى اخترناه. ونحن بدورنا سنبذل كل جهدنا كى نكون جديرين باهتمامهم وسندافع دائما عن حقوق المملكة والأمة"!

وصدرت صحيفة أخرى باللغة الفرنسية بعد "الوطن" تسمى "صوت إيران".[١]

تولى إدارتها الفرنسى الدكتور مورل،[٢] وظلت الصحيفة تصدر منذ ٢١ مارس ١٨٨٥م (رجب ١٣٠٢) حتى الخامس عشر من فبراير عام ١٨٨٨م (رجب ١٣٠٥).

---

(١) Echo de Perse

(٢) Dr. Morel

عدد من الصحف الأخرى الصادرة بالعاصمة:

صدرت صحيفة باسم "روزنامـة نظامى علميـة وأدبيـة إيران" فى عهـد صدارة ميرزا حسين خان سـپهسالار وبناء على أوامـره، وقـام علـى نـشرها العاملون بـ "مدرسة أتاما جور المقدسة" التى كانت قد أسست حديثا. والعدد الأول منها مؤرخ بالتاسع والعشرين من ذى القعدة ١٢٩٣ هـ.ق ويبدو أنها ظلت تـصدر حتى عام ١٢٩٦ هـ.ق إلى أن حلت محلها صحيفة أخرى ذلك العام باسم "المـريخ" وكانت تدور فى الغالب حول العلوم العسكرية. وصدر من هذه الـصحيفة ثمانيـة عشر عددا، وعددها الأول مؤرخ بالخـامس مـن محـرم ١٢٩٦ هـ.ق والأخيـر بالسادس عشر من جمادى الآخر ١٢٩٧ هـ.ق.

وأنشأ محمد حسن خان صنيع الدولة (اعتماد السلطنة) صحيفة أخرى عـام ١٢٩٣ هـ.ق باسم "روزنامـة علمى" وغلب على موضـوعاتها الطـابع العلمـى. وصدر منها أربعة وستون عددا، الأول مؤرخ بالثانى والعشرين مـن ذى الحجـة ١٢٩٣ هـ.ق والأخير مؤرخ بالثالث والعشرين من جمادى الآخر ١٢٩٧ هـ.ق.

وأصدر محمد حسن خان فى عام ١٢٩٥ هـ.ق صحيفة أخرى شبه رسـمية تسمى "اطلاع" ولم يكن لها أهمية تذكر وقام وزير المطبوعات عليقلى خان مخبـر الدولة بإصدار صحيفة "دانش" أى العلم عن دار الفنون لمنافسة اعتمـاد الـسلطنة وذلك عام ١٢٩٩ هـ.ق أثناء رئاسته لدار الفنون، وتولى تحريرها أسـتاذ الكيميـاء الشهير ميرزا كاظم.

وكانت صحيفة نصف شهرية وصدر عنها فى المجلة أربعة عـشر عـددا، وعددها الأول مؤرخ بالثالث والعشرين من رجب ١٢٩٩ والأخير بالسادس عـشر من صفر ١٣٠٠ هـ..

شرف- شرافت:

صدرت فى غرة محرم عام ١٣٠٠ صحيفة شهرية مصورة فـى طهـران تحمل اسم "شرف"، أسسها محمد حسن خان اعتماد السلطنة، واستمرت الـصحيفة

حتى عام ١٣٠٩ هـ.ق، وصدر منها ٨٧ عددا في المجمل. ثم أعاد محمد باقر خان اعتماد السلطنة إصدارها في بداية عهد مظفر الدين شاه عام ١٣١٤ هـ.ق تحت اسم "شرافت".

وكانت صحيفة شرف وشرافت التي حلت محلها تضمان صورا بديعة للشاه والأعيان والنجباء ورجال الحكومة وشرحا لسيرهم. وكان أبو تراب خان غفاري –ابن ميرزا بزرگ وشقيق الفنان الشهير ميرزا محمد خان كمال الملك– يرسم صور صحيفة شرف، أما صحيفة شرافت فكان يرسم الصور بها مصور الملك، وتعد هذه الصور السبب وراء أهمية هاتين الصحيفتين.

تربيت:– صدرت صحيفة "تربيت" الأسبوعية عام ١٣١٤ هـ.ق في بداية عهد مظفر الدين شاه. تولى تحريرها ميرزا محمد حسين فروغي[(١)] وكان من كتاب البلاط وشعرائه.

وكانت تنشر في هذه الصحيفة مقالات وترجمات لموضوعات مفيدة وتعليقات متنوعة بقلم ميرزا محمد علي خان فروغي بن ميرزا محمد حسين – مدير الصحيفة – وآخرين، ولا تخلو هذه الكتابات من القيمة الأدبية بشكل عام؛ ولكن ما يقلل من أهميتها وقيمتها الإفراط في التملق والمديح.

وظلت تطبع صحيفة "تربيت" طباعة حجر وصدر منها ٤٣٤ عددا منذ الخميس الحادي عشر من رجب ١٣١٤ هـ.ق إلى الخميس ٢٩ محرم ١٣٢٥ هـ.ق.

---

(١) ولد ميرزا محمد حسين فروغي الأصفهاني الملقب بذكاء الملك بن آقا محمد مهدي أرباب في ١٥ ربيع الآخر ١٢٥٥ هـ. ق في أصفهان ودرس أولا في طهران وأنهى دراسته في المزارات. وعمل لفترة في التجارة وقضى أربعة عشر عاما في السياحة والتجوال داخل وخارج إيران إلى أن التقى في طهران مع وزير المطبوعات محمد حسن خان اعتماد السلطنة، فاختاره لمعاونته. وحبس لفترة من الوقت بأمر ناصر الدين شاه، وفي بداية عهد مظفر الدين شاه قام بتدريس الأدب لسبع سنوات وتولى إدارة المدرسة السياسية لثلاث سنوات.
ومن مؤلفاته "تاريخ ساسانيان" و"كتاب بديع" و "عشق وعفت" و"ريحانة الأفكار" و"كلبة هندي". توفي فروغي عصر يوم الخامس عشر من رمضان ١٣٢٥ هـ.ق في طهران.

خلاصة الحوادث:

كانت صحيفة "خلاصة الحوادث" أولى الصحف اليومية الإيرانية فى عهد مظفر الدين شاه، صدرت عام ١٣١٦ هـ.ق فى طهران فى أربع صفحات من القطع المتوسط. وكانت صحيفة رسمية حكومية تصدر خمسة أيام فى الأسبوع عن وزارة المطبوعات. وفضلا عن الأخبار المحلية كانت الصحيفة تنشر أخبارا تلغرافية عن الدول الأجنبية، بمعنى أن إدارة الصحيفة كانت تحصل من السفارة البريطانية على التلغرافات الأوروبية التى كانت تُرسل إلى الهند من قبل وكالة الأنباء البريطانية رويتر وتقوم بنشر موجز لها فى حاشية الصحيفة.

وقد صدرت "خلاصة الحوادث" منذ الاثنين ١٤ جمادى الآخرة ١٣١٦ هـ.ق –الموافق ميلاد الشاه– حتى الثلاثاء الثانى من شوال ١٣٢١ هـ.ق بلا انقطاع فى ٩٩٥ عددا.

صحيفة "حكيم الممالك":–

أُصيب ناصر الدين شاه نفسه أيضا بهوس الصحافة، وأصدر صحيفة كان يحرر جميع موضوعاتها بنفسه ولكن تولى إدارتها على ما يبدو حكيم الممالك. (١)

وتعد هذه الصحيفة فى الواقع كتاب رحلات أو مجموعة مذكرات الشاه اليومية فى رحلته الأولى إلى خراسان منذ يوم الأحد الخامس عشر من ذى الحجة ١٢٨٣ هـ.ق حتى يوم الأحد الثانى والعشرين من جمادى الأولى ١٢٨٤ هـ.ق أى اليوم الذى عاد فيه إلى "سلطنت آباد".

---

(١) تعلم ميرزا علينقى حكيم الممالك بن الحاج آقا إسماعيل جديد الإسلام علم الطب فى مدرسة دار الفنون، وفى عام ١٢٧٢ هـ.ق سافر إلى بلاط أوروبا برفقة فرح خان أمين الدولة الكاشى للعمل فى منصب النائب الثانى بالسفارة، وعمل بهذا المنصب أثناء تولى حسنعلى خان أمير نظام السفارة فى فرنسا، وأكمل أيضا دراسته الطب فى باريس.

وبعد عودته إلى إيران انضم إلى ندماء الشاه وحاشيته. عين عام ١٢٩٣ هـ.ق حاكما على بروجرد وبختيارى، ورافقه عام ١٢٩٥ هـ.ق الشاه فى رحلته إلى أوروبا، واختير عام ١٢٩٩ هـ.ق وزيرا للتعدين وعضوا لمجلس الشورى ومنذ عام ١٣٠٢ هـ.ق عين مديرا للتشريفات.

وجاء فى العبارة الأخيرة من الصفحة الأخيرة للصحيفة "مع أن النسخة الأصلية كتبت بخط يد الشاه المبارك وأن الصحيفة تخص ملك الملوك الميمون وليس لى فضل فى جمعها وتحريرها؛ إلا أننى أفخر بتكليفى لإنجاز هذه المهمة وإتمامها بجهدى المتواضع فى متمم جمادى الآخرة عام ١٢٨٦ من الهجرة النبوية، العبد علينقى حكيم الممالك". وقد طبعت هذه الصحيفة أو كتاب الرحلات هذا طباعة حجر بخط النستعليق الجميل وزودت بصور بريشة ميرزا بزرگ غفارى (والد كمال الملك) وتقع فى ٤٨٥ صفحة.

التقاويم:

أمر الشاه عام ١٢٩١ هـ.ق اعتماد السلطنة أن يعد أول تقويم بالفارسية، ووفقا لتصريحه فإنه "أعد تقويما حسنا لطيفا وقام على طباعته ونشره، يضم رجال البلاط فى الدولة العلية الإيرانية وكل الإدارات التابعة لذلك البلاط، والمناصب العليا فى سائر الدول فضلا عن فوائد عظيمة أخرى... ومقارنة السنوات الواردة فى التقويم المذكور بما يعادلها من سنوات فى بعض التقاويم الشهيرة فى العالم... وتسجيل تاريخ أشهر الأحداث العالمية... وعدد سكان كل دولة من دول العالم، وذكر ما تتميز به من محاصيل زراعية ومعادن وحيوانات وميزانيتها والقروض الحديثة والاستعدادات العسكرية البرية والبحرية".[1]

وصار من المعتاد بعد ذلك أيضا أن تطبع فى نهاية كل كتاب من تأليف اعتماد السلطنة عدد من الصفحات يطلق عليها عنوان "التقويم"، يتم من خلالها استعراض المؤسسات الحكومية والمناصب، وما استجد من عزل وتنصيب، وأسماء القادة والأمراء وغير ذلك، وفى الواقع يعد كتاب المآثر والآثار لاعتماد السلطنة خلاصة لتلك التقاويم، وقد طبع عامى ١٣٠٦، ١٣٠٧ هـ.ق.

---

(١) المآثر والآثار: الباب الثامن ص ١٥٩.

٢- صحف الأقاليم:-

"روزنامـــۀ ملتی": تُعد صحيفة "روزنامـــۀ ملتی" التی كانت تنشر فی تبريز أقدم صحيفة - علی حد علمنا- تصدر بعد "وقايع اتفاقية" فی إيران ولأول مرة فی الأقاليم. وتوجد إشارات إليها فی أعداد "وقايع اتفاقيـــة" عـــن عـــام ١٢٧٥ هـ.ق(١) ويتضح من تلك الإشارات أن هذه الصحيفة ظهرت فـــی حـــدود شـــهری رجـــب وشعبان من ذلك العام وكانت الصحيفة المذكورة تنشر فی عدد شهری مـــن أربـــع صفحات وتباع فی رباط قوافل "اميد" بحجرة الحاج عبد الله التاجر التبريزی. (٢)

صحيفة تبريز:

جاء فی كتاب "مرآت البلدان ناصری" لمحمد حسن خان اعتمـــاد الـــسلطنة ضمن أحداث عام ١٢٩٦ هـ.ق "إن "روزنامـــۀ تبريز" المعروفة بـــ "تبريز" والتـــی تضم مسائل سياسية وموضوعات مفيدة... والتی تعد قطرة مـــن فـــيض مكـــارم صاحب السمو... ولی العهد... حاكم ولاية آذربيجان وواليها.. تم الـــشروع فـــی إعادة طبعها بعد توقفها لفترة من الوقت بسبب بعض المعوقات".(٣)

تولی إدارة الصحيفة وتحريرها كمال آقا، وتاريخ بدايـــة إصـــدارها غيـــر معروف، ومن المستبعد فيما يبدو أن تكون هذه الصحيفة هی "روزنامـــۀ ملتـــی" التی صدرت عام ١٢٧٥ هـ.ق وأن يكون قد أعيد إصدارها بعد مرور أكثـــر مـــن عشرين عاما.

الحديد: كان يحرر صحيفة الحديد الصادرة فی تبريز سيد حسين ذلك الرجل المستنير الذی لمع اسمه فيما بعد مع إصدار صحيفة "عدالت".

---

(١) تقرر فی تلك الأيام طباعة صحيفة فی تبريز يُنشر بها أخبار أذربيجان وغيرها (وقايع اتفاقية: العدد المؤرخ بالثالث عشر من رجب ١٢٧٥ هـ.ق).

(٢) العدد الحادی والأربعون المؤرخ بغرة رجب ١٢٧٨ هـ.ق (محمد علی تربيت: مجلـــة ارمغان، العام الثانی عشر العدد السابع).

(٣) مرآة البلدان، ملحقات ج ٤ ص ٣٦١.

فقد عاد إلى تبريز قادما من روسيا فى حدود عام ١٣١٤ هـ.ق ذهب فى صباه إلى روسيا وأقام لدى ابن عمه ميرزا جعفر خان قنصل إيران فى (حاجى طرخان) ثم انتقل إلى بطرسبورج وتعلم بها اللغة الروسية واطلع على الحضارة الأوروبية وفى تلك المدينة لازم السيد جمال الدين الأفغانى لمدة عامين فتأثر به بشكل كبير.

ولما عاد سيد حسين إلى تبريز التقى وسيد محمد الشبسترى الذى اشتهر فيما بعد بأبى الضياء، وجمعت الصداقة بينهما، وفيما بعد ترعرع فى أحضانهما سيد حسن تقى زاده وميرزا محمد على خان وصارا النواة الأساسية لنشر الأفكار الحديثة.

أنشأ سيد حسين خان صحيفة الحديد عام ١٣١٥ هـ.ق ونشر فى العدد الأول منها أشعارا لطيفة للشاعر التبريزى "لعلى"، وصدر من هذه الصحيفة ثلاثة أعداد فقط حيث استدعاه القنصل الروسى فى تبريز للعمل معه فتوقفت الصحيفة. وفى عام ١٣٢٣ هـ.ق صدرت صحيفة الحديد مرة أخرى وتولى إدارتها سيد محمد الشبسترى (الذى أصدر صحيفتى "مجاهد" و"إيران نو") وظلت هذه الصحيفة تصدر منذ الخميس الثانى من جمادى الأول عام ١٣٢٣ هـ.ق حتى إعلان الدستور ثم تغير اسمها بعد الثورة إلى "عدالت".(١)

احتياج:-

أصدر ميرزا عليقلى صفراف صحيفة احتياج فى تبريز عام ١٣١٦ هـ.ق(٢) ولكنها توقفت بعد صدور العدد السابق بأمر من حسنعلى خان أمير نظام جروسى حاكم آذربيجان بسبب نشر مقال ساخر فيها تناول الحديث عن احتياج الإيرانيين إلى البضائع الأجنبية حتى براد الشاى، وجُلد ناشرها، ولكن بعد فترة صدر منها

---

(١) يبدو أن اسم الصحيفة قد أعلن فى العدد الخامس عشر لصيفة الحديد المؤرخ بالحادى عشر من شعبان عام ١٣٢٥ هـ.ق.

(٢) ورد بالعدد الأول من تلك الصحيفة تاريخ السادس عشر من محرم من ذلك العام.

بضعة أعداد باسم "إقبال"(١) وعلى الرغم من أن ميرزا عليقى صار رئيس البوليس السرى لولى العهد محمد على ميرزا بعد إغلاق صحيفة إقبال، فإنه ندم على مزاولته هذا العمل بعد إقرار الدستور وانخرط فى العمل الوطنى إلى أن مات عام ١٣٢٦ هـ.ق.

أدب:-

فى الوقت الذى قدم فيه ميرزا محمد صادق أديب الممالك الفراهانى إلى تبريز وتقرب إلى أمير نظام أنشأ صحيفة "أدب".

صدرت عام ١٣١٦ هـ.ق وكانت صحيفة أسبوعية تطبع طباعة حجر بخط النسقلين ومزينة بصور العلماء ومشاهير العالم وتضم بعض المقالات العلمية التى كان يترجمها أو يؤلفها الطبيب ميرزا نجفقلى خان قائم مقامى. وأغلقت هذه الصحيفة لفترة بعد العدد السابع عشر، وبعد أن أُسست مدرسة لقمانية بإدارة أديب الممالك صدرت الصحيفة مرة أخرى تحت إشرافه وعلى نفقة تلك المدرسة، ولكن بعد إصدار بضعة أعداد منها ذهب أديب الممالك إلى مشهد، وقام على نشرها فى تلك المدينة منذ عام ١٣١٨ هـ.ق حتى ١٣٢٠ هـ.ق.

ثم عاد أديب الممالك إلى طهران وأصدر صحيفة "أدب" ثانية فى طهران عام ١٣٢٢ هـ.ق ثم سلم إدارتها إلى مجد الإسلام كرمانى وعاد إلى باكو ثم قام على نشر الملحق الفارسى لصحيفة "إرشاد" التركية.

كمال:-

كان ميرزا حسين خان طبيب زاده من أهالى آذربيجان المستنيرين، وفى ذى القعدة من عام ١٣١٦ هـ.ق أسس مدرسة "كمال" فى تبريز على غرار

(١) العدد الأول من إقبال والذى يعد العدد الثامن من احتياج يحمل تاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٣١٦ هـ.ق.

المدارس الحديثة، وبعد ثمانية شهور أصدر صحيفة بنفس الاسم فى رجب عام ١٣١٧ هـ.ق بهدف "الارتقاء بالأمة ونشر المعارف وطرح بعض العلوم بأسلوب مبسط يخلو من الصنعة كى يطلع أهالى إيران شيئا فشيئا على المصطلحات العلمية والآداب وحقوق الإنسان".(١)

وظلت المدرسة والصحيفة قائمتين إلى أن ثار أهالى تبريز فى ربيع الثانى من عام ١٣٢١ هـ.ق ضد الموظفين البلجيك وأغلقوا الأسواق فخرج الطلاب ودمروا الحانات ودور الضيافة والمدارس الابتدائية وكان من بينها مدرسة "كمال". ولم يستطع ميرزا حسين خان البقاء فى تبريز بعد تلك الواقعة وغادرها إلى القوقاز ومصر. (٢)

كنجينة فنون":

مجلة صدرت عام ١٣٢٠ هـ.ق(٣) فى تبريز باسم" گنجينة فنون"، وكانت أول مجلة تصدر فى إيران، وكان محرروها من طليعة أحرار آذربيجان وهم سيد حسن تقى زاده وميرزا حسين خان عدالت، وميرزا يوسف خان اعتصام الملك وميرزا محمد على خان تربيت.

فارس:-

يجب أن نذكر صحيفة أو صحيفتين من الصحف الصادرة فى المدن الأخرى بعد ذكر صحف تبريز: صدرت صحيفة تسمى "فارس" عام ١٢٨٩ هـ.ق

---

(١) صحيفة "كمال"، العدد الأول، الأربعاء ١٠ رجب ١٣١٧هـ.ق.

(٢) أقام ميرزا حسين خان فى القوقاز وتركيا لفترة من الوقت إلى أن سافر إلى مصر برفقة سيد حسن تقى زاده وميرزا محمد على خان عام ١٣٢٣ هـ.ق وأصدر صحيفة "كمال" مرة أخرى فى القاهرة فى جمادى الأول من نفس العام، ولكن الصحيفة لم تستمر لفترة طويلة حيث سافر مديرها فى جمادى الأول ١٣٢٤ هـ.ق إلى القوقاز قبل أن تتم الصحيفة عامها الأول.

(٣) العدد الأول مؤرخ بتاريخ غرة ذى القعدة من ذلك العام وصدر فى عام واحد ٢٤ عددا.

في شيراز[1]، أسسها ميرزا تقي خان الكاشاني كبير أطباء ظل السلطان[2] في بداية ولاية هذا الأمير الثالثة في فارس، وكانت تحرر حتى عددها الثالث بالفارسية والعربية مناصفة ومنذ العدد الرابع صارت تصدر بالفارسية فقط.

فرهنـك:-

صدرت صحيفة "فرهنـك" في منتصف عام ١٢٩٦ هـ.ق في أصـفهان،[3] وتولى إدارتها وتحريرها ميزا تقي خان كبير أطباء ظل السلطان وتـولى كتابتهـا الخطاط ميرزا عبد الرحيم المتخلص بـ "افسر".

٣- الصحف الفارسية الصادرة خارج إيران:-

الرقابة على الصحف:

كانت جميع الصحف الصادرة في عهد ناصر الدين شاه صحفًا حكومية حتى الصحف التي كانت تبدو من عنوانها صحفًا أهلية، فنحن لا نعلم شيئا عن أيٍ مـن الصحف غير الحكومية داخل إيران، وخلال عهد مظفر الدين شاه القصير وحتـى إصدار الدستور لم يكن من الممكن إصدار صحف نقدية مستقلة في إيران.

وسنستشهد بالسطور التالية من كتاب "المآثر والآثار" لاعتماد السلطنة (الباب الثامن ص ١١٨) لتوضيح مدى التشدد المفروض على الصحف والكتب آنذاك:

"في بداية سطوع شمس هذه الدولة صار من المقـرر ألا يُطبـع كتـاب أو صحيفة أو إعلان أو ما شابه ذلك في كافة مطابع الممالك الإيرانية المحروسـة إلا بعد عرضه على مدير تلك الإدارة وتوقيعه عليه. ومنذ أن تولى المؤلف مـسئولية

---

(١) العدد الأول مؤرخ بتاريخ ٢٥ جمادى الآخر ١٢٨٩ هـ.ق.

(٢) حصل ميرزا تقي خان الكاشاني على مناصب وألقاب وأوسمة عديدة، وكان عالما في العلوم الطبيعية والفلك، وتميز بأسلوبه في الكتابة بالسلاسة والوضوح. وطبع من مؤلفاته كتاب "حديقة الطبيعة" في العلوم الطبيعية والفلك و"تربية الأطفال" في التربية والتعليم.

(٣) صدر العدد الأول في الثاني من جمادى الأول.

المطبوعات جعل التوقيع ختما يشتمل على عبارة (تمت مراجعته) وشعار الشمس وأسد نائم".

إن الصحف الفارسية المعدودة التى كانت تطبع فى إسطنبول ومصر وتتحدث بحرية عن أوضاع إيران لم تكن تصل القراء الإيرانيين بسهولة. ونقرأ فى نفس الكتاب. "ولما كانت بعض المطبوعات الصادرة فى بعض الممالك تشتمل على نقد لجماعة أو قدح لفريق أو هجاء لشخص أو سخرية مبتذلة فقد كانت تبدو على الدوام علامات الاستياء على جبين هذا الملك المبارك قدسى الكنية[1] بسبب نشرها، إلى أن وصلت إلى طهران رسالة فى هجاء أسرة الشيخ هاشم الشيرازى طبعت فى بومباى، ولما عرضت على مجلسه أخذت شعلة الغضب تندلع على اللسان الملكى بعد مطالعة تلك الأشعار الملفقة فى حق أولئك العلماء الأجلاء، نعوذ بالله من غضب الله، وأمر على الفور بمصادرة وإعدام كافة النسخ. وكان العبد المحرر[2] موجودًا بالبلاط، فقال إن الدول الأوروبية أنشأت "دائرة للتفتيش" لمواجهة هذا العيب واسمها "الرقابة"، ولما ذكرت لجلالته مهامها استحسنها كثيرا، وأمر بالأخذ بها فى الأراضى الإيرانية تحت إشراف هذا العبد، ومنذ ذلك الحين تمت معالجة تلك المشكلة وبارت تلك التجارة".

ونتيجة تنفيذ ضوابط الرقابة والتشدد فيها كانت تهرب لإيران الصحف الصادرة بالخارج على أيدى السائحين والمسافرين والحجيج أو من خلال الشحنات التجارية، وكان يتم تداولها سرا وفى حذر.

وكان أشهرها صحيفة "إرشاد" الصادرة فى باكو[3] و "اختر" الصادرة فى إسطنبول، و"قانون" الصادرة فى لندن و"حكمت" الصادرة فى مصر.

---

(١)المراد ناصر الدين شاه.

(٢) أى اعتماد السلطنة.

(٣) كانت تصدر صحيفة "إرشاد" اليومية بالتركية وتولى إدارتها أحمد بيك آقايف القرا باغى، ثم أضيف لها عام ١٣٢٣ هـ.ق ملحق صغير باللغة الفارسية وكان يحرره أديب الممالك الفراهانى الذى كان مقيما ذلك العام فى باكو.

اختر:-

هی أول صحیفة إیرانیة تطبع وتنشر بالخارج على النسق الحديث. أسست هذه الصحیفة عام ١٢٩٢ ه.ق[١] بتشجيع من میرزا نجفقلی خان التبریزی أحد موظفی الحکومة الإیرانیة فی العاصمة الترکیة، وتولی إدارتها آقا محمد طاهر. وکان محرروها من الأشخاص الغیورین، وأبدی العدید من أبرز المستنیرین والأحرار آنذاك تعاونا وثيقا مع هذه الصحیفة مثل میرزا آقا خان الکرمانی والشیخ أحمد روحی ومیرزا مهدیخان التبریزی (الذی أصدر حکمت فی القاهرة لاحقا). ومیرزا علی محمد خان الکاشانی (الذی أصدر ثریا وپرورش).

وحققت صحیفة اختر شهرةً ومکانةً فی إیران والقوقاز وترکیا والهند والعراق بحیث إن العامة فی بعض مناطق القوقاز الذین کانوا یعتبرون قراءة الصحف کفرا وبدعةً کانوا یطلقون علی من یقرأها "اختری المذهب".[٢]

وکتبت هذه الصحیفة مقالات متمیزة عن أحداث مهمة من بینها قصة منح امتیاز التبغ.[٣]

قانون:-

أسس البرنس ملکم خان ناظم الدولة عام ١٣٠٧ ه.ق بعد صدور اختر صحیفة "قانون" فی لندن بمساندة لفیف من الأحرار.[٤]

وکان ملکم خان نفسه محررها، ولفتت مقالاتها والتی تمیزت ببساطة الأسلوب ورشاقته -أنظار الناس واهتمامهم، وأثرت موضوعاتها التی کانت تنم

---

(١) صدر العدد الأول منها یوم الخمیس السادس عشر فی الحجة عام ١٢٩٢ ه.ق.
(٢) ادوارد براون: تاریخ مطبوعات وأدبیات إیران در دورة مشروطیت، ترجمة محمد عباسی، ج٢، ص ١٤٦.
(٣) أحمد کسروی: تاریخ مشروطة إیران، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، ص ١٩.
(٤) لا تحمل أعداد صحیفة قانون تاریخا، ولکن یستنتج أن عددها الأول صدر فی ٢٠ فبرایر ١٨٩٠م (٢٩ جمادی الأول ١٣٠٧ ه.ق) وصدر منها ٤٢ عددا فی المجمل.

عن بصيرة محررها وثقافته على الثورة الفكرية والسياسية والنهضة الاجتماعية في إيران بشكل كبير.

حكمت:-

صدرت صحيفة "حكمت" الأسبوعية عام ١٣١٠ هـ.ق في القاهرة. وكان محررها ميرزا مهدى خان التبريزى (زعيم الدولة) الذى ارتحل من إسطنبول إلى مصر وأسس بها تلك الصحيفة. وأصر بشدة على أن تكتب "حكمت" بالفارسية الخالصة الخالية من المصطلحات العربية.

ظلت هذه الصحيفة تصدر حتى بداية الثورة الدستورية وكانت مقالاتها ذات تأثير كبير. وكان زعيم الدولة رجلا فاضلا مثقفا، وله أيضا مؤلفات وأشعار وطنية. (١)

وفى تلك الآونة ظهر أيضا عدد من الصحف الأخرى خارج إيران أشهرها ثريا وپرورش فى مصر وحبل المتين فى كلكتا.

ثريا:-

صحيفة أسبوعية صدرت عام ١٣١٦(٢) هـ.ق في القاهرة.كان يحررها فى البداية ميرزا على محمد خان الكاشانى شقيق ميرزا عبد الحسين خان وحيد الملك النائب البرلمانى فى المجلس الثانى، وذاعت مقالاته فى الآفاق لأسلوبها اللاذع، ولكنه تركها وأسس لنفسه صحيفة "پرورش" وتولى تحريرها سيد فرج الله خان الكاشانى ففقدت أهميتها. (٣)

---

(١) أحمد كسروى، تاريخ مشروطة إيران، الجزء الأول، ص ٤١.
(٢) عددها الأول مؤرخ بالرابع عشر من جمادى الآخر من تلك السنة.
(٣) أحمد كسروى: تاريخ مشروطة إيران، الجزء الأول، ص٤١.

"پرورش":-

تعد صحيفة پرورش التى صدرت فى بداية عام ١٣١٨هـ.ق[١] من أفضل الصحف الفارسية وأهمها. تميزت بأسلوب تحريرها البديع ومقالاتها الجيدة واستثارتها للأفكار فكانت من أسباب الثورة الفكرية فى إيران.

حلت هذه الصحيفة محل ثريا كما ذكرنا، وكان محررها ميرزا على محمد خان رجلا عالما وتميزت مقالاته بكونها لاذعة وشديدة اللهجة.

حبل المتين:-

تعد صحيفة حبل المتين الأسبوعية التى أسست فى كلكتا عام ١٣١١ هـ.ق أهم صحف تلك الفترة وأشهرها. وتمتعت بحرية الرأى نظرا لأنها كانت تطبع فى الهند، ونُشرت بها مقالات عن مشكلات إيران السياسية وطرحت الكثير من الآراء المفيدة واقترحت مرارا سن القانون وإقامة حكومة دستورية. واشتهر محررها سيد جلال الدين الكاشانى مؤيد الإسلام بلقب "تيكى".[٢] وكانت صحيفة حبل المتين تصل إلى إيران بالرغم من أن الحكومة كانت قد حظرت قراءتها وتداولها، ولعبت دورا مهما يماثل دور صحيفة كولوكول "الجرس" لهرتسن فى روسيا. [٣]

وخُصص قسم من حبل المتين للموضوعات الدينية وكانت هذه الصحيفة تدعو للوحدة الإسلامية. [٤]

---

(١) تاريخ الجمعة العاشر من صفر من ذلك العام.

(٢) أحمد كسروى: تاريخ مشروطـة إيران، الجزء الأول، ص٤٢.

(٣) پاولويچ، ثريا وايرانسكى: انقلاب مشروطيت إيران، ص ٥٤.

(٤) إدوارد براون: مطبوعات وأدبيات إيران، ترجمة محمد عباس، ج٢، ص ٣٣٤.

الفصل الثالث

دار الفنون:-

إن الشعور بهيمنة الضعف والعجز على كافة مناحى الحياة وضرورة الأخذ بالمدنية الغربية وتغيير نظم التعليم القديم أدى فى النهاية إلى وضع حجر الأساس لمبنى دار الفنون فى بداية عام ١٢٦٦هـ.ق فى القسم الشمالى من الديوان الملكى وكان فى السابق دارا للجنود. وبات الهدف منها تدريس العلوم والثقافة الغربية لجيل الشباب.

ونظرا لحاجة الدولة إلى مثل هذه المؤسسة التعليمية عزم ولى العهد عباس ميرزا على تأسيس دار الفنون حيث عُرف بريادته فى الأخذ بالمدنية والعلوم الحديثة وفقا لشهادة جريبايدوف[١] سفير روسيا فى بلاط فتحعلى شاه، ولكنه لم يوفق فى تنفيذ ذلك الأمر وكُتب لميرزا تقى خان أمير كبير التوفيق فى تنفيذه.

فبعد حادثة مقتل جريبايدوف كُلِّف الأمير خسرو ميرزا بن عباس ميرزا بالتوجه إلى بلاط روسيا لتقديم الاعتذار على رأس وفد ضم ميرزا تقى خان الفراهانى.[٢] (شوال ١٢٤٤ هـ.ق). ولما شاهد الأمير المدارس الصناعية هناك فكر فى تأسيس دار الفنون.

ويقول ميرزا مصطفى خان افشار - الذى تولى التحرير والإنشاء[٣] للوفد المرسل إلى روسيا- فى كتاب رحلات "خسرو ميرزا" بعد وصف مدارس بطرسبورج ودور العلم بها:-

"من اليسير تأسيس هذه المدارس فى إيران. فيمكن استقدام عدد من المعلمين

---

(١) تبريز، بتاريخ فبراير ١٨٢٠م (كليات أعمال جريبايدوف، لينينجراد ١٩٤٥م ص ٤٥٣)

(٢) كان من رفاق خسرو ميرزا الآخرين ميرزا صالح الشيرازى و ميرزا محمد خان زنگنه وأمير نظام ومسعود گرمرودى.

(٣) لقب فيما بعد ببهاء الملك.

الأوروبيين إلى إيران وتخصيص مدرسة لأولاد النجباء الإيرانيين، وإلحاقهم بها وتعيين عدد من الفضلاء للإشراف عليهم كي يتعلموا العلوم الإيرانية من المعلمين الإيرانيين وكذلك العلوم الأوروبية من المعلمين الأوروبيين".

وكان هدف الأمير من تأسيس مثل هذه الأكاديمية أن تكون مؤسسة عسكرية وصناعية تسد حاجة الدولة بالدرجة الأولى في المجالين العسكرى والصناعى "وربما يكون خبر تأسيس دار الفنون في إسطنبول التي افتتحت عام ١٢٦٣ هـ.ق قد أثر على هذا الإجراء. (١)

وللأسف كان الأمير يقضي آخر أيامه بالمنفى في باغ شاهي بفين التابعة لكاشان وقت افتتاح دار الفنون، وقتل في ذلك المكان بعد أسبوعين من افتتاحها ولم ير ثمرة عمله.

اتخذ الأمير قرار تأسيس دار الفنون عام ١٢٦٦ هـ.ق أي في العام الثالث من عهد ناصر الدين شاه. ففي هذا العام فرغ من أمور أكثر أهمية فيما يتعلق بأمن الدولة وإعداد الجيش وتوفير الأسلحة وتنظيم الميزانية وقمع الأدعياء والفتن، وقرر تأسيس مدرسة في طهران لتعليم الصناعات، ولما كان من المقرر أن تدرس بها كافة الفنون أي الصناعات لذا فقد أمر بتسميتها دار الفنون. (٢)

صمم بناءها ميرزا رضا كبير المهندسين، الذي سافر إلى لندن في عهد عباس ميرزا ولي العهد وبرع في فن العمارة والبناء، وكلّف كبير المهندسين محمد تقي خان بتنفيذه، وتعد دار الفنون كما ذكرنا أول معهد فني عال على النسق الأوروبي يمد الدارسين بالمعارف والعلوم الحديثة ويؤهلهم في تخصصات مرتبطة بالشئون المدنية والعسكرية، ولما كان تنفيذ هذا الأمر في البداية لا يتيسر على أيدي الإيرانيين أنفسهم، كان ولابد طلب المساعدة من أوروبا.

---

(١) عباس إقبال: بعد از صد سال، مجلة يادگار، العام الخامس، العددان ٤- ٥.
(٢) روزنامـــة وقايع اتفاقية: العددان ٢٩، ٣٤، بتاريخ شوال ١٢٦٧ و ٣ صفر ١٢٦٨ هـ.ق.

لهذا سعى الأمير لاستقدام مدرسين متخصصين من أوروبا للتدريس في هذه المدرسة، فأوفد أحد المترجمين البارزين موضع ثقته عام ١٢٦٧ هـ.ق إلى بلاطي بروسيا والنمسا لإحضار المدرسين، وكان يسمى جان داود.

فقد رافق الأمير حين أُوفد إلى أرزنة الروم حيث كان يعد المترجم الأول للحكومة الإيرانية، كما كان من بين أعضاء سفارة إيران في سان بطرسبورج.

ووصل جان داود الأرمنى إلى طهران يوم الجمعة ٢٧ محرم ١٢٦٨ هـ.ق (بعد يومين من عزل أمير كبير) وبرفقته سبعة من المعلمين النمساويين الذين كان قد تعاقد معهم لتدريس الطب والتخصصات العلمية والعسكرية، ولم يكن بناء دار الفنون قد اكتمل بعد. وأعدوا على الفور برنامجا للدراسة وعرضوه على ناصر الدين شاه الذى لم يكن عمره قد تعدى الثانية والعشرين، واختير لإدارة المدرسة عليقلى ميرزا اعتضاد السلطنة، ورضا قلى خان هدايت لتولى الشئون العسكرية بها، وأقيم حفل افتتاح أول مدرسة عالية تسمى "دار الفنون" بأمر من الشاه الشاب يوم السبت الخامس من ربيع الأول عام ١٢٦٨ هـ.ق "وشرف مائة من أبناء الأمراء العظام والأعيان ورجال الدولة بلقاء الشاه، وكان قد تم اختيارهم للدراسة فى مدرسة دار الفنون المباركة من قبل وزير الخارجية ميرزا محمد على خان، وبعد ذلك قدموا إلى المدرسة المباركة وبدأوا الدراسة. افتتحت دار الفنون فى ذلك اليوم وأُجريت المراسم وفقا لما هو مقرر. وكانت العلوم التى تدرس فى البداية تدريبات المشاة والمدفعية والفروسية وعلوم الهندسة والطب والجراحة والصيدلة والتعدين.

واتخذ قرار بأن ترتدى كل فرقة زيا مختلفا ليُعرَف من خلاله تخصص كل فرقة. كما تقرر تعيين مترجمين بالمدرسة، ومنذ ذلك اليوم أخذت تنتشر بالمملكة العلوم الحديثة ومخترعات الأمم النافعة التى هى محصلة مئات السنين من الجهد والمشقة".

من الواضح أن شئون هيئة التدريس من الأوروبيين كانت غير منظمة إلى حد كبير فى بداية الأمر، كما كان بين المعلمين أشخاص غير مؤهلين بالقدر الكافى فيما يتعلق بالعلوم وأسس التربية والتعليم.

ولم يكن الإيرانيون يستطيعون التدقيق فى اختيارهم لأنه لم يكن من السهل وجود أشخاص يوافقون على الإقامة فى إيران لفترة طويلة، وبشكل عام قلما وجد أشخاص قادرون على تأهيل الطلاب الإيرانيين علميا والذين من المنتظر أن يكونوا معلمين فى المستقبل.

وبلغ عدد المعلمين الذى قدموا إلى إيران برفقة جان داود والذين بدأوا فى التدريس بدار الفنون قبيل مقتل أمير كبير سبعة أشخاص وهم: الكابتن زاتى،(١) الكابتن جومنز،(٢) الضابط كرسيس،(٣) الضابط نميرو،(٤) كارنوتا،(٥) الطبيب بلاك،(٦) وكوكاتى.(٧)

وفضلا عن هؤلاء انضم إلى هيئة التدريس فى دار الفنون لفيف من الأوروبيين الذى كانوا قد وفدوا إلى إيران فيما سبق.

ومن المعلمين والمستشارين الأوروبيين الأوائل خلال العشرين عاما الأولى، من تأسيس دار الفنون:-

كرسيس والطبيب بلاك، وهما من أول المعلمين الذين قدموا عام ١٢٦٨ هـ.ق (١٨٥١م). وكان الأول معلما للمدفعية والرياضيات والآخر معلما للعلوم

Zattie. (١)

Gumonës (٢)

Krziz (٣)

Nemiro (٤)

Carnotta (٥)

Polak (٦)

(٧) لم يرد اسم كوكاتى فى قائمة بلاك، ومن المعتقد أنه قدم إلى إيران لاحقا.

الطبية. عمل بلاك فى منصب الطبيب الخاص للبلاط بعد وفاة الطبيب الفرنسى كلود، وعاش فترة طويلة فى إيران، وتعلم الفرنسية، وألف كتابا قيما باللغة الألمانية عن رحلته إلى إيران، ولم يفقد هذا الكتاب قيمته حتى الآن، ويقدم معلومات وفيرة لأولئك المهتمين بالاطلاع على أسلوب الحياة فى ذلك الزمان، والكثير من المصطلحات الطبية المعاصرة مأخوذة عن كتاب "تشريح بلاك" الذى أُلِّف بالتعاون مع ميرزا محمد حسين افشار.

عاد كرسيس إلى أوروبا عام ١٢٧٦ هـ.ق (١٨٥٩م) وبلاك عام ١٢٧٧ هـ.ق (١٨٦٠ م).

ومنهم أيضا البولندى استانيسلاس بورفسكي[١] الذى كان يدرس الجغرافيا واللغة الفرنسية. وكان من أهالى فيلنا ووالده العميد ايزيدور بورفسكي الذى قتل فى الحرب التى دارت فى هراة. عمل لدى الحكومة الإيرانية وصار معلما فى مدرسة دار الفنون، وتوفى فى طهران فى شهر رمضان عام ١٣١٥ هـ.ق (يناير ١٨٩٨م).

وقدم إلى إيران بعدهم بفترة وجيزة الكساندر بوهلر[٢] كبير المهندسين العسكريين عام ١٢٧٢ هـ.ق (١٨٥٥م). تولى مهمة تدريس الرياضيات وعلم التحصينات وعلوم عسكرية مشابهة، وشارك فيما بعد فى حروب إيران ضد الأفغان، وسيطر الجنود الإيرانيون بفضل توجيهاته على هراة فى صفر عام ١٢٧٣ هـ.ق (١٨٥٦م) توفى بوهلر عام ١٣٠٥ هـ.ق (١٨٨٧م) وكان على درجة عميد.

أوفدت الحكومة الفرنسية عام ١٢٨٥ هـ.ق (١٨٦٨م) إلى إيران الفرنسى آلبرت لومر[٣] لتدريس الموسيقى العسكرية، فأعد فرقا للموسيقى العسكرية

---

(١) Stanislas Borwsky

(٢) Bohler

(٣) A. Lemaire

وعرف الإيرانيين لأول مرة على الموسيقى الغربيــة، وتــوفى عــام ١٣٢٥ هـ.ق (١٩٠٧م).

كان اتحاد العمال الفرنسي قد أوفــد فلــيكس فوفيليــه[١] عــام ١٢٨٢ هـ.ق (١٨٦٥م) إلى إيران لمد خط السكة الحديد، فاستعانت به الحكومة لتأسيس ترســانة للأسلحة ثم تدريس التعدين في دار الفنــون. وتقاعــد حــوالي عــام ١٣١٨ هـ.ق (١٩٠٠م) وتوفى بعد عدة سنوات.

قدم الطبيب الهولندى شليمر عام ١٢٦٨هـ.ق (١٨٥١م) بــصفة شخــصية، وبعد عدة سنوات من إقامته في رشت اختير لتدريس الطب بدلا من الطبيب بلاك. قام شليمر[٢] بالعديد من الرحلات البحثية في إيــران، ونــشر نــصوص أغلــب محاضراته. وأهم أعماله معجم متخصص في الطب والنباتات نُــشر عــام ١٢٩١ هـ.ق (١٨٧٤م) في طهران في طبعة حجر، والنسخ الموجودة منــه نــادرة جــدا، وطبع مؤخرا من قبل كلية الطب بجامعة طهران ضمن ملحق المجلة الطبية.

كان يعاون الطبيب بلاك الطبيب آلبو[٣] وهو من أهالي برلين، تعاقــد معــه مخبر الدولة عام ١٣٠٠ هـ.ق (١٨٨٤م)، وأعد رسائل في الطب باللغة الفارســية بمشاركة الطبيب شليمر ونشرها. وعاد إلى أوروبا بعد ثماني سنوات قضاها فــي التدريس وعلاج المرضى.

قدم الفرنسي جول ريتشارد[٤] إلى إيران في نهاية عهد محمد شــاه (١٢٦٠ هـ.ق- ١٨٤٤م)، وكان على ما يبدو غير متخصص. كُلف بالعمل في عهد أميــر كبير وقصته غريبة وشيقة، فقد أحب فتاة واعتنق الإسلام، وتزوجها وفضل الإقامة في إيران واشتهر بميرزا رضا مؤدب الممالك، وتخلى عن عاداته وانخــرط فــي

---

(١) Vauvillier
(٢) J. L. Schlimmer
(٣) Albu
(٤) J. Richard

الحياه القبلية. توفى ريتشارد فى شوال عام ١٣٠٨ هـ.ق فى سن الخامسة والسبعين فى طهران.

أما آندره إينى[١] فكان مقاتلا من أهالى توسكان شارك فى ثورة عام ١٨٤٨م وتم تعقبه لكونه من المطلوبين سياسيا، فهرب عام ١٨٤٩م من إيطاليا وذهب إلى إسطنبول، وفى عام ١٢٦٩ هـ.ق (١٨٥٢م) قرر الالتحاق بالعمل لدى الحكومة الإيرانية، توفى عام ١٨٩٤.

وكان جاستيجر[٢] النمساوى من المتخصصين فى الشئون الهندسية، وقدم إلى إيران فى عام ١٢٧٧ هـ.ق (بداية ١٨٦٠م) بغرض القيام بمغامرة لا غير، وتولى لفترة طويلة وظائف مهمة فى الشئون الهندسية المختلفة، وفى عام ١٨٨٩م اعتزل العمل وتوفى بعد فترة وجيزة.

كما انضم لفيف من الأرمن المقيمين فى آذربيجان وجلفا بأصفهان إلى هيئة التدريس بالمدرسة فضلا عن عدد قليل من الإيرانيين المسلمين الذين كانوا يدرسون الأدب والعلوم الشرعية. وكان هؤلاء الأرمن يتقنون لغة أجنبية أو أكثر نتيجة رحلاتهم أو دراستهم للخارج، ومتخصصين فى بعض العلوم الحديثة. ومنهم ملكم خان بن ميرزا يعقوب وهو من أرمن جلفا ولقب فيما بعد بناظم الدولة. أما نظر آقا فكان من أرمن آذربيجان وعمل فى منصب المترجم الثانى للغة الروسية فى وزارة الخارجية ولقب فيما بعد بيمين السلطنة وعمل وزير إيران المفوض فى باريس.

ونذكر أيضا ماردروس خان من أرمن جلفا وكان يجيد الفرنسية والروسية، درس فى موسكو وعمل قبل خدمته بدار الفنون مترجما فى الحكومة.

---

(١) Andreini

(٢) Gasteiger

وفى الختام تجب الإشارة إلى نيكولاس[١] مترجم رباعيات الخيام، وهو والد الفونس نيكولاس قنصل فرنسا فى تبريز.[٢]

كما أسهم الإيرانيون أنفسهم بالطبع فى تطوير دار الفنون، وسنذكر فيما بعد أسماء عدد منهم ممن عملوا على نشر الثقافة الإيرانية.

اهتمت دار الفنون فى البداية بتدريس الطب والرياضيات والعلوم العسكرية واللغات الأجنبية، ثم خُصصت محاضرات بعد ذلك لتدريس مبادئ اللغتين الفارسية والعربية وبالتدريج تم إدراج الأدب بين المواد الدراسية.

وكانت الكتب التى أعدها الأساتذة القدامى أو الجدد مترجمة عن اللغات الأوروبية أو مقتبسة عنها، وهذه الكتب المطبوعة نادرة ونفيسة، ويجب أن نذكر منها بالدرجة الأولى الكتب التى أُعدت فى التخصصات العلمية والصناعية والتى كانت تدرس مع بداية تأسيس دار الفنون فى طهران، وعلينا أيضا أن نضيف إليها عددا من الكتب التى كانت قد أعدت فى عهد عباس ميرزا ولى العهد.

تعاون أغلب المعلمين مع الأوروبيين باعتبارهم مترجمين ومساعدين لهم، ولكن السعى وراء الحصول على الألقاب الرنانة التى كانت منتشرة فى البلاط ذلك الوقت صار من الأمور الراسخة فى تلك المؤسسة الثقافية. فعلى سبيل المثال لُقب كبير الفلكيين الحاج ميرزا عبد الغفار (المتوفى عام ١٣٢٦ هـ.ق) بلقب رنان وهو "معلم جميع العلوم الرياضية" وكانت وظيفته تحديد ساعات السعد والنحس فيما يتعلق بأعمال الشاه، وانضم إلى هيئة التدريس فى دار الفنون، وألف العديد من الكتب فى الرياضيات والعلوم الطبيعية (مثل "رسالة آسمان" فى الفلك و "أصول جغرافيا" و"أصول هندسة" وغيرهم).

وعلينا أن نشير أيضا إلى التدقيق والحذر فى التعاقد مع المعلمين الأجانب

---

(١) M. J. Nicolas

(٢) Alphonse Nicolas

حتى لا يكون هؤلاء المعلمون من مواطني الدول ذات المصالح السياسية في إيران. وبعد مقتل أمير كبير سعى وزير بريطانيا المفوض الكولونيل جوستن شيل[1] سعيا جادا كي لا يتم افتتاح دار الفنون، وحرص ميرزا آقا خان نوري على ذلك، ويرجع هذا الأمر إلى غضب شيل بسبب عدم اختيار المعلمين من بين المواطنين البريطانيين أو مواطني الدول حليفة بريطانيا سياسيا. إلا أن ناصر الدين شاه أصر على افتتاح دار الفنون نظرا لأنه كان قد راسل إمبراطور النمسا فرانسوا جوزيف بخصوص إيفاد هؤلاء المعلمين ولم يوافق على عودتهم.

ورغم هذه المعارضة فقد عاد هذا الأمر - كما ذكرنا سالفا- بالفائدة على عدد من المهاجرين الإيطاليين والأرمن.

ويقول الطبيب بلاك: "لم يكن الأمير قد أدرك أننا لا نستطيع أن نؤدي عملنا وفقا لمعتقداته أو وفقا لأهوائنا".[2] وبالرغم من ذلك كان الشاه الشاب يشارك في بداية الأمر في عقد الامتحانات ويمنح الدارسين الجوائز والإنعامات ويعينهم في المناصب. على كل حال تخرج طلاب بارزون أفاضل من تلك المدرسة، ولكن بعد فترة وجيزة، شعر ناصر الدين شاه بالريبة تجاه دار الفنون نتيجة بعض تصرفات ملكم الذي عمل معلما ومدرسا في تلك المدرسة، وخاصة لتأسيسه المحفل الماسوني، حتى أنه لم يسمح بعد ذلك للإيرانيين بالسفر إلى الدول الغربية لأي سبب من الأسباب، ومنذ ذلك التاريخ تدهورت أوضاع دار الفنون ولم يتبق سوى القليل من بين جميع المعلمين الأجانب والإيرانيين وكذلك قلة من الطلاب.[3]

---

(١) Colonel Justin Sheil

(٢) Polak, Vol. 1, p. 301

(٣) لم يكن من اللائق ألا يتردد على المدرسة ويتفقد القاعات، ويشجع الطلاب ويمنحهم الإنعامات. وبعد ذلك الإجراء (أي تأسيس المحفل الماسوني والتخطيط للجمهورية والزج بدار الفنون) كان يستاء لسماع اسم المدرسة، واكتفى بالإبقاء عليها ظاهريا (مهد يقلي هدايت: خاطرات وخطرات).
وبعد ظهور هذه الأفكار حظر ناصر الدين شاه السفر لأوروبا وعزف عن الأفكار الأوروبية بعد أن كان يرسل بعثات من الطلاب في بادئ الأمر إلى الدول الأوروبية، وهذا راجع للأعمال التي لا طائل من ورائها وتقليد الخرافات الجديدة الفاسدة
- المصدر السابق.

لم تقدم بيئة دار الفنون للدولة أعمالا أدبية مهمة، إلا أنها قدمت ما هو أهم. فقد أثرت هذه المؤسسة العلمية بشكل غير متوقع على تطوير الشئون التعليمية فى إيران وساعدت على الأخذ بالعلوم والصناعات الأوروبية الحديثة على الرغم من أنها افتقرت إلى وجود أشخاص مؤهلين بين مؤسيسها وبرغم عراقيل الجهلاء وأعداء التقدم فى إيران. وعَرَّفت شريحة واسعة من الأهالى بنمط الحياة الأوروبية التى لم يكن الإيرانيون حتى ذلك الوقت يعلمون عنها شيئا، ومنحت فرصة لقطاع كبير من الشباب لخوض غمار الإصلاح.

ولم تمض فترة طويلة حتى ظهرت طبقة مستنيرة من الأطباء وعلماء الرياضيات والعلوم الطبيعية، ساهموا فى إرهاصات الثورة الثقافية بإيران عن طريق الترجمة والتأليف وفقا للأسلوب العلمى الحديث وتأهيل الكثير من الطلاب، بحيث يمكننا القول بأن التجديد ومكافحة الجهل والخرافات ونشر الأفكار التحريرية فى العهد الناصرى يرجع إلى حد ما إلى تنشئة وتعليم هذه الفئة من الدارسين بدار الفنون. كما ساهمت هذه المؤسسة فى تأهيل عناصر الثورة الدستورية والموظفين الحكوميين الذين أمسكوا بزمام الأمور فى إيران لاحقا.

١- ترجمة وتأليف الكتب التعليمية:

كما نعلم كانت الكتب التعليمية فى إيران قبيل تأسيس دار الفنون نادرة جدا بل معدومة تقريبا.و اضطر القائمون على المدرسة إلى تأليف الكتب بأنفسهم أو ترجمتها عن اللغات الأجنبية نظرا لشدة احتياجهم لكتب فارسية تعليمية. بناء على هذا أعدوا منذ بداية التحاق المعلمين الأوروبيين بدار الفنون كتبا تعليمية كثيرة فى التخصصات المختلفة للعلوم الحربية والعسكرية (كالمدفعية والتحصينات وإعداد الجيش ورسم الخطط) والعلوم الطبيعية (كالطب والتشريح والفسيولوجى والكيمياء والميكانيكا) وكُلف طلابهم الإيرانيون بترجمة الكتب المذكورة إلى الفارسية ومنهم

ميرزا زكى المازندرانى ومحمد حسين القاجارى وميرزا تقى خان الكاشانى وميرزا على أكبر خان مهندس الشيرازى ومحمد حسين افشار حيث كانوا قد أجادوا اللغات الأوروبية إلى حد لا بأس به وخاصة اللغة الفرنسية. وطُبعت جميع تلك الكتب طباعة حجر فى المطبعة التى أُنشئت فى دار الفنون نفسها لهذا الغرض، ووزعت على الطلاب.(١)

وانتقلت الرغبة العارمة فى نشر الثقافة والعلوم التى بدأت فى دار الفنون إلى أشخاص آخرين أيضا خارج المؤسسة التعليمية، وعم شوق جارف لتأليف الكتب وترجمتها سواء داخل دار الفنون أو خارجها، وشارك فى التأليف والترجمة من بين الإيرانيين الحاج ميرزا عبد الغفار نجم الدولة الأصفهانى والطيب أبو الحسن خان والطبيب رضا خان والطيب محمد الكرمانى الشهير بكفرى وميرزا رضا خان مهندس الممالك وميرزا على أكبر خان مزين الدولة وميرزا أسد الله خان مهندس السلطان، والطيب على خان الهمدانى وميرزا على خان مترجم السلطنة وسليمان خان احتساب الملك ونصرة السلطان وسيد على خان وميرزا محمد حسين ذكاء الملك وابنه ميرزا محمد على خان ذكاء الملك وآخرون.

---

(١) سنذكر عناوين بعض هذه الكتب: من أعمال الطبيب بلاك "تشريح بدن إنسان" ترجمة محمد حسين افشار ١٢٧٥ هـ.ق، "زبدة الحكمة" ترجمة علينقى حكيم الممالك ١٢٧٢ هـ.ق، "جلاء العيون" فى علاج العيون ١٢٧٣ هـ.ق، "علاج الأسقام" فى الجراحة ملحق به "رسالة حكاكى" فى مجلد واحد ترجمة محمد حسين افشار ١٢٧٣ هـ.ق، ومن أعمال كرسيس "علم هندسة" و"علم مساحت" ترجمة ميرزا زكى المازندرانى ١٢٧٤ هـ.ق، "علم توپخانة" ترجمة ميرزا زكى ١٢٧٥ هـ.ق، ومن مؤلفات الطبيب شليمر "سر الحكمة" ترجمة ميرزا تقى خان بن محمد هاشم الكاشانى ١٢٧٨ هـ.ق و "زينة الأبدان" ترجمة ميرزا تقى خان المشار إليه ١٢٧٩ هـ.ق، و "شفائيه" ترجمة ميرزا عبد الكريم بن الحاج ملا إسماعيل اليزدى ١٢٨٠ هـ.ق، و"كليات طب فرنگى" ١٢٩٢هـ.ق، ومن مؤلفات بوهلر "علم تحصين" ترجمة المهندس ميرزا على أكبر خان الشيرازى ١٢٧٥ هـ.ق و"هندسه" ترجمة المهندس عبد الرسول خان ١٢٨٣ هـ.ق، و "قانون امور اردو" ترجمة محمد حسين القاجارى ١٢٩٦ هـ.ق، ومن أعمال جاستيجر خان "قانون خدمت سربازى" ١٣٠١ هـ.ق، غير ذلك.

وأسفر مجهودهم بالتدريج عن إضافة سلسلة من الأعمال المهمة فى كل التخصصات إلى رصيد إيران من الأعمال العلمية والأدبية.

٢- الترجمات الأخرى:-

إذا تجاوزنا الكتب التعليمية فقد نقل المترجمون الإيرانيون فى هذه المرحلة إلى اللغة الفارسية سلسلة من الكتب التاريخية من بينها مؤلفات فولتير التاريخية مثل "تاريخ بطرس كبير" و"شارل دوازهم الثانى عشر" و"إسكندر مقدونى" ثم "تاريخ إيران" للبريطانى السير جان ملكم عن الترجمة الفرنسية، وبعد ذلك قاموا بترجمة الروايات التاريخية والعلمية، فنقلوا للفارسية من أعمال الكساندر دوما الكبير قصص ("سه تفنگدار" و"كنت دو مونت كريستو" وملكه ماركو" و"لوئى چهاردهم وپانزدهم") ثم "تلماك" لفنلن، و"روبنسن كروزو" لدفو، و "ژيل بلاس" للساج، و "كلبة هندى" لبرناردن دوسان بيير، و "مانن لسكو" لپروو، و"مسافرت گوليور" لسويفت، و "سرگذشت حاجى بابا أصفهانى" لجيمز موريه وأخيرا الروايات العلمية لجول فرن وما على شاكلتها.

وللأسف لم يراع مترجمو تلك الأعمال الخصائص الأدبية للنصوص الأصلية إلى حد كبير، وكانوا يزينونها بالأشعار الفارسية على غرار القصاصين الإيرانيين، وفضلا عن ترجمة روائع الأدب الكلاسيكى ترجموا أعمالا مبتذلة مثل "سرگذشت مادام دومونت پانسيه" و رواية "روكامبول" وكلاهما للروائى الفرنسى پنسن دوتراى والعجيب أنهم كانوا يحررون للكتب السوقية المبتذلة مقدمات يتحدثون خلالها عن ضرورة نشر العلوم واكتساب الثقافة وتحصيل الفنون، وكانوا يمتدحون اهتمام الذات الملكية المقدسة لعنايتها بمثل هذه الأهداف السامية. ولكن برغم كل هذه المآخذ اضطر المترجمون كما أشرنا سالفا إلى محاكاة أسلوب الكتابة فى النصوص الأصلية وكتابة الموضوعات بأسلوب سهل بسيط، وتجنب استخدام السجع والكلفة التى كانت تعد فيما سبق من شروط النثر الأدبى وخصائصه.

ولربما لو لم تكن هذه الترجمات لما ظهر أسلوب النثر الأدبي المعاصر الذى يقترب من لغة الحوار ويتميز فى نفس الوقت بجمال النثر الأدبى الأوروبى.

وأثرت ترجمة مسرحيات موليير أيضا – كما سنذكر لاحقا- تأثيرا كبيرا فى تطور المسرح والكتابة المسرحية التى لم تكن معروفة تقريبا في إيران حتى ذلك الوقت.

٣- هدايت:-

كان من بين الإيرانيين الذين عملوا في دار الفنون أشخاص فاقوا زملاءهم الأوروبيين. وكان على رأسهم أمير الشعراء رضا قلى خان هدايت مدير هذه المؤسسة العلمية والمشرف عليها، الذى يعتبر أن نسبه يرجع إلى الشاعر الشهير الشيخ كمال الجندى معاصر حافظ الشيرازى.

كان الأديب والشاعر والمؤرخ الشهير رضا قلى خان بن آقا محمد الهادى الطبرستانى من أعيان قرية "چهارده كلانه" من توابع هزار جريب" بمازندران. عمل فى شبابه لدى جعفر قليخان بن محمد حسن خان قاجار، والتحق بعد مقتله ببلاط آقا محمد خان كبير الأسرة القاجارية وعمل أمينا للخزانة ورئيسا لها.

ولد رضا قلي في ليلة الخامس عشر من محرم ١٢١٥ هـ.ق فى طهران، وأمضى بضع سنوات من طفولته في شيراز، ثم ذهب برفقة والدته إلى أقاربه فى "بار فروش" بعد موت والده عام ١٢١٨ هـ.ق، ثم عاد إلى شيراز بعد عدة سنوات، ودرس العلوم المتداولة تحت إشراف ورعاية زوج والدته محمد مهدى خان المتخلص بـ "شحنة"، والتحق فى شبابه بخدمة الحاكم حسينعلى ميرزا وأبنائه وأخيه حسنعلى ميرزا شجاع السلطنة.

وكان ينظم الشعر منذ مطلع شبابه أحيانا ويتخلص بـ "چاكر" ثم تخلص بعد ذلك بـ "هدايت".

وعندما ذهب فتحعلى شاه إلى شيراز، حمل ميرزا محمد تقى علـــى آبـــادى منشى الممالك الشاعر الشاب إلى مجلس الشاه وألقى رضا قلى خان قصيدة حازت الإعجاب فمنحه الشاه لقبى "خان" و"ملك الشعراء"، وأمر بأن يلازمه عند عودتـــه إلى طهران، ولكنه لم يتمكن من مرافقته لمرضه، وظل فـــى شـــيراز إلـــى وفـــاة فتحعلى شاه.

وبعد اعتلاء محمد شاه العرش، تمرد على الحكومـــة الأميـــران حـــسينعلى ميرزا وحسنعلى ميرزا فى شيراز، ولكن أُحبطت الثـــورة علـــى الفـــور وأُســـر المتمردان وأُرسلا إلى العاصمة وعُين الأمير فيروز ميرزا حاكما علـــى شـــيراز. وظل رضا قلى خان لفترة فى شيراز، فصار مساعدا لفيروز ميرزا ومن ندمائـــه، وبعد عودته إلى كرمان أصبح مساعدا لأخيه فريدون ميرزا.

وعند عودة محمد شاه عام ١٢٥٤ هـ.ق إلى طهران بعد موقعة هراة، قـــدم رضا قلى خان إلى طهران حاملا رسالة من فريدون ميرزا حاكم فارس، وتوجـــه إلى منزل الصدر الأعظم ميرزا آقاسى فأحسن ميرزا أقاسى وفادته، وقدمـــه إلـــى البلاط، فمنعه محمد شاه من العودة إلى شيراز وكلفه بالقيام على تربية ابنه عبـــاس ميرزا ملك آرا الذى كان يكن له حبا كبيرا، ولهذا السبب عرف بـــ "لله باشـــى" أى "كبير المربين".

كان رضا قلى خان يعيش معززا مكرما فى البلاط وظل يرافق محمد شـــاه فى سفره وحضره حتى وفاته عام ١٢٦٤ هـ.ق، وألف باســـمه تذكرتـــه الـــشهيرة "رياض العارفين".

وبعد وفاة محمد شاه وقيام الثورة التى أدت إلى فرار تلميذه عبـــاس ميـــرزا ظل عاطلا عن العمل ملازما لمنزله لفترة من الوقت بسبب دســـائس المغرضـــين

على ما يبدو، إلى أن استدعاه ناصر الــدين شــاه لخدمتــه عــام ١٢٦٧ هـ.ق،[١] وأرسله على رأس وفد سياسي إلى بلاط محمد أمين خان وإلى خيوه الــذى كــان يطلق على نفسه خوارزمشاه.

وفى باريس قام "لرو"[٢] عام ١٨٧٩م (١٢٦٩ هـ.ق) بطباعة ونشر الكتــاب الذى كتبه رضا قلى خان بأمر أمير كبير عن تلك الرحلة بعنوان "ســفارتنا مــــة خوارزم"، وضم الكتاب الترجمة والحواشى الفرنسية التى قام بها تشارلز شيفر،[٣] كما نقل محمد حسن خان اعتماد السلطنة أيضا متن الكتاب فى الجزء الثانى مــن "مرآة البلدان".

عاد رضا قلى خان فى الثامن عشر من محرم عام ١٢٦٨ هـ.ق إلى طهران من رحلته إلى خوارزم قبيل حلول الغضب على أمير كبير وعزله بيــوم واحــد، وعينه ناصر الدين شاه نائبا لوزير العلوم والمعارف ورئيسا لدار الفنون، وظل فى هذين المنصبين لمدة خمسة عشر عاما، وفضلا عن انــشغاله بــإدارة شــئون دار الفنون قام بإعداد تذكرته الشهيرة عن الشعراء المعروفة بــ "مجمع الفصحاء"، كما كُلف من قبل الشاه بإكمال كتاب محمد بن خاوند شاه البلخى الشهير بميرخواند فى التاريخ العام والمسمى "روضة الصفا فى سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء" وأنجــز رضا قلى خان هذا العمل المهم وأضاف للكتاب ثلاثة أجزاء، وفــى ربيــع الأول ١٢٧٤ أتم هذا الكتاب تحت عنوان "روضة الصفاى ناصرى" فى عشرة مجلــدات، ثم أخذ فى إتمام مجمع الفصحاء الذى يعد آخر أعماله، وانتهى منــه عــام ١٢٨٨ هـ.ق.[٤]

---

(١) يحمل قرار ميرزا تقى خان أمير كبير بهذا الخصوص والمتعلق بهدايت تاريخ جمادى الأول عام ١٢٦٧ هـ.ق.

(٢) Leroux

(٣) Charles Schefer

(٤) الجزء الثامن عن الصفوية والأفغان والأفشاريين، الجزء التاسع عن سقوط الأفشاريين وتاريخ الأسرتين الزندية والقاجارية حتى عهد محمد شاه قاجار، الجزء العاشر عن عهد محمد شاه إلى نهاية السنة العاشرة من عهد ناصر الدين شاه.

تقاعد رضا قلى خان عام ١٢٧٨ هـ.ق عن الخدمة فى الحكومة، وذهب إلى آذربيجان للقيام على تربية ولى العهد مظفر الدين ميرزا الذى كان يبلغ آنذاك إحدى عشرة سنة، وفى تبريز أتم منتخب ديوان شمس المسمى بـ "شمس الحقائق" عام ١٢٨٠ هـ.ق، و"أجمل التواريخ" عام ١٢٨٣ هـ.ق وقام بنشرهما.

أمضى رضا قلى آخر أيامه فى تبريز، وبعد عودته إلى طهران آثر العزلة إلى أن توفى بعد مرض عضال فى يوم الجمعة العاشر من ربيع الآخر عام ١٢٨٨ هـ.ق.

كان رضا قلى خان رجلا طيب السمعة عطوفا حسن الخلق مطلعا على العلوم المتداولة وأمضى عمره فى المطالعة والبحث والتأليف.

ومؤلفاته الأدبية كالتالى:-

ديوان قصائد وغزليات وغير ذلك يضم حوالى ثلاثين ألف بيت ولم يطبع بعد، عدة منظومات قصيرة وقصة رومانسية تسمى "گلستان ارم" أو "بكتاش نامه" التى طبعت طبعة حجر فى طهران عام ١٢٧٠ هـ.ق.

وتعبر جميع هذه الأعمال عن موهبته الشعرية وذوقه الأدبى وخاصة تبحره فى فنون الشعر الكلاسيكى، ومع هذا لا يمكن اعتباره شاعرا بمعنى الكلمة، فأشعاره جميعها محاكاة لمضامين أشعار الشعراء القدامى، ولا يمكن أن نجد بها شيئا من الخصوصية والأصالة، وبشكل إجمالى لم يحتل مكانة مميزة ملفتة للنظر بين شعراء البلاط القاجارى.

أما أعمال رضا قلى خان العلمية فتتميز بأهمية خاصة من الناحيتين التاريخية والأدبية. فمن مؤلفاته "أجمل التواريخ" و"تاريخ مختصر إيران" اللذان ألفهما لمظفر الدين شاه. ومن مؤلفاته "روضة الصفاى ناصرى"، وهو كما ذكرنا تتمة تاريخ ميرخواند، وألفه اعتمادا على مصادر عصر نادر شاه التى كان أغلبها مجهولا فى أوروبا، وكان ينقل أحيانا النص الكامل للوثائق والمصادر فى كتابه.

ومجمع الفصحاء عبارة عن تراجم مفصلة عن أحوال الشعراء القدامى والمحدثين وأعمالهم حيث ينقل المؤلف بعد شرح سيرة كل شاعر منهم نماذج من أشعارهم على نهج كتاب التذاكر. وقد أتم المؤلف هذا الكتاب فى أخريات حياته وطبع عام ١٢٩٥ هـ.ق فى طهران.

وطبع كتاب "رياض العارفين" فى طهران عام ١٣٠٥ هـ.ق، وهو تذكرة لشعراء الصوفية ومتمم لمجمع الفصحاء، ونشر له أيضا عام ١٢٩٥ هـ.ق كتاب آخر اسمه "رياض المحبين".

أمضى رضا قلى خان وقتا طويلا فى دراسة تاريخ الشعر الفارسى، وفضلا عن مؤلفاته السابقة أعد ديوان الشاعر الدامغانى منوچهرى للطباعة. وكان مضطرا للاستعانة بالمعاجم أثناء مطالعة أشعار الشعراء القدامى، فتتبع معانى المفردات القديمة المهجورة أو نادرة الاستخدام وأدرك جيدا أن المعاجم المتاحة مليئة بالأخطاء، لذا قرر إعداد معجم تحليلى شامل ومفصل باسم "أنجمن آراى ناصرى". وطبع هذا المعجم بعد موته عام ١٢٨٨ هـ.ق، وتولى طباعته ابنه عليقى خان مخبر الدولة الذى عين فى منصب والده بدار الفنون. ولا يخفى أن هذا المعجم لا يرقى إلى مستوى معجم برهان قاطع لمحمد حسين التبريزى من حيث الدقة والأهمية على الرغم مما بذله المؤلف من جهد لإعداده.

وسنختتم الحديث عن سيرته بما كتبه أحد مشاهير علم الإيرانيات من الروس: إن رضا قلى خان واحد من الأدباء وعلماء اللغة الإيرانيين، وكان لدار الفنون بل أية مؤسسة تعليمية أوروبية أنه تفخر بإدارته ورئاسته لها. (١)

٤- اعتماد السلطنة:

لا نجد بين معلمى دار الفنون الآخرين أحدًا يفوق مديرها العالم رضا قلى خان فضلا، ولكن خلال بحثنا عن دار الفنون لا يمكننا صرف النظر عن ذكر

---

(١) ى. أ. برتلس. تاريخ مختصر أدبيات إيران، لننجراد، ١٩٢٨ م.

شخصية ممن تعلموا في هذه المؤسسة العلمية لما خلفته من مؤلفات مهمة.

والمقصود محمد حسن خان صنيع الدولة الذي لقب فيما بعد باعتماد السلطنة. والده الحاج على خان مقدم المراغي الملقب بضياء الملك ثم اعتماد السلطنة، وكان من مشاهير آذربيجان ورئيسا للطهاة وحاجبا للدولة في بلاط محمد شاه وناصر الدين شاه، كما عمل لفترة واليا على خوزستان ولرستان وتولى لفترة أخرى إما وزارة العدل أو وزارة العمل والأوقاف الإيرانية، وكانت تربطه صلة القرابة بالأسرة القاجارية عن طريق والدته، وهو نفس الشخص الذي كُلِّف بقتل ميرزا تقي خان أمير كبير، ويقال إنه حمل من طهران إلى تبريز الحكم الصادر بقتل الباب.

ولد محمد حسن خان في ليلة ٢١ شعبان ١٢٥٩ هـ.ق في طهران. وعمل في بداية عهد ناصر الدين شاه رئيسا للخدم لدى ولي العهد سلطان محمود. (١)

وعندما أسست دار الفنون عام ١٢٦٨ هـ.ق انضم للدارسين في تلك المدرسة، ودرس بها لمدة اثنتي عشرة سنة اللغة الفرنسية وتدريبات المشاة. وأنهى فترة الدراسة بدار الفنون بحصوله على الميدالية الذهبية، ولازم بلاط ولي العهد محمد قاسم ميرزا بحصوله على درجة ياور، وبعد وفاة الأخير لازم ميرزا محمد

(١) كان أول ولي لعهد ناصر الدين شاه سلطان محمود ميرزا من السيدة شمس الدولة ابنة أحمد على ميزا بن فتحعلي شاه. عين وعمره أربعة شهور وليا للعهد بموجب الفرمان الصادر يوم الجمعة ١٧ ذي القعدة ١٢٦٥هـ.ق، وتوفي في الخامس والعشرين من جمادى الآخر عام ١٢٦٦ هـ.ق. وثاني ولي لعهد ناصر الدين شاه هو معين الدين ميرزا من السيدة تاج الدولة ولكنه لم يعش أكثر من ست سنوات فمات في اليوم الثاني من ربيع الأول عام ١٢٧٣ هـ.ق في نفس الوقت الذي أتى فيه خبر فتح هراة. وظلت إيران لمدة عام دون ولي للعهد إلى أن رزق الشاه بمحمد قاسم ميرزا أمير الجيش من السيدة جيران فروغ السلطنة ابنة محمد على خان التجريشي، فعين وليا للعهد بموجب الفرمان الصادر في ليلة الاثنين ١٤ ربيع الأول ١٢٧٤ هـ.ق، إلا أنه مات هو الآخر في الثامن عشر من ذي القعدة من نفس العام. وبعد ذلك لم يعين ناصر الدين شاه وليا للعهد حتى أواخر ذي الحجة عام ١٢٧٨ حيث أصدر قرارا بولاية العهد لمظفر الدين ميرزا.

خان سـبـهسالار. وفى عام ١٢٧٥ هـ.ق حصل على ترقية، وصار قائدا لفرقـة من المشاة وعين قائدا لجيش خوزستان ولرستان ونائبا للحكومة بهما. وفـى عـام ١٢٧٨ هـ.ق رقى إلى درجة كبير الياوران لدى الشاه، وصـار ملحقـا عـسكريا لسفارة إيران فى باريس عام ١٢٨٠ هـ.ق فى الوقت الذى كان يعمل فيه حـسنعلى خان أمير نظام گروسى وزيرا مفوضا فى فرنسا. وأمضى بباريس ثلاث سـنوات ونصف، وعمل على رفع كفاءته العلمية بالتزامن مع تأدية وظيفته، وعـاد عـام ١٢٨٤ هـ.ق إلى إيران، وعين فى مناصب مهمة بالبلاط.

وفى عام ١٢٧٨ هـ.ق تولى إدارة الصحف ثم رأس فى العام التالى المطبعة الحكومية ولجنة الترجمة الملكية ومنح لقب صنيع الدولة. وجعل صحيفة "إيـران" تحل محل صحف" "روزنامـهٔ دولتى وملتى وعلمى"، وأصـدر عـام ١٢٩١ هـ.ق "سالنامه" أى التقويم الذى يضم التواريخ والأحداث وفى عـام ١٢٩٣ هـ.ق أسـس "روزنامـهٔ علمى" وفى سنة ١٢٩٥هـ.ق صحيفة "اطلاع " شبه الرسمية، وتـولى رئاسة هذه الصحف. وكلف عام ١٢٩٨ هـ.ق بتأليف "نامـهٔ دانشوران". وعين عام ١٢٩٩ هـ.ق عضوا بمجلـس الـشورى الحكـومى وعـام ١٣٠٠ هـ.ق وزيـرا للمطبوعات وظل بتلك الوزارة حتى وفاته. وفى عـام ١٣٠٠ هـ.ق كانـت تطبـع وتنشر تحت رعايته وبخـط ميـرزا رضـا كلهـر صـحيفة "اردوى همـايون" و"مجموعـهٔ "سياحتنامـهٔ مصور"، المخصصتان لرحلة ناصر الـدين شـاه إلـى خراسان، وفى عامى ١٣٠٣ و ١٣٠٦ هـ.ق انتخب عضوا للجمعية الآسيوية بلندن وباريس، وحصل عام ١٣٠٤ هـ.ق على لقب اعتماد السلطنة.

عاش محمد حسن خان ما يزيد على خمسين عاما، وفضلا عن المناصـب المهمة التى تولاها ظل لمدة خمسة وعشرين عاما يطالع الصحف الأوروبية ويقدم التقارير للشاه عن الأخبار الخارجية إلى أن توفى بالسكتة ليلة الخميس الثامن عشر من شوال ١٣١٣ هـ.ق قبيل حادثة اغتيال ناصر الدين شاه بحوالى شهر، وأُشيع أن ميرزا على أصغر خان أمير السلطان دس له السم.

ويقال إن محمد حسن خان على الرغم من أدبه المفرط وحيائه كان صريحا للغاية ووقحا في التعبير عن رأيه ونقد الآخرين والأوضاع السائدة. لدرجة أن شخصا مثل مخبر السلطنة هدايت وصفه في كتاب (خاطرات وخطرات) بأنه رجل بذيء اللسان ضيق الأفق، لا ينطق لسانه بالخير.

ووفقا لقوله في كتاب "خوابنامه": "كان يتصف بنفس الصفات التي قالها معاوية لابنه سيء الجبلة يزيد الخبيث في وصف عبد الله بن الزبير، فهو يفر كالثعلب ويهاجم كالأسد".

مؤلفات اعتماد السلطنة: يبدو أن اعتماد السلطنة قام بتأليف كتبه في الفترة الأخيرة من حياته. ويعتقد البعض أنه لم يؤلف هذه الكتب بنفسه بل ألفها آخرون ونشرت باسمه لكونه رئيس دار الطباعة ويقول إدوارد براون في كتابه "مطبوعات وأشعار إيران نو": "لم يكن مطلعا اطلاعا دقيقا على الموضوعات العلمية وفقا لتصريح بعض الشخصيات الموثوق بها، ولكن نظرا لمكانته ومنصبه الرفيع كان يجمع العلماء من كل أرجاء الدولة ويحثهم على التأليف ويشرف على إعداد مؤلفاتهم ثم ينشرها باسمه.

ويعتبره محمد محيط طباطبائي "أعظم مستثمر للعلماء والفضلاء في عصره"،[١] ويقول الأستاذ محمد القزويني عن الكتب المنسوبة إليه: "جميعها في الواقع من تأليف آخرين (باستثناء عمل أو عملين من بينها كتابه "خلسه")، وهذا أمر قائم في عصرنا بل هو أمر شائع".[٢]

وهذه الآراء صائبة إلى حد ما، لأنه من المستبعد أن تكون الكتب والرسائل الكثيرة المنسوبة إليه ثمرة مجهود شخص واحد، وهناك فرض يكاد يكون يقينا وهو أن جماعة من العلماء قد شاركت في تأليف هذه الكتب سواء بشكل فردي أو

---

(١) مجلة يغما: العام السابع عشر، العدد الثامن، ص١.
(٢) مجلة يادگار: العام الثالث، العدد الثالث.

بشكل جماعي. ويصرح اعتماد السلطنة نفسه فى نهاية الجزء الثالث من "درر التيجان" "جمعت حولى العلماء الأفاضل المتخصصين من كل أمة، وقمت بكفالتهم قدر استطاعتى ولازلت أفعل. وعلى الرغم من أن ما أقدمه لهم من خبز الشعير وملابس صوفية لا تليق بمعاشهم، فإنهم قانعون بى وبهذا الزاد اليسير لأنهم قد فطروا على أن (السمك فى الماء)، ولا يطمعون فى شئ آخر". ومع ذلك كان بلا شك متقنا للغة الفرنسية وباحثا مطلعا يقضى على الدوام أوقاته فى مكتبته حتى منتصف الليل والتى ضمت أربعة آلاف كتاب من الكتب النادرة،[1] كما بذل جهدا كبيرا فى سبيل العلم والمعرفة، فكان ركيزة لكل تلك الأعمال، ولولا جهده وسعيه الدءوب لما أنجزت أغلب هذه المؤلفات. على كل حال أهم مؤلفات اعتماد السطنة أو التى نسبت إليه على النحو التالى:

مرآة البلدان ناصرى (١٢٩٤- ١٢٩٧ هـ.ق):- فى جغرافية إيران وتاريخ مدنها وأقاليمها ويقع فى أربعة مجلدات، وقد رتبت موضوعاته ترتيبا أبجديا.

وفى المجلد الثانى عندما وصل المؤلف إلى كلمة طهران أفرد الحديث عن تاريخ إيران خلال القرن الأخير، وهذا الجزء التاريخى مفصل إلى حد ما حيث يحتل أيضا الجزء الأكبر من المجلد الثالث. والمجلد الرابع من الكتاب يضم قائمة مرتبة ترتيبا أبجديا للأسماء والأعلام.

تاريخ منتظم ناصرى (١٢٩٨- ١٣٠٠ هـ.ق):- وهو كتاب ضخم فى التاريخ العام يقع فى ثلاثة مجلدات، يتناول الأحداث وفقا للترتيب الزمنى، ويتناول الأحداث منذ بداية الهجرة حتى عام ١٣٠٠ هـ.ق.

مطلع الشمس (١٣٠٠- ١٣٠٢ هـ.ق):- فى ذكر محافظة خراسان ويقع فى

---

(١) لقد اشتريت أكثر من أربعة آلاف كتاب بكل اللغات من أوروبا ومصر والقسطنطينية والهند (درر التيجان، خاتمة المجلد ٣).

ثلاثة مجلدات. ويتناول بالتفصيل تاريخ مدنية مشهد وأهم مناطقها الأهلة بالسكان وتراجم المشاهير الذين خرجوا منها وكذلك أشعار شعراء خراسان، وقد استفاد المؤلف من مصادر متعددة أثناء تأليفه لهذا الكتاب.

خيرات حسان (١٣٠٤- ١٣٠٧ هـ.ق) فى تراجم نساء الإسلام الشهيرات، ويحتوى على نماذج من أشعار الشاعرات منهن، ويقع فى ثلاثة مجلدات. وترجم المؤلف هذا الكتاب عن "مشاهير النساء" لمحمد الذهبى الأديب العثمانى الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى، وأضاف إليه تراجم العديد من النساء الفضليات العالمات.

المآثر والآثار:- فى شرح وقائع عهد ناصر الدين شاه وتراجم رجالات عصره وعلمائه، وطبع فى طهران عام ١٣٠٦- ١٣٠٧ هـ.ق.

درر التيجان فى أحوال بنى أشكان (١٣٠٨- ١٣١١ هـ.ق):- فى تاريخ الأسرة الأشكانية ومأخوذ عن أقوال المؤرخين فى الشرق والغرب ويقع فى ثلاثة مجلدات.

التدوين فى أحوال جبال الشروين:- عن تاريخ منطقة سواد كوه، وطبع فى طهران عام ١٣١١ هـ.ق[1].

حجة السعادة فى حجة الشهادة:- عن الأحداث المهمة التى وقعت عام ٦١ هـ.ق، وفى شرح استشهاد حضرة الحسين وأصحابه، وطبع عام ١٣١٠ هـ.ق فى تبريز بخط الخطاط ميرزا باقر.

ولاعتماد السلطنة ترجمات تدور حول التراجم والقصص والروايات فضلا

---

(١) يعتبر ميرزا محمد خان القزوينى أن الجزء الأكبر بل كل هذا الكتاب كتبه ميرزا محمد حسين فروغى وآخرون وأن اعتماد السلطنة نسبه إلى نفسه افتراءً (مجلة يادگار: العام الخامس، العدد الثالث، ص ٥٧).

عن المؤلفات سالفة الذكر ومن بينها: شرح خاطرات مادموازل دومونت پانسيه،[١] شرح أحوال كريستف كلمب، سياحتنامــة داســتان روبنــسون سويــسى، منطــق الوحش پل دوقوق[٢] ومسرحية طبيب إجبارى لموليير وغير ذلك.

كما دون مذكراته اليومية خلال الخمس عشرة سنة الأخيــرة مــن حياتــه، وانتقد أوضاع بلاط ناصر الدين شاه منذ عــام ١٢٩٢ حتــى ١٣١٣ هـ.ق، ويقــع مجموعها فى سبع مخطوطات توجد بمكتبة الروضة الرضوية المقدسة، وقد طبــع جزء منها مؤخرا يتناول ثلاث سنوات، وتكمن أهميته فى أنــه يفــسر الأحــداث التاريخية بشكل كبير. [٣]

وهناك جزء آخر من المؤلفات المنسوبة إليه بخط المؤلــف نفــسه ومنهــا المعاجم؛ وهى من الفارسية للفارسية ومن العربيــة للفارســية، ومــن الفرنــسية للفارسية، ومنها أيضا الكلمات المتشابهة بــين الفرنــسية والفارســية، ومحادثــة بالفرنسية والفارسية، والجغرافيا حول العالم.

---

(١) كانت المؤلفة ابنة عم لويس التاسع عشر ومن أميرات البلاط، وتتحدث فــى الكتــاب عــن الوقاحة والعبث والفساد فى بلاط ملوك فرنسا. طبعت الترجمة الفرنسية عام ١٣١٢هـ.ق.

(٢) يدور موضوع الكتاب حول حمار يمنع صاحبه عنه التبن والشعير، ولا يرعاه، ولم يعد لــه طاولة ولا سرجا وبرغم معاناة الحمار من جراح ظهره والجوع والبرد والحر، يقوم صاحبه المجحف يوميا بوضع الأحمال على ظهره إلى أن تخور قواه، فيرفس الحمار فجــأة ويلقــى بالأحمال، ويكسر ضلع صاحبه بركلة منه، ويتحرر بذلك من الألم وسوء الطالع... ويقال إن أعداء اعتماد السلطنة أخبروا الشاه أنه أراد بذلك أن يصف حال الإيرانيين ويحرضهم علــى الثورة ضده، مما أزعج اعتماد السلطنة، فكتب خطابا إلى الشاه وعرض عليه أملاكه ووضع هذا الخطاب فى مظروف وأعطاه لزوجته لتوصله للشاه. فحملت الرسالة بعد وفاتــه إلــى الشاه، واستولى الشاه على أملاكه. وجاء فى فهرس الكتب المطبوعة الذى ألفــه خانبابــا أن مترجم "كتاب منطق الوحش يا الحمار يحمل أسفارا"- الذى طبع مرتين فى طهران عــامى ١٣٠٦ و ١٣٢٢ هـ.ق- هو عبد الحسين ميرزا بن مؤيد الدولة طهماسب ميرزا، ولا أعرف إن كانت هذه الترجمة هى نفسها المنسوبة إلى اعتماد السلطنة أم أن اعتماد السلطنة وعبــد الحسين ميرزا قاما بترجمة الكتاب.

(٣) نشر هذا الكتاب تحت عنوان "روزنامــة خاطرات اعتماد السلطنة" فى طهران عــام ١٣٤٥ هـ.ق وقدم له ايرج افشار وأعد فهارسه.

ولكن لا يوجد عمل نظما أو نثرا يتميز بطابع أدبى محض بين مؤلفات اعتماد السلطنة سوى مسرحية "بقال بازى در حضور: "عرض البقال فى البلاط"التى من المحتمل أن تكون من أعماله. وسوف نتحدث عنها على حدة-، ورسالة "خوابنامه: رسالة الحلم" التى طبعت بعد موته. (١) إلا أن أبحاثه العلمية أو التى تنسب إليه ذات قيمة كبيرة كما ذكرنا برغم من أن اعتماد السلطنة لم يتمتع بقدر ما تمتع به رضا قلى خان من اطلاع واسع. ولكن نتيجة لجهوده التى استمرت أكثر من ربع قرن تقدمت الصحافة والمعارف الإيرانية تقدما كبيرا وأضيف إلى التراث الثقافي والرصيد العلمى فى إيران أعمال قيمة للغاية.

خوابنامه (رسالة الحُلم):- ألفت رسالة "خوابنامه يا خواب خلسه: رسالة الحلم أو حلم الغفوة" لاعتماد السلطنة في أواخر عمره بعد عام ١٣١٠ هـ.ق بالتأكيد كما يتضح من الرسالة نفسها. ولكنه ظل يحتفظ بها فى الخفاء خشية ميرزا على أصغر خان أمين السلطان، إلى أن أهدت زوجته السيدة أشرف خان نسخة منها بعد موته إلى مكتبة الروضة الرضوية المقدسة فضلا عن مؤلفاته الأخرى، ثم طبعت الرسالة فى مشهد.

ويحاكم المؤلف فى هذا الكتاب كافة صدور العصر القاجارى بداية من ميرزا إبراهيم خان كلانتر إلى ميرزا على أصغر خان أمين السلطان، ويرى أن سبب الخراب والانحطاط الذى أصاب إيران فى هذا العهد يرجع إلى أعمالهم وأفعالهم. ومن الواضح أن المؤلف كان مستاءً من عدد من الوزراء ولم يستطع أن يحكم عليهم حكما عادلا.

ومع كل هذا فقد ورد فى هذه الرسالة النقدية مجموعة من الحقائق التاريخية المهمة من وجهة نظر شخص مطلع كان جزءا من الجهاز الحكومي وشاهدا عن قرب وأحيانا مؤثرا فى الأحداث، وتعد هذه الحقائق سندا قيما بالنسبة لأولئك الذين يريدون دراسة تفاصيل الأحداث فى العصر القاجارى وتتبعها.

---

(١) يك برده از أسرار انحطاط إيران ياخوابنامه مرحوم اعتماد السلطنة": مقدمة محمد شهيد نورانى، وهى عن أحوال المؤلف وتضم قائمة بمؤلفاته، مشهد ١٣٢٤ هـ.ق.

وخلاصة القصة كالتالى:- فى بداية عام ١٣١٠ هـ.ق يسافر ناصر الدين شاه إلى العراق، ويذهب المؤلف فى ركاب الشاه، وعند العودة إلى طهران يحتمى المؤلف من شدة حرارة الطقس بمسجد مهدم، وهو من الأبنية التى شيدها الشاه عباس الصفوى فى مدينة ساوه. ويضع تحت رأسه عددا من الحجارة الموجودة بصحن المسجد، ويسحب العباءة على رأسه ويغمض عينيه، ويرى ويسمع فى نومه أو غفوته أشياءً تشكل موضوع القصة. ووفقا للقصة تتفسخ قبة المقصورة،وينزل من خلالها الملائكة وتنظف صحن المسجد، ويجلس على مقاعد من الذهب ثمانية من كبار الحكام وملوك العجم والترك وهم (كيخسرو الكيانى، دارا الأول، آرشاك مؤسس سلطنة الأشكانيين، أردشير بابكان، خسرو الثانى أنوشيروان، الشاه إسماعيل بهادر، نادر الأدوار والعصور نادر شاه الأفشارى، وآقا محمد خان مؤسس السلطنة القاجارية الخالدة) ووفقا لطلب آقا محمد خان يتم استجواب أحد عشر وزيرا من وزراء العصر القاجارى "ليتضح فى عهد مَنْ مِنْ السلاطين والوزراء الخائنين حل الخراب على إيران".

ولا تبدو نتيجة الاستجواب سيئة حتى عام ١٣٠٥ هـ.ق (تاريخ تولى أمين السلطان)، ويستعرض عشرة من وزراء العصر القاجارى أنسابهم وأعمالهم دون زيادة أو نقصان بداية من الحاج ميرزا إبراهيم خان الشيرازى إلى ميرزا يوسف آشتيانى (مستوفى الممالك)، ويُبَرأ الجميع عدا ميرزا حسين خان سپهسالار القزوينى، "الذى لم تصب السلطة القاجارية بالضعف قدر ما أصيبت به فى أيام صدارته" ويُرفعون إلى أعلى عليين وعلى رءووسهم تيجان الفخار.. عندئذ يواصل مؤسس الأسرة القاجارية صاحب الدعوى دعواه ويسأل المحكمة: إذن من المتسبب فى هذا الخراب؟ ومن فعل هذه الأفعال القبيحة؟ قولوا لى من وضيع النسب ذلك الذى حول روضتنا إلى وحل وألقى بأخلاقنا فى هذا اليوم، مَنْ أفسد الأمور، مَنْ جعل النهار معتما، وحول السطوة إلى نكبة والثروة إلى عسرة، وما لقب ذلك الذى بدل السمعة الطيبة بالسمعة السيئة، وما هو اسمه؟

وتستمر المحاكمة. ويسأل كبير الأسرة القاجارية في استياء وغضب الأتابك ميرزا على أصغر خان "ذلك الشخص الذى جلس على المقعد الحادى عشر وأوصد باب السعادة أمام إيران، والسبب فى هذا البلاء ومصدر سوء الطالع" قائلاً: "يا ضعيف العقل واهى الرأس، يا حاد الطبع عديم الهمة، يا مصدر الندم ومبعث الأسف، أى بلاء أنت أصاب دولتى ومملكتى وأخلافى، وزلزل كيان سلالتى ومكانتها".

ويقر المتهم بذنوبه واحدا بعد الآخر بلسان مخمور وصوت مرتعد ويقدم معلومات مفصلة تحتل تقريبا نصف الكتاب، ويزيح الستار عن مجموعة من الحقائق التاريخية مثل تنافس روسيا وبريطانيا الشديد وتدخلهما فى الشئون الإيرانية وتجديد ادعاء البارون دى رويتر ومنح امتياز البنك الشاهنشاهى لابنه، ومنح امتياز الطريق المُعبد انزلى – طهران وامتياز الملاحة فى ممرات بحر قزوين المائية للروس، وامتياز اللوتارى لملكم خان الأرمنى وقصة امتياز التبغ والفتنة التى نشبت نتيجة لذلك الامتياز وما شابه ذلك، كما يبين أسباب سوء خلق الشاه وصفات بعض المشاهير وأعمالهم مثل ميرزا ملكم خان والسيد جمال الدين الأفغانى وغيرهم.

كُتبت "خوابنامه: رسالة الحلم" بنثر بسيط وتتضمن بعض النماذج الشعرية البديعية البليغة، ولكنها لا تتميز كثيرا من الناحية الأدبية بشكل عام، وتكمن أهميتها فى أنها كُتبت على شكل قصصى على خلاف سائر مؤلفات اعتماد السلطنة التى تميزت بطابعها التاريخى البحت. وأتاح هذا للمؤلف الحرية فى أن يطرح الموضوعات بأسلوب أكثر تفصيلا وشمولا، وأن يعبر عن رأيه فيها بحيث إن المؤلف يعرض للقارئ الأحداث السياسية للقرن الأخير من خلال مطالعته القصة ويوضح الجوانب الخفية من تلك الأحداث.

وللأسف وافت المؤلف المنية ولم تكتمل موضوعات الكتاب.

والآن نستشهد بنموذج من الكتاب لتوضيح أسلوب تحريره وكذلك خصائص

أسلوب اعتماد السلطنة النثرى بشكل عام:-

"..... كانت الحكومة الإيرانية إلى عهد صدارتى[1] كعذراء لم تلمس يـد غريب رداء عصمتها. فأردت أن أتخذ خطوات جديدة وأكسى الأمور ثوبا جديـدا وفقا للنظم الحديثة. وكان الخطأ الرئيسى يكمن فى قلة درايتى ومعرفتى. كنت قـد سمعت عن بعض الأشياء، ولكننى لم أدرك الأمور على نحـو صـحيح. فـالعلم المنقوص والاطلاع غير الكامل يكون دائما كالبناء الواهى سببا للخـراب. ولهـذا فكل ما فعلته أثناء صدارتى وما فعلته بعدها صار كله سببا للخسارة والأضـرار، وأثمرت جميع المقدمات نتائج عكسية. حملت بلطة وبترت جذور الحكومة والأمـة الإيرانية. لعنة الله علىَّ لأننى خنت وطنى. أول عمل أو عمـل قبـيح ارتكبتـه، إحضار إيلخان فاسد عربيد فاشل ومطرود.

استدعيته من إسطنبول وقدمت له راتبا ضخما من الحكومة، ومنحته حكومة قزوين. ثم استدعيت إلى إيران ملكم المحتال الجاهل الذى لا يملك شيئا سوى الغش والادعاء بعد أن كانت الحكومة والأمة الإيرانية قد استراحتا من شره، فجعلته لفترة مستشارا خاصا لى، ثم أرسلته وزيرا مفوضا إلى لندن، واختلفت لسبب شخـصى مع معير الممالك وعملت على تخريب إدارته أى خزانة الدولة وتشييد مصرف فى إيران ومد خط للسكة الحديد.

ولما كان ملكم المحتال الطماع مدركا لأهدافى؛ فقد ساندنى فى مقاصدى بل مفاسدى، فقام رجل يسمى رويتر من أثرياء المصرفيين بإغواء بريطانيـا طمعـا، وقدم هذا الطماع مبالغ طائلة من المال لى ولملكم ولجميع رجال الحكومة الإيرانية الآخرين فى طهران رشوةً وحصل على امتياز السكة الحديدية. وكانت وثيقة هـذا الامتياز تتضمن أيضا إدارة المصرف، وكذلك استخراج المعادن وكل شىء أيضا. و لم يكونوا قد شرعوا فى هذا الأمر بعد، وإذا بى ألمح رغبة الـشاه فـى زيـارة

---

(١) المراد ميرزا حسين خان سـپهسالار.

الدول الأوروبية. فهيأت له على وجه السرعة متطلبات هذا الأمر، وكان هدفي من رحلة الشاه شيئين.

أولا أن أصبح معروفا في الدول الأوروبية وأحصل على اعتماد حقيقي. والآخر أن أُطلع الشاه على مدى ضعف وتخلف دولة إيران مقارنة بالدول الأوروبية وأن يشاهد بعينه هذا الاختلاف.

وعندما تهيأت الأسباب لتلك الرحلة؛ ازدادت سلطتي وعظمتي. ولما كنت رجلا سيئ الطبع وضيع الأصل خسيسا فقد أصابتني العظمة والسلطة بمنتهى الغرور. وأسأت معاملة الجميع، ومزقت قلوب الناس بتطاول لساني ونثرت عليها الملح. فما إن وصلت إلى الأراضي الأوروبية أي ميناء حاجي ترخان آذيت خاطر الشاه بسبب موضوع تافه، إلا أن صاحب الجلالة لم يبد شيئا أمامي لقدرته الشديدة على ضبط النفس وشعر الجميع في أوروبا باستياء شديد.

٥- محمد طاهر ميرزا:-

يعد الأمير محمد طاهر ميرزا[١] بن إسكندر ميرزا سادس أبناء ولي العهد عباس ميرزا من أفضل المترجمين في هذا العصر. ولد يوم الجمعة ١١ شوال ١٢٥٠ في تبريز[٢] وكان أميرا فاضلا وأديبا. حثه والده على تحصيل العلوم فتفوق في علوم الأدب وكلام العرب. ثم درس اللغة الفرنسية فأجادها[٣]

---

(١) والد كفيل الدولة وجد سليمان ميرزا إسكندري.

(٢) نادر ميرزا: تاريخ تبريز. ولكن أبا القاسم جنتي عطائي ذكر تاريخ ولادته عام ١٢٤١ هـ.ق في "بنياد نمايش در إيران".

(٣) يقال إنه ذات يوم عندما كان اعتماد السلطنة وزيرا للمطبوعات، طلب ناصر الدين شاه في مجلسه أن يترجم له خلاصة موضوعات الصحف: ومن باب الاحترام طلب من الشاه أن يعفيه نظرا لوجود (محمد طاهر ميرزا) في المجلس. فأمسك محمد طاهر ميرزا الصحف متعللا بأنه ليس مترجما، وقرأ على الشاه خلاصة الصحف بعبارات سلسلة لدرجة أن الشاه اعتقد أنه يقرأ الموضوعات من صحيفة فارسية. (كتاب نفت وبحرين يا عباس إسكندري در خدمت مجلس پانزدهم، تهران، ١٣٣١ ش.).

كما درس أيضا قدرا كافيا من العلوم الرياضية. وبعد انتهائه من الدراسة ذهب إلى مصر، ودرس العلوم الدينية لخمس سنوات فى الجامع الأزهر.

وكان محمد طاهر ميرزا يجالس ميرزا أبى الحسن جلوه وهو من العلماء والصوفية المحبين لإيران، وحظى بتقدير الشاه ووافر احترامه فكان يخاطبه بـ "الحاج ابن العم"، كما كان كبار رجال البلاط يقبلون على محادثته ومجالسته. ولكنه كان كوالده يميل أكثر إلى الهدوء والابتعاد عن الأعمال الحكومية، وأمضى عمره ما بين القراءة والكتابة والترجمة. وأخيرا مات عام ١٣١٦ هـ.ق بالسكتة ودفن فى ابن بابويه.

وقد نقل محمد طاهر ميرزا إلى الفارسية عن الفرنسية أغلب روايات ألكساندر دوما الأب مثل سه تفنگدار،[١] كنت دو مونت كريستو،[٢] ولارن ماركو،[٣] ولوئ چهاردهم وعصرش،[٤] ولورد هوپ،[٥] وأيضا ژيلبلاس لمؤلفها لاساج[٦] والعديد من الكتب الفرنسية الأخرى، كما ألف عدة كتب ومسرحية أو اثنتين.

٦- أمين الدولة:-

هو ميرزا على خان أمين الدولة بن محمد خان مجد الملك سينكى سالف الذكر. ولد فى الثامن عشر من ذى القعدة عام ١٢٥٩ هـ.ق فى طهران. وبعد تلقيه القدر المعتاد من الدراسة فى أحضان والده العالم والمصلح قام بدراسة اللغة

---

(١) يقع فى ثلاثة أجزاء، طهران ١٣١٦ هـ.ق.
(٢) طهران ١٣١٢ هـ.ق.
(٣) طهران ١٣٢٣ هـ.ق.
(٤) تبريز ١٣٢٢ هـ.ق.
(٥) بالإضافة إلى الجزء الثالث من الكونت دى مونت كريستو، طهران ١٣٢٨ هـ.ق.
(٦) ترجم هذا الكتاب أيضا ميرزا حبيب الأصفهانى وحاجى محسن خان مشير الدولة وآخرون، أما ترجمة ميرزا حبيب فهى نفسها التى طبعها باسمه الدكتور محمد خان الكرمانشاهى الشهير بكفرى عام ١٣٢٣ هـ.ق وذلك وفقا لما توصل إليه مجتبى مينوى فى أبحاثه.

الفرنسية والعلوم الحديثة وقرأ مؤلفات الكتاب والعلماء الغربيين.

وعمل كاتبا للديوان في بداية عهد ناصر الدين شاه وكانت أغلب رسائل الشاه تكتب بقلمه وأسلوبه. وفي عام ١٢٩٠ هـ.ق لقب بأمين الملك وعين وزيرا للرسائل. وفي نفس الوقت تولى إدارة البريد التي لم تنتظم شئونها منذ تأسيسها سوى في عهد أمير نظام. وبعد عام عين أيضا على دار سك العملة الحكومية وإدارة الدمغة واستفاد ميرزا على خان كثيرا من هذين العملين وعاش حياته مرفها.

وفي عام ١٢٩٥ هـ.ق (١٨٧٨م) توفي ملك إيطاليا فيكتور إيمانويل[١] وخلفه ابنه هومبرت،[٢] فأوفد ميرزا على خان إلى بلاط إيطاليا من قبل بلاط إيران لتقديم التعازي لوفاة الملك والتهنئة لجلوس الملك الجديد، وأنجز هذه المهمة كما يجب، وبعد عودته من أوروبا كُلف برئاسة مجلس الشورى والقيام بدور الوسيط لتبليغ الأوامر الملكية للمجلس. وفي عام ١٢٩٧ هـ.ق صارت من مهامه أيضا وزارتا الموظفين والأوقاف وكانتا من مهام أبيه.

وفي عام ١٢٩٩ هـ.ق لقب بأمين الدولة، وفي عام ١٣٠٤ هـ.ق اختير رئيسا لمجلس الوزراء ومجلس الشورى، ورافق ناصر الدين شاه في رحلاته إلى أوروبا.

وبعد عودة ناصر الدين شاه من رحلته الثالثة إلى أوروبا (١٣٠٦ هـ.ق) كلفه بتدوين القانون حيث أبدى ناصر الدين شاه منذ عهد ميرزا حسين خان سپهسالار ميلا للقانون، فأعد كتيبا وصدر مرسوم بتنفيذه ونشرت صحيفة (اختر) البشرى بهذا الخبر ولكن رجال الحاشية حالوا دون تنفيذه.

كما أعد أمين الدولة تنظيمات لتسجيل الوثائق الشرعية والعرفية والتجارية وكان يحدوه الأمل أن تتوقف القضايا المتعلقة بالأملاك والشئون المالية خلال

---

(١) Victor- Emmanuel (١٨٢٥- ١٨٧٨م).
(٢) Humbert (١٨٤٤- ١٩٠٠م).

خمس سنوات تماما إذا ما تم العمل وفقا لهذه التنظيمات. وأثناء صدارة على أصغر خان أمين السلطان عين في أواسط عام ١٣١٣ هـ.ق مديرا للشئون المالية بولايـــة آذربيجان، واعتبر هذا الأمر بمثابة إبعاد له. ولما وصل إلى آذربيجان أرسل برقية تلغرافية إلى الحاج ميرزا حسن رشديه الذي كان قد فر إلى القوقاز[1] بعـــد حملـــة رجال الدين وإغلاق المدرسة الرشدية؛ واستدعاه إلى تبريز، وأســس بمــساعدته مدرسة ابتدائية فخمة وكان يسدد جميع نفقاتها من ماله الخاص.

وعندما جلس مظفر الدين شاه على العرش عزل في العام الثاني من حكمـــه أمين السلطان عن الصدارة واستدعى في أواخر عام ١٣١٤ هـ.ق أمين الدولة إلـــى طهران وترك بين يديه دفة الأمور لفترة وجيزة، وأمره "ألا يخشى أحدا وأن يسعى في سبيل تقدم الدولة".

كان أمين الدولة محب [illegible]ـحير، ولما وصل إلـــى طهـران ورأى الـشاه يرغب في إصلاح الأمور[2] فبذل مساعيه وأسس مدرسة في طهـــران بمـــساعدة رشديه الذي كان قد أحضره معه إلى طهران وتولى دعم هـــذه المدرســـة بنفـــسه. وسار العمل بالمدرسة على نحو طيب، واصطحب أمين الدولة الشاه إليها، وجمـــع من الشاه وآخرين مبلغا قدره خمسة وثلاثون ألف تومان لصالح المدرسة، وأســـس "انجمن معارف" أي "مجمع المعارف" من أجل متابعة شئون المدرسة ونشر العلوم. ولما كان يعلم أن تدهور الأمور ينبع من عدم وجود قانون فعمل على سن قـــانون

---

(١) كان الحاج ميرزا حسن من أبناء رجال الدين في تبريز، ذهب في شبابه إلى بيروت، وشاهد بها المدارس الابتدائية ودرس مناهج التعليم بها، ولما عاد إلى تبريز قرر تأســيس مدرســة ابتدائية على غرارها. ونفذ هذا الأمر عام ١٣٠٥.... ولكن نتيجة لغضب رجال الدين، تدافع الطلاب ذات يوم على المدرسة وحطموا كافة المقاعد والمناضد، فغادر الحاج ميرزا حـسن تبريز بعد تلك الواقعة وذهب إلى مصر والقوقاز (كسروى: تاريخ مشروطه، ج١).

(٢) يقول له الشاه: "لقد صارت مكانة المملكة الإيرانية متأخرة بالنظر إلى متطلبـات العـصر، ويجب بذل الجهد للوصول إلى مكانة دول الجوار.. ومهما أسرعنا فـــي خطـــى الإصـلاح سنظل متأخرين لذا يجب ان نعدو لنصل إلى غايتنا".(صحيفة حبل المتين نقلا عن كسروى: تاريخ مشروطه، ج١).

وتقديمه للشاه، وسعى أيضا للحيلولة دون حصول الولاة ورجال البلاط على الرشاوى وارتكابهم المظالم، وتصدى بشدة لخيانة وتجاوزات المسئولين عن الضرائب والموظفين وعمل على تشجيع الصحف والمطبوعات، ووضع خطة لميزانية الدولة واختار ناصر الملك لوزارة المالية، واستقدم عددا من المتخصصين من بلجيكا لإصلاح شئون الجمارك،(١) وفى النهاية قدم لائحة للشاه دون بها "يجب أولا معرفة نفقات الشاه وتحديدها كى يتم تحديد سائر الالتزامات"(٢).

وكانت هناك أياد قوية متورطة فى الأمور، ونهض المغرضون من كل صوب لعرقلة الإصلاحات وحاكوا افتراءات وأثاروا الجميع لمناصبته العداء "واعتمل الحقد فى قلوب بعض المقربين من جلالة الشاه وندماء خلوته بسبب عدم تحقيق مآربهم وأغراضهم الفاسدة من قبيل زيادة مخصصاتهم والهبات والإقطاعات الممنوحة لهم، واستسلم البعض الآخر لإغواء أمين السلطان بالوعد والوعيد.. وبذلوا كل ما فى استطاعتهم لدى مظفر الدين شاه دون حياء... وقال حسن محسن خان مشير الدولة الذى يضمر العداء لأمين الدولة لو بقى أمين الدولة لشهر آخر فى منصب الصدارة فسوف تسقط الدولة القاجارية"(٣) وصدر عنه هذا القول فى الوقت الذى قدم فيه أمين الدولة اللائحة التى ورد فيها "يجب أولا تحديد مخصصات الشاه الشهرية حتى يمكن إعطاء الآخرين رواتب شهرية محددة".

وواكبت هذه الخلافات فى مجملها معارضة من قبل العلماء ونتج عن ذلك أن شعر الشاه بالقلق والخوف تجاه أمين الدولة فعزله عن الصدارة.

ويقول كسروى: "كل هذا صحيح ولكن كان هناك دافع مهم آخر فى الموضوع عدا ذلك وعدا مساعى وعراقيل أمين السلطان وأتباعه، ولم يكن أمين

---

(١) على الرغم من أن البلجيك أسسوا إدارة على النمط الأوروبى فإنهم (وخاصة نوز) قد ارتكبوا جرائم ضد إيران وتسببوا فى وقوع العديد من الخسائر.
(٢) ناظم الإسلام: تاريخ بيدارى إيرانيان، ص.٩
(٣) ناظم الإسلام: تاريخ بيدارى إيرانيان، ص٩.

الدولة نفسه أيضا مدبرا أو قديرا".[1]

على كل حال فقد خرج أمين الدولة أيضا عام ١٣١٦ هـ.ق من دائرة الحكم بنفس السلاح الذى أسقط ميرزا حسين خان سپهسالار أى الاتهام بالإلحاد وهجوم رجال الدين وفى نهاية هذا العام تمت الموافقة على طلبه وغادر طهران إلى جيلان ولم تمض فترة طويلة حتى غادر إلى مكة عن طريق القوقاز والبحر الأسود، ثم سلك نفس الطريق أثناء عودته إلى الرشت وفى رجب ١٣١٧ هـ.ق توجه إلى "لشت نشا" وعاش هناك فى عزلة وأمضى وقته فى الزراعة والتأليف. وفى تلك الفترة سافر إلى فيينا للعلاج وتوفى بعد عودته فى لشت نشا فى أواخر صفر ١٣٢٢ هـ.ق.

كان أمين الدولة رجلا مستنيرا مصلحا وكانت لديه خطط لمد خطوط السكك الحديدية وإنشاء مصانع للسكر والكبريت وحفر الآبار الارتوازية، وارتبط معنويا برواد التجديد والحرية من أمثال السيد جمال الدين الأفغانى وميرزا حسين خان سپهسالار والشيخ هادى نجم آبادى وطباطبائى وميرزا ملكم خان، ويتضح من مضمون مذكراته أنه كان مفتونا بالديمقراطية والقانون وأسلوب الحياة والعمران فى الدول المتقدمة إلى حد كبير وكان مستاءً بشدة من القلاقل والمظالم وغياب القانون والفقر والجهل فى دولته.

ويقول ميزا عبد الرحيم طالبوف فى أحد خطاباته:-

"... لو كان الحاج أمين الدولة طاب ثراه يريد أن يكتب شيئا، أو يدون ما يعرفه لاستطاع أن يترك عملا رائعا كتذكار له، ولقد ترك ذلك بالفعل ولا يزال موجودا. فليغمره الله برحمته. ومن دواعى الأسف أنه ليس على قيد الحياة الآن،

---

(١) يعتقد كسروى أن هذا الدافع المهم هو معارضة أمين لعقد الاتفاقية الجمركية مع الروس وتنظيم التعريفة الجمركية الجديدة (تاريخ مشروطه، ج١). ويقول مخبر السلطنة أيضا فى "خاطرات وخطرات": "التف حوله حكيم الملك وبصير السلطنة، وأضلاه، واتضح أن أمين الدولة لم يكن ذلك الشخص المنشود".

فلو كان على قيد الحياة لقدم خدمات جليلة لأمته ولأنهى هذه الفتنة الناتجة عن انعدام الرجال.. فوالله كي يظهر رجل مثل المرحوم الحاج أمين الدولة... يجب أن يصبر الزمان طويلا... حتى تلد الطبيعة رجلا مثله وتقوم على تربيته".(١)

تميز أمين الدولة بحسن الخط وكان يكتب الموضوعات بأسلوب سليم وسلسل يتميز بالإيجاز والبلاغة وحسن البيان، وابتكر أسلوبا خاصا في الكتابة عرف بأسلوب أمين الدولة، وقلد الكثيرون خطه وأسلوبه في الكتابة.

أمضى أمين الدولة السنوات الأخيرة من حياته في التأليف وفي عام ١٣٢٠ هـ.ق كتب "سرگذشت سفر مكة" وهو كتاب شيق جدير بالقراءة، وقد طبع مؤخرا بخط المؤلف نفسه بدون تاريخ.(٢)

كما طبعت مؤخرا سيرة أمين الدولة الذاتية في طهران عن النسخة التي تمتلكها عائلته.(٣) والنسخة الأصلية من هذا الكتاب لا تحمل عنوانا وأطلق عليها الناشر عنوان "خاطرات سياسي أمين الدولة". وهذا الكتاب يعد مرآة لتحزب رجال إيران ودسائسهم وأحقادهم، مثل الكثير من المذكرات الأخرى التي تكتب بأقلام السياسيين، ويمكن للقارئ أن يتعرف من بين السطور على شخصية المؤلف وعلى الأوضاع السياسية في عصره أيضا.

ويعتقد ناشر الكتاب أن جزءا من هذا الكتاب كُتب بقلم أمين الدولة نفسه وأن البقية كتبت بقلم شخص آخر ربما يكون ابنه محسن خان معين الملك وذلك نظرا لاختلاف أسلوب الكتابة.

وسننقل سطورا من الكتابين على سبيل المثال:-

---

(١) من الخطاب المؤرخ السادس عشر من شعبان ١٣٢٥ هـ.ق، مجلة يغما العام الخامس عشر، العدد الرابع ص١٧٩ (المرسل إليه غير معروف).

(٢) تبدأ هذه المذكرات بيوم الجمعة ١٣ شوال ١٣١٦، وتنتهي بيوم الثلاثاء ١٦ رجب ١٣١٧ هـ.ق وإقامته الجبرية في لشت نشا.

(٣) خاطرات سياسي ميرزا على خان أمين الدولة، تحت إشراف حافظ فرما نفرمائيان، طهران، ١٣٤١ هـ.ق.

الحاج الشيخ جعفر الترشيزى: (١)

"الحاج الشيخ ذو قامة متوسطة ولحية عريضة طويلة، حليق الشارب، وأضفى سقوط ضواحكه المزيد على لطف أسلوبه وجمال لهجته، وتوجد فى كلامه لكنة خراسانية، ولحسن طبعه تتبع كل جملة من كلامه بسمة أو ضحكة. ويتحدث عن النفقات نظرا لأنه قطع الطريق إلى الحجاز عدة مرات ولكونه إمام صلاة الجماعة فى بلده.

ونظرا لأنه يذهب إلى نجد فهو معروف لدى سكان كربلاء وكاظمين، ويضع عمامة فضفاضة يلفها من أسفل ذقنه إلى أعلى رأسه ويسدلها على نحو أطول من المألوف. ويرتدى ثوبا عربيا مفتوح الصدر وقباءً ذا أكمام وقفطانا ونطاقا عريضا وعباءة تتهدل على أكتافه. وعندما لا يتيسر له دخول الحمام فى أيام السفر ويتوقف عن المواظبة على استخدام الحناء يكسو جذور لحيته قوس قزح متناسق من اللون الأبيض والأصفر والذهبى والأحمر والبنى والأسود، ويضفى عليه جمالا عجيبا. وكان يحكى عن رحلة قام بها منذ عدة سنوات بأنه فى منتصف إحدى الليالى كان مشغولا بالتهجد على الناقة فى الطريق الجبلى، وانزلق من مؤخرة الراحلة، فلم يقطع صلاته، وتخلف عن القافلة.

وأتى فتى من العرب الأذكياء ليرفع الشيخ عن الأرض ويجلسه على ناقة حرون، ولأن الشيخ كان منشغلا بدعاء منتصف الليل فلم يجلس كما ينبغى ولم يتمكن من مقعد الصدق، ثم نهضت الناقة من مكانها فسقط المتهجد على الأرض بشدة لدرجة أن ضلوعه اصطكت بعضها ببعض وانبطح على وجهه، ومن لطف القدر أن سقط خُرج الشيخ معه أيضا على الأرض.

وتكملة الحديث الذى رواه إنه بعد فترة من اللاوعى والإغماء أيقظت

(١) تعرف هذا الشخص على أمين الدولة فى السفينة التى كانت تقله فى البحر الأسود، ورافقه حتى مكة والمدينة وصار من ندمائه.

المسكين حرارة الشمس ببلاد العرب بدلا من الدواء حيث كانت تلك الواقعة في الصيف، ولكن يالها من يقظة، فقد نسى إصابته وألمه وجسده المتعب وذقنه بسبب الخوف من الوحدة وحر الصحراء والعطش!

وفى تلك الأثناء يصل رجل عربي أسود، فيهاجمه بسبب الظلمة، وإذا به يرى رجلا غارقا فى التراب والدماء وخُرجا وأشياءً متناثرة، عندها صاح شيخنا في هذا الوضع البائس بأبيات من مرثية له فمن صفاته الراسخة الامتناع عن اللغو: "يا ملعون الوالدين إن أردت أن تقتلني فعجل، لأن فى التأخير آفات!". لم يهتز الرجل رغم ما يُعرف عن عرب الصحراء من خشونة الطبع وغلظة القلب، فأخذ يضحك على سباب الشيخ وعلى ذقنه، قائلاً: يا عمى أهذا وقت السباب! ثم تفقد حاله ليريحه، وقال اصبر قليلا حتى أحملك لمنزلى وأهيئ لك العلاج. وذهب وأحضر من بيته وعشيرته ناقة ورجلا آخر، ولف الشيخ المصاب بالعباءة وشد وثاقه بالحبل على جانب من الناقة وعلى الجانب الآخر وضع خُرجه وبعض الحجارة، وبمجرد حل عقال الناقة نهضت بقوة بحيث إن عظام مولانا السليمة قد تهشمت. ولسوء القدر أسفر الأمر عن دك خاصرة الشيخ وقدمه المكسورة، وكُسرت عظمتان أسفل خاصرته واستضافته القبيلة أربعين يوما من أجل الخلود إلى الراحة والتآم عظامه ثم حُمل بعد التماثل للشفاء إلى النجف. والآن بنيته قوية وكأن عظامه قد استقرت مكانها رغم تهشمها وإصابتها.

ماذا تشبه مشيته؟ أتبختر الطاووس ماذا يشبه فى ذهابه وإيابه؟ أغزال شارد

مقدمة كتاب "خاطرات سياسى أمين الدولة":-

باسم الله الطاهر العادل الذى أنار الدنيا بنور العلم، وميز الإنسان عن الحيوان بزينة العقل ليفرق بين الخير والشر بفضل ضياء هذا المصباح السماوى، ويميز ببصيرة المعرفة بين النور والظلمة، ومن الله أفضل السلام على ذلك الرسول العربى وعلى آله وأصحابه الذى هدى البشر العقلاء إلى طريق الفلاح فى

الدنيا، وجعل الدنيا الفانية حياة خالدة، وحمل إلينا من الخالق شريعة مباركة بحيث لو عرفنا تفاصيلها بحق واتبعناها بصدق سننعم بالنجاة في الآخرة ونتمتع بالنعيم في الدنيا. والآن أخذ الأجانب عن أحكام هذه الشريعة النهج الذي أصبح سببا لكل دروب السعادة والإقبال في بلادهم، وهذا دليل صادق بأننا مذنبون، مسلمون اسما ونعبث بالأحكام الإلهية، وحرمنا أنفسنا الرضا عن جهل، وارتكبنا المعاصي.

إنني كفرد من الإيرانيين من نسل الفرس، بفضل من الله ولسعة الاطلاع على الكتب القديمة وقصص الأسلاف ولخبرتي في شئون الدنيا وزيارتي لكل الدول واطلاعي على كل الشرائع أدركت عظمة وسمو الدين المحمدي واعتنقته عن إيمان به، وسعيت في هذا المجال سعيا محمودا ولم أعتمد على سماع الروايات، وكلما حققت في ذلك تقدما ورأيت أكثر وجدت شمس الإسلام الساطعة أكثر إشعاعا، ونبع العلم الأحمدي أكثر اتساعا.

وأسفاه لقد أغلقنا عين العقل وضقنا ذرعا من السعي الذي لا طائل منه
وسرقت جماعة أخرى الجوهرة التي خُبئت في الكنز لنا
وتلك الثروة التي سطوا عليها من منجمنا زيفوها لسوء فطرتنا

الآن يوم اليقظة، ووقت الوعي لنلتفت إلى أنفسنا للحظة، ونرى الشرك الذي نُصب في طريقنا. الموابذة (رجال الدين الزرادشتي) الشياطين الآثمون يريدون أن يجعلوا الأخلاف المنكوبين أسرى أغلال الجهل. وفريسة للجمود لكي يخفوا قبحهم في سوق العميان، ويتلقوا الثناء عليهم لعلمهم من قبل الجهلاء، فهم يفضلون الشمس غارقة في الطين، والحكماء عاجزين.

واختفت كل أوامر الله الرحيم ورسوله الطاهر التي جاءت لنصرتنا تحت الأذيال الدنسة لهؤلاء الحاقدين، وفتح الحكام أيضا باب البحث عن المتعة والتطاول اقتداءً بهم، وتعدوا بالظلم. وليس لكم عندي سوى كلمة أيها التعساء الذين أسميتم

أنفسكم مسلمين، لقد أودع لدنيا الله جوهرين سماويين وهما الروح والعقل كي نستخدمهما في سبيل عبادته وطاعته، وهما ليسا على شاكلة الأشياء الدنيوية، كي يصبحا دليلا ومرشدا لنا في الحياة الدنيا ونديرَ شئونها على النحو الذي يريده الله ويأمر به، ونُرسل على قبورنا مدخرا من العبودية للخالق.

ما أعجب الجهل والعناد، فكلاهما جعلا عبيد الله كالكرة لعصا الصولجان التي يمسك بها الشياطين، فنحن لا نرعاهما، فقد ألقينا بالروح في قبضة الحكام الطغاة وجعلنا العقل ذليلا لسحر الموابذة، ولم نفكر للحظة بما حققه الأجانب. فجميعهم يتنعمون بالرفاهية والهناء والعمران والرغد، وشئونهم المعيشية تسير على نحو سليم، وصناعاتهم متقدمة، رفعوا اسمهم عاليا بين الأمم، ولم يفعلوا شيئا سوى أنهم لم يسلموا روحهم وعقلهم للشيطان وفقا لما بُعث به من السماء، وبهذه الوسيلة نهجوا نهج الأحرار.

من الأفضل أن نسرد حكاية دارنا وبيتنا بصدق وبلغة إيران المعاصرة المطعمة بالنوادر العربية والتي تفيد الأطفال الإيرانيين أكثر، وبطريقة أسهل حتى يدرك القارئ بعين قلبه مَنْ المذنب وأين يجب البحث عن العلاج.

سبب تأليف الكتاب

والغرض من هذا الكتاب بيان مجمل عن أحوال الوطن العزيز وأحداث العصر، فـ " إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ "[(١)] لنفرق بعين العبرة بين المذنب والمحسن وبين الخطأ والصواب، ونشخص سبب الألم ونحدد له الدواء لأن العلاج يبدأ بشرح الحالة وأسباب المرض ومعرفة الأعراض، ثم يُحدد العلاج بعد معرفة السبب والمسبب لتفاقم المرض.

فنتحدث أولا عن موقع إيران. وطننا الذي كان منذ القدم دارا للثقافة ومركزا

---

(١) سورة العصر الآية ٢.

للسياسة ومستقرا للناس ومهدا للمدنية؛ اقتطعت اليوم حدوده الطبيعيــة وتقلــصت دائرة المملكة، فصارت حدوده من الشمال بحر قزوين والقوقــاز وســواحل بحــر قزوين التى يقطنها التركمان، ومن الجنوب الخليج الفارسى، ومن الشرق أفغانستان وبلوشستان، ومن الغرب أرمينية وكردستان التركية وبعــض الأراضـــى التابعــة لروسيا. وكمية المياه قليلة فى الأراضى الإيرانية رغم اتساعها، ولهــذا فالمنــاطق العامرة بها منفصلة بعضها عن بعض، وزراعة هذه الأراضى صعبة إلى حد مــا بسبب قلة الأمطار والحاجة إلى الرى، ولكن يمكننا القول إن هذه المملكــة تعتبــر مملكة غنية بسبب الموارد الطبيعية، وعلى هذا لا يزال رمق مــن هــذه المملكــة الإيرانية باقيا ولم تندثر كلية فى هذا القرن على الرغم مــن أنهـا حُرمــت مــن الإصلاحات وعوامل الرقى مع ظهور المخترعات الأوروبية المبهرة التى صارت ضرورية، وبرغم بقاء طرق المواصلات فى إيران على حالتها القديمة الوعرة مع أن هذه الطرق تعد السبب الأول لرقى العلوم والتجارة وبرغم اجتماع كــل أنــواع الخراب والهلاك التى سيرد تفصيلها ضمن البيانات التاليــة. والإيرانيــون رجــال أذكياء محبون للفنون بناء على ما اتفق عليه سائر الشعوب، ومع أن متون الــسير والتواريخ لا تذكر أحيانا أنهم غيورون ومحافظون على شرف جنسهم مــن تلقــاء أنفسهم، فإنهم يمكن أن يكونوا أفضل سلاح للنصر وراء رئيس أو قائد محنك.

وللاستدلال على هذا المفهوم لا يوجد مثال أوضح من حادثــة علــو شــأن الأفغان وانقراض الدولة الصفوية، حيث تقاطرت على المملكة فئة غريبة وقطعــوا مسافات طويلة حتى وصلوا إلى حاضرة المُلك. وقضوا على أولاد الشيخ (المــراد الشيخ صفى الدين الأردبيلى) على النحو المعلوم للجميع. وكان من الممكن أن يلقى الأهالى الحجارة على تلك الفئة القليلة من الأفغان على مدى خط ســيرهم ولكــنهم دخلوا فى طاعة العدو دون معارضة، واستسلموا دون مقاومة للخصم فى عاصمة الدولة رغم كثرة تعداد السكان وتوفر الظروف الدفاعية، ذلك أن ثقافة الإيرانيين لم يكن من الممكن أن تكون غير ذلك فى ظل دولة السلطان حسين. ولم تمض عــدة

أيام حتى اتخذ نادر قلى خان الأفشارى هذا الشعب نفسه مفتاحا لفتح بــلاد الهنــد وباعثا للفخر فى عصره. ولسنا فى حاجة للكتابة عن العصر الأفــشارى وأحــوال الزندية والأحداث فى عهدهم لأن هذا ليس هدفنا. وكان الغرض من هذا المبحــث التعرف على إيران والإيرانيين على سبيل الإيجاز، فلا يلزم القراء من أهالى هــذا الوطن المزيد من المعرفة فكل شخص أعلم بنفسه.

امتناع ولى العهد عباس ميرزا عن منح وسام:-

ذات مرة أخذ أمير الجيش حسين باشا خان المراغى يروى: إننى كنت قــد أصبت بطلق نارى بينما كنت فى ركاب المرحوم ولــى العهــد عبــاس ميــرزا لمحاصرة قلعة (أمير آباد) ومداهمتها، ورقدت فى خيمتى، وأخذ ولى العهد يطوف بالمعسكر على غرار القادة العظماء ومعه أطباؤه الأوروبيون والإيرانيون بل إنــه كان يتفقد الجرحى من الجنود؛ فأتى خيمتى وسأل عن أحــوالى، وتفقــد الطبيــب والجراح الخاص بولى العهد الجرح الذى كان فى كتفى وطمأننى بأنــه سيــشفى. وجلس عند وسادتى وقال ماذا تريد؟ فقلت بأدب: سلامة ولى العهد. فقال: الوقت لا يناسب المجاملات والتملق. ومنحنى ألف تومان وإقطــاع إحــدى قــرى مراغــة المعروفة والتى كنت قد طلبتها ذات مرة لتهيئة أسباب الرزق لــى. فقلــت: كنــت أطمع فى مزيد من العطاء. فسأكون أكثر امتنانا لو منحتنى وساما من الفضة يتلألأ على صدرى بدلا من هذين الإنعامين. فنهض ولى العهد وقال: لو لم تكن إصابتك فى الظهر لما حزنت، فالخدمة التى قدمتها اليوم تستحق القدر الذى منحتك إياه.

٧- مستشار الدولة:

والآن سنذكر رجلا ذا همة، ورغم أن كتاباته غير جديرة بالقراءة مطلقا من الناحية الأدبية البحتة إلا أنه من الضرورى الاطلاع عليها اطلاعا دقيقا فى سـياق تاريخ مرحلة اليقظة بإيران. وهو ميرزا يوسف خان مستشار الدولة التبريزى الذى يعد من الرواد والأحرار فى عصر ناصر الدين شاه والمؤمنين بنفس الأفكار التــى آمن بها ميرزا حسين خان ســپــهسلار وميرزا ملكم خان ناظم الدولة.

ولد ميرزا يوسف خان ابن التاجر الآذربيجانى الحاج ميرزا كاظم مهاد مهينى فى مدينة تبريز، تعلم الفارسية والعربية ودرس قدرا من العلوم الشرعية، وعمل كاتبا بالقنصلية البريطانية فى تبريز، ثم استقال بعد فترة من العمل لدى البريطانيين والتحق بوزارة الخارجية. وفى عام ١٢٧٠ عينه ناصر الدين شاه قنصلا فى حاجى ترخان، وظل بها ثمانى سنوات إلى أن استدعى إلى طهران عام ١٢٧٨ هـ.ق، ثم عاد لمنصبه فى حاجى ترخان بعد سبعة شهور من البقاء فى طهران. وعين عام ١٢٧٩ هـ.ق القائم بأعمال إيران فى بطرسبورج، وعام ١٢٨٠ هـ.ق القنصل العام فى تفليس وظل بها لأربع سنوات. وفى أواخر عام ١٢٨٣ هـ.ق عين القائم بالأعمال فى باريس، فتوجه إلى فرنسا عن طريق إسطنبول، وزار معرض باريس الذى كان قد أقيم ذلك العام (١٨٦٧م). وزار لندن أربع مرات خلال إقامته فى باريس لثلاث سنوات، "وكان من المؤمنين بنفس الأفكار التى آمن بها ميرزا ملكم خان، وعقد معه اجتماعات سرية وعلنية".(١)

استدعى فى رمضان عام ١٢٨٦هـ.ق إلى طهران وعين مكانه "نظر آقا يمين السلطنة قائما بأعمال إيران فى باريس وكان نظر آقا أميرا بالجيش.

كان ميرزا يوسف خان صديقا لميرزا حسين خان سپهسالار ومن نفس مشربه، ولكنه أبعد إلى خراسان عام ١٢٩٠ هـ.ق نتيجة لخلاف وقع بينهما، ولم تمض فترة طويلة حتى عين نائبا للحكومة بخراسان ثم استدعى بعد عام إلى طهران.

وفى عام ١٢٩٩ هـ.ق عندما عُين ميرزا يحيى خان مشير الدولة القزوينى وزيرا للعدل اختاره لمساعدته ولقبه بلقب مستشار الدولة، إلا أنه استقال من وزارة العدل بسبب الرشوة والفساد المنتشر فى الجهاز القضائى. وعندما أخذت صحيفة اختر الصادرة فى إسطنبول تنتقد المحاكم، تم توجيه أصابع الاتهام إليه بأنه متورط

---

(١) تاريخ بيدارى إيرانيان: الطبعة ٢، ص١٧٩.

فى نشر هذه الانتقادات وعزل من الخدمة بالحكومة بأمر الشاه، وتم جلده وحُبس لخمسة شهور فى السجن، وبعد عدة شهور من الحبس وأداء العقوبة واعتزال العمل تم العفو عنه وذهب إلى تبريز للعمل كنائب للحكومة عن الشئون الخارجية فى آذربيجان، ويقال إنه ظل فى هذا المنصب حتى وفاته.

كان مستشار الدولة رجلا يقظ القلب مستنيرا وكانت تحدوه الآمال على الدوام فى سبيل رفعة الدولة وإقرار النظام بها. ويقال إنه كان يقول لأصدقائه أثناء إقامته فى تفليس "ماذا كان سيحدث لو عم النظام والاستقرار والعمران فى وطننا العزيز"[١].

وكان من آماله العظيمة مد خطوط السكك الحديدية فى إيران وكان يعتقد أن "السكك الحديدية هى البداية لتهيئة جميع الاحتياجات الأولية للمملكة والدولة".[٢] ومع مد هذه الخطوط ستتبدل أوضاع إيران خلال ثلاث سنوات كليةً "وستتحول إيران إلى روضة"[٣]. وإيمانا بهذه الفكرة ألف عام ١٢٨٦ هـ.ق رسالة بعنوان "كتابچة بنفش" تدور حول مد السكك الحديدية عبر جميع الأراضى الإيرانية.

يحتل مستشار مكانة رفيعة فى تاريخ نشر فكرة الحرية فى إيران، وقد وضح أسس أفكاره السياسية فى رسالة "يك كلمة" أى "كلمة واحدة" التى ألفها فى باريس عام ١٢٨٧ هـ.ق[٤]. وفى هذا الصدد يقول صاحب كتاب "تاريخ بيدارى إيرانيان" إنه شاهد خلال عمله بباريس شيوع النظم والعمران بأوروبا وما تميزت به من ثروة قومية وثقافة وفن مما جعله يشعر بالأسى تجاه إيران، ولما سأل ملكم عن سبب تقدم فرنسا وتخلف إيران، أجابه ملكم قائلا إن "أساس النظام فى فرنسا

---

(١) تاريخ بيدارى إيرانيان ص١٧٩.

(٢) نقلا عن الرسالة المؤرخة فى ٢٤ شوال ١٢٨١ هـ.ق، التى كتبها من تفليس لوزير الشئون الخارجية (نقلا عن فريدون آدميت، فكر آزادى ص١٨٣).

(٣) نقلا عن التقرير الرسمى لمستشار الدولة بتاريخ ٥ رمضان ١٢٨٠ هـ.ق (فكر آزادى ص١٨٣).

(٤) طبع هذا الكتاب عام ١٢٨٧هـ.ق، وطبع مرة أخرى عام ١٣٢٥ هـ.ق فى طهران.

يكمن فى كلمة واحدة، وكل هذا التقدم نتيجة لنفس الكلمة، وتلك الكلمة التى تتدرج تحتها كافة النظم وسبل التقدم، هى القانون".(١)

وهذه هى الموضوعات التى طرحها فى رسالة "يك كلمة" وشرح للإيرانيين مفهوم الحقوق الأساسية للفرد ومعنى الحكومة الشعبية. وربما يكون أول شخص يعتبر الإرادة الشعبية مصدرا لقوة الدولة وأول من يتحدث عن الفصل بين سلطة الحكومة والسلطات الدينية، والمساواة بين المواطن المسلم وغير المسلم فى الحقوق بل إنه قال قول ملكم إن "الشاه والسائل أمام القانون سواء".(٢)

تعد رسالة "يك كلمة" من أوائل الأعمال المنادية بالحرية فى إيران، وكان لهما تأثير كبير فى إثارة مشاعر الناس وبث روح اليقظة فيهم. وفى عام ١٣٢٣ هـ.ق عندما أسس "المحفل الماسونى" كانت هذه الرسالة وثيقة سياسية إرشادية لذلك المحفل. (٣)

وهذه الرسالة مقتبسة من مواد الدستور الفرنسى وقد أراد المؤلف أن يجعل تلك المواد مسايرة للشريعة الإسلامية، ولتحقيق هذا الهدف استشهد بالآيات القرآنية والأخبار والأحاديث النبوية والمأثور عن كبار علماء الدين الإسلامى.

تعرف مستشار الدولة على ميرزا فتحعلى آخوندزاده، وتبادل معه الرسائل وأخذ ينهل من فيض هذا الرجل المفكر المستنير. ويقول آخوندزاده فى إحدى رسائله التى كتبها إليه فى أخريات حياته: "بالرغم من الامتثال الظاهرى يوجد عداء خفى بين الشعب والحكومة... فالشعب يكره الحكومة".(٤) ثم يضيف: "فكل ما

(١) هذه الكلمة هى "القانون" التى ركز عليها ملكم نفسه، ودارت حولها كافة مقالاته ورسائله وبذل مساعيه فى سبيله.
(٢) فريدون آدميت: فكر "آزادى ص١٨٦.
(٣) يقول ناظم الإسلام الكرمانى مؤلف "تاريخ بيدارى إيرانيان" وكان عضوا فى المجمع الماسونى: "كانت نموذجا مفصلا يحتذى بها لعقد المحفل الماسونى، وكانت فى الواقع بمثابة جدول الأعمال الذى يتم السير على منهجه".
(٤) من الرسالة المؤرخة بالثامن والعشرين من مارس عام ١٨٧١م (صفر ١٢٨٨ هـ.ق) والموجهة إلى ميرزا يوسف خان (كليات ميرزا فتحعلى، آخوندزاده، ج٣، باكو ١٩٥٥م).

يفعله الإنسان يكون قابلا للنقد. فالمواربة والمداراة لا تتفقان مع النقد"[١]. وعلى نفس هذا النهج الفكرى أخذ يتحدث مستشار الدولة مدافعا عن أسس الحرية والمساواة والحكم الدستورى خلال الفترة التى شهدت قمة استبداد ناصر الدين شاه حينما كان التفوه بكلمة القانون يعد ذنبا لا يغتفر. ومن جراء الجهر بالقول والنقد العلنى للجهاز القضائى تعرض خلال فترة عمله بالحكومة للتوبيخ والحبس والإبعاد، ولكنه لم يمتنع حتى فى السنوات الأخيرة من حياته عن بذل مساعيه رغم الشيخوخة والوهن.

كتب مستشار الدولة خطابا مطولا إلى ولى العهد مظفر الدين شاه عام ١٣٠٦ هـ.ق أثناء توليه الشئون الخارجية لأذربيجان وسلمه إلى حسنعلى كروسى نائب الحكومة فى تلك الولاية راجيا إياه أن يحمله إليه. وانتقد خلاله الحكومة الاستبدادية وفساد البلاط وطالب بإجراء الإصلاحات فى المملكة وإقامة حكومة دستورية وإطلاق الحريات وتحقيق المساواة، وحذر من أن ولاة إيران إن لم يسعوا بأنفسهم لتأسيس "حكومة دستورية" فسوف تفرضها علينا الأحداث التاريخية.

كانت كلمات مستشار الدولة أكثر مرارة وحدة مما توقعه ميرزا فتحعلى آخوندزاده، وسخر من بلاط ناصر الدين شاه واصفا إياه بأنه معتل، لذا لقى الكاتب نفس المصير الذى لحق بكل الأحرار فى ذلك الزمان، أى أنه حمل من قزوين إلى أذربيجان مكبلا بالأغلال فى مطلع عام ١٣٠٩هـ.ق بأمر من الشاه وحبس فى سجن "ركنيه" مكبلا بالأغلال حبسا انفراديا ولم يُسمح له بمقابلة أحد حتى مساجين قزوين أنفسهم.[٢] ويقال إنه تعرض للإيذاء والإهانة فى السجن، فضرب على رأسه

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نعرف من بين المسجونين السياسيين الآخرين فى قزوين شخصين أحدهما الحاج سياح المحلاتى والآخر الحاج ميرزا محمد أحمد الكرمانى، والأخير هو نفس الشخص الذى نقل عنه الحاج ميرزا يحيى دولتى آبادى هذه الجملة "لو بقيت لعشرة أيام فى مدينة واحدة ولم أتسبب فى قيام ثورة بها، يكون طعام تلك المدينة وماؤها محرما علىّ". ومات بعد عدة سنوات فى محبسه بسجن طهران.

بالرسالة حتى فاضت عيناه بالدمع، ومات بعد عدة سنوات يائسا عام ١٣١٣ هـ.ق.

وها هى سطور من رسالة مستشار الدولة التى كتبها إلى ولى العهد مظفر الدين ميرزا عام ١٣٠٦هـ.ق، ننقلها عن "تاريخ بيدارى إيرانيان":- "بعد المناصب التي توليتها ربما لم يبق من حياة عبدكم المسن أكثر من ثلاثة أو أربعة أيام، فهو يعتبر أن من الواجبات المكلف بها نصرةً للحكومة وولاءً للوطن أن يقدم لتراب قدمكم المقدس آراءه الأخيرة مع خروج آخر أنفاسه، فعندما تشرف هذه الرسالة بالعرض على سيادتكم فسيكون العبد المسن قد ودع العالم الفاني. وأنا على يقين تام أنكم ستشملون برعايتكم واهتمامكم الرسائل غير المغرضة والصادقة في ولائها للوطن والتي لم تتخذ مطلقا خيانة الشاه والوطن شعارا لها. ولا شك أن الرأى الصادر عن بُعد يكون رأيا صادقا وحقيقيا وسليما. لقد انتخب رب العالمين جلالة الشاه المقدس الأمجد الأعظم -روحنا فداه- لاحتلال مكانة رفيعة ومقام سامق، ومنحه إياه بالفعل، ولكنه ضمن ذلك كلفه بمسئولية مهمة للغاية وعظيمة وهى أن يفتح صدره للآراء فى الأوقات العصيبة!

إن مملكة إيران الواسعة وهى الوطن الأصلى والبيت الحقيقى لشاه الإسلام معرضة للخطر وفقا لآراء كافة السياسيين، ذلك أن التقدم سريع الخطى للدول المجاورة وأفعال وأعمال رجال البلاط الاستبدادية والمفتضحة قد أهدرت قوة إيران التى امتدت لعدة آلاف من السنين، فصارت مصابة بالضعف والعجز وهو الأمر الذى لا يقدر أهالى هذا الوطن على علاجه مطلقا. ولكن الحكماء والسياسيين فى كافة المدن المتحضرة يعتقدون أن رفع الخطر وحل مشاكل إيران يكمن فى كلمتين، حيث يجب التغاضى عن ما مضى من أعمال والبدء فى سن القوانين الجديدة. ومن هذا المنطلق يمكن أن تحظى الحكومة والأمة الإيرانية العريقة بالاحترام لدى الأمم الأجنبية والشعوب المتحضرة وجيرانها من جديد وتستعيد مكانتها السابقة. وهذا الأمر واضح وجلى عند الحكماء واسعى الأفق بحيث إنه لا يحتاج لدليل وبرهان. ومن المحتمل أن تهيئ هذه الوسيلة أسباب رفعة المملكة

بحيث يعتبر فيما بعد العاملون فى الدوائر الحكومية – من الكبير والصغير – أنفسهم مكلفين باتباع أحكام القانون والامتثال لها خلال أفعالهم وأعمالهم الموكلة إليهم، وتتحقق المساواة في الحقوق لكافة الأهالى والفقراء من كل الطبقات وفي جميع التخصصات، ويتم اتخاذ التدابير اللازمة لإصلاح شئونهم. وإلا فإن البقاء على هذه الحال من أخطاء الوزراء ورجال البلاط يجعل من المحال على أى إنسان أن يستطيع استعادة عظمة وقدرة المملكة الإيرانية العريقة فى هذا الزمان بوسائل الأجداد سواء خارج أو داخل المملكة.

أقسم بتراب قدمكم المقدس الذى هو علاج لعيوننا نحن الإيرانيين أن أولئك الذين يقولون بجرأة إن إدارة الوزارات الحالية لا يوجد بها عيب أو خلل على الإطلاق ولا تحتاج إلى تغيير، فهم لا ينطقون إلا بكلام فارغ، مرير ومرفوض.

فناقصو العقول هؤلاء قد اعتادوا منذ طفولتهم حتى اليوم على نهب أهالى إيران المساكين، وبهذه الوسائل سلبوا شرف الأمة وثروتها ومنحوها خرقة من الحرير وقرطا من الذهب. ويعتبرون أنفسهم على الدوام غير مسئولين عن الحكومة ولا يكترثون لكلام العلماء الساعين إلى تحقيق الخير للدولة والشاه واستقرار النظام بالولايات وراحة الرعية وامتنان الموظفين وتأهب الجيش.

ويدور على الألسنة أن الحكومة الإيرانية تسعى لتنظيم الدوائر الحكومية. ويقول العقلاء إن هذا الإجراء سيفشل دون سن القوانين. يصيح السياسيون وحكماء العصر بصوت مرتفع قائلين طالما أن أهالى إيران من الأمير للفقير يعتبرون القانون تقليدا للأوروبيين وطالما أن تغيير رجال الحكومة منذ القدم فى يد الشخص الأول بالدولة، وطالما أن أعمال رجال الحكومة لإصلاح حال الأهالى والفقراء تتم بلا قانون ولا تواكب التقدم المحير للعقول فى هذا الزمان... لأنهم يعتبرون أن القانون مضر لهم؛ فلن يقدموا على اتخاذ هذه الخطوة ماداموا على قيد الحياة. وفي هذه الحالة يجب أن يتعاملوا مع دول الجوار وتتملكهم نظرة دونية لأنفسهم، لأن هاتيك المربيات الأكثر عطفا من الأمهات وهذه الذئاب المتصفة بالوداعة وحسن

النية وهؤلاء المخربين للديار، ما دامت الدولة تفتقر للقانون، لــن يتغــافلوا عــن مصالحهم وسيطلقون الكثيرَ من القطط لاصطياد فأر واحد، وسيمارسون الألاعيب المختلفة بحجة النهوض بالشئون السياسية والتجارية وسيربطون إحداهما بالأخرى مهما كانت خزانة الدولة عامرة بالأموال قدر ما يملكه البريطانيون ومهما كانــت المصانع مكتظة بالحرفيين كما عند الفرنسيين ومهما كان الجيش مــؤهلا وتعــداده كبيرا كتعداد أهل الصين، ومهما كانت السفن مجهزة حربيا كسفن دول أمريكا.

....إذن يقع على عاتق المسئولين السياسيين وأرباب السلطة أن يتــصرفوا وفقا لمقتضيات العصر ومتطلباته، وأن يتشاوروا مرة كل أسبوع معا للفصل فــى الأمور المتعلقة بالدولة والأمة وفقا لمفاد الآية الكريمة "وَشَاوِرْهُمْ فِــى الأَمْــرِ".[١] لأنه من البديهى أن الأحكام الإلهية في كل الأديان واضحة، والحق كالشمس ينيــر العالم كله ومن المحال إخفاؤه بين أمة من الأمم، وربما يكون العبد المسن (مستشار الدولة) مطلقا على أحكام القرآن المجيد والأحاديث النبوية قدر الكفاية، ويــرى أن الشريعة الإسلامية المطهرة لا تتعارض مطلقا مع القوانين العادلــة، فــلا تــزال أفكارى مرتبة، وأشعر بأننى أدرك وأعى تماما قبح خيانة الكيان المقــدس للــشاه وابنه ولى نعمتى ودينى ومذهبى ووطنى وأبناء وطنى خاصة فى ذلك الوقت الذى حان لى أن أغادر الدنيا للآخرة وأقف في دار عدالة خالق الكائنات.

إذن أقسم بالله العظيم الجبار من صميم قلبى أننى سأعرض مجريات الأمور فى هذا العصر على سموكم الأقدس الأمجد الأسعد الأسمى روحنــا فــداك. فمــع تقــدم الأوروبيين غير العادى لن تمضى فترة طويلة حتى تجبر أحوال الإيرانيين فــى أكثــر الأوقات صعوبة دولة إيران على أن تصبح من عداد الدول الدستورية، وتنفــذ مــواد القانون وفقا لمتطلبات المُلك والمملكة وطبقا للأوضاع والطبائع، وتهــتم بــه اهتمامــا كبيرا، وترفع لواء الوطنية على تلك الممالك الواسعة، وتجمع حوله الأهالى والطوائــف عن طريق تنفيذ قانون موحد وأحكام عادلة تكفل حرية التعبير والمساواة فى الحقــوق،

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

ولا تتصت بعد ذلك للغو؛ لأن سير الأمور سينبئ عن المستقبل. لهـذا مـن الواجـب والحتمى على سموكم الأجل الأسمى -روحنا فداك- أن تعرضوا على وجـدان ملـك الإسلام المبارك العرائض الصادقة وتفرقوا بينها وبين ادعاءات رجال البلاط الزائفـة، فكافة مساعيهم تهدف إلى تحقيق مصالحهم الزائلة لا إلى صالح السلطنة فـي المملكـة الإيرانية. ومن الجلى أنه فى المستقبل لن تستطيع أى من الـشعوب والأمـم المـسلمة وغير المسلمة العيش بدون القانون، وإن لم يبادروا بنشر القانون فلن يُتْركـوا لحـالهم وسيُجبرون عليه على النحو الذى حدث فيما يتعلـق بموضـوع صـربيا وغيرهـا، فالآخرون أجبروا الحكومة العثمانية رغم ما تمتلكه من قوة.

وأقسم ثانية بالله الواحد أن سن القانون لا يتعارض مطلقـا مـع الـشريعة الإسلامية الحقة، ولن يؤدى إلى التفريط فى الدين أو خلل بشئون المـسلمين، بـل سيحقق الإسلام والمسلمون بواسطة تنفيذ القانون فوائد غير متوقعة، وسـيحررهم ويريحهم من تدخل الأجانب وسيعيشون شامخى الرءوس أمام العالم... [(١)]

---

(١) ناظم الإسلام: تاريخ بيدارى ايرانيان، ص١٨٦.

الفصـــل الرابـــع

مساعى المقيمين خارج الدولة

مقدمـة:

كانت البيئة المختنقة والكابتة للحرية فى إيران لا تسمح مطلقا بالحديث عن الحرية والإصلاحات أو الكتابة عنها، وكانت مساعى الأحرار والمستنيرين الإيرانيين محفوفة بالخوف والحذر، ولم تكن وحدها كافية لتحقيق الهدف. فقام بالكتابة ونشر الأفكار والمعتقدات الحديثة الإيرانيون الذين غادروا وطنهم نتيجة الضغوط الداخلية، أو الذين كانوا يعيشون فى الخارج لتأدية مهمة ما. لقد تحدثنا فيما سبق عن عدد من الصحف الفارسية التى كانت تصدر فى مصر وتركيا والهند، والتى أثر كل منها إلى حد ما فى نشر فكرة الحرية. والآن سنذكر الكتاب الذين سعوا من خارج الدولة لإيقاظ المجتمع الإيرانى وتحريره من قيود الظلم والاستبداد والذين كانوا فى الحقيقة رواد الحرية والدستور.

١- طالبوف:-

ولد عبد الرحيم الشهير بطالبوف عام ١٢٥٠ هـ.ق فى حى "سرخاب" بتبريز لأب فقير يعمل بالنجارة ويدعى "أبو طالب بن عليمراد". غادر تبريز فى السادسة عشر أو السابعة عشر من عمره وذهب إلى تفليس التى كانت آنذاك مركزا للأحرار والثوار، وعمل بها لكسب الرزق كما درس اللغة الروسية وآدابها.

وفى تلك الفترة كان الكثير من المهاجرين الإيرانيين يعيشون فى القوقاز "ومن بينهم رجل يسمى محمد على خان من أسرة الشيبانيين بكاشان يعمل فى مهنة "المقاولات" لمد الطرق بالقوقاز وكان يُطلق على هؤلاء بالروسية كلمة "پدراتچى". واستطاع محمد على خان أن يجمع ثروة كبيرة خلال السنوات التى قضاها فى تفليس وسائر بلاد القوقاز بسعيه وجده. وهناك آثر الزواج، ورزق بولدين أحدهما يسمى أسد خان والآخر فرخ خان كما رزق بفتاة تسمى ماهرخ. وقد تقلد أسد خان

وفرخ خان لاحقا مناصب حكومية رفيعة مثل منصب السفير. وتعـرف طـالبوف على أولاد محمد على خان نظرا لعمله لديه، وقد ذكر كلا من أسد وماهرخ فيما بعد في مؤلفاته. وكان عبد الرحيم طالبوف من بين الأشخاص الذين شاركوا محمد على خان، وبعد عدة سنوات جمع ثروة أهلته للعمل بالمقاولات بلا شريك". [١]

وشيئا فشيئا جمع عبد الرحيم الذى اشتهر فيما بعد بالحاج ملا عبد الـرحيم طالبوف- ثروة كبيرة، وعُرف لدى حكام روسيا وعلمائها بالأمانة والصدق، وبعد فترة غادر تفليس إلى بلاد القوقاز وأقام فى "تمر خان شوره"[٢] مركـز حكومـة داغستان وعاش حتى أخريات حياته معززا مكرما.

وفى أواسط عهد ناصر الدين شاه بينمـا نهـض الأحـرار والمـستنيرون الإيرانيون مجاهدين فى الداخل والخارج فى سبيل الحرية والقانون، أخذ طـالبوف أيضا فى إيقاظ الشعب عن طريق قلمه؛ فقد كان قد تمتع برصيد من المعرفة عـن طريق معرفته باللغة الروسية، وتميز أسلوبه بالسلاسة، وظـل يعـرفهم بـسلبيات الحكم الاستبدادى ويشرح لهم أهمية إقرار الدستور؛ بحيث إن مؤلفاتـه فـى هـذا الشأن يمكن تسميتها "أبجدية الحرية".

انتخب أهالى آذربيجان طالبوف نائبا عنهم فى الدورة الأولى للبرلمان تقديرا لخدماته وكتاباته القيمة واعترافا بجهوده، وبالرغم من أنه كتب إلى أحد أصـدقائه قبيل بداية الانتخابات أنه "لو انتُخبت سأحضر على الفور"[٣] وبرغم أنه قبل التمثيل البرلمانى فى رده على البرقية التى أُرسلت له بعد إجراء الانتخابات ووعد بالذهاب إلى طهران فى شهر صفر (أى بعد ثلاثة شهور أو أربعة)، إلا أنه لم يف بالوعد. وعندما غادر تبريز سبعة من نواب آذربيجان الاثنى عشر متوجهين إلى طهـران ذهبوا إلى بادكوبه (فى ذى القعدة ١٣٢٤ هـ.ق)، والتقوا فى باكو مع طالبوف الذى

(١) إيرج افشار نقلا عن تقى زاده، مجلة يغما، العام الرابع، العدد الخامس، مرداد ١٣٣٠.
(٢) بونياكسك حاليا.
(٣) ولكنى "أعتقد أن علاقة الإيرانى بالمجلس تشبه تماما حكاية الثور قارع الطبول".

كان قد قدم من "تمر خان شوره" لمقابلتهم، وأخبرهم أنه سيعد عدته ويذهب إلى طهران بعد أن يدبر شئونه.

وتوجد آراء مختلفة حول السبب وراء رفض طالبوف التمثيل البرلماني. يعتقد إسماعيل يكاني أنه لما كانت تربطه صداقة حميمة بالأتابك ميرزا على أصغر خان فلم يأت إلى طهران نظرا لسخط الأحرار وخاصة نواب آذربيجان على الأتابك في ذلك الوقت، كي لا يشاركهم في معارضتهم له.[1] ويرى صادق صادق (مستشار الدولة) وتقي زاده أن الشيخوخة والوهن وضعف الإبصار هم السبب وراء عدم حضوره.

ويعتقد البعض أيضا أن تكفير شيوخ ذلك الزمان لطالبوف وتحريم قراءة كتابه مسالك المحسنين من قبل الشيخ فضل الله نوري، السبب وراء رفضه فلم يأت إلى طهران تحسبا للعواقب. وعلى هذا يقول طالبوف في رسالة مؤرخة بالسادس عشر من شعبان ١٣٢٥ هـ.ق لشخص غير معروف مشيرا إلى هذا الأمر معربا عن حزنه" "إن سيادتك ولفرط عنايتك قد بالغت في موهبتي كثيرا، ووصفت مؤلفاتي التي لا طائل من ورائها- التي انتشرت في سوق الأدب بوطننا لغياب سلعة المعارف- بأنها جديرة بالاهتمام، ولقد تأثرت كثيرا بما كتبته ويشهد ربي وضميري أنني لا أعتبرها جديرة بالثناء أو المدح من قبل الأدباء الإيرانيين الأعزاء ولم أعتبرها كذلك في يوم من الأيام... فلو أن مؤلفاتي ذات مضمون لما كفرني الشيوخ الأجلاء، ولو كنت متعلما لكنت أعرف العربية والكتابة بالفارسية، ولقدمت مؤلفات إلى محفل الأدباء، ولكن يعرف الآخرون البحث عن عيوب الغير والابتذال أفضل مني. ولأنني كنت بالخارج ولم أكن أخشى شيئا تحدثت وكتبت

(١) اشتكى طالبوف في لقائه مع الحاج ميرزا يحيى دولت آبادي في رمضان عام ١٣٢٧ هـ.ق بمنزله بتمر خان شوره قائلا إن الإيرانيين أساءوا إليَّ واعتبروني مستبدا وأطلقوا عليَّ "عبد الأعيان"، وأفاد أن أمين السلطان كانت نيته صادقة تجاه الأمة خلال رحلته الأخيرة لإيران ولم يكن يقصد شيئا سوى إقرار الدستور (حيات يحيى، ج٣، طهران، ١٣٣٠ش).

دون مواربة إلى حد ما. والحمد لله لدى إيران الآن متحدثون وكتاب كثيرون كي تنسى العبد الخجل (أي طالبوف)...". [1]

يعتبر أحمد كسروى أن امتناع طالبوف وعدوله عن المجئ إلى طهران ناتج عن أخلاقه وأسلوبه فى التفكير، فقد أخذ بعض الشيوخ فى تكفير طالبوف -كما هى عادتهم- ومنعوا الناس من قراءة كتبه. ويرى أن "هذا الأمر يسيطر على الكثير من الأشخاص الذين يناضلون فى سبيل شىء معين، وعندما يصلون إلى نقطة ما يُحبطون ويتراجعون، وكان طالبوف واحدا منهم...." [2] ونحن نعتقد أن طالبوف برغم كونه من الأحرار ودعاة التجديد إلا أنه لم يرض كثيرا عن الصراع بين الشاه والبرلمان وتدهور الأوضاع، وأحوال الأحرار وزعماء الأمة؛ وتوقع انفلات زمام الحرية والتسيب الذى عم إيران والأحداث التى وقعت بعد ذلك ونستدل برسالة طالبوف المؤرخة فى سبتمبر ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ.ق) التى كتبها لعلى أكبر دهخدا بعد قصف المجلس [3] للاطلاع على أسلوب طالبوف فى التفكير:-

"أتمنى أن يعود على وجه السرعة إلى إيران كافة من غادروا الوطن، ويعملوا فى تناغم بدلا من الجدال والتناحر، أى يأكلوا الأشواك ويحملوا الأثقال ويحملوا سفينة الوطن المشرفة على الغرق إلى شاطئ النجاة، ومن البديهى أنه لاشئ ينتظم دون معاناة والعجيب أنهم يتقاتلون فى إيران فى سبيل حرية التعبير، ولكن لا أحد يكترث بآراء الآخرين، فلو أعرب شخص عن رأيه يصبح متهما ومستحقا للقتل، مستبدا، عبدا للأعيان ومتكبرا، ولا أعرف بماذا سيُتهم أيضا. ويطلق هذه المسميات شخص لا يملك ذرة من الطحين فى الأفلاك السبعة، فليس

---

(١) مجلة يغما، العام الخامس عشر العدد للرابع، تير ١٣٤١ ش.

(٢) أحمد كسروى: تاريخ مشروطة إيران، بخش يكم.

(٣) كان دهخدا آنذاك فى إسطنبول، وكان يرغب فى إحياء ذكرى ميرزا جهانجير خان ونشر صحيفة صور إسرافيل من جديد.

لديه روح ولا علم ولا تجربة ولكنه يملك مسدسا لا غير، على كل حال:

المطـــــر الــذى لا يــوجــد خــلاف حــول رقــته

يُنبت شقائق النعمان فى الروضة والحشائش فى الأرض البور

هل تذكر رسالتى التى سألتك فيها أى نوع من الحيوانات تكــون طهــران حيث تلد في ليلة واحدة مائة وعشرين محفلاً؟!

الخلاصة، سيادتك تعرف الأمور أفضل منى. وكتبى تشهد، أننــى أعــرف إيران منذ خمسين عاما، وقد أتممت الحادية والسبعين من العمر. فأى مجنون فــى الدنيا يشيد بناءً دون معمارى؟ وأى مجنون ذلك الذى يدعو المعمارى للعمــل دون أن يوفر له أدوات البناء؟ وأى مجنون ذلك الذى يعتبر تغيير النظام فى إيران وليد الساعة؟ وأى مجحف ذلك الذى يستطيع فى أقل من خمس سنوات تنظــيم شــئون المملكة التى لا تملك قانونا وأهلها بلا عمل وبلا حياء ومبتلون بالفقر؟ أى رســول ذلك الذى يستطيع أن يذلل هذه العقبات فى أقل من عشر سنوات ويــشق طريــق الرقى على النحو الذى كان يريده حسين البزاز أو محــسن الخيــاط أو البنــى آدم فلان؟

على كل حال يريد القلم أن يحتد مرة أخرى، وكنت قــد اســترحت تمامــا بخصوص ما سيحدث فى المستقبل واستقرار الدستور والمجالس المحلية. ســألنى السيد عبد الرحيم فى "شوره" عما يجب فعله؟ فأنا لن أفعل شــيئا لــشهرين. أتــى بالطبع إلى تفليس وقال: ليس من الضرورى تأسيس صحيفة فى بــاريس. لافــى باريس ولا فى إيران؛ فالكلمات الصادقة وحدها لن تصلح الأمور. فمجنون كــل إيرانى يعتبر أن أمته عبارة عن الثلاثة آلاف نــسمة الــذين رأيــتهم، ويظــن أن الإيرانيين يقظون ويدس الحطب أسفل رباطهم المهترئ. نحن لا نعتــرف بوجــود الأكسير سواء عند على عليه السلام وسواء عند معاوية. أنا لا أشك فى القوة التى تتولد من بركة قول كلمة إيرانى وكلمة إيران. اللطيف هنــا، إنــك إذا ســألت أى

إيرانى: إذا زرعت اليوم حبة هل ستصبح سنبلة غـداً!! سيـضحك علـى عقليـة السائل.

لقد دونت رأيي في رسالة "معنى آزادى" "مفهوم الحرية". كلما وصل عـدد من صحيفة "صور إسرافيل" أقرأه وأكتب عليه تعليقا، وفيما يتعلق بافتتاح البرلمان والمجالس المحلية؛ فلا يوجد أدنى شك في هذا... في أمان الله. المخلـص، عبـد الرحيم التبريزى".

وكتب أيضا في الرسالة التى نشرت في العدد الثالث والأربعين من صحيفة "انجمن" الصادرة في تبريز:

"كان الإيرانى حتى تلك اللحظة أسيرا لثور الاستبداد ذى القرنين، ولكـن إن لم يصبح قادرا بعد ذلك على إدارة شئونه سيصير فريسة لثور ذى ألف قرن مـن السفلة. وعندئذ سيضحك المستبدون على سذاجتنا، وسيشمت الأعداء المحيطون بنا. وأقول صراحة أعتقد أن هذه المسألة مؤكدة".

لا توجد لدينا معلومات كثيرة عن حياة طالبوف الخاصة، وما نعلمه أنه كان مسلما متدينا أدى شعائر الحج ومع كل هذا لم يكن مقتنعا على الإطلاق بالخرافات المتعلقة بالدين. وندرك من خلال كتاباته أنه كان رجلا محبـا للبـشرية ووطنيـا، وكان مفرطا في وطنيته، فيقول في رسالته إلى يوسف اعتصام الملـك المؤرخـة بالسادس عشر من رمضان عام ١٣٢٦ هـ.ق: "إننى محب للعالم، وأحب بعده تراب تبريز الطاهر. ماذا أفعل فأستاذى لم يعلمنى غير هذا! فكل عمل سـيقدم لتبريـز؛ تستطيعون اعتبارى شريكا فيه وعبدا وخادما وكناسا له".[1]

(١) كان طالبوف مفرطا في وطنيته لدرجة أنه لم يكن يسر للنقد الحقيقى لأوضاع إيران من قبل الصحف وأحرار القوقاز، وكان يعتقد أن على الإيرانى أن يصلح عيوبه بنفسه، ولا يجـوز للآخرين الإساءة إليه بالقول أو النقد. ويقول في الرسالة التى أرسلها إلى ميرزا جعفر خامنه أى: "لا يجب أن يقبل الإيرانى الغيور أن يهجو رجل مغمور من نخجوان علماءنـا وملكنـا ويسب عادات أجدادنا قولا وكتابة يوميا (يبدو أنه يشير إلى ميرزا جليل مدير صحيفة ملا=

ضعف بصر طالبوف فى أخريات حياته، بحيث إنه كان يضع الورقة عند الكتابة والقراءة على مسافة لا تزيد عن ثلاثة أصابع من عينيه، فاضطر للسفر إلى برلين، وقد واكب سفرة إلى برلين الوقت الذى عمل فيه احتشام السلطنة عليمراد سفيرا لإيران فى ألمانيا (١٩٠٢ أو ١٩٠٣).(١)

توفى طالبوف فى أواخر عام ١٣٢٨ أو بداية عام ١٣٢٩ هـ.ق (٢) فى مقر إقامته "تمر خان شوره". ولم يرزق سوى بابنة تسمى "صونا" تزوجت من مهندس يسمى "عمر أوف".

مؤلفات طالبوف:-

أعمال طالبوف القيمة والنفيسة التى طبع أغلبها على ورق فاخر وبخط جميل فى إسطنبول ومصر والقوقاز وحازت على شهرة واسعة أثناء حياته عبارة:-

١- "سفينة طالبى يا كتاب أحمد" (السفينة الطالبية أو كتاب أحمد) ويقع فى جزئين، طبع الجزء الأول منه عام ١٣١١ هـ.ق في مطبعة اختر بإسطنبول، وأهدى الجزء الثانى لميرزا أسد الله خان ناظم الدولة سفير إيران فى إسطنبول وقد وصفه طالبوف بأنه رجل فاضل.

٢- مسالك المحسنين، وهو عن رحلة خيالية، وقد طبع فى القاهرة عام ١٣٢٣هـ.ق طبعة فاخرة مزودة بالصور.

=نصر الدين) فلا يجب أن يتحدث عن عيوب الإيرانيين سوى الإيرانيين أنفسهم وإلا ستمتد لكمة إلى فمه، وهذا الأمر ينطبق على كل الأمم. والكلام ما قل ودل".

(١) ايرج افشار (نقلا عن تقى زاده) مجلة يغما، العام الرابع، العدد الخامس.

(٢) كانت صحيفة شمس الصادرة فى إسطنبول قد كتبت فى العدد الثامن عشر من العام الثالث المؤرخ بالثالث والعشرين من ربيع الآخر ١٣٢٩هـ.ق: "لقد شاهدنا فى الأسبوع الماضى أفول نجم ساطع فى سماء الأدب الإيرانى ... بحزن شديد. وبناء على ذلك يعتقد تقى زاده أنه يجب أن يكون قد توفى فى بداية ذلك الشهر.

٣- مسائل الحيات، وقد ألف بعد مسالك المحسنين ويتحدث خلاله المؤلف مع ابنه الخيالى أحمد على غرار السفينة الطالبية عن قضايا متنوعة متعلقة بالسياسة والحقوق والشئون الاجتماعية، طبع هذا الكتاب عام ١٣٢٤ هـ.ق فى مدينة تفليس.

٤- پندنامه ماركوس قيصر روم[١] رسالة نصائح ماركوس قيصر الروم. ونقلها طالبوف للفارسية عن النسخة التى نقلها الأمير (أوروزوف) للروسية عن اللغة اليونانية بدأ طالبوف الترجمة فى ٢٥ شعبان وأتمها فى ١٢ شوال ١٣١٠ هـ.ق، وطُبعت في مطبعة اختر بإسطنبول.

٥- رسالة فيزيك "رسالة الفيزياء" ألفها بعد رسالة "پندنامه"، وقد طبعت عام ١٣١١ هـ.ق فى إسطنبول وتضم معلومات مبسطة فى الفيزياء.

٦- "نخبة سپهرى" أى "منتخب السماء" وهو خلاصة ناسخ التواريخ، ويتناول السيرة النبوية، طبع لأول مرة عام ١٣١٠ هـ.ق فى إسطنبول، كما طبع أيضا فى طهران عام ١٣٢٢ هـ.ق.

٧- "رسالة هيئت جديدة" "رسالة الفلك الحديثة" وهى ترجمة لكتاب العالم الفرنسى كاميل فلاماريون والذى نقله للفارسية عن الترجمة الروسية لـ "ب. تشاركسون"، وطبعت الرسالة عام ١٣١٢ هـ.ق فى مطبعة اختر بإسطنبول (طُبعت هذه الرسالة بعد ذلك عام ١٣١٢ فى ملحق "گاهنامه" للسيد جلال الدين الطهرانى).

٨- "إيضاحات در خصوص آزادى" أى "توضيحات بشأن الحرية" ألفه فى الفاتح من ذى الحجة عام ١٣٢٤ هـ.ق، وطبع طباعة حجر بأمر مجد الإسلام مدير صحيفة نداء الوطن فى ربيع الآخر ١٣٢٥ هـ.ق بطهران، وهذا الكتاب يعد بحثا

---

(١) ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius (١٤١- ١٨٠م) إمبراطور رومانى وفيلسوف رواقى المنهج.

عن مفهوم الحرية، البرلمان وأهميته، واجبات نواب الشعب، قوانين إيران المستقبلية والضرائب والدستور.

٩- "سياست طالبى" أى "السياسة الطالبية" وهو آخر مؤلفات طالبوف، وقد طُبع بعد وفاته، ويشتمل على مقالتين. طبع هذا الكتاب عام ١٣٢٩ هـ.ق في طهران تحت رعاية الحاج سيد إبراهيم نائب فارس وتحت إشراف ميرزا حبيب الله الشيرازى.

"كتاب أحمد":- إن أعمال طالبوف لا تعد مجرد مؤلفات أو ترجمات سطحية، فالمؤلف مزج حتى في رسالتى "الفيزياء" و"الفلك" الموضوعات العلمية بالعبارات البديعة المحببة، وبناء على هذا فكل عمل من أعماله جدير بالبحث والدراسة، ولكننا سنتحدث بالتفصيل هنا عن عملين فقط وهما "كتاب أحمد" و"مسالك المحسنين" لما يتميزان به من طابع أدبى.

و"كتاب أحمد يا سفينة طالبى" حوار بين أب وابنه الخيالى حول موضوعات علمية مختلفة. كتب بلغة سهلة يفهمها الأطفال، وفى هذا الكتاب قدم المؤلف المولع بالعلوم والثقافة الأوروبية شرحا للعلوم والمخترعات التى اطلع عليها من خلال الكتب الروسية، فيعرض على أحمد وأمثاله من المسنين فى ذلك الزمان- أى ذلك الجيل الذى كان معاصرا للمؤلف- صور برج إيفل وقاعة الموسيقى فى بناية لندن ذات الواجهة الزجاجية والأهرامات والمومياوات الفرعونية، ويعرفهم بالاكتشافات ونتائج العلوم ومظاهر الحضارة الأوروبية تلك الحضارة "الراسخة والمنصفة المهتمة بالإنسان". ومن ذلك الكهرباء والطاقة البخارية وآلة التصوير ومقياس الحرارة، وطبقات الأرض، وطبقات الجو والبوصلة وعجائب البلدان والأشجار.

وقد وصف بطل القصة بقوله: "ابنى أحمد عمره سبع سنوات... وهو طفل مؤدب محب للعب وعطوف، ورغم صغر سنه يميل دائما لمحادثة الكبار ومجالسة

الرجال... وتبدو عليه موهبة فريدة. يجيب عن كل ما تسأله إياه باتزان. يتحدث بهدوء. ويسأل عما لا يفهمه... لو بقيت على قيد الحياة كي أفى بواجب الأبوة – وهو تربية الأطفال وتعليمهم لا غير – سيصبح من المشاهير فى عصره".

حقيقة يعتبر أحمد ذكيا للغاية وموهوبا ومحبا للاستطلاع بالنسبة لعمره البالغ سبع سنوات. فهو ليس طفلا ساذجا تقليديا بل يتصف بصفات رجل عمره ستون سنة، وكأنه فيلسوف صغير، فهو عاقل، بعيد النظر ورصين، وذو تجارب كأنه خبر الدنيا فجمع معلومات على مدى عمر من المطالعة والاحتكاك. وهذا الفيلسوف "الصغير" يزيح الستار فى كل لحظة أثناء لعبه الصبيانى عن أسرار الخلق ومعضلات الطبيعة، وأحيانا يُعرف أهل المنزل والمحيطين به على شىء مما اكتسبه من معلومات.

والمؤلف نفسه يدرك هذه المسألة ويسعى أحيانا لذكر عبارات لينزل بذلك النابغة المطلع على الأسرار والحقائق إلى عقلية طفل عمره سبع سنوات؛ فنادرا ما يتمتع أقران ذلك الطفل بقدرته على الإدراك؛ فيجعل المؤلف الأحاديث بين الأب والابن تدور على النسق الطبيعى. فعلى سبيل المثال يقول فى المسامرة السادسة بعد أن يشرح نشاط الميكروبات ومقاومة الجسم لها: "نهض أحمد من أمامى مستغرقا فى التفكير مندهشا ومضى. شعرت بالندم، فلماذا أحدث طفلا عن موضوع يعجز عن فهمه".

وجاء الحوار بين الأب والابن بأسلوب سلس وبسيط ويبدأ غالبا بتلك العبارة: "قال أحمد: سيدى أليس...؟" وبعدها يأخذ الأب بطرف الحديث ويلقى على مسامعه تفاصيل العلوم الروسية على الرغم من كونها لا تناسب إدراك طفل عمره سبع سنوات. يتكون الجزء الأول من كتاب أحمد من ثمانى عشرة مسامرة طُرحت خلالها معلومات عن مفهوم العبادة والأديان واللغات والخط المسمارى والهيروغليفى، والنار والكبريت والفسفور، والعصر الحجرى والبرونزى والحديث، وشجرة الموز، ومقارنة التقويم الهجرى بالميلادى، وفن التصوير، وقانون الجاذبية، ومدرسة العميان فى باريس، والمسك المستخرج من الغزال فى

التبت، وطريقة صناعة الأحبار والأوراق وكيفية انبعاث الضوء من المصابيح وألعاب الورق، وقد مزجت الموضوعات البسيطة المناسبة لفكر الأطفال بالمعتقدات الفلسفية والمعضلات العلمية المتعلقة بخلق العالم ورقى الأمم والمشاعر البهيمية والروح والعقل والعذاب والعقاب وغير ذلك.

وكلما سنحت الفرصة للمؤلف فى "سفينة طالبى" خلال شرح المخترعات والاكتشافات الحديثة يتحدث عن تقدم الأوروبيين وتخلف الإيرانيين ويقدم لأحمد درسا فى الأخلاق والوطنية وينتقد العادات والتقاليد المذمومة والخرافات والأوهام. فعلى سبيل المثال يقول الأب لأحمد: "يمكنك أن تصبح فى المستقبل طبيبا شهيرا، ولكنك لم تطالع بعد كتاب "التحفة" ولم تقرأ كتاب "القانون". فكل من يملك كتاب "التحفة" فى إيران صار طبيبا.

وإذا أهلت نفسك أيضا بقراءة "القانون" ستصبح عندها كبيرا للأطباء. فكل من يريد أن يفتح محلا للجزارة فى شارع ما لا يُسأل عن ذبائحه".(١)

ويقول فى موضع آخر: "كان أحمد مستعدا. قال: سيدى؛ لماذا يقسم هذا الضيف العزيز (بائع الفيروز الخراسانى) كثيراً؟ هو بالتأكيد يكذب. لقد قلت لى كثيرا إن كل من يقسم أثناء كلامه، هو بالطبع كاذب أو غير مؤدب أو جاهل. فقلت إن القسم علامة على الكذب، ولكن القسم يشكل الجزء الأكبر من حديث التجار وأبناء وطننا. والعامة والخاصة مبتلون بهذا الداء.... فالخاصة يقسمون بحياتهم أو حياة أبنائهم أو يموت أحد الجالسين، ويقسم العامة بالله والرسول والأئمة.. لعن الله الجهل. ماذا يمكن أن نفعل، لابد من أن نجتهد حتى تشرق شمس المعرفة فى السماء".(٢) ويقول أيضا فى موضع آخر: "قال أحمد: سيدى، إن محمود ابن جارنا حبيب الله خان لم يذهب للمدرسة، لكنه يرتدى زى عقيد فى الجيش قلت: يا نور عينى، هذه الأمور تطبق فى الدول المجاورة ولكن فى وطننا لا تزال المناصب وراثية. فكل من يموت يخلفه ابنه "يمكن أن تجد أيضا عميدا عمره خمس عشرة

---

(١) المسامرة الخامسة.

(٢) المسامرة الثامنة عشرة.

سنة".[1] ويقول فى موضع آخر: "قلت يا نور عينى، لا زال الوقت مبكرا كى تتعلم. فلو كان معلم محمود قد قطع المراحل التعليمية كالأهالى فى سائر مدارس الأمم على وجه الكرة الأرضية وأدى الامتحان ليصبح معلما، لكان الجهاز التعليمى لدينا مثل الأجهزة التعليمية فى الأمم المتمدنة.

ولو كانت أبجديتنا فى عُشر سهولة الأبجدية عند الآخرين لوافقت أن تذهب للمدرسة للتعلم، ولكن أبجديتنا صعبة للغاية والشئون التعليمية عندنا غير منتظمة بحيث إننى لن أسمح لك بالذهاب إلى المدرسة لثلاث سنوات قادمة".[2]

الخلاصة يعد كتاب أحمد بمثابة موسوعة علمية مبسطة وسلسلة، أو قصة علمية نافعة تقدم موضوعات ومعلومات قيمة ومفيدة عن الحياة فى شكل حكاية تدور فى نطاق أسرى، ويستفيد أحمد بطل القصة الصغير خلال لعبه مع أخيه محمود وأخته ماهرخ.

وعلى الرغم من أن كتاب أحمد يعد رسالة تعليمية ولا يوجد به متسع للصنعة ورسم المشاهد الأدبية المتنوعة فإنه لا يخلو من العبارات البديعة الرصينة.

مسالك المحسنين:-

يعد مسالك المحسنين قصة أو رحلة خيالية كُتبت محاكاة لقصة "اليوم الأخير للحكيم" لسير همفرى دافى.[3] وتتناول رحلة جماعة من الشباب إلى جبل دماوند بغرض إنجاز مهمة علمية.

---

(١) المسامرة الرابعة عشرة.

(٢) ج١، المسامرة٢.

(٣) Sir Humphry Dovy (١٧٧٨- ١٨٢٩م): وهو عالم بريطانى وواحد من أعظم علماء الكيمياء على مستوى العالم، سافر علمى ١٨١٤، ١٨١٨م إلى إيطاليا، ودون آراءه حول كيفية نشوء العالم وتركيب الأشياء ومرور الزمان وتقدم الأمم وتخلفها فى كتاب عنوانه "اليوم الأخير للحكيم" ويدور فى شكل حوار بين عدد من الأشخاص. ويذهب رجل متمسك بالأفكار القديمة، كاثوليكى، يؤمن بالأخبار والأحاديث الواردة عن عيسى وذو رؤية تاريخية خاصة لمشاهدة الأطلال الرومانية وبرفقته شخص آخر من نبلاء البريطانيين، ملحد، كثير- الريبة ويؤمن بمبدأ الوراثة والعراقة. وتتولد فى رأس كل منهما أفكار مختلفة نتيجة لرؤية آثار تلك الحضارة العريقة، فيدور بينهما حوار عن التاريخ والفلسفة ويتطرقان إلى الوقت الحاضر، ويستنتج المؤلف أن كل ما تم تحقيقه من تقدم عصرى مقتبس عن الأمم القديمة.
ويحصل فلاماريون خلال إحدى رحلاته على هذا الكتاب الذى كان قد أُلف منذ خمسين عاما، فيترجمه عام ١٨٧٢م وينشره ويكتب له مقدمة تفصيلية، ويعتبره مكملا لأفكاره. ويعد كتاب مسالك المحسنين تقليدا لهذا الكتاب الإنجليزى حيث استبدل طالبوف السياحة فى إيطاليا بالسياحة فى جبل دماوند ومازندران، والأشخاص فى الكتابين لديهما نفس الأفكار تقريبا.
(نقلا عن مقالة رشيد ياسمى باختصار، "مجلة "إيرانشهر" العام الثانى، الأعداد ٥،٦).

ففى يوم الاثنين ١٤ ذى القعدة ١٣٢٠ هـ.ق تكلف الإدارة المظفرية الخيالية وفدا برئاسة محسن بن عبد الله وعضوية مهندسين (مصطفى وحسين) وطبيب (أحمد) ومدرس كيمياء (محمد) بالصعود إلى قمة جبل دماوند ودراسة قمته الجليدية الواقعة فى الناحية الشمالية وقياس ارتفاعها وتقديم معلومات عن الجبل للإدارة، وعمل مسح جغرافى للجبل ورسم خريطة لمعابره، على أن ينجز الوفد مهمته خلال شهرين أو ثلاثة. ويسير رفاق الرحلة مشيا على الأقدام بلا خدم أو دواب. ولا نعلم من أين تبدأ الرحلة ولكن يستنبط بشكل عام أنها قد بدأت من طهران.

وتعد هذه الرحلة الاستكشافية حجة وذريعة كى يستطيع المؤلف من خلالها طرح قضايا أخلاقية واجتماعية وتعليمية مختلفة، ويقدم معلومات فى كل مناسبة على شكل مناظرة بين رفاق الرحلة أو الأشخاص الذين يقابلونهم على طول الطريق، وعلى هذا فهو يشبه كتاب أحمد.

لم يكن المسافرون قد غادروا المدينة بعد وإذا بهم يشاهدون ضجة كبيرة فى السوق، فقد مُدَّ حبل فى وسط السوق، ويتعارك البعض عند الناحية الأخرى حيث مد الحبل. واتضح أن ابنة رئيس العشيرة ستتزوج من ابن عمدة الناحية وأن العروس ستسير من السوق على الرغم من قرب المسافة ومع أن الشارع أقل

ازدحاما من السوق. والسبب أن العروس يجب أن تتحرك فى طريقها ناحية القبلة كى تحمل معها البركة والسعادة والإقبال إلى منزل عريسها. ووفقا للعادة شد رجال العمدة الحبل فى الطريق وطالبوا بدفع الرسوم واختلفوا على تحديد المبلغ فنشبت جلبة وضجة شديدة لدرجة أنها استوقفت المسافرين، ولهذا السبب يدور حديث حول التشاؤم والتفاؤل والاعتقاد فى أيام السعد وأيام النحس والتشاؤم من الكسوف والخسوف، والبراهين السماوية.

وبسبب لقاء المسافرين بدرويش متجول أصابه حماره بركلة فى صدره يُطرح تساؤل "إذا حُمل الحمار والدرويش إلى المحكمة للتقاضى، فأيهما سيكون المذنب".

وفى رباط قوافل الشاه عباس ينزل سيادة المستطاب ذكره الحاج ميرزا... سلمه الله والقادم من خراسان، وعندما يعلم سيادته بمهمة هذا الوفد من الصعود إلى قمة دماوند والحصول على معلومات علمية ورسم خريطة للقمة الجليدية فى الناحية الشمالية من الجبل يتحدث عن "السفينة الطالبية أو كتاب أحمد" الذى ألفه رجل تبريزى مغمور وعن الخرافات الموجودة بذلك الكتاب، وعن كلمة "المدنية" التى تبعث السرور وتحبها الأذن فى حين تخفى وراءها المفاسد. ويدور الحديث أيضا عن العلم والصناعة والقوانين الغربية وضرورة مسايرة القوانين عند الإيرانيين لمتطلبات العصر وتغيير الأبجدية عند الأمم الإسلامية، والمخترع الإيطالى الشاب وجهاز اللاسلكى الذى اخترعه وغير ذلك.

وفى قرية "سنور" وبسبب مقابلة العمدة وكاتبه؛ يدور الحديث عن عدم وجود طبيب أو دواء أو دفتر لحصر عدد السكان، وجهل الأهالى، وعند الوصول إلى مضيق "بايقو" ومشاهدة النهر الذى يشقه، والقلعة المشيدة به يتحدث عن أسطورة الحلم الذى رآه الملك الإيرانى قمبيز الثانى وتشييده المعسكر إلى جانب هذا الضيق وحفر الأرض واكتشاف الكنز والألواح المقدسة ونظرية تفوق الأقوى وحكم المنتصر، وفلسفة الصواب والخطأ.

وعلى هذا النحو تطرح موضوعات جذابة ومفيدة فى كل مرحلة من مراحل الرحلة مثل السم ومضاد السموم الذى أعده الطبيب كلمنت مستخدما سم الأفاعى للتداوى من لدغتهم، وكذلك يدور الحديث عن الباب الذى كان المرحوم الأمير (ميرزا تقى خان) قد فتحه على العلم ومدارج الرقى ثم أُغلق بعد موته، وعن من سافروا إلى أوروبا وعادوا منها ولم تتم الاستفادة منهم، وقصة قطع أذن رجل فى مدينة "سمندر" بأمر الحاكم وفظائع أخرى ارتكبها والثورة التى نشبت نتيجة ما ارتكبه من مظالم وأمثال ذلك.

وفى النهاية يصل الوفد إلى سفح جبل دماوند المغطى بالثلوج ويصعد أعضاء الوفد إلى قمة الجبل، فيستمعون من مهدى الحمال البالغ من العمر أربعين عاما إلى تاريخ مضيق "اژدر" (أى الحية)، وأسطورة حرب ملك الحور "تودوز" مع "شمناز" ملك الشياطين في دماوند تلك الأسطورة التى عمرها ألف وخمسمائة سنة، وفى النهاية ينهى أعضاء الوفد مهمتهم الصعبة ويعودون إلى حيث أتوا.

ولكن عندما يلتقى رئيس الوفد بالوزير ويقدم له تقريرا عن المهمة، وبينما يشرع فى عرض بيانات شفهية، يقطع الوزير كلامه بقوله (أنا أعلم، أنا أعلم) وبقوله له "كان سفير بريطانيا قد طلب منى أن أكلفك بهذه المهمة، إن لم يكن هذا فإن معرفة عرض وطول القمة الجليدية ومعرفة ارتفاع قمة دماوند أمر لا يلزمنا.... علينا أن نهتم أولا بالأرض ثم نهتم بعد ذلك بالسماء...إن السفير البريطاني كان يريد أن يقدم خدمة إلى الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية على نفقتنا وبمجهودكم..... لقد ضقنا ذرعا من جراء تصرفات هاتين الجارتين....لابد للوزراء الإيرانيين أن يكون لديهم ثديان مليئان باللبن فيضعوا ثديا فى فم طفل لسد حاجته، ويضعوا الثانى فى فم الآخر...وتسمع كل يوم فى المجلس، اذهب، وسايرهم، أعطهم كل ما يريدون!".

ورغم كل تلك الأوضاع المتردية يُعرض على القراء فى النهاية مشهد يبعث على الأمل. فجلالة الملك مظفر الدين شاه يحضر فى عربة إلى متنزه ضياء

وبرفقته الصدر الأعظم، ويلقى خطابه التاريخى فى حضور أعضاء المجلس الذين وجهت إليهم الدعوة.

"....أعترف فى حضوركم أنا الشاه الوارث لهذا العرش أن الفوضى قد عمت أرجاء الدولة، والرعية تشكو مما حل بها، لكن لا تصلنى مظلمة، فرجال الدولة غلبت عليهم الخيانة، وعندما كنت وليا للعهد بلغت مرحلة متقدمة من العمر خارج السلطة. ولكن يشهد الله أننى لم أغفل يوما واحدا بعد جلوسى على العرش عن التفكير فى تحقيق السعادة للأمة و نشر الحرية والمساواة. وتحديد الحقوق وتعيين الحدود.... وبحمد الله وفقت اليوم لتحقيق تلك الغاية...أستحلفكم بالدين الإسلامى والله الواحد أن تبذلوا كل الجهد من أجل إرساء قواعد هذا البناء الطيب حتى تقدموا علاجا لأبنائنا الأحباء، فلتطلبوا المدد من الله والأئمة ولكم منى الجزاء. وليعبر كل شخص عن رأيه بحرية، فلا خوف اليوم ولا رهبة.... وقد أتينا عنا الأتابك الأعظم وسيقوم بإبلاغ أوامرنا إلى المجلس.... " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينا....". (١)

فيقول الحاضرون بصوت مرتفع "تعيش"، ويوقظ ذلك الصوت الحماسى كاتب القصة من النوم، فيجد المنزل معتما ولا وجود لمصباح أو كبريت. أين يذهب فى ظلمة الليل؟ وماذا يفعل؟ فإذا خرج من المنزل، سيعترضه العسكر..... لا شئ أجمل من النوم، فوضع رأسه على الوسادة واستسلم للنوم ثانية، فإلى متى يظل مستيقظا.

ومسالك المحسنين أفضل مؤلفات طالبوف لأسلوب إنشائه البديع، فهو يصف رحلة جماعة من المسافرين الشباب بأسلوب جذاب وواقعى، ويرسم صورة لصفات فئات مختلفة من الناس وأخلاقهم بمنتهى الدقة وعبارات لطيفة ويجعل القارئ يتابع بعض القضايا مع أبطال القصة. ويكتظ الكتاب كما رأينا بحوارات

---

(١) سورة المائدة: الآية٣.

متعلقة بأوضاع الأهالى والمشاكل السارية فى الدولة وكافة الموضوعات الاجتماعية والشائعة. وتشكل هذه الحوارات بلا شك النواة الرئيسية للكتاب من وجهة نظر المؤلف، فكتبها بشغف واهتمام مفرط. واحتل هذا الجزء من الكتاب الذى يشرح تفصيلا أفكار المؤلف مكانة خاصة لدى الناس فى إيران آنذاك بالرغم من أن تلك الأفكار تبدو للقراء المعاصرين عقيمة وبديهية للغاية. فقد كانت تحث الأهالى آنذاك لأول مرة على التأمل والتفكر فى بعض القضايا الموروثة عن أسلافهم والتى كانوا يرونها طبيعية لا يمكن تغييرها بحكم التعود عليها. وكانت تلك الآراء تؤكد على أن الوضع القائم لا يمكن مطلقا أن يكون هو الوضع المنشود من الحياة وأن الكثير من الأخلاق والعادات والتقاليد من الممكن أن تتغير، ومن الضرورى طوعا أو كرها مسايرة المتطلبات المعيشية المتغيرة على الدوام.

ورسم المؤلف فى هذا الكتاب صورا بديعة وجذابة للمناظر الطبيعية بأسلوب سلسل ودقيق، وإذا تغاضينا عن بعض الأخطاء -مثلما وصف ناحية من جبال البرز بأنها كثيفة الأشجار- فيجب أن نعتبر الكتاب أفضل رواية بين أوائل الروايات التى كتبت بالأسلوب الفارسى الحديث.

لم يكن طالبوف متبحرا فى اللغة الفارسية وآدابها ولم يدرسها دراسة وافية، ولكنه استطاع أن يبتكر أسلوبا جديدا ويفتح بابا جديدا فى الأدب الفارسى نتيجة مطالعته الواسعة واطلاعه على الأوضاع العالمية من خلال اللغة الروسية وآدابها ولما تمتع به من موهبة فطرية وفى ظل أسلوبه السلس غير المتكلف؛ بحيث إنه يجب أن نعتبره واحدا ممن أرسوا أسس النثر الفارسى الحديث. ويقول فى الرسالة التى كتبها إلى ميرزا يوسف خان اعتصام الملك فى السادس عشر من رمضان عام ١٣١٦هـ.ق:-

"..... إننى أعرف اللغة الروسية، ولا أعرف الفرنسية، وأكتب الروسية بخط ردئ، كما أن خطى فى اللغة الفارسية لا يوصف. لا أعرف شيئا من العربية، أعرف الفارسية على النحو الذى يعرف به العرب الفرنسية. وبرغم ذلك

فقد تركت بعض الأعمال المتواضعة كتذكار لى نتيجة كثرة المطالعة والمداومة عليها؛ كى يُكملها أخلافى ويطلقوا علىَّ "مهندس الأسلوب الحديث".(١)

أسلوب طالبوف سلس غير متكلف رصين وفصيح. ومن العجيب أنه استطاع أن يكتب الفارسية بذلك الأسلوب السلس بالرغم من أنه أذربيجانى تركى اللغة أمضى حياته فى روسيا بعيدا عن البيئة الإيرانية.

ومع كل ذلك يجب القول إن هناك بعض المآخذ على نثر طالبوف، ويلاحظ قصور فى اختياره الكلمات والتراكيب على النحو السائد فى اللغة الفارسية لدى العلماء المتحدثين بالتركية فى إيران،(٢) كما أن السهو والأخطاء الإنشائية غير قليلة فى كتاباته،(٣) كما نقل أسماء ومصطلحات علمية أجنبية عن الروسية والتركية ولم يكن لها مقابل فى الفارسية نظرا لإجادته اللغتين المذكورتين، ولم ينقلها عن الألفاظ الفرنسية التى كانت شائعة فى إيران فى ذلك العصر، كما كتبها بإملاء يبدو اليوم غريبا.

ولكن علينا أن نأخذ فى الاعتبار أن اللغة الأم لطالبوف هى التركية الآذرية وأنه كان يعيش لفترة طويلة خارج إيران متحدثا بالفارسية، فضلا عن أن النثر

---

(١) أحمد كسروى: تاريخ مشروطة إيران، ج١.

(٢) مثل "جاموش" التركية بدلا من ("گاوميش" بمعنى جاموس) و"خوخجى" التركية بدلا من ("لولو" بمعنى العفريت) أو عبارة مثل "خيال نمو دم كه اين چه مى فهمد وچرا اين قدر نظرت حيرت آميز مى كند وشكسته نمى خورد. بدلا من ("نمى شكند تا بخورد" بمعنى "تصورت ما يفكر فيه، ولماذا ينظر بحيرة إلى هذه الدرجة ولا يكسر (الخبز) ليأكل")، وكذلك مثل "توسط أحمد قبول غودم". بدلا من ("وساطت أحمد قبول نمودم" بمعنى قبلت وساطة أحمد)، ومثل "اورانمى دانم" بدلا من ("آن رانمى دانم" بمعنى لا أعرفه) ومثل "سر ديگ چرا وقت جوشيدن برجسته مى ريزد" بدلا من ("ديگ چرا وقت جوشيدن سرمى رود" بمعنى لماذا يفوز ما بالإناء عند الغليان) وكذلك "اين امروزها از سيصد مثقال كوچك نمى شود". بدلا من ("كوچكتر/ سبكتر" بمعنى "لا تقل هذه الأيام عن ثلاثمائة مثقال").

(٣) مثل "عيوبات" و "امورات" و"ارذل ترين" و"استقلاليت" واستخدام كلمة "همينكه" بدلا من "جزاينكه" أو "اما"، و"گهواره نشستن" فيما يتعلق بأحمد البالغ من العمر سبع سنوات، والواضح أن قصده" تاب نشستن وتاب بازى كرد ن است". أى القدرة على الجلوس والقدرة على اللعب.

الأدبى خاصة فى المجالات العلمية فى عصره كان يتصف بالحداثة فى إيران نفسها، ولم يكن للكلمات والمصطلحات العلمية الأجنبية مرادف فى اللغة الفارسية. وبالنظر إلى هذه المعطيات إذا قارنا بين أعماله ومؤلفات المعاصرين له بل والكثير من المعاصرين لنا سوف ندرك بوضوح مكانتها الأدبية الرفيعة، خاصة أن ترجمات طالبوف تتميز فى الغالب بالبساطة والوضوح وسهولة الفهم. فعلى سبيل المثال يستخدم أخلافه "ترشيدن وپوسيدن" بدلا من "تخمر وتفسخ" (بمعنى التخمر والتحلل) وبدلا من القول "هوا اشباع شده يانشده" (بمعنى الهواء المشبع أو غير المشبع) يقولون "هوا سير شده" أى (أى الهواء الشبعان) كما أن المؤلف أدخل الكثير من التعبيرات اللطيفة لبيان المظاهر العلمية الغربية نظرا لولعه بالمدينة والتقدم الحديث بالعالم، ومن هذا يسمى أسطوانة الجرامافون "اللوح المحفوظ" ويسمى الموتور" أم الأسباب".(١)

وها هى عدة نماذج من أعمال طالبوف:-

من مسالك المحسنين:-

● "فتحت الخطاب الثالث. يقول: يا محسن قد أتاك المسئ. لا زلت عاطلا ومن حياتى ضائقا. لقد ولى عهد الرجال وفقا لقول المرحوم قائم مقام "مضى زمن والناس يستشفعون بى" واليوم زمن السفلة.

ما ضرورة الإحساس والكفاءة، فلتُحْضِر الذهب لذلك الرجيل. أسود البشرة بديع الجمال؛ الذى تعرفه، فقد حصل على منصب أمير فى الجيش. من الذى

---

(١) مثل "يفير" ("اثر" بمعنى الأثير) و"آلكاغول" ("آلكل" بمعنى الكحل) و"باتسل" ("باسيل" بمعنى بكتريا عصوية الشكل) و"پرافسير" (پرفسور) و"خلر" ("كلر" بمعنى غاز الكلور) و"ماكنه" (ماشين) و"واغون" ("واگن" بمعنى قطار) و"پوچط" ("پست" بمعنى البريد) و"اسوج" (سوئد" أى السويد) و "نورويج" ("نروژ" أى النرويج) و"گمناستك" ("ژيمناستيك" بمعنى التربية البدنية) و "بالجق" ("بلژيك" أى بلجيكا) و"چيگائو" ("شيكاگو" أى شيكاغو) و"تلغرام" ("تلگرام" أى تلغراف) و "شاق لاد" أو "شغالاد" ("شكلات" بمعنى شيكولاته) و "قوة الكتير" ("الكتريسته" أى الكهرباء)، "سمولر" ("سماور" بمعنى غلاية) و "قرال" بدلا من (شاه).

يستطيع أن ينكر أن رجالنا يتم تقديرهم؟ أتعلم كم سهر من الليالى؟ فمن طلب العلى سهر الليالى ستقول لى إن أمير الجيش فى إيران ليس لديه جيش، فهو كالحضيض بلا قمة، أو السراب بلا موج، فالمتلقى مظلوم لا المُعطى. نعم إن قياسى لا أساس له في تحديد من الأحمق البائع أم المشترى!! وبعد ذلك أنا مستعد لتدارك ما مضى. المخلص لكم عبد الله(١).

• ابن عمى الحبيب، ألتمس لديك العذر لتأخرى فى الكتابة لك ولكن عفوك يعشق ذنوبى. لم أكن أجد وقتا منذ فترة للأكل والنوم وهما من أسباب الحياة، ولا وقتا للهلاك والموت وهما باعث لتحرر الروح من أيدى رجال الدين المحرومين من الفيوض.

لقد تحررت منذ ثلاثة أيام من قيد البلاء واسترحت. وأدركت الآن كيف يتقطر لبن الأم من أنف رجل مسن عمره سبعون عاما!! نجوت من يد ذلك السيد الشرير أى نائب الصدارة (وهو نائب وزير العدل فى عهد ناصر الدين شاه) شديد القسوة أى اليد اليسرى لسيادة حامى الشريعة، فكل ما فعله معى يتسم بالوقاحة!... أقنع ورثة الحاج محرم القاضى بأخذ البقرة وكسر المصباح، وحددوا العشر للسيد أى ثلاثة آلاف تومان، لم يبق شئ فى وضوح النهار من ممتلكاتى التى بلغت من القدم مائة عام كى يسلبونى إياها...أحضرت ألف واسطة، وتوسلت للسيد كى يوافق –مراعاةً لصداقته بوالدى– على أن يشترى أملاكى بعشرة آلاف تومان رغم أن قيمتها تبلغ خمسين ألف تومان وأن يتفاهم مع المدعين بنفسه...سيذهب جزء كبير من هذا الذهب القليل هباءً للحاج ميرزا جليل؛ اليد اليمنى للسيد مهلك الملاك. ومن المعلوم أن جزءا تافها سيتبقى لصاحبه..ارتفعت قيمة الأملاك عشرة أضعافها، صار القمح يعادل فى قيمته دم البشر، ونزلت من سماء الاحتكار أوراد جديدة لعبيد القمح "اللهم ارزقنا قرية واسعة ومزرعة تاسعة".... إلخ، رحم الله الحاج ميرزا عبد الرحيم التبريزى فقد كتب فى كتابه "كاشف الأسرار" عن القحط

---

(١) مسالك المحسنين ص ١٢٨.

الذى حدث عام ١٢٨٨ وقال: أين المحتكرون ذوو النفوذ في إيـران مـن الـدين والإيمان؟..... "فَأَبَيْنَ أن يَحْمِلْنَها "(١).. فى رأيى أن القمح أخرج آدم من الجنة كى يذهب الإنسان إلى جهنم.....".

من مسائل الحياة:-

● "سألنى أحمد- أمازلت منشغلا بالكتابة؟ لماذا تضيع عمرك رغم الشيخوخة وتلك الأمراض المتعددة والوهن الشديد وضعف الإبصار؟ فلو أن الناس قد سمعوا وقرأوا كل ما قلته وكتبته حتى الآن لكفى هذا لإيقاظ كل غافل وإفاقـة كـل ثمـل وتأديب كل وقح وتعليم كل جاهل وتلقين العدل لكل ظالم مهما كان.

أترى؛ إن قطرات المطر لا تؤثر فى القلب الإيرانى الذى صـار كالجمـاد مثلما لا تؤثر على الحجر الصوان، وسمعت منهم اتهاما بالجنون وضعف الإيمـان بدلا من كلمات الرضا والاقتناع.

إن ما تفعله هذا ظلم لنفسك وللمقربين لك. منذ عدة أيام كان الناس يتبادلون كتابك "الفلك" فى أحد المجالس، فوصف واحد غلافه وآخر خطه وثالث أطرى على الرسومات الموجودة به. وقال واحد من ذوى الـسلطة بأسـلوب متكبـر -وهـو الأسلوب المتوارث والمحبب لدى متصدرى المجالس الأدعياء:- لقـد سـمعت أن مؤلف هذه الافتراءات ذو مكانة وثروة؛ ولكنهم يقولون إنه مجنون، فكل ما يقولـه ويكتبه ليس إلا عن الإصلاح، ألا يسأله أحد ويقول له يا عبد الله ماذا حدث لوطننا وما العيب فيه مع ما ينعم به من فاكهة الجنة وما يفوح به من رائحة الخبز، الـذى لا يوجد فى أى مكان، إذن ماذا حدث وما العيب الـذى صـار مـن الـضرورى إصلاحه؟ قال أحد الجالسين: لقد قابلته، لا يمكننى القول إنه مجنـون، فالمـسكين معقد، ومصاب بحب الذات. لا يُحب فى إيران إنسانا أو طبقة من الطبقات. حدثته عن الحكومة فقال هى بلا قانون وتعمها الفوضى، سألته عن الحكام أجاب: ظالمون

(١) الأحزاب الآية ٧٢.

جبارون مرتشون، حدثته عن المتعلمين قال يجيدون رسم دائرة الميم والنون ولكن لا يعرفون الهندسة ولم يدرسوا الحساب، سألته عن طلاب المدارس قال: لقد تعرفوا جيدا على "يغما"[1] سألته عن العلماء أجاب: أولئك المقيمون في العتبات ليس لديهم الحرص والطمع ولا تعنيهم الرفاهية في شيء، ويفضلون تناول الخبز والبصل على الدجاج، وهم آباؤنا الروحيون وطاعتهم واجبة لأنهم في مقام الأئمة... لكن أغلب أولئك الموجودين في إيران، إقطاعيون محتكرون يحبون الفتن وغوغاء السفلة، وينحنون تعظيما للنعال، ويبلغ دخل أملاكهم من ثلاثين ألف إلى خمسين ألف تومان سنويا... سألته عن التجار أجاب هم فجار، ولا تعود منهم فائدة على المملكة والأمة سوى أنهم يروجون للسلع الأجنبية ويحتكرون الغلال.

ودار الحديث ذات يوم عن ملابس النساء فقال: لقد جعل الإيراني قِصر ملابس النساء مقياسا صحيحا لحميته وشعوره.... أُقسم إنني سمعت كل هذا الكلام مباشرة من مترجم هذا الكتاب الحاج ميرزا عبد الرحيم التبريزي وفي منزله في "تمرخان شورا". فلتحكموا الآن هل هو معقد أم مجنون. تنهد أحمد بعد نقله لهذه الأخبار وقال: إن ما قلته يكفي كي تعرف أن كل ما تجشمته من متاعب في سبيل هذه الأمة الجاهلة قد ضاع هباءً...

كنت أستمع إلى أحمد وأنا أكثر إحباطا منه، فلماذا يظن أن رأي الآخرين يجبرنا على ترك العمل أو مواصلته، ولماذا نسي حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولماذا لا يدرك أن الطريق يكون صعبا ووعرا في البداية. أردت أن أرده إلى الصواب فسألته: أكان ما قاله عني أولئك الجهلاء حقا أم باطلا، هل كان مدحا أم قدحا؟

فأجاب: كان باطلا وهو مدح في الواقع. فقلت: إذن ماذا يكون الفرق بيني وبين أولئك الجهلاء لو أنني امتنعت عن مواصلة عملي من أجل حفنة أشخاص

---

(١)المقصود الشاعر يغماي جندقي من شعراء العصر القاجاري.

يتصفون بسوء الظن ويبحثون عن عيوب الناس، وصرت لا أتكلم ولا أكتب عما أعرفه؟ كنت أتحدث حتى اليوم في مواربة، والآن سأتحدث علانية وأنا فخور بما أقول. فالوطن معشوقي، والوطن معبودي؛ لأن المعبود الحقيقي لا يحتاج إلى مدح عباده ولكن الوطن محتاج لإطراء أبنائه.

من "إيضاحات در خصوصى آزادى" (توضيحات بشأن الحرية):

● "هل معنى الحرية أن يفعل كل شخص ما يحلو له، ويغير قطاع الطرق على القوافل، ويسلب المارقون كل ما يريدونه، ويتطاول الأشرار فيقتلون، وينهبون، ويكتب كل جاهل كل ما يحلوله من اتهامات وافتراءات، ويتجمع السفلة للسطو على كل من يرغب في المرور، أو يقيم التجار والعلماء مجلسا ويلقون على الناس كل ما يدور في مخيلتهم باعتباره أوامر إلهية واجبة الطاعة، فيلقون القبض على المتمردين ويحبسونهم ويعاقبونهم. هل يمكن أن يهنئ بعضنا بعضا على هذا التسيب والانفلات المثير للدهشة ونضئ المصابيح ابتهاجا؟ أم يجب أن ننجو بأنفسنا ونلوذ بمكان آمن على وجه السرعة؟

هل الحرية بمعنى الحرية الفطرية أى أن كافة البشر أحرار ومخيرون في جميع أفعالهم وأقوالهم بالفطرة، وأن لا شئ يمنعهم عن القول والفعل سوى أنفسهم وإرادتهم وأن الله لم يخلق قوة تستطيع أن تردعهم بحيث لا يقدر أحد دون جدال على التدخل في حريتنا هذه.

سيدرك قارئ هذه السطور المحترم بلا عناء أن الإنسان كان ولا يزال وسيظل ينعم بهذه الحرية وهي ليست موضع جدال. إذن لم يتضح بعد ما الحرية التي تسبب لنا السعادة والسرور؟

نعم، هذه الحرية بمثابة ذخيرة روحية عامة، جمعها سكان إيران تدريجيا وحفظوها في خزينة تسمى الأمة، وأخذوا جميعا يتاجرون بتلك الثروة. وكانت مكونات تلك الثروة عبارة عن ذهب الشرف والمعرفة الخالص، ومسكوكات من فضة الناموس والأدب.

كانت هذه الثروة مقدسة بمعنى لم يكن يطمع فيها أحد، ولو حدث وأراد فرد من السكان أن يأخذ جزءا من نصيبه أو نصيبه كله بمعنى أن يعطي شرفه للآخرين ليمارس أعمال الوضعاء أو ينفض يده عن تحصيل المعارف أو ينفق ما يملكه من شرف وأدب على الملاهي والمحرمات ففي هذه الحالة كان يُمنع عن ذلك وكانت توقع عليه عقوبات مغلظة. فبهذه الثروة العامة كان كل فرد يستطيع فقط أن يكتسب الشرف والمعرفة والناموس والأدب، بمعنى أنه كان يجوز تبادل الثروة بشئ من نفس المكونات وكلما أحرز فرد المزيد منها يسدده إلى الخزانة العامة...

.....لنعود ثانية لحريتنا. ونرى من سلبنا الشرف والناموس والأدب، من ذلك الكسول الجاهل المغرور الذى تسبب في حلول الغضب علينا فخسرنا هذه الذخيرة الروحية وصرنا مبتلين بهذا الذل وتلك النكبة التاريخية على مدى قرون متعددة؟

إن المؤرخين غير المغرضين سيجيبون على كل هذا لأخلافنا المحظوظين للتذكرة؛ ولكني سأكتفي بإشارة مختصرة. فبعد أربع سنوات من جلوس ناصر الدين شاه أى بعد استشهاد أمير كبير، اقتضت سياسة البلاط واستقلال ذوى النفوذ إقصاء الرجال الحكماء الأكفاء عن مركز الحكم وإشراك الأراذل والجهلاء السوقة والسماح لهم بالعبث واللهو بحيث لا تكون لديهم قدرة تتبع الأخطاء داخل الحكومة ولا إثارة الفتنة خارجها بمعنى عدم المقدرة على تنفيذ عمل صائب... ولكي تتوفر سلع للمقايضة في سوق تجارة الأمة بدلا من الثروة المنهوبة قاموا بسك كميات وفيرة من عملة التملق والخيانة والإلحاد والوضاعة والخسة وقاموا بحفظها في خزانة سوء الخلق. واستخدموا هذه الكفاءة في سلب ونهب ثروة الأمة الروحية واستغلوها بمهارة أكثر لسلب ثروة الأمة المادية. فمعدن الذهب في المملكة صار هباءً فجأة كأنه لم يكن، وبدلوا الفضة بالنحاس، لدرجة أن فقر الأمة الإيرانية الروحي والمادى وصل إلى حد أنه لم يُكتب في تاريخ الأمم حتى الآن عن حالة مشابهة، "وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون".[1]

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

٢- الحاج زين العابدين المراغي:

لابد لنا خلال الحديث عن الرواية النقدية أن نذكر أولا الروايــة الــسياسية "سياسحتنامــة إبراهيم بيگ يا بلاى تعصب أو" أى "كتاب سياحة إبراهيم بيــك أو بلاء تعصبه" الذى حظى بشهرة واسعة فى عصره فكان يُقرأ فى كافة أرجاء إيران بولع شديد.

مؤلف هذا الكتاب الحاج زين العابدين بن المشهدى على، وكان والــده مــن أثرياء التجار فى أذربيجان، وانضم زين العابــدين فــى وقــت مبكــر للأحــرار والمؤيدين للإصلاح.

كان آباؤه من أكراد ساوجبلاغ (مهاباد حاليا) ومن أعيان تلك الناحية ممــن يعتنقون المذهب الشافعى السنى، ولكنهم تشيعوا فيما بعد، وعملــوا بالتجــارة فــى مراغة "وصاروا من أثرياء تلك الديار لامتلاكهم ثروة تقدر بخمسة آلاف تومان".

ولد زين العابدين عام ١٢٥٥ هـ.ق، والتحق بالمدرسة الابتدائية فــى ســن الثامنة وقضى بالمدرسة ثمانى سنوات وحظى بقدر بسيط من التعلــيم وفــى ســن السادسة عشر لازم والده ولما بلغ العشرين من عمره ذهب إلى أردبيل ومنذ ذلــك التاريخ صار فى أردبيل ومراغة على حد قوله "من الأعيان، وأصبح من أصحاب الخيول والخدم والحراس المسلحين بالبنادق، كما امتنع عن دفع الــضرائب وأخــذ يتفاخر بمعاقبته لقطاع الطرق ومن يتطاول بالألفاظ وكأنه حاكم أو رئيس عــشيرة أو جلاد".(١)

وعلى هذا النحو "استهوته الزعامة فكان ينفق أكثر مما يكسب، ولــم يكــن يسجل الأشياء على نحو صحيح أو يحسبها" وفى النهاية حلت عليه المشاكل من كل ناحية وصار من العسير عليه العيش فى إيران واضطر لمغادرة البلاد مــع أخيــه وتوجه إلى القوقاز برأس مال ضئيل مثل الكثير من التجار المفلــسين فــى ذلــك

---

(١) ترجمــة حال مؤلف: سياحتنامــة إبراهيم بيگ، ج ٣ كلكتا ٩: ١٩م.

الزمان، وأقام في تفليس حاضرة ولاية الجرج (جورجيا) التي لم يكن يعيش بها أحد من الإيرانيين آنذاك، وجمع أثناء عمله بالبقالة على مدى أربع سنوات مبلغا من المال، وبالتدريج توافد إلى تفليس عدد من العمال الإيرانيين وعينه ميرزا أسد الله خان ناظم الدولة قنصل إيران في تفليس نائبا للقنصل في مدينة "كتاييس".

ويقول بنفسه حول هذا الموضوع: ".... وفي ذلك الوقت صرت قنصلا وكبيرا للقوم وتاجرا أيضا، وصار من بين واجباتي رعاية المواطنين الإيرانيين الذين كانوا فقراء ومفلسين تماما، وأخذت أستخرج لهم بطاقات هوية ووفرت لهم متطلباتهم، من ملبس ومأكل. وبعد فترة وجيزة اكتظ المكتب: وأخذ مني علي خوئي مائة مَنّ[1] وأخذ حسينقلي التبريزي سبعين منا، وفلان السلماني خمسين منا.... وسلبوني كل ما ادخرته على مدى عدة سنوات، ثم فر أحدهم، وألقي القبض على الآخر، ولعب أحدهم القمار ومرض الآخر..."[2]

الخلاصة أنه أفلس واضطر للذهاب إلى القرم، وهناك افتتح حانوتا، وكان أخواه يذهبان من حين إلى آخر إلى إسطنبول لشراء بعض البضائع وبيعها بسعر أعلى في القرم، حتى جمعا رأس مال لا بأس به في فترة وجيزة.

وفي عام ١٢٩٤ هـ.ق اشتعلت الحرب بين روسيا والدولة العثمانية، وسافر الإخوة إلى "يالتا" المدينة الصيفية للإمبراطور، وهناك ازدهر عملهم وأخذوا في التعامل مع الأمراء ورجال البلاط والديوان، وقدمت إحدى الأميرات – وهي زوجة الأمير فرانسوف–[3] زين العابدين للإمبراطورة وعلا شأن الإخوة لدرجة أن أُطلق عليهم "التجار الإيرانيون الأمناء".ثم طُلب منه أن يوافق على التجنس بالجنسية الروسية ليحظى بامتيازات، فوافق على ذلك لإصرارهم ونظرا لما كان

---

(١) مَنّ: وزن فارس يختلف من منطقة إلى أخرى في إيران ومن عصر إلى آخر.
(٢) ترجمة حال مؤلف: سياحتنامة إبراهيم بيك، ج٣، كلكتا ١٩٠٩م.
(٣) كنياز ميخائيل سيمونو يتش (١٧٨٢– ١٨٥٦م) من القادة الروس الذين شاركوا في الحروب التي دارت بين روسيا ونابليون وتركيا، وكان رجلا إصلاحيا.

قد لاقاه من أذى وإهانة من قبل القنصلية فى إسطنبول، وصار مواطنا روسيا بعد أن أدى القسم. وبعد عدة سنوات تزوج فى إسطنبول وحمل معه زوجته إلى يالتا ورزق منها بثلاثة أبناء وعاش لسنوات طويلة هناك فى رغد من العيش.

ولكن حبه للوطن لم يدعه يشعر بالراحة للحظة فكان يعاتب نفسه دائما لشعوره بالخيانة تجاه دينه ووطنه ولأنه "وضع فى عنقه طوق لعنة الجنسية الأجنبية"، وفى ذلك الوقت كان أخواه يتعرضان لظلم الحكام المستبدين بينما هو يعيش فى راحة وهدوء فى بلاد الغربة بعيدا عن النزال السياسى وكان يشعر دائما بتأنيب الضمير.

وظل يصارع هذه الأفكار سرا لفترة إلى أن اتخذ قراره وباع حانوته وما به من بضائع بثمن بخس، وسافر إلى إسطنبول، وترك بها أسرته وتوجه إلى مكة لأداء فريضة الحج. وكان الحاج زين العابدين يعيش فى إسطنبول حاملا الجنسية الروسية وفى النهاية قدم طلبا للحكومة الروسية وذلك عن طريق ميرزا محمود خان علايو الدولة سفير إيران فى الدولة العثمانية، وكان يبدو هذا الأمر فى البداية عسيرا ولكن الأمير أرفع الدولة تمكن من تحقيقه، وقُبل الطلب بعد فترة فى التاسع من فبراير عام ١٩٠٤ (ذى القعدة ١٣٢١ هـ.ق) وهو اليوم الذى نشبت فيه الحرب الروسية اليابانية.

وقرر الحاج زين العابدين الاستقرار فى تركيا وناضل نضالا سياسيا فى سبيل خدمة وطنه بشغف كبير عن طريق الكتابة.

واعترف بنفسه أنه "لم يقرأ كتاب المعانى أو البيان أو المنطق أو البرهان ولم يطلع على العلوم والآداب" ولكنه كان على كل حال رجلا متعلما قارئا ومطلعا على الأوضاع فى عصره ومن الوطنيين الساعين فى سبيل الحرية، وخلال إقامته فى تركيا كان يساهم فى صحيفة "شمس" الصادرة فى إسطنبول بمقالات ناقعة وكذلك فى صحيفة "حبل المتين" الصادرة فى كلكتا إلى أن توفى فى إسطنبول عن عمر يناهز الثالثة والسبعين.

كتاب سياحة إبراهيم بيك:

يقع هذا الكتاب فى ثلاثة أجزاء مستقلة تماما وصدر المجلد الأول دون ذكر اسم مؤلفه الذى ظل مجهولا لمدة اثنتى عشرة سنة، بل إن البعض كانوا يلمحـون إلى نسبة الكتاب إليهم. وبناء على هذا تم القـبض علـى عـدد مـن الأشـخاص وملاحقتهم من قبل رئيس الوزراء ميرزا على أصغر خان بتهمة تأليف ذلك الكتاب "وكان الكاتب يتألم ويتعذب باستمرار لإلحاق الأذى والضرر بعبيد الله بسببه، ولأن أبناء وطنه الأبرياء يتعرضون للإيذاء جراء عمل قام بـه بعقيـدة صـادقة ونيـة حسنة".(١) وبعد إقرار الدستور نشر فى الجزء الثالث اسم الحـاج زيـن العابـدين المراغى التاجر فى إسطنبول.

و"لم يصدق الناس أن يكون مثل هذا الكتاب القيم نتاج تاجر بـسيط، وقـال بعض الأعداء إن من قام بتأليف المجلد الأول وطباعته ميرزا مهد يخان المحـرر بصحيفة "اختر" وإن الحاج زين العابدين ألف الجزأين الثانى والثالـث بعـد وفـاة ميرزا مهديخان ونسب الأجزاء الثلاثة لنفسه.(٢) ولكن هـذا الـرأى غيـر مقنـع، فالجزءان الثانى، والثالث اللذان من تأليف الحاج زين العابدين بلا أدنى شك لهمـا دليل على اطلاع الكاتب وغزارة معرفته.. ولكن من الممكـن أن يكـون ميـرزا مهديخان أو كاتب مطلع آخر قد قدم المساعدة للحاج زين العابدين وهذا لا يقلل من قيمة جهد الحاج المذكور".(٣)

إن مؤلف كتاب السياحة اللبيب كان مدركا تماما لدوره الخطير سواء مـن حيث اختيار الموضوع أم من حيث أسلوبه الإنشائى. فيقول فـى مقدمـة الجـزء

---

(١) ترجمـة حال مؤلف: سياحتنامـه، ج ٣ كلكته ١٩٠٩م.

(٢) حتى أنه يقال (إن أصل الكتاب باللغة الإنجليزية وإن ميرزا مهديخان ترجمه إلى الفارسـية بعد تعطيل "اختر" ونظرا لعدم مقدرته على طبع الكتاب فقد تعهد الحاج زين العابدين التاجر المراغى بدفع تكاليف الطبع). (تاريخ جرايد ومجلات تأليف محمـد صـدر هاشـمى ج١، ص٦٤).

(٣)أحمد كسروى: تاريخ مشروطه إيران، ج ١ ص٤٦.

الثالث: "... ليعلم كل الخيرين والأشرار أنه قد آن الأوان لكن تُذكر أسماء المحسنين بإحسانهم وأسماء المسيئين بإساءتهم، وبعد ذلك تقيِّم الأمة كل إحسان وكل إساءة وتدون في صفحات تاريخ الأمة نتيجة كل عمل للتذكرة... وهذا النوع من الكتابة فرض عين على كل مؤلف وفقا للشرع كي يسلك المفسدون الطريق المستقيم فإن لم يكن لديهم رغبة في ترك ما ألفوه فعلى الأقل سيقللون لا محالة من أعمالهم السيئة.... وحتى الآن لم يُكتب في وطننا العزيز عن هذا النوع من الموضوعات ولم يتحدث فرد عن الوطنية ولم يحرر أحد موضوعات مفيدة بأسلوب ييسر للعامة الاستفادة منها طبقا لمتطلبات العصر. فكل ما كُتب يدور حول هوس عشق البلبل للزهور والفراشة للشمع أو إبراز فضائل المؤلف أو مدح ممدوح لا يستحق المدح... ليعلم المواطنون أنه يوجد عشق آخر أيضا غير عشق المجنون لليلى وفرهاد لشيرين ومحمود لإياز الذى لم يتناول الأدباء والشعراء الإيرانيون المشهورون سواه في كتبهم وقصائدهم..." ثم يضيف: "إن الكتابة غير المتكلفة من متطلبات العصر. فيجب على الأدباء الإيرانيين البارعين في الكتابة والإنشاء أن يقدموا للخاصة والعامة مفهوم الوطنية من الآن فصاعدا بكلمات واضحة وعبارات بسيطة نظما ونثرا، ويؤسسوا أسلوبا بسيطا في الكتابة ويشجعوا على استخدامه".

وفي النهاية يضرب مثلاً[(١)] للاستدلال ويناشد الكتاب والعلماء قائلاً: "يا أصحاب القلم والمعرفة، إن هذه الكتابة قالب أجوف بلا روح فعليكم أن تكسبوها روحا حتى تُبعث فيها الحياة!".

---

(١) يقول المثل: سافر نجار وخياط وعابد معا، ووصلوا في ليلة مظلمة إلى مكان مخيف، فاتفقوا على أن يظل كل واحد منهم مستيقظا جزءا من الليل، وكانت نوبة الحراسة الأولى للنجار، فصنع هيكلا من الخشب، أما الخياط فصنع رداءً يناسب ذلك الهيكل وفي النوبة الثالثة دعا العابد ربه فبعث الروح في ذلك الهيكل الذى لا روح فيه.

أما كتاب السياحة فيدور موضوعه عن إبراهيم بيك بطل القصة وهو ابـن تاجر آذر بيجانى كبير، كان قد سافر إلى مصر للتجارة منذ خمسين عامـا (قبـل تأليف الكتاب)، وكون فى فترة وجيزة ثروة كبيرة. ولم يتخل هذا التـاجر الأمـين الصادق مطلقا عن التقاليد الشعبية و "لشدة تعصبه العرقى لم يتحدث مع أحد بكلمة عربية لعدة سنوات بل إنه لم يرغب فى تعلم العربية". ولما بلـغ إبـراهيم عامـه العشرين مات والده.

وكان شابا لبيبا غيورا عفيفا متدينا ومتعصبا، تعلم اللغات الأجنبيـة فـضلا عن لغته الأم وكذلك العلوم الشائعة آنذاك. وأوصاه والده فى لحظات حياته الأخيرة أن يقوم بالسياحة فى كل أنحاء العالم حتى سن الثلاثين ويقيم فى كل مكان فترة من الوقت ويتابع بدقة الأوضاع المعيشية لجميع سكان تلك الـدول.. وأن يـدون فـى مفكرته تاريخ وصوله إلى كل بلد يسافر إليها وتاريخ مغادرته لها فضلا عن كافـة مشاهداته اليومية إلى أن "يحين الوقت لاستخدامها".

وفى الثامن عشر من شهر... بعد انقضاء ساعتين من النهار يتوجه إبراهيم بيك برفقة مربيه العم يوسف من مصر إلى الإسكندرية "ميناء بر مصر"[1] بالقطار بغرض زيارة مشهد المقدسة ووطنه، وينتقل من هناك إلى إسطنبول ومنهـا إلـى باطوم وتفليس وباكو وانزلى وسارى ومشهد سر[2] وأوزون آدا وعشق آباد وأخيرا يصل إلى مشهد.

وعند وفود الرحالة الشاب إلى منزل المؤلف (الحاج زيـن العابـدين) فـى إسطنبول يرى بين كتبه نسخة من "كتاب أحمد" فيحمله ليسلى نفسه بمطالعته أثنـاء الطريق، وبعد قراءته للكتاب أثناء الطريق واطلاعه على موضوعاته ينفعل بـشدة

---

(١) منذ أن وصل إبراهيم إلى سن الإدراك لم يتلفظ باسم الإسكندرية بسبب غزو الإسكندر لإيران وتدمير الكثير من مظاهر العمران فى تلك الدولة وإحراقه مدينة اسـتخر عاصـمة إيـران القديمة وقتل دارا.

(٢) بابلسر الحالية.

لأن مؤلفــه طالبوف يتهم الإيرانيين نتيجة جهله بأوضاع إيران أو السهو والخطــأ أو الغربة عن الإيرانيين. ويكتب في رسالته إلى مضيفه عن كتاب أحمد: بــالرغم من أن مؤلف الكتاب يبدو رجلا عالما وفاضلا وعبر عن الكثير من الموضــوعات الرئيسية والمهمة ولكنه كتب عن أوضاع إيران بالتلميح والإشارة ويتضح مما كتبه أنه إما لا يعلم شيئا عن إيران أو أنه أخطأ أو أنه ليس منا(١)....ولكنه ما إن يــصل إلى باطوم يرى عددا غفيرا من الإيرانيين في حالة مزرية للغاية، ملابــسهم رثــة ممزقة، ووجوههم شاحبة تعبر عن الوهن، ويخبره مواطن يدعى على اللنكراني أن كافة مدن ومراكز وحتى قرى القوقاز مكتظة بأمثال هؤلاء الإيرانيين الذين غادروا وطنهم نتيجة تطاول الحكام وظلم الأمراء والعمد والخفراء، فمــلأوا بــلاد الــروم وروسيا والهند ويعملون طوال النهار تحت حرارة الشمس وحتــى المــساء فــي السخرة وحمل الطين ونقله. فيصاب بالدهشة ويسيطر عليه الحزن لأول مرة.

يطرق بطل القصة كل الأبواب في طهران ويسأل كل الرجال فلا يصل إلى نتيجة ويجد الجميع غارقين في خدر الثمالة غافلين عن عالم الوجود ويعتزم العودة يائسا محبطا، ويصل إلى تبريز بعد زيارة مدن قزوين وأردبيل ومراغــة وبنــاب وأروميه، ثم ينتقل منها إلى مرند على شاطئ نهر آرس ومنها إلى بــاخوم ثانيــة ويعود في النهاية إلى مصر.

ويسجل إبراهيم بيك تفصيلا ما رآه وما حل به خلال رحلته الطويلة، وينتقد كافة أوضاع الدولة من خلال هذه الأحداث، وبعد الانتهاء من ذكر رحلته في كــل مدينة أو مكان يذكر خلاصة عن أوضاع وأخلاق وعادات أهل ذلك المكــان ومــا يعانونه من مشاكل تحت عنوان "وهذا مجمل لسياحة قزوين أو مراغة أو غيرهــا" ويختمها غالبًا بعبارة "موتى أحياء، أحياء موتى!"

---

(١) من الواضح أن المؤلف قرأ مؤلفات طالبوف أو على الأقل "كتاب أحمد" واستفاد منها ويذكره في كتاب السياحة بإجلال بلقب "الحكيم يقظ الضمير" و "الرجل الجليل".

وعلى هذا النحو يصف بلغة سهلة وأسلوب مؤثر مشحون بالأسى كل ما رآه في العاصمة وسائر المدن من جهل الأهالي وفقرهم وتسولهم وهوسهم بأمور تافهة غثة، وتدليس الملالي، وجور الحكام وسرقاتهم وحصولهم على الرشاوى. وغفلة الحكومة وتسيبها، وتدهور شئون المدارس والكتاتيب، وغياب القانون والعدل وسيطرة السياسات الاستعمارية المخربة للدولة وأشياء من هذا القبيل، ويستغل بعض المواقف ليوصي المواطنين ببعض الإصلاحات مثل جعل المصارف مركزا لجميع الشئون المالية والاقتصادية في الدولة، وتطوير الصناعات الوطنية، ونشر الثقافة والحيلولة دون النفوذ الأجنبي وغير ذلك.

ويعد كتاب سياحة إبراهيم بيك في الواقع دائرة معارف جامعة لأوضاع إيران في أواخر القرن الثالث عشر الهجري كتبت بأسلوب ناقد لاذع وجرئ.

"يدرك قيمة هذا الكتاب أولئك الذين قرأوه تلك الأيام ويذكرون الرجفة التي كانت تصيب القارئ... وكأن جمعا غفيرا من الإيرانيين قد أفاقوا من نوم الغفلة من جراء قراءة هذا الكتاب، وتهيأوا للسعي في سبيل رفعة الدولة وانضموا إلى المناضلين الآخرين".(١)

قيل إن الجزء الأول من كتاب السياحة ربما يكون المؤلف قد طبعه طبعةً مصورة في القاهرة، ثم طُبع عام ١٨٨٨م طباعة حجر في إسطنبول.(٢) وتم تأليف الجزأين الآخرين بعد ذلك بفترة، وليس لهما قيمة ومكانة الجزء الأول فقد فاقهما من حيث التأثير السياسي والاجتماعي.

ويتناول الجزء الثاني عودة إبراهيم إلى مصر ويشرح قصة عشقه وموته من جراء حزنه على الوطن ويخلو هذا الجزء تماما من أسلوب السخرية ويخيم عليه الأسى والحزن.

---

(١) أحمد كسروى: تاريخ مشروطة إيران، ج١.
(٢) قد طبع هذا الجزء والجزءان الآخران بعد ذلك في كلكتا ولاهور وبمباي وإسطنبول عدة مرات، وترجم الجزء الأول عام ١٩٠٣م ١٣٢١ هـ.ق للألمانية تحت عنوان "Reisebuch des Ibräim beg" ثم ترجم للروسية في موسكو عام ١٩٦٣م.

ويدور الجزء الثالث عن رؤيا العم يوسف مربى إبراهيم بيك المسن، ويشرح خلالها رحلته إلى الجنة والنار وهذه الرؤيا تشبه في الحقيقة رسالة الغفران أو الكوميديا الإلهية، ولكن الجنة والنار في كتاب السياحة إيرانيتان وأهلهما إيرانيون، ومن خلال أصواتهم المعبرة عن السرور والمواساة المتزامنة مع الصرخات المهيبة يتولد نقد سياسى ساخر.

فكتاب سياحة إبراهيم بيك نقد دقيق للتقاليد الإيرانية القديمة وأخلاق الإيرانيين وعادتهم المذمومة من خلال رسم لوحات حية ودقيقة وصادقة، وقد أثر هذا الكتاب كما نعلم تأثيرا كبيرا فى البناء الأدبى والاجتماعى المستقبلى فى إيران.

ويُعد الكتاب أول رواية اجتماعية فارسية تتميز بالأصالة على غرار الرواية الأوروبية، حيث تصور حياة الإيرانيين كما كانت، ومن هذا المنطلق فهى تشبه إلى حد كبير رواية "نفوس ميتة" لنيكول جوجول الكاتب الروسى العظيم. ولا يعقل أن المؤلف قد اطلع على عمل المؤلف الروسى غير المكتمل، ولكن من المؤكد أن الأعمال الكلاسيكية الروسية قد أثرت كثيرا فى تأليف هذا الكتاب، وأن المؤلف قد تعلم منها أسلوب نقد الحياة الاجتماعية والكشف عن عيوب المجتمع وتصوير الأوضاع فى عصره.

وتحتل سيرة البطل المرتبة الثانية فى هذا الكتاب من حيث الأهمية، فالهدف الأصلى للكاتب رسم وتصوير مشاهد عن الحياة فى الدولة والاعتراض على كل الأمور التى تستحق ذلك فى الواقع. ولم يتحقق هذا الهدف للمؤلف بسهولة ويسر فبطل القصة يسلم الروح من جراء آلامه الناتجة عن عشقه للوطن، ويصاب المؤلف نفسه تدريجيا بالحزن والأسى بعد أن كان قد بدأ عمله ساخرا، فخزى الشعب الإيرانى الناجم عن التعاسة والفقر يمزق قلبه، ورغم ذلك يكمل فى سبيل خدمة الوطن قصته المحزنة المفجعة التى كتب بعض أجزائها بدمائه.

وتفوق قيمة الكتاب السياسية والاجتماعية قيمته الأدبية، فهو يحتوى على

الكثير من العيوب الفنية والأدبية فتصاعد الأحداث بطئ وغير منطقى وخاصة فى الجزأين الثانى والثالث، ويبدو أحيانا فى صورة تقريرية، وعلى الرغم من أن الكتاب قد كُتب بأسلوب بسيط سلسل غير متكلف بشكل عام فإنه لا يقارن مطلقا بمؤلفات طالبوف التى كُتبت بأسلوب أدبى.

ويبدو جليا فى هذا الكتاب أيضا أسلوب الأتراك الناطقين بالفارسية مثلما نلحظ أيضا فى مؤلفات طالبوف كما أثرت إقامة المؤلف الطويلة فى روسيا وتركيا على أسلوب تحرير كتاب السياحة من حيث استخدام كلمات روسية وتركية عن لهجة أهالى إسطنبول.(١)

ولكن بالرغم من تلك المآخذ ورغم طول القصة فإن كتاب سياحة إبراهيم بيك يعد كتابا مهما ووثيقة فريدة للتعرف على أوضاع إيران فى ذلك الزمان.

وها هى نماذج من كتاب السياحة:

"قال سائق العربة: تلك الناحية تشير إلى إيران وهذه الناحية تشير إلى روسيا. فقلت له: يجب التوقف لبرهة. فأريد أن أفعل شيئا. فقال: اصبر؛ فالماء قريب فلتنزل هناك، ظنا منه أننى أريد شيئا آخر. فقلت: لست فى حاجة إلى الماء فأنا أرغب فى التراب. فأوقف العربة ونزلت، وحملت حفنة من ذلك التراب وقبلته وشممته ومسحت به على عينىَّ. وقلت: أيتها التربة الطاهرة يا كحل الجواهر للعين الدامعة؛ حمدا لله أن رأيتك وأنارت عينى برؤيتك. فأنت مأمن المحتاجين ومقبرة أجدادى. وأنت التى أوليتنا بالرعاية فى مهد نعمتك فنشأنا وكبرنا فى رفاه وعزة.

---

(١) مثل: قول كشيدن (امضا كردن- ويزا كردن)، دربند (كوچة بن بست)، عجبا (آيا)، معيت (ملترمين ركاب)، كانتور (دفتر تجارتخانه)، عرض لشكرى (رژه ومانور نظامى)، مكاتب رشديه (مدارس متوسطه يا دبير ستان)، وابور (كشتى بخار)، پساپورت (پاسپورت، گذرنامه) سيغار (سيگار)، سرخك (سلس)، قوطه (لنگ)، بيع من يزيد (مزايده- حراج)، باتاريه (عرادة توپ)، زاكون (قانون)، الوقات (آوكا، آدوكات، وكيل دعاوى)، وبرگو (ماليات).

ونحن لا نملك إلا محبتك، ويالها من محبة سامية ورفيعة فها هو مشرع الإسلام المقدس عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأكمل التحيات جعل حبك مساويا للإيمان إذا ما وزن بميزان الولاء. فأي قول أقوله في وصفك ليليق بمكانتك السامية!!.... الخلاصة أجهشت بالبكاء وسال الدمع من عيني بعفوية على ذلك التراب الطاهر. وبكيت فرحا لتحقق مراد قلبي الحزين، وأعلم أن لذة ذلك البكاء ستظل قابعة في شغاف قلبي حتى النفس الأخير. وفي النهاية نظر إلى سائق العربة حائرا. وقال مندهشا في النهاية: أحسنت يا سيدي، فمنذ سنوات وأنا أتردد على هذا الطريق وأنت أول من أراه يقدس تراب الوطن. لقد تأثرت بذلك للغاية. فأنا من أهالي كنجه، ومولع مثلك بتراب الوطن. لقد أصيبت مملكتنا بالتعاسة من جراء لا مبالاة أسلافنا. فكما تعلم "يعلو صوت الناقوس بدلا من صوت المؤذن". ما العمل؟ لو كانت حكومة إيران حكومة بحق لسنت القوانين وأرست النظم وحققت المساواة، ولما باعت الرعية للحكام بثمن الحيوانات، ولما فرضت علينا قطعا تدخل الأجانب الذين يعارضون كل مصلحة لنا، ولهاجرنا إلى إيران......". (١)

"... وفجأة ارتفع من ناحية أخرى صوت يقول ابتعد. كانوا يصيحون من كل ناحية: تقدم، قف، ارتد العباءة! نظرت إلى تلك الناحية في حيرة تامة، فرأيت شابا فارع القامة طويل الشارب يتقدم ممتطيا جواده، ويسير على جانبيه ثلاثون أو أربعون شخصا في طابور عسكري حاملين عصي طويلة، وفي مقدمتهم رجل ذو رداء أحمر؛ قبيح الوجه، وخلفه فرقة من عشرة أو عشرين فارسا.

فسألت السيد رضا ما الأمر؟ فقال: حاكم المدينة ذاهب للصيد. ثم قال لي قف منتصبا وعند مروره أد له مراسم التحية والتبجيل مثلما يفعل الآخرون. وعندما نظرت بإمعان رأيت الناس في كل الجهات يسجدون، دون أن يلتفت لهم كبيرهم حيث يفتل شاربه عن اليمين وعن الشمال. فقلت: ماذا لو لم أود التحية؟ قال: إن من يصطفون حوله من الخدم يعرفون ماذا يفعلون بعصيهم. هل مللت الحياة؟! قلت: لا،

(١) سياحتنامه: ج١، طهران ١٣٤٤ ش، ص ٣٣.

فعندى آلاف الأمنيات. فوقفنا منتصبين فى أدب جم وانحنينا فى تواضع شديد عند اقتراب الحاكم. كاد أن يحل بنا البلاء ولكن الأمر مضى على خير وتعجبت بشدة لأنه لم يكن قد مر بى موقف كهذا حتى ذلك الوقت. فقلت: أهذا حاكم مدينة فى إيران! إن حاكم مدينة لندن التى يسكنها سبعة ملايين نسمة، يمشى فى كل مكان بمفرده ولا يعيره أحد اهتماما. ما شاء الله أيتمتع حاكم مدينة صغيرة عندنا بهذا القدر من الإجلال ولديه كل هؤلاء الحراس! أهذا حال المملكة! وأضفت: يا سيد رضا، من أين يأتى الحاكم برواتب كل هؤلاء الحراس؟ فقال: ليس لهم رواتب. فسألته: إذن ماذا يأكلون؟ فأجاب: يطوفون بالشوارع والأسواق من الصباح حتى المساء وكلما وجدوا اثنين يتعاركان يحملونهما إلى كبيرهم. فإذا كان العراك لسبب تافه يأخذون تومانين لكبير الحراس وخمسة قرانات لنائبه وقرانين أو ثلاثة لأنفسهم، ثم يأذنون لهما بالذهاب. وكلما جاء من يتقدم بعريضة من القرى، يُكلف واحد أو اثنان من هؤلاء الفرسان بالسلب والنهب. فإذا تطور العراك إلى حد ما، يُكلف بإنهاء الأمر واحد من رؤساء الخدم أو من متعهدى الخيول الملكية أو من المسلحين بالبنادق أو واحد من متعهدى سقاية الأمير، فيأخذ مائة أو خمسين تومان غرامة للأمير وعشرة أو عشرين تومان لنفسه إكرامية.. فتسمرت مكانى لسماع هذا الكلام وعزفت عن السياحة. وقلت لنفسى: ليتنى كنت أعمى أصم ولم أر هذا المشهد ولم أسمع هذا الكلام! فقد تحملت المشقة وأنفقت المال لأصيب نفسى ببلاء عظيم".[1]

"فى اليوم التالى ذهبت فى الظهر إلى مسجد صلاة الجمعة الواقع على مقربة من رباط القوافل الذى ننزل فيه كى نصلى. ومساحة هذا المسجد من الداخل عبارة عن مدرسة للطلاب وفى وسط صحنه عين من الماء الصافى. توضأت من جديد ودخلت المسجد، فرأيت كما كبيرا من البطيخ قد وضع فى جانب من ذلك المسجد العظيم. فحزنت لهذا المشهد. ونظرت إلى الناحية الأخرى فرأيت شخصين جالسين. تقدمت وسألت أحدهما: سيدى، لمن هذا البطيخ؟ أجاب: لى. فسألته: من

(١) سياحتنامه: ج١، ص٤٣.

صاحب هذا الدكان؟ فأجاب: يا مؤمن ألا ترى أن هذا مسجد وليس دكانا، وعدا ذلك؛ هل رأيت دكانا كبيرا إلى هذه الدرجة؟! فقلت: إذن من صاحب المسجد؟ فأجاب: لا يمكن أن يكون للمسجد صاحب؛ فهو بيت الله. فقلت: كم تدفع للإيجار؟ قال: لا شئ. فقلت: وهل يرضى الله أن تتخذ من هذا المكان الطاهر مخزنا مجانيا للبطيخ كي تبيعه؟ فأجاب: وما علمي! فقلت: سيدى، ألا تخشى الله لأنك اتخذت مخزنا للبطيخ من المكان الذى جعله الله لعبادته فرض احترامه على الجميع وألزم كل مسلم اتباع شروط معينة عند دخوله والخروج منه!! فعملك هذا انتهاك لحرمة المسجد والدين والشريعة. هل رأيت المسيحيين يبيعون البطيخ فى كنائسهم أو سمعت عن هذا؟! ألا تخجل أمام الله ورسوله!.

لقد شيد هذا المكان رجل مسلم كي يجتمع فيه سائر المسلمين ويذكروا اسم الله ويقدموا الوعظ والنصيحة للناس ويعلموهم المسائل الشرعية الضرورية ويسألوا الله المغفرة لأموات المسلمين، والرفعة للإسلام والنصر على أعداء الدين لسلطان المسلمين، والاتحاد للمسلمين في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، ورفع الشقاق والخلاف عنهم "ألا يوجد فى مدينتك علماء يخشون الله؟ لماذا لا يحظرون ارتكاب هذه الأفعال المشينة التى تنتهك حرمة الإسلام وتخالف الشريعة الإسلامية؟ ماذا سيقولون يوم القيامة وعند السؤال؟ يا الله، أين أبحث لهذه الآلام المبرحة عن دواء!! لا أعرف أى ذنب عظيم ارتكبته لأعاقب عليه بوقوعى فريسة لهذا البلاء؛ فمع كل خطوة أخطوها يسرع لاستقبالى بلاء جديد! كيف يكون هؤلاء مسلمين؟! آه ألا لهذا اليوم من غدٍ يعقبه!"(١)

٣- ميرزا ملكم خان:

كان البرنس ملكم خان ناظم الدولة من أرمن حى جلفا بأصفهان. ولد عام ١٢٤٣ هـ.ق لأب يعمل فى النحت يسمى يعقوب. ويقال إن السيد يعقوب قد أسلم فى شبابه، ولأنه كان يجيد اللغتين الروسية والفرنسية فقد عمل مترجما فى السفارة

---

(١) سياحتنامه ج١، ص١٤٢.

الروسية بطهران وكان على علاقة وثيقة بصدر إيران الأعظم ميــرزا آقــا خــان نورى.

سافر ملكم إلى فرنسا فى العاشرة من عمــره[١] وبعــد اجتيــاز مرحلتــى الدراسة الابتدائية والثانوية التحق بمدرسة العلوم السياسية، ودرس أيضا الإلهيــات والهندسة وعمل كذلك فى مجال الحقوق السياسية وعــاد عــام ١٢٦٨ هـ.ق إلــى إيران.

واكبت عودة ملكم إلى إيران افتتاح دار الفنون، ونظرا لأنه ترعــرع فــى أحضان الآداب الإسلامية ودرس اللغة الفارسية دراسة وافية فقــد عُــين مترجمــا للمعلمين الوافدين من النمسا، كما عين مترجما لناصر الــدين شــاه ومستــشارا للصدر الأعظم ميرزا آقا خان نورى.

وفى عام ١٢٧٣ هـ.ق صار مهندسا بدرجة أركان حرب ومترجما خاصــا لسفير الدولة العلية الإيرانية فى إسطنبول. [٢]

وفى نفس العام بُعث إلى بلاط نابليون الثالث مترجما ومستشارا للوفد الممثل لإيران عندما دب الخلاف بين إيران وإنجلترا حول هراة واحتلال بوشهر، وتوجه فرخ خان أمين الملك غفارى إلى باريس لإبرام اتفاقية الصلح.

أعد ملكم بعد عودته من تلك الرحلة رسالة تسمى "كتابــچــة غيبى يا دفتر تنظيمات" أى "الكتيب الغيبى أو دفتر التنظيمات" وتضم موضوعات عــن أصــول الحكم، وقدمها إلى البلاط. وفى العام الأخير من صدارة ميرزا آقا خــان نــورى ١٢٧٤ هـ.ق أسس فى طهران محفلا سمى بــ "بيت النسيان" الذى كان يُعتقد فــى البداية أنه فرع للتنظيم الماسونى الفرنسى.[٣] وكان المحفل المذكور يعقــد بــشكل

---

(١) من الرسالة التى كتبها ملكم إلى ميرزا نصر الله خان مشير الدولة والمؤرخة بالثلاثين مــن صفر ١٣٢١ هـ.ق. فريدون آدميت، فكر آزادى ص ٩٤.
(٢) سالنامــة منتظم ناصرى.
(٣) عُرف بعد ذلك أن ملكم لم يحصل مطلقا منذ البداية على تصريح من قبل محافــل الــشرق

سرى فى منزل الأمير جلال الدين ميرزا بن فتحعلى شاه مؤلف "تـاريخ جلالـى: التاريخ الجلالى" و "نامـة خسروان: رسالة الأكاسرة" فى حى من أحيـاء جنـوب طهران وهو "مسجد حوض". وكما ذكرنا كان يسمى هذا المحفل بـ "بيت النسيان" لأنه كان على أعضائه أن ينسوا كليةً خلال حياتهم العادية كل ما رأوه أو سـمعوه فى المحفل. وكان ملكم قد حصل على تصريح بتأسيس "بيت النسيان" مـن الـشاه، وشاركه فى هذا العمل بعض رجالات إيران مثل ميرزا على خان أمـين الدولـة وميرزا يحيى خان مشير الدولة شقيق سـپـهالار وميرزا محـسن خـان مـشير الدولة، ومن كبار رجال الدين الحاج ميرزا هادى نجم آبادى وجمع مـن رجـال الديوان والأمراء وخريجى دار الفنون والطلاب الذين سـافروا لأوروبـا. وبهـذا اللفيف الذى كان يشكل الأقلية المستنيرة تكونت حول ملكم مدرسة من المـستنيرين الأحرار. وكان الشعار الأصلى للمحفل المذكور الذى كان يعقده ملكم تحـت اسـم "جامعـة آدميت: مجتمع الإنسانية" هو "إصلاح البشرية عامة والـشعب الإيرانـى خاصة". وتعرف أعضاء "بيت النسيان" تدريجيا على الروح الأوروبية وألفوها عن طريق الرسائل التى كان يكتبها ملكم منتقدا الأوضاع والتى كان يقدمها لهم ولسائر الناس، وكانت بالتأكيد تُعرض على الشاه، ووصلوا أخيرا إلى نتيجة وهى ضرورة بذل كافة المساعى لإقرار النظام الدستورى فى إيران.

ومن الواضح أنه لم يكن من الممكن أن يستمر مثل هذا التنظيم فـى عهـد الاستبداد. وحامت الشبهات حول ملكم بأنه يروج للفكر الجمهورى، و "ثار عدد من الأمراء على الحكومة وتسببوا فى إثارة مخاوف شديدة لـدى الـشاه. فأصـدرت الحكومة أمرا بالقبض على فريق من أصحابه. وفر فريق آخر، واحتمـى فريـق

=العظمى ولسكتلندا لاتخاذ هذا الإجراء، وفى الحقيقة أنه استغل مـن تلقـاء نفـسه كلمـة الماسونية فى إطار "بيت النسيان" لتأسيس المحافل السياسية، بعبارة أخرى كان هذا العمـل غير مصرح به. وقد أُسس أول محفل ماسونى فى إيران فى ١٧ صـفر ١٣٢١ هـ.ق باسـم "محفل الحرية" وكان شعبة للتنظيم الماسونى فى فرنسا.

بالمزارات المقدسة.[١] "وفي يوم الخميس ١٢ ربيع الثاني ١٢٧٨ هـ.ق نشر بيان في "روزنامة دولتي: الصحيفة الحكومية" يفيد حظر لفظ "بيت النسيان" وبهذا انتهت أنشطة المنظمة المذكورة في إيران.

ومن المعروف أن وزير روسيا المفوض المقيم في طهران أرسل تقريرا إلى بطرسبورج يشرح فيه تأسيس هذه التنظيم وأعماله وكتب القيصر الروسي ألكساندر الثاني بخط يده إلى ناصر الدين شاه أن "المحفل السرى معاد لك ولي، والقضاء عليه في صالح الدولتين. "على كل حُظر نشاط المحفل المذكور وفر إلى آسيا الوسطى ميرزا يعقوب خان الذي كان قد اعتبر المؤسس والمحرك الأصلي له.[٢] وحُمل ملكم بعد فترة إلى خانقين تحت الحراسة بسبب مواصلته الأعمال المنادية بالحرية ومعارضته سياسة ميرزا محمد خان سپهسالار، وهناك أطلق سراحه.[٣]

ذهب ميرزا ملكم بدايةً إلى بغداد ومنها إلى إسطنبول، وعمل في وزارة الخارجية التركية براتب شهري أربعين ليرة. ولكن لم تمض فترة طويلة حتى عُين ميرزا حسين خان مشير الدولة سفيرا لإيران في إسطنبول، فجعله مستشارا له وأرسله في جمادى الآخرة عام ١٢٨٠ هـ.ق قنصلا عاما لإيران في مصر، ثم استدعاه ثانية إلى إسطنبول.

تردد ملكم في تلك الفترة التي أمضاها بإسطنبول على المحافل الأدبية والاجتماعية الجديدة في تركيا، وانضم إلى الحركات الإصلاحية التي كان يدعمها الباشوات الأتراك كامل باشا وعالي باشا وفؤاد باشا، وألف رسالتي "مبدأ ترقي: أساس التقدم" و "الشيخ والوزير".

---

(١) ميرزا إبراهيم خان نواب بدايع نگار: رسالة عبرة الناظرين (نقلا عن خان ملك ساساني: سياستگران دورة قاجار).

(٢) عاش عدة سنوات في إسطنبول ومات عام ١٢٩٨ هـ.ق ق في تلك المدينة.

(٣) في ذلك الوقت أبعد ميرزا محمد خان سپهسالار عن إيران جماعة من أصدقاء ملكم والمستنيرين المعارضين بتهمة الإلحاد، كان من بينهم ميرزا حبيب الأصفهاني المتخلص بـ "دستان".

وفى عام ١٢٨٨ هـ.ق غادر ميرزا حسين خان مشير الدولة إسطنبول وعاد إلى إيران، وبعد توليه الصدارة بأربعين يوما استدعى فى التاسع والعشرين من شعبان من ذلك العام ملكم من إسطنبول، وعينه مستشارا للصدر الأعظم وحصل له من الشاه على لقب "ناظم الملك" ووسام وتمثال ملكى من الدرجة الأولى.

وفى جمادى الأولى عام ١٢٨٩ هـ.ق تم توقيع امتياز رويتر الشهير الذى يعد وفقا لقول اللورد كرزن "أعجب امتياز تقدم بموجبه الحكومة كافة ثرواتها إلى رجل أجنبى"، وبعد عشرة شهور تقريبا أى فى صفر فى عام ١٢٩٠ هـ.ق توجه ناصر الدين شاه لأول مرة إلى أوروبا، وقبيل بداية الرحلة أُرسل ملكم إلى لندن تقديرا لخدماته المهمة التى كان قد قدمها فى سبيل إعداد وثيقة امتياز رويتر، وذلك من أجل عمل الترتيبات لرحلة الشاه إلى أوروبا فضلا عن تسليم نسخة من الامتياز للبارون رويتر والتمهيد لتنفيذه.

وفى عام ١٢٩٥ هـ.ق عين وزير إيران المفوض فى بلاط لندن وفيينا وبرلين، وفى رحلة الشاه الثانية إلى أوروبا عُين نائبا مفوضا لإيران فى مؤتمر برلين، وبعد إنجاز هذه المهمة عُين سفيرا وحصل على لقب "السيد الأشرف" وتصريح على أن يخاطب بلقب "البرنس".(١)

وبعد موت ميرزا حسين خان وتعيين مستوفى الممالك، دُبرت مكائد لعزله، ولكنه بادر بإخبار الشاه عام ١٢٩٩ هـ.ق، وبعد فترة عُين سفيرا فى ألمانيا وهولندا فضلا عن كونه سفيرا لإيران فى بلاط انجلترا، ومُنح لقب "ناظم الدولة"(٢). وتروى عنه خلال هذه الرحلة حكايات وقصص عجيبة.

---

(١) يقول معتمد الدولة فرهاد ميرزا -الذى كان من المرافقين للشاه- فى رسالة أرسلها من لندن إلى طهران: "إن هذا الحقير الأرمنى يدعى أمام الأوروبيين فى وقاحة تامة أنه من أحفاد الملوك الأشكانيين، ولقب لنفسه بلقب برنس"، نقلا عن خان ملك ساسانى فى كتابه سياستگران دورهٔ قاجار.

(٢) اعتماد السلطنة، منتظم ناصرى، أحداث عام ١٢٩٩ هـ.ق.

استمرت إقامة ملكم في لندن سنوات طويلة. وفي عام ١٣٠٦ هـ.ق عندما سافر ناصر الدين شاه لأوروبا للمرة الثالثة حصل ملكم -الذي كان على كل حال غير مريح ومقامرا -على امتياز اليناصيب في إيران من الشاه عن طريق التملق وتقديم هدية بلغت ألف ليرة من الذهب، ولكن الصدر الأعظم ميرزا علي أصغر خان اعترض على ذلك بعد عودة الشاه لإيران وحرص رجال الدين على تحريم اليناصيب وتكفير ملكم، واضطر إلى إرسال برقية للندن بإلغاء الامتياز إلا أن ملكم لم يعلن قرار الحكومة وباع وثيقة الامتياز إلى شركة إنجليزية في مقابل أربعين ألف ليرة، ونظرا لأنه عزل من جراء هذا العمل من منصب السفير الإيراني في لندن وكافة مناصبه الأخرى وحجبت عنه كافة ألقابه فقد رد على قرار الحكومة في الصحف البريطانية بأسلوب مثير للضجة، وافتتح مكتبا في "لمبارد ستريت" بلندن وبدأ في إصدار صحيفة "القانون" بالفارسية، وانتقد من خلالها الحكم الاستبدادي في إيران. ولم يتوان عن سب ميرزا علي أصغر خان أمين السلطان بل والشاه نفسه في صحيفته وذلك بالتنسيق مع السيد جمال الدين الأفغاني الذي كان قد انضم لملكم خان. وظلت هذه الصحيفة تصدر حتى موت ناصر الدين شاه بمساندة المناضلين في سبيل الحرية في ذلك الزمان، وكانت تصل إلى إيران وتوزع بين الناس بالرغم من الحظر الشديد المفروض على دخولها، ولم يكن لدى الحكومة البريطانية رد على احتجاج إيران سوى أن الصحافة تتمتع بحرية كاملة في بريطانيا.

ولكن بعد مقتل ناصر الدين شاه وتعيين أمين الدولة، سافر مظفر الدين شاه عام ١٣١٧ هـ.ق لأوروبا لزيارة معرض باريس وقام بتنصيب ملكم وزيرا مفوضا لإيران في روما، وظل في هذا المنصب إلى أن توفي في صيف عام ١٣٢٦ هـ.ق في مدينة لوزان بسويسرا بعد حياة مشحونة بالمغامرة.

إن حياة ميرزا ملكم خان كلها مليئة بالأسرار، ويعتبره ناظم الإسلام الكرماني "موقظ إيران ومن قادة ثورة الحرية" ويقول بشأنه "إن مكانة البرنس ملكم خان في إيران تعادل مكانة فولتير وجان جاك روسو و فيكتور هوجو عند الشعب

الفرنسي."[1] ويعتبر "ظل السلطان" ملكم الذي كان يعلمه الفرنسية "الفيلسوف والمعلم الأول ونظيرا لأرسطاطاليس وأفلاطون بل أسمى منهما."[2] أما السيد ويلفرد بلنت[3] الذي التقى بملكم في يونية عام ١٨٨٠م (١٢٩٧ هـ.ق) فيعتبره أكثر رجال الشرق اطلاعا ويؤمن به ثلاثون ألفا في إيران. ولكن هناك أيضا من يطلقون عليه ألقاب "جاسوس وخائن وطماع وعابد للمال ومحتال وجاهل وغشاش".[4] ومنهم محمد حسن خان اعتماد السلطنة.

يُقال إن ملكم كان يسب إيران والإيرانيين أثناء إقامته في إسطنبول وإنه تجنس بالجنسية التركية وعمل في وزارة الخارجية بتلك الدولة، وأنه اعتنق المسيحية في ليلة الأحد ٢٩ جمادى الأول ١٢٨١ هـ.ق في كنيسة (أيا استفانوس) من أجل الزواج من هانريت بنت آراكل المعروف بـ "توپچي باشي"، كما كتب إلى الحكومة الإيرانية بعد عودته من مصر إلى إسطنبول وهدد بأنه سيبيع أسرار الحكومة التي يعرفها إلى العثمانيين ولن يبقى على شيء من ماء وجه الإيرانيين إن لم يعين وزيرا مفوضا لإيران في لندن. [5]

فضلا عن كل هذا كان يتحالف مع الشركات الأجنبية طوال الفترة التي تولى فيها مناصب رسمية في الجهاز الحكومي أثناء عهد ناصر الدين شاه، وكان يسعى لحصول البريطانيين على امتيازات في إيران وكان من أهمها امتياز البارون جوليوس دو رويتر الذي لم يدخل حيز التنفيذ وأسفر عن عواقب وخيمة وترك بقعة سوداء في حياة ملكم السياسية وصار سيفا مسلولا في أيدي معارضيه حتى أنهم أظهروا خدماته في سبيل اليقظة ونشر أسس الحرية بأنها بلا قيمة.

---

(١) تاريخ بيداري إيرانيان، ص ١١٧.
(٢) تاريخ مسعودي، نقلا عن تاريخ بيداري إيرانيان.
(3) Wilfrid Blunt.
(٤) خوابنامه.
(٥) خان ملك ساساني: سياستگران دورة قاجار، ص ١٢٩، وإبراهيم تيموري: عصر بي خبري، ص ٦٤.

ويقول اعتماد السلطنة في المقال الذي حثه الصدر الأعظم أمين السلطان على كتابته والذي عرض على الشاه أيضا:-

"أولاً: ما القدرات التي يمتلكها هؤلاء الزعماء القابعون في لندن بحيث يصير من الواجب اعتبار أقوالهم بمثابة الوحي المنزل من السماء؟ ثانيا: ما الأعمال التي صدرت عنه بحسن نية في سبيل المملكة والسلطنة بحيث يمكن تصديق ادعاءاته؟ فحينا يؤسس في إيران بيت النسيان، ويهيئ المناخ في إيران للحكم الجمهوري الذي يعد من ضروريات الماسونية، ويهدد لفترات طويلة الشاه والحكومة وعدة آلاف من العاملين بها وأفراد الأمة. وحينا يذهب إلى مصر في مهمة رسمية للعمل قنصلا، فينتهك شرف الحكومة ويتكدى من الخديوي إسماعيل عشرة آلاف تومان على سبيل الإنعام، وحينا يضع على رأسه الطربوش العثماني ويصير من مواطني تلك الدولة... وبعد ذلك موضوع رويتر الذي لم يدخل حيز التنفيذ... ولا أعلم لماذا تُدفع هذا العام إتاوة قيمتها عشرون ألف تومان لذلك الشخص المحتال الناكر للجميل الذي صدرت عنه تلك الأعمال، لماذا يُعين سفيرا للحكومة في بلاط الحكومة البريطانية ونحن لدينا حاليا ألف مشكلة مع تلك الدولة؟! فلو أن الحكومة تخشى أن يكتب في الصحف عن أخطائها بعد عزله، فإني أجيب على ذلك بسؤال؛ ما الأخطاء التي لم يكتب عنها بنفسه صراحة أو حرص هو والمردة أتباعه على كتابتها بحيث يمكن أن يُكتب عنها بعد ذلك؟... وإذا افترضنا هذا، فمن السهل إحضاره من أوروبا تحت الحراسة ومعاقبته والأفضل عدم الاكتراث به مطلقا. فهذا الشخص المحتال كلما أراد إعاقة إجراء مفيد أو غير مفيد من المنتظر أن يُنفذ في إيران، أو إثبات وجوده بتأليف رسالة "كتابچة غيبي: الكتيب الغيبي" فإنه يهدد حكومتنا ويترصد الأخطاء لزلزلة مكانة الشاه ورجال الحكومة. يجب أن يوجه إليه سؤال: أيها السيد الراهب المحظوظ المقيم بلندن، لقد تحدثت عن الأخطاء، فلو كنت عاقلا وعالما؛ افصح عن الحلول. يكتب مثلا عن أن إيران ستضطر إلى سن القانون شاءت أم أبت. فيجب الرد عليه: ألا نملك قانونا؟ وما العيب فيه؟..."

الخلاصة إن ما يتضح من خلال دراسة حياة ملكم أنه كان رجلا محبا للمال باحثا عن السلطة، شديد الجرأة، عنيدا، منتقما وفى نفس الوقت مطلعا ثاقب الرؤية لدرجة أن ناصر الدين شاه كان يخشاه -ويراقب تصرفاته دائما. فكتب نظر آقا سفير إيران فى باريس فى تقرير له: "والآن لقد ترك ملكم خان مكانه فى لندن، وقدم إلى باريس، ويجب تقديم تقرير كل يوم عن أحواله؛ وماذا يفعل وغلبى من يتردد وهل يمارس الاحتيال أم أنه مشغول بأمر آخر".[1]

مؤلفات ملكم:

أراد من هم على خلاف مع ملكم أن يشككوا حتى فى مكانته العلمية والأدبية. ولقد طالعنا رأى اعتماد السلطنة عنه سالفا. ويعتبر السيد إبراهيم بدايع نگار أنه كان محروما من "اللطائف العلمية والأدبية"[2] ويعتقد مخبر السلطنة هدايت أن "ما كان يكتبه موجودا بألفاظ مختلفة فى الجلستان والبستان"[3] ولكننا نعلم أن ملكم قد درس فى باريس الإلهيات وعمل فى مجال الحقوق السياسية، وهناك اطلع أيضا على أعمال كبار الفلاسفة وزعماء الثورة الفرنسية، كما قرأ خلال فترة إقامته الطويلة بلندن مؤلفات الأدباء والعلماء البريطانيين، وكان مولعا بأفكار وآراء المفكر البريطانى الشهير جان ستيوارت ميل،[4] وترجم مقتطفات من كتابه الشهير "فى الحرية" إلى اللغة الفارسية. وقد انعكست محصلة هذه القراءات التى امتدت لعدة سنوات على كتاباته فى صحيفة القانون ورسائله المتعددة مثل "أصول آدميت: أسس الإنسانية" و"نداء العدالة" و"توفيق الأمانة" و"الحجة" و"المفتاح" و"كلمات خيالية" و"الكتيب الغيبى أو دفتر التنظيمات" و"الرفيق والوزير" و"النوم واليقظة" و"أسس التقدم" و"مذهب رجال الديوان"[5] و"إنشاء الله وما شاء الله" و"الشيخ

---

(١) إبراهيم تيمورى: عصر بيخبرى، ص ٦٦.
(٢) رسالة عبرة الناظرين: نقلا عن سياستگران دورة قاجار، ص ١٤٦.
(٣) القسم الثالث منذ العصر الصفوى حتى العصر الدستورى، ص ١٥٥
(٤) Stuart Mill (١٨٠٦- ١٨٧٣م).
(٥) ورد نقد لاذع لسلوك رجال البلاط بقلم ملكم فى مقال "أسس مذهب رجال الديوان"، وخلال =

والوزير" و"فرقية كجبينان: جماعة الحول" و "كتيب السياسة" وكذلك انعكست على التقارير والرسائل الرسمية وغير الرسمية التى كان يكتبها للحكومة ورجالات إيران. وقد تحدث فى هذه الكتابات عن كافة القضايا والمشاكل الاجتماعية والسياسية فى إيران تقريبا مثل الحرية والقانون والحقوق الأساسية للمواطن ومكافحة الظلم والجور وأسس السياسية الخارجية، وإصلاح الحكومة، وسن قوانين المملكة، والأخذ بالمدنية الأوروبية، وتنشيط الشئون الاقتصادية بالدولة وجذب رءوس الأموال الأجنبية، ومحاربة الفساد والخرافات والأوهام و إصلاح الخط وأسلوب الكتابة وغير ذلك.[1]

ومع ذلك فمن قمة الإجحاف وقصر النظر أن نعتبره محروما من حلية العلم والأدب وأن نبحث فى كتابين مثل الجلستان والبوستان عن الموضوعات والمفاهيم التى تناولها والتى كانت خلاصة لجهود وحكماء وعلماء الغرب المتواصلة.

والحقيقة إن ملكم كان من رجال إيران اليقظين الواعين بالرغم من كل المؤامرات والمغامرات ورغم النقد الهادف الموجه إلى بعض كتاباته، وكان يدرك أكثر من كافة أعدائه ومناوئيه أوضاع عصره ومشاكل بلده وسياسة الدول الأوروبية فيما يتعلق بآسيا، فمساعيه فى سبيل إيقاظ الإيرانيين أمر مسلم به ولا جدال حوله.

ولكن فيما يتعلق بأسلوب ملكم فى الكتابة فيجب أن نؤكد على أنه تولى منذ البداية ترجمة دروس معلمى دار الفنون الأجانب من الفرنسية إلى الفارسية وكذلك الترجمة للوزارة والبلاط الملكي، ونظرا لقلة درايته بالعبارات الحكومية المتكلفة

هذه الرسالة التى كتبها فى فترة إقالته أفصح ملكم عما فى قلبه حتى أنه خرج فى بعض المواضع عن اللياقة. وقد ورد متن هذا المقال فى كتاب "فكر آزادى" تأليف فريدون آدميت.

(١) جمع بعض هذه المقالات هاشم ربيع زاده وطبعها تحت عنوان "كليات ملكم" عام ١٣٢٥ فى طهران. وعلى الرغم من أن هذه الطبعة تضم الكثير من الأخطاء فقد كانت واسعة الانتشار فى صدر المرحلة الدستورية. وبعد ذلك طبع أيضا محمد محيط طباطبائى الجزء الأول من "مجموعة أعمال ملكم" ووضع لها مقدمة وحواشى وذلك عام ١٣٢٧ هـ.ش فى طهران.

والمصنعة فقد كان مضطرا للتدقيق بشدة عند نقل النصوص الأساسية إلى اللغة الفارسية ومراعاة اختيار الكلمات وانسجام العبارات وسلامة البيان. وعلى هذا النحو ابتكر أسلوبا فى الكتابة يتميز بالبساطة والسلاسة ويراعى الفصاحة والبلاغة وحسن البيان. إن كتابات ملكم المتمثلة فى اثنين وأربعين عددا من صحيفة القانون ورسائله الاجتماعية والسياسية الهادفة والتى كانت تطبع أحيانا بلا توقيع وأحيانا أخرى موقعة؛ على الرغم من أنها لا تخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية فقد أثرت بالقطع فى إيقاظ الشعب نظرا لبساطتها واقترابها من لغة الحوار، كما أنها حظيت باستحسان أصحاب الصحف فى مرحلة صدر الدستور، وكانت لفترة من الوقت مثلا يحتذى به الأحرار والكتاب فى إيران.

وها هو نموذج من مؤلفات ملكم:

"جماعة الحول":

"... اصطحبنى رفيقى إلى عدد من الفرق الغريبة كانوا جميعهم من جماعة الحول، ولكن كل واحدة منهم كانت تتميز بضرب من الجنون. كان البعض يريد معالجة أمراض الجسد باستخدام قواعد علم الجفر، والبعض يكرس حياته لفترات طويلة لمعرفة مصير الناس من اقتران الكواكب... ويعتقد البعض أيضا أن اللغة تم ابتكارها من أجل السجع وإهدار الوقت لا من أجل أداء الغرض منها.

وهؤلاء المجانين من الفئة الأخيرة الذين عرفوا بين الناس بالهزليين أى الشعراء لم يبحثوا عن المعنى مطلقا سواء فى كلامهم أو كتاباتهم من منطلق المعتقد الذى يؤمنون به. وجعلوا غموض الكلام أعلى درجات الفن و كانوا يقضون أكثر أوقاتهم فى جمع الألفاظ الغامضة. وعندما كانوا يستمعون لكلام شخص ما كانوا ينصتون لما يقول بل يترصدون أى لفظ غامض جديد ينطق به.

ونظرا لأنهم كانوا يعتبرون السجع من أفضل فنون الكتابة فلم يهتموا فى مراسلاتهم سوى بالقافية، وكانوا يمضون أغلب أوقاتهم لتلفيق عدة سطور من كلام

مقفى لا معنى له، وكلما ورد لفظ "واصل" فى كتاباتهم فبالقطع يعقبه لفظ "حاصل"، ولفظ "وجود" يعقبه "ذى جود" و "مزاح" يعقبه "وهاج". ولم أقرأ لفظ "ضمير" غير مقرون بكلمة "منير" من أجل السجع.

وكلما أضيفت كلمة "بدبختى" إلى الصفة "قرين" كان لابد وأن تضاف إلى الصفة "همنشين". ولم تكن كلمة "دروغ" تستخدم دون "فروغ"، وكلمة "خدمت" دون "رفعت". وكل شخص "عالى" الجاه لم يكن من الممكن ألا يكون "متعالى" المقام. وكل من "كان "رفيعا"، يربط فى ذيله "منيعا" ويجره خلفه.

وتوارثوا عدة كلمات من هذا القبيل وكان يدونها كل الهزليين ويستخدمونها فى جميع مراسلاتهم دون أدنى اختلاف. حتى أنهم كانوا يكتبون وقت انتشار وباء الطاعون: "وصل الخطاب الكريم فى أفضل الأوقات". ألا يسأله أحد ويقول أيها الهزلى المجحف هل يكون أفضل الأوقات وقت انتشار الطاعون؟ إذن فمتى يكون أسوأها؟ ومنذ أن انتشر لفظ "المراسلات" وحتى الآن يُكتب فى كافة المراسلات أن "الغرض الأساسى سلامة المزاج الوهاج". وإذا وصل المقام للسؤال عن الأحوال يُعربون عن التنعم بالصحة ويتفننون فى الدعاء ولا يتضررون من شىء سوى الحرمان من فيض الصحبة، فهذا كل ما يأملون أن يتحقق بسرعة.

ألفوا كتبا يقرأها الإنسان عشر مرات ويظل متحيرا لإدراك المعنى وكأنه يقرأها للمرة الأولى قرأت مئات الكتب من مؤلفاتهم لم أجد بها موضوعا جديدا. وكلما كانت العين تقع على صفحة كان يوسف يضل فى بئر غمازة الذقن، وفراشة القلب هى التى كانت تذوب فى نار العشق. والحية هى التى كانت تطوق وجنتى المعشوق. وفى بداية كل سطر يُكتَب فيه كأس جمشيد تتأهب سهام الأهداب على قوس الحاجب وتخطف كرة قلوب العاشقين بصولجان الجدائل. ورأيت ألف قصيدة تبدأ كلها بنهج واحد بذكر الربيع، ثم تقفز من الجبل إلى اليابسة ومن الأرض إلى السماء حتى تصل بعد ألف معركة إلى شخصية الممدوح. وعندئذ تتحدث عن أهداب "رب الأرض والزمان" وتُراعى القافية حتى الوصول إلى ذيل جواده. وبعد

مبالغات لا حد لها والوقوع فى أسر القافية تناشد القصيدة الفلك كى يختفى العالم فى الزمان ليصير عمر الممدوح خالدا!. ومن مكارم عدل كل ظالم يُمدَح يؤاخى الذئب الحمل، ولسطوة قهره لا يتطاول، الكهرمان على التبن الضعيف. وفى مدح كل خسيس تُحاك أكاذيب ومبالغات لا يجرؤ أمي مجنون على ترديدها.

قفز شاب هزلى مجنون من أحد الأركان، ومزق حجاب الحياء ببلطة مخيفة وقال: أيها الرجل الأحمق الهزلى، ماذا تفهم من هذا اللغو؟ لماذا تبالغ إلى هذا الحد لتضيع وقتك وتزعج الآخرين؟ هل أنت عدو نفسك؟ إلى متى تقيد الخيال البشرى بألفاظ لا معنى لها؟ كم يعانى الناس فى سبيل فهم اللغو، الذى تريد أن تقوله؟ من هو "الصقر الملكى الموهوب بالتحليق فى الأجواء العليا"؟ وما معنى "آنسة الكلام"؟ لماذا لا تعبر عن الموضوع بأسلوب تفهم به شيئا مما تقول، وتضيف به شيئا على ما يعلمه المستمعون؟ ما الجمال فى غموض الألفاظ وكثرة السجع لدرجة أنك تجاهد وتفاخر به؟ فكل أحمق يتتبع الكلمات قليلا يستطيع أن يقول كلاما غامضا مبهما لا يقدر أى عقل على فهمه، ولكن فصاحة الكلام تبتعد عن غموض الألفاظ، وجمال الإنشاء يكمن فى وضوح الأفكار وسهولة فهم الموضوع لا فى زيادة غموض العبارات".

الفصل الخامس

الكتابة المسرحية

١- تمثيليات التعزية والعروض التمثيلية:-

ليس للمسرح والكتابة المسرحية وفقا للمفهوم الأوروبي سابقة في إيران، وانحصر فن المسرح منذ فترات طويلة ماضية في تمثيليات التعزية التي كانت تُعرض في العشر الأوائل من محرم. وتمثيليات التعزية عبارة عن تجسيد وتمثيل الاستشهاد المفجع لحضرة الحسين سيد الشهداء وأصحابه، أو أحد الأحداث المتعلقة بواقعة كربلاء، وهذه المأساة الدينية تشبه إلى حد كبير المسرحيات الدينية أو الأخلاقية التي كانت تُعرض في أوروبا في القرون الوسطى.

ويبدو أن تمثيليات التعزية لها جذور أكثر قدما. فكان الديالمة ملوك إيران الشيعة يمثلون مظالم الخلفاء وقصة كربلاء المفلة للروح. ولكن هذه العروض كانت صامتة، وكان المشاركون في العرض يظهرون بزى الفرسان والمشاه وبعد ذلك تقدم تمثيلية التعزية شعرا، وكانت في الواقع نوعا من الميلودراما.

وظهرت تمثيليات التعزية الناطقة في إيران في عصر ناصر الدين شاه على ما يبدو؛ وإن كانت قد ظهرت قبل ذلك فإنها ازدهرت في عصر ناصر الدين شاه وظهر ممثلون بارعون في التعزية.(١) ويبدو أن مشاهدة الشاه للمسارح الأوروبية أثناء رحلاته قد أثرت في ازدهار تمثيليات التعزية.(٢)

---

(١) مثل ملا حسين وميرزا غلامحسين وجهانجير.

(٢) عندما سافر ناصر الدين شاه لأول مرة إلى أوروبا شاهد المسارح الأوروبية، وبعد عودته إلى إيران عام ١٢٩٥ هـ شيد التكية الحكومية لهذا الغرض على الطراز المعماري لقاعة ألبرت المشيدة في لندن. ولكن نظرا لاعتراض رجال الدين على العروض المسرحية تحول المسرح إلى تكية ومكان لعروض التعزية. (شيدت تكايا أخرى بعد ذلك وهي تكية ولي العهد، تكية عضد الملك، تكية صاحب الديوان، تكية سيد إسماعيل، تكية خلجها وتكية منوچهر خان). وكانت أقوى عروض التعزية تقام في التكية الحكومية. وكانت هذه القاعة الواسعة تتكون من طابقين، وقسم الطابق العلوي إلى حجرات، وخصصت للشاه والأميرات=

وقد أُعدت متون تمثيليات التعزية فى وقت متأخر إلى حد مـا. ولـم تكـن موضوعاتها تدون عادة، بل كانت تدون الأشعار والمجالس (أى دور ومشاهد كـل فرد) على ورقة ليستعين بها المشاركون فى مشاهد التعزية، ولهذا فنحن نجهل فى الغالب أسماء من قاموا بتأليفها. (١)

وكانت العروض كما ذكرنا تتميز بطابع التعزية، ولكن كانت هنـاك أيـضا عروض تمثيلية فكاهية من بينها "عرس قريش" و"سليمان وبلقيس" و"الأمير تيمـور والى الشام" والتى كانت تُعرض فى مجالس الرجال ومجالس النساء أيضا. (٢)

ومضمون هذه العروض ساذج جدا وبدائى. فخلاصة الموضوع فى تمثيليـة "عرس قريش" كالتالى:-

عرس قريش: أقامت نساء قريش الوثنيات مجلس عرس واحتفال فى مكـة،

=ورجال البلاط. وأعد فى صحن التكية مكان كبير للمشاركين فى العرض، وشُيد فى وسطه مسرح من الجص والطوب كان يعتليه المشاركون فى العرض ليأدوا دورهم. وبينما يخفـى كل واحد ممن ينشدون الشعر واحدا من الممثلين أسفل شاله كان "مدير مجلس التعزيـة" أو "المُبكى" يدخل ويعطى الإشارة ببدء التعزية مع أنغام الموسيقى الملكية. وكانت تُقـدم فـى عروض التعزية شخصيات الشهداء والرسل والملوك والملائكة والجن وأحيانا كانـت تقـدم شخصية أجنبى يسمى "السلطان قيس" وأيضا أسد يسمى "فضة"، وتوضح هـذه المـشاهد أن ليس الشيعة وحدهم بل الجن والأنس والكفار والحيوانات فى حداد لهذه المصيبة ويـشعرون بالخزى لهذه الجريمة المأساوية.

(١) وقد جمع العلماء الأوروبيون نصوص بعض هذه التعازى وترجموها ونشروها. ومن بينهـا مجموعة خاصة بفتحعلى شاه القاجارى وتتكون من ثلاثة وثلاثين مجلـسا وقـام بترجمتهـا الكساندر خودسكو (A. Chodzko) وشارل فيروللو (Ch. Virolleaud) وروبير هنـرى دو جنره (R. H. DeGenert) ونشرت. وقام الكولونيل ويليام ليتن (W. Litten) بتصوير مجموعة أخرى مكونة من خمسة عشر مجلسا ونشرها دون ترجمة، وهناك مجموعة أخرى مكونة من سبعة وثلاثين مجلسا ترجمها الكولونيل لويس بيلى (L. Pelly) إلى الإنجليزيـة ونشرت فى مجلدين. وهناك آخرون قدموا أعمالا عن التعزية فى إيـران مثـل كريمـسكى (Krimski)، وبرتلس (E. Berthel's) و ويليام بنجامين (W. Benjamin).

(٢) كان الملوك القاجاريون يمتلكون دورا للتمثيل، فقد أنشأ فتحعلى شاه اثنين أحـدهما للنـساء والآخر للرجال، وكان جميع الممثلين تابعين للبلاط ويحصلون على رواتب من الدولة.

ودعون أيضا حضرة فاطمة الزهراء بنت الرسول لتحضر العرس. وفى البداية تمتنع حضرة فاطمة عن حضور الاحتفال، ولكنها تقبل الدعوة نتيجة إصرارهن وأمر حضرة الرسول، وحين خروجها يصل حور من الجنة ويقدمن لها الملابس الفاخرة.

وعندما ترى العروس ابنة الرسول على هذا النحو من الجاه والجلال تغيب عن الوعى، ولكنها بفضل دعاء حضرة الزهراء تعود إلى وعيها، فتسلم العروس ونساء قريش الأخريات اللائى كن وثنيات كافرات.[1]

الأمير تيمور ووالى الشام:-

أما قصة الأمير تيمور ووالى الشام فهى قصة جذابة توضح أن ملكا سفاحا مثل تيمورلنك لم يستطع أيضا أن يعفو عن أهل الشام بسبب واقعة كربلاء.

فيذهب الأمير تيمور إلى العراق للثأر لحضرة الحسين، ويقسم فى النجف عند المزار المطهر لأمير المؤمنين ثم فى كربلاء أمام مرقد حضرة سيد الشهداء بأنه لن يهدأ حتى ينتقم لواقعة كربلاء ويدمر مدينة حلب. ويتحرك تيمور مع جيوشه صوب الشام، ويقرر والى الشام أن يُهدى ابنته لتيمور لينقذ نفسه، ولكن تيمور يأمر بنزع الغطاء عن رأس الفتاة والملابس الفاخرة عن جسدها. وتقييد الوالى وحبسه.

والمشاركون فى العرض عبارة عن الأمير تيمور، ووزيره، والدرويش، ووالى الشام، ووزيرين من وزراء والى الشام وابنته. ويبدأ العرض على النحو التالى:-

---

(١) كان يُعرض هذا العرض التمثيلى فى التكايا وخاصة التكية الحكومية على نحو مهيب. كما كانت أميرات البلاط أيضا تقمن هذا العرض ومنهن مهد عليا الأولى، ووالدهما فتحعلى شاه، ومهد عليا الثانية، وملك جهان خانم والدة ناصر الدين شاه والسيدة منير السلطنة، ووالدة كاهران ميرزا ولى العهد، وغيرهن.

الأمير تيمور: يا وزير، يا له من مكان جميل مبهج، ينبعث النور من أرضه إلى السماء السابعة، وجوه منعش للروح كروضة إرم، وسماؤه هواؤها طيب كجنة الخلد العليا!......

أصدر الأوامر بمد موائد النعم كي أتمتع برغد السلطان.

الوزير: أيها الخدم، مدوا الموائد وزيدوا من نعم الحق.

الأمير تيمور: اجلس، أيها الوزير أفلاطوني الضمير، كُلْ هنيئا بإذن الأمير.

الوزير: (بعد تناول الطعام ومدح ملك الأزمنة) ما السبب في مناجاتك للحق؟ فالحق يضمن لك تلبية حاجاتك.

الأمير تيمور: اعلم يا وزيرى، أيها اللبيب أن هذه اللحظة قرينة الإقبال والسعادة فبعد فتح بغداد أم البلاد سأجعل تراب مُلك حلب يضيع مع أدراج الرياح وسأجعل أعالى بلاد الشام أسفلها حتى لا يبقى لها أثر عدا اسمها.

وتنتهى على النحو التالى:

الوزير الأول: لم أرتكب أى جرم أيها الأمير

الوزير الثانى: إذن من الذى ارتكب المظالم التى لا حد لها أيها الوزير؟

الوزير الأول: هذا التعيس هو الذى فعلها.

الوزير الثانى: هذا الظالم هو الذى فعلها.

الوزير الأول: هذا الوزير يستحق الجلد

الوزير الثانى: فلتأمر بحبسه أيها الأمير

الأمير تيمور: يجب جلد كليهما بشدة. أحضروا العصا والفلقة للجلاد وقيدوا كليهما لتأديبهما[1]

---

(١) عن "بنياد نمايش در ايران" تأليف د. أبو القاسم جنتى عطائى.

٢- العروض الفكاهية:-

وظهر في إيران منذ العصور السالفة نوع من العروض الشعبية المشابهة لعروض السيرك إلى جوار العروض التمثيلية.و كانت عبارة عن مشاهد تضم العروض واللطائف التي يقدمها مهرجو البلاط والأسواق (الفتوات والمطربون).(١) وكان القائمون بتأدية هذه المشاهد يسخرون من أعدائهم من خلال تأدية بعض اللعب على الحبال والرقص والغناء، وكانوا في الغالب ينتقدون الحكام وحتى رجال الدين من خلال عبارات منمقة مزدوجة المعنى. ولم تكن نصوص هذه العروض الفكاهية مدونة، فارتبط اختيار مضمونها برغبة من يقومون بتأديتها ومكانة المشاهدين وما تقتضيه الظروف، وبشكل عام لا يمكن إدراجها في عداد الأعمال الأدبية والفنية.

وأشهر هذه العروض، عرض "الحاج الماس". والحاج الماس غلام أسود يعشق ابنة صاحبه. ويعلم والدا الفتاة بالأمر فيعاقبان الحاج الماس. فيقوم الحاج الماس بدوره بإخبار سيدته بخيانة زوجها، ويخبر سيده بخيانة زوجته ويوقع بينهما وينتقم لنفسه.

ومن العروض الفكاهية عرض "السيدة راكبة الحمار" وحظي كل عرض في وقته بالإقبال كما تضمن مسائل أخلاقية.

وتحتل كل هذه الأعمال مساحة ما بين الأدب الشعبي والأدب الفصيح، ولا تحظى بأهمية كبيرة من الناحية الأدبية.

---

(١) في عهد ناصر الدين شاه كان يقدمها أحد المسئولين عن كوشك الموسيقى (النقارة) يسمى كريم شيره أي وصديقه وزميله في العمل إسماعيل البزاز، وكانا من المهرجين الماهرين أو بالمفهوم المعاصر من الفنانين الكوميديين وذلك في البلاط ومجالس الأعيان والأشراف وخاصة أثناء مراسم عزف السلام في عيد النيروز التي كانت تعقد في بناية سردر. ومن المهرجين الآخرين أيضا شغال الملك. وحسين دودي والشيخ شيپور والشيخ كرنا وحسن جربه وغيرهم وكانوا يضحكون الناس باللطائف ويجذبون اهتمامهم.

"بقال بازى در حضور: عرض البقال فى البلاط"

ولكن نتيجة تنامى علاقات إيران بالغرب وانتشار الثقافة والعلوم الأوروبية تطورت تدريجيا العروض، وبقدر ما أصاب العروض التمثيلية وعروض التعزية من أفول بقدر ما ازداد الإقبال على عروض السوق المضحكة، أما الممثلون المقلدون الذين انحصر عملهم فى التقليد والسخرية وأداء الحركات وإضحاك الشاه ورجال البلاط فقد عملوا على إدخال مشاهد فى لطائفهم لنقد الشخصيات والأوضاع.

وأكثر هذه العروض تكاملا "عرض البقال فى البلاط" ومؤلف هذا العرض غير معلوم وكذا تاريخ تأليفه ويقول الدكتور أبو القاسم جنتى عطائى مؤلف كتاب "بنياد نمايش در إيران: جذور المسرح فى إيران"، قدم هذا العرض سيد على نصر لأول مرة عام ١٣١٧، وكتب فى الكتيب الدراسى عن تاريخ المسرح فى الفصل المتعلق بإيران حيث يرد ذكر المهرجين فى بلاط ناصر الدين شاه: "أشهرهم كريم شيره اى، وكان يقدم أيضا نقدا فى عروضه وسننقل فيما يلى مشهدا من العرض الذى كان يقدمه". ثم يضيف بعد نقل مشهد "كريم ويوشان خان":-

"هذا العرض المعروف بعرض البقال، كان يقدم ليلة عيد النيروز فى القصر الملكى." وبناء على قول مؤلف "جذور المسرح" فإن الأمير معز طبع عام ١٣٢٣ هـ.ش نص العرض فى مجلة هوليود العدد ١٨، ووصف مؤلفه بأنه أحد المشاهير، ونظرا لعدم إصدار المجلة (لاحقا) ظل المشهد الأخير من العرض ناقصا، ولا يمكن التكهن بنهاية الأحداث أو معرفة من ذلك الرجل؟

وأراد المؤلف المشار إليه بالقطع أن يبرز فى هذا العرض ملامح العصر الذى أُلفت فيه أعمال ملكم، فإن لم يكن هذا النص قد كتب قبيل تأليف أعمال ملكم خان المسرحية بفترة قليلة، يكون قد كُتب فى الفترة ذاتها.

إننى أدرك تماما استنتاج مؤلف "جذور المسرح"، واستنادا لقول الأمير مغر

الذى اعتبر المؤلف أحد مشاهير إيران وبالنظر إلى أسلوب الكتابة "وملامح العصر" التى تتجلى من خلاله؛ فإننى أعتقد بشكل يكاد يكون يقينيا أن هذه المسرحية قد أُلفت قبيل ظهور أعمال ملكم المسرحية بفترة وجيزة، ولا يمكن أن يكون مؤلفها سوى محمد حسن خان اعتماد السلطنة، ومقارنة هذا العمل بكتاب "خوابنامه" لاعتماد السلطنة –الذى لم يكن من الممكن أن يُطبع ويُنشر فى حياة المؤلف تؤيد هذا الرأى إلى حد كبير.

ولكن سيد على تصر يعتقد أن هذا العرض كان يقدم فى القصر الملكى ليلة عيد النيروز، وهو أمر غير مبرر وأعتقد أنه قبيل كتابة "عرض البقال فى البلاط" على النحو الموجود بين أيدينا والذى نعتقد أنه كُتب بقلم اعتماد السلطنة، كان يقدم مهرجو البلاط من أمثال جماعة كريم شيره اى وغيرهم مشاهد بنفس الاسم "عرض البقال" وكانت عبارة عن لطائف مناسبة للعرض فى بلاط الشاه. وهنا نقدم مشهدين من مسرحية "عرض البقال فى البلاط".

المشهد الأول

قبل يومين من عيد الميلاد يجلس الشاه على العرش فى إحدى غرف البلاط، ويقف الموظفون مصطفين.

الشـــــاه: (إلى وزير البلاط) بعد غد عيد ميلادنا.

وزيـــــر البـــلاط: نعم؛ جُعلت فداك. إن الألعاب النارية والاحتفالات والمصابيح كلها مُعدة. وكافة أهالى إيران، وخاصة الجنود، يترقبون الاحتفالات والمسرات حمدا لسلامتكم ودوام دولتكم وعيد الميلاد الملكى السعيد، ونأمل أن نعيش ونفاخر إن شاء الله لسنوات مديدة فى ظل رأفة ورحمة سيادة صاحب الجلالة الملكية القوى المقدس بالدعاء فى نفس هذا العيد السعيد لملك الملوك ذى جاه جمشيد بطول العمر والإقبال.

الحاضرون فى البلاط: (بصوت عال) آمين يا رب العالمين

الشـــــاه: (يجلس على العرش، يمسح بيده على شاربه ناظرا إلى ملابسه، ويقول فى اتزان شديد لوزير البلاط) نعم إن رغبة الشاه المباركة أن يتم الاحتفال بعيدنا هذا العام على نحو أفضل من الأعوام الماضية. أعدوا، أعدوا كل ما يلزم، حسن حسن حسن. جميل جميل جميل.

...الدولة: نعم، جُعلت فداك، جعلت فداء لرأس قبلة العالم المباركة.

الشـــــاه: (إلى..... الدولة) اخرج، واجلس وأصدر مباشرة أمرا ليَشرُف كافة العاملين بالبلاط بحضور مراسم الاحتفال الملكى (يخرج... الدولة والآخرون ويجلسون فى أحد ممرات الحديقة وبعد تهيئة لوازم

الاحتفال، يدون الأوامر بخصوص حضور الأهالى مراسم الاحتفال، يسلمها لرئيس الحرس، فيذهب ليخبر الناس، ويصل للجميع نسخة من الأوامر وإلى كريم قاجار آقا)

كريم خان: (بعد قراءة نسخة من الأوامر يعطيها لأخيه نوروزخان) نوروزخان؛ تعال لترى ما حل بنا، ولتنظر المصيبة التى حطت علينا، فبعد غد عيد ميلاد الشاه وأعلنوا عن الاحتفالات العامة. لا يعلمون بحالة العاملين بالحكومة، الله يحرق الناس، فالجراية مقطوعة تماما ولم أحصل على دينار من راتبى عن نصف العام الماضى، واقترضت عشرة تومانات بفائدة عشر عملات من الشاهى، ففوائد القروض فاقت الحد، ممتلكاتى إما بعتها وإما رهنتها، بعد خمسين عاما من العمل بالحكومة لم يبق لى سيف كى أضعه على خصرى وأذهب لحضور الاحتفال. ولنفترض وجود سيف من أين أجد جوادا، ماذا أقول للناس، أأقول لم أحصل على راتبى. يا له من إجحاف...

نوروزخان: يا أخى، لقد وصلك خمس أو ست قطع من السيوف والخناجر، وخاصة ذلك السيف المطعم مقبضه بالذهب الخاص بالمرحوم خان آقا، ماذا فعلت به؟ ألم يكن من المفترض أن ترهنه أو تبيعه.

كريم خان: الله يعطيك العمر، أمع هذا العمل الحكومى وظلم ولاة الدولة، هل تطيب الأحوال أو تبقى هذه الأشياء! لقد بعتها كلها وولت. لقد احتفظت بالسيف المطعم مقبضه بالذهب بطلوع الروح، وأول أمس أتى دائن وأصر على المطالبة بدينه وطلب رهنا فأعطيته له.

نوروزخان: لقد تأزمت الأمور. لا أعلم ماذا سيحدث بعد ذلك! بالأمس كانت هذه الشكوى تتردد فى بيت قبيلة القاجاريين.. والمشكلة أنه لن يستطيع الذهاب للاحتفال أكثر من خمسة أو ستة أفراد.

كريم خان: ليكن ما يكون فأنا لا أستطيع الذهاب. فلا عندى جواد ولا عندى خدم. لا عندى سُتره. ليأتى حانوتى ويحمل هذا العمل الحكومى وهذه الحياة، أين أولئك الذين كانوا يشتكون من عهد المرحوم محمد شاه؟ ليأتوا الآن ويروا هذا الحشر. (فى هذا الوقت يدخل بابا خان آقا، كبير القاجاريين وهو معمر محنك ومحترم وبرفقته عدد من أشراف القاجاريين).

بابا خان آقا: السلام عليكم.

كريم خان: عليكم السلام يا عمى العزيز. مرحبا لقد أتيت فى الوقت المناسب، مرحبا، الآن كنا نتحدث عن الأوقات العصيبة التى تمر بالقبيلة المبجلة.

بابا خان آقا: يا بنى، أية قبيلة وأى تبجيل! لقد ذهبت قبيلتك لحال سبيلها، لقد ضاعت الرعية والعاملون بالبلاط، وصارت الحكومة مفتضحة تماما. فمولانا هذا ابن الحلاق[1] أنزل بلاءً على رأس الإيرانيين بالتدليس والنفاق بحيث إن إيران ستظل خربة ولن يشعر الإيرانيون بآدميتهم لمائة عام.

كريم خان: يا عمى العزيز، لقد فاقت أحوال إيران هذا، والألم يعتصرنى. ألا يسأل أحد ماذا فعل هذا الصدر الأعظم الإيرانى السياسى ابن الحلاق منذ أن رأس الوزارة، وما التنظيمات التى قام بها، وما الاختلاف الذى حل بالدولة! لقد جعل التدليس المملكة خربة والرعية

(١) المراد ميرزا حسين خان مشير الدولة سپهسالار الأعظم. والده ميرزا نبى خان أمير الديوان القزوينى وجده عابدين الدلاك كبير الحلاقين لدى علينقى ميرزا ركن الدولة بن فتحعلى شاه.

موتى والأمور مختلة، وحرم الناس من الحياة. لتنظر ما آلت إليه إيران آخرا! لا يهتم أحد سوى بنفسه.

بابا خان آقا: نعم، الأمر أسوأ من هذا بكثير؛ لقد فقد مولانا غيرته على الأمة، وألزم نفسه بالتغاضي تماما عن مراعاة واجباته باعتباره إيرانيا، فيحاكي ويقلد أمما أخرى. فهو يراعي حق العشرة مع العثمانيين وينفذ إصلاحاتهم ويكتب باستمرار في الرسائل:

"باب عالي[1]: الباب العالي، نظميه: قسم البوليس، ضبطيه: الشرطة، جزاي نقدي: غرامة مالية" حسن يا عبد الله، [موجها الخطاب للصدر الأعظم سپهسالار] ما العيب في "در بارهمايون: البلاط الملكي" وما العيب في لفظ "جريمه" بحيث تستخدم مصطلحات "باب عالي وجزاي نقدي" وتترك مصطلحات أمتك رغم وضاعة تلك الألفاظ، وتتمسح بذيل الآخرين. فلو لدى العثمانيين قواعد طيبة، حسن جدا فلنقبلها. إذن فلتنفذها كلها واعمل بها كلها. لماذا تنفذ الأشياء التي فيها مصلحة شخصية لك ولا تنفذ ما ليس فيه مصلحة لنفسك المتحوسة النجسة؟ سيدي العزيز في تلك الدولة التي تشيع فيها هذه الإجراءات وتلك الألفاظ، يقدمون حقا للجندي طعاما للعشاء والغذاء وأدوية، لكنهم: أولا يقدمونها لكل الجنود لا لفرقة أو فرقتين، ثانيا: يدفعون للعاملين في الحكومة راتبا بشكل منتظم ووفقا لنظام معين وقيمة محددة، فهم ليسوا مثلك؛ لم تدفع لستة شهور من السنة دينارا للعاملين بالحكومة، بل إن الناس لا يعتبرون أن لهم راتبا؛ أليس كذلك؟! كثيرا ما منعت الرواتب لسوء سريرتك ولم تدفعها يوما بالتزوير ولوضاعة أصلك. إذًا في هذه الأمور أنت لا تُنفذ التنظيمات العثمانية، والحق معك طالما أنك ستدفع الأموال.

---

(١) المقصود البلاط العثماني.

ثالثا فى تلك الدولة يبذل الوزير أو الصدر الأعظم كل جهده لتستقيم الأمور، ولا يهملون شئون الرجال المساكين ولا يتركون مثلك العاملين الفقراء مشردين، فهم لا يحتالون ولا يزورون، ويفرقون بين الصديق والعدو. يا مولانا، لو تريد أن تعلم حقيقةً مدى أصالتك فلتلاحظ وتدرك الألاعيب التى قمت بها فى دار العدل والأفكار الشيطانية التى ابتكرتها. أقول لك إن مجلس التحقيق للمماطلة فقط، ومجلس الجرائم والجنايات كله تابع بك، وفى حجرة الاستجواب أصيب كافة القائمين بهذا العمل بالخرس من الجوع، وفى حجرة الدعاوى لا يفرق أحد بين المدعى والمدعى عليه، وفى حجرة التنفيذ تسيل الدماء من قلب المدعى والمدعى عليه من الانتظار. الخلاصة؛ فى كل وزارة فرشت خمسين غرفة وفقا للطراز العثمانى بالأبسطة وعلقت بها الستائر الأوروبية وكلفت عددا من الرجال الأعزاء المحترمين الأكفاء بأعمال تافهة ولم ينجزوا شيئا، حققت هدفك وهو التقليد. فالحكومة متضررة والأمة حائرة مشردة، وأنت رأيت العاقبة. إن كفاءتك ولياقتك لا تكفى، فالقول ليس كالعمل، تركت هذا... وفكرت فى لعبة أخرى. ولأن ملكنا يميل بفطرته إلى هذا النوع من التسلية والألعاب الطفولية، فقد أحب كل هذه التفاهات وتلك المظاهر، وقام بتنفيذها وهذه المرة حصل مولانا على لقب (سپهسالار: قائد الجيش) حسن حسن حسن !

هل أحسنت صنعا بشئون الأرض   كنت تتولى أيضا شئون السماء !!

[مخاطبا كريم خان] فلتكن بالله منصفا؛ ما إمكانياته وما مهاراته؟! هل ذلك الوجه الشبيه بالقرد، أم ذلك التمكين والوقار، أم إخلاص النية للحكومة على هذا النحو؟! بما يتميز من بين هذه الأمور؟ بالله إن كل من يتحلى بقليل من الحكمة والمعرفة، ولديه اطلاع على تاريخ الدول الأجنبية فى الماضى وأوضاعها الحالية

سيقر بأنه لم ترتكب أية دولة أو أية أمة منذ بداية خلق آدم والعالم مثل هذه الحماقة وذلك الخطأ من تعيين شخص تافه كريه متآمر في مثل هذا المنصب كي تبدو تلك الأمة أمام الأنظار في الداخل والخارج على هذا النحو الهزلي الساخر.

نوروزخان: عمي العزيز، إن هذا كله من سوء حظ وصبر أهالي إيران على المشاق، وإلا فأين وجه المقارنة بين أولئك الرؤساء وقادة الجيوش القدامى وابن الحلاق هذا !

بابا خان آقا: وهذا الأمر أيضا لطيف: تُعطى سترة عسكرية قصيرة وخنجرا وقلنسوة لكل فتوة وديوث وسوقي مشرد ممن كانوا لصوصا ومخنثين منذ طفولتهم؛ ويُطلق عليهم مصطلح "فرقة من الشرطة". آخرا يا من لا مروءة عندك، [مخاطبا سپهسالار] أيها الظالم إلى متى يلحق هذا القدر من الضرر بالدولة وممتلكات الأهالي المساكين وأنفسهم من جراء استخدام لفظ الشرطة الذي يعد تقليدا أعمى، وإلى متى تسمى جماعة من اللصوص فرقة من الشرطة، ليتحكموا في الرعية؟!

كريم خان: الحمد لله ببركة هذه الفرقة سوف تنزل البغي بعد ذلك في بيوت الدعارة تحت حماية ذوي الخناجر والقلنسوات ذات النياشين وسوف تطلب أضعافا، وذلك ببركة رأس مولانا.

بابا خان آقا: لا سيدي، هذه الفرقة سيتم تسريحها أيضا. علمت بالأمس أن واحدا منهم كان يصطحب واحدة إلى مكان ما، فأمسكه الفتوات، وتجمع رجال الشرطة، وصارت مشاجرة، وأصابوا الاثنين بجراح، وندموا عندما افتضح الأمر. وسوف تُسَرَّح هذه الفرقة. فهذه الفرقة من الشرطة ستمثل أمام دار العدل. واحسرتاه على الخناجر، وأسفاه على البنادق والقلنسوات ذات النياشين! ما الفائدة، ألا يقول أحد لك [مخاطبا سپهسالار] إنك تستقطع رواتب ومقررات العاملين القدامى والناس المساكين من الأشراف، وتسمى ذلك عوائد للدولة، وإنك لا تلحظ هذه الأضرار التي تلحق بالدولة مطلقا. حسن تذكرت أن أقول هذا الموضوع: يا

سيدى ما هذا القيشانى الذى يُلصق فى الممرات والمنازل؟ أعطيت لأسرة ولم تعط لعشرة آخرين. لو كان لهذا الأمر فائدة، لماذا لم تتمه، لماذا تركته ناقصا؟ الخلاصة ما يُشترى بقران واحد تم شراؤه بعشرة قرانات، لماذا تتسبب فى خسارة الدولة، ولماذا تعمل عملا مبهما غير مبرر؟ وتلحق الضرر بالدولة؟ أيها المحب للخير غير السوى!!! إلى متى تبتكر تلك الحيل؟ أواه من هذا التدليس والتحايل! رحم الله أهالى إيران! لقد مضى الوقت ويجب الذهاب، حفظك الله عمى العزيز

كريم خان: زاد لطفك، هل ستذهب للاحتفال أم لا؟

بابا خان آقا: لا عمى العزيز. أين لى بجواد؟ أين لى بخادم؟ أين الصحة؟ حفظتك السلامة! إلى اللقاء.

المجلس الثالث:

يضع شوردكى على رأسه قبعة جلدية مرتفعة جدا، ويرتدى قباءً فضفاضا مرقعا طويل الأكمام موشى بالقصب، ويلبس جبة من الجوخ قديمة رثة باهتة اللون، وسروالا داخليا يبدو لونه الأبيض من خلال بعض الثقوب. ويلبس فردة حذاء نسائى خضراء ذات كعب عالى، ويضع على خصره شريطا من الورق ويمسك فى يده عصا... يدخل ريشكى مرتديا زى عامل بالبلاط وماستى فى زى حارس. ويقف شوردكى وريشكى إلى جوار بعضهما. ويتقدم ماستى إلى دكان البقال، وينادى "آها آها" ويمسك بذقن كريم ويشدها قائلا: آها آها تيقظ، تيقظ"

كريم: (بخوف) يا رجل، ماذا تفعل يا وضيع الأصل، لقد خلعت ذقنى، ما الخبر، ماذا حدث؟

ماستى: لقد أمر سيدى رئيس المحتسبين[١] أن يُحمل كل من يطفف فى الميزان أو يخلط الزبادى بالماء إلى غرفة الجرائم والجنايات فى دار العدل للاستجواب، ويُجرم إذا كان غشاشا[٢] وتُمزق طاقيته التى يرتديها تحت العمامة

(١)، (٢) الكاتب يضمن عبارات تركية داخل العبارات الفارسية (المترجمة).

وتوضع على رأسه، ويدفع غرامة مالية مائة وخمسين قرشا.

كريم: (متعجبا) يا سيدى من أين جئت؟ وما هذه اللغة؟ من رئيس المحتسبين؟ وأين حجرة الجرائم والجنايات؟ وما الغرامة المالية؟ وما تمزيق الطاقية التى يرتديها تحت العمامة؟ نعم لقد كثر عدد الحلاقين والخياطين؛ لهذه تزداد هذه التصرفات.

ماستى: يا الله، اذهب يا ديوث. أنا هو أنا.

كريم: حسن حسن، الآن يجب أن نترك علمنا، ونتعلم الألفاظ المستحدثة: حجرة الجرائم والجنايات، الغرامة المالية، كبير المحتسبين !... ليتك ما ذهبت إلى إسطنبول. أواه، لو أن إيران هى التى أراها الآن فسوف أسمع الكثير من هذه الأحاجى (فى تلك اللحظة يصل للدكان شوردكى وخلفه ريشكى).

شوردكى: (يقول لكريم) سيدى البقال السلام عليكم.

كريم: (متعجبا) فى كل لحظة يفد علينا جن من تلك الحديقة؛ عليكم السلام.

شوردكى: سيدى البقال ما عندك لنشتريه؟

كريم: بفضل الله كل شيء، ماذا تريد؟

شوردكى: حسن أشعل النرجيلة، لأدخن. وبعدها ندخل فى الموضوع.

كريم: هل تأمرنى بإشعال النرجيلة. (يعلم كريم من صوت شوردكى أنه من أصحابنا ممن يقومون بالنهب ولكنه كان يعتقد أنهم بلحية ويرتدون زيا مهندما، فيلتبس عليه الأمر، يشعل النرجيلة ويعطيها لشوردكى ويجلس أمامه قائلا). سيدى العزيز، عفوا، ما اسم سيادتك؟ ومن أين أتيت؟ وفى أية إدارة تعمل؟

شوردكى: أنا شاعر من بهبهان وقد درست فى أصفهان. نظمت قصيدة لعيد

الميلاد وسأحملها لأنشدها فى مجلس الشاه، ولكن نظرا لأننى أراك رجلا اجتماعيا وأصيلا، فليس من المستبعد أن أمنحك نصف إنعام الشاه، وآخذ منك متطلبات الأولاد.

كريم: طال عمرك. هكذا بالطبع يكون الإنسان الأصيل الشهم. ما اسم سيادتك؟

شوردكى: اسمى سوشان خان ولقبى "عقب الشعراء"

كريم: (مندهشا) ميرزا يوشان خان؛ ما معنى "عقب الشعراء"؟

شوردكى: نعم سيدى، نعم.

كريم: ما هذا اللقب الذى تُلقب به؟

ميرزا يوشان خان (شوردكى): الذنب ليس ذنبى. فالألقاب فى هذا العهد سوقية. فمن كثرة ما منحت الحكومة الألقاب لكل من يستحق ومن لا يستحق، لكل بالغ وصبى لم يبق لقب. فى عيد النيروز كنت قد نظمت قصيدة أعجب بها الشاه جدا، وشملنى بلطفه، وكان يريد أن يمنحنى لقبا، فكرنا كثيرا ولم نجد لقبا لم يمنح لأحد. فى النهاية أنعم علىّ بلقب "عقب الشعراء" بسبب التأخير. الدنيا مليئة بالأشياء، لا تهتم، فالشاه لا يحب الأسماء. فالألقاب لطيفة حتى وإن كانت لكلب أو قطة.

كريم: سيدى ميرزا يوشان خان، ألا تأبه حقا، أليس فى هذا تدنٍ للألقاب!

ميرزا يوشان خان: بارك الله فيك، أنا لا أهتم؟! سأعقد معك رهانا، لو أننى أحصيت جميع الألقاب جميعها، يكون من نصيبى علبة السمن هذه، وإذا فاتنى شىء من ذكرها سأعطيك كل ما أنعم علىّ به الشاه.

كريم: أوافق، أعطنى يدك للقسم لو أنك ملتزم برهانك.

ميرزا يوشان خان: لا؛ اطمئن، فأنا لست مجد الملك لاتراجع عن كلامى

وأتحدث فى اللحظة الواحدة بألف طريقة. بسم الله، أحمل القلم وأكتب.

كريم: (يحمل القلم ويقول) بسم الله، قل لى ماذا أكتب.

ميرزا يوشان خان: اكتب: ظل السلطان، حسام السلطنة، نائب السلطنة، اعتضاد السلطنة، شجاع السلطنة، أمين السلطنة، شعاع السلطنة، مؤتمن السلطنة[1].

كريم: كفى ! أكل هذه ألقاب؟ لقد تعبت.

ميرزا يوشان خان: تمهل، تمهل ! إلى أين وصلنا؟ لم أكمل النصف بعد، اسمع واكتب. شجاع الملك، معين الملك، ضياء الملك، نصير الملك، ناصر الملك؟[2]...

كريم: يا سيدى لقد اختنقت، كفانى بالله، لقد قزت. هذا السمن لك، خذه واكفنى شرك. ألم تكتفى من تلك اللعبة؟

ميرزا يوشان خان: وروح جدتك ! لقد انهمكت أخيرا. لن أتوقف لو أعطيتنى عشر علب. لقد أمعنت التفكير وتعبت. ماذا تظن؟ أتظن أنك لن تخسر، أكتب، بسرعة: شكوه السلطنة، فروغ السلطنة، ضياء السلطنة... [3]

كريم: تعيش الدولة ! كل هؤلاء من ذوى الألقاب إذًا كم عدد من ليسوا من ذوى الألقاب؟ سيدى اتركنى، أتريد المزاح إلى هذا الحد؟

ميرزا يوشان خان: أى مزاح يا وضيع، إن هذا جاد جدا. فالألقاب المميزة لا تزال فى الخاتمة. اسمع: صدر العلماء، نظام العلماء، سلطان الذاكرين، لسان الذاكرين... ملك التجار، مشير التجار، أمين التجار[4]...

---

(١) ويذكر على هذا النحو مائة لقب.
(٢) يذكر اثنين وأربعين لقبا آخر.
(٣) يحصى اثنين وعشرين لقبا.
(٤) يحصى خمسة عشر لقبا.

كريم: جُعلت الحكومة فداءً لجدتك، يا وضيع؛ من كل هؤلاء؛ ملك ومعتمد ورئيس مَنْ من التجار؟ وما نوع هذه التجارة؟ اذهب إلى مسجد الأمير عبد العظيم وانظر لترى أن خدام المسجد قد ضاقوا من جراء التجار المفلسين؛ لا يوجد مكان أفضل من مسجد الأمير عبد العظيم.

ميرزا يوشان خان: انظر، لا طائل من كلامك. لو صعدت للسماء ونزلت للأرض لن أتراجع عن إتمام ذكر الألقاب. اكتب.

كريم: الآن قل بسرعة لقد مللت. يا إلهي؛ يا لها من لعبة؟ قل يا سيدى؛ تحت أمرك.

ميرزا يوشان خان: محقق الملك، أمين الشورى، أمين المجلس، أمين الخلوة... كاتب الوقائع، معين البكاء (المبكى)[1]....

كريم: عجبا ثم عجبا ! لطفك يا رب. سيدى من هو معين البكاء؟

ميرزا يوشان خان: والله، أنا أيضا أشعر بالخجل. المفترض أن "معين البكاء" هو ميرزا تقى مدير عروض التعزية.

كريم: (يضرب رأسه بيديه) أواه أواه، هل وصل الأمر فى منح الألقاب إلى هذا الحد؟ تف على لحية من يريد لقبا.

ميرزا يو شان خان: ماذا تقول لو علمت أن الأوسمة والنياشين لها درجات؟

كريم: أقول الله يلعن... الذين يتفاخرون فى هذه الدولة بالألقاب والأوسمة.

ميرزا يوشان خان: اسمع هذين اللقبين، ولن أونبك بعد ذلك.

كريم: يا للعجب. لتحتبس أنفاسك، قل وخلصنى

ميرزا يوشان خان: "قنداق الملك: قماط الملك "

---

(١) يحصى اثنى عشر لقبا.

كريم: لقد ضقت ذرعا. يا رجل اتركني، بالله سأقتل نفسي. من قماط الملك؟

ميرزا يوشان خان: قماط الملك هذا ابن عزة الدولة، وقد ولد منذ يومين ولم يسمى بعد. فاللقب جاء على وجه السرعة.

كريم: حسن؛ وما اللقب الثاني؟

ميرزا يوشان خان: (يضع يديه على عينيه خجلا ويقول) الثاني، الثاني؛ مرحاض الملك، مرحاض الملك.

كريم: ماذا، ماذا؟ أيوجد لقب "مرحاض الملك" في دولة بها كل تلك المناصب؟ إذن فلتقل يا رجل: غائط السلطنة، بول الدولة، مؤخرة الدولة، ضراط السلطنة، ريح الملك، فساء الدولة. (هنا يبدأ الشاه في الضحك ها ها ها... فيأمر بوضع قطعة من القماش العربي في صرة من الحرير الكشميري الفاخر أمام كريم. فيظن كريم أنهم أحضروا له هبة فيفتح بغبطة الصرة، فيقع نظره على قطعة من القماش، فيحملها بسرعة، وينهض قائلاً) حسن حسن. رداء مبارك! فليجعل الله سيف الشاه مسلولا (وعندها يضع القماش على كتفه ويتقدم قائلاً) جُعلت فداك، لي أمل في إنعام آخر، ألتمس لقبا.

الشاه: أي لقب، أي لقب؟ فلتختاره أنت وسأمنحك إياه.

كريم: جُعلت فداك، اسمي كريم شيراه (أي: كريم صانع العصير) فيناسبني "عصير الملك"

الشاه: ها ها ها، حسن جدا لو أنك شرحت الموضوع تفصيلا وبينت وظيفة القائمين على الخلوة على نحو سليم فسوف أمنحك هذا اللقب (فيطأطئ كريم رأسه ويتراجع للوراء)[1].

---

(١) نقلا عن "بنياد نمايش درايرن " الدكتور جنتي عطائي.

٣- التأليف المسرحى الحديث:

بدأ التأليف المسرحى وفقا للمفهوم الأوروبى فى إيران مع إنشاء دار الفنون وترجمة مسرحيات موليير. وضع حجر الأساس لدار الفنون عام ١٢٦٦هـ.ق فـى الأرض الواقعة شمال شرق الديوان الملكى بطهران بناء على أمر من ناصر الدين شاه، وأسس فى جانب منها قاعة ضخمة تتسع لثلاثمائـة شـخص علـى غـرار المسارح الأوروبية، ولكن ظلت مغلقة لفترة طويلة بسبب اعتراض رجال الـدين، ثم قدمت بها عروض خاصة قام بها معلم الموسيقى بدار الفنون لـومر، وميـرزا على أكبر خان مزين الدولة كبير المصورين لدى الشاه وعدد آخر، وحضر تلـك العروض الشاه والأسرة الملكية فقط. والواضح أن مؤسسى المسرح فى تلك الفترة المشحونة بالرعب والاستبداد لم يستطيعوا تقديم مسرحيات نقدية واجتماعية أمـام سلطان متسلط مثل ناصر الدين شاه، ولهذا اضطروا لتقديم أعمال مـضحكة بـلا مضمون هادف قدر الإمكان لتوافق ذوق الشاه.

كان كبير المصورين من الدارسين الذين أوفدوا إلى أوروبا حيث أسس هذه القاعة في دار الفنون بعد عودته إلى إيران بأمر من الشاه وعـرض بهـا إحـدى مسرحيات موليير تسمى "قصة الهارب"[١].

الهارب: قصة الهارب هى ترجمة شعرية لمسرحية موليير التى تحمل نفس الاسم[٢] على وزن مفاعلن فاعلاتن مفاعلن فعلن، وقد طبعت فى البداية فى صحيفة اختر ثم طبعت فى الخامس والعشرين من ربيـع الأول عـام ١٢٨٦هـ.ق طبعـة مستقلة فى مطبعة "تصوير أفكـار" فـى إسـطنبول. ويبـدو أن ميـرزا حبيـب الأصفهانى[٣] قد ألبسها ثوبا جديدا (ثوبا ذا طابع تركى واضـح) وغيَّـر العـادات

---

(١) من كلمة حسن مقدم التى ألقاها عام ١٣٠٠ ش فى نفس القاعة.

(٢)Misanthrope

(٣)انظر حواشى مقدمة سيد محمد على جمال زاده على ترجمة كوميـديا "الخـسيس" لمـوليير، طهران ١٣٣٦ ش. والنسخة التى أملكها فقدت منها الصفحة الأولى للكتـاب والتـى مـن-

والأوضاع والصفات وأسماء الأشخاص، يستخدم أحيانا بدلا من العبارات الفرنسية عبارات مرادفة لها بالفارسية فعلى سبيل المثال النموذج التالى ترجمة لنشيد قديم ورد فى المشهد الثانى من الفصل الأول من مسرحية موليير على لسان آلسست[1].

Si le roi m'avait donne

Paris, sa grand ville,

Et qu'il me fallût quitter

L'amour de ma mie,

Je dirai au roi Henri:

"Reprenez votre Paris:

J'aime mieux ma mie au gué !

J'aime mieux ma mie…

وجاءت ترجمتها الفارسية على لسان "مؤنس" كما يلى:

لو منحنى الشاه شيراز فى مقابل شعرة من عذراء شيرازية

لقلت له أيها الشاه، على الرغم من إن مدينة شيراز لا مثيل لها

فإن العذراء الشيرازية تكفينى. خذ مدينة شيراز لنفسك

وتتضمن الترجمة فى بعض المواضع الأمثال والأشعار الفارسية الشهيرة لكبار الشعراء الفرس.

ولكن على الرغم من المحاولات المضنية لتقديم ترجمة أدبية بليغة فإن

المحتمل أنها تضم العنوان والمقدمة واسم المترجم.

(١) Alceste

الكثير من العبارات غامضة وغير سليمة بحيث إن الموضوع لا يُفهم بسهولة، وكما ذكرنا ورد بها الكثير من العبارات التركية الشائعة:

على الرغم من أن زعمك، يا مؤنس، أننى مذنب.

ولكننى أظن أن هذا العمل لا يستوجب الشنق (فاستخدم كلمة "واجب دار" بدلا من "مستلزم جوبهء دار)

لو أننى انتظرت العربة لما أصبت بالوجد (استخدم كلمة "عرابه" بمعنى "كالسكه" أو "درشكه").

قد سمعت أنه عاشق لجميلة....

وكذلك ("به جميله دوست" بدلا من "باجميله دوست")

يتضح أن المترجم أيا كان (ميرزا حبيب الأصفهانى أو غيره) من الناطقين بالفارسية المقيمين فى تركيا، وأنه قام بالترجمة متأثرا بالمشاهد المسرحية التركية فى ذلك العصر، ويتضح هذا الأمر حتى من اختيار أسماء الأشخاص مثل (مؤنس بدلا من Alceste) و (ناصح بدلا من Philinte) و(فتينه بدلا من Céliméne) و(نعمان بيك بدلا من clitandre)، و(نعيم بيك بدلا من Acaste) و(شاه بداق بدلا من Dubois)، وإذا أخذنا فى الاعتبار أن الأتراك العثمانيين كانوا قد ترجموا أعمالا لموليير مثل 'جورج داندن[1] وطبيب رغم أنفه[2] وغير ذلك سنتمسك بهذا الرأى.

وعلى الرغم من كل المآخذ التى ذكرناها فإن الترجمة تقترب من الأصل جدا، وأحيانا نطالع بها نماذج بديعة.

وللتعرف على الكتاب أكثر سنقدم عدة سطور من المشهد الثانى من الفصل

George Dandin, Ou Le Mare Confondu(١)
Le Médecin, Malgre'lui(٢)

الخامس. وفيه يتقابل العاشقان وجها لوجه ويطلبان من المحبوبة أن تفصح عن رأيها النهائي في رفض أو قبول كل منهما:

اميدي: إنك لا تذكرين سيدتي ميعاد الوفاء بالعهد. لقد انقطعت أنفاسي ولم تفصحي عن مرادك. لو كانت نار عشقي تؤثر فيك لماذا لا تنطقين بلفظ صريح !! إن الغرض من سؤالي لك أن أعلم إن كنت ترغبين (مؤنسا) ولو إنك ترغبينني بالفعل، فلتجعليه فداءً لي، واطرديه اليوم من هنا.

فتينة: ما الذي حدث وجعلك غاضبا هكذا من مؤنس؟ ألم تكن تتفنن في الحديث عن فضله؟!

اميدي: الحقيقة أنه لا داع لمزيد من الشرح، الموضوع يدور حول رأيك سيدتي، فلتفصحي عمن يرغبه قلبك، ولتطردي من لا يرغبه. أعتقد أن اليوم؛ الكلمة كلمتك.

مؤنس: (يتخلى عن كبره) إن السيد محق في هذا الموضوع سيدتي فقلبي يوافقه الرأي

على كل حال، لمَ المماطلة أكثر من ذلك

فالوقت وقت الإفصاح، في الحقيقة، نعم أو لا؟

اميدي: سيدي؛ أنا لا أريد أن أطلب منك بوقاحة فأمامك للسعادة عشرون طريقا ممتدا.

مؤنس: سيدي لا أرغب أن يرافقك حسود أو غير حسود في الطريق إلى قلبها.

اميدي: لو لك رغبة أكثر مني.

مؤنس: لو لك وجه مشتاق بسبب العشق

اميدى: بالله لن أبحث لها عن أثر مطلقا.

مؤنس: بالله لن أنطق باسمها ثانية مطلقا.

اميدى: افصحى سيدتى، فلن يجبرك أحد.

مؤنس: افصحى سيدتى، فلك العذر فيما تفصحين به.

اميدى: فلتقولى؛ من منا ينتسب إليك؟

مؤنس: فلتقولى؛ من منا فائز بك؟

اميدى: أهكذا؟ ألا تستطيعين أن تستدعى إليك واحدا؟

مؤنس: أهكذا؟ ألا تستطيعين أن تُبعدى عنك واحدا؟

فتينة: تبارك الله فيما يطلبه هذان الشخصان المباغتان، ماذا يُسمى هذا غير جنون!

إننى أعلم لمن أعطى قلبى، ومن أختار.

فليس عندى الكثير من التردد.

....

ولكن أقولها صراحة من الصعب علىَّ

أن أعترف بهذا الحديث وجها لوجه

فواحد يريد أن يسمع مالا يحبه أحد

وأنا أعتقد لا يجوز قوله أمام الناس

ولأن القلب يُعبر يقينا عما يحبه

فلماذا يخطئ بعد ذلك على نحو آخر؟

وما الحاجة للصراحة طالما كانت الكناية تكفى

فما الحاجة للأسنان طالما أن العقدة تُحل بالأصابع !!

تكفى العاشق العاقل إشارة

وهى إجابة شافية لغير المرغوب فيه.

اميدى: لا، لا، افصحى، فهذا ما أريده، وأنا لا أخشى الرد....

مؤنس:... ولكن هذه رغبتى، أريد منك لفظا صريحا بجرأة تامة، فأنا مصر على عدم سماع كلمات ملتوية هذه المرة فأعظم فنونك؛ مراعاة خاطر الجميع. فلا محل ثانية للتلاعب والتردد أكثر من ذلك.

اميدى: يجب عليك التحدث بوضوح فى هذا الموضوع.

مؤنس: وإلا سأعتبر السكوت علامة الرضا وسأتقبل ردك فرحا، فليكن الرد بالكلمات، وليكن ما يكون.

اميدى: سيدى، أعطيك الحق فيما شعرت به من قلق وأنا لا أقول لها إلا نفس ما قلت.

فتينة: لقد تألمت بشدة من هذا التردد فهل من العدل ما تطلبان؟ لتكونا منصفين! ألم أقل لكما إن الأمر ليس بيدى "تقول لليلى". حسن أتيت ليلى، فلتحكمى بيننا !

الترجمات الأخرى: ترجمت أيضا فى نفس الفترة أو بعدها بقليل بعض مسرحيات موليير الأخرى إلى الفارسية، وأكسب المترجمون هذه الترجمات ملامح إيرانية وفقا لذوقهم الشخصى، وغيروا الأسماء والأزياء والأشخاص. ومن بينها كوميديا "طبيب رغم أنفه " و"المغفل" والنسخ المتاحة منهما نادرة، ولدى نسخة من طبيب رغم أنفه التى ترجمها واقتبسها محمد حسن خان اعتماد السلطنة وقد طبعت عام ١٣٢٢هـ.ق فى طهران، ولكننا لا نعلم إن كانت هذه النسخة هى الترجمة

الأولى أم أنها الترجمة الثانية لهذا العمل. أما مسرحية "المغفل" التي سُميت مسرحية الحمار فربما تكون هي نفسها الترجمة التي قدمت فيما بعد عام ١٣٣١ هـ.ق في قاعة "جراند هُتل" بطهران من قبل القائمين على "المسرح القومي".

ومسرحية "المغفل" التي أطلق عليها كاتبها الفرنسي أيضا "أحداث غير متوقعة" لا تعد من أفضل مؤلفات موليير، وهي أول كوميديا كتبها بينما كان مسافرا وكان يبلغ من العمر إحدى وثلاثين سنة، وبعد سبع سنوات أمضاها في الترحال عُرضت المسرحية بعد عودته إلى ليون عام ١٦٥٣م وقد خلت هذه المسرحية خلال الترجمة النثرية الفارسية من اللطائف الشعرية الفرنسية والسحر الخاص الذي أبدعه قلم موليير الساحر. وقد تم تغيير الأسماء والشخصيات في الترجمة الفارسية وكذلك مكان وقوع أحداث القصة فقد جعلها المترجم مدينة بغداد في حين كان موليير قد اختار مدينة مسين[١].

وتدور القصة في الترجمة الفارسية على النحو التالي تقريبا: يقوم نسيم خادم ميرزا هوشيار بالتآمر والاحتيال كي يصل سيده إلى "جميلة" جارية الحاج سليم، ولكن سيده المغفل لا يعلم شيئا عن خططه فيتسبب في إفشالها. ولا تبدو مؤامرات نسيم طبيعية، ولا تبدو تصرفات ميرزا هوشيار أيضا ناتجة عن غبائه. ونظرا لأن مكان الحدث، كما ذكر كان بغداد فإن غالبية المشاهد بدت غير منطقية ولا معنى لها لكونها تحدث في تلك المدينة الإسلامية، مثل ذهاب نسيم متخفيا إلى منزل الحاج سليم من أجل مساعدة الفتاة على الهرب، وتناول الحاج سليم وجميلة الطعام مع تاجر أرمني (هو ميرزا هوشيار نفسه) على مائدة واحدة وهو الأمر الذي لا يتناسب مع التقاليد الشرقية.

وجدير بالقول هنا أن المترجمين في العهد الناصري وما بعده أيضا كانوا يميلون إلى اقتباس مضامين مسرحيات موليير والآخرين، وكتابتها بشيء من الحرية

Messine(١)

لتوافق ذوق القراء والمشاهدين الإيرانيين. ومن ذلك ترجمة الأمير محمد طاهر ميرزا (عرس السيد ميرزا ١٢٨١ش) وترجمة محمد حسن خان اعتماد السلطنة (طبيب رغم أنفه ١٢٩١ش) وترجمة حسينقلى ميرزا عماد السلطنة (عـــرس بـــالإكراه ١٢٩٠ش) وترجـــمة ميرزا أحمد خان كمال الوزارة محمودى (الحاج المرائى خان أو تـــارتوف الشرقى ١٢٩٥ش) وتقريبا كافة ترجمات سيد على خان نصر (خادع العوام المرائـــى، ثلاثة أعراس فى ليلة واحدة، الدائن والمدين، وميرزا البطل ١٣١٨ش).

٤- آخوندزاده:

تعد أعمال ميرزا فتحعلى آخوند زاده أقدم المسرحيات التـــى ألفـــت وفقـــا للأسلوب الأوروبى، وترجمها من الآذرية للفارسية ميرزا جعفر القراجـــه داغـــى، وقد أثرت هذه الترجمات فى الأدب المسرحى الوليد فى إيران مثـــل المـــسرحيات المقتبسة عن موليير. ولد ميرزا فتحعلى آخوندزاده (المعـــروف بعـــد ذلـــك بـــــ آخوندوف) عام ١٨١٢م (١٢٢٨هـ.ق) فى مدينة نوخا[١]. ويعد طليعة كتاب المسرح الآذريين ورائدهم. ووالده ميرزا محمد تقى من أهالى قصبة خامنه، وهى من توابع أرونق وانزاب بآذربيجان، وكان قد ترك منزله وزوجته وأولاده فى خامنه بـــسبب الظلم الذى لاقاه من رجال الدولة، وتوجه إلى مدينة نوخا، وهناك تزوج من نعناع خانم ابنة شقيق آخوند ملا على أصغر والذى كان من كبار علماء تلـــك المدينـــة، ورزق منها بميرزا فتحعلى[٢].

قدم ميرزا محمد تقى عام ١٨١٤م (١٢٣٠هـ.ق) إلى مركز خا منه، وعاش بها ميرزا فتحعلى لعدة سنوات مع أمه. ولكن نظرا لأن ميرزا محمد تقى كان لديه زوجة وابن آخر فى مركز خامنه ولم تستقر الأمور بين نعنـــاع خـــانم وزوجتـــه الأخرى فقد حصلت على الطلاق وعادت مع ابنها ميرزا فتحعلى إلى عمها آخوند

---

(١) نوخا أو نخو هى نفسها مدينة شكى القديمة وتقع على مسافة ثمانين كيلو مترا مـــن محطـــة يولاخ للسكة الحديد، وهى من مراكز صناعة الحرير فى آذربيجان الروسية.

(٢) سرگذشت ميرزا فتحعلى آخوندزاده به قلم خوداو، الفباى جديد ومكتوبات، باكو ١٩٦٣.

ملا علي أصغر الذى كان يعيش آنذاك فى مشكين بأردبيل. وعلــى هــذا النحــو انفصل ميرزا فتحعلى للأبد عن والده وظل ملازما لعم والدته بداية فى مشكين ثــم فى قرية هوراند قراداغ (ارسباران) وأمضى فترة من الوقت بين قبيلة انكوت فــي مخيمات ولى بيكلو. واعتنى آخوندملا عليَ أصغر بتعليمه وتربيته، وقــام ميــرزا فتحعلى الذى عُرف بعد ذلك باسم آخوند زاده بدراسة القــرآن ومبــادئ اللغتــين الفارسية والعربية، واطلع إلى حد ما على العلوم الإسلامية.

وفى عام ١٨٢٥م (١٢٤١هـ.ق) ذهب آخوندملا على أصغر مع أسرته إلــى كنجه وظل يسعى لتأهيل ميرزا فتحعلى للحصول على مناصــب دينيــة، ولكنــه اضطر بعد عام للعودة إلى وطنه الأصلى نوخا نتيجة الحروب التى نــشبت بــين إيران وروسيا وتدمير مدينة كنجه وتدهور أوضاعه المادية، وهناك أكمل ميــرزا فتحعلى دراسته.

وفى عام ١٨٣٢م (نهاية ١٢٤٧هـ.ق) توجه ملا على أصغر لزيــارة بيــت الله، ونظرا لرغبته فى انخراط ابنه بالتبنى وحفيد أخيه فى سلك علماء الدين؛ حمله إلى كنجه، وسلمه إلى أحد أصدقائه يسمى آخوند ملا حسين الــذى علمــه النحــو والصرف والمنطق والفقه. وفى نفس الوقت التقى ميرزا فتحعلى مع ميرزا شــفيع الحكيم والشاعر الكنجوى.

وهذا الشاعر الذى حظيت غزلياته بشهرة واسعة فى أوروبــا كــان رجــلا عالما بناء على بعض المصادر القديمة[١] قدم من إيران (تبريز أو شــيراز) إلــى كنجه، وهناك عمل بالأعمال الكتابية وتعليم فــن الخــط. ولكــن كتــاب التــذاكر بآذربيجان الروسية يعتبرون كنجه مسقط رأسه.

وقد اشتهر ميرزا شفيع منذ عام ١٨٣٠م وما بعدها فى مدينة كنجه باعتباره

---

(١) منها رسالة نشرها فريدون بيك كوچرلو فى تفليس بمناسبة العيد المئوى لميلاد آخوندزاده فى ١٩١١م (١٣٢٩هـ.ق) أى بعد ثلاثة وثلاثين عاما من وفاته.

شاعرا وعالما. وكان آخوندزاده يتدرب على يديه على فن الخط فى نفس العام وذكره في كتاباته بأنه رجل ورع وعالم.

انصرف ميرزا فتحعلى عن اتجاهاته الدينية التى كانت تعتمل فى رأسه فى البداية وذلك بعد لقائه بميرزا شفيع ونتيجة لإرشاده له وأخذ يفكر فى ممارسة الأعمال الحكومية والأخذ بالعلوم والمدنية الحديثة.

وفى عام ١٨٣٣ م (١٢٤٩هـ.ق) عاد الحاج على أصغر من مكة وحمل معه ثانية ميرزا فتحعلى من كنجه إلى نوخا، وهناك التحق بالمدرسة الابتدائية الحكومية التى كانت قد أنشئت مؤخرا، ودرس اللغة الروسية، ولكنه لم يبق فيها أكثر من عام واحد بناء على قوله. وفى الفاتح من نوفمبر عام ١٨٣٢م (١٢٥٠هـ.ق) ذهب إلى تفليس، وهناك قُدم إلى البارون روزن الحاكم الروسى فى ولاية الكرج (جورجيا) والتحق بالعمل لدى الحكومة الروسية مترجما للغات الشرقية. وكان عمر ميرزا فتحعلى آنذاك ثلاثة وعشرين عاما. ويذكر فى سيرته الذاتية بامتنان محبة البارون روزن له.

ظل ميرزا فتحعلى حتى وفاته فى هذا المنصب، وأدى المهام المكلف بها بكل دقة، واعترافا بخدماته الجليلة حصل على درجة أمير الجيش والعديد من الأوسمة. وكان يشارك فى البعثات المختلفة، والمباحثات الدبلوماسية ومراسم الاستقبال والمحاكمات: فى عام ١٨٣٧م أوفد مترجما إلى الأبخاز لتحديد الحدود الساحلية للبحر الأسود ضمن الوفد الذى رأسه الجنرال روزن. وفى عام ١٨٤٠م شارك فى اللجنة المكلفة بتحديد الحدود الروسية التركية بصفته مترجما للقائد العام للأركان المسلحة "تميرفيتش دانتشنكوه" وفى عام ١٨٤٨م وبصفته مترجما رافق الوفد الذى أرسله بلاط القيصر برئاسة الجنرال شيلينج للتهنئة بتتويج ناصر الدين شاه، وشارك فى مفاوضات عام ١٨٥٥م فى تركية وفى لجنة التحقيق الإدارية فى إيروان والكثير من المهام الأخرى.

وكانت تفليس في ذلك الوقت مقرا للحاكم وحاضرة بلاد القوقاز وتتميز على سائر المدن الأخرى في القوقاز لكونها مدينة الثقافة والأدب. ونتيجة لسفر آخوند زاده إلى تفليس وإقامته بها بدأت مرحلة جديدة في حياته وخاصة في مجال نشاطه الأدبي. فقد كان مطلعا على تاريخ إيران وأدبها ونجح في فترة وجيزة في دراسة اللغة والأدب الروسي واطلع عن طريق اللغة الروسية على الآداب والفلسفة الغربية، وقرأ مؤلفات كتاب القرن الثامن عشر الأوروبيين مثل هلباخ، وديدرو، وهلوسيوس، وفولتير وغيرهم، وتعرف كذلك على علماء عصره والمنادين بالحرية مثل خاتشاتور آبوويان الكاتب الأرمني الشهير وبستوجوف مارلينسكي الكاتب الروسي الذي كان قد نفي إلى القوقاز.

وفي مطلع عام ١٨٣٧م قتل الكاتب والشاعر الروسي الكبير بوشكين نتيجة مؤامرة سياسية في دويل. وكان ميرزا فتحعلي قد اطلع في تفليس على روائعه وروائع الكتاب الروس الآخرين منذ ثلاث سنوات وكان ينظم الشعر أحيانا ويتخلص بـ (صبوحي)، فنظم قصيدة في رثائه وأطلق أول صيحاته المطالبة بالحرية في مواجهة مفاسد ولاة الأمور وسفكهم للدماء(١).

لم يكن آخوندزاده يعلم شيئا عن المسرح قبيل سفره إلى تفليس، وتعرف على فن المسرح للمرة الأولى في العقد الخامس من القرن التاسع عشر. وفي تلك الفترة كانت تقام حفلات موسيقية في صالونات أمراء ولاية الكرج (جورجيا) الأثرياء وأحيانا في الهواء الطلق وتعرض مشاهد قصيرة من أعمال الكتاب الروس والكرجيين. وفي عام ١٨٥٠م أسس كنيازفارانسوف نائب قيصر روسيا في القوقاز مسرحا ضخما في تفليس، وأخذ الممثلون الروس يقدمون فيه مسرحيات تحت إشراف سالكوب الكاتب الروسي، وكذلك الممثلون الكرجيين تحت إشراف كيناز اريستوف (وهو نفس القائد الذي فتح تبريز عام ١٢٤٣هـ.ق) ومن ذلك "بورژواى

(١) ترجم مارلينسكي قصيدة (مرگ بوشكين: موت بوشكين) إلى الروسية. ونشرت في صحيفة (روسكايا استارتيا) الصادرة في بطرسبورج.

اصلزاده[1]: البرجوازى النبيل" لموليير و"آفة العقل" لجريبايدوف وغيرهـا، وقـد شاهد آخوندزاده هذه المسرحيات. واطلع على أكثر المؤلفات المسرحية الروسـية ومن بينها ما كتبه جوجول وآستروفسكى، كما تأثر بشكسبير وموليير. أثرت كـل هذه الأمور فى مجملها تأثيرا كبيرا على كتاباته لدرجة أنه صار مولعـا بالتـأليف المسرحى، فصور ما بين عامى ١٨٥٠-١٨٥٦م مشاهد حية للواقع المعيش لأهالى آذربيجان، وانتقد الجوانب المظلمة بصراحة.

ويقول ميرزا فتحعلى فى سيرته الذاتية: "... وأخـص بالـشكر المرحـوم الجنرال كنيا زفارانسوف الذى كان ولى نعمتى الثانى بعد البارون روزين ونتيجـة لرعاية هذا الأمير المحنك الحكيم برزت مـوهبتى فـى التـأليف، فألفـت سـت مسرحيات كوميدية باللغة التركية الآذرية وعرضتها، فنالت إعجابًا شديدًا وشملتنى إنعامات وفيرة، وعرضت مسرحياتى فى مسرح تفليس الذى أنـشأه هـذا الأميـر السخى. وسمعت من مشاهدى العروض المسرحية كلمات الإعجاب والإطراء"[2].

وسنتحدث تفصيلا عن مسرحيات آخوندزاده التى تعد أهم مؤلفاته ثم سنشير بعد ذلك إلى مؤلفاته الأخرى:-

حكاية يوسف شـاه: إن قصـة (ستارگان فريب خورده لنجوم المخدوعة) أو (حكايات يوسف شاه السراج) التى ألفها عام ١٨٥٧م (١٢٧٣هـ.ق) من أعمـال آخوندزاده الجديرة بالاهتمام[3].

تتزامن القصة مع فترة حكم الشاه عباس الكبير الصفوى واُقتبس موضوعها من حادثة تاريخية متعلقة برجل يعمل سروجيا يصبح ملكا لفترة مؤقتة. ففى العـام

---

(١) Boureois gentilhomme

(٢) صحيفة "كشكول" طبعة تفليس ١٨٧٧م الأعداد ٤٣-٤٥، و(الفباى جديد ومكتوبات، بـاكو ١٩٦٣ص ٢٥٢.

(٣) ترجمت حكاية يوسف شاه للروسية للمرة الثانية بقلم فريدون بيك كوتـشرلو ونـشرت فـى صحيفة بيك ققفاز (وستنيك كافكازا) العدد الخامس عام ١٩٠١م.

السابق من عهد الشاه عباس، ظهر فى السماء نجم مذنب، وتنبأ المنجمون بأن ظهور هذا النجم يعد إشارة إلى تغيير سلطان من سلاطين الزمان أو موته. وأشار كبير المنجمين جلال الدين محمد اليزدى باعتزال الشاه للسلطة لعدة أيام، على أن يجلس محله واحد من المحكوم عليهم بالإعدام. فألبسوا زى السلطان وتاجه لرجل يعمل سروجيا يدعي يوسفى وهو أحد أتباع فرقة إسلامية ضالة تؤمن بالتناسخ وغيرها من الأفكار الملحدة وتسمى النقطوية. وأجلسوا يوسفى على هذا العرش ووقف الشاه أمامه تحت إمرته. وعلى هذا النحو حكم لثلاثة أيام (منذ الخميس السابع إلى فجر يوم الأحد العاشر من ذى القعدة عام ١٠٠١). وفى اليوم العاشر من ذى القعدة أعدم وعاد الشاه إلى عرش السلطنة(١).

يهدف المؤلف من هذه القصة إلى توضيح ظلم الشاه واستبداده وجهل الوزراء ورجال الدولة والدين والبلاط وتملقهم، والكشف عن أن هؤلاء من رؤساء الوزارات والعلماء الأجلاء والوزراء المبجلين هم السبب وراء الخراب الذى حل بإيران المقتدرة والعجز الذى أصاب "الدولة العلية". ويسعى الوزراء ورجال الدين فى مجلس الشاه للإشادة بأعمالهم الوضيعة التافهة كي تبدو وكأنها أفضال عظيمة وخدمات جليلة. ووزراء الشاه رغم ما تضفيه عليهم مناصبهم من وقار ومهابة يتحدثون عن ضرورة درء بلاء النجوم العظيم. فوزير الحرب "سردار زمان خان" يسمى نفسه "الكلب العجوز للحضرة العلية"، ويتحدث عن هجوم الجنود العثمانيين على الأراضى الإيرانية – وهو الأمر البعيد عن الموضوع – من أجل استعراض حكمته وتدبيره غير العادى أمام الشاه ورجال البلاط يقول: "على الرغم من أن عدد جنودنا لم يكن أقل من عدد العثمانيين فقد خشيت أن ألقى بجنود الفرقة الناجية إلى التهلكة فى مقابل الفرقة الضالة. لهذا أمرت بتخريب الأراضى الزراعية بداية من الحدود العثمانية وحتى نهاية أراضى آذربيجان وإعدام الدواب وتدمير الجسور والطرقات وعندما عبر "بكر باشا" قائد الجيش العثمانى الحدود، لم ير أمامه أحدا

(١) تاريخ عالم آراى عباسى، تأليف إسكندر بيك المنشى وغيره من كتب التاريخ المعروفة.

منا ولكنه وجد الطرق مدمرة لدرجة أنه لم يستطع نقل المدفعية فدخل تبريز بدونها مع حفنة من الفرسان والمشاة بصعوبة شديدة، وحاول الحصول على المؤن بكل الوسائل فلم يجد حبة قمح ولا بقرة أو شاة. فاضطر للرحيل بعد ثلاثة أيام قضاها هائما على وجهه جائعا وغادر تبريز. وبهذه الحيلة حميت إيران من شر العدو الأجنبي. لقد كان تدمير الطرق والجسور فعالا لدرجة أن الدولة العلية رأت بعد فرار بكر باشا أن المصلحة تقتضي ترك الطرق والجسور على حالها حتى تحول دون تطاول هذه الطائفة الأجنبية على الدولة. وعلى هذا لم تسل قطرة واحدة من دماء جنودنا وظلت كافة العساكر المنصورة مصونة من الأذى كيدا في العدو المتاخم لنا حقا، إن كلب بلاط الدولة العلية لا يعجز عن استخدام الكياسة والتدبير في مثل هذه الأمور، ولكن عقل خادمكم عاجز وقاصر عن دفع بلاء النجوم".

لا تقدر "العساكر المنصورة" على الصمود أمام "الفرقة الضالة" فتولي وجهها للفرار، ويعبر العدو الحدود، وفي سبيل حماية الوطن لا تسيل قطرة من الدماء ويستعرض في تفاخر، تدمير الجسور والطرق، تدمير مزارع الفلاحين وإعدام الدواب. يستعرض كل هذا بكبر ومباهاة باعتباره سياسة حربية وتدبيرا لشئون المُلك، ولا يشعر صاحب الجلالة بالاستياء حيال كلام "كلب الحضرة العجوز"، وهذا الدمار الذي كان قد ارتكب باسم المصلحة، يبقى على حاله كي تأمن المملكة من الاعتداء الأجنبي!

ووزير المالية ميرزا محسن الذي يسمي نفسه "بساط الخزانة العامرة" يقطع رواتب الموظفين ليملأ الخزانة ويعتبر هذا التصرف عملا جليلا من أعماله. أما الفقيه صمد كبير رجال الدين؛ لا يختلف عن الوزراء ورجال المملكة في التملق والنفاق، فيدعو للملك ويمتدحه، ويثني بمبالغة على جهوده للتصدي للمذهب السني ونشر المذهب الشيعي. وفي مقابل هذه الفئة الطفيلية يتمتع يوسف السراج بشخصية إيجابية. فما إن يصل يوسف إلى السلطة حتى يُحدث تغييرات شاملة في الجهاز الحكومي وقبل كل شيء يُطهر الإدارات ويُقيل الوزراء الجهلاء المتملقين، ويعين

في أماكنهم رجالا أكفاء عقلاء.. ثم يلغى تماما منصب كبير المنجمين وكذلك العقوبات وأساليب القتل الوحشية مثل الشنق والتوسيط "شق الإنسان بالسيف نصفين" وبتر الأذن والأنف وقلع العين، ويأمر بعدم إنزال العقاب على أحد دون محاكمة وتحقيق. ويقيم محاكم منصفة في أرجاء الدولة، ويصدر أوامر للحكام والولاة بإحسان معاملة الأهالى، وجاء فى الفرمان:- "بلغوا عن لسانى كل حكام الولايات أن يخشوا الله وألا يرتكبوا المظالم، وأن يكفوا عن سلب الأهالى ونهبهم، وألا يتقاضوا الرشوة، وليتيقنوا من أن هذه الأعمال والتصرفات ستعود عليهم فى النهاية بالبلاء والتعاسة".

ويسن يوسف شاه قوانين جديدة للضرائب لتحسين أوضاع أهالى إيران الذين يحتضرون تحت وطأة الضرائب المجحفة، فينخفض قيمتها ويجعلها لسكان المدن عشرة بالمائة وللقرويين خمسة بالمائة. ويلغى الإكراميات والإتاوات والهدايا والرسوم الأخرى والخمس والزكاة ومخصصات الإمام وما إلى ذلك، ويسلم أشخاصا من أهل الثقة الشئون المالية. ويعبد الطرق ويعمر الجسور، وينشىء أربطة القوافل، ويشق الترع حيث نقل المياه، ويشيد المكتبات والمستشفيات فى الأقاليم.

فيوسف شاه فى هذه القصة فى المجمل رجل سياسى مصلح عظيم ينفذ خطة شاملة، وقد صنع منه المؤلف نموذجا للشخصية المثالية للإصلاح الاجتماعى والثقافى من وجهة نظره.

وفى هذه القصة تبدو صفات كل الشخصيات بارزة وواضحة وهيئتهم طبيعية مفعمة بالحياة، ويمثل كل فرد من الأبطال نموذجا حقيقيا للشخصية الواقعية. أما أحداث القصة فهى مترابطة على نحو جيد، فكل حدث يرتبط بالآخر، واستخدم الكاتب أسلوب السخرية والنقد اللاذع ولم يستثن أحدا من ذلك.

ويمكن أن ندرك بوضوح من خلال مطالعة هذا الكتاب السبب وراء بُغض ميرزا حسين خان سپهسالار سفير إيران فى إسطنبول لميرزا فتحعلى ووضعه العراقيل فى سبيل تغيير الأبجدية الإسلامية.

مؤلفات آخوندزاده الأخرى: من مؤلفات آخوندزاده المهمة كتاب معنون بعنوان طويل "سه مكتوب شاهزادهء هندى كمال الدولة به شاهزادهء إيران جلال الدولة وجواب اين به آن: رسالة الأمير الهندى كمال الدولة إلى الأمير الإيرانى جلال الدولة ورد هذا على ذاك" وقد ألفه عامى ١٢٨٠-١٢٨١هـ ق باللغة التركية وزينه بأشعار فارسية وآيات قرآنية وأحاديث وأمثال عربية، وترجم المؤلف نفسه تلك النسخة إلى اللغة الفارسية، ومنح حق طبع النسختين الفارسية والتركية والترجمة للغات الأخرى والنشر لميرزا يوسف خان مستشار الدولة بموجب عقد مبرم. وقد اقتبس ميرزا آقا خان الكرمانى الأسلوب الذى حرر به كتاب "صد خطابه: مائة خطبة" من نفس هذا الكتاب.

وقد طرح المؤلف فى هذا الكتاب آراءه السياسية والفلسفية. وأخفى اسمه فى البداية كى يستطيع الإعراب عن رأيه صراحة فى الإقطاع وظلم الحكام واستبدادهم ورجعية بعض معتقدات أهالى الشرق وأسباب تخلفهم، وأوصى خلال إهداءاته للناشرين وأصدقائه الإيرانيين بإخفاء نسخة كمال الدولة عن الجميع وعدم إتاحة الفرصة لأحد لقراءتها وعدم نسخها لأحد وإخفاء اسم المؤلف إلا على الأشخاص موضع الثقة، وفى خطابه المؤرخ بأواخر محرم ١٣٨٣هـ. ق الذى كتبه لميرزا عبد الوهاب خان نائب الوزارة (آصف الدولة ونصير الدولة الشيرازى) أعرب عن تألمه وشكواه من الشيخ محسن خان وزير إيران المفوض بلندن لأنه أخبر ميرزا عبد الوهاب خان بشأن تأليف هذا الكتاب بقوله "بالرغم من أننى مشتاق لتقبيل عينيه، ولكننى سأتشبث بأذياله فى الآخرة وأشكوه لأنه نسب إلىَّ بهتانا عظيما، فجعلنى أنا المسكين مصنفا لذلك الكتاب، بالرغم من أن الأمير الهندى إقبال الدولة بن أورنج زيب، والأمير الإيرانى شجاع الدولة بن على شاه ظل السلطان كلاهما يعيش فى بغداد وتجمع بينهما صداقة، وهما مؤلفا هذا الكتاب. فما ذنبى إن كانا قد بدلا اسميهما فسمى واحد نفسه كمال الدولة وسمى الآخر نفسه جلال الدولة[1]".

---

(١) نامه هاى كمال الدولة: رسائل كمال الدولة، باكو ١٩٢٤، ص ٣٠٤
- الفباى جديد ومكتوبات، باكو، ١٩٦٤، ص ٨٨.

ولكن آخوندزاده صرح في الترجمة الحالية التي كتبها بنفسه عام ١٨٧٤م أنه هو نفسه مؤلف الكتاب.

تبدأ رسالة كمال الدولة الأولى بشرح سجل القوانين الإيرانية القديمة في عهد جمشيد وكشتاسب، ثم تتناول بالتحليل أوضاع إيران المضطربة في عهد المؤلف من وعورة الطرق وبوار الأراضي وخراب المدن وقذارة الحمامات العامة واضطراب الشئون المالية والاستبداد والظلم في المحاكم، والنقص الشديد في المطبوعات والكتب، الجهل والخرافات، وضاعة ومراء رجال البلاط والدين، ظلم الحكام. ويدعو الكاتب أهالي إيران المظلومين – الذين يفوقون الظالمين من حيث العدد والاستعداد – للسعي بكل ما لديهم من قوة في سبيل الوحدة والتآلف وتحصيل العلوم والفنون ويحثهم على النهوض للإطاحة بجذور الظلم، والتحرر من قيود العبودية.

وخلال حديث الكاتب عن مغتصبي حقوق الشعب الإيراني زيَّن مشاعره الوطنية بأشعار للفردوسي العظيم.

ومن مؤلفات آخوندزاده "رسالهء ايراد: رسالة الجدل" في نقد ملحق تاريخ روضة الصفا لرضا قلي خان هدايت الذي ألفها عام ١٢٧٩ هـ.ق، وكذلك تحليل لشكل ومضمون إحدى قصائد شمس الشعراء سروش الأصفهاني والذي أرسله إلى أحد معارفه في طهران. وله أيضا مقالة كتبها عام ١٢٨٣هـ.ق في نقد صحيفة "روزنامهء ملتي" وشمل هذا النقد شعار الصحيفة وافتتاحيتها وعنوانها وموضوعاتها. وله أيضا "تلقين نامه عربي: رسالة التلقين العربية" الشهيرة وهي من كتابات آخوندزاده السياسية وقد ألفها في أخريات حياته ونُشرت في تبريز في مطلع القرن الرابع عشر الهجري بخط اليد ثم نُشرت بعد ذلك نسخة منها بها أخطاء في القسم الفارسي من صحيفة "إرشاد" الصادرة في باكو ومطلعها " يا

عبدالله وابن عبدالله، اسمع، افهم، إذا جاءك الرسولان المقربان من عند روس وإنگليس وآل عثمان وسألاك عن مدارسك وجندك وطرقك وصنايعك وتجارتك ومعارفك... فلا تخف ولا تحزن وقل فى جوابهما... الخ"(١).

إن "رسائل كمال الدولة" وسائر مؤلفات آخوندزاده الاجتماعية والسياسية والفلسفية مثل "پاسخ به فيلسوف يوم: الرد على فيلسوف اليوم" و"عقيده جان استوارت درباره آزادی: رأى جان استوارت بخصوص الحرية" "ملاى رومى ومثنوى او: مولانا الرومى ومثنويته" و"يادداشتهاى انتقادى: مذكرات نقدية" وغيرها؛ جميعها من نتاج العقد السابع وبداية العقد الثامن من القرن التاسع عشر الميلادى. وهذه الأعمال فضلا عن رسائله المطولة تعد دليلا بارزا على ثراء النشاط الأدبى للكاتب فى تلك الفترة ومرآة تعكس نضج آرائه الاجتماعية والسياسية والفلسفية وحداثتها.

أمضى آخوندزاده أوقات فراغه على مدى حياته فى مطالعة الآداب والفلسفة والعلوم السياسية والاقتصادية وتأثر فى كتاباته بجوجول وراديشتشوف وبوشكين على وجه الخصوص واقتدى فى القضايا الاجتماعية بآراء بلينسكى وتشرنيشفسكى ودابروليوبوف. وبذل جهودا متواصلة فى سبيل حقوق المرأة وتحريرها ونشر الثقافة والعلوم وتغيير الأبجدية الإسلامية والقضاء على الخرافات والتعصب الأعمى، وقد أثرت بشكل رئيسى فى شعوب الشرق الأدنى.

توفى آخوندزاده فى ٢٨ فبراير عام ١٨٧٨م (أواخر صفر ١٢٩٥هـ.ق) فى السابعة والستين من العمر بمدينة تفليس، ودفن فى مقابر المسلمين بتلك المدينة(٢).

---

(١) ورد هذا النموذج باللغة العربية كما هو وارد فى المتن (المترجمة).

(٢) التقى الأمير فرهاد ميرزا فى شوال عام ١٢٩٢هـ.ق بآخوندزاده فى تفليس وتحدث إليه، ويقول عنه: "هو رجل فاضل، يجيد اللغة الروسية ويجيد الترجمة كما يعرف العربية والتركية والفارسية وينظم الشعر، وهو شيعى ولكن أحد عشرى المذهب وأشعرى المعتقد،= =فيؤمن بالجبر، ولا يؤمن بولادة الإمام الغائب عجل الله فرجه، ويقرأ هذا الحديث "سيولد

وهذا الرجل المناضل المطالب بالحرية الذى كتب بجرأة غير عادية مناهضا الظلم فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر الهجرى يعد أول مَنْ أسس الواقعية الكاملة فى الأدب الأذرى واعتبره كتاب الكوميديا الآذربيجانيون رائدا ومعلما لهم مثل جوجول فى الأدب الروسى ومولبير فى الأدب الفرنسى. وظهر بعد ذلك فى القوقاز مؤلفون وكتاب دراما بارزون فى ظل رعايته متأثرين بكتاباته مثل نجف بيك وزيروف وعبد الرحيم بردوف وميرزا جليل محمد قلى زاده، وفى إيران بادر البعض مثل ميرزا آقا التبريزى بتقديم مؤلفات مسرحية محاكاة له.

يتميز برنامج آخوندزاده الأدبى بالطابع الإصلاحى والثورى وهدفه خلق أسلوب بسيط وصادق، وربط الفن بالحياة، وتقديم النصح عن طريق السخرية والفكاهة والنقد كى يستفيد الناس من "الأمور الحسنة ويتحاشوا "الأمور السيئة" ويتحلوا "بالصفات الطيبة".

إن موضوع الواقعية النقدية والساخرة فى فن آخوندزاده يعد من الموضوعات المهمة والبارزة، وعلى حد قوله فإن وضعه القائم دفعه للكتابة بأسلوب ساخر. فهو يعتقد أنه لا يوجد سلاح أفضل من النقد لاقتلاع جذور الفساد فى الزمن الذى ألف فيه الناس الأعمال القبيحة وساد الظلم والجور والتخلف والخرافات كل مكان، ولا توجد وسيلة أسمى من الأدب الساخر لرفع معنويات الشعب وخلق إحساس بالأمل والتفاؤل، ولا يجوز مطلقا التوجس والمواربة والمرونة والمداهنة فى المكان الذى يعج بالفساد.

ويقول لمرضى الجهل والتعصب: كفى النظر إلى الدنيا من وراء ستار من الدموع والآهات، هلموا نفعل شيئا يزيل الغم، هلموا نضع جانبا الأفكار والمشاغل

من ولد فاطمة مهدى يملاء الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا" فيقول لم يولد بعد، وينشد دائما هذا الشعر الذى نظمه الشيخ محمود الشبسترى فى "گلشن راز: روضة الأسرار": "كل من قال أنه لا يؤمن بالجبر فهو كالملحد" هداية السبل، ص٣٩.

التي اغتالت في كياننا الرغبة في الحياة والمقاومة، ونتمسك بشدة بالحياة والـدنيا، ونقتنص النعم الإلهية من مخالب "الذئاب والكلاب" المخضبة بالدماء.

قدم آخوندزاده الكوميديا بهذه الآراء والمعتقدات التـي ذكرناهـا، وتجـرع المخطئون والظالمون والنفعيون في ذلك الزمان سم قلمه الساخر.

مسرحيات آخوندازاده: مسرحيات آخوندزاده الست التي ألفها بالآذرية مـا بين عامي ١٨٥٠-١٨٥٥م (١٢٦٧-١٢٧٢هـ.ق) كالتالي:

١- "حكايت ملا إبراهيم خليل كيمياگر: حكاية الملا إبراهيم خليل الكيميائي" وتقع في أربعة فصول، وألفت عام ١٢٦٧.

وهذه المسرحية أولى أعمال آخوندزاده وطليعة كتاباتـه الدراميـة، ومـن خلالها يصور المؤلف رجلا أفاقا مغامرا يدعي القدرة على تحويل المعـادن إلـى ذهب، وأهالي مدينة نوخا من الأعيان؛ وهم أناس جهلاء طماعون نفعيون ومظهر للقبح والسوء. وفي المقابل صور شخصية الشاعر الحاج نوري الإيجابية. ويقـوم الحاج نوري بتقديم النصح وتوجيه اللوم للأشخاص الذين انخـدعوا بكـلام المـلا إبراهيم خليل وصدقوا أنه يستطيع بالفعل تحويل النحاس إلـى ذهـب. وينـصحهم بالبحث عن هذا الإكسير في قدرات الإنسان وعلمه: "نعم، إن علمي إكسير بالفعل، ولكن كما تقولون لابد للإكسير من معدن يتأثر به، لذا فينبغـي لإدراك علمـي أن يتواجد أرباب الذوق والمعرفة ليدركوا قيمة كلماتي. والآن ولسوء حظي، أنتم أيها السادة من سكان المدينة لاتملكون عقلا ولا معرفة ولا تتمتعون بالقدرة على الفهـم أو الإحساس، فما ستكون فائدة علمي، ومن ذلك الذي سيفهم أشعاري؟" ولكن تجار المدينة لا يعجبون بهذا الكلام الرصين، فيبعدونه عنهم، فيقول أثنـاء طـرده مـن المجلس "سأذهب ولكن اعلموا أن الكلام الصادق مر."

ويختلف الحاج نوري الشاعر عن أمثاله – مثلا آلسست في "مردم گريـز: الهارب" لموليير وتشاتسكي في "آفة العقل" لجريبا يدوف – فهو رجل عالم متفائـل

يحدوه الأمل فيما يتعلق بمستقبل أمته. وقد صور هذا العمل خصائص الحياة الاجتماعية والحياة المعيشية في آذربيجان من خلال شخصية الملا إبراهيم خليل الكيميائي وأهالي مدينة نوخا من العامة المساكين، كما صور طليعة المستنيرين بآذربيجان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من خلال شخصية الحاج نوري، وقد رسمت الشخصيات في هذه المسرحية بأسلوب سطحي ودون تدقيق.

٢- "مكاتب مسيو ژوردان حكيم نباتات ودرويش مستعلي شاه جادوگر معروف: حكاية السيد جوردان عالم النباتات والدرويش مستعلي شاه الساحر الشهير". وهي حكاية عجيبة، تقع في أربعة فصول، وألفت عام ١٢٦٧هـ.ق ويقارن المؤلف في هذه المسرحية بين عالم الشرق المظلم المعتم وعالم الغرب المنير. وتعبر شخصية مستعلي شاه الساحر عن مكر الدراويش واحتيالهم على العوام، وتصور المعممين المرائين الذين يستغلون جهل الناس، وتعبر شخصية السيد جوردان عالم النباتات عن الأفكار التقدمية للحضارة الغربية، أما شخصية شاهباز بيك المولع بالسفر إلى باريس وتحصيل العلوم الحديثة نتيجة لتشجيع السيد جوردان فهي تعكس ضرورة الأخذ بالحضارة الأوروبية ورغبة الدارسين في ذلك الزمان في تعلم الفنون والعلوم الحديثة.

ويحتل دور مستعلي شاه في هذه الكوميديا الدرجة الثانية من حيث الأهمية، ويتحرر الشاب شهباز بيك من مستنقع البطالة متأثرا بالعالم الفرنسي ويسافر إلى حيث الحرية والثقافة ويصارع القوى المتمسكة بالأوضاع القديمة والعراقيل التي تحول دون تنفيذ آماله.

ويشير الكاتب إلى إمكانية انتقال ثورة ١٨٤٨ في فرنسا إلى أماكن أخرى من العالم وذلك على لسان خان برى: "إن كارثة تخريب مدينة باريس تجعلني أخشى أن تُخرب مدن أخرى".

٣- (حكايت خرس قولدور باسان (دزدافكن): حكاية الدب صارع اللص). وتقع في ثلاثة فصول، وألفت عام ١٢٦٨هـ.ق.

وهو عمل واقعي يجسد حياة القرويين الأذربيجانيين في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادى. وتصور هذه المسرحية تنطع وبلطجة الرجال، وانغلاق النساء وتعاستهن وجوانب أخرى من الحياة الاجتماعية.

٤- "سرگذشت وزيرخان سراب[١]: حكاية وزير خان السرابي" وهى حكاية عجيبة وتقع في أربعة فصول ألفت عام ١٢٦٧هـ.ق.

وقد هاجم الكاتب في هذه الحكاية الإقطاع وصور بحبكة ومهارة تصرفات الخان البلهاء ونفاق وزير خان وتملقه. ولكن بعد أن يتولى تيمور آقا زمام الحكم يعزل الوزراء المنافقين المتملقين الذين لا يستحقون ألقابهم ومناصبهم، ويعين بدلا منهم رجالا محنكين من ذوى السمعة الطيبة. فهو شاب أدرك جيدا بذكائه الفطرى الفساد الضارب في بلاطه ولكنه لايزال يفتقد إلى الحنكة التى تمكنه من تنفيذ الإصلاحات الأساسية في الشئون الإدارية.

٥- "سرگذست مرد خسيس يا حاجى قرا: حكاية الرجل البخيل أو الحاج قرا" وهى حكاية غريبة تقع في خمسة فصول، وقد ألفت عام ١٢٦٩هـ.ق.

٦- "حكايت وكلاى مرافعه درشهر تبريز: حكاية محاميّ الدفاع في مدينة تبريز: وهى حكاية غريبة، تقع في ثلاثة فصول، ألفت عام ١٢٧٢هـ.ق.

ومحامو الدفاع هى آخر مسرحيات آخوندزاده، وانتقد المؤلف في هذه المسرحية بشدة فساد الجهاز القضائي واحتيال المحامين، وقد تعمد جعل مدينة تبريز مسرحا للأحداث كى لا يلفت أنظار القائمين على رقابة المطبوعات في الحكومة الروسية الاستبدادية.

و"آقا مردان" محامى اشتهر في مدينة تبريز بالدسائس والاحتيال، يطعن في

---

(١) قام المؤلف نفسه (وليس مترجم المسرحية للفارسية كما يظن البعض) بتغيير اسمها إلى "وزيرخان اللنكرانى" بسبب أن المؤلف أدرك أن سراب تقع في الأراضى الإيرانية وربما يكون من غير اللائق نشر الكتاب بهذا الاسم.

حكم المحكمة كى لا تحصل سكينة خانم على ميراثها من أخيه المتوفى الحاج غفور، وقيمته ستون ألف تومان. ويحيك مؤامرة ويُحضر شهود الزور ويسعى لكسب القاضى ومعاونيه إلى صفه. ولكن على عكس المتوقع يقوم الشهود الذين أحضرهم بإفشاء السر فينتصر الحق والعدل ويُفتضح الرجل المحتال.

وقبيل نشر المتون الآذرية للمسرحيات نُشرت الترجمة الروسية لها، بداية فى صحيفة "قفقاز" بقلم المؤلف نفسه (ما عدا حكاية محامىّ الدفاع) ثم طبعت ترجمة الخمس مسرحيات فى مجلد واحد تحت عنوان "كمديهاى ميرزا فتحعلى آخوندواف" وذلك فى تفليس عام ١٨٥٣م (١٢٦٩هـ.ق). وذاعت شهرتها فى الآفاق وكُتبت عنها مقالات عديدة فى الصحف والمجلات الروسية والألمانية، وعرضت فى نفس الوقت بعض هذه المسرحيات فى مسرح تفليس الذى أنشأه كنيازقارانسوف راعى آخوندزاده، وحازت الإعجاب(١).

وفى عام ١٢٧٧ (١٨٥٩م) نُشرت المتون الآذرية للمسرحيات بالإضافة إلى حكاية يوسف شاه السراج لأول مرة تحت عنوان "تمثيلات: المسرحيات".

---

(١) عرضت مسرحية "السيد جوردن" فى البداية فى مارس ١٨٥١م فى أحد مسارح بطرسبورج الخاصة (طبقا لما نشر فى "التقويم الأدبى" المؤرخ فى ٣١ يناير ١٨٥٢م) ثم عرضت مسرحية "الدب صارع اللص" عام ١٨٥٢م فى مسرح تفليس تقديرا لأكتريس آرنولد (صحيفة "قفقاز" العدد ٧ عام ١٨٥٢م). ولكن فيما يتعلق بعرض المسرحيات باللغة الأصلية فيمكننا القول بناء على إعلان مسرحى وجد بين أوراق آخوندزاده الشخصية أن مسرحية "وزير خان السرابى" قد عرضت لأول مرة عام ١٨٧٣م فى باكو، وبهذه المناسبة أعد ملف فى مكتب نائب قيصر روسيا فى القوقاز، وهو محفوظ الآن فى أرشيف الكنيسة الحكومية بجورجيا. وهذا الملف يحمل رقم ٢٣٨١ وعنوانه "التصريح بعرض وزيرخان السرابى وغيره باللغة التركية من قبل سكان باكو من المسلمين" ويتصدر هذا الملف الخطاب رقم ٢٦٠ المؤرخ فى ٢ مارس ١٨٧٣ م من د. استارفسلسكى حاكم باكو إلى البارون نيقولاى. وبموجب هذا الخطاب يطلب حاكم باكو السماح للمسلمين فى باكو بعرض مسرحية وزيرخان السرابى" تأليف آخوندزاده بمناسبة عيد النيروز. وفى الثامن من مارس من نفس العام أرسلت برقية بالموافقة كما يتضح من الإعلان، وعرضت مسرحية "وزير خان السرابى"، فى ١٠ مارس ١٨٧٣م ثم عرضت بعدها مسرحية "الحاج قرا" فى نفس السنة.

ولم تمض فترة طويلة حيث اشتهرت المسرحيات في إيران أيـضا، وفـي البداية ترجم ميرزا جعفر القراجه داغي[1] مسرحيتين إلى الفارسية بأسلوب بـسيط، وأرسل نسخة منها لميرزا فتحعلي آخوندزاده، وأبدى آخوندزاده رأيه فـي سـلامة الترجمة.

نشر ميرزا جعفر المسرحيتين عـامي ١٢٨٨ و ١٢٩٠ هـ.ق ونظـرا لأنهمـا حازتا القبول نشر عام ١٢٩١هـ.ق المجموعة كاملة التي تضم خمس مـسرحيات فـي مجلد واحد ومقدمة عن الفوائد التعليمية للمسرح، وصدرت في طبعة حجر بطهـران، ثم صدرت منها طبعات أخرى لبعض المسرحيات في طهـران ولاهـور ومـدرس، وصارت المسرحيات المذكورة على هذا النحو جزءا من الميراث الأدبي الإيراني[2].

قدم آخوندزاده في المقدمة التي كتبها للمسرحيات تعريفا لفن المسرح أولا ثم تعريفا للكوميديا ووضح أهميتها العظيمة لتهذيب الأخلاق والسلوك الإنساني، وقسم

---

(١) لم أحصل على معلومات وافية عن ميرزا جعفر القراجة داغي، عدا أنه كـان موظفـا فـي وزارة العدل وكاتبا للأمير جلال الدين ميرزا وكان يعمل في أخريات حياته مترجمـا للغـة التركية في "دار الترجمة الحكومية المباركة" ووفقا لما ورد في التقويم الملحق بالمجلد الثالث من "درر التيجان" لاعتماد السلطنة ظل في هذا العمل إلى أن توفي عام ١٣١٠ هـ.ق.

(٢) ترجمت بعض مسرحيات آخوندزاده عن الترجمة الفارسية لميرزا جعفر إلى لغات أوروبيـة أخرى. من ذلك نشر د.هـ. هكرد، وج. لواسترنج عام ١٨٨٢م فـي لنـدن "وزيـر خـان اللنكراني" مع ترجمتها الإنجليزية والنص الفارسي المترجم لميرزا جعفر وقائمـة للكلمـات وبعض الملحقات. وفي عام ١٨٨٣ ترجم الأديب الفرنسي ث. باربيه دومـي نـار "حكايـة محاميْ الدفاع" إلى الفرنسية ونشرها. وفي عام ١٨٨٦م نشر المحقق المذكور ترجمة "حكاية الملا إبراهيم خليل الكيميائي" في "جورنال آسياتيك". وفي عام ١٨٨٩م نشرت "حكاية الـدب صارع اللص" في مجلة جمعية علماء اللغة باستكهولم، وفي نفس العام نشر آلفونس جـوي يار "وزير خان اللنكراني" و"محاميْ الدفاع" باللغة الفارسية، وفي نفس العـام أيـضا نـشر البرفسور أ. وارموند الترجمة الفارسية لـ "السيد جوردان عالم النباتـات" مـع ترجمتهـا وفهرسا للكلمات وملحقات وذلك في فيينا ولا يبتزيك. كما ترجم أيضا بريكتو الأستاذ بجامعة لييج مسرحية "البخيل" وهي من أعمال آخوندزاده الجيدة وكذلك عدة مسرحيات تنسب إلـى ميرزا ملكم خان. ولكن حكاية "يوسف شاه السراج" فهي لم تترجم حتى الآن إلـى اللغـات الأوروبية عدا الروسية على حد علمي.

فن الكتابة المسرحية إلى قسمين (التراجيديا) أى التعبير عن المصائب و(الكوميديا) أى التعبير عن البهجة، ويؤكد وجهة النظر التالية فى رسالته التى أرسلها إلى ميرزاملكم خان "الفن عندى يهدف إلى تهذيب الأخلاق الإنسانية وتقديم العبرة للقراء والمستمعين". ومن هذا المنطلق يعتبر نقل البهجة أى الكوميديا أكثر تأثيرا فى تهذيب أخلاق البشر وهداية الناس إلى الطريق القويم ومكافحة الفساد. وقد انتخب لنفسه هذا اللون من الكتابة وسعى للكشف عن العيوب والمفاسد الاجتماعية فى عصره عن طريق السخرية والفكاهة والضحك.

وفى هذه المقدمة يعتبر آخوندزاده نفسه مؤسس هذا الفن العجيب ويقول "لما كان الأمير الأعظم كنياز فارانسوف حاكم ولاية القوقاز قد أنشأ عام ١٢٦٦هـ.ق بناية فخمة تسمى المسرح فى مدينة تفليس وأنفق مبالغ ضخمة لتحقيق المصلحة العامة التى ذكرتها سالفا، لهذا ألفت على سبيل التجربة ست مسرحيات وحكاية واحدة كى أعرف الأمة الإسلامية على هذا الأمر الغريب، وها أنا أقدمها كلها فى مجلد واحد لأهل المعرفة، ولا أنتظر كغيرى من المؤلفين أن يصدروا أحكاما على مواطن الضعف والقوة فيها، ولكنى أتمنى أن يطلعوا على هذا الفن الجديد ويبادروا بالتأليف على غرارها حسب قدرتهم على الإبداع، كى ينتشر هذا الفن العجيب بفضل رعايتهم على وجه السرعة فى العالم الإسلامى. فوظيفتى تنحصر فقط فى تقديم نموذج ومثال ومخطط لبنية الموضوع".

تعلم ميرزا فتحعلى كما ذكرنا سالفا رموز وأسس تخطيط هذه البنية الحديثة من كتاب المسرح الغربيين، وقد أثرت مسرحيات موليير الكاتب الفرنسى المتميز فى القرن السابع عشر على وجه الخصوص فى مؤلفاته. فأحيانا نلحظ فى أبطال مسرحيات فتحعلى السخرية اللاذعة، والذكاء والفطنة، الردود الحاضرة وغيرها من الخصائص التى تميز بها أبطال موليير. لكن آخوندزاده لم يقيد نفسه بالإطار الضيق للأسلوب الكلاسيكى الذى كان يعتبره موليير بمثابة قواعد وشروط أدبية لا يمكن تجاوزها فى عهده، وبنفس الحرية التى تظهر فى أعمال شكسبير رسم أبطال

مسرحياته بصفات إنسانية طبيعية. وهو لا يلتزم بوحدة الزمان والمكـــان، فمكـــان وقوع الحدث يتغير سريعا، والفترة الزمنية بين الفــصول أحيانـــا تمتـــد لـــشهور وسنوات ويجذب انتباه المشاهدين بمهارة من مكان إلى آخر، ويخلق بنفس القـــدرة والحرفية صورا طبيعية ومشاهد حية ومقنعة. ويتجنب الصور الأحادية الـــسطحية غير المتروية فى تصوير الجوانب الإنسانية السلبية، وفى المجمل تعـــد البـــساطة وتناغم الحوار مع طبيعة الأشخاص، ووضوح المـــضمون والتنـــامى التـــدريجى والمستمر للمناقشات وسرعة الوصول إلـــى نتـــائج مـــن خـــصائص مـــسرحيات آخوندزاده.

ولا يحتل الأشخاص ذوو الصفات الـــسلبية وحـــدهم مكانـــة خاصـــة فـــى مسرحيات آخوندزاده ولكن أيضا شخصيات ذلك العصر البارزة والإيجابية. فيجعل الكاتب في مقابل "الملا إبراهيم خليل" المحتال والمغامر وأهالى نوخـــا الطمـــاعين شاعرا ورعا مثل الحاج "تورى"، وفى مقابل "حسن آقـــا" و"الـــدرويش "مـــستعلى" يجعل "السيد جوردان" و"شاهباز بيك"، وفى مقابل "الخان" الجاهـــل يـــصور شـــابا واعدا مثل "تيمور آقا" كي يستطيع إبراز الصفات السلبية بصورة أفـــضل وأكثـــر وضوحا.

إن مسرحيات آخوندزاده التي كتبت بلغة آذرية سهلة وبسيطة تعـــد مـــرآة صادقة لأخلاق أهالى آذربيجان الناطقين بالتركية وعاداتهم وتقاليدهم. فالكاتب عليم بالطبائع البشرية وقادر على التعبير عما يدركه. وفى كـــل مـــسرحية مـــن هـــذه المسرحيات نجد أنفسنا فى زمن كتابة القصة وبين الأوضـــاع والظـــروف التـــى صورت من خلالها، ويمر أبطال المسرحية أمامنا واحدا واحدا بأخلاقهم وصـــفاتهم وملابسهم، ونفهم بوضوح حديثهم وتصرفاتهم ونضحك معهم، ونبكى معهم.

يظهر الجميع من القروى إلى الشاه بهيئتهم وصفاتهم الواقعية فـــى مـــشاهد المسرحية، ويقدمون أعمالهم وأفعالهم القبيحـــة غيـــر اللائقـــة، يتحـــدثون بلغـــة واصطلاحات طبقتهم وبيئتهم، وكأن الكاتب قد عايش كل هـــؤلاء النـــاس وســـجل أفعالهم وأحاديثهم فى ذاكرته.

ومثلما اشتهر أبطال مسرحيات موليير "اسجاندرل" و"هارباجون" و"تارتوف" باعتبارهم نماذج للفئة المنتمين إليها، وكذلك "خلستاكف" و"دُبتشينسكي" و"بيتشينسكي" أبطال جوجول المشهورون؛ فإن أبطال مسرحيات أخوندزاده "حاتم خان آقا" و"الحاج قرا" و"زليخا" و"بيرام" و"آقاكريم ميانجي" و"ملا إبراهيم خليل" لازالوا أحياء، ويمارسون أعمالهم غير اللائقة.

مضى أكثر من مائة عام منذ ألف ميرزا فتحعلى مسرحياته، ومع هذا لم تتغير عاداتنا وتقاليدنا وأسلوب معيشتنا. ولا تزال أخلاق وصفات ذلك الزمان الذميمة مسيطرة علينا وعلى مجتمعنا برغم اختيار مظاهر الحضارة الغربية، فلا زلنا نرث غفلتهم وكسلهم وميلهم للراحة وضيق أفقهم. وبالنظر إلى هذه الأمور تبدو لنا أهمية أعمال آخوندزاده الحقيقية وقيمتها، وبعد مرور مائة عام لا زلنا نستطيع أن نشاهد شخصيات أعماله حية وجلية في مجتمعنا. فلازال أهالي القرى عندنا غارقين في الجهل والأمية والفقر، ويعرض أمثال "الحاج قرا" في الأسواق للمشترين البضائع الكاسدة في محلاتهم وسقط المتاع، ويقسمون لهم كذبا على أنها بضائع رائجة ويخسرون دينهم وإيمانهم، ولا تزال شبيهات "شهربانوخانم" و"خان برى ننه" يخدعن أزواجهن التعساء بالسحر والدجل، كما يعتبر أمثال "حاتم خان آقا" أن محاكاتهم للغربيين تكون بعدم إطلاق اللحية وعدم حلاقة الشعر أو التخضب بالحناء وخلع غطاء الرأس وتناول الطعام بالملعقة والشوكة، ولا زال أمثال "الملا إبراهيم خليل" يسلبون الناس البسطاء السذج أموالهم وممتلكاتهم بالشعوذة والخزعبلات، كما يرتكب المعاصرون من أمثال "آقامردان حلواچى زاده" "آقا سلمان الكچى زاده" كل يوم مئات الأعمال المخالفة للشرع والأعراف باعتبارهم محامين بارزين في المحاكم، ويضيعون هباء ممتلكات مئات النفوس الطاهرة عن طريق إثارة الفتنة وارتكاب المفاسد باسم القانون.

حكاية الرجل البخيل: تعد حكاية الرجل البخيل أقوى مسرحيات آخوندزاده ومثالا راقيا وكوميديا كلاسيكية فى الأدب الآذرى(١). وقد صورت فى هذا العمل الواقعى مشاهد جذابة من الحياة الاجتماعية لأهالى أذربيجان فى أواسط القرن التاسع عشر الميلادى، وتتميز بأهمية تاريخية لما تكشف عنه من ظلم واستبداد واستغلال وخسة وغيرها من الصفات الذميمة.

و"الحاج قرا" بطل المسرحية الرئيسى رجل بخيل يستولى عليه مرض أو شهوة "البخل" مما يجعله شخصية فكاهية. وقد قدمت شخصية البخيل مرارا فى الآداب العالمية. ولكن "الحاج قرا" يعد شخصية كاملة الملامح وأصيلة مقارنة بشخصيات البخلاء مثل "هارباجون" عند موليير، و"بارن" عند بوشكين، و"بليوشكين" عند جوجول.

ويقول الناقد الروسى الكبير بلينسكى عند حديثه عن "البخيل" بطل مسرحية بوشكين: "إن البخل والوضاعة ليسا بالأمر الجديد، ولكن النبوغ والإبداع يمكن أن يكسبا كل قديم جدة. ففكرة البخيل واحدة، ولكن أشكالها مختلفة تماما".

فالرجل الذى يدعى "هارباجون" الذى يوصف بالبخل فى مسرحية موليير هو "مجرد بخيل"(٢) وفقا لتصريح بوشكين، على عكس "الحاج قرا"؛ ففضلا عن أنه شديد البخل وجبان وكاذب إلا أنه يتحلى ببعض الصفات الإنسانية الحميدة مثل الحكمة والفراسة والذكاء والاستثارة والتدبير. فهذا الشخص يفهم الحياة جيدا ولا يكف عن السعى لتحقيق أهدافه.(٣)

---

(١) يقال إن صديق آخوندزاده قاسم بيك الشاعر القراباغي المتخلص بـ "ذاكر" والذى كان يتبادل معه الرسائل كان قد قدم لآخوندزاده مضمون المسرحية وقام آخوندزاده بتهذيب الفكرة وألف كوميديا "الرجل البخيل".

(٢) يقصد الكاتب الروسى أن أبطال المسرحية موليير ومن بينهم البخيل يتميز كل منهم بسمات محددة أحادية الطابع.

(٣) حكاية الرجل البخيل ليست ترجمة لمسرحية L'Avare لموليير عن الترجمة الروسية كما يعتقد الدكتور أبو القاسم جنتى عطائى (نگاهى به دراما تورژى درايران، بيام نوين، العام=

و"حيدر بيك" من الشخصيات الجذابة فى هذه الكوميديا، وهو من نسل أسرة عريقة، أو بعبارة أخرى نموذج لإفلاس الطبقة الإقطاعية القديمة. فحيدر بيك بالرغم من أنه قاطع طريق ومهرب إلا أنه شخص من النجباء غيور يكره الخيانة والكذب والرياء. فهو يمتلك قوة داخلية هائلة ولكنه عاجز عن توظيفها توظيفا مناسبا والاستفادة منها لأنه عازف عن الكسب والعمل والتجارة، وينظر دائما إلى الماضى البائد، وهو لا يعرف كيفية الحصول على المال والثروة على النقيض من "الحاج قرا" الذى يفكر دائما فى زيادة رأس ماله وثروته، ولكن على كل حال يعبر كل منهما من منطلقين مختلفين بالطبع عن مبادئ غير سامية تتسم بالخيلاء وتناهض المجتمع. فهذا فتوة قاطع طريق وذاك اتخذ من اللصوصية والغش فى البيت والسوق، والتعامل بالبيع والشراء فى البضائع المهربة مبدأ لحياته، والنتيجة أن كليهما يمارس أعمالا وضيعة. وفى مقابل هاتين الشخصيتين وحفنة من موظفى البلاط القيصرى الظالمين الذين تضامنوا مع الإقطاعيين وذوى المنفعة وتحالفوا معهم توجد نساء عاقلات يتميزن بالجرأة مثل "صونا" و"تكذ" والقرويون المساكين مثل "مجرديتش" و"آراكل" والخادم "كرمعلى" الذى انحنى ظهره نتيجة الاستغلال فى ظروف مجحفة وقاسية، وبشكل عام يوجد أفراد شرفاء مسالمون يمارسون أعمالا شاقة مفيدة للمجتمع.

٥- ميرزا آقا التبريزى:

إن أولى المسرحيات التى ألفت بقلم الإيرانيين أنفسهم بعد مسرحيات آخوندزاده الكوميدية التى كتبت أصلا باللغة التركية الآذرية هى ثلاث مسرحيات قصيرة تنسب إلى ميرزا ملكم خان طبعت أجزاء منها فى حواشى صحيفة "اتحاد"[1] خلال أعداد متفرقة، ولكن قبل أن يكتمل نشرها وقعت حادثة ٢٣ جمادى

=الثالث، العدد ١٠)، بل هى عمل مستقل ولا يوجد وجه للشبه بين العملين سوى أن بطليهما بخيلان.

(١) صدرت فى تبريز منذ أوائل صفر حتى نهاية جمادى الأولى ١٣٢٦هـ.ق.

الأولى ١٣٢٦هـ.ق (انقلاب محمد على شاه وقصف المجلس) ولم يكتمل هذا الأمر نتيجة توقف كافة الصحف المنادية بالدستور. ثم وجدت نسخة كاملة للمسرحيات الثلاثة فى مكتبة "جراف فن روزن" الدبلوماسي والمستشرق الألماني الشهير، وفى عام ١٣٤٠ هـ.ق طبعت في برلين تحت عنوان "مجموعهء مشتمل برسه قطعه تئاتر منسوب به ميرزا ملكم خان ناظم الدولة: مجموعة تضم ثلاث مسرحيات تنسب إلى ميرزا ملكم خان ناظم الدولة".

يتضح وفقا للوثيقة التى توفرت لدينا مؤخرا أن ميرزا ملكم خان لم يكتب مسرحية مطلقا، وأن المسرحيات التى نسبت له هى من تأليف ميرزا آقا التبريزى السكرتير الأول بسفارة فرنسا المقيم فى طهران.

وليس لدينا معلومات كثيرة عن هذا الشخص. ويقدم نفسه في الخطاب الذى كتبه إلى ميرزا فتحعلى آخوندزاده قائلا: "أسمى ميرزا آقا، ومن أهالى تبريز. كنت مهتما منذ طفولتى بدراسة اللغتين الفرنسية والروسية، وقد درست اللغة الفرنسية بالقدر الذى يمكننى من الكتابة والترجمة والحديث، كما أعرف قدرا أيضا من اللغة الروسية. ويعد عملى لعدة سنوات فى المدرسة الملكية وأداء مهمتى فى بغداد وإسطنبول والحصول على أربعة أوسمة من الدرجة الأولى والثانية والثالثة من تلك المدرسة ووسام التفوق، أعمل منذ سبع سنوات بإذن من أولياء الدولة فى سفارة دولة فرنسا الجليلة بطهران فى منصب السكرتير الأول"[1].

أراد ميرزا آقا فى البداية أن يترجم مسرحيات آخوندزاده إلى الفارسية بناء على رغبته لكنه عدل عن هذه الفكرة بعد ذلك، وقام بهذا العمل كما رأينا سابقا ميرزا جعفر القراجه داغي. أرسل ميرزا آقا المسرحيات الثلاث التى كان قد ألفها إلى آخوندزاده لإبداء رأيه فيها، ووضح السبب وراء عدوله عن ترجمة المسرحيات وإقباله على تأليف أعمال مستقلة فيقول: "لقد حالفنى الحظ منذ قراءتى

(١) ميرزافتحعلى آخونداوف:الفباى جديد ومكتوبات، باكو ١٩٦٣، ص ٣٨٩.

للكتاب التركى من تأليف ذلك السيد الجليل، وشغفت بالتدريج بالكتابات الباعثة للسرور، واستبصرت من موضوعاتها الجميلة وعباراتها الجذابة التى تحوى أنواع العبر والآداب، فاعتبرت من واجبى أن أقلد ذلك السيد الجليل المعظم وأحاكيه فى هذا الأسلوب الميمون وهذا السياق المحمود، وأكون مريدا له. فأردت فى البداية أن أترجم إلى اللغة الفارسية كتاب المسرح كما طلبتم، فرأيت أن الترجمة اللفظية تقضى على جمال الألفاظ وتفقد الكلام بلاغته. فشعرت حقيقة بالأسف وتوقفت عن الترجمة ولما كان هدفى المحاكاة؛ لهذا كتبت شيئا يسيرا بنفس الأسلوب باللغة الفارسية، وتركت هذا التقليد الجديد بين القوم نموذجا ليسعى العقلاء إن شاء الله لإكماله وتهذيبه"(١).

وقد كُتبت هذه المسرحيات بالتأكيد فى حدود عام ١٢٨٧ هـ.ق لا قبل ذلك التاريخ ولا بعده بكثير(٢). وجعل لها المؤلف عناوين مفصلة وطويلة على النحو التالى:

١- "سركذشت أشرف خان حاكم عربستان درايام توقف او در طهران كه در سنهء ١٣٢٢ به پايتخت احضار مى شود وحساب سه سالهء ولايت را پرداخته مفاصا مى گيرد وبعد از ترجمات زياد دوباره خلعت حكومت پوشيده مى رود: حكاية أشرف خان حاكم بلاد العرب فى أيام توقفه فى طهران حيث يستدعى

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٩٢.

(٢) أرسل ميرزا فتحعلى آخوند زاده فى هذا العام نسخة من المسرحيات للأمير جلال الدين ميرزا ابن فتحعلى شاه، وسأله "لو قام شخص من فضلاء طهران متحدثا بالفارسية – ويفهم اللغة التركية جيدا بترجمة هذه المسرحيات من اللغة التركية إلى اللغة الفارسية بنفس القواعد والشروط التى أشرت إليها فى الكتاب دون نقص أو زيادة وبدون تكلف أو قافية، ووفقا للمتداول لدى الناطقين بالفارسية فى إطار لغة الحوار وليس فى إطار الإنشاء، ويقوم بطبعه ونشره؛ فبالقطع سوف يؤدى خدمة جليلة للأمة". وتولى ميرزا جعفر القراجه داغى مهمة ترجمة المسرحيات، وكتب ميرزا آقا مسرحياته الثلاث تقليدا لهذه المسرحيات، وأرسل نسخة منها لآخوندزاده لإبداء رأيه فيها. ويتضح من الرسالة التى كتبها آخوندزاده إلى ميرزا آقا فى ٢٨ يونيه ١٢٨٨ أنه كان قد انتهى من كتابة تلك المسرحيات فى ذلك التاريخ.

عام ١٣٢٢ إلى العاصمة ويسدد حساب ثلاث سنوات من الولاية ويحصل على إيصال بالسداد، ثم يُمنح الحكم بعد مشقة كبيرة ويمضى" وتقع فى أربعة فصول.

٢- "طريقة حكومت زمانخان بروجردى وسر گذشت آن أيام: أسلوب حكم زمان خان البروجرى وحكاية تلك الأيام" وتقع في أربعة فصول.

٣- "حكايت كربلا رفتن شاهقلى ميرزا وسرگذشت آن أيام وتوقف چندروزه در كرمانشاه نزد شاهمراد ميرزا حاكم آنجا: حكاية ذهاب شاه قلى ميرزا إلى كربلاء وحكاية تلك الأيام وتوقفه عدة أيام في كرمانشاه لدى حاكم تلك الديار شاهمراد ميرزا".

وقد صورت في تلك المسرحيات مشاهد قاتمة ومخيفة عن الاستبداد وغياب القانون فى العهد الناصرى والأوضاع السيئة فى ذلك العصر فضلا عن الكثير من الأحداث المثيرة للضحك، وقدمت بأسلوب نثرى ساخر يجبر القارئ المعاصر على الضحك عفويا. ولكن بالطبع أهالى ذلك الزمان الذين ضاقوا من الظلم والاستبداد وكانوا متعطشين للحرية والثقافة الأوروبية قد تأثروا لقراءة هذه الهزليات المريرة الساخرة التي تبعد عن المبالغات وتمثل الحقيقة.

والمسرحيات الثلاث هي فى الواقع قطع كتبت بأسلوب الحوار ولم يُراع فى كتابتها الأصول والقواعد الفنية للمسرح الأوروبى حيث وحدة الزمان والمكان وغير ذلك، ولهذا صار تقريبا من غير الممكن عرضها. فعلى سبيل المثال فى الفصل الأول من حكاية أسلوب حكم زمان خان... يرسل كبير الخدم فى قاعة إحدى الدوائر الحكومية أحد الخدم ليحضر "فارطانوس" بائع الشراب. فيذهب الخادم، ويطرق باب منزل "فارطانوس" ويحدثه، ويعود الاثنان سويا إلى الإدارة الحكومية بينما يتحاوران، ثم يجلس هذه المرة الخان الحاكم فى وسط حديقة (لا فى نفس القاعة بالإدارة الحكومية) ويتحدث مع ميرزا جهانجير. وعلى هذا النحو يدور الفصل أو المشهد الأول فى أربعة أماكن مختلفة (قاعة الإدارة الحكومية، أمام باب

منزل فارطانوس، الطريق، حديقة المبنى الحكومى)، ويتضح من سياق الكــلام أن هذه الأحداث لا تقع فى يوم واحد ولكن فى عدة أيام ربما منذ يوم الخمــيس حتــى يوم السبت.

ويدور الفصل الثالث على نفس النسق، "آقاباجى" تحمل الرسائل من "كوكب خانم" للحاج رجب ورئيس الخدم، وتحضر الرد.

وفى الفصل الثانى من حكاية ذهاب شاهقلى ميرزا إلى كــربلاء... يركــب الأمير مع الخدم والجند فى المقدمة، وخلفهم أثاث المنزل والسقاية، ويتبعهم الغلمان وعدد كبير من الخيول الاحتياطية، ويخرج خلفهم من المدينة "ايرج ميــرزا" ابــن الحاكم وأتباعه، وخلال الطريق يتحدث "شاهقلى ميرزا" مع ابنه. وعلــى مــسافة فرسخ من مدينة سنقر يظهر فارس ويصل رئيس المخفر والعمدة وبرفقتهما مائتان من الجنود ويصطفون على الجانبين. وعلى مقربة من القرية، يقدم الرعيــة علــى الجانبين الأضاحى من الغنم. وفى اليوم الثانى يجلس "شاهقلى ميرزا" على عــرش مطعم بالذهب فى قاعة ذات سبعة أبواب، ويصطف الجنود فى الطريق إلى البلاط الملكى وكذلك النجباء والأعيان عن اليمين وعن اليسار. ويذهب الأشخاص الــذين يعملون لدى الأمير إلى ابنه "ايرج ميرزا" ثم يعودون.... يضم فصل واحد كل هذه الوقائع والأحداث المتسمة بالحشمة والجلال والتى تحدث على مدى الطريق الممتد من بداية خروج الأمير إلى نهاية رحلته وعلى مدى عدة أيام.

ونشعر أن الكاتب لم يطلع علــى المــسرحيات الأوروبيــة، أو أنــه ألــف مسرحياته لتقديم العبرة للمواطنين من أهل بلده فقط وليس مــن أجــل عرضــها، لدرجة أنه لم يطلق عليها لفظ مسرحية أو عرض بل أسماها حكاية.

لم تخف المسائل المطروحة سابقا عن آخوندزاده، فأبدى وجهة نظره حــول كل مسرحية على حدة فى الرسالة التى كتبها إلى المؤلف فى نقــد المــسرحيات، ويستهل الرسالة بقوله: "أخى العطوف ميرزا آقا، أطــال الله عمــركم. وصــلتنى

رسالتك اللطيفة. قرأت مؤلفك عن آخره، وأرسل لك ألف ثناء وإطـــراء، وأشـــعر بالسعادة لحميتك وموهبتك، وأتمنى أن تقضى أوقاتك على الدوام فـــى هـــذا الفـــن الراقى الذى يسميه الأوروبيون "الدراما" وأن تحرز المزيد من النجاح"[1].

ثم يضيف "ولكن طالما أن هذا العمل طليعة أعمالكم وجب علىَّ أن أقدم لكم بعض المآخذ عليه"[2].

ثم يقوم بتعريف المسرح ونقد المسرحيات وبعض الأجزاء التـــى لا يمكـــن عرضها ويوجهه إلى كيفية عرضها، كما يلفت نظره إلى نقاط تتعلق بالشخـــصيات والمشاهد فى حكاية زمانخان... وينصحه بتغيير المشاهد وغير ذلك.

وقد استحسن آخوندزاده من بين مسرحيات ميرزا آقا الثلاث "أسلوب حكـــم زمانخان" عن غيرها، وأوصى المؤلف أن يسميها "سرگذشـــت دهباشـــى قاســـم وكوكب: حكاية قاسم رئيس الخدم وكوكب "لأن دور زمانخان فى هـــذه الحكايـــة صغير. ولكنه لم يعجب مطلقا بحكاية ذهاب شاهقلى ميرزا إلى كربلاء... وكتـــب: إن حكاية شاهقلى ميرزا سيئة تماما، فلتحرقها. فلا يجدر بأصحاب القلم أن يكتبـــوا مثل هذه الأشياء"[3].

وها نحن نستشهد فيما يلى بالفصل الثانى مـــن مـــسرحية "أســـلوب حكـــم زمانخان..." للتعرف على أسلوب الكاتب:

---

(١) ميرزا فتحعلى آخوندزاده، من الرسالة المؤرخة بالثامن والعشرين من يونيـــة عـــام ١٨٧١ (ربيع الأول ١٢٨٨).

(٢)المصدر السابق.

(٣) ميرزا فتحعلى آخوندزاده، من الرسالة المؤرخة بالثامن والعشرين من يونيه عام ١٨٧١.

أسلوب حكم زمانخان...

المشهد الثاني

ميرزاجهانجيرخان: (يقول للخان الحاكم) أيها الخان العزيز، هذا ذنبك، وزير البلاط يقول الحق. فالأسلوب الذى تحكم به لا يصلح. لا رشوة، لا شيء. فأمثالك يحصلون على رشوة مائة تومان يوميا، فهل أنت مغسل وضامن الجنة أو النار للميت!. أنت حاكم لعدة أيام، فعليك أن تجمع من الرشاوى أربع عملات من الشاهي وتذهب فليُقبر أبو الرعية ! فالمسئول عن الرعية نفسه لا يفكر فيهم، إلى أين سيرسلونك ثانية؟ فهذه الحكومات لا قيمة لها، فغدا سيظهر واحد ويقدم الهدايا ويصبح الحاكم، فلتبق أنت ولتبق طهران ولتظل حبيسا بركن المنزل. وحتى لا يحدث هذا فعليك بالغش والإجحاف، واقبض على التقي وقيد الطاهر البرى، وكن مرتشيا واحصل على الرشوة... فإلى متى تظل أبلها؟

الخان الحاكم: (بهدوء) وهل رجال الحاشية يدعون الإنسان يتصرف على نحو صحيح؟ أنت تقول الحق، فكل هذا ذنب كبير الخدم...

كبير الخدم: لماذا سيدى الخان، ما ذنبي؟، وما التقصير الذى حدث؟

الخان الحاكم: ما التعهدات التى التزمت بها معى؟ وما أساليب تلقى الرشاوى التى عرضتها علىّ؟ فمنذ فترة لم تقبض على سكير، ولا تعلم شيئا عن من يمارسون البغاء، ولا عن أى عربيد، ولم تحصل على رشوة تومان أو اثنين... ألا تعرف عملك، أم إنك لا تصدقنى القول؟ أيهما الصحيح؟

كبير الخدم: (يتقدم ويقول) بالتأكيد إن ذاكرة الخان قد خانته. فأول أمس كنت تنصحنى بغير ذلك، والآن تتحدث بأسلوب مغاير، لا أعلم ماذا تقصد بهذه الأوامر؟

الخان الحاكم: لقد صرتُ هذه الأيام مفلسا. ولم أسدد القسط المقرر على الولاية، ابحث عن سكير، بغى، أحضر رشوة من الهواء، فالأمر لا يسير على هذا النحو.

كبيرالخدم: عليك أن تأمر وعليَّ التنفيذ، أول أمس أمرتنى على عكس ذلك (يخرج وينادى) يا أولاد، لينادى أحد "قاسم" رئيس الخدم (يأتى قاسم رئيس الخدم ويؤدى التحية) رئيس الخدم !

رئيس الخدم: نعم سيدى !

كبير الخدم: إن الحاكم مفلس هذه الأيام، ولا يملك النفقات اليومية للمعيشة.

رئيس الخدم: سيدى إذًا ماذا علىّ فعله؟

كبير الخدم: فلتبحث عن بغى معروفة واقبض عليها، وخذ منها أربعين أو خمسين تومانا.

رئيس الخدم: أى بغى؟ وكيف؟

كبير الخدم: أين السيدة كاشى؟

رئيس الخدم: لقد تابت وتزوجت.

كبير الخدم: وماذا تفعل السيدة الشيرازية؟

رئيس الخدم: أصيبت بداء الزهرى ولا تعمل.

كبير الخدم: وماذا عن سكينة صانعة الطواقى؟

رئيس الخدم: لقد كبرت فى السن، وهى الآن قوادة.

كبير الخدم: وماذا عن "زيور" ذات الجدائل الطويلة؟

رئيس الخدم: لقد علا شأنها هذه الأيام، فقد رافقت الأمير المتعهد بالخيول الملكية، ولا يستطيع حتى الفيل أن يتحدث معها.

كبير الخدم: لقد علا شأن "صاحب جان " هذه الأيام جدا، فالكل يتكلم عنها.

رئيس الخدم: لا يمكن الحديث عن "صاحب جان"، حصلت من الوزير

ميرزا عيسى على وثيقة الطلاق، وتحملها تحت إبطها، وتنعم بعوائد الإقطاع من أرض الخاصة الملكية.

كبير الخدم: آه ها تذكرت. لا أحسن من كوكب الشاهورديخانية: فهي صارعة العشاق ولصة ومحتالة وتعرف كل الأساليب. اضغط عليها بالطبع، لتوقع واحدا من هؤلاء التجار الأثرياء في الفخ. وأمسكوه لتحصل منه على مائتين أو ثلاثمائة تومان.

رئيس الخدم: نعم نعم. أحسنت القول، فكرة جديدة. سأبحث عنها ونتفق معها. بالطبع ستوقع واحدا فى الفخ، وفى النهاية نعطى لها شيئا.

كبير الخدم: أف، اذهب وتدبر الأمر. ورأس أخى سأحصل لك على منصب نائب رئيس الخدم.

رئيس الخدم: دام فضلك علينا، أنا رئيس الخدم بالفعل، ولكن العمل بالديوان شئ آخر. أدام الله فضلك. سأذهب لإنهاء ما طلبت(يأتى، و يرسل أحد الفتوات إلى كوكب ويدق الفتوة بابها).

الوكيل: (يتقدم وكيل كوكب عند الباب) ماذا تقول؟

الفتوة: قل للسيدة إن قاسم رئيس الخدم يريد أن يقابلك ويدخن النرجيلة ثم يذهب.

الوكيل: توقف حتى أحضر الرد (يذهب لكوكب ويخبرها) لقد أرسل قاسم رئيس الخدم رجلا، يريد أن يأتى ليقابلك.

كوكب: بسم الله الرحمن الرحيم، ليجعل الله الأمر خيرا، ما الموضوع؟! أول أمس أرسلت السكر والشاى وعباءة من أجل رئيس الخدم، ماذا حدث ثانية! اللعنة على هذا العمل، فزوجة السيد كبير الخدم تتفاخر بفضلى فى الحمامات بأنها تملك بساطا من الحرير الكشميرى وكوزا وإبريقا. لتحترق يا وكيل، فكل هذا من

جرائك. العام الماضى أردت أن أتزوج "كاظم قشنج" ولكنك لم تتركنى أرتاح لعدة أيام، حسن، اذهب الآن وادعه ليأتى، لأرى ما الحلم الذى رآه لى.

الوكيل: (يذهب عند الباب ويقول للفتوة) تسمح السيدة لكم بالدخول، البيت بيتكم.

الفتوة: يأتى مسرعا ويقول لرئيس الخدم: تفضل، باسم الله، كوكب خانم بالمنزل.

رئيس الخدم: الحمد لله يكاد الأمر أن يتحقق وستفلح الحيلة تماما (يأتى ويدخل فناء منزل كوكب. ويسأل الوكيل) هل السيدة كوكب قادمة؟

الوكيل: هى فى تلك الحجرة ذات الأبواب الخمسة أمامك.

رئيس الخدم: (يدخل الحجرة) سيدتى السلام عليك.

كوكب: عليك السلام عزيزى رئيس الخدم، جعلت فداءً لطلتك التى تشبه القمر، يا للعجب، حللت أهلا ونزلت سهلا. كيف تذكرت الفقراء؟ وحياة أختى بينما كنت ذاهبة للحمام بالأمس وقع نظرى عليك، فخفق قلبى، وأردت أن أذهب للحديث معك، فخجلت لوجود الناس.

رئيس الخدم: سيدتى العزيزة، وحياتك الغالية، أنا لا أرغب فى واحدة غيرك من بينهن جميعا. أقول دائما ماذا يمنع الإنسان حَسن السلوك والعارف بالأصول عن بعض الـ....

كوكب: بالطبع، بالطبع، عزيزى رئيس الخدم، من القلب للقلب رسول. (تنادى) يا وكيل، تعال اجلس هنا. يا وكيل أستحلفك بامرأتك العجوز، ألم أمتدح رئيس الخدم وأتحدث عنه كثيرا فى تلك الليلة التى كان الوزير هنا، حسن سيدى رئيس الخدم، لندع هذا جانبا، لو أنك لم تشملنى برعايتك أكنت أترك أملاكى وأحضر وأحصل على إذن بالسكن فى حيك؟ إذن لتعلم أن كل هذا من أجلك.

رئيس الخدم: حسن فلتخبريني الآن عن عملك، كيف تسير الأمور معك؟ هل حصلت على صيد ثمين أم لا؟

كوكب: سيدى العزيز، لا أعلم ما بال هذا العام؟ وكأن جميع الناس قد ماتوا، لا أجد رجلا مغرما، لا تفوح رائحة العشق من أحد مطلقا، وكأن الشبان قد أصيبوا بالشيخوخة ! الوكيل يعلم أننى رهنت كل متاعى لدى زوجة خسروخان بسبب الكساد، ولا أملك نفقاتى اليومية.

رئيس الخدم: لا، لا ينبغى أن تقلقى على هذه الأمور، فالحياة فانية، يجب العيش فى سرور وكفى.

كوكب: حقا، ولكن السرور يتطلب قلبا خاليا وكذلك المال، فالسرور لا يأتى مجانا.

رئيس الخدم: عندى فكرة. لو أحسنت التدبير ولم تتركى شيئا للمصادفة، سينتهى كل هذا، ونتخلص من ضيق ذات اليد.

كوكب: ها، قل؛ لأعرف، خيرًا إن شاء الله.

رئيس الخدم: سيدتى، انظرى، عليك توثيق علاقتك بصديقك عن العام الماضى الحاج "رجب خوش ابرو"، واستضيفيه ليلة من الليالى، ليحضر هنا ونقبض عليه، فتكونى قدمت خدمة للحاكم وقدمت خدمة لنفسك أيضا.

كوكب: (تلطم وجهها وتقول) يا ويلى، يا ويلى، يا عارى، دعك بالله من هذا، هل وصل الأمر لذلك؟

رئيس الخدم: أرأيت؛ النسوة أحيانا بلا عقل. ألم يكذب عليك محروق الأب هذا كثيرا العام الماضى، وفى النهاية زاول العشق أمامك مع "طاوس" ذات الخال، فأحرق قلبك. ألا زلت تقولين هل وصل الأمر لذلك؟!

كوكب: (تحث نفسها على البكاء) آه آه، ماذا أفعل، حظى سيىء، عزيـزى رئيس الخدم لتحكم بالله عليك، هذه التى تتبول دون إرادة، محروقة الأب، أتـساوى إصبعى الصغير!! وذاك الخسيس تركنى وأخذ تلك العفنة التى تتبول دون إرادة.

رئيس الخدم: دعينى أقول لك، هيا تداركى الأمر الآن.

كوكـب: أخشى أن تلوكنى الألسن ويقولون كوكب شؤم لا تصون العـشرة، أترون حبست صديقها !

رئيس الخدم: ها ها ها. هذا كله أوهام. الكل يعلم أن الحاج رجب قد أسـاء إليك كثيرا.

كوكب: أخشى شيئا آخر، أخشى لو حدث هذا أن يحبسنى الخان الحـاكم ولا يطلق سراحى، ستكون مصيبة على رأسى !!!

رئيس الخدم: وحياة أولادى وحياتى، والملح الذى أكلناه سويا، لـن يحـدث هذا. فكرى جيدا. أنا لا أقدم على عمل لم أدرسه جيدا. (يضرب على ركبته)، لـو فكرت فى هذه الأوهام لن يبقى رئيس الخدم قاسم إنشاء الله على وجه الأرض...

كوكب: لا تقل هذا، لا تقل هذا، لا أراد الله، فلنمت أنا والحاج رجب، الحاج رجب فداء لشعرة من شاربك الشهم. كنت أتحدث فقط، وأفهم كل ما تقول. دعهـم يقولون إن كوكب قد قُتلت فى سبيل قاسم رئيس الخدم، الآن قل لى ماذا أفعل!!

رئيس الخدم: دورك الآن كالتالى: تكتبين ورقة وتعطينها للوكيـل فيحملهـا ويسلمها للحاج رجب، وتأخذين منه موعدا ذات ليلة ليحضر إليك: ومـا إن يـأتى ويجلس عليك بمشاغلته. وبعد مرور أربع ساعات من الليل سندخل أنا واثنـان أو ثلاثة إلى المنزل، وسنلقى القبض عليك وعليه، ألن يشترى الحاج رجب كرامته بألف تومان!! فسنأخذ منه دون مشاحنة فى ذات الليلة مائتين أو ثلاثمائة تومـان، ونتركه، وأنت تجلسين مكانك هنا فى أمان.

كوكب: حسن جدا. اتفقنا. لتحضر كى أعلمك بالأمر.

رئيس الخدم: (ينهض ويذهب) فى حفظ الله.

كوكب: مع السلامة يا عزيزى رئيس الخدم. الله معكِ.

(يُسدل الستار)

الفصل السادس: السيد جمال الدين

ارتكزت مساعي جماعة من المجاهدين في سبيل الحرية والمستنيرين المقيمين خارج إيران وتعاليم وجهود السيد جمال الدين الأفغاني حامل لواء الوحدة الإسلامية وزعيم الجبهة الإسلامية الحرة على مكافحة الاستعمار.

ولد هذا الرجل الجليل في حدود عام ١٢٥٤هـ.ق (على كل حال ليس قبل هذا التاريخ أو بعده بكثير)(١). ويعتبره الأفغان وكتاب الدول الإسلامية الأخرى مثل مصر والشام ولبنان أفغانيا وينسبونه إلى السيد على الترمذي عالم الحديث الشهير، ولكن الكثير من الإيرانيين يعتقدون أنه قد ولد في "أسد آباد" الواقعة على مسافة ثمانية فراسخ من مدينة همدان التاريخية.

وجدير بالذكر أن الحكومة الأفغانية طلبت من الحكومة التركية السماح لها بنقل رفات السيد جمال الدين إلى كابل، وعلى الرغم من أن بعض الصحف الإيرانية قد احتجت على هذا الموضوع فإن تركيا وافقت على الأمر ونقلت رفاته إلى كابل في مراسم مهيبة(٢).

---

(١) يؤكد هذا الرأي طلب الانضمام إلى المحفل الماسوني المؤرخ في الثاني والعشرين من ربيع الثاني عام ١٢٩٢هـ.ق وقد ذكر فيه أنه يبلغ من العمر السابعة والثلاثين (مجموعه اسناد چاپ نشده، لوحة رقم ٤٠).

(٢) للبحث عن موضوع مسقط رأسه انظر: الشيخ محمد عبده، مقدمة على رسالة "الرد على الدهريين"؛ جورجي زيدان: مشاهير الشرق؛ أديب اسحق: كتاب الدرر، سليم العنحوري: شرح قصيدة سحر هاروت، ميرزا لطف الله الأسد آبادي: شرح حال وآثار سيد جمال الدين أسد آبادي، برلين ١٢٠٤ش، صفات الله جمالي الأسد آبادي: "اسناد ومدارك دربارهء ايراني الأصل بودن سيد جمال الدين اسد آبادي، طهران، بدون تاريخ؛ ناظم الإسلام: تاريخ بيداري إيرانيان"، تقي زاده: كاوه، العام الثاني، الأعداد ٣، ٩ و"مردان خود ساخته"؛ ميرزا علي خان امين الدولة: "خاطرات سياسي"؛ إدوارد براون: "تاريخ انقلاب إيران"؛ سيد هادي خسرو شاهي: "دفاع از سيد جمال الدين آسد آبادي" طهران، مرداد ١٣٤٣ش؛ محمد قزويني: "يا داشتها" مجلة يادگار، العام الثالث، العدد الرابع، " مجموعهء اسناد ومدارك چاپ نشده دربارهء سيد جمال الدين" طهران ١٣٤٢ش.

ولا توجد لدينا معلومات كافية عن مرحلة طفولته وبداياته الأولى، وتفيد المصادر الإيرانية أنه ذهب فى أول شبابه إلى همدان لقسوة أبيه وانتقل منها إلى تبريز، ودرس لفترة من الوقت فى قزوين وأصفهان ومشهد وتبحر فى العلوم الإسلامية، وفى الثامنة عشر من عمره سافر إلى الهند عن طريق شيراز وبوشهر. أما الروايات العربية فتفيد أن أسرة السيد كانت تمتلك بعض الأراضى فى أفغانستان ثم استولى عليها الأمير دوست محمد خان، فانتقل والد السيد جمال الدين وجمع من أعمامه إلى مدينة كابل. وكان عمره فى ذلك الوقت ثمانى سنوات وقام فى العاشرة بدراسة العلوم الإسلامية كالأدب العربى والتاريخ والتفسير والحديث والفقه وأصول للدين وعلم الكلام والعلوم العقلية كالمنطق والفلسفة. وفى الثامنة عشرة فرغ من دراسته وسافر إلى الهند.

والخلافات حول المرحلة اللاحقة من حياة السيد قليلة. وأشمل ما يتوفر لدينا عن سيرة السيد جمال والذى اقتبس عنه كافة الكتاب الآخرين[1] السيرة التى أوردها الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية – الذى كان أكثر المقربين إليه وأعلمهم بأحواله – فى مقدمة الترجمة العربية لرسالة الرد على الدهريين، ويبدو أنه سمع أغلب هذه الأحداث على لسان السيد نفسه أو عاصرها بنفسه. وبناء على هذه السيرة والمعلومات التى أتيحت لنا من المصادر الأخرى فقد أقام السيد لمدة عام وبضعة شهور فى الهند، وأكمل دراسته ثم سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وقام بالتجوال والإقامة فى بلاد العرب لمدة سنة تقريبا، وأخذ يتقصى عن الأحوال الاجتماعية والسياسية فى العالم العربى إلى أن أدى فريضة الحج عام ١٢٧٣هـ.ق وعاد عام ١٢٧٥ هـ.ق إلى أفغانستان التى كانت فى ذلك الوقت فريسة للفتن الداخلية، وانضم فى كابل إلى رجال الأمير دوست محمد خان.

وعلا شأن السيد جمال الدين أيضا أثناء تولى محمد أعظم خان الإمارة، وكان الأمير يستشيره فى كافة الأمور المهمة. ثم فر محمد أعظم خان إلى إيران

---

(١) تقى زاده، براون، محمود محمود وآخرون

نظرا لاستيلاء "شير على" على قندهار وانتصاره عليه، ثم توفى فى نيسابور بعد عدة شهور. ولم يتعرض شير على خان لأسرة السيد وعشيرته نظرا لاهتمام محمد أعظم خان به، وأعرب عن احترامه له ظاهريا، ولكن السيد كان يعلم أنه يكن له الضغينة، فطلب السماح له بالسفر للحج، فوافق الأمير على طلبه شريطة ألا يمر بإيران نظرا لأن الأمير محمد أعظم خان كان لا يزال يعيش فى نيسابور فى ذلك الوقت، وكان شير على خان يخشى لقاء السيد به. فسافر السيد فى الشهور الأخيرة من عام ١٢٨٥هـ.ق إلى الحج عن طريق الهند بعد هزيمة محمد أعظم خان بثلاثة شهور[١].

واستقبل فى الهند استقبالا حافلا ولكنه لم يحصل على تصريح بالإقامة لفترة طويلة، ولم يسمح للعلماء الهنود بملاقاته فى عدم حضور رجال الدولة. ولم يبق السيد فى الهند أكثر من شهر وذهب إلى إسطنبول عن طريق السويس وظل فى إسطنبول حتى شوال ١٢٨٦هـ.ق على أقل تقدير، وذهب إلى مصر خلال شهر من الشهرين الأخيرين من ذلك العام، وظل بها لفترة وجيزة، وفى تلك الفترة تردد على الجامع الأزهر، وأخذ يلتقى ويتباحث مع علماء مصر وطلاب العلم الذين كان أكثرهم من السوريين[٢]، إلى أن عاد مرة أخرى إلى إسطنبول، فاستقبل باحترام من قبل الصدر الأعظم العثمانى أمين عالى باشا، والسياسى العثمانى فؤاد باشا.

---

(١) وفقا لـ "إسناد جديد" غادر قندهار فى ٢٥ شعبان وظل فى بومباى حتى ١٤ محرم ١٢٨٦هـ.ق.

(٢) خلال رحلته الأولى هذه إلى مصر التقى الشيخ محمد عبده به وأفاد منه. ويقول بنفسه جاء السيد جمال الدين فى أواخر عام ١٢٨٦، ورافقته منذ مطلع محرم عام ١٢٨٧. وأول من أخبرنا بقدومه كان أحد المجاورين فى "رواق الشوام" حيث قال لقد جاء مصر عالم أفغانى عظيم، وأقام فى خان الخليلى، فذهبت لزيارته، وتلقيت عنه بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية، ودعوت الآخرين للاستفادة منه، ولكن مشايخ الأزهر قالوا بعض الأقاويل المناهضة له، وظنوا أن هذه العلوم تضل الإنسان. ولما عدت إلى مدينتى تحدثت عن هذا الموضوع مع الشيخ درويش فقال: إن الجاهل أكبر عدو للعالم، والسفيه أكبر عدو للحكيم، وكل من زاد علمه صار أقرب إلى الله. فلا يوجد علم مكروه عند الله، ولا يوجد جهل محبوب عنده، عدا ما يظن أنه علم وهو فى الحقيقة ليس علما مثل السحر والشعوذة ما شابه ذلك.

كان السيد فى تلك الفترة يرتدى وفقا لتقليد الأفغان قباءً على صدره. وعباءة على كتفه وعمامة عجراء على رأسه[1]، ولم يكن على علم بتقاليد الشعب التركى وعاداته ولغته. وبالرغم من ذلك فتن الأمراء والوزراء العثمانيون بفضله وعلمه، وأخذت شهرته تزداد يوما بعد يوم. وانتخب بعد ستة شهور من إقامته عضوا فى مجلس المعارف الأعلى، وفتح الطريق فى هذا المجلس لتقدم المعارف ونشرها، ولكن الآخرين عزفوا عن هذا الطريق، ونظرا لبعض آراء السيد اعتملت الكراهية فى قلب شيخ الإسلام حسن فهمى أفندى الذى كان له نفوذ كبير فى الدولة العثمانية وكانت اقتراحات السيد تهدد مصالحه المالية. وفى رمضان من عام ١٢٨٧ طلب تحسين أفندى مدير دار الفنون من السيد أن يلقى كلمة عن الصناعات والحرف فى دار الفنون، وبالرغم من أنه اعتذر فى البداية لعدم تمكنه من اللغة التركية إلا أنه أعد خطبة مطولة نتيجة إصرار تحسين أفندى. وشبه فى هذا الخطاب الحياة الإنسانية بجسم الإنسان وجعل وظيفة كل فئة من فئات المجتمع المختلفة كوظيفة عضو من أعضاء جسم الإنسان وقال إن جسم الإنسان يحيا بالروح، وروح الكيان الاجتماعى إما النبوة أو الحكمة، والفرق بين النبوة والحكمة أن الأولى هبة سماوية يهبها الله لكل عبد اختصه من عباده، أما الحكمة فيمكن إدراكها بالتفكير وتأمل المعلومات لذا فالأنبياء معصومون من الخطأ ولكن العلماء ليس من المحتمل فقط أن يقعوا فى الخطأ ولكنهم يقعون فيه بالفعل.

الخلاصة هذا هو ما قاله السيد عن النبوة، ولكن فهمى أفندى فسَّر ذلك الكلام الحق الذى يتفق عليه كافة علماء الشريعة الإسلامية على أنه باطل بغرض إيذاء السيد، وأشاع بتلك الذريعة أن الخطيب ربما كان يقصد أن النبوة إحدى المهن

---

(١) يقول ويلفريد بلنت السياسى والكاتب البريطانى الشهير الذى استقبل السيد فى منزله فى غرة ذى القعدة ١٣٠٠ هـ.ق "عندما كان فى لندن منذ عدة شهور كان لا يزال يرتدى زى الشيوخ ولكنه الآن يرتدى زى أهالى إسطنبول ويبدو عليه طيبا".

والحرف أى أنها من صنيعة البشر، وحث الوعاظ على توصيل هذا المفهوم للناس والخوض فيه. وهب السيد جمال الدين مدافعا وأدان شيخ الإسلام.

وانقسمت الصحف والمطبوعات فريقين، فريقًا يناصر السيد وفريقًا يؤيد شيخ الإسلام. ولم يستمع السيد لنصح أصحابه وأبدى تشدده وتأججت الفتنة إلى أن قرر السلطان عبد العزيز أن يغادر السيد إسطنبول لعدة شهور لتهدأ الأمور ثم يعود إليها بعد ذلك وقتما يريد. فغادر السيد إسطنبول مهزوما مظلوما ووصل إلى مصر فى المتمم لشهر ذى الحجة ١٢٨٧ هـ.ق الذى واكب عيد النيروز عام ١٢٥٠ش.

وكان أهالى مصر بعيدين كل البعد عن العلم والمعرفة يوم وطأ السيد جمال الدين أرض مصر، حقا إن عددا كبيرا قد سافر إلى أوروبا فى عهد محمد على باشا الكبير وإبراهيم باشا، وعادوا إلى وطنهم بعد أن تلقوا العلم بها، ولكن السياسة الخارجية لم تكن تسمح أن يجنى أحد ثمار هذه البعثات أو تستفيد الدولة من هذه العلوم والمعارف.

قام إسماعيل باشا الذى صار خديو مصر عام ١٢٨٠ هـ.ق بإجراء إصلاحات، وفى السنوات الأولى من عهده شُقت الترع ومُدت السكة الحديد وخطوط التلغراف، وشُيد ميناء الدلتا الشهير فى وادى النيل وحُفرت قناة السويس واتخذت خطوات مفيدة فى مجال العلوم والمعارف. وفى عام ١٢٨٣هـ.ق أسس فى مصر المجلس النيابى، ولكن لم يكن للشعب ولا لأعضاء المجلس نفسه الحق فى التدخل أو القدرة على إبداء الرأى فى شئون المملكة. ومن جانب آخر اضطر الخديو إلى مد يده للأجانب نتيجة إسرافه فى العطاء ولسوء تصرفه فى الشئون الاقتصادية بالدولة، وباع أسهم قناة السويس للإنجليز فى مقابل مبلغ زهيد، واستقدم إلى مصر مستشارين من بريطانيا لإصلاح الشئون الاقتصادية المتردية، وأرسل الفرنسيون أيضا وفدا إلى مصر نظرا لأنهم كانوا يشعرون بالخطر على مصالحهم

منذ سنوات طويلة. ولكنهم تحالفوا مع البريطانيين لعجزهم عن تحقيق مصالحهم في مقابل السياسيين البريطانيين، وهُيئ المناخ لتحقيق أهداف الاستعمار الأوروبي.

وخلال تلك الأوضاع وفي ذلك الوقت الذي أصيبت فيه شئون الدولة بالشلل كلية وضاق الناس ذرعا بالفقر والفاقة، قدم إلى تلك الديار رجل شجاع وخطيب يدعى السيد جمال الدين الذي كان مطلعا على الشئون الدينية والاجتماعية.

ولم يكن يعتزم الإقامة في مصر ولكن الوزير رياض باشا المعجب بعلمه شجعه على الإقامة في مصر، وحددت له الحكومة المصرية راتبا شهريا قيمته ألف قرش مصري (عشرة جنيهات) ومنذ بداية وصول السيد إلى الأراضي المصرية بدأ نشاطه السياسي والعلمي الواسع، ونشر أفكاره التي كانت تخالف الآراء الشائعة بين الناس، والتف حوله طلاب العلم أملا في تلقي العلم، ففتح بيته (في حارة اليهود) للدروس العلمية[١] وعكف على تأهيلهم فكريا وسياسيا. كان السيد يتحدث صراحة بلامواربة، ولم يسأم في دروسه واجتماعاته بالناس الحديث فيما يلفت الفكر إلى النظر في الشئون العامة ومصالح الدولة ويزيل عن أعينهم أستار الغفلة. وأخذت أحاديثه تنتشر تدريجيا وعلى مهل في أنحاء مصر إلى أن نشبت الحرب الروسية التركية عام ١٢٩٤هـ.ق[٢].

---

(١) ورد في بعض المصادر ومن بينها كتابات تقي زاده (في صحيفة كاوه، ومردان خودساخته) أن السيد كان يدرس بعد ذلك العلوم الإسلامية المختلفة والفقه الحنفي وسائر المذاهب الأربعة في الأزهر، وهذا خطأ. فيقول الشيخ محمد عبده أقرب المقربين له في سيرة السيد (مقدمة الترجمة العربية لرسالة الرد على الدهريين) إنه لم يدرس في الجامع الأزهر ليوم واحد، بل كان يذهب أحيانا وفي أغلب أيام الجمعة فقط لزيارته. ويقول سليم العنحوري أيضا في شرح ديوان "سحر هاروت" ضمن الحديث عن سيرة السيد إنه اعتاد قضاء النهار في البيت والذهاب في الليل متكئا على عصاه إلى مكان في الأزبكية يسمى "مقهى البوسطة"، وكان يلتف حوله في نصف دائرة جماعة منهم عالم اللغة والشاعر وعالم المنطق والطبيب والمؤرخ وعلماء الكيمياء والجغرافيا، وكان يجلس في وسطهم ويطرحون مسائل دقيقة فيشرحها لهم السيد باللغة العربية واحدة تلو الأخرى، وكان يغادر المقهى قرب الصبح ويعود إلى بيته.

(٢) ٢٤ أبريل ١٨٧٧ م.

وجد الناس في أنفسهم لذة في الاطلاع على ما يكون من شأن الدولة العثمانية صاحبة السيادة عليهم في الحرب مع روسيا. وأتاح تردد الأجانب على مصر واختلاط الأهالي بهم ووصول الصحف والمجلات الأوروبية إلى الدولة المجال للوقوف على العلوم الجديدة. وسرى هذا الشعور إلى بعض الجرائد العربية التي ظلت إلى هذا العهد مقصورة على ما لا يهم، كما ظهرت صحف جديدة ذات اهتمامات خاصة. (١)

وحدث بين العامة وفي الجرائد نوع من الجدال لم يكن معروفا من قبل، وصارت الصحف المصرية تنشر الأحداث وتعلق عليها بحرية، ولم يكن ما ينشر في الجرائد محصورا في حوادث الحرب، بل اجترأ الكثير منها على نشر ما عليه سائر الأمم في سيرتها السياسية والاجتماعية، وزادوا على ذلك نشر ما كان قد بدأ في الحكومة المصرية من سوء الأحوال المالية إلى حد لا يمكن منعه. الخلاصة قضى سلطان الوقت على سلطان "الإرادة القاهرة"....! وفي نفس الوقت أخذ السيد جمال الدين في حمل من يحضر مجلسه من أهل العلم وأرباب الأقلام على التحرير وإنشاء الفصول الأدبية والعلمية في موضوعات مختلفة. كما أنه ارتقى بالتأليف والترجمة خلال فترة إقامته بمصر التي دامت لعشر سنوات وأسس أسلوبا جديدا في الكتابة باللغة العربية، وقام على رعاية طلاب نابهين مثل الشيخ ذائع الصيت محمد عبده مفتي الديار المصرية، وخلق جيلاً جديدا من الكتاب والأدباء.

وعلى هذا النحو عرف السيد الشعب بالطريق إلى حياة جديدة ونثر بذور الثورة الفكرية والاجتماعية في الأرض المصرية، وروى هذه البذور بإرشاده، ودعم أصحاب الصحف وتلاميذه، وخلق من هذا الحزب الأدبي حزبا سياسيا عظيما.

---

(١) من الصحف المهمة في ذلك الوقت نذكر جريدة مصر، جريدة التجارة، جريدة مرآة الشرق، الأهرام وصوت مصر.

رافق السيد المطالبين بالحرية يوم مطالبتهم بعزل إسماعيل باشـا، وتوجـه لفيف من المصريين يرافقهم السيد جمال الدين إلى السيد تريكو منـدوب الحكومـة الفرنسية ومراسل صحيفة التايمز وطالبوا بتأسيس حزب وطني كبير فـي مـصر وطالبوا بإجراء إصلاحات وأعربوا أن هذه الإصلاحات لن تتحقق إلا على يد ولي العهد توفيق باشا. ونقلت الصحف هذا الموضوع وشاع في القاهرة وسائر المـدن، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يدور فيها الحديث عن "الحزب الوطني الحـر"، إلى أن يرسل السلطان العثماني قرارا بعزل إسماعيل باشا تلغرافيا، خـلال الأيـام الأولى من رجب ١٢٩٦ هـ.ق، وأدرك الخديو أن المقاومة لن تفيد فاستقال وخلـف توفيق باشا والده.

كان الخديو الجديد شابا عفيفا وعطوفا عزوفا عن الإسراف والتبذير، وعقـد أهالي مصر آمالهم على إصلاحاته حيث إنهم كانوا قد رصدوا في ظل إرشاد السيد جمال الدين وتعاليم الحزب الوطني مؤامرات وفتن الدول الأجنبيـة. وفـي اليـوم الثاني من حكمه أصدر أمرا لشريف باشا بتشكيل الوزارة وأبلغه برغبته في تنفيـذ المطالب الشعبية وإصلاح الشئون المالية والاقتصادية وتنظـيم الـشئون الإداريـة والقضائية. وفي يوم الخامس من حكمه (١٤ رجب) أمر بتأسيس المجلس النيـابي، وسن الدستور. ولكن مندوبي فرنسا وإنجلترا أسسا في الإسكندرية حزبـا يـسمى "مصر الفتاة" حيث كانا يدركان أن هذه الإصلاحات ستعود عليهما بالـضرر ولـم يكن في استطاعتهما معارضة تلك الإصلاحات. وكان أكثر أعضاء هذا الحزب من الشباب اليهود بل لم يكن بينهم مصري خالص بالفعل. وتحدثوا عن الإصـلاحات في اللائحة التي أرسلوها للخديو والمقالات التي كتبوها في صـحيفتهم وتظـاهروا بالدفاع عن الحرية والقانون. ولكن بصرف النظر عما إذا كان هذا الأمر حقيقيا أم غير حقيقي فإن المسلم به أن المندوبين السياسيين الأجانب حـين أدركـوا هـدف الخديو ورغبته في الإصلاح وتأثره بالمشاعر الوطنية افتعلوا الكثير من المـشاكل والعراقيل وأظهروا على خلاف الواقع أن الإصرار على إجراء تعـديلات جديـدة

سيضر بالدولة فى تلك الظروف التى تعانى فيها من تدهور الشئون الاقتصادية. وتأثر الخديو الشاب غير المحنك بتلك الوساوس والادعاءات لدرجة أنه عدل عن التفكير فى الإصلاحات والوعود التى قطعها على نفسه أمام الناس، وفى مساء المتمم لشهر شعبان استدعى الوزراء وأجبر شريف باشا على الاستقالة لإصراره التصديق على لائحة الإصلاحات، وشكل حكومة جديدة تحت إشرافه.

كان قد اتفق على إخفاء سبب استقالة الوزارة، ولكن تم الكشف عن الحقيقة ووقع جدل واسع مما جعل مندوبى الدول الأجنبية ذوى النفوذ يعتقدون أن السيد جمال الدين هو محرك الشعب للمناداة بالحرية وسن القوانين الجديدة، وأوغل الجنرال فيويان القنصل البريطانى صدر الخديو تجاهه، فألقى القبض على السيد وأحد طلابه وخادمه أبى تراب بينما كان عائدا إلى بيته آخر الليل فى السادس من رمضان ١٢٩٦هـ.ق وحمل إلى قسم الشرطة ووضع خالى الوفاض فى عربة مغلقة دون السماح له بحمل ملابسه وحُمل إلى السكة الحديد[1] وأرسل إلى السويس تحت رقابة مشددة.

ذهب السيد جمال الدين إلى الهند وأقام فى حيدر آباد بالدكن وهناك ألف "رسالهء نيجيريه: رسالة الرد على الدهريين" بالفارسية فى رد معتقدات الطبيعيين[2]. استدعت حكومة الهند السيد من الدكن إلى كلكتا قبيل حملة إنجلترا على مصر، وأبقت عليه طوال فترة الثورة، لحين تسوية موضوع مصر، ثم أطلق سراحه ليذهب أينما شاء. فتوجه السيد إلى أوروبا عن طريق البحر الأحمر ولما

---

(١) كتب أديب إسحق فى "كتاب الدرر" أنه بينما كان سيركب السفينة لم يكن فى جيبه قرش، فلما أدرك القنصل الإيرانى وعدد من التجار الإيرانيين هذا الأمر عرضوا على السيد مبلغا كبيرا من المال باعتباره قرضا أو هدية، ولكنه لم يأخذ منه شيئا وقال احتفظوا بأموالكم، لأنكم ستحتاجونها أكثر منى. فالأسد سيبحث عن قوته أينما ذهب.

(٢) طبع هذا الكتاب فى محرم عام ١٢٩٨ هـ.ق فى بومباى، ثم نشرت ترجمته الهندية فى كلكتا وترجمته العربية مصر بقلم الشيخ محمد عبده تحت عنوان (الرد على الدهريين) مع مقدمة عن سيرة السيد جمال الدين وقد طبع النص الفارسى فى طهران عام ١٣٠٣ ش وطبع مرة أخرى فى تبريز عام ١٣٢٧.

وصل إلى بورسعيد كتب خطابات إلى رياض باشا وبعض مشاهير مصر، وحدثهم تفصيلا عن حقيقة الحزب الوطنى وأسباب ما أصابه من فساد وتحريض عثمان باشا للخديو بقوله إن هذا المحفل الذى يرأسه يهدف إلى هدم الدين والدنيا معا، وأخبرهم كذلك بقرار الخديو المتسرع بإبعاده عن مصر، وسعى لإبراء ساحته[1] وبعث من طرفه أبا تراب عارف إلى رياض باشا ليحمل أمواله وكتبه التى كانت فى مصر وسائر مستحقاته الشهرية، كما أرسل رسالة فى ٢٣ سبتمبر ١٨٨٢م (العشر الأوائل من ذى القعدة ١٢٩٩هـ.ق) إلى الشيخ محمد عبده وأخبره أنه سيسافر إلى لندن وطلب منه إرسال الرد على الخطاب إلى إدارة "جريدة الشرق والغرب" أو إلى السيد بلنت في لندن.

وفى تلك الفترة كان عبده مبعدا عن وطنه بسبب المشاركة فى ثورة الشعب المصرى وكان يعيش فى سوريا. ولا نعلم شيئا عن المراسلات التى تبادلها الأستاذ وتلميذه بعد وصول السيد جمال الدين إلى لندن إلا أن السيد ذهب إلى باريس بعد إقامته لفترة وجيزة فى لندن، كما توجه الشيخ محمد عبده من منفاه سوريا إلى باريس، وأسس كلاهما جمعية تسمى "العروة الوثقى" وصحيفة بنفس الاسم.

وفى نفس الفترة كان الإنجليز منشغلين بثورة محمد أحمد المهدى فى السودان. وكان السيد وخلفه عبده على علاقة بالمهدى، وكانا السبب وراء علو شأنه عند الإنجليز، وعملا على توصيل أخبار مصر والسودان إلى بريطانيا إلى الحد الذى أقنعا فيه الحكومة البريطانية بالجلاء عن السودان وتوقيع اتفاقية مع محمد أحمد. [2]

كان مدير العروة الوثقى للشئون السياسية السيد جمال الدين ومحررها الشيخ محمد عبده أى أن السيد كان يُملى كافة الموضوعات ويحررها عبده بقلمه.

---

(١) مجموعة اسناد ومدارك چاپ نشده دربارۀ سيد جمال الدين: طهران، ١٣٤٢ ش، لوحة رقم ٣٢- ٣٨.

(٢) لم توقع هذه الاتفاقية بسبب موت المهدى.

ولكن كما ذكرنا كان السيد قد عُرف لدى السياسيين البريطانين فى أواخر عهد إسماعيل باشا بسبب نشاطه، وأجبر قنصلهم الخديو الجديد على طرد السيد من مصر رغم إيمانه التام به. وكما شاهدنا أن الحكومة الهندية كانت قد تحفظت عليه أثناء ثورة عرابى باشا فى كلكتا لم تسمح بوصول أخبار الحرب إليه. ونظرا لأن الإنجليز كانوا يحسبون حسابا لموضوعات العروة الوثقى فقد حاولوا فى البداية الحيلولة دون إصدارها، ولكن لما صدرت أوصدوا أمامها أبواب الهند ومصر، ومنعوا الناس من قراءتها، واختلقوا الأسباب والعراقيل كى لا يصدر منها أكثر من ثمانية عشر عددا.[١]

تعلم السيد أثناء إقامته فى باريس شيئا من الفرنسية، ونشر مقالات عن سياسة الشرق، واقتبست الصحف الإنجليزية موضوعاتها ونقلتها. وحظت المقالة التى كتبها فى "صحيفة دودبا"[٢] فى الرد على خطاب العالم الفرنسى رينان بأهمية وشهرة واسعة. [٣]

بعد إغلاق العروة الوثقى ظل السيد فى باريس لعدة شهور. وفى ٢٥ شعبان ١٣٠٢ هـ.ق استقال جلادستون من الوزارة البريطانية، وعين راندلف تشرشل وزيرا للهند. ودعى ويلفريد بلنت السيد فى تلك الفترة إلى لندن ليتباحث مع تشرشل عن الوحدة بين العالم الإسلامى وإنجلترا، فوصل إلى لندن فى ١٠ شوال

---

(١) منذ ١٥ جمادى الأولى حتى ٢٦ ذى الحجة ١٣٥١ هـ.ق.

(٢) Journal de Débats.

(٣) ألقى أرنست رينان محاضرة فى قاعة جامعة السربون بباريس فى ٢٩ مارس ١٨٨٣، وقال خلالها إن الدين الإسلامى يتعارض مع العلم. ونشر نص محاضرته فى صحيفة "دودبا" بتاريخ ٣٠ مارس، وممن ردوا عليها العالم الثورى التركى كمال نامق، وإمام مسجد لينينجراد بايزيداوف، والأستاذ ماسينيون الفرنسى. كما كتب السيد جمال الدين أيضا رسالة باللغة العربية لمدير الصحيفة ولكن هذه الرسالة لم تطبع حتى الثامن عشر من شهر مايو من ذلك العام، ثم نشرت فى ذلك التاريخ محرفة فى الغالب حيث لم تكن ترجمة رسالته صحيحة. على كل حال رد رينان فى العدد الصادر فى التاسع عشر من مايو لتلك الصحيفة على الرسالة وكتب أنه يتفق مع السيد فى بعض النقاط التى وردت فى رسالته.

ونزل بمنزل بلنت، وظل ضيفا عليه أكثر من ثلاثة شهور، وتباحث فى منزله مع تشرشل والسير دراموندولف[1] الذى صار بعد عدة سنوات وزير إنجلترا المفوض فى إيران واللورد سالسبورى[2] رئيس وزراء إنجلترا.[3] وعاد إلى باريس فى بداية عام ١٣٠٣ هـ.ق وعاش بها حتى مطلع جمادى الأولى.

وتعود شهرة السيد جمال الدين الكبيرة فى المجال السياسى إلى تلك الفترة التى أمضاها فى باريس، لأنها كانت بالنسبة له فرصة مناسبة لبذل مساعيه فى سبيل الوحدة الإسلامية، ولفت إليه أنظار محافل الدول الأوروبية المهمة عن طريق تأسيس محفل من رفاقه وأتباعه ونشر المقالات فى العروة الوثقى وصحف باريس وعقد مناظرات مع العلماء والسياسيين.

ومن باريس انطلق إلى الشرق وسافر إلى نجد وفى السادس عشر من شعبان ١٣٠٣ هـ.ق وصل إلى بوشهر ونزل فى منزل العقيد الحاج أحمد خان المسقطى، وبقى فى بوشهر قرابة ثلاثة شهور. والتقى فى تلك الفترة بميرزا نصر الله الأصفهانى (ملك المتكلمين) وميرزا آقا فرصة الدولة الشيرازى حيث كانا فى بوشهر آنذاك، وفى شهر ذى القعدة وصلت برقية إلى طهران تفيد وصوله، وكان محمد حسن خان اعتماد السلطنة يتولى إدارة تحرير الصحف والتقويم، فرأى أنه سيستفيد من السيد جمال الدين فى إدارته، ودعاه إلى طهران باسم الشاه، فتوجه من

---

(١) السير هنرى درامندولف Sir Henry Drumond Wolff هو ابن الدكتور ولف الذى كان قد سافر إلى إيران فى بداية العصرر القاجارى للسياحة وبعض المهام السياسية.

(٢) اللورد روبارت سيسيل سالسبورى (١٨٣٠- ١٩٠٣م) Lord Robert Cicil Salsbury

(٣) عُين دراموندولف فى منصب المندوب البريطانى فى مصر، وكان مكلفا بالذهاب إلى إسطنبول قبيل توجهه إلى مصر والتباحث مع السلطان العثمانى بخصوص مصر، ووعد السلطان بجلاء القوات البريطانية عن مصر خلال مباحثاته، وتهيئة المجال لعقد اتحاد بين الدول الإسلامية تركيا وإيران وأفغانستان للتصدى للنفوذ الروسى. وتمسك ولف باصطحاب السيد جمال الدين معه إلى إسطنبول بسبب تأثيره على رجال البلاط العثمانى الذين كانوا يؤيدون الوحدة الإسلامية ورأى أن وجوده سيعود بالفائدة، ولكنه عدل عن اصطحابه فى اللحظة الأخيرة وسافر بمفرده.

طهران إلى شيراز، وفى صفر ١٣٠٤ هـ.ق وصل إلى أصفهان وأحسن الأمير ظل السلطان حاكم أصفهان وفادته. وفى ٢٢ ربيع الأول من ذلك العام وصل إلى طهران وأقام فى منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب، والتقى عدة مرات بناصر الدين شاه، ولم يسر الشاه بلقائه نظرا لأنه تحدث دون مواربة عن تدهور الأوضاع بإيران وضرورة إجراء تنظيمات وإصلاحات فلم يطلبه أو يقابله ثانية. ولكن السيد كان أكثر بصيرة بالفساد و أكثر إدراكا لأوضاع الرعية فأخذ يتحدث عن أهمية القانون ومعرفة الحقوق وحرية الفكر والتعبير وصيانة النفس والمال. واعتبر معارضوه أن الأمر يفوق الاحتمال وأخبروا الشاه فى السر والعلانية بما يقوله السيد للناس. وجعله الأسى أكثر إصرارا. فتفتحت عيون وآذان الموتى الغافلين والمحبطين البائسين، وتصاعد الدخان من الرماد. وسرد ولى العهد القصة فى مجلس الشاه مع إضافة بعض التفاصيل بالرغم من أن السيد كان ضيفا على الحاج أمين الضرب وفى حماية أمين السلطان، واضطر أمين السلطان إلى تكليف أمين الضرب بطرده من إيران وإرساله إلى روسيا عن طريق شمال إيران، وأُخرج السيد من ناحية مازندران حزينا بائسا.

غادر السيد جمال الدين طهران إلى محمود آباد فى التاسع من شعبان، وتوجه منها إلى روسيا. ونزل ضيفا على محمد على خان الكاشى فى ولاديففقاز. وظل بها حتى وصل أمين الضرب من طهران، وذهب برفقته إلى موسكو فى شهر رمضان وأقاما لمدة أسبوعين فى منزل ميرزا نعمة الله الأصفهانى (الذى صار قنصل إيران فى تلك المدينة فيما بعد). ثم ذهب أمين الضرب إلى باريس وظل السيد فى موسكو لفترة من الوقت والتقى بمدير صحيفة (مسكوى) كاتكوف، ونشر سيرته فى صحف موسكو وبطرسبورج، ويبدو أنه اتخذ بعض الخطوات فى سبيل عقد تحالف بين روسيا والدول الإسلامية ضد إنجلترا وحث الروس للهجوم على الهند وفى ذى القعدة ١٣٠٤ هـ.ق توفى كاتكوف ومضى السيد فى ٢٥ من نفس الشهر إلى بطرسبورج وظل بها حوالى سنتين، وتعرف

على بعض رجال السياسة الروس (من بينهم باباڤانوف وزيـــر الـــشئون الدينيـــة ومخزن أسرار القيصر) وحظي باحترام القيصر وأقنع رجال القيصر بحسن معاملة المسلمين وطبع المصحف الشريف وبعض الكتب الدينية.

وعندما ذهب ناصر الدين شاه إلى بطرسبورج خلال رحلته الثانية لأوروبـا كان السيد فى تلك المدينة، وأبدى رغبته فى لقاء السيد، ولكنـــه لـــم يقابلـــه. وأراد السيد بعد ذلك "القيام بجولات من الغرب للشرق ومن الشرق للغـــرب لفتـــرة مـــن الوقت، ولكن بعض رجال الحكومة الروسية طلبوا منه أن ينتظر لفتـــرة إلـــى أن تتضح نتائج رحلة الشاه إلى لندن".[1] فظل لفترة أخرى فى تلك المدينة، ثم ســـافر إلى ألمانيا، والتقى يوم ٢١ أو ٢٢ ذى الحجة ١٣٠٦ هـ.ق فـــى ميـــونخ عاصـــمة بافاريا مع الشاه وأمين السلطان، ودعاه الشاه إلى إيران اعتذارا عما مضى. ورافق السيد موكبه حتى فيينا عاصمة النمسا ثم عاد ثانية إلى بطرسبورج لإنجاز بعـــض الأمور مع الروس لصالح أمين السلطان. والتقى بالمسئولين الروس وتباحث معهم، وبعد عامين من الإقامة فى بطرسبورج توجه برغبته إلى إيـــران ووصـــل يـــوم السادس من ربيع الثانى عام ١٣٠٧ هـ.ق إلى دار السكة أى بعد فترة وجيزة مـــن (عودة الشاه من أوروبا)، وفى اليوم السابع ذهب إلى طهران ونزل ثانية فى منزل الحاج محمد حسن أمين الضرب، واستقبل فى مجلس الشاه بعد شهر (يوم الثلاثـــاء ١٥ جمادى الأولى).

وفى طهران أخذ كل مظلوم محبط يلجأ إلى السيد، وأخذ السيد يحـــدث كـــل ناضج وساذج عن فساد الأوضاع وتدهورها وسوء تدبير الوزير وغفلة الشاه دون مواربة، حتى ذهب سيرا على الأقدام إلى مسجد الشاه عبد العظيم وهناك راجـــت تجارته والتف الناس حوله، واعتكف بمسجد الشاه عبد العظيم لمدة ســـبعة شـــهور واعتصم به، "وأخذ ينثر فى هذه الأرض القاحلة بذور الثورة" وفى شـــهر جمـــادى

---

(١) مجموعـــة إسناد ومدارك چـــاپ نشده، لوحة رقم ١٨٦.

الأولى من عام ١٣٠٨ أُخرج فجأة من المسجد وتعالت الصيحات بأن "هذا الرجل ليس من السادة بل إنه متسيب، كما أن إسلامه غير مؤكد أو حقيقي... وألحقوا به الأذى في السوق وقيدوه عاريا مكشوف العورة إلى جواد وكُلف عدد من الفرسان بحمله على هذا النحو إلى خانقين والحدود التركية في الشتاء القارص".(١)

وفي ختام رسالة السيد جمال الدين التي كتبها إلى الحاج محمد حسن أمين الضرب من كرمنشاه في ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٠٨ هـ.ق ذكر عقب سرد القصة المحزنة لإبعاده عن طهران وسوء تصرف المسئولين معه عبارات تعبر عن الرغبة في الانتقام والتصميم أكثر من ذي قبل على مواصلة المسيرة لتحقيق أهدافه: "... كتبت كل هذا كي تعلم أن كل هذه المصائب حلت بجسدي، ولكن كانت روحي تشعر بالسرور في كل هذه الأحوال ولا تزال وستظل، وسوف يدرك بعض الإيرانيين بلا شك مدى صمودي من أجل إصلاح أوضاعهم المادية والمعنوية. فما كنت أقوله لم يكن لتمضية الوقت والتسلية، أرجو الله تعالى أن يجعل هذه الحادثة المهيبة سببا من أسباب نصري وأن يبلغني هدفي السامي وأن يُسعد القلوب العامرة بالإيمان. آمين... أتمنى ألا يصيب عزيمتكم الوهن أو قوة إيمانكم النقصان، ولكن عليكم بعد هذه الحادثة المهيبة أن تنتظروا على الدوام مشاهدة عجائب القدرة الإلهية في أعداء الدين والدولة وأن تتمسكوا بإيمانكم أكثر وأن ترقبوا العدل الإلهي بعين اليقين".(٢)

على كل حال حمل السيد إلى بغداد ومنها إلى البصرة، والتقى فيها بالسيد على أكبر فال اسيري الشيرازي الذي كان قد انتقد الحكومة على المنبر وأُبعد من شيراز، وكتب رسالته العربية الشهيرة للحاج ميرزا حسن المجتهد الشيرازي المقيم في سامراء، وحثه على التدخل في الشئون السياسية والثورة ضد النفوذ الأجنبي

---

(١) خاطرات سياسي ميرزا على خان أمين الدولة، ص ١٥٠.
(٢) مجموعة اسناد ومدارك چاپ نشده، لوحة رقم ص ١٨٩، ١٩١.

واحتكار التبغ. ولكن نظرا لوصول تقرير إلى الحكومة الإيرانية يفيد بـأن الـسيد يخطب فى البصرة ويوزع رسائل معادية للشاه؛ كلفت طهران سفير إيـران فـى البلاط العثمانى أسد الله خان ديبا ناظم الدولة بأن يطلب من حكومة السلطان إبعاده عن البصرة.

ولكن السيد توجه إلى أوروبا قبيل وصول حكم إبعاده من البلاط العثمـانى، ذهب بداية إلى برلين عاصمة ألمانيا، وألقى كلمات فى مجلس بيسمارك، ونظـرا لعدم الاكتراث بكلماته[1] ذهب إلى لندن للمرة الثالثة وهناك التقى فكريا مع ملكـم وطبع فى مطبعة "القانون" الرسالة التى كان قد أرسلها من البصرة للحـاج ميـرزا حسن المجتهد الشيرازى ونشرها.

وأخذ يتحدث بكل صراحة فى محافل لندن عن أوضاع إيـران المتـدهورة وسوء إدارة ناصر الدين شاه والخراب الذى حل بإيران فى عهـده، وأخـذ يحـث الإنجليز على خلعه، وظل يكتب فى هذا الموضوع مقالات فى الصحف الإنجليزية، إلى أن افتتح بنفسه فى شهر رجب ١٣٠٩ هـ.ق مجلة شـهرية بـاللغتين العربيـة والإنجليزية باسم "ضياء الخافقين" وخصص مقالة فى كل عدد من النسختين عـن إيران بتوقيع "السيد الحسينى"، وهاجم الشاه والحكومة. ومن ذلك كتب فـى العـدد الثانى بتاريخ الفاتح من مارس ١٨٩٢م (شعبان ١٣٠٩ هـ.ق) مقالة خاطـب فيهـا علماء الشيعة وطالب بخلع ناصر الدين شاه من السلطة. [2]

وقد وضعت الحكومة البريطانية عراقيل كثيرة أمام طبع هذه الصحيفة إلـى أن توقفت. [3]

---

(١) الرسالة المؤرخة بالثالث من جمادى الآخرة ١٣٠٩ هـ.ق الموجهة من آقا محمد الأصـفهانى من باريس إلى الحاج محمد حسن أمين الضرب (مجموعـة اسناد ومدارك چـاب نـشده، لوحة رقم ١١٤).

(٢) لقد نقل محمد رشيد رضا متن المقالتين فى المجلد الأول من تاريخ الشيخ محمد عبده.

(٣) يقول عبده إن سفير إيران فى لندن طلب منه الامتناع عن الكتابة والحـديث ضـد الـشاه، وعرض عليه مبلغا كبيرا من المال؛ ولكنه رفض وقال: "لا أرضى إلا بأن يقتل الشاه ويبقـر=

وفى تلك الفترة وجه السلطان عبد الحميد دعوة للسيد على يد سفيره رستم باشا للذهاب إلى إسطنبول. ورفض فى البداية، ولكن أرسل إليه بعض الأشخاص رسائل ومنهم الشيخ أبى الهدى أفندى قاضى قضاة إسطنبول وأقنعوه بالذهاب إلى إسطنبول، وفى أواخر عام ١٣٠٩ هـ.ق ذهب إلى تلك المدينة.

وبعد قدوم السيد جمال الدين إلى الأراضى التركية، خصص له السلطان بناية فى حى "نشان طاش" بالقرب من قصر ييلديز أملا فى الاستفادة من نشاطه ونفوذه فى الدول الإسلامية، وحدد له راتبا خمسة وسبعين ليرة وشمله برعايته.

وبعد فترة أرسل سفير إيران ناظم الدولة رسالة إلى السلطان العثمانى مفادها إنك جلبته مما يتعارض مع مصالح إيران كما يعتقد الشاه ورد السلطان: "إن رأيى فى السيد جمال الدين هو نفس رأى الشاه، ولكننى دعوته وأحضرته إلى هنا من أجل الحيلولة دون تحريض العرب، ونشر الفساد بينهم الأمر الذى كان الإنجليز يدفعونه إليه. فلتكونوا على يقين من أننى لن أدعه يتحدث أو يكتب شيئا ضد مصالح إيران".(١)

وعلى هذا أبقى السلطان العثمانى السيد فى إسطنبول، فجمع حوله عددا من الإيرانيين المشهورين مثل ميرزا آقا خان الكرمانى، والشيخ أحمد روحى، والحاج ميرزا حسن خان خبير الكرمانى، وكتب هؤلاء رسائل معادية للشاه والأتابك لعلماء الشيعة بتوجيه من السيد، ولصقوا منشورات على أبواب بغداد وجدرانها، وأرسل بعض علماء العراق هذه الرسائل والمنشورات للشاه، وطلب الشاه فى رجب عام ١٣١٣ هـ.ق تسليم السيد وأصحابه. فأبعد السلطان العثمانى ميرزا آقا خان والاثنين الآخرين -كما سيرد ذكره فى سيرتهم- إلى طرابوزن ثم سلموا إلى ممثلى إيران عند الحدود، ولكنه امتنع عن تسليم السيد نفسه. ومع كل هذا كان

=بطنه ويوضع فى القبر". وقيل إنه أُشيع بعد اغتيال ناصر الدين شاه بأن اغتياله ربما كان بأمر من السيد.

(١) خان ملك ساسانى: سياستگران دورة قاجار، رسالة سفير إيران المؤرخة بالثامن من شهر صفر ١٣١٠.

السلطان على الدوام يشعر بالقلق تجاهه، كما أن رجال الدين وسائر رجال الحاشية الملتفين حوله أخذوا يثيرون ريبة السلطان وخاصة الشيخ أبـــى الهـــدى أى نفـــس الشخص الذى كان يتظاهر فى البداية بصداقته للسيد والذى كتب له خطابات يحثـــه على الذهاب لإسطنبول، مما زاد من شكوك السلطان فعين جواسيس عليه وراقـــب أعماله وتصرفاته.

وبعد مقتل ناصر الدين شاه على يد ميرزا الكرمانى واعترافه بـــأن الـــسيد عاتبه لاستسلامه للظلم؛ أصرت الحكومة الإيرانية بـــشدة علـــى تـــسليم الحكومـــة التركية له، ولكنها امتنعت عن تسليمه رغم كل المحاولات التى بذلت ســـواء فـــى طهران وسواء بواسطة علاء الملك سفير إيران المقيم فى إسطنبول، حيث كانـــت الحكومة العثمانية تقدم حجج مثل عدم ثبوت أن السيد إيرانى أو عدم ثبوت تورطه فى اغتيال الشاه أو ضرورة التأنى إلى حين الكشف عن أتباع السيد وأصدقائه فـــى الأراضى العثمانية وأخيرا وجود بعض المسائل التى يجب التحقق منها ! إلـــى أن أُشيع فى شهر رجب ١٣١٤ هـ.ق أن السيد قد أصيب بسرطان فـــى اللـــسان وأن جزءا من ذقنه وأسنانه قد استؤصلت[١] وبالرغم من ذلك كان على قيد الحياة لعـــدة شهور بعد ذلك، وعانى الفقر نظرا لأن السلطان كان قد أوقف راتبه، ولكن رجـــال البلاط كانوا قد أشاعوا أن السلطان يشمله بنعمته وإحسانه. ولم يكن يزوره فى تلك الفترة سوى عدد قليل من أصدقائه إلى أن توفى بنفس المـــرض أو التـــسمم بعـــد العملية الجراحية فى الساعة السابعة وثلاث عشرة دقيقة يوم الثلاثاء الخامس مـــن شوال ١٣١٤ هـ.ق، وحمل جثمانه على أكتاف أربعة من الحمـــالين دون مراســـم ودفن فى حى "بك أوغلى" فى مقبرة تسمى "شيخلر مزار لقى"، وتم تفتيش منزلـــه بعد وفاته بأمر السلطان وحصر تركته[٢] وصدرت أوامر للصحف التركيـــة بعـــدم كتابة كلمة عنه.

---

(١) خان ملك ساسانى: سياستـــگران دورة قاجار، التقارير الرسمية لسفير إيران علاء الدولة.

(٢) خان ملك ساسانى: سياستـــگران دورة قاجار تقرير سفير إيران رقم ٧٨ المـــؤرخ فـــى ٢٥ رجب ١٣١٤.

على هذا النحو انتهت حياة حافلة لرجل من عظماء التاريخ، كان عمر السيد عند وفاته حوالى ستين عاما. ودارت الشبهات فيما يتعلق بموته حول الشيخ أبى الهدى وقيل إنه أصيب بألم بسيط فى الحنجرة فزاره طبيب السلطان واشتد به المرض وخلال بضع ساعات تورم فم السيد وحنجرته ومات.

نعلم أن أبا الهدى كان عدوا لدودا وخائنا للسيد، ووصل حقده وعداؤه إلى أنه كان يؤذى من يحسن إليه. مع كل هذا لم يكن أبو الهدى يستطيع أن يدس السم خلف أسوار قصر بيلديز لرجل مثل السيد جمال الدين دون إملاء من السلطان. والحقيقة كما يقول مؤلف "سياستگران دورة قاجار: السياسيون فى العصر القاجارى" أن السلطان كان قد تعرض لضغط نفسي كبير بعد اغتيال ناصر الدين شاه، فمن ناحية لم يكن يريد أن يسلم السيد كى تظل الأسرار كامنة، ومن ناحية أخرى كان هو نفسه رجلا جبانا سئ الظن يخشى السيد، فلم يكن يسمح له بمغادرة إسطنبول بل منعه من الخروج من منزله أيضا، فكان كما يقول رجل ألمانى "فى سجن من الذهب"، لدرجة أنه فى وقت ما أراد القضاء عليه بيد الإيرانيين أنفسهم ولكن مظفر الدين شاه لم ير صلاحا فى هذا،[1] إلى أن شاع أمر مرضه. ولو أخذنا فى الاعتبار أن خبر مرض السيد قد انتشر فى رجب ١٣١٤ هـ.ق، وأن بعض الأشخاص قد زاروا السيد بعد ثلاثة شهور فى يومى الثالث والرابع من شوال (قبل يومين من موته) ووجدوه معافى صحيحا،[2] أفلا يمكن الاقتناع بأن اغتيال السيد كان أفضل وسيلة لتخليص البلاط العثمانى من الصراعات السياسية وتحرير السلطان من آلامه النفسية؟!

كما رأينا أن السيد أمضى حياته الحافلة فى الترحال وقضاها فى ألم ومرارة وحرمان كبير. لقد تعرض لصعاب جمة من قبل الإنجليز وطرد وأبعد بتحريض منهم عدة مرات من الهند وإسطنبول ومصر وإيران.

---

(١) سياستگران دورة قاجار: تقرير محمود خان علاء الملك سفير إيران فى إسطنبول المؤرخ بالمتمم من محرم ١٣١٤ هـ.ق، ومذكرات مظفر الدين شاه.
(٢) المرجع السابق.

ومنذ بداية أمره كان يسمى نفسه "الغريب فى البلدان والطريد عن الأوطان" وعندما لم يكن قد تجاوز الثلاثين ويعيش بكابل كان يشكو من زمانه ومن أن الجميع يولون عنه الأدبار.

ونقرأ في مذكراته التى توضح قيمة كتاباته الأدبية: "يعلم الخلان الأعزاء أن طائفة الإنجليز يعتبروننى روسيا وتعتبرنى طائفة المسلمين مجوسيا. ويظن السنة أنى رافضى والشيعة أنى ناصبى ويظن بعض أخيار المذاهب الأربعة أنى وهابى، ويعتقد البعض أنى إمامى بابى. ويعتبرنى الإلهيون دهريا؛ والمتقون فاسقا بريئا من التقوى؛ والعلماء جاهلا والمؤمنون فاجرا غير مؤمن. لا ينسبنى كافر لنفسه ولا يعتبرنى مسلم من المسلمين. فأنا طريد من المسجد ومبعد من الدير. صرت حائرا، فبأيهما أتشبث وأيهما أجادل. فلكى أرفض واحدا منهما لا بد من تأييد الآخر، وكى أؤيد معتقدا من معتقدات الأخيار لابد أن أجزم برفض ما هو مغاير له. فلا سبيل للفرار من أيدى هذه الطائفة ولا مجال للقرار كى أنازع تلك الفرقة... جلست فى مدينة كابل فى أعلى الحصن مكبل اليدين مكسور القدم منتظرا ما سيأتى خلف ستار الغيب وما سيأتى به الفلك راعى السفلة! فى يوم الجمعة ١٣ رجب ١٢٨٥".[1]

ذكر كتاب التذاكر وأكثرهم من أهالى الدول العربية شمائله وأحواله على النحو التالى: قوى البنية، قمحى اللون كبير الرأس ذو جبهة عريضة ذو عينين واسعتين جذابتين، عريض الصدر مهيب النظرة يشبه بهيئته وقيافته رجلا من عرب الحجاز، كأنه قد احتفظ بهيئة أجداده الأوائل. كان قصير النظر ولكنه لم يكن يستخدم نظارة، فكان يقرب الورقة من عينه عند القراءة والكتابة.

شعره أسود طويل ومجعد. كان يرتدى قباء وسروالا أسود، وفى الدول العربية كان يلبس عمامة صغيرة بيضاء على غرار علماء إسطنبول وفى إيران كان

---

(١) إسناد ومدارك چاپ نشده، لوحة رقم ٣.

يلبس عمامة خضراء أو سوداء. كان قليل النوم مقلا فى الطعام، يكره الجلوس ويشرب الشاى كثيرا ويدخن التبغ. لم يكن متصلبا أو مقلدا أو متعصبا فى أفكاره الدينية، ولكنه كان يؤدى الفرائض ويراعى أصول الدين وفروعه رعاية تامة.

تحلى السيد بقلب سليم وصفات طيبة فكان فى العادة حليما صبورا، ولكنه كان شديد الغضب إذا ما تطاول أحد على شرفه أو دينه وعقيدته فلم يكن يهدأ حتى ينتقم. لم يأبه لمال الدنيا وكان يهب الآخرين كل ما يحصل عليه، ودودا عطوفا مع أصدقائه، متشددا بلا أمان مع أعدائه. يتسرع فى الأمور السياسية وغالبا ما كان يندم بسبب هذا التسرع. لم يمارس الأعمال البسيطة المتدنية، وكان يمارس فى الغالب الأعمال الجليلة. كان شجاعا للغاية ومقداما، لم يكن يخشى الموت ولم يكن يعرفه بالأساس. يتحدث بصراحة مع الجميع حتى وإن لم يكونوا أهلا لذلك، ولم يكن يهتم بقدرات المستمع. وكان يقول دائما: "أنا أعادى الظالم والمظلوم كليهما، أعادى الظالم لظلمه والمظلوم لرضوخه للظلم وتسببه فى جرأة الظالم وتطاوله". كان يتحدث مع ملوك العالم بلا كلفة كالأقران والمقربين، بل إنه كان يهدد بعضهم، ويمن على بعض. قال له السلطان عبد الحميد ذات يوم إن وزير إيران المفوض قد قدم ثلاث مرات للبلاط وتحدث بخصوصه فاعتذر عن التدخل فى هذه القضية مرتين ولكن فى المرة الثالثة وعد بأن يستخدم نفوذه ويطلب من السيد أن يمتنع عن سب شاه إيران. فأجابه السيد إننى عفوت عن شاه إيران امتثالا لأمر الخليفة. عندئذ قال السلطان حقيقة إن الشاه يخشاك كثيرا.[١]

وكان هدف السيد جمال الدين السياسى الذى لاقى فى سبيل تحقيقه الكثير من المصاعب وتحمل آلاما مبرحة هو دعوة المسلمين للوحدة وهدايتهم لأحكام القرآن والصحوة الإسلامية وإنقاذ الدولة الإسلامية الشرقية من النفوذ الغربى وتدخل الاستعمار.[٢]

---

(١) محمد رشيد رضا: تاريخ الشيخ محمد عبده نقلا عن سليم العنحورى.
(٢) أشك فيما قيل عن أن السيد كان يريد أن يقيم الخلافة الإسلامية وأن يجمع كافة المسلمين=

كان يكره الأوروبيين وخاصة الإنجليز الذين ألحقوا به الأذى، وكان متعصبا في عدائه لهم. ففي عام ١٢٨٨ هـ.ق عندما وصل إلى مصر نشر مقالات تحت عنوان "البيان في الإنجليز والأفغان" في جريدة مصر التي كان يتولى إدارتها بعض مريديه من السوريين، وكتب بعد مدح الأمة الأفغانية: كفى هذه الأمة في عزة النفس وشدة اليأس أنها لم ترغب في أن تشملها حماية شره واسع البطن مصاب بنهم البقر ومرض الاستسقاء، لم يكفه ابتلاع مائتي مليون نفس وتجرع مياه نهر الكنج والتايمز فهو فاتح فمه لابتلاع بقية العالم وتجرع مياه نهري النيل وجيحون.(١)

ويقال أيضا إنه قال ذات يوم للشيخ عبد الرشيد التتاري يا بني، قريبا سوف تصلي صلاة الميت على الإمبراطورية الروسية القيصرية، وقريبا سوف تحضر تشييع جثمان الإمبراطورية البريطانية في الهند. (٢) وكما رأينا فبشارتا السيد تحققتا.

كان السيد جمال الدين ذا تأثير عجيب على الناس وكان المستمعون إليه وأصحابه يفتتون به لهيئته الجذابة واستقلاله الفكري وشخصيته القوية وبلاغة لسانه وفصاحة قلمه وذاكرته القوية وعلمه واطلاعه الواسع على العلوم الإسلامية وإجادة اللغة العربية إجادة تامة، وصار يتسبب في كل دولة إسلامية يذهب إليها في ثورة سياسية وأدبية إلى الحد الذي "يمكننا أن نعتبره في الواقع نابغة بمعنى الكلمة".(٣)

=تحت لواء واحد على غرار عهد الخلفاء الراشدين. يقول رشيد رضا لم أطالع مثل هذا الشيء لا في العروة الوثقى ولا في مكان آخر، ولم أسمع عنه من لسان الشيخ محمد عبده الذي كان أقرب الناس إليه. كان السيد يدرك أن هذا الأمر مستحيل، وكان هدفه أن يكون سلطان كل المسلمين القرآن وأساس وحدتهم الدين الإسلامي، وأن يسعى كل حاكم في دولته لحمايتها من الآخرين، لأن موت وحياة كافة المسلمين مرتبط بعضه ببعض.

–انظر أيضا مقالة "الوحدة الإسلامية" المنشورة في العدد التاسع من صحيفة العروة الوثقى.

(١) سيد محمد رشيد رضا: تاريخ الشيخ محمد عبده.

(٢) المرجع السابق

(٣) تقي زاده: صحيفة كاوه، العام الثاني العدد الثالث.

ويقول عنه حسين دانش الأصفهانى المقيم فى إسطنبول الذى رآه عن قرب وتعرف عليه: "إن أعجوبة الدهر هذا كان تجليا استثنائيا للقدرة على الخلق حيث أنار للعالم شعلة من البرق بين إعصار، ومضى. ولكن فيما يتعلق بأن التطلع إلى الشهرة والغرور كان له تأثير كبير فى هذه الأمور؛ فلا شك مطلقا فى أن السيد كان يسعد بمهاجمة من هو أعظم منه ومناصبة من هو أقوى منه العداء...".

أما الحاج محمد حسن أمين الضرب الذى استضاف السيد فى رحلته إلى إيران وتعامل معه عن قرب فيعتبره "أمير المؤمنين أو ابن أمير المؤمنين وأنه مالك الرقاب"(١) ويعتقد أن السيد "يبعث الروح فى الموتى.. وأنه رأى عنه أشياء عدة مرات لا يمكن التغاضى عنها"(٢) ويستحلفه بحق المريدين والمقربين إلى الحضرة الإلهية أن يصفح ويعفو عن روحه الضالة.(٣)

ويعتقد أحمد كسروى أن "أعمال السيد جمال الدين فى إيران ومصر وتركيا لم تحقق نتيجة إيجابية وأن تلاميذه بالغوا فى الحديث عنه. لقد نهض السيد لإنجاز عمل كبير ولكنه لم يكن يدرك الطريق إلى ذلك، وفى نفس الوقت لم يكن ينسى نفسه. فلبذل مثل هذه الجهود يكون نكران الذات هو الخطوة الأولى. فلو كان السيد عمل على بث روح اليقظة فى الناس وتهذيب أفكارهم بدلا من التنقل من هذا البلاط إلى ذلك البلاط لحقق نتيجة أفضل".

وفى اعتقادنا أن ذلك "العمل الجليل" أى اتحاد مسلمى العالم كان أمنية تعتمد غالبا على المشاعر، ولم يستطع السيد ولم يكن ليستطيع بالطبع أن يحققها، ولكن من الأمور التى لا مجال لنكرانها دوره العظيم فى إيقاظ العالم الشرقى وفى الثورة الدستورية فى إيران ونشر بذور الحرية بين الناس. وتجلت نتائج جهوده وجهود رفاقه فيما يتعلق بإيران فى ثورة الشعب ضد احتكار التبغ (١٣٠٨- ١٣١٠ هـ.ق)

(١) أخذا عن رسالته للسيد المؤرخة بغرة محرم ١٣١٠، اسناد ومدارك چاپ، لوحة رقم ١٣٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

واغتيال ناصر الدين شاه على يد ميرزا رضا الكرمانى (١٣١٣ هـ.ق) وأخيرا قيام الثورة الدستورية فى إيران التى طالبت بالحرية.

لقد اعترف بمكانة السيد العلمية والأدبية الكتاب والعلماء العرب الذين كانوا فى الغالب من تلاميذه مثل الشيخ محمد عبده، وأديب إسحاق، والشيخ إبراهيم اليازجى، وجورجى زيدان، ومحمد رشيد رضا، وسليم العنجورى الدمشقى وغيرهم، وأطلقوا عليه زعيما مصلحا، وحكيما مجددا، وقطب دائرة العلوم، وقاضى الدنيا والدين، ونادر الزمان و"آية من آيات الله" وقد اعترف الدكتور شلبى صاموئيل ناشر نظرية داروين فى العالم العربى بفضل السيد وعلمه وفصاحته المتميزة وكان قد استمع لخطب السيد فى الإسكندرية، وقال الشيخ محمد عبده فى رثائه لقد منحنى أبى حياة شاركنى فيها شقيقاى على ومحروس، ولكن السيد منحنى حياة أشارك فيها محمد وإبراهيم وموسى وعيسى والأولياء والقديسين. كما أورد الشيخ محمد عبده نفسه بعد ذكر محاسن السيد تلك العبارة ونصها: "فإنى لو قلت إن ما آتاه الله من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو أقصى ما قدر لغير الأنبياء لكنت غير مبالغ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم". وهذا الكلام صدر عن رجلٍ هو مفتى الديار المصرية وأستاذ بجامعة الأزهر، وذو مقام رفيع فى الفضل والعلم والأدب العربى. ويضيف مدير مجلة الهلال بعد أن عدد صفاته الأخرى بأنه لم يكن فى الشرق أحد أكثر بلاغة منه. ومن فضلاء إيران صرح ذكاء الملك فروغى عنه قائلا "دخلت على السيد فوجدته بحرا من العلم والفضل وإن من البيان لسحرا وكان واضحا فى كلام السيد..... لم أر عالما مثل السيد قبله أو بعده".[١]

كان السيد ضليعا فى الكتابة بالعربية، وفى الواقع تذكرنا مقالاته بخطب صدر الإسلام،[٢] ومع كل ذلك لم يستطع الشيخ محمد عبده أن يمتنع عن ذكر هذه

(١) ناظم الإسلام: تاريخ بيدارى ايرانيان.
(٢) تقى زاده: صحيفة كاوه، العام الثانى، العدد الثالث.

الحقيقة وهى أن عبارات السيد، على الرغم من كل الرصانة والبلاغة، لم تخل من اللكنة الأعجمية، ولم تتميز بتناغم العربية الخالصة. (١)

كان السيد جمال الدين عامة قليل الكتابة كثير الكلام. ومؤلفاته عبارة عن "رسالة نيچريه: رسالة على الدهريين" بالفارسية ثم ترجمها محمد عبده للعربية وما نعرفه من مؤلفاته العربية المقالات التى كانت تنشر فى جريدة مصر أحيانا بتوقيعه وأحيانا أخرى باسم مستعار وهو "مزهر بن وضاح"، ومقالات صحيفة العروة الوثقى التى كان يعد السيد موضوعاتها ويكتبها محمد عبده، ورسالتان بليغتان إلى ميرزا محمد حسن المجتهد الشيرازى وسائر علماء الشيعة، وأيضا مقالات فى ضياء الخافقين بتوقيع "السيد" أو "السيد الحسينى".

وفيما يتعلق باللغة الفارسية فكان يكتب ويتحدث بلكنة عربية وربما أفغانية، وتكاد كتاباته الفارسية خاصة تجعل الإنسان يشك فى إيرانيته.(٢)

إن الرسالة التى وجهها لناصر الدين شاه والتى نقل نصها ناظم الإسلام فى كتاب (تاريخ بيدارى إيرانيان) من الصعب أن تكون نتاج قلب إيرانى أو شخص قضى الثمانية عشر عاما الأوائل من شبابه فى إيران ودرس بالفارسية فى قزوين وأصفهان ومشهد أو فى مكان آخر من إيران.

إن الرسالة المنسوبة إليه والموجهة لأحد أصدقائه والتى وردت فى نفس الكتاب وتتميز بفصاحة لغتها الفارسية عن سائر رسائله؛ تبدو غير أصلية وربما تكون موضوعة وهو الأمر الذى لفت نظر تقى زاده أيضا.

وكتب رسالة موجزة أخرى من لندن للأمير محمد تقى ميرزا ركن الدولة وأوردها هدايت فى "خاطرات وخطرات" ويبدو التأثر فيها باللغة العربية أقل.

لم أطالع "رسالة نيچريه: رسالة الرد على الدهريين" التى ألفها

---

(١) محمد رشيد رضا: تاريخ الشيخ محمد عبده.
(٢) تقى زاده: صحيفة كاوه، العام الثانى، العدد الثالث.

بالفارسية، ولكن لا تتساوى واحدة من رسائله الفارسية التي ذكرتها وبعض المقالات التي قرأتها له مع مؤلفاته العربية الفصيحة والبليغة.

وتعتمد كتاباتي عن حياة السيد جمال الدين على الوثائق والمصادر التي نشرتها جامعة طهران عام ١٣٤٢ وهي مجموعة من الوثائق غير المنشورة التي أهداها الدكتور أصغر مهدوى حفيد الحاج محمد حسن أمين الضرب للجامعة.

ويتضح من متن الكتاب والمقدمة التي حررها ايرج أفشار له أن جزءا مهما من هذه الوثائق هي الخطابات والأوراق والدفاتر والمذكرات والكتب التي كانت تخص السيد جمال الدين والتي تركها في منزل الحاج أمين الضرب خلال رحلتيه إلى إيران عامي ١٣٠٤ و ١٣٠٧ هـ.ق.

ويبدو أنه لا يوجد مجال للشك في صحة هذه الوثائق، ونظرا لعلمنا بأن السيد قد طُرد من إيران عام ١٣٠٨ هـ.ق شبه عار فمن الواضح أنه لم يحمل معه شيئا، ويمكن القول إن الوثائق والكتب التي كان يحتفظ بها حتى ذلك التاريخ تنحصر في نفس الوثائق والكتب التي قُدمت في المجموعة موضع البحث.

بالطبع سوف يدقق الباحثون والعلماء في هذه الوثائق، وسيدونون سيرة هذا الرجل العظيم وحياته المكتظة بالأحداث بأسلوب أكثر دقة وشمولا كما يتمنى من قاموا على نشرها؛ وذلك عن طريق الاستعانة بتلك الوثائق ومقارنتها بالمصادر التي كانت متاحة سابقا والأسانيد التي سيتم الحصول عليها من المحفوظات الأجنبية.

وفي عجالة؛ على الرغم من أن الوثائق التي قدمت في هذه المجموعة تؤكد بعض الموضوعات التي طُرحت في المصادر السابقة عن حياة السيد فإنها للأسف لا توضح كافة تفاصيل حياته وهو الأمر الذي لفت أيضا اهتمام الناشرين.

على سبيل المثال فيما يتعلق بانتماء السيد للحزب الماسوني فكان أديب إسحاق وجورجي زيدان وبعض الكتاب العرب الآخرين قد صرحوا أنه انضم في

مصر إلى حزب إخوان الماسونية وأحرز تقدما فى ذلك الحزب وصار من رؤسائه، ثم أسس جمعية وطنية تابعة للمحفل الفرنسى ودعا مريديه إلى ذلك الحزب وبلغ عدد أعضائه ثلاثمائة.

وقيل أيضا إن السيد دخل ذات يوم الجمعية وقال متحدث خلال الحوار نحن لن نتدخل فى السياسة فثار السيد جمال الدين لهذا الكلام وقال كيف لا يرفع شخص صوته للحصول على حريته وحقوقه المغتصبة فى محفل تم تدوين حق الحرية والمساواة والأخوة فى برنامجه، فإن كان الأمر كذلك فلن أعمل فى هذا المحفل، ولهذا السبب سحب عضويته. (١)

لم يكن قد تم التأكد من هذا الموضوع، ومع نشر هذه الوثيقة يتضح أنه طلب فى الثانى والعشرين من ربيع الآخر ١٢٩٢ هـ.ق (٢٨ مايو ١٨٧٥م) الانضمام إلى المحفل الماسونى فى القاهرة(٢) وأنه انتخب لرئاسة فرع المحفل (كوكب الشرق) فى جلسة ٢٥ جمادى الأولى ١٢٩٥ هـ.ق (٢٨ مايو ١٨٧٨م)(٣) كما أنه لم يكن قد قطع صلته بالحزب المذكور حتى شهر صفر ١٢٩٦ هـ.ق (فبراير ١٨٧٩م) على الأقل أى حتى شهر قبيل طرده وإبعاده عن مصر.(٤) وحتى فى عام ١٣٠١ هـ.ق (أوائل ١٨٨٤م) أى قرابة خمس سنوات بعد طرده من مصر عندما كان يعيش فى باريس تقدم بطلب عضوية وانضمام لمحفل باريس وتمت دعوته إلى تلك المدينة للتشاور.

والآن لو فُرض أن السيد خلال الشهور الأخيرة من إقامته فى مصر (صفر حتى رمضان ١٢٩٦ هـ.ق) قد أُجبر على ترك المحفل، فيبدو من المستبعد أنه يكون قد طلب مجددا بعد عدة سنوات الانضمام إلى نفس الحزب فى باريس. (٥)

---

(١) خاطرات السيد جمال الدين، ترجمة سيد غلام رضا سعيدى، عن "فيض الخاطر، طهران، ص ٣٨.
(٢) إسناد چاپ نشده، الوثيقة ٥٧.
(٣) المصدر السابق الوثيقة ٦٢.
(٤) المصدر السابق الوثيقة ٦٣، ٦٩.
(٥) إسناد چاپ نشده، الوثيقة ١٢١.

إن هذه الوثائق لم توضح بعد بجلاء إن كان إيرانيا أم أفغانيا ولد في إيـــران أو أفغانستان، وإن كان إيرانيا لماذا كان يقدم نفسه على أنه أفغاني وكان يصر على ذلك. وفضلا عن هذا لم توضح تلك الوثائق أيضا محل ميلاده والعالم الـــذي درس على يده حتى حقق تلك المكانة في اللغة العربية بحيث إن علماء الـــدول العربيـــة العظماء اعتبروه معلما لهم ومؤسس العربية الحديثة، كما أن هذه المجموعـــة مـــن الوثائق لا ترشدنا بشكل يقيني إلى حقيقة الأحداث المتعلقة بنشاطه الـــسياسي فـــي أفغانستان والهند و مصر ورحلته الأولى إلى تركيا.

ولا يوجد في هذه الوثائق أخبار مطلقا عن حياة السيد حتـــى عـــام ١٢٨٢ هـ.ق، ونحن لا نعلم كذلك على وجه اليقين أين وكيف أمضى ثمانية وعشرين عاما من عمره حتى ذلك العام.

كان هذا ما استطعت التوصل إليه من المطالعـــة والبحـــث فـــي المـــصادر المتاحة عن حياة السيد جمال الدين والأمور السياسية المتعلقة بسيرته. وأعترف أنه لا تزال هناك نقاط غامضة تماما في حياته وأتمنى أن يقدم ذو الهمة والباحثون عن الحقيقة سيرة عن هذا الرجل العظيم بصورة أكثر دقة وشمولا عن طريق البحـــث الوافي في الوثائق المتاحة وغيرها التي ربما تظهر في المستقبل.(١)

رسالة السيد جمال الدين التي كتبها من لندن للأمير محمد تقي ميرزا ركـــن الدولة:- (٢)

صاحب السمو مُد ظله على رءوس الأنام كافة. أين أبحـــث عـــن الفكـــرة الطاهرة والهمة العالية والرأي السديد وحب العدل سوى فـــي وجـــودكم الـــسامي

---

(١) أفاد إيرج أفشار في المقالة التي نشرها في مجلة مهر (العـــام العاشـــر العـــدد الثالـــث) أن "مجموعة من الأوروبيين يجرون الآن أبحاثا متخصصة فيما يتعلق بأحوال الـــسيد وأفكـــاره وتأثيره على المجتمع الإسلامي من الأراضي الأفريقية (مصر والسودان) حتى سواحل نهر الكنج (سوريا وتركيا وإيران وأفغانستان والهند)، ويريدون توضيح علاقة الـــسيد الـــسياسية بالحكومة البريطانية على وجه الخصوص".

(٢) مهد يقلي هدايت: خاطرات وخطرات، ص٤٣٩.

الشريف؟ لقد تداخلت الأفكار المتوهجة والأنفس الموهوبة معـا ووقـف العلمـاء العظام مستعدين ممسكين بالأقلام. لذلك لم يكن هناك وقت أفضل من هـذا ولـن يكون. لو رغبتم فى تفصيل ذلك فسوف أقدمه. إن السعادة عقدت ناظرهـا علـى الطريق. لو ضاعت هذه الفرصة، سيكون الندم أكثر مما يمكن تصوره. وصـاحب السمو مخير.

لقد أديت ما يمليه على الوفاء لكم والسلام على حضرتكم العلية. جمال الدين الحسينى.

اكتب هذا العنوان على المظروف وسيصلنى أينمـا كنـت 24 Portland Road Notting Hill W.، London.

من رسالة السيد إلى الحاج محمد حسن أمين الضرب بتاريخ ٢٧ مارس:

"سيادة الحاج، إن ما قلته وما أقوله وما فعلته وما أفعله كان جميعـه لخيـر الأمة المحمدية فقط وسيكون لهذا الغرض، وليس للأنانية من طرفى دخل فيه، ولو أنكر الإيرانيون أمام العميان والصم الذين لا يرون شيئا ولا يـسمعون؛ أتمنـى أن تعترف مع نفسك أننى أقول الحقيقة لأن الله تعالى مطلع على سريرتى وتصرفاتى. لهذا قطع أذن وأنف الدولة العثمانية عقابا لها بعد ستة شهور من عدائها لى، وقصم ظهرها، ووضع أقدام الإنجليز الثقيلة على حلق الخديوية المصرية بعـد أن قـسم مملكتها فكادت أنفاسها تنقطع، وقضى على شير على خان وأسرته.

وأقول الآن لو أصرت إيران على جرمها ولم تتراجع عنه، فإن الله تعـالى الذى قطع أذنها وأنفها بسبب ذنوبها السالفة سوف يقطع الآن رأسها ويلقى لحمهـا طعما للنسور والجوارح ولن تبقى لفترة طويلة. إن الله تعـالى غيـر راض عـن أعمال الجاهلية والعادات البدائية هذه التى تنسبوها إلى عمامة الإسلام والدين.

وها أنا أقولها جهارا وسيشهد العالم أيضا على هذا قريبا. كنت قد كتبت لى أن كل شىء كان مهيأ ومعدا بعد وصولى إلى طهران. سيدى العزيز، ما الـشىء

الذى صار مهيأ ومعدا؟ أنا لا أريد أن أصبح رئيسا للوزراء، لا أريد أن أصبح وزيرا، لا أريد أن أكون من أركان الدولة، لا أريد راتبا، لا أريد عملا، فليس عندى أبناء، ليس عندى أملاك، ولا أريد أن يكون عندى. إذن ما الشيء الذى كان مهيأ ومعداً؟ سيدى العزيز؛ إن العديد من الأشخاص حصلوا على رتبة بيك وباشا عن طريقى، وحصل الكثير من الأشخاص على رواتب كبيرة بسببى، ولكننى كنت على الحال دائما وسأظل على هذا ليس عندى سوى النصح والإصلاح، ويعلم الله تعالى أفضل من الجميع؛ مَنْ ذلك الذى أوغر قلب الشاه وإن كان صوفيا أصفهانيا أو طهرانيا غير صوفى، ومَنْ ذلك الزنيم الذى ارتضى وذلك العُتُل الذى تهاون. وطالما أن الإنسان لا يستطيع كشف الحقائق بجلاء؛ فإن جزاء كل شيء فى يد الله. كنت قد كتبت لى أن صاحب الجلالة الأجل الأفخم قد حقق غاية القدرة، فلو أن فى ذلك منفعة للخلق فهذا مبعث للسرور والرضا.

فإن لم أكن أتطلع بعينى إلى خير كافة عباد الله فالأفضل أن تفقد عينى البصر، ولتَشل يدى إن لم تسع فى سبيل سعادة المخلوق، ولتكسر قدمى إن لم تسر فى سبيل نجاة الأمة المحمدية. هذا مذهبى، وهذا مشربى، ولا يحدونى الأمل فى أن يسعى صاحب الجلالة الأجل فى سبيل تحقيق الخير للإيرانيين المساكين اليائسين قدر ما حققه من سلطة".(1)

من رسالة السيد إلى الحاج محمد حسين أمين. بطرسبورج ٣ يوليه.

"... حقا إن هذه الممالك تلوث الملابس والفم والمعدة بالنجس، ولكن تلك البلاد تلوث عقل وروح ونفس الإنسان الناطقة؛ فبسبب تضارب الآراء الفاسدة وتلاطم الأطماع الفاسدة وفتنة الأخلاق الرذيلة عند الأبالسة يضطر المساكين للكذب والتدليس والتزوير والمكر والخداع وينحرفون عن الطريق المستقيم ويتصرفون على عكس فطرتهم الطاهرة، وإذا نظر السيد الحاج إلى نفسه سيجد

(1) مجموعة إسناد چاپ نشده، اللوحتان، ١٨٢، ١٨٣.

هذه الأمور بالرغم من أنه يطلب الصلاح والفلاح وعلى فطرته أكثر من كافة الإيرانيين الذين رأيتهم.

فلا مفر، ماذا يجب أن نفعل! ولكن من الممكن أن يلتبس على الإنسان نفسه حقيقة الأمر شيئا فشيئا ويعتبر القبح جمالا، نعوذ بالله...كنت قد كتبت لي كي أذهب إلى مشهد وأعلم الناس، حسن جدا ولكن من الصعب جدا الحديث عن الحق وتدريس حقيقة العلم وخاصة لجاهل يعتبر نفسه عليما وأعمى يعد نفسه بصيرا وذلك في مملكة تعتبر قول الزور فضلا والكذب حكمة والنميمة حرفتها؛ وتتباهى بهذه الصفات الشيطانية في المحافل والمجامع وتمتدح نفسها لذكائها. ومع كل هذا أشك أنك تكون قد عرفتني بعض المعرفة في تلك الشهور التي تلازمنا فيها في كل لحظة ليل نهار بالفطنة الفكرية ونور الإيمان وتكون قد أدركت أن ليس لي مقصد في هذا العالم سواء كنت في الغرب أو الشرق سوى السعي لإصلاح دنيا المسلمين وآخرتهم، وغاية أملي أن يراق دمي في هذه السبيل كالشهداء والصالحين، ولكنني مجبر على تصرفاتي ولن أحيد عن الإرادة الإلهية. لنترك تلك المسألة.... عند وصول الموكب الملكي أرسلت بطاقتي إلى كل معارفي على غرار المعمول به في أوروبا والتقيت كما تعلمون بأمين الدولة ومخبر الدولة واعتماد السلطنة، في الوقت الذي حددوه. وكتبت رسالة إلى أمين السلطان وطلبت فيها أن يحدد موعدا للقاء ووضحت خلال الرسالة أنني أريد أن أنتهز هذه الفرصة لأكشف عن كذب الكذابين بالبرهان الواضح. فأبقى حامل الرسالة ثلاث ساعات، وكان يخرج كل نصف ساعة من حجرته لأمر ما، ويقول لحامل الرسالة سأكتب الآن ردا. وعاد حاملها أخيرا بعد أن أعياه اليأس، وسواء كان السبب كثرة المشاغل أو وساوس الشيطان فلا ينبغي ذكره مهما كان. فيد الله فوق أيدي الجميع! كنتُ قد كتبتُ إنني سأقوم بجولة من الغرب للشرق ومن الشرق للغرب، ولكن طلب مني بعض رجال الحكومة الروسية البقاء لفترة حتى تتضح نتيجة سفر الشاه إلى لندن ولهذا سأبقى لفترة أخرى في تلك المدينة....

كان الحاج السياح قد كتب خطابا مجملا ولا أعرف ماذا فعل معك وماذا قال. ومن المؤكد أن الأمر يتطلب علم الجفر الجامع لفك حروفه والوصول إلى مجملها ليتضح ماذا يريد أن يقول ! لو كان عمر الإنسان ألف سنة لا يجب أن يخاف إلى هذا الحد للحفاظ عليه، فما بالك بما لا يزيد عن سبعٍ وستين سنة، كما أن كله قد مضى.

أواه على حالنا والحياة على هذه الشاكلة! ولكن أتمنى ألا تكون على هذه الحال وتذكر دائما أن الله قد جعل تمني الموت علامة على صدق الإيمان".[1]

---

(١) مجموعة اسناد ومدارك چاپ نشده، اللوحات ١٨٠، ١٨٦، ١٨٧.

الفصل السابع -المستنيرون الآخرون فى مرحلة اليقظة

١- ميرزا آقا خان الكرمانى:-

نفى عن إيران شخصان من المنادين بالحرية والمستنيرين الإيرانيين بسبب اتهامهما بالبابية، وقد تأثرا بآراء السيد جمال الدين الأفغانى، وهما الشيخ أحمد روحى وميرزا آقا خان الكرمانى اللذان أثرت جهودهما فى يقظة الإيرانيين إلى حد كبير وخاصة كتابات ميرزا آقا خان.

ولد ميرزا عبد الحسين الشهير بميرز آقا خان عام ١٢٧٠ هـ.ق، والده ميرزا عبد الرحيم من خانات بردسير بكرمان. تعلم فى كرمان ودرس الرياضيات والعلوم الطبيعية والفلسفة وتعلم قليلا من الإنجليزية والفرنسية وفى عام ١٣٠٢ هـ.ق وبينما كان عمره اثنين وثلاثين علما هاجر برفقة الشيخ أحمد روحى بسبب مظالم السلطان عبد الحميد ميرزا ناصر الدولة حاكم كرمان، وتوجه إلى أصفهان ومنها إلى طهران وقام بتدريس القرآن وتفسيره فى تلك المدينة لفترة من الوقت. وتعرف على الحاج ميرزا يحيى الدولت آبادى والشيخ مهدى شريف الكاشانى. ثم سافر إلى الرشت مع رفيق سفره روحى وتوجه منها إلى إسطنبول ١٣٠٥ هـ.ق.

وتعرف الاثنان فى إسطنبول على الحاج ميرزا حسن خان خبير الملك الذى عمل لفترة قنصلا لإيران فى بلاد الشام، ونهض الثلاثة يؤيدون السيد الذى كان قد قدم آنذاك إلى إسطنبول بدعوة من السلطان عبد الحميد، وحرروا الكثير من الرسائل إلى علماء النجف وسامراء وإيران ورجال وأهالى العاصمة والمدن الإيرانية تحوى آراء وأفكار السيد، ودعوهم للوحدة الإسلامية، وسبوا حكومة ناصر الدين شاه الاستبدادية وتصرفات الصدر الأعظم ميرزا على أصغر خان. فهب ميرزا على أصغر خان لاعتقالهم وإلحاق الأذى بهم، وأرسل التعليمات اللازمة إلى ميرزا محمود خان دبيا علاء الملك سفير إيران فى تركيا، وأظهر علاء الملك للبلاط العثمانى على خلاف الواقع أن هؤلاء الثلاثة متورطون فى

ثورة الأرمن التى كانت قد وقعت خلال العامين الماضيين، وبناء على ذلك أبعدتهم الحكومة العثمانية فى أواسط رجب عام ١٣١٣ هـ.ق إلى طرابوزان تحت الحراسة وألقت بهم فى السجن هناك وظلوا على هذه الحال إلى أن اغتال ميرزا رضا الكرمانى ناصر الدين شاه بإطلاق الرصاص عليه عند مسجد الشاه عبد العظيم قبيل أيام من إقامة مراسم الاحتفال بمضى خمسين عاما على حكمه، وكان ميرزا رضا الكرمانى قد قدم من إسطنبول إلى إيران برفقة الشيخ أبى القاسم شقيق روحى باعتباره خادما له.

كان ميرزا رضا هو نفس الرجل الذى تعرض للظلم والإهانة على يد رجال الحكومة فى شيراز، وعندما قدم إلى طهران لم يجد من ينصفه فاضطر للسفر إلى إسطنبول، ويقال إن السيد وجه إليه اللوم ودفعه للانتقام. (١)

وبعد حادثة اغتيال ناصر الدين شاه ازدادت شكوك الحكومة بخصوص هؤلاء الثلاثة وسلمتهم الحكومة العثمانية عند الحدود إلى المسئولين الإيرانيين بناء على طلب السفير الإيرانى. وكان ميرزا رضا قاتل ناصر الدين شاه لا يزال على قيد الحياة فى طهران بسبب فترة الحداد التى دامت لمدة شهر وذلك حين قطعت رءوس ثلاثتهم فى "باغ شمال" ويقال بمنزل ولى العهد نفسه فى "تشجلان" عصر يوم الرابع أو السادس من شهر صفر ١٣١٤ هـ.ق وذلك بأمر ولى العهد محمد على ميرزا، وأرسلت رءوسهم إلى طهران.

مؤلفات ميرزا آقا خان:-

كان ميرزا آقا خان يشارك فى صحيفة اختر بإسطنبول التى كانت تقرأ فى إيران والهند وكان مديرها السيد محمد طاهر التبريزى، وشارك آقا خان بمقالات كثيرة فى تلك الصحيفة.

---

(١) خرج في ٢٦ رجب ١٣١٣ هـ.ق إلى طهران بتوجيه من السيد والتقى فى طريقه بسجناء طرابوزان ووصل طهران فى الثانى من شوال.

ومن مؤلفاته المنشورة "جنـــگ هفتادودو ملت: اقتتال اثنتين وسبعين فرقة"، إنشاء الله وماشاء الله، وعملان فى التاريخ: "نامـــهٔ باســـتان: الرســـالة القديمـــة" و"آينيـــهٔ سكندرى: مرآة الإسكندر".

وقد ألف تاريخ مرآة الإسكندر فى إسطنبول، وتجشم الكثير من المـصاعب لتصحيح هذه النسخة ميرزا جهانجير خان الــشيرازى الــذى تــولى بعــدها إدارة صحيفة "صور إسرافيل" وقتل بأمر محمد على شاه فى "باغشاه" فى اليــوم الثـــانى لقصف المجلس، ويقع هذا الكتاب فى مجلدين وطبع عـــامى ١٣٢٤- ١٣٢٦ فـــى طهران بفضل علاء الملك الذى تحمل نفقات طبعه.

ويقلل من قيمة هذا الكتاب وأهمية الأبحاث غير الدقيقة فى فقه اللغـــة التـــى طرحها المؤلف خلاله.

والرسالة القديمة هى تاريخ منظوم على وزن الــشاهنامه وعلـــى غرارهـــا وأتمها عام ١٣١٣ هـ.ق فى السجن بطرابوزان.

وبعد عامين من اغتيال ميرزا آقا خان (١٣١٦ هـ.ق) نظم الشيخ أحمد أديب الكرمانى (المتوفى ١٣٢٩ هـ.ق) ابن الملا حافظ العقيلى تاريخ ظهور الإسلام حتى جلوس مظفر الدين شاه على وزن الشاهنامه وأضافها إلى الرسالة وذلك بأمر مـــن والى كرمان قائد الجيش، وطبعت تحت عنوان "سالارنامه: رسالة القائد" مع حذف بعض الأشعار التى كان نشرها فى ذلك الوقت يعد أمرا خطيرا.[1]

وأشهر أعمال ميرزا آقا خان "اقتتال اثنتين وسبعين فرقـــة" وتعتمـــد هـــذه الرسالة على "قهوة سورة"[2] من تأليف المؤلف الفرنسى برناردن دوســـن پـــيير، حيث طبق موضوعها على الإسلام.

---

(١) فى مجلدين، شيراز ١٣١٦.

(٢) ترجم هذا الكتاب البديع ليون تولستوى إلى الروسية ومحمد جمال على زاده إلـــى الفارســـية (برلين، ١٣٠٤ ش) ونقله للفارسية محمد خان بهادر بن الملا أحمد عن الترجمة الروســـية لتولستوى ونشره بالإضافة إلى "اقتتال اثنتين وسبعين فرقة" لميرزا آقا خان عام ١٣٤٣ هـ.ق فى برلين كما ترجمه السيد أحمد كسروى إلى العربية عن ترجمة الكتاب بلغـــة الاســـبرنتو وأطلق عليه عنوان "قهوة سورة" ونشره فى صيدا.

ولميرزا آقا خان مؤلفات أخرى أيضا لم تطبع، منها رسالة "صد خطابه: مائة خطبة" ولا يوجد منها سوى اثنتين وأربعين خطبة، وليس لهذه الرسالة قيمة علمية ولكنها كتبت بشغف ومشاعر طاغية وهى لطيفة جدا وشيقة وتعبر عن وطنية المؤلف وكرهه الشديد للعرب.

وهنا ندرج فيما يلى جزءا من المقالة التى وردت فى نهاية الرسالة القديمة والمحذوفة من "سالارنامه: رسالة القائد" والتى حصل عليها ناظم الإسلام الكرمانى ونشرها فى كتاب تاريخ يقظة الإيرانيين، وذلك بغرض إطلاع القراء على منحى تفكيره وأسلوبه فى الكتابة النثرية:

مقالة مفيدة فى خاتمة الكتاب: -

"..... ربما يعترض بعض أرباب العلم وأدباء إيران ذوى الإقبال قائلين ما هذا الأسلوب فى النظم والشعر الذى يخرج عن دائرة الأدب والتأدب الضرورى للمتملقين على خلاف جمهور شعراء إيران، ويضع جانبا الطريق المستقيم للسلامة أى المداهنة والتملق، إنك تتحدث هكذا بصدق وجد؛ فلتسلك الدرب الذى سلكه السائرون!

أجيب؛ يجب أن نفرق بين الأشجار والثمار، والأحداث والنتائج. فلا يوجد شك فى تأثير وإبداع كلام الفصحاء والبلغاء الإيرانيين المتقدمين أو طراوة ولطف أشعارهم. كما أن الحديث عن سخرية ولطف أشعار المتأخرين هو قول يتفق عليه الجميع. ولكن يجب النظر إلى ماهية تأثير أعمال الأدباء والشعراء حتى الآن وإلى ثمار النبتة التى غرسوها فى بستان الشعر وإلى محصول البذور التى نثروها! فما قالوه من مبالغات وإغراقات كان نتيجته استقرار الكذب فى طبائع الناس. وما نظموه من مدح ومداهنة صارت نتيجته تشجيع الوزراء والملوك على أنواع الرذائل والسفه، وما نظموه فى التصوف والعرفان لم يثمر سوى الكسل والتكدى والدروشة. وما قالوه من غزل فى الزهرة والبلبل، لم يفرز سوى فساد الأخلاق

وحملهم إلى السذاجة والخمر. وما نظموه من هزل ومطايبات لم يسفر إلا عن انتشار الفسق والفجور ورواج الفحشاء. ولو نظرنا فى تاريخ الشعراء المسلمين وممدوحيهم سنقول إن أشعار ومدائح أبى نواس وأمثاله هى التى دفعت الخلفاء العباسيين للامتناع عن احتساء القهوة والنوم فى الضحى وإلى مفاسد أخرى. وقصائد العنصرى، والرود كى وفرخى وأمثالهم هى التى أفسدت السامانيين والغزنويين وأدت إلى فنائهم، وعرفان وتصوف الشيخ العراقى والمغربى وأمثالهما هى التى أفرزت كل هؤلاء الشحاذين المتخاذلين والكسالى الذين لا يستحون. ومداهنة الأنورى وظهير ورشيد وكمال أدت إلى ظهور مثل هؤلاء السلاطين الظالمين غير الأكفاء المغرورين. وأبيات سعدى فى العشق وهمام وأمثالهما هى التى أفسدت أخلاق الشباب. وهزليات ومطايبات سوزنى وسنائى وغيرهما هى التى أدت إلى انتشار الفسق والفجور إلى هذه الدرجة. وطلاسم الخاقانى المملة وأمثاله هى التى دفعت ميرزا مهديخان وصاحب الوصاف إلى الضلال. وثرثرة صبا ورقة شهاب وقاآنى هى التى محت اليوم حب الفضيلة وبغض الرذيلة كلية من طبائع عظماء إيران ودفعتهم إلى الرذيلة والدناءة إلى حد بعيد. يقول تعالى:والشعراء يتبعهم الغاوون".[1]

الشعراء الأوروبيون ينظمون هذه الأجناس الشعرية ولكنهم جعلوا الشعر يخضع لقواعد صحيحة، وجعلوا أشعارهم هذه مسايرة للمنطق. فلم يترتب على شعرهم تأثير عدا تنوير الفكر والقضاء على الخرافات وتبصير الضمائر وتنبيه الغافلين وتربية السفهاء وتأديب الجهلاء وحث النفوس على الفضائل وكف القلوب عن الرذائل والاهتمام بالوطن والأمة. وهذا معنى "إن من الشعر لحكمة". نعم إن النتيجة الحقيقية للشعر هى إثارة القلوب وترقيق النفوس وتشجيع عقول الناس، ولكن يجب أن يدفعهم إلى الفضائل والتقوى والاعتدال لا إلى ارتكاب الأعمال القبيحة والرذائل وما إلى ذلك. إن من يمدحه الأدباء الأوروبيون هو الفردوسى

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٤.

الطوسى فقط فأشعار الشاهنامه على الرغم مما نراه فيها من مبالغات أحيانا فإنها تلقى فى نفوس الإيرانيين إلى حد ما حب الانتماء والأمة والشهامة والشجاعة، وتهدف أحيانا إلى تهذيب الأخلاق. أتمنى أن تتضح نتائج الأشعار المتواضعة للعبد الحقير (إشارة إلى نفسه تواضعا) عما قريب أيضا فى المجتمع البشرى، ويتخذها الفصحاء والبلغاء نموذجا بعد ذلك للاقتداء بشعراء أوروبا، ويعلموا أن الشعر الذى لا يقدم فائدة فلسفية سيكون من قبيل اللغو ويعد من الخرافات والخزعبلات، والسلام.

٢- روحى:

الشيخ أحمد روحى من زعماء الثورة الفكرية فى إيران، وهو الابن الثانى لشيخ العلماء الملا محمد جعفر پيشنماز الكرمانى ولد عام ١٢٧٢ هـ.ق فى كرمان. تعلم على يد والده فى تلك المدينة العربية وشيئا من الفقه وأصول الدين والحديث، وكان إمام صلاة الجماعة فى مسجدى "ميدان القلعة" و"ميرزا جبار" لفترة من الوقت، وكان يعظ الناس ويخطب فيهم.

وفى عام ١٣٠٢ هـ.ق ذهب برفقة ميرزا آقا خان الكرمانى إلى أصفهان ومنها إلى طهران ثم الرشت ثم هاجر منها إلى إسطنبول عام ١٣٠٥ هـ.ق، وبعد إقامته بها لفترة سافر لأداء فريضة الحج، وعند عودته أقام لبعض الوقت فى حلب ثم عاد إلى إسطنبول وفى تلك الفترة تزوج هو وميرزا آقا خان كريمتى ميرزا يحيى نور (صبح أزل). وانضم روحى إلى السيد جمال الدين الأفغانى بعد عودته إلى إسطنبول وسعى مع رفاقه الآخرين فى سبيل يقظة الإيرانيين ونشر فكرة الوحدة الإسلامية[1] وقد أسر كما قرأنا بأمر من الحكومة العثمانية وأبعد إلى طرابوزان ثم حُمل بعد مقتل ناصر الدين شاه إلى تبريز برفقة ميرزا آقا خان

---

(١) يقال إنه جعل شعاره:

واسمى أحمد روحى   أنا داعية للوحدة الإسلامية

الكرمانى وميرزا حسن خان خبير الملك بناء على طلب الصدر الأعظم الإيرانـــى، وقتل ثلاثتهم هناك. وقال قبيل قتله بساعات لميرزا صالح خان وزير أكرم نائــب حكومة أذربيجان: "أتعلم ما هذا القيد الذى ضُرب حول أعناقنا؟ لو كنــتم تعلمــون لصنعتم هذا القيد من الذهب ولأتيتم لزيارته مرة كل يوم!". (١)

أعماله:-

كان الشيخ أحمد روحى رجلا فاضلا مطلعا وفنانا موهوبا ويــنظم الــشعر أيضا. ومن أهم مؤلفاته "هشت بهشت: ثمانى جنان"؛ وهذا الكتاب المفــصل فــى شرح عقائد الأزليين -وهم من فرق البابية- وسبب انقسامهم إلى الأزليين والبهائيين وفلسفة البابية. وفضلا عما يحتويه من قضايا دينية وجدلية يضم معلومات مفيــدة عن تاريخ المرحلة الأولى من البابية وتراجم عدد من القدماء المنسوبين إليها. ويعد كتاب "هشت بهشت" من المصادر الرئيسة التى اعتمد عليها المستشرق البريطـــانى إدوارد براون.

٣- ميرزا حبيب الأصفهانى:-

يعد ميرزا حبيب الأصفهانى واحدا من الإيرانيين المــستنيرين الموهــوبين وكان حسن البيان وواحدا من رجالات القرن الثالث عشر ومطلع القــرن الرابــع عشر الهجريين الذين انتهجوا أسلوبا جديدا إلى حد ما ورصينا فى البحث الأدبى.

"وهو من أهالى قرية بن چهار محال من توابع أصفهان. وقام بتحصيل العلم فى أصفهان وطهران، كما درس الأدب والفقه وأصول الدين فى بغداد لمدة أربــع سنوات، ثم عاد إلى طهران، وهناك تعرض للإيذاء والاعتقال بزعم أنه قــد نظــم هجاءً فى حق الصدر الأعظم ســپهسالار محمد خان. فهرب عام ١٢٨٣ هـ.ق إلى تركيا(٢) واحتمى بالحكومة العثمانية فى دار السعادة إسطنبول. وأخذ يقضى وقتــه

---

(١) تاريخ بيدارى ايرانيان، ص١٥٥.

(٢) نفى فى ذلك العام عدد من الأفراد بتهمة الإلحاد وكان منهم ميرزا حبيب الــذى فــر إلـــى=

فى المدارس وصار لفترة من الوقت من أعضاء مجلس المعارف ولكنه عزل من هذا العمل نتيجة كيد الأعداء، ثم حظى بعد عام ونصف باهتمام السلطان وعاد إلى عمله. كان ينظم الشعر أحيانا، ولكنه لم يكن يطمع فى العطاء كغيره من الشعراء. وفى بداية أمره كان يتخلص بـ "دستان" ولكنه نظم أكثر أشعاره بعد ذلك بلا تخلص ولم يهتم بهذا الأمر".(١)

وانضم ميرزا حبيب للشيخ أحمد روحى ورفاقه، وتكاتف مع أولئك الساعين لإيقاظ الإيرانيين فى إطار الثورة فى سبيل الحرية.

وفى عام ١٣١١ مرض قبيل أن يبلغ الستين وتوجه إلى بروسا للعلاج بالمياه المعدنية ثم توفى بعد فترة عام ١٣١٥ ودفن فى مقبرة تشكركه عند سفح جبل "اولوداغ". (٢)

مؤلفاته:

كان ميرزا حبيب أديبا يجيد العربية ويعرف التركية وتعلم الفرنسية أيضا فى إسطنبول أثناء تدريسه للفارسية فى تلك المدينة، واستفاد من هذه اللغات الثلاث فى تدوين قواعد اللغة الفارسية وكان أول من أطلق كلمة "دستور" على قواعد اللغة بدلا من الصرف والنحو.

وفيما يتعلق بكتاب "حاجى بابا" فقد توصل جمال زاده مؤخرا فى أبحاثه إلى أن ميرزا حبيب الأصفهانى قام بترجمة هذا الكتاب بتلك العبارات اللطيفة البليغة

=إسطنبول وآثر البقاء بها. وفى تلك الفترة تولى ميرزا حسين خان سپهسالار السفارة الإيرانية ومنع معاملة ميرزا حبيب باحترام أو تقدير.

(كتاب رحلات حاجى پير زاده: سفرنامة حاجى پير زاده، مخطوط محفوظ بمكتبة المجلس، تحت رقم ٦٩٥، نقلا عن إيرج افشار، مجلة يغما، العام الثالث عشر، العدد العاشر).

(١) مقدمة ديوان ميرزا حبيب بقلمه، مكتبة بايزيد، إسطنبول، نقلا عن خان ملك الساسانى (إيرج افشار، ميرزا حبيب أصفهانى، مجلة يغما، العام الثالث عشر، العدد ١٠).

(٢) ياداشت صباح الدين شمس، مجلة يغما العام الرابع عشر، العدد ٤.

المشحونة باللطائف الأدبية، ثم أحضر الأستاذ مجتبى مينوى عند عودته من رحلته إلى تركيا صورة ضوئية لمخطوطات ميرزا حبيب غير المطبوعة الموجودة في مكتبة جامعة إسطنبول وبينها ترجمة حاجى بابا الأصفهانى. ومع ظهور الترجمة نفسها بخط ميرزا حبيب وخاصة المقدمة الموجزة التى حررها المترجم للترجمة والتى سننقلها بنصها لم يعد هناك شك فى أن هذا الكتاب قد ترجمه ميرزا حبيب نفسه إلى الفارسية عن الترجمة الفرنسية.[1]

وها هى المقدمة:

"لقد تُرجم كتاب "حاجىْ باب فى أصفهان" إلى الفرنسية عن اللغة الإنجليزية وقام العبد الحقير حبيب الأصفهانى بنقله إلى الفارسية عن الفرنسية بلغة يفهمها العامة ويعجب بها الخاصة ومصطلحات مشهورة وسائدة، ويعود على المؤلف ما بالكتاب من حسن وقبح وفائدة وضرر، ونسخة "حاجى بابا فى لندن" هى نسخة أخرى، تعبر عن تدليس الإنجليز، كما أن الإيرانيين على نفس الحال، بل إن التدليس لدى المسلمين عامة، وإن شاء الله سيترجم هو الآخر، ولن يعاقب المترجم سواء من جانب الشرع أو العرف.

لم أقل هذا من عندى　　　فقد قلت ما قاله القائل[2]

موريه وكتاب حاجى بابا:

ألف جيمس موريه كتاب حاجى بابا بهدف نقد الإيرانيين وكشف أوجه القبح فى العادات والتقاليد الإيرانية. وكان جيمس موريه أصلا من أهالى فرنسا وحاصل على الجنسية البريطانية. ولد عام ١١٩٤ هـ.ق (١٧٨٠م) فى أزمير واطلع بها على الآداب الشرقية واللغتين التركية والفارسية. وألحقه والده القنصل البريطانى فى إسطنبول بالعمل فى وزارة الخارجية.

---

(١) ايرج أفشار: ميرزا حبيب أصفهانى، مجلة يغما، العام الثالث عشر، العدد العاشر.
(٢) ايرج افشار: آثار ميرزا حبيب أصفهانى، مجلة يغما، العام السادس عشر، العدد الثانى.

وفى عام ١٢٢٣ هـ.ق موريه مع السير هارفورد جونس السفير البريطـــانى إلى إيران للعمل سكرتيرا للسفارة، فوصل إلى طهران فى الثامن والعشرين من ذى الحجة من نفس العام.

وظل سكرتيرا للسفارة البريطانية فى إيران لمدة ست سنوات على فتــرتين (المرة الأولى منذ ذى الحجة ١٢٢٣ حتى ربيع الأول ١٢٢٤ هـ.ق، والمرة الثانيــة منذ جمادى الآخرة ١٢٢٥ هـ.ق حتى ذى القعدة ١٢٣٠ هـ.ق).

وعمل نائبا للسفير فى الفترة التى كان يغيب فيها الأخيــر عــن طهــران، وتورط فى عقد معاهدة جلستان المشئومة وتحديد الحــدود الجديــدة بــين إيــران وروسيا وكذلك توقيع المعاهدة الأكثر شؤما بين إيران وإنجلترا.

واطلع موريه خلال إقامته فى إيران علــى أخــلاق الإيــرانيين وعــاداتهم وخاصة القادة ورجال الحكومة، وكذلك خلال رحلته الثانية مع السيد جور أوزلــى السفير البريطانى، فقد رافقه ممثل إيران ميرزا أبو الحسن خان وسبعة إيرانيين من الطبقات المختلفة –المشرف والطاهى والحارس والخادم– واختلط بهم عــن قــرب وتعرف على أحوالهم وأفكارهم عن طريق الحوار والسخرية والجــدل مــع هــذه المجموعة، فهيأت هذه الرحلة له الفرصة لجمع موضوعات كثيرة لكتابه وحكاياته.

صدر كتاب حاجى بابا الأصفهانى فى لندن عام ١٨٢٤م (١٢٣٩ هـ.ق) بعد عشر سنوات تقريبا من عودته الأخيرة من إيران، وأثار نشره جدلا فى الأوســاط الأدبية: ورأى أكثر من انتقدوا الكتاب أنه كتاب ممل بشكل عــام وغيــر متــرابط ومشحون بتكرار مبتذل بالرغم من أنه كتاب جدير بالقراءة ويضم أجــزاءً طيبــة. ولكن فريقا آخر من الأدباء والمفكرين من بيــنهم الروائــى الاســكتلندي الــشهير والترسكوت يعتبرون الكتاب قطعة أدبية جميلة مــشحونة بــالفولكلور ورأوا أنهــا تستحق أن تصنف فى مرتبة واحدة مع قصة "جيل بلاس" للاساج.

والحقيقة أن موريه قد حاكى "جيل بلاس"فى بناء القصة وتفاصيلها. فحاجى

بابا يخرج من طبقة العامة مثل بطل قصة لاساج، وتفوق على أقرانه من نفس الطبقة ثقافيا ووقع مثله فريسة اللصوص وقطاع الطرق وشاركهم أعمالهم جبرا وتعلم الطب على يّد رجل مشعوذ ومارس الطب بمهارة، وعشق النساء وسعى لجمع المال وأخيرا وصل إلى مكانة رفيعة بعد حياة مشحونة بالمتناقضات. كما أن المشاهد وتصاعد الأحداث وأسلوب الكتابة تكاد أن تكون واحدة كما أن أسماء الشخصيات في العملين وصفية ومتشابهة.

على كل حال يعد كتاب حاجى بابا الكتاب الوحيد من بين مؤلفات موريه الذى لفت أنظار القراء ولا يعادله من حيث أسلوب الإنشاء والمهارة فى عرض الموضوع أى من كتابيه في الرحلات اللذين طبع الأول منهما عام ١٨١٢ م والثانى بعد ست سنوات والذى يضم شرحا لرحلاته إلى إيران وأرمينية وآسيا الصغرى؛ وينطبق هذا الأمر كذلك على قصته الأخرى المسماة حاجى بابا فى لندن التى صدرت بعد أربع سنوات من حاجى بابا الأصفهانى (١٨٢٨م) وتعد فى الحقيقة متمما للكتاب الأول أو الجزء الثانى فيه. وبسبب هذا الاختلاف الكبير ظن البعض أنه قد ألف الكتاب الأول بمساعدة أحد الإيرانيين وألف الثانى بدون مساعدة، أو ظنوا أن الكتاب كان قد ألف بالفارسية ثم ترجم إلى الإنجليزية.

كُتب حاجى بابا على هيئة قصة ونجح المؤلف إلى حد كبير فى رسم للشخصيات وحياتهم. وقد وصف الكتاب بمهارة وفن فتحعلى شاه ذلك الأمير "الذى يبطن التصوف والوجد ويُظهر أنه من أهل الشريعة والكلام، وكذلك وصف الوزير الأعظم (ميرزا شفيع) بهيئته النحيفة وأخلاقه الدنيئة وطمعه وخسته وحب التجمل واهتمامه الشديد بالنساء وحبه لسماع كلمات الإطراء الكاذبة من قبل رجال البلاط وحذره من العلماء، ورسم كذلك صورة لابن بائع الخضر الأصفهانى (الحاجى محمد حسين أمين الدولة) بقبح شكله وغلظة تصرفاته "حيث كان يملأ صناديق الشاه بالذهب دون أن ينسى نفسه" وصور السفير الفرنسى (الجنرال جاردان مبعوث نابليون) وميرزا الأحمق (ميرزا أحمد كبير أطباء الشاه) وملك الشعراء

(فتحعلى خاب صبا الكاشانى)[1] وميرزا فيروز (ميرزا أبا الحسن خان، كبير موفدى إيران إلى البلاط البريطانى وهو ابن أخت الحاج إبراهيم خان كلانتر الشيرازى وصهره). وعرض بأسلوب شيق يطابق الواقع تفاصيل ذهاب الشاه سيرا إلى قُم، ومعسكره الصيفي في روضة سلطانية وإجراء مراسم احتفالات عيد النيروز وغير ذلك من المشاهد. وحكاية يوسفى الأرمنى وتخليصه خطيبته مريم من قصر حاكم إيروان قصة حقيقية، وقد ذكر هذا الموضوع صاحب الديوان ميرزا تقى العلى آبادى شرحا وتفصيلا فى نص أدبى كما ذكرها موريه ببعض الاختلافات فى المجلد الثانى من كتابه للرحلات.

ومن الناحية الموضوعية لم يرغب المؤلف بالطبع أن يتحدث في كتابه عن محاسن وفضائل الإيرانيين ومآثر إيران القديمة، ولكن كان هدفه الأصلى عرض مشاهد محلية واستعراض أخلاق الإيرانيين وعاداتهم من خلال القصة، وبناء على هذا لا يضيرنا أن الكاتب تعرض لمسائل مثيرة للنقد خلال استعراضه لحياة الإيرانيين السياسية والاجتماعية فى كتابيه للرحلات وقصتيه. ولا ننكر أن الدخل غير المشروع والرشوة "كانت من آفات قادة إيران وكبار رجالها" فقد كان فى إيران ولا يزال عظماء "لا يقلون مطلقا عن يزيد" يرتدون لباس الإيمان الظاهرى كما رأى وشاهد المؤلف.

أما الأمر الجدير بالذكر أن المؤلف لم يكن منصفا وغير مغرض إلى أقصى درجة فى تصوير هذه العيوب والمفاسد، وعبر عن تردى أخلاق بعض الطبقات من الشعب الإيرانى بمبالغة كبيرة عن الواقع. نشر متن حاجى بابا الأصلى عدة مرات فى إنجلترا وترجم لمعظم اللغات، وقد عرفت موضوعاته لا باعتبارها قصة

---

(١) يسمى ملك الشعراء هذا فى النص الإنجليزى وفى ترجمة شوكة الوزراء "عسكر"، ولد فى كرمان ولكنه يسمى فى ترجمة ميرزا حبيب "فتحعلى" وولد فى كاشان، وبيّن المترجم أن "المؤلف ربما لم يرغب فى سرد قصة ذلك الرجل فتحعلى خان صبا الكاشانى باسمه صراحة".

لطيفة ولكن باعتبارها دليلا لأخلاق الإيرانيين وعاداتهم.و ظل لسنوات طويلة مرشدا للأوروبيين لصفات الشعب الإيرانى وأخلاقه. وكم من الأشخاص الذين – على حد قول براون– غرر بهم لقراءة الكتاب وظنوا أن كافة الإيرانيين يتصفون بتلك الصفات التى طرحها موريه.

وبالطبع لم يكن من الفطنة الطعن فى أمة بأسرها بالأخطاء الناتجة عن سذاجة الناس وأسلوب الإدارة المعوج وفقدان وسائل التربية والتعليم وليدة الظروف المحلية والسياسية بشكل عام والتى تتعلق غالبا بالطبقات المتميزة المحدودة، وكذلك اعتبار كافة الأهالى فاسدين وجعلهم محطا للسخرية.

وماذا عسانا أن نقول عن السياسيين والموفدين الرسميين لتلك الدول المتحضرة والمتمدنة الذين دعموا فى رجال هذه الأمة الجهلاء الغافلين تلك الصفات الرذيلة عن طريق تقديم الهدايا والوعود الصادقة والكاذبة من أجل تحقيق أهدافهم، والذين جعلوا مصير الأمة معتما عن طريق الخلق المتعمد للفساد فى الجهاز الحاكم والحصول على الامتيازات غير المشروعة والمشئومة.

وفيما يتعلق بسبب تسمية الكتاب يجب القول إن السير هارفورد جونس بينما كان يغادر إيران متوجها إلى بريطانيا (عام ١٢٢٦ هـ.ق) طلب منه ولى العهد الأمير عباس ميرزا أن يصطحب معه شابين إيرانيين إلى إنجلترا لإتمام الدراسات العليا، كان أحدهما ميرزا بابا أفشار نجل واحد من رجالات عباس ميرزا، والذى أتم دراسته عام ١٢٣٤ هـ.ق فى الطب والكيمياء، وعاد إلى تبريز فى صفر أو ربيع الأول عام ١٢٣٥ هـ.ق وعمل طبيبا فى بلاط ولى العهد وبعدها لدى محمد شاه باسم ميرزا بابا كبير الأطباء.(١)

ويقال إن الدارسين الإيرانيين لم يشعرا بالرضا بسبب تقصير موريه فيما

(١) ويسمى الآخر محمد كاظم وهو نجل كبير الرسامين لدى ولى العهد، والذى أوفد إلى إنجلترا لدراسة فن التصوير. ومات هذا الشاب بعد ثمانية عشر شهرا من الإقامة فى لندن بمرض السل.

يتعلق بشئونهما الدراسية فى إنجلترا، وكان ميرزا بابا على وجه الخصوص يحول دون استيلاء موريه على نفقات تعليمهما، لذا كن له العداء، وربما لهذا السبب أطلق اسمه على كتابه أو ربما لأن اسم حاجى بابا يبدو مضحكا من وجهة نظره من حيث التركيب اللفظى.

وكان موريه قد كتب فى رسالته التى بعثها من لندن فى ديسمبر ١٨٢٣ م (ربيع الأول ١٢٣٩ هـ.ق) أى قبيل نشر حاجى بابا إلى أحد أصدقائه المقيم فى إسطنبول شرحا للقصة من قبيل أصلها ومصدرها والسبب فى تسميتها، فقال إن أحد موظفى فتحعلى شاه يسمى حاجى بابا قد قدم له هذه المذكرات تذكارا وتقديرا له بينما كان عائدا من إسطنبول، حيث كان قد مرض فى مدينة توقات من مدن أرمينية العثمانية فعالجه موريه، وقام بترجمتها إلى الإنجليزية، ومع ذلك فهذا الموضوع مفتعل والواضح أن موريه قد اقتبس عنوان كتابه من اسم حاجى بابا أفشار كما ذكرنا وأن ميزا بابا كبير الأطباء ظل غاضبا بسبب أنه أطلق اسمه بجرأة على كتابه وسخر من العادات الإيرانية.(١)

حاجى بابا فى ترجمة ميرزا حبيب:

يعد الأسلوب النثرى الذى كتب به ترجمة ميرزا حبيب من أفضل أساليب النثر فى المرحلة الأخيرة فالكتاب عن آخره مكتظ ومزين بأشعار مناسبة للمترجم نفسه وأساتذة الشعر الفارسى وكذلك بالآيات والأحاديث والأمثال والمصطلحات وكأنه قد ألف فى الأصل بالفارسية، ووفقا لقول ملك الشعراء بهار "إنه يقلد حينا الجلستان من حيث الرصانة والانسجام واللطف والنصح ويحاكى أحيانا النثر الأوروبى خلال سرد القصص وإثارة النفوس وخلق الفضول لدى القارئ. فهو بسيط وفنى أيضا، يوافق الأسلوب القديم لأساتذة النثر ويساير كذلك الأسلوب الحديث لمؤلف الرواية، وهو فى المجمل أحد روائع القرن الثالث عشر

---

(١) Stuart, Journey etc., p.169؛ (نقلا عن عباس اقبال، مجلة يادگار، العام الأول، العدد الخامس)

الهجری."(۱) وقد طبع كتاب حاجی بابا الذی ترجمه میرزا حبیب الأصفهانی عدة مرات فی كلكتا ولاهور وطهران.

كتابان فی قواعد اللغة:

نشر میرزا حبیب أثناء إقامته فی إسطنبول عدة كتب أخرى من أعماله ومن المتون القديمة، ومن بينها كتاب فی قواعد اللغة الفارسية الذی سبقت الإشارة إليه. وأعد هذا الكتاب خلال تدريسه اللغة الفارسية والنحو والصرف للألمانی فارموند وطبعه تحت عنوان "دستور سخن: نحو المقال" عام ۱۲۸۹ هـ.ق.(۲) وصار هذا الكتاب فيما بعد مصدرا ودليلا للآخرين، وكتب عبد العظيم الجرجانی المدرس بالمدرسة العلمية ثلاث مجموعات فی قواعد الفارسية مستعينا به.(۳)

ويقول المؤلف فی مقدمة "نحو المقال": "لقد عملت لفترة من الوقت معلما للغتين الفارسية والعربية فی الأوقات التی ابتعدت فيها أنا العبد حبيب الأصفهانی عن مقامی بمقتضى القدر السماوی وأقمت فيها بالأستانة العلية إسطنبول. وعلمت من خلال التدريس أن المثقفين والأدباء فی تلك الديار مقبلون على اللغة الفارسية بشدة، ولكن لا توجد قواعد ولا نظام سليم لتعلمها. ونظرا لأن المتحدثين بالفارسية لم يقعدوا للغتهم الأم كما أن الدارسين للفارسية لم يفهموا ما قيل فی أصول وقواعد تلك اللغة، فحدثت نفسی فی هذا الموقف قائلا كيف تظل لغة بهذا القدم واللطف كما أرى بلا تنظيم أو ترتيب؟! فمن هذا المنطلق يعجز الإنسان الذی يرغب فی الكتابة والقراءة. وأعددت كتيبا أولاً: لا يضم قواعد الفارسية فقط بل يشتمل على الأسس الأصلية للفارسية وطريقة استخدام الكلمات المأخوذة عن اللغة العربية. ثانياً: أكثر

(۱) سبك شناسی، ج۳، ط۲، ص ۳٦٦

(۲) يقول مخبر السلطنة فی (خاطرات وخطرات) ص ۱۱ " حصلت على نسخة منه تطابق النسخة الألمانية" ويقصد هدايت كتاب فارموند المسمى

Praktisches Handbuch der Neupersischen, Giessen, 1845.

(۳) مخبر السلطنة هدايت: خاطرات وخطرات ص ۱۱.

الشواهد التى قدمتها لموضوعاته من الأشعار الشهيرة، فكل منها يعد فى مقام مثل، ويمكن قولها أثناء الحوار فى الوقت المناسب. ثالثا: قدمت فى بعض الموضوعات أمثلة كثيرة لتيسير القراءة السليمة إلى جوار معرفة القواعد السليمة أيضا. رابعا: وضحت التغييرات المشهورة والمعروفة فى الكلمات العربية التى يستخدمها الناطقون بالفارسية سواء فى الحوار أو الكتابة حتى لا يعتقد القراء أن تلك التغييرات خطأ عند الإيرانيين فى لغتهم الأم. خامسا: كتبت الموضوعات الفارسية والعربية المرتبطة بذلك معا، لأن هذه الموضوعات لا يمكن قولها فى موضع آخر بالعربية حيث لم يبق من المعنى العربى لهذه التغييرات وجود. سادسا: التزمت فى المصطلحات والتعبيرات الصرفية والنحوية بما هو شائع ومعمول به، حتى لا يحدث خلط فى هذه القواعد".

ونشر ميرزا حبيب تحت رعاية حسنعلى خان أمير نظام جروسى بعد عدة سنوات من تأليف "نحو المقال" "دبستان پارسى: مدرسة الفارسية" عام ١٣٠٨ هـ.ق وهو خلاصة واختصار لنحو المقال. وكتب فى مقدمته:

"أنا العبد الخجول حبيب الأصفهانى عندما أدركت بعد كتابته كتاب نحو المقال وطباعته أن تلك الطبعة تكاد تنفذ، وأن هذه النسخة تبدو مفصلة إلى حد ما فى اعتقاد البعض أردت أن أعد كتيبا بنفس اللغة ثانية ليستفيد منه الناطقون بالفارسية عامة ويتعلم منه أطفال الكتاتيب والمدارس الابتدائية قواعد لغتهم. فكتبته مختصرا عن النسخة السابقة ولكنه أكثر شمولا من حيث المعنى وجعلت به قسما عربيا، وسميت هذا العمل الذى استغرق منى عدة سنوات باسم "مدرسة الفارسية".[1]

بعض أعمال ميرزا حبيب الأخرى:

ومن أعمال ميرزا حبيب الأخرى "غرايب عوايد ملل: غرائب عادات

(١) مقدمة المؤلف على "دبستان پارسى" إسطنبول، ١٣٠٨هـ.ق.

الشعوب[1]" و "بررگ سبز: الورقة الخضراء"[2] فى أسس تعليم اللغة الفارسية، "خط وخطاطان: الخط وخطاطون"[3] باللغة التركية، "خلاصة رهنماى فارسى: خلاصة المرشد للفارسية"[4]، و "رهبر فارسى: المرشد للفارسية"[5]، وطباعة ديوان "الأطعمة" لأبى إسحاق الحلاج الشيرازى مع شرح للكلمات فى نهاية الكتاب[6] وكذلك "ديوان البسه: ديوان الملابس" لنظام الدين محمود القارئ اليزدى[7] ومنتخبات لعبيد زاكانى مع مقدمة بالفرنسية لفرته.[8]

وقد ترك ميرزا حبيب فضلا عن مؤلفاته المطبوعة المشار إليها الكثير من الأشعار والحكايات والأمثال والترجمات والمذكرات غير المطبوعة، وقد أحضر الأستاذ مجتبى مينوى كما ذكرنا صورة ضوئية منها عند عودته من رحلته إلى تركيا، ومن بينها ترجمة "جيل بلاس" التى طبعها باسمه الدكتور محمد خان الكرمنشاهى المعروف بـ (كفرى) وأدرك الأستاذ مينوى هذا الأمر بمطابقة النسختين.[9]

كما ترجم هذا الرجل العالم مسرحية Misantbrope لموليير بعنوان "مردم گريز: الهارب" ونشرها بداية فى صحيفة اختر ثم نشرها بشكل مستقل بعد ذلك.[10]

---

(1) طبعة إسطنبول، ١٣٠٣ هـ.ق.
(2) طبعة إسطنبول، ١٣٠٤ هـ.ق.
(3) طبعة إسطنبول، ١٣٠٥ هـ.ق.
(4) طبعة إسطنبول، ١٣٠٩ هـ.ق.
(5) طبعة إسطنبول، ١٣١٠ هـ.ق.
(6) طبعة إسطنبول، ١٣٠٢ هـ.ق.
(7) طبعة إسطنبول، ١٣٠٣ هـ.ق.
(8) طبعة إسطنبول، ١٣٠٣ هـ.ق.
(9) إن مجتبى مينوى ثقة وقوله حجة، وإن كانت ترجمة جيل بلاس (ط ١٣٢٢ هـ.ق) أكثر جمودا من ترجمة حاجى بابا إلى حد ما إلا أنها تشبه أسلوب ميرزا حبيب النثرى ومع كل هذا لا أستطيع أن أقنع نفسى أن رجلا فاضلا وعالما مثل الدكتور محمد الكرمنشاهى يسرق محصلة مجهود الآخرين دون أى سبب وينسبه إلى نفسه.
(10) لقد أشرت إلى هذه الترجمة قبل ذلك تفصيلا عند الحديث عن كتابة المسرحية، وعندى نسخة منها، فقدت منها الصفحة الأولى ولا تحتوى تلك النسخة على اسم المؤلف والمترجم، ومعلوماتى أنها ترجمة ميرزا حبيب الأصفهانى استنادا إلى قول إيرج أفشار (مجلة يغما، العام الثالث عشر، العدد العاشر).

الحديث التاسع:

سقاية حاجى بابا من باب الاضطرار

"قال حمَّار ناصحا: بنى، أنت شاب موهوب وقوى، فصيح وحسن الصوت، بشوش، ساخر. تستطيع أن تشجع الناس على شرب الماء بالصوت الجميل، وتأسر القلوب بالاستهزاء والسخرية. يأتى زوار مشهد للحصول على الأجر والثواب، وهم لا يقصرون فى شيء فى سبيل النجاة من النار وإدراك الجنة. فمن يخرج عليهم من باب الخيرات والمبرات يفز بعطاياهم وصدقاتهم. هيا؛ بع الماء فى ذكرى شفاه كربلاء الظمآنة. وعليك أن تتظاهر بالعمل فى سبيل الله، وفى الواقع إن لم تأخذ المال لا تعطى رشفة ماء لأى شخص.

فبعد ما يشرب الإنسان، قل برياء عبارات ندية؛ هنيئا، العافية، هنيئا مريئا، بالهناء، لتسقيك شفاة كربلاء الظمآنة بالشفاعة، لتشرب كأس الشفاعة من يد العباس ابن على المبتورة! ومنهم بمثل هذه الكلمات فالأمل يؤثر كثيرا على المحزونين، واجعل صوتك عاليا كى يسمعه الجميع، وقل كثيرا من اللطائف حتى يضحك الجميع وانشد كثيرا من الأشعار التى تعجب الجميع وانظر إلى حمق الزوار وسذاجتهم؛ فهم يتكبدون نفقات باهظة من ديارهم البعيدة مع كل هذا الخوف من التراكمة ويأتون للزيارة. فما الأمر الذى لا يمكن فعله مع هؤلاء؟! يمكن خداعهم بسهولة. عقولهم فى عيونهم، وقد غطى عيونهم حجاب قلة العقل، فهم لا يرون ولا يفهمون.

اجعل كل ما تقوله باسم الله والرسول، ولا تفعل غير ذلك. لقد قمت منذ فترة سابقة فى نفس المكان بنفس العمل واشتريت من مال السقاية قافلة البغال التى تراها الآن.

اشتريت قربة جديدة عملا بقول الحَمَّار وزماما من السلاسل وحزاما من الجلد وعقدت على خصرى عددا من الخطافات الصينية وعلقت بها عددا من آنية الشرب منقوشة بـ "قل هو إلهى"، وعددا من الأجراس والجلاجل. ووضعت القربة ليومين أو ثلاثة فى الماء ثم ملأتها، ودخلت إلى صحن مرقد الإمام الرضا وجاء دور عرض موهبتى، وكان مطلع كلامي: سلام الله على الحسين ولعنة الله على قاتل الحسين.

اشرب الماء وقل لعنة الله على يزيد   واجعل الروح فداءً لمرقد ملك الشهداء

عجبا عندى ماء هنئ، يشفى القلب الظمآن؛ يسقط الأسنان، يروى الظمآن ويجعل المرتوى ظمآنا، تُروى به رياض الجنة، وتُطفأ به نار جهنم... ولما عملت يومين على النحو الذى نصحنى به الحَمَّار صار أستاذا لى. فالمعروف فى هذه الأمور أن العلم يأتى من الممارسة والعمل.

ما إن وقع ناظر سقاة مشهد علىّ، جف الماء فى أفواهم فهبوا متنافسين وأرادوا سد نبع فنى بحجة أنه ليس من حقى السقاية هناك، بمعنى ألا يمنحونى الماء من الخزان للسقاية. ولكن وجدوا أن منافسهم ليس ضعيفا فمن الممكن أن يضرب ويمزق قربهم جميعا، فغضوا طرفهم عنى. وكأن الله كان قد خلقنى للسقاية.

كنت أبيع ماء الخزان ودور السقاية المختلط بالطين كريه الرائحة على أنه ماء زلال من عينى تسنيم والكوثر. ولا تعلمون كم كنت أحصل من الظمآنين. كنت أحصل على ثمن القربة من عشرة أشخاص ثم أبيعها ثانية. كنت أعقد ناظرى دائما على وفود الزوار حديثى الوصول توا والغبار على وجوههم، فكنت أدفع إناء الماء إلى يدهم قائلا بسم الله، فى سبيل الله، حمدا على السلامة من الأمراض والبلاء، ارشفوا جرعة ماء فى ذكرى شفاه صحراء كربلاء الظمآنة. عطروا رءوسكم ووجوهكم بماء ورد مشهد المنورة واجعلوا قربة ماء فى سبيل الله. وكنت أنشد أحيانا أشعارا لميرزا أحمد أيضا بصوت جميل:

رطـب حلقـك يـا ظمـآن للرحمـة — وتـذكر فـوران حـوض الكـوثر
واصـقل بالمـاء مـرآة القلـب — ثم اذكر بقلبك العبـاس بـن علـى
هذا ليس ماءً بل هو قطرة من الكوثر — هذه ليست قربة، فهذه بئر زمـزم
وكـانت عينه عـينـا سلـسبيلاً — وكـان مـزاجـه مـزاجا زنجبيلاً

كنت أعرض على الزوار بهذا النحو المفصل من الكـلام والـشعر أن أول ثواب هو ثواب شرب الماء، وماء مشهد، الماء الخاص بى وكان إحسان الـزوار وإنعامهم علىَّ لا حد له. لم تكن قطرة من الماء تذهب هباءً ولا كلمة من أشعارى.

ولما هلت أيام عاشوراء التى تجعل الإيرانيين حمقى بسبب المصيبة والعزاء والبدع التى لا أصل لها، وأردت أن أستعرض فنى فى التجـوال بالقربـة، وأقـيم العزاء فى يوم عاشوراء فى ميدان الديوان الذى يعد مسرحا للعرض فى أيام محرم وذلك فى حضور الأمير والى خراسان.

فى العام الماضى كان أحد السقاة يسمى "جاوميش" قد فاز على الجميع فـى سباق التجوال بالقربة. قالوا يجب الحذر من "جاوميش" فلديه آلة جارحة ولا يملـك قلبا. فلم أهتم. وحان الوقت. جلس الأمير فى شرفة عند بداية الديوان ووقف حوله الأكابر والأعيان. دخلت ملطخا بالدماء عن أخرى من جراح السيوف؛ عاريا حتى خصرى، على كتفى قربة ضخمة للغاية مليئة بالماء، ووصلت أسفل الغرفة لاهثـا وعلى كتفى حمل ضخم، وبدأت أنشد الرثاء واستهللته بمدح الأمير. فـسر الأميـر وأنعم على بعملة ذهبية وتعجب الناس لإحسانه وتحيروا لما أنـا عليـه. ولإثبـات فضلى، طلبت طفلا صغيرا وأجلسته على القربة، وقدمت مـشهدا آخـر، فتعالـت صيحات الناس أحسنت أحسنت.

ومن صيحات الاستحسان جرى فى عروقى الكبر وطلبت طفلا آخر لأجلسه على القربة. فانتهز جاوميش الفرصة. وقفز هو نفسه على القربـة وجلـس مـع

الأطفال. ولم ألتفت إلى ثقل ما أحمله وتماسكت قليلا، ولكن صدر صوت من فقرات ظهري. انحنى خصري وتحول كتفي إلى اللون الأزرق من صلابة السلاسل، وتمزق جسدي عن آخره.

وضعت القربة على الأرض ولم أشعر بالألم في حينها ولكن بعد عدة دقائق علمت أن جاوميش قد فعل فعلته، ولم أعد قادرا على حمل القربة. لهذا السبب بعت مستلزمات السقاية وكنت أفضل حالا من وقت قدومي إلى مشهد بالأموال التي جمعتها من السقاية.

كان مستشاري على الحَمَّار قد ذهب إلى طهران للحصول على أجره ولم أكن أستطيع أن أسأله النصح. أردت مقاضاة جاوميش وآخذ دية. قالوا لي لا فائدة: إن حادثتك تبدو في الظاهر خدشا ولا يوجد في الشريعة نص صريح للخدش. أردت اللجوء إلى محامي للمرافعة؛ قالوا إياك أن تلجأ إلى محامي حيث سيبطل ذلك دعواك وسيسلبك أيضا ما تملك. وأرادوا أن يضيعوا حقي هباءً، ولم أقبل. على كل حال كُسر ظهري، وبُح صوتي.

المراجع والمصادر

١-آدميت، فريدون:

١) اميركبيروإيران، چاپ دوم، تهران، ١٣٣٣ش.

٢) فكرآزادى ومقدمة نهضت مشروطيت إيران، تهران، ١٣٣٥ش

امين الدولة، ميرزا على خان: خاطرات سياسى- به كوشش حافظ فرمانفرمائيان، تهران، ١٣٤١ش

براون، ادوارد: انقلاب إيران، ترجمهء احمد پژوه، چاپدوم، تهران، ١٣٣٨ش.

پاولولچ، ترايا- ابرانسكى: انقلاب مشروطيت إيران وريشه هاى اجتماعى واقتصادى آن، ترجمهء م. هوشيار، تهران، ١٣٣٠ش.

تيمورى، إبراهيم: عصر بى خبرى باتاريخ امتيازات درإيران، تهران ١٣٣٢ش.

خان ملك ساسانى، أحمد: سياستگران دورهء قاجار، تهران، ١٣٣٨ش.

سايكس، ژنرال سرپرسى: تاريخ إيران، ترجمهء سيد محمد تقى فخرداعى، تهران، ١٣٣٥ش.

فرهاد معتمد، محمود: تاريخ روابط سياسى إيران وعثمانى، جلد دوم، تهران.

فوريه دكتر: سه سال دردربار إيران (١٣٠٦ - ١٣٠٩) ترجمهء عباس اقبال، تهران، ١٣٢٦ش.

كسروى، احمد: تاريخ مشروطة إيران، چاپ چهارم، بخش يكم.

مكی، حسين: زندگانی ميروا تقی خـــان اميركبيـــر، چاپسـوم، تهــران، ١٣٣٧ش.

ملك آرا، عباس ميرزا: شرح حال–، به اهتمام عبد الحسين نوائی، تهران، ١٣٢٥ش

ناظم الإسلام، محمد: تاريخ بيداری ايرانيان، تهران، ١٣٣٢ش.

هدايت، مهديقلی، خاطرات وخطرات، تهران، ١٣٢٩ش.

٢– چاپ وچاپخانه

اقبال، عباس: نخستين روزنامهء چاپی در إيران، يادگار، سال ١، شماهء ٣، صفحات ٣٩–٥٢.

براون، أدوارد: تاريخ مطبوعات وادبيات ايران، ترجمهء محمد عباســی، جلد دوم، تهران ١٣٣٧ش.

برتلس، ی. أ: تاريخ مختصر ادبيات إيران، لنين گراد، ١٩٢٨م (روسی).

تربيت، محمد علی:

١) مبدأ تاريخ ايرانشناسی در اروپ، مجلة ارمغان، سال ١٢، شمارهء ٧، صفحات ٤٤٨–٤٥٦.

٢) تاريخ مطبعه ومطبوعات إيران، مجلة تعليم وتربيت، سال ٤، صفحات ٦٥٧–٦٦٤ و ٧٢١–٧٢٤.

٣) تأسيس مطبعه وآغاز روزنامه نگاری در إيــران، بــاختر، ســال ٢، صفحات ١٩٣–١٩٨.

تقی زاده، سيد حسن: چاپخانه وروزنامه در إيران، 'روزنامهء كاوه، ســال دوم دورهء جديد، شمارهء ٥، صفحات ١١–١٤.

جواهر کلام، علی: چاپخانه درایـــران، نامـــهء راه (راه نـــو)، ســـال ٤، صفحات ٢٤٣-٢٤٤.

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، ذیل چاپ، صفحات ٣-١٥

مینوی، مجتبی، کاروان معرفت، مجلهء یغما، سال ٦، شمارهء ٨.

٣- روزنامه و روزنامه نویسی

آدمیت، فریدون: امیر کبیر وایران، چاپ دوم، تهران، ١٣٣٤ش.

اعتماد السلطنة، محمد حسن خان:

١) المآثر والآثار، تهران، ١٣٠٦-١٣٠٧، باب ٨، ص ١٥٩.

٢) منتظم ناصری، جلد سوم، تهران، ١٣٠٠.

اقبال، عباس:

١) نخشین روزنامهء فارسی چاپی درایران، مجلهء یا دگار، ســـال ١، شمارهء ٣، صفحات ٤٩-٥٤.

٢) تاریخ رزنامه نگاری در ایران، مجلة یادگار، سال ١، شـــماره ٧، صفحات ٦-١٧.

٣) براون، ادوارد: تاریخ مطبوعـــات وادبیـــات ایـــران در دورهء مشروطیت، ترجمهء محمد عباسی، جلد دوم، تهران ١٣٧٧ ش.

برلتس، ی.أ: تاریخ مختصرادبیات ایران، لینگراد، ١٩٢٨ (روسی).

تقی زاده، سید حسن: روزنامـــه نگـــاری در ایـــران درقـــرن ســـیزدهم، روزنامهء کاوه، سال ٢ دورهء جدید، شمارهء ٦ صفحات ١٣-١٦.

صدر هاشمی، محمد:

۱) چندروزنامهء مهم در زمان ناصر الدین شاه، مجلهء یادگار سال ۲، شماره ۳ صفحات ۵۱-٦۱ شمارهء ٤، صفحات ۵۱-۵۷.

۲) تاریخ جراید ومجلات ایـــران در ٤ جلـــد، اصـــفهان، ۱۳۲۷-۱۳۳۲ش.

صفی نیا، رضا: راجع به تاریخ روزنامه نگاری در ایران، مجلهء یادگار، سال ۲، شمارهء ۱، صفحات ۳۱-۳۷.

کسروی، احمد: تاریخ مشروطهء ایران، چاپ چهارم، بخش یکم، تهران.

مشیری، علی: اولین روزنامهء ایرانی، مجلهء سخن، سال ١٤، شـــمارهء ۷، صفحات ٦۰۹-٦۱۱.

مینوی، مجتبی: کاروان معرفت، مجلهء یغما، سال ٦، شمارهء ۸.

٤- دار الفنون

آدمیت، فریدون: امیرکبیر وایران، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳٤ش.

اعتماد السلطنة، محمد حسن خان: مرآت البلدان، جلد سوم، ۱۲۹٦ه.ق.

اقبال، عباس: بعد ازصدسال، مجلهء یادگار، سال ۵، شماره های ٤-۵.

براون، ادوارد: تاریخ مطبوعات وادبیات ایـــران در دورهء مـــشروطیت، ترجمهء محمد عباس، جلد سوم، تهران، ۱۳٤۱ش.

برتلس، ی.أ: تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنین گراد، ۱۹۲۸ (روسی).

روزنامهء وقایع اتفاقیه، نمرة ۲۹ و ۳۳ مورخ ٤ شوال ۱۲٦۷.

و۳ سفر ۱۲٦۸ هــ ق.

سپهر، میرزا محمد تقی: ناسخ التواریخ، جلـــد قاجاریـــه، وقـــایع ســـال ۱۲٦۸هـــ ق.

هدایت، مهدیقلی، خاطرات وخطرات، تهران ۱۳۲۹ ش.

٥- رضاقلی هدایت:

اعتماد السلطنه، محمد حسن خان: مــرآت البلــدان، جلــد دوم، تهــران، ۱۲۹٥هــق.

اقبال، عباس:

۱) امیر کبیر ومرحوم هدایت، نــشریهء وزارات امــور خارجــه، دورهء ۲، شمارهء ۱، صفحات ٤١-٤٦.

۲) امیر کبیر ومرحوم هدایت، مجلهء یادگار، سال ٤، شــمارهء ٤، صفحات ۹-١٤.

برتلس، ی.أ: تاریخ مختصر ادبیات إیران، لنین گراد، ۱۹۲۸ (روسی).

بیانی، دکتر مهدی: احوال وآثار رضاقلی هدایت معروف بــه لله باشــی، مجلهء پیام نو، دورهء ٦، شمارهء ۱۲، صفحات ۲۷-۳۳.

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، ذیل هدایت

هدایت، رضاقلی خان، مجمع الفصحاء، چاپ دوم، جلــد شــشم، تهــران ۱۳٤۰ ش

هدایت، مهدیلقی: خاطرات وخطرات: تهران، ۱۳۲۹ ش

Churchill, Sidnay: a modern contributor to Perian

Literature, Rezá Kuli Khan and his works. JRAs 18, 1886, 196-296; v.ibid 19, 1887, 163-4.

Relation de l'Ambassade au kbarezm (khiv), pub. Trad, ch Schefer. 2 vol.

٦- اعتماد السلطنة

اعتماد السلطنة، محمد حسن خان: يك پرده از اسرار انحطاط ايـران يـا خوابنامه بامقدمهء شهيد نورائى، مشهد، ١٣٢٤ش.

اقبال، عباس: بعداز صد سال، مجلهء يادگار سال ٥، شمارهء هاى ٤-٥.

برتلس، ى.أ: تاريخ مختصر ادبيات إيران، لنين گراد، ١٩٢٨ (روسى).

تربيت، محمد على " دانمشندان آذربايجان، تهـران، ١٣١٤ش، صـفحات ٤٣-٤٥.

خان ملك ساسانى، احمد: سياستگران دورهء قاجار، تهران، ١٣٣٨ش.

قزوينى، محمد: وفيات معاصرين، مجلهء يادگار، سـال ٣، شـمارهء ٣، ص٣٦.

٧- محمد طاهر ميرزا

جنتى عطائى، ابو القاسم: بنياد نمايش درإيران، تهران ١٣٣٣ش.

نادر ميرزا: تاريخ تبريز، ١٣٢٣، صفحات ٢٢٩-٢٣٠.

٨- امين الدوله

امين الدوله، ميرزا على خان: خاطرات سياسى، تهران، ١٣٤١ش.

براون، ادوارد: انقلاب إيران، ترجمـهء احمـد پژوه، چاپ دوم، تهـران، ١٣٣٨ش

خان ملك ساسانى، احمد: سياستگران دورهء قاجار، تهران ١٣٣٨ش

فتحى، نصرت الله: يك سند منتشر نشده مربوط بـه تـاريخ مـشروطيت، مجلهء يغما، سال ١٥، شمارهء ٤، صفحات ١٧٦-١٨٠.

قرزینی، محمد: وفیات معاصرین – امین الدوله، مجلهء یادگار، سال ۳، شمارهء۳.

کسروی، احمد: تاریخ مشروطهء ایران، چاپ چهارم، بخش یکم، تهران.

ملك زاده، دکتر مهدی: تاریخ انقلاب مشروطیت ایران، جلد اول، تهران، ۱۳۲۷ش

ناظم الاسلام، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۲ش

۹– مستشار الدوله

آدمیت، فریدون: فکر آزادی ومقدمهء نهضت مشروطیت، تهران، ۱۳۳۵ش، صفحات ۱۸۲–۱۹۸.

تربیت، محمد علی: دانشمندان آذربایجان، تهران، ۱۳۱۳ش، صفحات ۳۳۱–۳۳۲.

ملك زاده، دکتر مهدی: تاریخ انقلاب مشروطیت ایران، جلد یکم، تهران.

ناظم الاسلام، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۲ ش، صفحات ۱۷۷–۲۰٤.

۱۰–کوشندگان

طابوف

اعتصام الملك، یوسف: طالبوف. مجلهء بهار، سال یکم، شماره های ۹ و ۱۰، ۱۳۲۹.

افشار، ایرج: شرح حال طالبوف وتألیفات او، مجلهء یغما، سال ٤، شمارهء ٥ ۱۳۳۰ش

برتلس، ی.أ: تاریخ مختصر ادبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸ م (روسی).

دولت آبادی، یحیی: حیات یحیی، جلد سوم، تهرا، ۱۳۳۰ش.

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، نیل طالبوف.

شاه حسینی: ناصر الدین: طالبوف ومشروطیت ایران، اطلاعات ماهانـــه، سال ٤، شماره‌ء ٦، ۱۳۳۰ش.

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، ذیل طالبوف.

شاه حسینی، ناصر الدین: طالبوف ومشروطیت ایران، اطلاعات ماهانـــه، سال ٤، شماره‌ء ٦، ۱۳۳۰ش.

صفوت، محمد علی: داستان دوستان یا تذکره‌ء ادبا وشعرای "آذربایجـــان، قم، ۱۳۱۸ش.

فتحی، نصرت الله: یك سندمنتشر نشده مربوط بـــه تـــاریخ مـــشروطت... مجله‌ء یغما، سال ۱٥، شماره‌ء ٤، ۱۳٤۱ش.

قزوینی، محمد: وفیات معاصرین، مجله‌ء یا دگار، سال ٥، شماره های٤ – ٦، ص ۸٦.

کسروی: احمد: تاریخ مشروطه‌ء ایران، پچاهارم، بخش یکم.

یاسمی، غلا مرضا: طالبوف وکتاب احمد، مجله‌ء ایرانشهر، برلن، سال۲ شماره های، ٥-٦.

۱۱-حاجی زین العابدین مراغه ای

برتلس، ی.أ: تاریخ مختصر أدبیات ایران، لنینگراد، ۱۹۲۸ (روسی).

حاجی زین العابدین مراغی: ترجمه‌ء حال مؤلف، سیاحتنامه ابراهیم بیگ، جلد سوم، کلکته، ۱۹۰۹م.

صدر هاشمی، محمد: تاریخ جراید ومجلات ایران، جلد اول، ص ٦٤.

کسروی، احمد: تاریخ مشروطهء ایران، چاپ چهارم، بخش یکم.

۱۲–میرزا ملکم خان

آدمیت، فریدون: فکر آزادی، تهران، ۱۳٤۰ش.

اعتماد السلطنة: محمد حسن خان: خوابنامه، مشهد، ۱۳۲٤ش.

افشار، ایرج: نثر فارسی معاصر، تهران، ۱۳۳۰ش

اینگورن،.ی.ا: سرگذشت أشرف خان حاکم عربستان، کمدی میرزا ملکم خان بولتن اونیورسیتهء دولتی آسیای میانه، شمارهء ۱٦، ۱۹۲۷.

برتلس، ی.أ: تاریخ مختصر أدبیات إیران، لنینگراد، ۱۹۲۸ (روسی).

تیموری، إبراهیم: عصر بی خبری یا تاریخ امتیازات درایران، تهران، ۱۳۳۲

جنتی عطائی أبو القاسم: بنیاد نمایش در إیران، تهران، ۱۳۳۳ش.

خان ملك ساسانی، احمد:

۱) سیاستگران دورهء قاجار، تهران، ۱۳۳۸ش

۲) میرزا ملکم خان کیست؟ روزنامهء شهباز، سال ۱، شمار ۱–۲، ۱۳۲۲ش

ربیع زاده، هاشم: کلیات ملکم، تهران ۱۳۲۵.

محیط طباطبائی، محمد: مجموعهء آثار ملکم، قسمت أول، تهران، ۱۳۲۷ش.

ملکم، برنس ناظم الدوله: مجموعهء تئاتر، برلین، ۱۳۰۰ش

ناظم الاسلام، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۲ش

۱۳-آخوند زاده – میرزا آقا تبریزی

اقبال، عباس: راجع به تاریخ روزنامه نگاری در ایران، مجلهء یادگـــار، سال ۲، شماره (ذیل مقالهء رضا قلی صفی نیا).

آخوند زاده، میرزا فتحعلی: الفابی جدید ومکتوبات، ۱۹۶۳، باکو.

تربیت محمد علی: دانشمندان آذربایجان، تهران، ۱۳۱٤ش، صـــفحات ۲-۷.

جعفر، م: تنقید وموعظه، مجموعـــهء ادبیـــات، جلـــد دوم، بـــاکو، ۱۹٤۷ (آذربایجانی).

دهخدا، علی اکبر: لغت نامه، ذیل آخوند زاده.

شریف، آ. آ: مقاله به مناسبت هفتاد وپنجمین سال درگذشت میرزا فتحعلی آخوندوف، خلاصهء أخبار دانشکده خاورشناسی، شـــمارهء ۹، مـــسکو، ۱۹۵۳م. (روسی).

شویتوف، آ.م ك نقش آخوندوف در پیـــشرفت ادبیـــات مترقـــی ایـــران، خلاصهء اخبار دانشکدهء خاورشناسی، شمارهء ۹ مسکو ۱۹۵۳م (روسی).

صفی نیا، رضا: میرزا فتحعلی آخوندزاده، پیام نو، سال ۱، شـــمارهء ۵، صفحات ۱-۱٤.

کوچرلو: فریدون بیگ: رساله به مناسبت صدمین سال تولد میرزا فتحعلی آخوندوف، تفلیس، ۱۹۲۱م (آذربایجانی).

نفیسی، سعید:

۱) میرزا فتحعلی آخوندروف، مجلهء پیام نوین، سال ۵، شمارهء ۲.

۲) جشن صد وپنجاه سالگی ولادت میرزا فتحعلی آخوندوف، مجلهء پیام

نوین، سال ٥، شماره‌ء ٣.

یني کولویف، ای: از تاریخ نخشین نمایش ترکی نمایشنامه هـای میـرزا فتحعلی آخوند زاده، مجله‌ء فرهنگ وخـط شـرق، مجلـد دوم، بـاکو، ١٩٢٨م (روسی).

ـــــــ، شرح حال آخوندوف به قلم خـود او، روزنامـه‌ء کـشکول، شماره‌ء های ٤٣-٤٥، تفلیس، ١٨٧٧م.

قاسم زاده، ف. وعارف، م. ومیر جلال: تاریخ مختصر ادبیات آذربایجان، جلد دوم، باکو ١٩٤٤م. (آذربایجانی).

ـــــــ، یادی ازآخوندازاده، مجله‌ء راهنمای کتاب، سال ٥، شماره های ٨-٩.

ـــــــ، آخوندوف، فرهنگ دایره المعارف روسی تحت نظر ورودنسکی، مسکو.

ـــــــ، تالیفات میرزا فتحعلی آخوندوف، ٣ جلـد، بـاکو ١٩٥٠-١٩٥٥ (آذربایجانی).

ـــــــ، مشخصات آثار میـرزا فتحعلـی آخونـدوف، بـاکو، ١٩١٥م. (روسی).

ـــــــ، آثار فلسفی وسیاسی میـرزا فتحعلـی آخونـدوف، بـاکو، ١٩٤٠م. (روسی).

١٤-میرزا شفیع - بودنشتدت

آکادمی علوم آذربایجان: تاریخ مختصر ادبیات آذربایجان، جلد دوم، باکو، ١٩٤٤ (آذربایجانی).

سید زاده، ا.ا. میرزا شفیع یا بودنشتدت؟ باکو، ۱۹۴۰م. (روسی).

قاسم زاده، ف. وجعفر اوف، ج: کتاب ادبیات برای کلاس نهم، باکو ۱۹۵۴ (آذرباجانی).

وکوجرلو، فریدون بیگ: رساله به مناسبت صدمین سال تولد میرزا فتحعلی آخوندزا تفلیس، ۱۹۲۱م، (آذربایجانی).

میرزا شفیع:

۱) غزلیات، متن ألمانی، برلن.

۲) غزلیات، ترجمهء ك.س. پرودان، ۱۹۰۳م (روسی).

۳) اشعار، ترجمهء م. سید زاده، مجلهء ادبیات، شماره های ۳۶: دسامبر ۱۹۵۲م (آذربایجانی).

ینی کولویف، ای. ك: شاعر میرزا شفیع، باکو، ۱۹۳۸ (روسی باخلاصه ای زبان فرانسه).

Biodenstedt, Friedrich. Tausend und ein tag in Orient, Berlin, 1850.

Bodenstedt, Friedrich, Die Lieder des Mirza Schaffy mit einem prolog von Friedrich von Bodenstedt. Berlin, 1851.

Dr. Kurt Sundermeyer, Friedrich Bodenstedt und die "Lieder des Mirza Schaffy", Disserlation, Kiel 1930.

۱۵- سید جمال الدین

آسد آبادی، میرزا لطف الله:

۱) شرح حال وآثار سید جمال الدین آسدآبادی مشهور به افغانی، جلداول، برلین ۱۳۰۴ش.

۲) مقالات جمالیه، تهران، ۱۳۱۲ش

اعتماد السلطنه، محمد حسن خان: المآثر والآثار، تهـران، ۱۳۰۶، ص ۲۲٤.

افشار، ایرج: اسناد جدید دربارهء سید جمال الدین مجلهء مهر. سـال ۱۰، شمارهء ۳، ٤ صفحات ۳۳۲ –۳۳۷.

امین الدوله، میرزا علی خان: خاطرات سیاسی، تهران، ۱۳٤۱ ش.

براون، ادوارد: تاریخ انقلاب ایران، ترجمهء احمد پژوه. چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۷ش.

تقی زاده، سید حسن:

۱) سید جمال الدین افغانی (در مردان خود ساخته)، تهران ۱۳۳۰ش.

۲) سید جمال الدین. روزنامهء کاوه، سال ۲، شماره های، ۳ و ۹.

جمالی اسد آبادی، صفات الله: اسناد ومدارك دربارهء ایرانـی الاصـل بودن سید جمال الدین اسد آبادی، تهران، بی تاریخ.

خان ملك ساسانی، احمد: سیاستگران دورهء قاجار، تهران، ۱۳۳۸ش.

خسروشاهی، سید هادی: دفاع از سید جمال الدین حسینی اسد آبادی، چاپ دوم، تهران، ۱۳٤۳ش.

دانشگاه تهران: مجموعهء اسناد ومدارك چاپ نشده دربارهء سید جمال الدین مشهور به– افغانی، تهران، ۱۳۳۲ ش.

رضا، محمد رشید: تاریخ أستاذ الإمام الشیخ محمد عبده، مـصر، ۱۳۵۰ هــق.

زیدان، إبراهیم: تعلیم القرائة، جلد خامس.

زیدان، جرجی: مشاهیر الشرق، جلددوم، قاهره، ۱۹۰۳.

صفائی ملایری، ابراهیم: رهبران مشروطه، جزوهء أول، سید جمال الدین افغانی، تهران، ۱۳٤۳ش.

عبد الغفار، قاضی: آثار جمال الدین افغانی. دهلی، ۱۹٤۰م.

قزوینی، محمد: وفیات معاصرین، مجلهء یادگار، سال ۳، شمارهء ٤.

کسروی، أحمد: تاریخ مشروطهء إیران، چاپ چهارم، بخش یکم، تهران.

لوشانی، پرویز: سید جمال الدین أسد آبادی مغز متفکر انقلاب ومشروطیت إیران، مجلهء روشنفکر، شماره مای، ٥٤۸-٥٦۰ (فروردین – تیر ۱۳٤۳ش)

محمود، محمود: تاریخ روابط سیاسی إیران وانگلیس، جلدهای چهارم وپنجهم، تهران، ۱۳۳۱ش.

مدرس، محمد علی: ریحان الادب، جلد یکم، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳٥ش.

مدرسی، چهاردهی، مرتضی: سید جمال الدین اسد آبادی، تهران، ۱۳٤۳ ش.

ملك زاده، دکتر مهدی: تاریخ انقلاب مشروطیت إیران، جلداول، تهران، ۱۳۲۷ش.

هدایت، مهدیقلی: خاطرات وخطرات، تهران، ۱۳۲۹ش.،

۱٦- روشنفكران دیگر

میرزا آقاخان کرمانی

اسدآبادی، میرزا لطف الله: شرح حال وآثار سید جمال الدین اسد آبادی معروف به افغانی جلد اول، برلین، ۱۳۰٤ش.

براون، ادوارد: انقلاب ایران، ترجمهء احمد پژوده، چاپ دوم، صـــفحات ٩٢-٩٤ و ٤٠٧-٤١١

کسروی، احمد: تاریخ مشروطهء ایران، چاپ چهارم، بخش یکم.

ناظم الإسلام، احمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ١٣٣٢ش

روحی

اسد آبادی، میرزا لطف الله: شرح حال وآثار سید جمال الدین اسد آبـــادی معروف به افغانی، برلین، ١٣٠٤ش.

براون ادوارد: انقلاب ایـــران، ترجمـــهء احمـــد پژوه، چاپ دوم، تهـــران ١٣٣٧ش، صفحات ٩٢-٩٤ و ٤١٠-٤١١.

قزوینی، محمد روحی، مجلهء یادگار، سال ٣، شـــمارهء ١٠، صـــفحات ١٧-٢١.

کسروی، احمد: تاریخ مشروطهء ایران، چاپ چهارم، بخش یکم.

ناظم الاسلام، محمد: تاریخ بیداری ایرانیان، چاپ دوم، تهران، ١٣٣٢ش

١٧- میرزا حبیب اصفهانی

استوارت، ت.و: مقدمة برکتاب حاجی بابا اصفهانی، لندن، ١٩٥٤م

اقبال، عباس: کتاب حاجی بابا وداســـتان نخـــستین محـــصلین ایرانـــی در فرنگ، مجلهء یادگار، سال ١، شمارهء ٥، صفحات ٢٨-٥٠.

افشار: ایرج:

١) مترجم حاجی باباکیست؟ مجلهء جهان نو، سال ٣، ١٣٣٤ ش.

٢) میرزا حبیب اصفهانی، مجلهء یغما، سال ٣، شمارهء ١٠، ١٣٣٩ش.

۳) آثار میرزا حبیب اصفهانی، مجلــهء یغمــا، ســال ۱٦، شــمارهء ۲، ۱۳٤۲ش.

بهار، محمد تقی ملك الشعراء: سبك شناســی، جلــد ســوم، چاپ دوم، ص ۳٦٦.

خان ملك ساسانی، احمد: میرزا حبیب اصفهانی، مجلهء ارمغان، سال ۱۰، صفحات ۱۱۰-۱۲۰ و ۲٦۸ – ۲۷۲.

شمس، صباح الدین: احتجاجات وسؤالات، مجلهء یغما، سال ۱٤، شمارهء ٤، صفحات ۱۹۰-۱۹۲.

فیلوت: ماژرد:ت: مقدمه بر ترجمهء كتاب حاجی بابا اصــفهانی، كلكتــه، ۱۹۰۵م.

مشیری، علی: مطالب جالب ومهم در بارهء كتاب حاجی بابا (قسمت دوم)، مجلهء وحید سال ۲، شمارهء ۱.

نفیسی، سعید: مترجم كتاب حاجی بابــا، مجلــهء جهــان نــو، ســال ۳، ۱۳۳٤ش.

تواريخ وأحداث

١٣ صفر ١١٩٣	وفاة كريم خان الزندى فى شيراز. ظهور آغا محمد خان.
ربيع الأول ١٢١٠	حملة آغا محمد خان على بلاد الكرج وفتح مدينة تفليس.
النيروز عام ١٢١٠	تتويج آغا محمد خان القاجارى
غرة محرم ١٢١١	حملة آقا محمد خان الثانية على بلاد الكرج
ذو القعدة ١٢١١	حملة آغا محمد خان على قلعة شوشى والسيطرة عليها.
٢١ ذو الحجة ١٢١١	مقتل آغا محمد خان عند قلعة شوشى.
شوال ١٢١٢	جلوس فتحعلى شاه.
محرم ١٢١٤	وصول ولى العهد عباس ميرزا إلى تبريز للإقامة بها والقضاء على متمردى أذربيجان.
أواخر ربيع الأول ١٢١٤	وصول مهدى عليخان حشمت جنگ مبعوث الحاكم البريطانى فى الهند.
جمادى الأخرة ١٢١٥	وصول السير جان ملكم السفير الرسمى لحاكم الهند اللورد ولسلى والوفد الممثل لإنجلترا إلى طهران.
١٢ شعبان ١٢١٥، ٥ يناير ١٨٠١م	عقد اتفاقية تجارية وسياسية بين إيران وإنجلترا بتمثيل السير جان ملكم والحاج إبراهيم كلانتر اعتماد الدولة الصدر الأعظم الإيرانى.
شوال ١٢١٥	إرسال الحاج محمد خليل خان القزوينى التاجر

	البوشهرى إلى الهند سفيرا برفقة ملكم (قتل فى بومباى فى أواسط ربيع الأول ١٢١٧- ٢٠ يولية ١٨٠٢).
غرة ذى الحجة ١٢١٥	سمل عينى الحاج إبراهيم خان اعتماد الدولة الصدر الأعظم الإيرانى بأمر فتحعلى شاه (وكان قد تقلد الصدارة فى شعبان ١٢٠٩).
رمضان ١٢١٨	محاصرة الجنرال سيسيانوف لمدينة كنجة وبداية الحرب الإيرانية- الروسية.
غرة شوال ١٢١٨	سيطرة سيسيانوف على كنجة وضمها لروسيا
١٤ صفر ١٢١٩	تحرك ولى العهد من تبريز عازما قتال الروس.
ذو الحجة ١٢١٩	مقتل الجنرال سيسيانوف على يد الإيرانيين فى كنجة.
١١ربيع الأول ١٢٧٣، أول نوفمبر ١٨٥٦	احتجاج حاكم الهند على غزو إيران لهراة وإعلان الحرب على إيران من طرف بريطانيا وقطع العلاقات بين الدولتين.
٢٤ ربيع الأول ١٢٧٣	توجه أمين الملك من إسطنبول إلى باريس.
٥ ربيع الثانى ١٢٧٣	نزول القوات البريطانية فى بوشهر والاستيلاء على جزيرة خارك.
٧رجب ١٢٧٣، ٤ مارس ١٨٥٧	توقيع اتفاقية الصلح بين إيران وإنجلترا فى باريس بنيابة فرخ خان أمين الملك مبعوث ناصر الدين شاه، والتعهد بالانسحاب من هراة وفقدان إيران حق السيادة على أفغانستان.

٢٧ ذو القعدة ١٢٧٣	رفع العلم البريطانى فى طهران مجددا.
٢٥ محرم ١٢٧٤	وفاة ميرزا عباس فروغى البسطامى.
– ربيع الأول ١٢٧٤	الانتهاء من تأليف (روضة الصفاى ناصرى: روضة الصفاء الناصرية).
٢٠ محرم ١٢٧٥	عزل ميرزا آقا خان نورى اعتماد الدولة من الصدارة.
– ١٢٧٥	تأسيس ما يسمى مجلس الوزارة على نسق الدول الأوروبية. تأسيس دار الشورى الحكومية الكبرى برئاسة ميرزا جعفر خان مشير الدولة. تعيين الأمير عليقلى ميرزا وزيرا للعلوم.
٦ ربيع الثانى ١٢٧٦	وفاة ميرزا أبى الحسن يغما الجندقى.
٥ صفر ١٢٧٧	إصدار أول عدد من "روزنامة دولت عليه إيران"
أواخر عام ١٢٧٨	وفاة سيد جعفر خان مشير الدولة.
جمادى الآخرة ١٢٧٩	إعداد كتيب أسس إدارة دار العدل على يد ميرزا حسن خان سپهسالار.
– – ١٢٧٩	بداية دعوة ميرزا حسينعلى بهاء الله فى بغداد.
– – ١٢٨٠	تشغيل أول خطوط التلغراف من خانقين إلى طهران ومن طهران إلى بوشهر (بواسطة الإنجليز).
١٢ شوال ١٢٨١	وفاة ميرزا آقا خان نورى وصدارة ميرزا محمد خان سپهسالار بن أمير خان سردار.
– – ١٢٨٤	وفاة ميرزا محمد خان سپهسالار وصدارة ميرزا يوسف خان مستوفى الممالك.

- - ١٢٨٥	وفاة ميرزا محمد علي سروش الأصفهاني.
٢٩ رمضان ١٢٨٧	تعيين ميرزا حسين خان مشير الدولة سـبهـسالار وزيرا لوزارة العدل والعمل والأوقاف.
- - ١٢٨٧	مد خطوط التلغراف من الهند لأوروبا عـن طريـق بوشهر وبندر عباس.
١٠ ربيع الآخر ١٢٨٨	وفاة رضا قلي خان الله باشي.
٢٩ شعبان ١٢٨٨	صدارة الحاج ميرزا حـسين خـان مـشير الدولـة سـپهسالار.
- - ١٢٨٨	قحط شديد بإيران.
١٨ جمادى الأولى ١٢٨٩، ٢٥ يوليه ١٨٧٢	منح امتياز استغلال كافة المرافق الحيوية في إيـران للبارون جوليوس دو رويتر (ألغى هذا الامتياز فـي رمضان عام ١٢٩٠).
١٢- ٢٠ شعبان ١٢٨٩	إعداد لائحة إنشاء "البلاط الأعظم" المقترحة من قبل ميرزا حسين خان سـپهسالار وتصديق ناصر الدين شاه عليها.
٢ شوال ١٢٨٩	افتتاح مجلس شورى للوزراء (نُـشر ذلـك الخبـر للأهالي في العدد الرابع من ذي القعدة في الـصحيفة الإيرانية الرسمية).
- - ١٢٨٩	اقتطاع جزء من سيستان وبلوشستان من إيران بقرار السير فردريك جولد سميث.
العشر الأواخـر مـن ذي الحجة ١٢٨٩	وفاة الحاج ملاهادي السبزواري.

٩ صفر ١٢٩٠، ٦ أبريل ١٨٧٣	الاقتراض من البارون جوليوس دو رويتر لنفقات رحلة ناصر الدين شاه الأولى إلى أوروبا.
٢١ صفر ١٢٩٠	رحلة ناصر الدين شاه الأولى إلى أوروبا برفقة ميرزا حسين خان سپهسالار.
١٤ رجب ١٢٩٠	عودة ناصر الدين شاه من أوروبا وعزل سپهسالار من الصدارة.
٢٠ شوال ١٢٩٠	تعيين سپهسالار وزيرا للشئون الخارجية (ولكن ظلت مقاليد الأمور فى الواقع فى يده حتى عام ١٢٩٧هـ.ق).
- - ١٢٩١	وفاة ميرزا نصر الله شهاب الأصفهانى.
١٦ ذى الحجة ١٢٩٢	إصدار صحيفة (اختر) الفارسية فى إسطنبول وتولى آقا محمد طاهر التبريزى إدارتها
- جمادى الآخرة ١٢٩٣	تفويض ميرزا حسين خان سپهسالار لتأجير مصايد الأسماك فى بحر قزوين لاستيفان ليانازوف الروسى (ألغيت الاتفاقية بعد ثورة أكتوبر فى ٢١ شعبان ١٣٣٦ هـ.ق من طرف وزير الاقتصاد مشاور الممالك).
- - ١٢٩٤	تشكيل لجنة علمية لإعداد "نامۀ دانشوران" تحت إشراف عليقلى ميرزا اعتضاد السلطنة، الاستعانة ببعثة عسكرية من النمسا.
٢٥- صفر ١٢٩٥، ٢٨ فبراير ١٨٧٨	وفاة ميرزا فتحعلى آخوزندزاده فى مدينة تفليس.

– ربيع الأول ١٢٩٥	رحلة ناصر الدين شاه الثانية لأوروبا.
– رجب ١٢٩٥	عودة ناصر الدين شاه من رحلته الثانية لأوروبا.
– محرم ١٢٩٦	توقيع اتفاقية تأسيس فرقة القوزاق تحت إشراف المسئولين الروس ورئاسة الكولنيل دومانتويتش.
– – ١٢٩٦	وصول المسئولين النمساويين إلى إيران.
– ربيع الآخر ١٢٩٧	وفاة ميرزا محمد تقى لسان الملك مؤلف ناسخ التواريخ.
– – ١٢٩٧	بداية فتنة الشيخ عبيد الله كرد.
أوائل شوال ١٢٩٧	عزل سپهسالار من الصدارة وإبعاده إلى قزوين.
٢٤ شوال ١٢٩٧	وصول الأكراد المتمردين إلى ساوجبلاغ والسيطرة على تلك المدينة.
١٦ ذى الحجة ١٢٩٧	وصول سپهسالار إلى ساوجبلاغ للقضاء على الشيخ عبيد الله وأتباعه.
٢١ ذى الحجة ١٢٩٧	فرار الشيخ عبيد الله للأراضى العثمانية.
٩ محرم ١٢٩٨	وفاة عليقلى ميرزا اعتضاد السلطنة. تكليف محمد حسن خان اعتماد السلطنة بإدارة (نامهء دانشوران).
١١ ذى الحجة ١٢٩٨	وفاة ميرزا حسن خان سپهسالار فى خراسان. صدارة ميرزا يوسف خان مستوفى الممالك.
٢٢ محرم ١٢٩٩	عقد اتفاقية بين إيران وروسيا بشأن ترسيم الحدود بين الدولتين فى الجهة الشرقية لبحر قزوين.
منتصف ربيع الأول ١٢٩٩	وفاة ميرزا محمد إبراهيم نواب بدايع نكار.

غرة محرم ١٣٠٠	إصدار صحيفة "شرف" (صدرت هذه الصحيفة مرة أخرى في بداية عهد مظفر الدين شاه باسم "شرافت").
٢ جمادى الأولى ١٣٠٠	وفاة السلطان مراد ميرزا حسام السلطنة فاتح هراة.
١٥ جمادى الأولى ١٣٠١	إصدار صحيفة "العروة الوثقى" في باريس والتي تولى إدارتها السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده.
١٠ صفر ١٣٠٣	وفاة نادر ميرزا مؤلف تاريخ تبريز.
- - ١٣٠٣	وصول السيد جمال الدين الأفغاني إلى طهران.
- - ١٣٠٥	وفاة الأمير فرهاد ميرزا.
٢٤ صفر ١٣٠٦، ٣٠ أكتوبر ١٨٨٨	إصدار قرار بحرية الملاحة في نهر كارون.
٢٧ جمادى الأولى ١٣٠٦، ٣٠ يناير ١٨٨٩	منح امتياز تأسيس البنك الشاهنشاهي للبارون جوليوس دو رويتر. اقتراض أربعين ألف ليرة من جورج رويتر من أجل نفقات رحلة الشاه الثالثة لأوروبا.
١٢ شعبان ١٣٠٦	الرحلة الثالثة لناصر الدين شاه إلى أوروبا بصحبة ميرزا على أصغر خان أمين السلطان.
٢٢ ذي القعدة ١٣٠٦	منح امتياز الياناصيب للسيد بوزيك كاردويل سكرتير السفارة الإيرانية في لندن. (وكان ملكم نفسه صاحب الامتياز الفعلي، ثم منحه لشركتين بريطانيتين إلا أن هذا الامتياز ألغي في ١١ربيع الأخر ١٣٠٧ بسبب صدور فتوى من العلماء بتحريمه ولأسباب أخرى.

٢١ ذى الحجة ١٣٠٦	لقاء ناصر الدين شاه بالسيد جمال الدين الأفغانى فى ميونخ ودعوة الشاه له للذهاب إلى ايران.
٢٤ صفر ١٣٠٧	عودة ناصر الدين شاه من الرحلة الثالثة لأوروبا ووصوله إلى طهران.
٧ ربيع الآخر ١٣٠٧	منح امتياز تعبيد الطريق من طهران إلى سواحل الخليج الفارسي ليحيى خان مشير الدولة شقيق ميرزا حسين خان سپهسالار (انتقل هذا الامتياز إلى مستثمرين بريطانيين فى الرابع عشر من جمادى الآخرة من نفس العام ثم انتقل منهم إلى البنك الملكى (الشاهى) ومنه إلى شركة "لينتش" إلى أن ألغى فى الثاني من ربيع الأول ١٣٤٠ المعادل الحادى عشر من آبان ١٣٠٠ش.
٧ ربيع الثاني ١٣٠٧	رحلة السيد جمال الدين الأفغانى الثانية إلى إيران.
٢٩ جمادى الآخرة ١٣٠٧، ٢٠ فبراير ١٨٩٠	إصدار صحيفة القانون فى لندن وتولى ميرزا ملكم خان إدارتها.
٢٤ رجب ١٣٠٧	عزل ملكم وإلغاء ألقابه ومناصبه.
– شعبان ١٣٠٧	منح امتياز الملاحة فى أعالى كارون للحاج آقا محمد معين التجار الدهدشتى.
١١ رمضان ١٣٠٧	منح امتياز تأسيس بنك الرهونات والقروض للروسى جاك بولياكوف ومنح للحكومة الإيرانية بعد ثورة أكتوبر بموجب الفصل التاسع من معاهدة الصداقة بين إيران والاتحاد السوفيتى المؤرخة عام ١٩٢١.
– جمادى الأولى ١٣٠٨	إبعاد السيد جمال الدين الأفغانى من إيران للمرة

الثانية.

٢٠ رجب ١٣٠٨	وفاة أبى نصر فتح الله خان الشيبانى.
٢٨ رجب ١٣٠٨	منح امتياز احتكار التبغ إلى المايجور تالبوت (ألغى هذا الامتياز بسبب اعتراض العلماء والأهالى فى جمادى الأولى ١٣٠٩).
– رجب ١٣٠٩، – فبراير ١٨٩٢	إصدار السيد جمال الدين الأفغانى صحيفة "ضياء الخافقين" فى لندن.
٢٨ شوال ١٣٠٩، ١٥ مايو ١٨٩٢	الاقتراض من البنك الشاهنشاهى فى مقابل دخل جمارك الجنوب من أجل تسديد التعويض عن إلغاء امتياز التبغ.
٣ ذى القعدة ١٣٠٩	وفاة ميرزا حسينعلى بهاء الله.
– – ١٣١٠	صدارة ميرزا على أصغر خان أمين السلطان.
– – ١٣١٠	إصدار صحيفة "حكمت" فى القاهرة وتولى ميرزا مهديخان زعيم الدولة التبريزى إدارتها.
١٠ جمادى الآخرة ١٣١١	إصدار صحيفة حبل المتين فى كلكتا وتولى سيد جلال الدين الكاشانى مؤيد الإسلام إدارتها.
– – ١٣١١	وفاة محمود خان ملك الشعراء
١٨ شوال ١٣١٣	وفاة محمد حسن خان مقدم اعتماد السلطنة.
١٨ ذى القعدة ١٣١٣	اغتيال ناصر الدين شاه فى مسجد الشاه عبد العظيم على يد ميرزا رضا الكرمانى.
٢٤ ذى الحجة ١٣١٣	جلوس مظفر الدين شاه.

- - ١٣١٣	وفاة ميرزا يوسف خان مستشار الدولة.
٦ صفر ١٣١٤	إعدام ميرزا آقا خان الكرماني والشيخ أحمد روحي وميرزا حسن خان خبير الملك بأمر محمد علي ميرزا في تبريز.
٣ ربيع الأول ١٣١٤	إعدام ميرزا رضا الكرماني قاتل ناصر الدين شاه.
٥ شوال ١٣١٤	وفاة السيد جمال الدين الأفغاني في إسطنبول.
- - ١٣١٥	وفاة ميرزا حبيب الأصفهاني.
- - ١٣١٦	وفاة محمد طاهر ميرزا مترجم أعمال الكساندر دوما.
٥ رمضان ١٣١٧	وفاة حسنعلي خان أمير نظام كروسي في كرمان.

نهاية المجلد الأول



ملحق الصور



فتحعلی‌خان صبا

نمونه خط نشاط اصفهان



جلوس فتحعلی‌شاه

فتحعلی‌شاه



عباس میرزا





نشاط اصفهانی

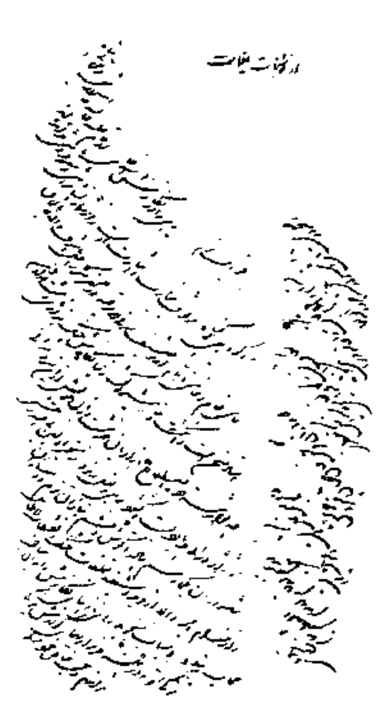
وصال شیرازی



میرزا ابولقاسم قائم‌مقام

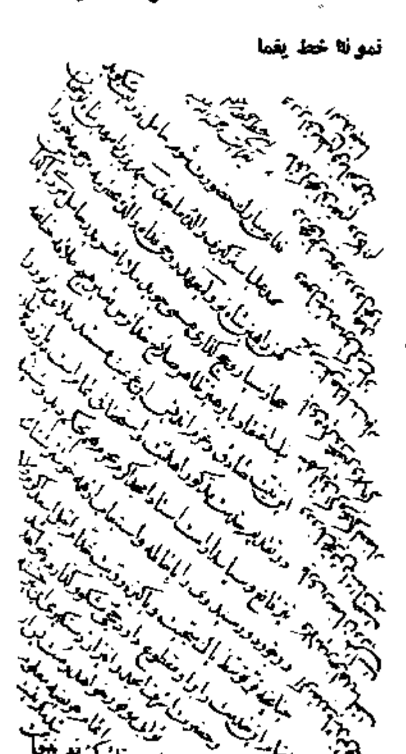


سروش اصفهانی



نمونهٔ خط یغما

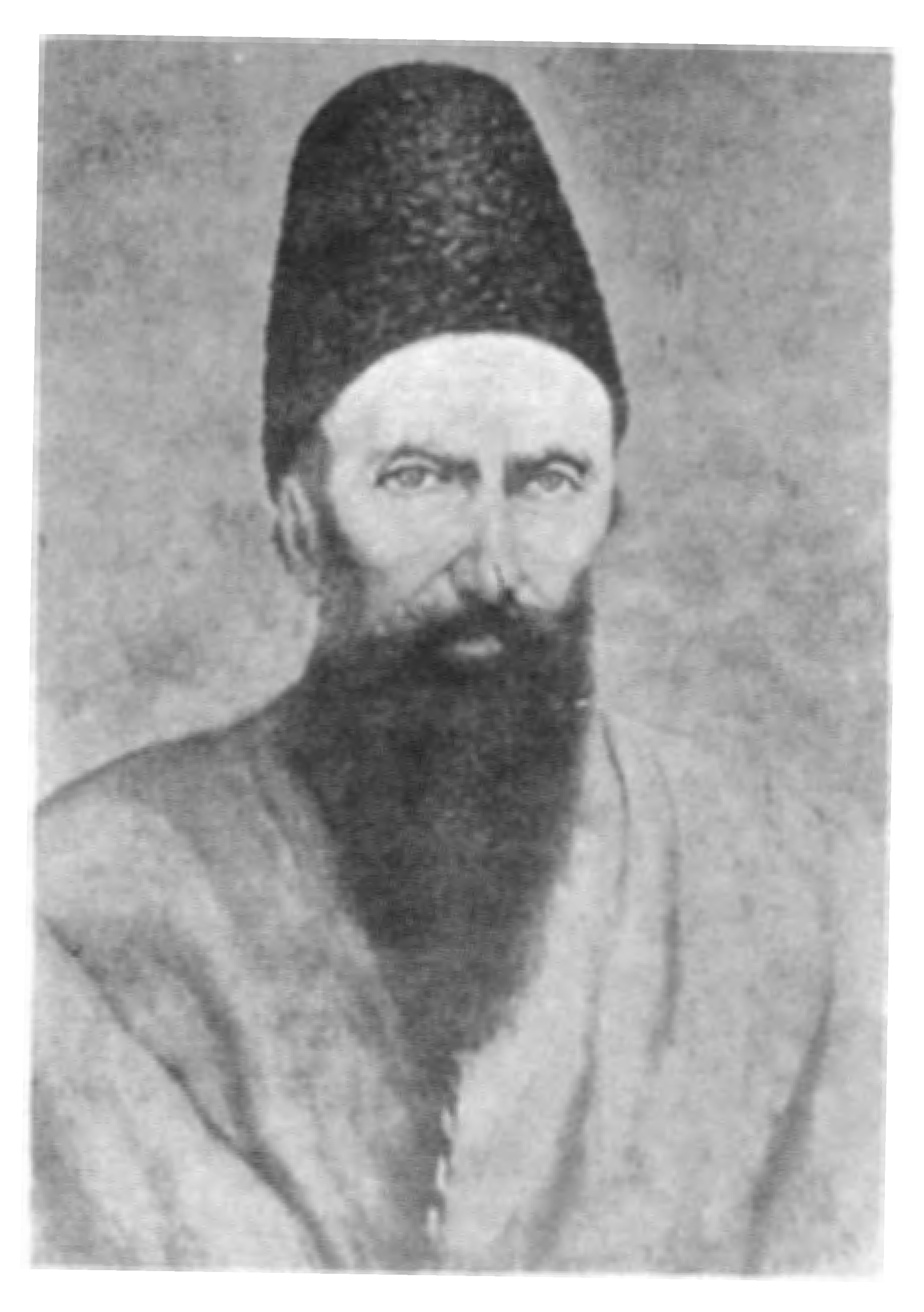
نمونهٔ خط یغما



یغما جندقی



قاآنی



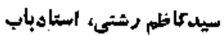
محمود خان ملک الشعرا

نمونهٔ خط محمودخان ملک‌الشعرا (متن نامه)

فتح‌الله خان شیبانی

سیدعلی‌محمدباب




سیدکاظم رشتی، استادباب





قرة‌العین

عکسی است که مادام دیولافوا، سیاح فرانسوی، در سال ۱۸۸۱–۱۸۸۲م از مشارالیها تهیه کرده.
نقل از مجلهٔ «نامهٔ لندن»، دورهٔ دوم، شمارهٔ ۱۳، ص ۱۲۳.



مجدالملک



لسان‌الملک سپهر

فرهاد میرزا معتمدالدوله



حسنعلی خان امیر نظام گروسی



حاج ملاهادی سبزواری



روزنامه وقایع اتفاقیه

اخبار داخله ممالک محروسه پادشاهی

دارالخلافه طهران



میرزا صالح شیرازی



مآثر سلطانی

رسالهٔ تعلیم نامه در عمل آبله‌زدن

گلستان سعدی، اولین چاپ

رسالهٔ عملیه در بیان احکام



روزنامه ملتی

اخبار داخله ممالک محروسه

روزنامه علمیه دولت ایران



روزنامه دولت علیه ایران



اخبار داخله ممالک محروسه



روزنامه دولتی

روزنامهٔ علمیهٔ دولت علیهٔ ایران

تاریخ بیست و ششم اسفند ماه مطابق ... سال هشتصد و هشتاد و پنج ...

[illegible]

صفحه‌ای از روزنامهٔ علمیهٔ دولت علیهٔ ایران به زبان فرانسه

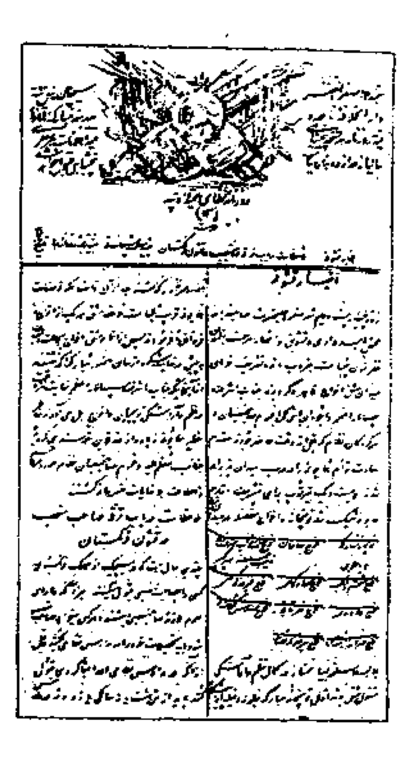
N° ... Téhéran ... Avril 186... (... 128...)

[illegible]



العجمیه	العربیه	الایام
[illegible]	۱ [illegible]	یکشنبه
[illegible]	۲	دوشنبه
[illegible]	۳	سه‌شنبه
[illegible]	۴	چهارشنبه
[illegible]	۵	پنجشنبه
[illegible]	۶ [illegible]	جمعه
[illegible]	۷ [illegible]	شنبه
[illegible]	۸	یکشنبه
[illegible]	۹ [illegible]	دوشنبه
[illegible]	۱۰ [illegible]	سه‌شنبه
[illegible]	۱۱ [illegible]	چهارشنبه
[illegible]	۱۲	پنجشنبه
[illegible]	۱۳	جمعه
[illegible]	۱۴	شنبه
[illegible]	۱۵ [illegible]	یکشنبه
[illegible]	۱۶ [illegible]	دوشنبه
۱۵	۱۷ [illegible]	سه‌شنبه
[illegible]	۱۸	چهارشنبه
[illegible]	۱۹ [illegible]	پنجشنبه
[illegible]	۲۰	جمعه
[illegible]	۲۱ [illegible]	شنبه
[illegible]	۲۲ [illegible]	یکشنبه
[illegible]	۲۳	دوشنبه
۲۲	۲۴	سه‌شنبه
۲۳	۲۵ [illegible]	چهارشنبه
[illegible]	۲۶ [illegible]	پنجشنبه
[illegible]	۲۷	جمعه
[illegible]	۲۸ [illegible]	شنبه
[illegible]	۲۹	یکشنبه
[illegible]	۳۰	دوشنبه

صفحه‌ای از سالنامهٔ ایران







دانش



مریخ

اختر

تلگرافها

قانون

العدد الثاني عشر

السنة الاولى

العروة الوثقى

لا انفصام لها

مدير السياسة

جمال الدين الحسيني الافغاني

Directeur Politique

GEMAL-ED-DIN EL-AFGHAN

المحرر الاول

الشيخ محمد عبده

Rédacteur en Chef

CHEICK MOHAMED ABDO

9, rue Martel, à Paris

جريدة سياسية ادبية

تصدر يوم الخميس

يوم الخميس في ١٥ رمضان سنة ١٣٠١

١٠ يوليه سنة ١٨٨٤

[illegible]

پنجشنبه [illegible] جمادی الثانیه ۱۳۰[illegible] هجری
اینجا نزدیک
سمت روزنامه ایران جاماداده میشود
قیمت اعلان
سطری یک هزار دینار

[illegible] مارس ماه فرانسه [illegible]
غیر [illegible] روزنامه ایران هر [illegible]
روزنامه [illegible] شود [illegible]
طهران قیمت سالیانه [illegible] هزار دینار
[illegible]

اطلاع

این روزنامه کلیه [illegible] امر [illegible] مفید [illegible] الاطلاع عامه باشد [illegible] در [illegible] الاطلاع [illegible]

فهرست اخبار مندرجه در این روزنامه

سیاسیه

[illegible]

ناصری



تربیت

ثریا

۱۸۹۸ م ۱۳۱۶

پنجم جمادی الاخر سنهٔ ۱۳۱۶ هجری مطابق ۵ نوامبر سنهٔ ۱۸۹۸ مسیحی

حبل المتین

پرورش

۱۹۰۰ — ۱۳۱۸

(عنوان مراسلات)
اداره (پرورش)

Mirza Ali
Mohamed Khan
Parvaresh
N. 106
Caire (Egypte)

(قیمت آبونه سالیانه)

﴿ این روزنامه هر هفته یکروز شنبه طبع میشود ﴾

(روز دوشنبه سوم شهر ربیع الثانی ۱۳۱۸ هجری — مطابق ۳۰ شهر ژوئیه ۱۹۰۰ مسیحی)

فهرست مندرجات

سیاسی — تلگرافی — ورود اعلیحضرت همایونی به پطرزبورغ — جنگ … — رفتار اعلیحضرت همایونی … — جریدهٔ … — اخبار تجاری

﴿ سیاسی ﴾

مسئله چین هر روز لونی جدید و رنگی نوین گرفته … تلگرافات … تکذیب … جراید … تلگرافات … سفرا … جریده … کلکور آسیائی خبر تکذیب قتل سفراء …

وچنان … هیچ از حرکت … جنگ … تلگراف … نشده … مسئله …

خلاصة الحوادث

جزیره کرت

چین

آلمان

مصر

هلند

انگلستان

حدید

(فهرست مندرجات)

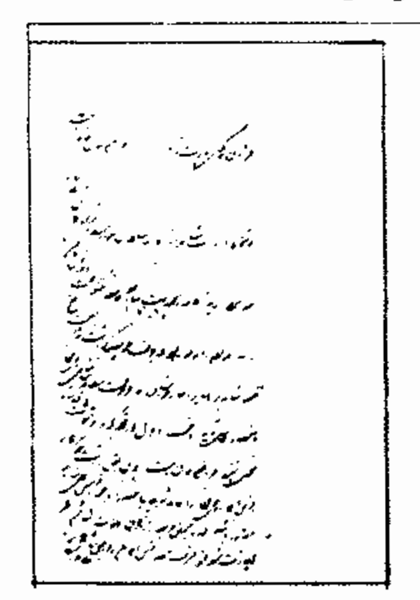
اخبار تلگرافی

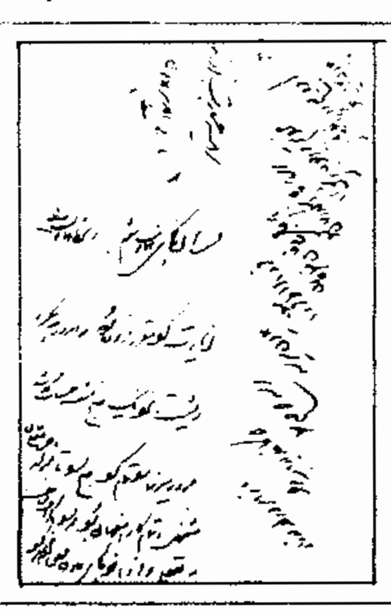




اعتضادالسلطنه

دو نامه به‌خط امیرکبیر به ناصرالدین شاه







میرزاتقی‌خان امیرکبیر



امین الدوله



رضاقلیخان هدایت

میرزا یوسف‌خان مستشارالدوله





اعتمادالسلطنه



کمال‌الملک



تکیهٔ دولت ، اثر کمال‌الملک



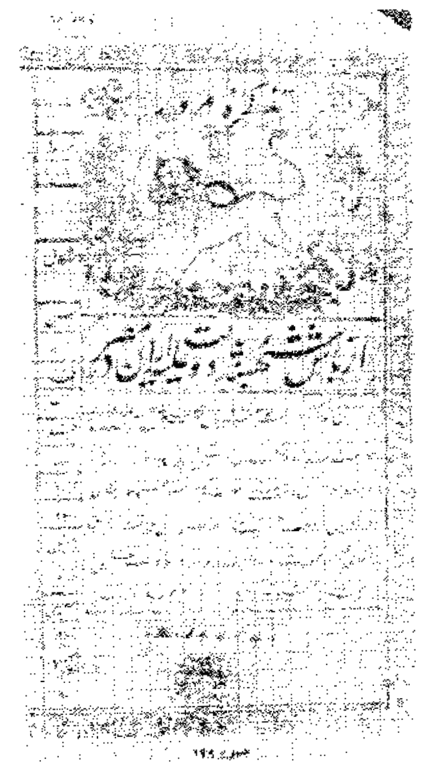
میرزا ملکم‌خان

میرزا فتحعلی آخوندزاده

میرزا عبدالرحیم طالبوف



سیدجمال الدین



گذرنامهٔ سیدجمال الدین

نمونهٔ خط سیدجمال الدین

تبعیدنامهٔ سیدجمال الدین

[illegible]

کتاب [illegible] باستان [illegible]

در ترتیب ابیات [illegible]

اثر

بنده ناچیز عبدالحسین مشهور بمیرزا آقاخان کرمانی

هنگام

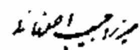
در وقت [illegible]

سنه [illegible]

میرزا آقاخان کرمانی




شهید سعید شیخ احمد روحی متولد ۱۲۶۳ قمری مقتول در ۲ صفر ۱۳۱۴ قمری


میرزا حبیب اصفهانی

اصلش از قریهٔ بن چهارمحال از محال اصفهان است در
اصفهان و طهران بتحصیل علوم مشغول بود در بغداد نیز چند سال بتحصیل
ادبیات و فقه و اصول پرداخت پس از آن از طهران هجرت نمود
زیرا که با هزلی که در حق سپهسالار محمدخان [illegible] ساخته است
[illegible]

از قصیدهٔ انگوری اوست

[illegible]

نمونهٔ خط میرزا حبیب اصفهانی



میرزا حبیب اصفهانی

المؤلف فى سطور:

يحيى آرين بور:

كاتب ومحقق إيرانى بارز وشاعر اتخذ لنفسه لقب (دانش) أى "العلم" كما هى العادة عند الشعراء الفرس والترك ثم أصحاب اللغة الأوروبية فيما بعد. يصل نسبه من ناحية أبيه إلى الأمير القاجارى البارز عباس ميرزا وينتمى من ناحية أمه إلى الحكيم والفيلسوف الإيرانى نصير الدين الطوسى المعروف لمنزلته الفكرية باسم حواجه نصير الدين الطوسى.

المترجمون فى سطور

إيمان محمد إبراهيم عرفة

أستاذ مساعد اللغة الفارسية وآدابها. عُينت معيدًا بقسم اللغات الشرقية ، ثم حصلت على درجة الماجستير فى موضوع "الحياة الثقافية فى بلاط السلطان "حسين بيقرا" ، ثم حصلت على درجة الدكتوراه فى فكرة القومية فى أدب عبد الرحيم طالبوف.

محمد السباعى محمد السباعى

حصل على الماجستير فى فكرة الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة عند كل من محمد إقبال ومحمد عاكف.

وحصل على الدكتوراه فى موضوع "الحياة الفكرية فى عصر رضا شاه بهلوى".

عين بجامعة القاهرة كلية الآداب – بنى سويف ، ثم انتقل إلى كلية الآداب بجامعة حلوان.

أشرف محمد عبد الوهاب

حاصل على ليسانس الآداب من قسم اللغات الشرقية بآداب القاهرة .

عُين مترجمًا للغة الفارسية بمركز الدراسات الشرقية عن ١٩٥١.

المراجع فى سطور:

السباعى محمد السباعى

- ليسانس الآداب – جامعة القاهرة – قسم اللغات الشرقية – فرع لغات الأمم الإسلامية عام ١٩٦٣ بتقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف.
- الماجستير ١٩٦٦ ثم الدكتوراه ١٩٧٢م بمرتبة الشرف الأولى.
- شغل منصب رئيس قسم اللغات الشرقية من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٩م
- عين خبيرًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة للغتين الفارسية والتركية اعتبارًا من ١٩٩٢م
- رئيس تحرير مجلة "الدراسات الشرقية" التى تصدر جمعية خريجى أقسام اللغات الشرية لمدة ثلاث أعوام.
- رئيس تحرير مجلة "رسالة المشرق" التى تصدر عن مركز الدراسات الشرقية منذ ١٩٩٢ حتى ١٩٩٧م.

الإنتاج والأعمال العلمية:

أولاً الكتب:

١ – اللغة الفارسية (نحو وصرف وتعبير) ، ١٩٧٥م.

٢ – النثر الفارسى منذ نشأته حتى نهاية العصر القاجارىفى إيران ، ١٩٧٨م.

٣ – الثورة الإسلامية فى إيران من وجهة النظر الإيرانية ، ٢٠٠٠، الموسوعة العامة ، مقاتل من الصحراء (المملكة العربية السعودية).

٤ – عبد الوهاب عزام، رائدًا ومفكرًا، القاهرة الكتاب المصرى اللبنانى، يناير ٢٠٠٥م.

ثانيًا الترجمات :

١ – تاريخ إيران القديم "تأليف حسن بيريا والترجمة بالإشتراك مع د. محمد نور الدين عبدالمنعم ومراجعة د. يحيى الخشاب.

٢ – الإسلام فى إيران لمؤلفه الروسى بطرشوفسكى ترجمه عن الفارسية وقدم له، الطبعة الرابعة ، مارس ٢٠٠٥م

٣ – "من الفكر الصوفى الإيرانى المعاصر" تأليف صادق عنقا، وتقديم الترجمة بالاشتراك مع د. إبراهيم الدسوقى شتا.

٤ – ترجمات لمواد خاصة بإيران وتركيا وتاريخ آسيا الوسطى فى الدوريات المختلفة.

٥ – ترجمة عدد من أعلام الفكر والتاريخ الإسلامى وروّاد الدراسات الشرقية لليونسكو.

٦ – مراجعة المعجم الذهنى "فرهنك طلائى" – المعجم الفارسى العربى – تأليف الدكتور النونجى، لونجمان ١٩٩٦م، القاهرة.

التصحيح اللغوى: **عايدى جمعة**

سهام عبد الوهاب

الإشــراف الفنى: **حســن كامل**



هذه ترجمة للمجلد الأول من كتاب "از صبا تانيما" أى "من صبا حتى نيما"، والذى يقع فى مجلدين يتناولان تاريخ الأدب الفارسى فى مائة وخمسين عامًا، أتبعهما المؤلف يحيى آرين بور بكتاب ثالث تحت عنوان "ازنيما تاروزچكا رما" أى "من نيما حتى عصرنا الحاضر".

وهذه المجلدات الثلاثة هى أهم ما خلَّف المؤلف، فضلاً عن ترجمة لكتاب "ناصر خسرو راسماعليان" أى ناصر خسرو والإسماعيلية، الذى ألفه المستشرق الروسى برتلس.

ويحيى آرين بور من كبار المفكرين والمحققين الإيرانيين والشعراء، والذى اتخذ لنفسه كلمة "دانش" أى العلم تخلصًا له كسائر الشعراء الفرس. ولد فى مدينة تبريز الإيرانية عام 1286هـ ش، وتوفى فى 1364هـ ش.

ذكر يحيى آرين بور أن كتابه هذا ليس من قبيل كتب تذاكر الشعراء ولا من قبيل منتخبات أشعار أو آثار السابقين ولا هو كتاب عادى مثل كتب تاريخ الأدب، وإنما هو تحقيق أدبى لحقبة تاريخية منذ عصر الإحياء أو "العودة الأدبية" حتى بداية الشعر الحديث، ويمثل الكتاب أهمية اجتماعية وأدبية غير عادية، نظرًا لقرب هذه الحقبة من عصرنا، وكذلك بسبب الوقائع الغريبة التى حدثت والتى تؤثر دون شك وبشكل كبير فى الأحداث الأدبية التالي وتلك محاولة غير مسبوقة، ولكن لا تخلو من النواقص وال وإيجابياتها كثيرة.



